الحسن بن علي عليه السلام

الإمامة المنسية

١ - ٢

تأليف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسن ابن علی علیه السلام الامامه المنسیه

کاتب:

صالح الطائی

نشرت فی الطباعة:

العتبه العباسیه المقدسه

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵

الحسن ابن علی علیه السلام الامامه المنسیه ----- ۱۱

اشاره ----- ۱۱

اشاره ----- ۱۳

الجزء الأول الإمامه المحاصره ومساعی تقویض الحسنیه ----- ۱۴

مقدمه الناشر ----- ۱۴

المقدمه ----- ۲۰

الفصل الأول السیاسه الدنیویه ----- ۴۰

اشاره ----- ۴۰

تقدیم ----- ۴۲

الساسه العرب ----- ۴۵

الصراع الدینی السیاسی ----- ۵۵

العصبیه ----- ۶۱

الفصل الثانی الحیاه السیاسیه قبل و بعد عصر البعثه ----- ۹۵

اشاره ----- ۹۵

سیاسه العرب قبل عصر البعثه ----- ۹۵

السیاسه فی عصر البعثه ----- ۱۰۲

التخطیط السیاسی لقتل النبی صلی الله علیه و آله ----- ۱۱۰

نشاط السیاسیین فی عصر البعثه ----- ۱۱۸

اشاره ----- ۱۱۸

المرحله الأولی: ----- ۱۱۸

المرحله الثانیه: ----- ۱۲۲

المرحله الثالثه: ----- ۱۲۴

المرحله الرابعه: ----- ۱۲۶

المرحله الخامسه: ----- ۱۲۶
السیاسه و الدوله ----- ۱۲۷
التنقل عبر و الخطوط ----- ۱۳۴
التکتم علی دور العرب السیاسی ----- ۱۴۰
الأنساق السیاسیه ----- ۱۴۲
الذین کتبوا التاریخ أخفوا حقائقه ----- ۱۵۲
قلب المعادله ----- ۱۶۳
السیاسه بعد عصر البعثه ----- ۱۷۰
ترشیح و تنصیب و دعم و قتل الخلفاء ----- ۱۷۰
قتل الخلیفه عثمان ----- ۱۷۹
اتهام علی بالتآمر و التواطؤ مع المتآمرین! ----- ۱۸۷
الفصل الثالث النزاع السیاسی مع الخط العلوی ----- ۲۰۴
النزاع السیاسی مع خط العلوی ----- ۲۰۴
المرحله الأولی:المواجهه الناعمه ----- ۲۰۶
أولا: إتمام مشروعهم الذی بدأ فی زمن البعثه ----- ۲۰۶
ثانیا: استباق الأحادیث و انتهاز الفرص ختلا. ----- ۲۱۰
ثالثا: إنکار حقه فی الخلافه و أهلیته للخلافه و العمل علی تنحیته عنها مرتین. ----- ۲۱۲
اشاره ----- ۲۱۲
علی و سنه الشیخین ----- ۲۱۴
و هل قتل حجر بن عدی من السنه أم من الجماعه؟ ----- ۲۲۲
رابعا: التخلف عن بیعته ----- ۲۳۶
خامسا: إفشال خططه وجهده علیه السلام بالدس والتدلیس والغش. ----- ۲۴۴
سادسا: تخریب اقتصاد دولته ----- ۲۴۷
محاولات الإصلاح الاقتصادی العلویه ----- ۲۵۱
المرحله الثانیه: المواجهه الخشنه ----- ۲۵۳
اشاره ----- ۲۵۳

قتال الناكثين و القاسطين و المارقين ----- ۲۵۳
الحرب هی الحل ----- ۲۶۲
الجمل؛ الحرب الغادره الأولی ----- ۲۶۹
صفین معرکه الخداع و المکر السیاسی ----- ۲۸۱
جمر الصحابه بالفتوح للتخلص منهم ----- ۲۸۲
فصول الصفین ----- ۲۸۸
النهروان معرکه المغفلین المخدوعین ----- ۲۹۴
المرحله الثالثه: تکمیم الأفواه و تغییر الموروث ----- ۳۰۷
اشاره ----- ۳۰۷
سب الإمام علی ----- ۳۰۷
فصل الرابع أنموذجات سیاسیه فی تاریخ العرب ----- ۳۱۳
اشاره ----- ۳۱۳
المغیره بن شعبه ----- ۳۱۵
قتل الخلیفه عمر ----- ۳۱۶
مروان بن الحکم ----- ۳۲۴
الأشعث بن قیس ----- ۳۴۸
أبو سفیان و مشایخ قریش ----- ۳۵۰
المؤرخون السیاسه ----- ۳۶۹
الفصل الخامس و النزاع السیاسی مع خط الحسنی ----- ۳۸۳
اشاره ----- ۳۸۳
سیاسه التشکیک ----- ۳۸۵
تشکیکهم بتاریخ مولده ----- ۳۸۸
تشکیکهم فی أصل تسمیته ----- ۳۹۲
تشکیکهم أن النبی صلی الله علیه و آله عق عنه ----- ۴۰۰
تشکیکهم فی صحبته ----- ۴۱۸
إسهامه فی الفتوح ----- ۴۱۹

الخلط بين مهام إمامته وخلافته ----- ۴۲۲
التلاعب بتأريخ وفاته ----- ۴۳۶
تشكيكهم بطريقه موته ----- ۴۵۲
اعتراضهم على دفنه مع جده ----- ۴۸۴
هدم القبر الشريف ----- ۵۰۲
الإمام الحسن فى ميزان النبوه ----- ۵۰۴
فرح السياسيين بموته ----- ۵۱۸
عدم احترام منزلته ----- ۵۲۳
لم يشفع له شبهه بالنبى صلى الله عليه و آله ----- ۵۲۵
حجبهم الراشديه عنه ----- ۵۲۸
وتمكنت السياسه من خلط ألأوراق بشأن خُلق الإمام ----- ۵۳۹
الفصل السادس السياسه الدينيه ----- ۵۴۱
اشاره ----- ۵۴۱
المستقبليه ----- ۵۵۱
ايذاء الحكام الجائرين لآل البيت عليهم السلام ----- ۵۹۵
الخاتمه ----- ۶۱۰
المراجع ----- ۶۱۸
الجزء الثانى الامام المفترى عليه ----- ۶۵۲
مقدمه ----- ۶۵۲
الفصل الأول قصص زوجاته التسعمانه! ----- ۶۵۶
اشاره ----- ۶۵۶
قصص زوجاته التسعمائه! ----- ۶۵۸
المدائنى ----- ۶۶۹
الحسن عليه السلام المبذر المتلاف ----- ۶۷۵
انزعاج الإمام على عليه السلام ----- ۶۹۸
الزواج السياسى ----- ۷۱۱

الأصل التاريخى لروايات الزواج الخرافى ----- ۷۳۰
مع الكثره يسوء الاختيار ----- ۷۴۳
حب نسائه له ----- ۷۵۰
معرفه دقائق الأمور ----- ۷۵۲
أولاد الإمام الحسن عليه السلام ----- ۷۷۲
الفصل الثانى صدق الائمه و كذب السياسيين ----- ۷۸۰
اشاره ----- ۷۸۰
صِدقْ الأئمه وكَذِبِ السياسيين ----- ۷۸۳
نظريه الحق الإلهى ----- ۷۹۳
التنصيب الإلهى ----- ۸۲۹
الكِبرْ ----- ۸۳۶
الفصل الثالث الصلح فى الجزئيه و الكليه ----- ۸۵۸
اشاره ----- ۸۵۸
بعض ملامح أخلاق الإمام الحسن عليه السلام السياسيه ----- ۸۶۰
الشروط بين الفقه والفكر السياسى الإسلامى ----- ۸۸۳
ما اشتبه عليهم ----- ۸۸۹
الإذلال فى ميزان الواقع ----- ۹۰۹
ما بال المعاصرين ----- ۹۱۹
الجانب الفقهى للصلح ----- ۹۲۸
الآيه من حيث سبب النزول: ----- ۹۲۹
الآيه من حيث التفسير: ----- ۹۳۱
الآيه من حيث التشريع: ----- ۹۳۵
مشروعيه الصلح والحرب فى الإسلام ----- ۹۴۰
الفصل الرابع الأغيلمه الشجره الخبيثه ----- ۹۴۵
اشاره ----- ۹۴۵
حديث الأغيلمه ----- ۹۴۸

الشجره الملعونه فی القرآن ---- ۹۷۱
قتال الحسن علیه السلام للبغاه مکمل لقتال علی علیه السلام لهم ---- ۹۸۴
جیش الإمام الحسن علیه السلام ---- ۱۰۰۰
من البادئ بالمسیر إلی الحرب؟ ---- ۱۰۲۲
إلتقاء الجیشین ---- ۱۰۳۲
هل التقی الجیشان فعلاً؟ ---- ۱۰۵۰
مَنْ بادر إلی الصُلح أولا؟ ---- ۱۰۵۷
قصه البخاری الملفقه ---- ۱۰۶۶
مؤامره الخطبه ---- ۱۰۸۵
الفصل الخامس المدارس الفقهیه و موضوع الصلح ---- ۱۰۹۱
اشاره ---- ۱۰۹۱
المدارس الفقهیه وموضوع الصُلح ---- ۱۰۹۲
ترابط منهج الإمامه المعصومه وفهم الحسن علیه السلام للصُلح ---- ۱۱۳۶
لماذا صالَح الحسن علیه السلام؟ ---- ۱۱۶۲
الفصل السادس الصلح و القواعد الفقهیه ---- ۱۱۷۵
اشاره ---- ۱۱۷۵
الصُلح والقواعد الفقهیه ---- ۱۱۷۶
درء الحدود بالشبهات ---- ۱۱۷۶
الإمام والوحده الإسلامیه ---- ۱۱۹۵
وثیقه الصُلح ---- ۱۱۹۸
معاویه والصُلح ---- ۱۲۱۰
الحسن علیه السلام بعد الصُلح ---- ۱۲۲۳
مراجع ومصادر الجزء الثانی ---- ۱۲۶۱
المحتویات ---- ۱۲۹۳
تعریف مرکز ---- ۱۳۰۷

الحسن ابن علی علیه السلام الامامه المنسیه

اشاره

الطائی،صالح علی، ۱۹۵۱-

الحسن بن علی علیه السلام : الإمامه المنسیه / تألیف صالح الطانی ؛ مراجعه شعبه

الدراسات والنشرات.- الطبعه الاولی.. کربلاء : قسم الشوون الفکریه واثقافیه فی

العتبه العباسیه العشسه،۱۴۳۶ه / ۲۰۱۵.

۲ جزء فی ۱ مجد ؛ ۲۴ سم المصادر

۱. الحسن بن علی المجتبی علیه السلام الإمام الثانی؛ ۵۰-۳ه, سیره. ألف. العتبه العباسیه

المقدسه قسم الشؤون الفکریه و الثقافیه شعبه الدراسات والنشرات .ب.العنوان.

BP۱۹۳.۱۲.A۳ T۳ ۲۰۱۵

الفهرسه التصنیف فی مکتبه العتبه العباسیه المقدسه

الکتاب: الحسن بن علی علیه السلام الإمامه المنسیه.

الکاتب: الاستاذ صالح الطائی.

الذاثر:قسم الشؤون الفکریه والثقافیه فی العتبه العباسیه المقدسه.

مراجعه: شعبه الدراسات والنشرات.

التدقیق اللغوی: مصطفی کامل محمود، موفق هاشم عجیل.

الاخراج الطباعی والتصمیم: علاء سعید الأسدی- محمد قاسم النصراوی.

رقم التسجیل ی دار الکتب والوثائق فی بغداد ۲۳۱۸ لعام ۲۰۱۳م.

المطبعه:دار الکفیل للطباعه والنش.

الطبعه: الأولی.

عدد النسخ: ۲۰۰۰.

ربیع الثانی ۱۴۳۶ -کانون الثانی ۲۰۱۵

العتبه العباسیه المقدسه

شعبه الدراسات و النشرات

کربلاء المقدسه

ص.ب(۲۲۳)

هاتف:۳۲۲۶،داخلی:۱۶۷-۱۷۵

www.alkafeel.net

info@alkafeel.net

ص :۱

اشاره

العتبه العباسیه المقدسه

قسم الشؤون الفکریه والثقافیه

الحسن ابن علی علیه السلام الامام المنسیه

۱-۲

تألیف

الاستا ذ صالح الطائی

الفائز بالمرکز الاول

بمسابقه مؤلف بحق الإمام الحسن علیه السلام الأولی لعام(۱۴۳۴ه-۲۰۱۳م)

شعبه الدراسات و النشرات

ص :۲

الجزء الأول الإمامه المحاصره ومساعی تقویض الحسنیه

مقدمه الناشر

الحمد لله حمداً کثیراً علی جمیع نعمه وله الشکر سبحانه وتعالی عل ما فضل به المؤمنین باتباعهم لرسوله الکریم وأهل بیته المعصومین، فقال سبحانه وتعالی: (إنما أنت منذر ولکل قوم هاد) فکانوا هم الهادین و ورثه المبعوث رحمه للعالمین، أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهیراً وجعلهم حجته علی خلقه ومکمن علمه ومفتاح رحمته و (خیر أُمه أُخرجت للناس)، علیهم أفضل الصلاه وأتم التسلیم.

أما بعد..

ما زال قسم الشؤون الفکریه والثقافیه فی العتبه العباسیه المقدسه یساهم فی نشر التراث الإسلامی الخالد الذی یستسقیه من مناهل أهل بیت النبوه صلی الله علیه و آله، لیرتشف القارئ العزیز من هذا المعین الصافی، فمن هذا البیت النورانی شعت أنوار الهدایه بفیض کریم أهل البیت الإمام الحسن بن عل المجتبی (صلوات الله وسلامه علیه)، ریحانه المصطفی صلی الله علیه و آله ورابع أهل الکساء، وسید شباب أهل الجنه علیه من الله أفضل الصلاه والسلام .

فکان الشرف الأسمی لما أبدعته یراعات کتاب وباحثین کتبوا عن تراث إمامنا المجتبی علیه السلام من الذین فازوا بالمراتب الخمس الأولی فی مهرجان ولاده الإمام الحسن المجتبی علیه السلام لعام ۱۴۳۴ للهجره النبویه المبارکه والموافق لعام ۲۰۱۳م، التی حملت العناوین التالیه:

۱ . الحسن بن علیعلیه السلام الإمامه المنسیه .

للمؤلف صالح الطائی.

۲ . دراسات فی الفکر التربوی عند الإمام الحسن علیه السلام .

للمؤلف الاستاذ یوسف مدن.

۳. الانسانیه المثالیه عند الحسن بن علی علیه السلام دراسه تحلیلیه فی تراثه.

للمؤلف الدکتور رحیم کریم علی الشریفی

۴ .تنزیه الإمام الحسن علیه السلام و محاکمه النصوص.

للمؤلف منذر کاظم آل هریبد

۵ .صلح الحسن علیه السلام فی فکر المستشرقین.

للمؤلف: کریم جهاد الحسانی

وللساهمه فی نشر رساله الإسلام المحمدی الخالد متمثلا بتراث الإمام السبط

المجتبی علیه السلام ، ومن برکات راعی الجود و الفضل قمر الهواشم العباس بن علی علیه السلام،

نقدم بین یدی القارئ العزیز هذه المساهمه لإحیاء أمر أهل بیت الرحمه علیهم السلام کما أمرنا،

روی عن الإمام الرضا علیه السلام، انه قال :(رحم الله عبدا أحیا أمرنا، فقیل له: فکیف حیبی

أمرکم؟ ، قاله علیه السلام: یتعلم علومنا ویعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن کلامنا

لاتبعونا)(۱).

و نسأل الله تعالی ان یتقبل هذا العمل بقبول حسن، انه کریم مجیب.

والحمد لله رب العالمین وصل الله تعالی علی خیر خلقه محمد وآله الطاهرین.

الناشر

قسم الشؤون الفکریه والثقافیه

فی العتبه العباسیه المقدسه

١- معانی الأخبار: الشیخ أبوجعفر محمد بن عل بن الحین بن موسی بن بابویه القمی

المقدمه

المكتبات(۱) ولاسيما الإسلاميه الشيعيه منها مترعه بصنوف الكتب والمؤلفات

والبحوث والمقالات بكل ما له علاقه بالإسلام والنبی صلی الله علیه و آله وأئمه أهل البیت علیهم السلام،

فضلًا عن كتب الفقه والأحكام الفقهیه الإسلامیه والحلال والحرام، ولكنها تفتقر

-وللأسف الشدید وبشكل كبیر- إلی ما یكتب عن الامام الحسن بن علی علیه السلام، لذا

وجدت موضع الكتابه عن العصر الحسنی شائقا و شائكأ، شائقأ من حیث كونه یمثل

نوعاً من التلذذ العقدی والفكری بالحدیث عن شخصیه من أهم الشخصیات الإسلامیه

التی أسهمت فی ترسیخ مبادئ الدین الحنیف تضحیتها الكبیره والعظیمه، وشائكاً من

حیث كونه یستوجب مناقشه جوانب بالغه الحساسیه من حیاه إمام معصوم قام أو

قعد بصراحه موضوعیه مطلقه؛ بكل ما ینضوی علیه هذا العمل من استفزاز ممكن أن

یخلق مخاطر یحدثها التفسیر التلقائی أو التأویل المقصود والمتعمد، وهو تفسیر وتأویل

۱- یقول الأستاذ المصری توفیق أبو علم: ((وبعد فعندما بدأت الكتابه عن أهل البیت كانت مهمتی سهله وصعبه، وتأتی السهوله عن بعض الشخصیات الكریمه من أهل البیت لكثره مصادرها، وصعبه فی الكتابه عن بعضها الآخر لقله ما كتب عنه وفی مقدمتهم سیدی أمیر المؤمنین أبی محمد الحسن السبط رضی الله عنه، وقد كنت أتهیب دراسه هذه الشخصیه فالذین كتبوا عنه وهم قلیل حاولوا أن یشوهوا وجه الحق ویفسدوا حریه البحث، فالمكتبه العربیه ینقصها المراجع عن الإمام الحسن، وعلی العكس هی زاخره بالمؤلفات عن الشهید الإمام الحسین فه، و لست ادری السبب الذی من أجله أحجم الكثیر عن الكتابه عن هذه الشخصیه الفذه، ففیها نواح كثیره جدیره بالبحث والدراسه،فهو بلا شك رجل اللام الأول) ینظر:ص۸۷ أهل البیت، الحسن بن علی،توفیق أبو علم، ط۳، دار المعارف، القاهره، مصر.

قد يكون دافعه طلب العلم أو ضيق الأفق الفكرى أو التعصب أو الفهم الخاطئ، أو حتى العداء الشخصى، بمعنى أنه مفتوح أمام كل الاحتمالات حسنها وقبيحها، وهو الموجود على أرض الواقع فعلا، فقباله ما يكتب طلباً لرحمه الله ورضوانه هناك ما يكتب طلبا لرضا الشيطان وتخريب سريره الإنسان.

ولما كان هناك من يرى فى كلا المنهجين الرحمانى والشيطانى حراكاً فكرياً ينمى قدرات الإنسان الذهنيه ويشحذ قدراته الفكريه، بات لزاماً علينا أن نستعد للمواجهه الفكريه بسلاح العقل و دعم المنطق بعيداً عن كل تشنج و خروج على قواعد الدين، وهو ما يحتاج منا أن نعيد ترتيب أولوياتنا، فنحن اليوم فى عرص المعلومه المطلقه التى تتنقل عبر الأثير حول العالم بلمح البصر بل أسرع، وفى تنقلها تنظم و تدمر وتغير وتثبت، وتفضح و توضح و تدعم و تحفز و تدفع و تجذب و ترفع و تخفض تبعا لما يريدونه لها، و ليس من المعقول أن لا نلحق بركب التغيير فتبقى متقوقعين فى أماكننا وعالقين فى موروثنا نعمل بنفس آلياتنا وعدتنا القديمه الهرمه؛ لأننا إذا بقينا عل ما نحن عليه لن نلحق بالركب، وسنكون من سقط المتاع الرخيص الذى لا يبحث عنه أحد، فالتجديد واجب ظرفى تحكمنا به معطيات الحضاره المعاصره وسيل الأفكار الغريبه التى يتم تداولها فى المجتمعات الإنسانيه اليوم.

ومما يحتاج إلى التغيير والتنوير موضوع الكتابه عن شخصيات التاريخ الخالده التى تعرضت إلى عسف وجور وظلم الحكام السلطويين الدنيويين، وتعرضت سيرتها إلى تخريب وتشويه ودس بعض المؤرخين والكتاب والباحثين، وفى سياق الاحتياج هناك ضروره قصوى لإكثار وتنويع ما يكتب عن الإمام الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام فالكتابه عن الإمام الحسن عليه السلام من الندره بشكل يدعو إلى الدهشه الكبيره؛ لدرجه أنها

تبدو أحياناً مقصوده و متعمده، وهناك كتابات أخرى تبدو وكأنها تتنافس معها.

قبل سنوات انشغل صديقى البروفسور الأمريكى (أبونمر) بكتابه بحث عن (السلام فى الإسلام) وهو الموضوع الذى شاءت الإراده الدوليه مدعومه بالحركه الصهيونيه ومنظمه الماسونيه العالميه والحركات الإسلاميه المتطرفه وبعض تيارات الإسلام السياسى أن لا يظهر إلى النور لأنه يقلب الكثير من الموازين ويغير الكثير من القناعات؛ فلجأ إلى مكتبه الكونغرس وهى من أكبر المكتبات العالميه إذا لم تكن أكبرها عل الإطلاق باحثا عن مصادر ومراجع للموضع الذى يريد الكتابه فيه، يقول:

((فوجدت آلافاً مؤلفه من المواد السمعيه والبصريه على شكل شرائح، سلايدات، أفلام، صور، محاضرات، كتب، مجلات، جرائد، بحوث ومقالات، ودراسات كلها تتحدث عن العنف فى الإسلام، تتحدث عن الجهاد وقتل المخالف وتنظيم القاعده الإرهابى وتفجيرات أيلول و خطف الطائرات والتفج ر والتفخيخ والذبح والحرق والاغتصاب وزرع المخدرات والمتاجره بها لتمويل العمليات الإرهابيه وبيع الأعضاء البشريه وكل الأعإل القميئه القبيحه الأخرى التى ترتكب باسم الإسلام)).

وقال أيضا: لآولم أجد سوى بضعه مطبوعات بائسه تتحدث عن الموضوع الذى أبحث عنه!)).

ولقد تذكرت مقولته تلك وأنا أبحث عن ما كتب عن الإمام الحسن عليه السلام لأتم بحثى هذا، وما قاسيته من عناء بهدف الحصول عل مصادر للبحث.

إن وظيفه الكتابه عن الإمام الحسن عليه السلام لا تقل فى أهميتها عن وظائف الكتابات العقائديه الأخرى سواء تلك التى تتناول سر الأئمه المعصومين عليه السلام، أو كتب الفقه والأخلاق والمنطق والتربيه، ويحب عل من يكتب عنه أن يتجاوز المألوف وينحاز

عنه وإلى تاريخه ليعيد كتابه التاريخ الحقيقى بدلاً عن التاريخ المستباح الذى تلاعبت به الأقلام والعقول والأهواء والغفله والسياسه؛ قال رولان بارت:«لم يكن هيبير يبدأ أى عدد من أعداد مجله (الآب دوشين) مطلقاً دون أن يضع فيه بعض الكلمات البذيئه، ولم تكن هذه البناءات داله على شيء؛ ولكنها تشير إلى موقف ثورى كامل. هذه إذن مثال عل الكتابه التى ليست وظيفتها الايصال أو التعبير فحسب، بل فرض أمر يتجاوز اللغه، وهو التاريخ والانحياز إليه بآن واحد»(١). وهذا يعنى أن تقديم الجديد للناس حتى ولو كان خادشاً للحياء ممكن أن يشدهم إلى المعلومه التى تمرر من خلال الموضوع، وأنا أوردت القول على سبيل المثال لا أكثر جرياً على قاعده (الأمثال تضرب ولا تقاس).

وهى ليست نبوءه تلك الجمله التى قالها رولان بارت: ((والحال أن التاريخ يتصرف بكل وضوح حيثما يكون مرفوضا))(٢).

فنحن بحكم كون التارخ ظلمنا أو ظلم معتقدنا بات عندنا أكثر وضوحاً مما هو عند غيرنا من المسلمين الآخرين، ولذا تجد تفكيكنا وتفسيرنا له يختلف عما هو عندهم، بل تجدنا نتابع مفرداته وجزئياته لا كما يتابعونها، وقد نفاجئهم أحياناً بما نصل إليه فيروه جديداً، وكأنه لم يمر عليهم من قبل، بل قد يعتقدونه من مختلقاتنا الحديثه لأن كتبهم لم تذكره أو أغفلته. ولذا أصبح لزاماً علينا أن نواصل منهجنا ونوصل رؤيتنا التاريخيه إلى أهلنا وأقربائنا من المسلمين لنقوم بعض اعتقاداتهم الخاطئه الموروثه عن فكرنا وعقيدتنا، ولنببههم إلى مواطن الضعف التى إختلقها الحراك السياسى وجعلهم

١- الكتابه فى درجه الصفر، رولان بارت،ترجمه عن الفرنسيه الدكتور محمد نديم خشفه،مركز الإنماء الحضارى، ٢٠٠٢، ص ٥.
٢- المصدر نفسه، ص ٦.

يؤمنون بها. وفى طريقنا نكشف غموض المناطق الخفيه والمسكوت عنها أو تلك التى لم يخض غمارها أحد من قبل، ونثبت للجميع أن التاريخ لا يملك القدسيه التى يضفيها بعضهم عليه، حيث يتفق الباحثون على أن تاريخنا الإسلامى كان درايه أولاً ثم روايه ثانياً وبعدها كتابه ثالثاً، وهذا يعنى بأنه لم ينجح بالحفاظ على اتزانه خلال التنقل عبر هذه المراحل الثلاث ولاسيما أنه تعرض خلالها إلى عسف وظلم كبيرين فتلون بغير لونه الحقيقى.

وليكن هذا المشروع جزءاً من أهدافنا المقصوده، ولا ننسى أن أحد أكبر الأخطاء القاتله التى يمكن أن يرتكبها الباحث هو أن يكتب بدون هدف، فلابد من تحديد هدف بعينه ورسم الطريق إليه بوضوح شديد و تأن وصبر و علميه؛ فالعالم اليوم لم يعدمستعداً لسماع أو قراءه المزيد من الحماقات والتفاهات، فالعالم اليوم يبحث عن الجديد المدهش حتى ولو كان عن طريق إعاده تفكيك أسرار الموروث القديم.

إن مفهوم (الكتابه فى درجه الصفر) الذى استنبطه رولان بارت أصبح اليوم أحد المفاهيم المعياريه التى فرضت حضورها فى المصطلحات النقديه المعاصره، ولا بأس أن نتعلم ما ينفعنا من الآخرين ما دام متوافقاً مع العقيده؛ وهو ما قد يخدمنا فى سعينا لإحياء منظومه الإمام الحسن بن على عليه السلام الجهاديه التى هى امتداد طبيعى لمنظومه جده النبى محمد صلى الله عليه و آله وأبيه الإمام على عليه السلام، و مع توظيف هذه المعطيات لا يعفى أحد من التقصير المتعمد بحق الإمام الحسن بن على عليه السلام مهام قدم من أعذار، فالتقصير المتعمد الذى نحن عليه اليوم يؤكد أن الإمام الحسن عليه السلام مظلوم من أتباعه قبل أعدائه، ومن محبيه قبل مبغضيه.

فضلاً إنك لو تابعت البحث عن ما كتب من مؤلفات فى الإمام الحسنعليه السلام سوف

تجد مع هذه القله أن كتابات المدارس الإسلاميه الأخرى عنه وعن سيرته يفوق ما كتب عنه فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام أو يساويه، وسبب هذا التباين أن الآخرين –ولاسيما أحفاد السياسيين– أرادوا توهين الذهب من خلال القول بشرعيه حكم الأمويين الذين تنازل لهم الإمام الحسن عليه السلام. وأن الشيعه لم يفهموا عظمه موقف وحراك وثوره وصلح الإمام الحسن عليه السلام!.

وفوق هذا وذاك وجدت أن فى الذاكره الجمعيه الشعبيه انطباعاً سائراً بأن رجل الحرب والقائد الثائر مقدم عل رجل السلم والثائر لإحلال السلام بالسلام ورفض الحرب، ولذا يبحث الناس عما كتب عن الثوار المقاتلين ويتابعوته أكثر مما يبحثون عن كتب أبطال السلم مثل الإمام الحسن عليه السلام. ولهذا السبب تولدت لدى أصحاب المكتبات صغيرها وكبيرها قناعه بأن ما يكتب عن الإمام الحسن عليه السلام. يكسد فى مكتباتهم ولا يسأل عنه إلا القله من القراء والمتابعين والباحثين، ولقد جابهنى هبذه الحقيقه أحد أصحاب مكتبات البيع بالجمله فى الكاظميه المقدسه فدهشت من جرأتهم!.

ولذا عانيت كثيرأ فى بحثى عن ما يعيننى فى كتابه بحثى هذا؛ فأنا عاده حينما أبدأ بكتابه بحث ما أبدأ بجمع ما فى مكتبتى العامره من مصادر ومراجع وأضعها بالقرب منى، ثم أدور على مكتبات و معارض بيع الكتب لأشترى ما له علاقه بالبحث. وحينما نويت البدء بهذا الكتاب انتبهت للمره الأولى على أن مكتبتى فقيره فيما تخص الإمام الحسن عليه السلام، فقمت بزيارات متكرره لأغلب المكتبات بما فيها المكتبات العامه ومكتبات المؤسات الدينيه فى محافظه واسط بحثاً عن كل ما يمكن أن يرفد البحث فوجدتها شبه خاليه من ذكره، ثم زرت الكاظميه المقدسه وتجولت عل المكاتب فلم أعثر إلا على ثلاثه عناوين قديمه؛ منها اثنان عن الصلح، فضلا عن مجموعه كراسات لا تسمن ولا

تغنى من جوع فكرى. ولو عقدنا مقارنه بين ما كتب عن الإمام الحسن عليه السلام وما كتب عن أخيه الإمام الحسين عليه السلام سنجد بوناً شاسعاً وفرقاً كبراً، ولا نجد وجه مقارنه مطلقا مع أنهما((إمامان قاما أو قعدا)) وهذا مما زادنى إصراراً على الكتابه عن الإمام الحسن عليه السلام٠

نعم هناك بيننا من يرى أن امتداد حياه أى من الأئمه المعصومين عليهم السلام هو امتداد طبيعى لحياه سلفه، وأن ما يكتب عن الإمام الحسين عليه السلام يأتى كمحصله للإمام الحسن عليه السلام، وأرى أن ذلك لا يعفينا من التقصير لأن لكل منهما ملامحه وخصوصياته التى لا يشترك بها مع الآخرين، ونحن لوكنا نؤمن حقا على أرض الواقع بهذه الامتداديه ما كنا قد أوقفنا جهدنا على بعضهم وتجاوزنا البعض الآخر أو كدنا ننساه. وقد آن لنا أن نصلح منهجنا العتيق هذا لنعطى كل إمام من أئمتنا المعصومين عليهم السلام حقه علينا وعلى الأمه كاملًا غير منقوص من خلال البحث والتقصى والمتابعه فى بطون كتب التراث والتاريخ والأدب وكل فنون الكتابه القديمه؛ فلابد وأن نجد فيها ولو نتفاً تعيننا فى بناء وجهات نظرنا التى متى ما جمعت خزيناً كافياً ممكن أن تطلق وهجاً وألقاُ يعانق عنان السماء، ويجعل الناس يعيدون حساباتم.

إن الكتابه عن الأئمه المعصومين عليهم السلام أمر صعب بالرغم من توافر الكثير من المصادر والمراجع والأحاديث والروايات والقصص الشفاهيه الموروثه، وأصعب ما فى هذا اللون من الكتابه هو التهيب الذى يشعر به الكاتب وهو يخوض غمار بحور لجيه عاتيه خفى أمرها عن أقرب المقربين؛ فكيف بمن تفصل بينهم وبينه حقب وعصور وأزمنه ودهور وأيام صعبه مليئه بالمحاذير، وسياسات إقصائيه امتازت بالعسف والجور. ولذا كتبت هذا البحث وأنا متهيب حذر، ألتمس مواطن النصره وبواعث

...

التأييد عسى أن أبرىء ذمتى أمام سيدى الثائر الكبير الإمام الحسن بن على عليه السلام.

وهمى الأول فى هذا البحث أن أثبت بأن المجتمع العربى الجاهلى ثم المجتمع العربى الإسلامى الذى وقف قباله المشاريع البنائيه للإمامين على بن ابى طالب والحسن بن على عليه السلام؛ كانا مجتمعان يعرفان السياسه وفتونها ويحسنان التنظير السياسى بما يرقى إلى أساليب المدارس السياسيه المعاصره، ويتجاوزه أيضاً، وأن السياسيين من أبناء المجتمع الإسلامى الأول استخدموا براعتهم السياسيه للوقوف بوجه الدين متمثلا برجاله الأفذاذ وقادته الحقيقيين للحد من قدراته؛ ومن ثم السيطره عليه وترويضه ليخدم ممالكهم ومسالكهم؛ وبالمحصله، الوقوف بوجه الممثلين الشرعيين للدين وهم الأئمه المعصومين عليهم السلام وتغييب فكرهم لكى لا يكون منافساً للأفكار التى يبغون الإتيان بها.

ولأن السياسه نجحت بهذا الشكل فلابد وأنها حازت رضا بعض عامه الناس عن مشاريعها ورضا بعض الإفتائيين عن أحكامها، ثم أصبح هؤلاء وهؤلاء عوناً لها، فلمام نجح السياسيون فى الخلط بين الذروتين السياسيه والدينيه والتوفيق الفكرى بينهما تحولت أفكارهم المستحدثه إلى دين، وتحول الدين إلى سياسه دنيويه، فضاعت الملامح الأصيله ووبدت بدلاً منها ملامح هجينه جمعت الدين والسياسه ببوتقه واحده، ولذا نجد كثر من الملمين يربطون التاربخ الإسلامى بالدين ربطاً محكماً ويضفون عليه قدسيه من قدسيه الدين ولا يرضون لأحد أن يعيد تفكيكه وتركيبه وبناءه وصياغته، ويعدون ذلك تطاولاً بل كفراً بالرغم من أن التاريخ شذ غالبا عن الدين، بل واتخذ مساراً تخالفا للدين بعيداً عنه أو موازياً له، فإذا ما أقدم شخص ما على إزاله ما فيه من خلط يصبون عليه هنام ويصوبون إليه سهام النقد وقد يكفرونه و يحكمون عليه بالموت،

فیدفعون من ینفذ تهدیدهم بسبب اضطراب فهمهم وتحجرهم وخوفهم من کشف

بعض المستور والمسکوت عنه ولاسیما منه ما تم الحجر علیه فی مساحات مقفله لا یجب

ص :۱۴

...

االولوج إليها وخوض غمارها.

إن التهتک الفکری الذی أحدثته السیاسه العربیه بعد البعثه المشرفه لیس بدعاً من القول، بل هو وعد مما وعدنا الله به أنه سوف یقع یوم تتفکک الأمه إلی أمم والعقیده إلی عقائد والقبیله إلی قبائل والعائله إلی عوائل، وقد أورد أیوب السختیانی حدیثاً قدسیاً جاء فیه: «حَدَّثَنَا مُحمِّدُ بْنُ عُبَیْدِ بْنِ حِسَابٍ حَدَّثَنَا مُحمِّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَیُّوبَ، عَنْ أَبی قِلابَه، عَنْ أَبی الأَشعَثِ الصَّنعْانی ، عَنْ أَبی أَسْماء الرَّحَبیّ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، رَفَعَهُ إِلی النَّبِیِّ صلی الله علیه وآله، قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ زَوَی لِیَ الأَرْضَ حَتَّی رَأَیْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنّ مُلْکَ أُمَّتِی سَیَبْلُغُ مَا زُوِیَ لِی مِنها، وَإِنِّی أُعْطِیتُ الکنزیْنِ: الأحمَرَ وَالأبیض، وَإِنّی سَأَلْتُ رَبِّی عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لا یُهْلِکَ أُمَّتِی بسنَهٍ بعامَّهٍ، وَلا یَبْسُطَ عَلَیْهِمْ عَدُوًّا فَیُهْلِکُّونهمْ بعامَّهٍ، وَلا یَلْبسهُمْ شِیعا وَلا یُذِیقَ بَعْضَهُمْ بَأس بَعْضٍ، وَقَالَ: یَا مُحَمَّدُ، إِنِی إذا قَضَیت قَضَاءً فَإِنهُ لا یُرَدُّ، إِنّی أَعْطَیْتُ أُمَّتَکَ أَنْ لا أُهْلِکَهُمْ بسنَهٍ بعامَّهٍ، وَلا أُسَلِّطَ عَلَیْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَاهُمْ فَیُهْلِکُونَهُمْ بِعَامَّهٍ حَتَّی یَکُونَ بَعْضُهُمْ یُهْلِکُ بَعْضًا، وَبَعْضُهُمْ یَقْتُلُ بَعْضًا، وَبَعْضُهُمْ یَسْبِی بَعْضاً » (۱) وهکذا کتب علی هذه الأمه أن «یَکُونَ بَعْضُهُمْ یُهْلِکُ بَعْضًا، وَبَعْضُهُمْ یَقْتُلُ بَعْضًا، وَبَعْضُهُمْ یَسْبِی بَعْضًا » مصداقاً لقوله تعالی: ((فتقطعوا امرهم بینهم زبرا کل حزب بما لدیهم فرحون))(۲)

أما الکتابه عن الإمام الحسن علیه السلام فالحدیث عنها یطول، وعلیه أرفع أسمی آیات

ص: ۱۵

۱- جزء فیه من أحادیث الإمام أیوب السختیانی، القاضی أبو إسحاق إسماعیل بن إسحاق ب ن إسماعیل بن حماد بن زید الأزدی البصری ثم البغدادی المالکی الجهضمی (المتوفی: ۲۸۲) المحقق: د. سلیمان بن عبد العزیز العرینی، مکتبه الرشد وشرکه الریاض – السعودیه، ۱۴۱۸ – ۱۹ ، حدیث رقم ۱۸ .

۲- سوره المؤمنون، الآیه ۵۳ .

...

الشكر والعرفان لذوى المقامات الباسقه من الرجال العقائديين المشرفين على القسم الفكرى فى العتبه العباسيه المقدسه الذين تميزوا بالتفرد الإبداعى عن غيرهم على مبادرتهم الكريمه هذه متمثله بالدعوه للكتابه عن الإمام الحسن عليه السلام؛ وعن فكره وتراثه ومسيرته الجهاديه والعباديه. إذ لابد وأنهم رصدوا هذا القصور وأرادوا معالجه هذا التقصير، فشكراً للمتوضئين بعبقات الإيمان؛ المخلصين لأمجاد الأئمه؛ الواهبين حياتهم لإصلاح ما أفسده الدهر، شكراً لهم على دعوتهم الكريمه وجهدهم المشكور.

أما البحث فقد قسمته إلى جزءين، تناولت فى الجزء الأول الحراك السياسى العربى قبل وبعد البعثه المشرفه وأثره عل حركه الدين الإسلامى عامه ومسيره أهل البيت عليهم السلام خاصه، وحقبه الإمام الحسن عليه السلام بشكل خاص، وتناولت فيه نماذج من أساليب التشكيك التى مارسها السياسيون لتسقيط الإمام الحسنه. تارلجيا بعد ان ظنوا اتهم نجحوا فى تسقيطه دينياً وسياسياً. وقد قسمت هذا الجزء إلى سته فصول، هى:

الفصل الأول: السياسه الدنيويه.

الفصل الثانى: الحياه السياسيه قبل وبعد عصر البعثه.

الفصل الثالث: النزع السياسى مع الخط العلوى.

الفصل الرابع: انموذجات سياسيه فى تاريخ العرب.

الفصل الخامس: النزع السياسى مع الخط الحسنى.

الفصل السادس: السياسه الدينيه.

وتناولت فى الجزء الثانى تفكيك ومحاكمه حراكاتهم السياسيه الكبيره وصولاً إلى الصلح، لأثبت من خلال ذلك أنهم فشلوا فى كل مساعيهم، وأن الحسن عليه السلام وبالرغم

...

من تنازله عن الخلافه انتصر عليهم ونجح فى إيصال العقيده إلى الأجيال. كام قسمت

الجزء الثانى إل سته فصول أيضاً، وهى:

الفصل الأول: قصه زوجاته التسعمائه!.

الفصل الثانى: صدق الأئمه وكذب السياسيين.

الفصل الثالث: الصلح فى الجزئيه والكليه.

الفصل الرابع: الأغيلمه والشجره الخبيثه والبغاه.

الفصل الخامس: المدارس الفقهيه وموضوع الصلح.

الفصل السادس: الصلح والقواعد الفقهيه.

وآخر ما أريد قوله: أنه لولا مواقف الإمام الحسن عليه السلام الجهاديه الرائعه لكان الإسلام الحقيقى قد ضاع، ولكان الإسلام الأموى قد تسيد الساحه وتعبدت به الأمه إلى اليوم، فلا نجد ذكراً للتشيع او ذكرا للمناقب الإسلاميه الأخر، ولا تجد ذكراً للطيف الإسلامى المتنوع الموجود اليوم؛ والذى كان السبب فى تنشيط الحركه الفكريه الإسلاميه، وتلك و ربى منقبه لا تدانيها المناقب، ومن خلال هذه المسيره الصعبه سوف يتضح أننا مدينون للإمام الحسن عليه السلام بتمسكنا بإسلامنا، بحبنا لنبينا، بإخلاصنا لأمير المؤمنين، بحبنا للحسين، بفخرنا بمذهبنا، بتمسكنا بعزه نبينا الأئمه الأطهار، وبانتظارنا لقائم آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف.

الفصل الأول السياسه الدنيويه

اشاره

ص: ۱۹

تقديم

نوعان من السياسه أدارتا ميزان الصراع فى العالم الإسلامى فى مرحله التأسيس منذ الأيام الأولى للبعثه المشرفه و حتى عام ٤١ هجريه، وكانتا السبب فى وصول الإسلام إلى ما هو عليه اليوم، وهما: السياسه الدينيه ممثله بالأخلاق والنظم والقواعد التى جاءت بها الرساله المحمديه السمحاء؛ والداعيه إلى تكريم الإنسان ورفع شأنه وإنقاذه من سطوه نفسه وعسف الآخرين. والسياسه الدنيويه متمثله بطلاب الدنيا ومتعها، الذين وجدوا فى الدين الجديد تهديداً كبيراً لمصالحهم ومواقعهم ومكتسباتهم وقوتهم ونفوذهم وسطوتهم فحاربوه؛ ثم لما انهزموا التقوا حوله وجعلوه لمصلحتهم، وجردوه من ألقه وروعته وصبغوه بغير لونه.

ويبدو لمن لا يتعمق فى استقراء النتائج ويتوثق من مسارات السنن أن السياسه الدنيويه انتصرت فى هذه الحقبه؛ لأنها نجحت فى مرحله القياده التى تلت مرحله التأسيس فى بناء إمبراطوريه ؤلدت من رحمها إمبراطوريه ثانيه، ومن زواج يفاح بينهما ولدت إمبراطوريات عديده قميئه لا ترتبط بقرابه نسب مع من سبقها، وإنما تربطها معهم قرابه فكر وعقيده؛ وهو الأمر الذى استمر وصولاً إلى عرص الإمبراطوريه العثمانيه التى سلبت العرب والعالم الإسلامى حقوقهم وكرامتهم وأموالهم، وأسهمت فى تخلفهم وتردى منظومات حياتهم الدينيه والأخلاقيه.

ص :٢١

إن الإيمان بهزيمه الدين وانتصار السياسه يبدو نظره أحاديه فيها الكثير من

القصور، إذ يكفى أن السياسه الدينيه _مع كل التزامها القيمى والأخلاقى والمجتمعى

الذى وقفت به قباله خبال وغدر وختل وجرم الدنيويين- نجحت فى كلا المرحلتين

فى الحفاظ على بيضه الدين وروح العقيده وأسس التعبد بالرغم من تتابع الهجمات

وشدتها ودمويتها وديمومتها، ولاسيما تلك التى وقعت بعد هذا التاريخ، والتى كان

مقتل على وسم الحسن ومقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهله و صحبه من ثمارها، وهذا

ما يحكم به المنطق السليم؛ وللمنطق حكمه وحكمته، فلطالما شغل المنطق حيزاً كبيراً

من منظومه البشر الفكريه والعقديه لدرجه أنه أصبح فى بعض العصور منهجا تدار به

الامبراطوريات مع اتفاق الجمع بأنه(ثمه حدود للمنطق... ولا يمكن تفسير أكثر

الأشياء أهميه بالمنطق وحده... ولكى يفعل المنطق فعله لا بد للمرء من نقطه انطلاق...

لأن المنطق الخالص لا يستطع أن يتعامل مع التعقيد))(١).

لكن المنطق يعجز عن استيعاب ما حدث فى عالمنا الإسلامى منذ الساعات الأولى

لوفاه النبى صلى الله عليه و آله لأنه ليس شيئا أقل عجباً من المستحيل فى الأقل على مستوى التفكير

الجمعى العام، لأن علماء الأمه كانوا مدركين للحراك السياسى والقبلى الدائر فى المجتمع

ولاسيما وأن بوادره بانت فى عصر البعثه كمشروع بديل لمشروع الحرب المباشره الذى

هزمته وقوضته قوه الإسلام بعد أن فككت قواعده الجماهيريه يوم باتت العقيده تقاتل

بمفاهيم السماء أصحاب المفاهيم الرجعيه الشركيه المتخلفه. وليس هذا بشكل عام إلا

الموقف السياسى الذى تحكم بالأحداث اللاحقه منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا الحاضر

١- بتصرف من الحضارات فى السياسه العالميه، وجهات نظر جمعيه وتعدديه، بيترجى كاتزنشتاين، ترجمه فاضل جتكر،سلسله

عالم المعرفه، رقم ٣٨٥، المجلس الوطنى للثقافه والفنون والآداب، ص ٢١٠-٢١١.

وإلى عصر الظهور المقدس.

الساسه العرب

تسهم دراسه وتفكيك الجزئيات الصفره عاده بفهم وفضح ومعرفه خفايا كليياتٍ كبيره كان يراد لها أن تبقى فى عالم الغيب وحصون الر الخفى، ربما لأنها من الصغر، بحيث لا تجلب الانتباه ولا تثير تساؤلاً. وواحده من هذه الجزئيات الصغيره بحجمها العظيمه بدلالتها تتألف من قسمين وقصتين يستشف منهما حقيقه المنهج الذى سار عليه كل من الخطين المتوازيين: خط الدينيين وخط السياسيين؛ القسم الأول: قصه قرص معاويه ومسجد على عليه السلام، والقسم الثانى: قصه الماء والحكم الشرعى الإسلامى، والقسإن ينضويان تحت حدث واحد ويشغلان مساحه جغرافيه واحده؛ حيث يتأكد من هاتين القصتين أن السياسيين الدنيويين الذين كان يمثلهم معاويه الذى استخدم كل ما تعلمه من تلون وغدر سياسى للإيقع بغريمه؛ لا ينسون دنياهم فى أى وقت سلماً كان أم حربا، وتبقى دنياهم ومتعها هى المقصد والغايه.

عن قصه الماء، قال دحيه الكلبى فى أحاديث صفين: وكان أهل الشام قد سبقوا إلى المشرعه من سائر الجهات، ولم يكن ثمه مشرعه سواها للواردين والواردات، فمنعت عليا عليه السلام إياها وحمتها عنه تلك الأكمات))(۱) .

وقال المسعودى: ((وسار معاويه من الشام، وقد تنوع فى مقدار من كان معه، والمتفق عليه من قول الجمع خمسه وثمانون ألفاً، فسبق علياً إلى صفين، وعسكر فى موضع مهل أفيح اختاره قبل قدوم على، على شريعه لم يكن على الفرات فى ذلك الموضع

۱- أعلام النصر المبين فى المفاضله بين أهلى صفين، الخطاب عمر بن الحسن بن دحيه الكلبى (۶۳۳ / ۱۲۳۵ م) دراسه وتحقيق

الـدكتور محمد أمزون، تقديم الدكتور سامى الصـفار، مراجعه الدكتور محمود محمد الطناحى، دار الغرب الإسـلامى، المغرب، ١٩٩٨، ص٥٤

أسهل منها للوارد إلى الماء، وما عداها أخراق عاليه، ومواضع إلى الماء وعره، ووكل أبا الأعور السلمى بالشريعه من أربعين ألفا، وكان على مقدمته، وبات على وجيشه فى البر عطشا قد حيل بينهم وبين الورود إلى الماء))(١).

ولقد استغل الإمام على عليه السلام هذه المناسبه ليذكرهم بواجبهم الشرعى قبل أن يجرهم جنده على الفرار، فما أطاعوا، فأهل الدين لا يتركون مناسبه تمر دون أن يذكروا الناس بقواعد الشريعه وترى كيف أن الإمام الحسن عليه السلام أتبع المنهج الإرشادى نفسه مع معارضيه من السياسيين مثل مروان بن الحكم.

وأما عن قصه المسجد والقصر فقد قال دحيه الكلبى متحدثاً عن معاويه: أنه بنى فى أرض معركه صفين قصرا ليوفر الراحه لنفسه فى دنياه التى يقاتل من أجلها (وذكر ابن ديزيل بسنده أن معاويه لما بلغه مسير على إليه سار حتى ورد صفين فى النصف من المحرم، فسبق إلى سهوله المنزل وسعه المناخ وقرب الماء من الفرات، وبنى قصر بيت ماله، وفيه شعر وكلام طويل كرهت إيراده مع أن طول المده التى أقاموا فيها تقتضى بجواز هذه النقول)(٢)

وعلى الجانب الآخر نجد أتبع السياسه الدينيه ممثلين بعلى بن أبى طالب عليه السلام يتعاملون مع موضوع الماء بأسلوب آخر، فهم بعد أن أزاحوا السياسيين عن الفرات الذى منع ماءه حينما كان الدنيويون مسيطرين عليه، نجد قائدهم الإمام يكتفى بام يسد رمق جنده ثم يبيح الماء لأهل الشام حينما يسيطر عليه جنده البواسل ولا يمنع عدوه الشرب.

١- مروج الذهب، المعودى، ج٢، ص ٣٩٣.٣٩٢

٢- أعلام النصر المبين فى المفاضله بين أهل صفين، و الخطاب عمر بن الحسن بن دحيه الكلبى،ص٣ه.

ونجدهم يتعاملون مع موضوع القصر بأسلوب نابع من عمق قيم دينهم؛ فالبناء

الذی شیده علی علیه السلام قباله ذلک القصر المنیف الفخم المهیب الذی شیده معاویه؛ لیس

أکثر من بناء بسیط جداً عباره مسجد طینی کان یقیم فیه صلاته التی یقاتل من أجلها،

قال دحیه الکلبی: (ثم بنی مسجداً علی تل بأعلی الفرات لیقیم فیه مده مقامه فرائض

الصلوات لفضل صلاه الجماعه علی صلاه الفرد بسبع وعشرین درجه)(۱).

لقد أراد السیاسیون تحویل النزاعات البینیه إلی مدرسه تعلم کل ما هو مخالف

لسلیقه الإنسان، وتخرج دفعات همها الأوحد رغباتها ومتعها ودنیاها. أما الدینیون فإنهم

کانوا یلملمون تلک الفضائح ویحولون تلک المناسبات إلی صفوف لتدریس العقیده

وتثبیت الإیمان، وکانوا یعملون بموجب بنود العقیده والشریعه؛ خلافاً لما یصدر

عن السیاسیین، فمقابل إصرار الشامیین علی مع علی وجنده من ماء الفرات وقف

علی علیه السلام قبالتهم: (فذکرهم بالمواعظ الحسنه والآیات وحذرهم بقول النبی صلی الله علیه و آله: فمن

منع فضل ماء بفلاه)) فردوا قوله وأجابوه بأسنه الظبی(۲) إلی أن قاتلهم بالقواضب(۳)

والسمهریات (۴) فلما غلبهم علیها أباحها للشاربین والشاربات)(۵).

وقال المسعودی: ((وورد علی فنزل فی الموضع الذی کان فیه معاویه فقال معاویه

لعمرو بن العاص: یا أبا عبد الله، ما ظنک بالرجل أتراه یمنعنا الماء لمنعنا إیاه؟ وقد کان

انحاز بأهل الشام إلی ناحیه فی البرانیه عن الماء، فقال له عمرو: لا، إن الرجل جاء لغیر

۱- اعلام النصر المبین فی المفاضلهبین اهلی صفین. ص۵۴

۲- فی الاصل الظباء. و الظبی جمع ظبه. و ظبه السیف:هی طرفه وحده. ینظر لسان العرب لابن منظور. الجزء۲. ص۶۴۱

۳- القواضب: السیوف الدقیقه. ج۳. ص۱۰۸

۴- السمهریات:الرماح الصلیبیه العود. المصدر نفسه. ج۲. ص۲۱۰

٥- ينظر:اعلام النصر المبين. ص٥٤

...

هذا))(١).

لقد خطا الإمام الحسن عليه السلام الخطوه نفسها مع عدوه السياسى مروان عندما لم يلتفت

إلى الخصومه التى كانت بينهما وإنما انتبه على مخالفه غريمه لقواعد وتعاليم الدين، فقام

بتنبيهه وتذكره بواجبه الشرعى الذى أغفله، قال محمد بن سعد: ((حدثنا الفضل بن

دكين، حدثنا مسافر الجصاص، عن رزيق بن سوار قال: كان بين الحسن عليه السلام وبين

مروان خصومه، فجعل مروان يغلظ للحسن، وحسن ساكت، فامتخط مروان بيمينه،

فقال له الحسن عليه السلام: ويحك! أما علمت أن اليمنى للوجه والشمال للفرج؟ أف لك.

فسكت مروان))(٢).

وفى السياق نفسه، أورد الصلابى عن سير أعلام النبلاء و تهذيب الكمال و فتح

البارى، أنه: ((كان بين الحسن بن على و مروان بن الحكم كلام، فأقبل عليه مروان فجعل

يغلظ له والحسن عليه السلام ساكت، فأمتخط مروان بيمينه، فقال الحسن عليه السلام: ويحک أما

علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج، أف لک، فسکت مروان))(٣)

الفت الانتباه إلى أنى أشم فى هذه الروايه رائحه التحريف وأثر السياسيين، فهم

يريدون من خلال قولهم: (فجعل يغلظ له والحسن عليه السلام ساكت) أن الحسن عليه السلام كان

مسالماً يكره النزاع بكل أشكاله، وهو ما أرادوا حث الناس للتصديق به، كما سيتضح

من البحث. وهذه الروايه مشابهه لروايه تصب فى نفس المعنى، أخرجها السيوطى فى

تاريخه عن ابن سعدعن عمير بن إسحاق قال: كان مروان أميراً علينا، فكان يسب علياً

كل جمعه على المنبر، وحسن عليه السلام يسمع فلا يرد شيئاً، ثم أرسل إليه رجلًا يقول له: بعلى

١- مروج الذهب، المسعودى، ج٢، ص ٣٩٤ته٣٩

٢- ينظر: البدايه والنهايه، ج١٣، ص: ١٩٩

٣- سره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين، ص ١٩٧

وبعلي وبغلي وبك وبك، وما وجدت مثلك إلا مثل البغله يقال لها: من أبوك؟ فتقول:

أمي الفرس، فقال له الحسن عليه السلام: ((ارجع إليه فقل له: إني والله لا أمحو عنك شيئاً مما

قلت بأن أسبك، ولكن موعدی وموعدک الله، فإن كنت صادقاً جزاک الله بصدقك،

وإن كنت كاذباً فالله أشد نقمه))(۱).

لكنهم حينما تحدثوا عن الحسين عليه السلام أظهروا فی سلوكه نوعا من العدوانيه التی

اعتقدوا أهنا تتناسب مع روحه الثوريه، فقالوا أنه عند موت الحسن قدم الحسين سعيد

بن العاص وهو يضرب فی رقبته، وفی روايه أخرى يطعن ی قفاه، كما فی حديث أبی

حازم، قال: إی لشاهد يوم مات الحسن بن علی عليه السلام قال: فرأيت الحسين بن علی يقول

لسعيد بن العاص؛ وكان أمير المدينه، وهو يضرب فی عنقه: (تقدم فوالله لولآ أنها سنه

ما قدمتك)، وتقول الروايه أن سبب ضرب الحسين فی رقبه سعيد أنه ((كان بينهم شیء

يعنی كان فی نفس الحسين شیء من سعيد بن العاص))، فهم هنا يظهرون الحسين مستفزاً

ثائراً عصبياً ليس مثل الحسن عليه السلام الهادیء المسالم وهدف ذلك أنهم أرادوا القول: إن

الحسن عليه السلام سالم لأنه بطبعه مسالم وليس حفظاً للدين، والحسين ثار ليس دفاعا عن

الدين وإنام لأنه كان عصبياً فی كل مواقفه!.

أما الدكتور الصلابی فقال عن هذه الحادثه: ((إن الحسين قدم سعيد بن العاص

للصلاه على الحسن عليه السلام لأن سعيداً كان والياً على المدينه حينها، ولأنه اعتزل الفتنه ولم

يقاتل مع معاويه))(۲)، بينما يقول ابن الأثير: (وصلى عليه سعيد بن العاص، فقال له

الحسين: ((لولا أنه (هكذا فی الأصل والصحيح: أنها) سنه لما تركتك تصلی عليه))(۳).

۱- تاريخ السيوطی، ص ۱۹۰

٢- ينظر: سره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين، ص٣٦٣
٣- الكامل فى التاريخ، أبن الأثير،ج٣، ص ٤٠٢

وقد جاءت فی الکافی: ۳۰۲/۱ روایه تثبت أن سعیدا صلی علی الحسن بعد صلاه

الحسین علیه ولیس قبل ذلک، مما یعنی أن تلک الروایات مدسوسه وقد جیء بها

لأغراض سیاسیه بحته: ا(فلما قبض الحسن علیه السلام وضع علی سریره فانطلقوا به إلی مصلی

رسول الله! الذی کان یصلی فیه علی الجنائز فصلی علیه الحسین علیه السلام فلما أن صلی علیه

حمل فأدخل المسجد)). فتکون صلاه والی المدینه سعید بن العاص فی البقیع بعد صلاه

الحسین علیه السلام.)(۱)

المهم أن الغرض من إیراد هذه الروایه هو لتوضیح أن الأمه شخصت وجود المنهج

الإصلاحی فی الفکر الامامی، وشخصیت إصرارهم علی إشاعه الإرشاد والتعلیم فی

کل المناسبات والظروف. وأنا فی حدیثی عن الجزئیات وفق رؤی العص المتحضر الذی

أعیش فیه أردت أن أثبت أن السیاسیین العرب الأوائل وبالرغم من اختلاف عصرهم

عن عصرنا کانوا أیضاً مدرکین أهمیه الحدیث عن الجزئیات ومدی أثره، ولذا اهتموا

بالجزئیات بنفس درجه اهتمامهم بالکلیات.

الصراع الدینی السیاسی

من الجزئیات أدخل للحدیث عن الصراع الدینی السیامی فی المجتمع الإسلامی

الأول، والرد علی من یستغرب من حدیثنا عن وجود فکر سیاسی ناهض لدی العرب

والمسلمین فی تلک المرحله المتقدمه من عمر الإسلام ودولته؛ وقولنا: إن هذا الفکر

المتطور هو الذی تولی محاربه أئمه أهل البیت علیه السلام و إزاحتهم عن مواقعهم فی قیاده

الأمه سیاسیاً؛ لأقول: قد تکون السیاسه -سلوکاً وتطبیقاً- أحد أقدم العلوم التی

استنبطها الإنسان القدیم بعد تحوله من حیاه الصید إلی حیاه التجمع وبناء القری

١- ينظر موقع الشيخ الكوراني http://www.alameli.net//books/index.php?id=٢٨٢٩.

وامتهان الزراعه و تربيه الحيوان وإقامه التجمعات السكانيه الكبيره، بعد أن توجب عليه مداراه أموره وتقنين علاقاته مع الآخرين.

ومع تقدم الإنسان تقدم وتطور مصطلح ومفهوم السياسه ليشمل قضايا أخر لم يلتفت إليها أجداده بعدما تعقدت سبل الحياه، وكبرت المجتمعات، وتعددت المصالح والاتجاهات، وتنوعت طبقات المجتمع، وكثرت المهن والصناعات. فالسياسه هى التى أسهمت فى تطور الإنسان وتقدمه بعد أن نجح فى تبديل صيغ تعامله مع الواقع من شكلها الفطرى الاعتباطى إلى شكل منظم ومقنن ومحسوب النتائج والمحصلات. ومن يقرأ كتب التاريخ القديم يلمس عن يقين اهتمام تلك المجتمعات بالسياسه وعنايتهم بها بعد النجاحات التى أحرزوها، فأصبح الحراك السياسى قريناً بالحراكات المهمه الأخر لا يتخلف عنها ولا تتركه وراءها، وهكذا عاش الإنسان. أما بالنسبه لعرب الجاهليه فقد وجدت أن العصبيه –التى كانوا عليها فى جاهليتهم حارهبا الإسلام ثم عادوا إليها بعد موت النبيصلى الله عليه و آله— كانت من أهم مغذيات منظومتهم السياسيه وبقيت تتماشى مع خطهم السياسى تنظر له وينظر لها ويدعم أحدهما الآخر.

وأنا حينما أتكلم عن النشاط السياسى للعرب فى هذه الحقبه لا أقصد أنهم كانوا يعملون فى مجال السياسه الإسلاميه (الشرعيه) بتعريفها الإسلامى المحصور فى حدود الشريعه، والمباح شرعا، والذى كانت عليه الأغلبيه؛ باعتبار أن الإمام هو القائد الفعل للأمه ومنظر سياستها، وعنه يأخذ الناس ما يهمهم وبمنهجه يسوسون حياتم، بل أقصد العمل فى السياسه بتعريفها الغربى المعاصر؛ أى (فن الممكن) أو (فن الحكم) أو (علم الدوله) أو البحث فى الشؤون العامه والخاصه للدوله وعلاقاتها الداخليه والخارجيه التى هى علاقه مبنيه وقائمه على النفاق والدجل والقسوه وتفصيل المصلحه

الخاصمه والشخصيه على مصلحه الجماعه، ومصلحه الجماعه على مصلحه المجموع، فهذه السياسه لا تلتفت إلى مسأله العقيده الدينيه، بل وتتقاطع معها فى أحيان كثيره.

فى حين نجد فى الفقه الاسلامى تعريفاً آخر للسياسه بمفهومها الإسلامى حيث يرى الشرع المقدس أنها: (الولايه على الرعيه وتدبير شؤونها ام يصلحها)(١) وهى التى وصفها ابن عقيل بقوله: ((السياسه ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الإصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول صلى الله عليه و آله لا نزل به الوحى))(٢)، ومن هذه المناهج التعريفيه أخذ المتأخرون تعريفاتم، ومنهم عبد الوهاب خلاف الذى يرى: إن علم السياسه الشرعيه يبحث فيه عما تدبير به شؤون الدوله الإسلاميه من القوانين والنظم التى تتفق و أصول الإسلام وإن لم يقم على كل تدبير دليل خاص(٣).

ولذا قال الشيخ باقر شريف القرشى: ا(وفى الحديث: ((كان بنو إسرائيل يسوسهم أبيباؤهم، أى: يتولى أمرهم كما يفعل الأمراء والولاه بالرعيه، والسياسه القيام على الشيء بما يصلحه))(٤).

فى عصر الرساله كان الخط السياسى الدينى موجوداً وممثلًا بشخص الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله ورساله الله سبحانه وتعالى، وكان خط السياسه الدنيويه موجوداًممثلاً بالنخبه التى سلبها الإسلام مركزها الاجتماعى، فحاولت امتطاء ظهر الإسلام للوصول إلى أهدافها، فى وقت رفض ويرفض فيه الإسلام بإباء وامتنع أن يكون مطيه لأحد، ومن هنا جاء الخلاف بين الاثنين، حتى بعد أن حمل الدنيويون هويه الإسلام

١- نظام الإسلام السياسى، ص ٤٤

٢- المصدر نفسه، ص ٥٧ .

٣- المصدر نفسه، ص ٥٨

٤- المصدر نفسه، القرض، ص ٤٣

وأصبحوا مسلمين، فالخلاف الأول بين المسلمين من الفئتين و إن كان ظاهره دينياً إلا أنه كان سياسى الأصل والدافع والمحرك فى الأقل بنظر أحد جانبى الصراع، وكان الدين ضحيه له وقرباناً، وأما العصبيه فكانت سلاح الدنيويين، وكان سلاح السياسيين المسلمين المنهج الربانى.

العصبيه

قد يكونون لشده تعلقهم بالعصبيه أنهم استنبطوا أحاديث تدعم رؤاهم، وقد أراد الله سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه و آله أن يبين لهم أنهم لن تتشافوا ولن يتعافوا من مواريثهم القديمه الموروثه، ومنها العصبيه، إلا بالايمان المطلق، وليس بمجرد دخول الإسلام كما دخل الطلقاء، فعن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه،آن النبى صلى الله عليه و آله قال:((أربع فى اُمتى من أمر الجاهليه لا يتركونهن: الفخر فى الأحساب، و الطعن فى الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحه))(١).

ومن رحم المجتمع الجاهلى الذى كان يحمل هويه البداوه ولدت العصبيه التى حملت جينات ذلك المجتمع، ومن رحم العصبيه الجاهليه التى تحكمت بالمسلمين ومازت بينهم طبقيا ولدت السياسه الدنيويه التى لم تأبه بالدين؛ لأن البداوه عاشت حياتها فى خضم اللاتدين، أو التدين الساذج الفطرى. ومن رحم الزواج بين العصبيه والسياسه الدنيويه جاءت الدوله الأولى، لأنه لا يمكن لدوله ما أن تولد وفق المفهوم المعروف للدوله إلا بوجود نظام سياسى، وهذا ما يؤكد عليه المختصون بعلم السياسه، ولهم فى ذلك أقوال، منها قول الدكتور حميد حموم خالد:((إن القول يتطور مفهوم الدوله يعنى بالضروره تطور مفهوم النظام السياسى فيها، لأنه أى النظام السياسى ركن من

١- مسند الإمام أحمد ٥/٣٤٢، رقم ٢٢٩٥٤

أركان الدوله فلا يتصور قيامها دون وجوده ولا يتوقع استمرارها عند انعدامه، فالنظام

السياسى هو واجهه الدوله أمام الأفراد فى الداخل وأمام الدول الأخرى فى الخارج))(۱).

أقف هنا قليلًا لأبين أن النظام السياسى الإسلامى كان يسعى لبناء دوله العدل

الإلهى تماما كما كان السياسيون الدنيويون يعملون لبناء دوله الظلم والجور، ولو قيض

للمسلمين بناء تلك الدوله ما بعد مرحله البعثه وخلافه على عليه السلام، كما لو قيض لهذه

الدوله أن تستمر، لتحولت حياه البشر إلى نعيم دائم، ولكن الصراع المرير بين الخطين

حال دون تحقيق هذه الأمنيه الكبيره. وما دمنا فى طور الحديث عن السياسه الدنيويه

ودورها فى تقويض الشرع الحسنى لا بأس من أن نتحدث عن دور الإمام الحسن عليه السلام

فى هذا المشروع.

فكما هو معروف لم يكن الحسن بن على عليه السلام؛ يسعى إلى بناء دوله مدنيه أو دوله

قريبه الشبه بالإمبراطوريات القائمه آنذاك كما هو سعى الآخرين من معاصريه ولاسيما

المزاحمين له؛ ففلسفه الدوله فى الفكر الدينى تختلف عما هى عليه فى الفكر الاجتماعى.

الدوله فى الفكر الدينى أكبر من كل تصور و أعظم من كل تخيل، وفلسفتها تختلف عن

فلسفه الدوله المدنيه(۲) وتتفوق عليها فى المزايا والحقوق.

ص :۳۲

۱- الأنظمه السياسيه، الدكتور حميد حنون خالد، ص ۵

۲- الدوله المدنيه هى دوله تحافظ و تحمى كل اعضاء المجتمع بغض النظر عن القوميه و الدين و الفكر.هناك عدهمبادؤ ينبغى توافر ها فى الـدوله المـدنيه و التى إن نقص أحـد ها فلا تتحقق شـروط تلك الدوله أهمها أن تقوم تلك الدوله على الاسـلام و التسـلمح و قبول الآـخر و المسـاواه فى الحقوق و الواجبـات بحيث أنهـا تضـمن حقوق جميعـالمواطنين و من أهم مبادئ الـدوله المـدنيه ألا يخضع أى فرد فيها لا نتهاك حقوقه من قبل فرد آخر أو طرف آخر.فهناك دوماً سـلطه عليا هى سـلطه الدوله و التى يلجأ إليهـا الأفراد عنـدما يتم حقوقهم أو تهـدد بالابتهاك.فالـدوله هى التى تطبق القانون و تمنع الأطراف من أن يطبقوا أشـكال العقاب بأنفسـهم. و تعرف الـدوله المدنيهعلى أنها : اتحاد من أفراد يعيشون فى مجتمع خيضع لنظام من القوانين، مع وجود قضاء

يطبق هذه القوانين بإرساء مبادئ العدل. فمن الشروط الأساسيه فى قيام الدوله المدنيه ألا يخضع أى فرد فيها لانتهاك حقوقه من قبل فرد آخر أو طرف آخر. فثمه دائام سلطه عليا هى سلطه الدوله يلجأ إليها الأفراد عندما تنتهك حقوقهم أو هتدد بالانتهاك.

الإمام الحسن علیه السلام کان یسعی إلی بناء أنموذج خاص للدوله المدنیه، وأنا لا أقصد الدوله المدنیه وفق المفهوم المعاصر؛ فذلک لم یکن فی بال الامام الحسن علیه السلام ولا فی بال المزاحمین للإمام حسن علیه السلام، ولم یکن معمولاً به حتی فی الإمبراطوریات المجایله له؛ وإنما أقصد أن الإمام الحسن علیه السلام کان یسعی إلی بناء الدوله المدنیه التی یحکمها المنهج الربانی بکل أبعاده بما یمکن أن نطلق علیها اسم (الدوله المدنیه الرسالیه)، وهو أنموذج لم یتحقق إلا فی زمن البعثه المشرفه فی طورها المدنی، وحقبه من زمن خلافه ءلی بن أبی طالب علیه السلام، ولن یتحقق مره أخری إلا فی زمن الظهور المقدس. وربما لهذا السبب قال أمیر المؤمنین علیه السلام: ((نحن أهل البیت لا یقاس بنا أحد))(۱).

وإذا ما کانت فلسفه الدوله، أی دوله تتمحور حول أدائها لوظیفه إداره الشعب أو الشعوب المنضویه تحت لوائها فإن فلسفه الدوله المدنیه الرسالیه تتمحور حول أسس الرساله الدینیه التی تستقی منها مقومات منهجها القیادی، وهی بالتالی ((لیست مفصوله عن منتوج الوحی ومعطیاته، وهذا المنتوج بدوره لیس مفصولاً عن الأسس المعرفیه وأیضاً عن الأسس الکلامیه التی تبدأ من وجود الخالق إلی غایات الخلق إلی فلسفه النبوه))(۲).

۱- ینظر: مجموع رسائل الجاحظ، تحقیق الدکتور محمد طه الحاجری، دار النهضه العربیه، بریوت،۱۹۸۳،ص ۵۲
۲- فلسفه الدوله فی الفکر السیاسی الإسلامی، ولایه الفقیه نمودجا، أطروحه حائزه عل شهاده الدکتوراه من الجامعه اللبنانیه، الدکتور الشیخ محمد شقری، ص ه_۶

معنى هذا أن الإمام الحسن عليه السلام كان يعمل لبناء مشروع نهضوى تواصلى يمتد مع امتداد الإسلام، وهو فى مثل هذه الحال وضعنا أمام أنموذج مشروع فريد لو قيض له أن ينجح لكان قد أس منذ ذلك العصر المتقدم فكره الدوله المدنيه بأبعاد تختلف حتى عن الأبعاد التى وضعها المنظرون لمبادئ الدوله المدنيه المعاصره، ولكان الاسلام قد حقق نصراً علمياً جديداً تسعى الآمم إلى تطبيقه والإفاده منه، ثم الدفاع عنه، ولكن منع الإمام الحسن عليه السلام من إتمام مشروعه جعل الناس تنسى تلك التجربه الفريده التى طبقها النبى صلى الله عليه و آله؛ بعد أن تقادم عليها الزمن ولم تتكرر، فسبب للإنسانيه كل تلك الآلام التى تسببت بها الدول العدوانيه والشموليه والدكتاتوريه وحتى الاشراكيه والرأسماليه،

ولو أتعب المنظرون المعاصرون أنفسهم ورجعوا إلى مفهوم الدوله فى فكر الرساله الإسلاميه نظرياً، وإلى تجربه الحكومه النبويه العلويه والمحاوله الحسنيه عملياً لخلقوا نظاماً متكاملاً أسمى من أنموذج جهوريه أفلاطون أو مدينه طيبه.

ومنه ندرك عن يقين أن السياسيين الذين اعرضوا المشرع الحسنى لم يؤذوا الحسن عليه السلام وحده؛ بل تسببوا بالأذى للإنسانيه كلها عبر التاريخ وإلى يومنا الحاضر، فعليهم وزر كل صرخه ألم صدرت من قلب موجوع ببب ظلم الحكام وطغيانهم.

وفى ذات الوقت ندرك أن العصبيه الموروثه هى التى كانت تقف قباله المشروع الدينى.

كل ذلك بسبب العصبيه التى أحيوها والتعصب الذى نشروه.

قالت الدكتوره آمال كاشف الخطاء عن التعصب أنه لغه: ((الاندفاع اللاعقلانى إلى الطرف الذى ينتمى إليه المرء واستبعاد المنطق والشريعه عند التضامن مع قومه أو من يشاركه فى الدم ضد جماعه أخرى مناوئه)) ونقلت عن معجم علم الاجتماع لدنكن ميشيل الذى ترجمه الدكتور العراقى إحسان محمد الحسن تعريفه للتعصب بأنه:

((مجموعه مواقف سلبيه أو إيجابيه موجهه نحو جماعه من الجماعات، وغالباً ما تتحول هذه المواقف إلى ردود فعل إيجابيه أو سلبيه ترمى إلى المساعده أو الانتقام من إحدى الجماعات التى يتكون منها المجتمع))(١).

والتعصب أو العصبيه عند العرب نوعان: ((عصبيه دم تعتمد عل أساس القرابه فى البيت الواحد. وعصبيه الانتماء إلى أب بعيد أو جد مشرك من نسله تكونت القبيله أو القبائل المنتميه إليه))(٢)، فمن المتعارف عليه أن مجتح شبه الجزيره العربيه الجاهلى لم يكن يقيم وزناً لفرديه الفرد بجانب القبيله التى ينتسب إليها، ((فالقبيله هى الوحده التى يبدأ منها التنظيم الاجتماعى بناءه... ولم يكن التضامن القبل داخل القبيله تعبيراً عن رقى فى سلم التضامن والترابط بين الفرد والباقين بقدر ما كان تعبيراً عن تخلف التنظيم الاجتماعى على الاعراف لهذا الفرد بأيه ذاتيه مستقله بجانب ذاتيه القبيله وشخصيتها))(٣).

وعليه لم يطلق العربى اسم (الحكومه) على القياده التى تسوسه فى الحرب والسلم بل أطلقه عل (المال) الذى كان محور حياته، مع أن العرب لم يعرفوا فى جاهليتهم قياده تقودهم كما هى الحكومات اليوم باستثناء شيخ العشره وكبيرها؛ لكنك مع ذلك تجدهم يسمون الأموال التى تخصصونها لآلهتهم (الحكومه) وهى الأموال التى كانت عند الحارث بن قيس السهمى عند ظهور الإسلام(٤)، ولذا وقف بعضهم بوجه

١- دور العصبيه القبليه وآثارها على المجتمع العربى، الدكتوره آمال آل كاشف الغطاء، مكتبه الصدر، قم، إيران، (د.ت)، ص ١١.

٢- ينظر: التأرخ السيامى والحضارى للدوله العربيه، د. السيد عبد العزيز، ص ١٠

٣- الإسلام والثوره، محمد عماره،ط٣، ص ٤١

٤- ينظر: دراسات فى تاريخ العرب قبل الإسلام والعهود الإسلاميه المبكره، د. خالد العسلى، إعداد د. عبد السلام رؤوف، الجزء ٢، ص ٢١

الإسلام الذى أراد توحيدهم بظل حكومه واحده موقفاً عدائياً شرساً؛ لأنهم رأوا فى

ذلك تفكيكاً لوحده القبيله وتماسكها وأنه سوف يؤدى إلى إعأده تشكيل للقيم الموروثه

التى تحملها كل قبيله منهم، وربما لهذا السبب بالذات نجدهم بعد حين يعيدون تشكيل

قيم السماء التى جاء بها الإسلام ويعيدون صياغتها لتلاثم قيمهم ومفاهيمهم القبليه.

ومع أن التعصب والعصبيه وكل مواريثها كانت من سمات تلك العصور لدرجه

أنهم -جاؤوا بأحاديث تكاد تبين أن النبى صلى الله عليه و آله انساق خلف عصبيتهم فحدثهم عن

وجوب نصره الأقرباء تعصباً، كما فى حديث:أنصر أخاك ظالماً أومظلوماً))وهو

الحديث الذى قالوا بشأنه: هذا حديث صحيح، شرحه النبى صلى الله عليه وآله، قال: أنصر أخاك

ظالماً أو مظلوماً، وهذه كلمه تقولها العرب، وكان العرب عندهم تعصب ينصرون

أصحابهم وإن ظلموا وصار عندهم هذا الشعار -انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً-، فلما

قاله النبى صلى الله عليه و آله، قالوا: يا رسول الله كيف أنصره ظالماً؟ قال:تحجزه عن الظلم، فذلك

نصرك إياه))، فنصر المظلوم واضح، ولكن نصر الظالم معناه منعه من الظلم وحجزه عن

الظلم، هذا نصره، فإذا أراد أن يظلم أحد تقول: لا، قف. تمسكه، إذا أراد يأخذ مال

أحد تمسكه، هذا نصره، إذا كان لك استطاعه تمنعه من ذلك، هذا نصر الظالم تعينه على

نفسه وعلى شيطانه، تنصره على شيطانه، وعلى هواه الباطل)).(١)

وعن هذا الحديث جاء فى مركز الفتوى السعودى قولهم:فالحديث صحيح

أخرجه البخارى فى صحيحه والإمام أحمد فى منده والترمذى فى سننه وغيرهم،

ولفظه فى البخارى عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: ((انصر أخاك ظالما أومظلوما))،

١- الموقع الرسمى للشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن باز، الرابط، http://www.binbaz.org.sa/mat/١١٣٨٨

فقال رجل: يا رسول أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟! قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره. والله أعلم)).(١)

وفى وقتنا الراهن خضع مصطلح العصبيه إلى مشارط العلماء والمفكرين والباحثين تشريحاً وتفكيكاً لمعرفه دواخله ودوافعه، يقول الدكتور قاسم حسين صالح فى تفسيره لمعنى مصطلح (تعصب): (فيما ينظر علماء النفس الاجتماعى للتعصب على أنه اتجاه سلبى غر مبرر نحو الفرد، قائم على أساس انتمائه إلى جماعه معينه لها دين أو طائفه أو عرق مختلف، أو اتجاه عدائى نحو جماعه معينه قائم على أساس الانتماء إليها). ويعنى أيضا: (النظره المتدنيه لجماعه أو خفض قيمتها أو قدراتها أو سلوكها أو صفاتها ليس لها أساس منطقى)). كما يعنى أيضا: ((إصدار حكم غير موضوعى بشأن جماعه معينه. بهذه المعانى فإن التعصب اتجاه مؤذ لصاحبه والآخرين قائم على تعميمات غير دقيقه بخصوص جماعه على أساس لونها أو عرقها أو دينها أو جنسها)).

ووفق نظريه التصنيف الاجتماعى فإن الناس ينزعون إلى تصنيف عالمهم الاجتماعى إلى صنفين (نحن) (أو الجاٍعه الخاصه بالفرد) و(هم)(أو الجاٍعه الأخرى). وإهنم يتحيزون لجماعتهم ويبالغون ويعظمون ايجابياتها ويغمضون أعينهم عن سلبياتها، فيما يعمدون إلى تضخيم سلبيات ١الجماعه الأخرى وغض الطرف عن اجيابياتها.(٢)

وبرى الدكتور قاسم أن: ((ثمه معلومه مهمه، هى أن العداء بين الجماعات يمكن

١- مركز الفتـوى السـعودى، رقـم الفتـوى ١٧٢٤٦، الرابـط، http://www.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwaOption=fat waIdId=١٧٢٤٦

٢- مقال بعنوان: إشكاليه فى الـدين واللطه،الـدين والتعصب والإسـلام السياسـى، د. قاسم حين صالـح، نرش فى مووغ النور يوم ٢٠١٢/٩/١٩،الرابط http://www.alnoor.se/article.asp?id=١٦٩٨٩٩

أن يظهر حتى فى غياب تضارب المصالح، فمجرد الانتماء إلى جماعه معينه يمكن أن يكون سبباً كافياً لظهور التعصب صد جماعه أخرى))(١)، بمعنى أن التعصب ممكن أن يكون دافعاً للنزاعات حتى مع عدم وجود عداوات مسبقه بين الطرفين. فكيف إذا ما كانت للعداء أصول تمتد عل مدى تاريخ طويل من العلاقات القلقه المضطربه كما هى الحال بين هاشم وأميه؟

إن مجرد وقوع أحد طرفى النزاع تحت تأثير هذا المفهوم يجعله حذراً من الجانب الآخر ومشككاً به وبما يطرحه حتى ولو كان وحياً من السماء، ولذا لا أجد غرابه فى موقف الامويين من الإسلام منذ الأيام الأولى للبعثه فصاعداً، فالغرابه فى أن لا يتخذوا مثل هذا الموقف ويستمروا به حتى بعد دخولهم إلى الإسلام، بالرغم من أن الإسلام تصدى بعنف لمثل هذه القيم العدوانيه المتحيزه. وأنا هنا وبكل موضوعيه لا أبرىء بنى هاشم من مؤثرات العصبيه فهم أبناء المجتمع ذاته و ما يصح على غيرهم يصح عليهم غالباً، ولكن للحقيقه والتاريخ نجح بنو هاشم فى تجاوز سطوه العصبيه بقوه الإسلام وتفاعلهم معه فحلت قيم التسامح الدينى عوضاً عن العصبيه الجاهليه فى تعاملاتهم منذ أن أسلموا فصاعداً ولم نجد من يؤشر وجود توجه عصبى فى كل سلوكياتهم.

أما المكونات الباقيه ولاسيما الأمويين فإنهم لما استولى السياسيون منهم على مقاليد الحكم بالخذاع والقوه أعادوا لهذا النظام المتخلف هيبته وأحيوا مواته فأصبح متحكما؛ ولكن ضمن مفاهيم جديده حيث تحولت القبائل الجاهليه إلى قبيله دوله؛ تجتمع على رئيس واحد وتدين له بالولاء. فبعد أن كانت القبيله فى العصر الجاهل هى الوحده

(١) مقال بعنوان: إشكاليه فى الدين والسلطه،الدين والتعصب والإسلام السياسى، د. قاسم حسين صالح، نشر فى موقع النور يوم ٢٠١٢/٩/١٩،الرابط

http://www.alnoor.se/article.asp?id=١٦٩٨٩٩

ص :٣٨

التی تنتهی عند حدود نسبها روابط الولاء، وهو الرابط الذی تحول بعد نزول الوحی إلی رابط ولاء الإسلام وعقیدته، عاد إلی حدود روابطه الجاهلیه، ولذا نجد المسلمین الأعاجم الذین تعربوا بالولاء للإسلام تسلب منهم هذه المیزه بعد إحیاء العصبیه لیعودوا إلی جذورهم دون اهتمام للاسلام الذی رفع شأنهم، وبعد أن کانوا قاده فی المجتمع الإسلامی العربی مثل سلمان الفارسی وبلال وصهیب الرومی وغیرهم، فقد أنزلت رتب الغالبیه منهم وعادوا إلی العبودیه التی حررهم الإسلام منها، وإلی الذل الذی أنقذهم الإسلام منه، تجاوزاً علی القاعده التی وضعها النبی صلی الله علیه و آله یقوله: ((لیست العربیه بأحدکم من أب أو أم، وإنما هی اسان، فمن تکلم العربیه فهو عربی))(١).

ومع أن العصبیه کانت وثیقه الارتباط بالسلوک الجاهلی إلا أنها فی مراحل متقدمه ولاسیما بعد علی البعثه وجدت حواضن ساعدتها بوحی من عقلها الباطن الذی کان یختزن مبانیها علی النمو والتوسع والانتشار وإن کان ذلک بدون قصد، وکان الحاضن الأول رغبه الخلیفه عمر بن الخطاب بالحفاظ علی العنصر العربی من الاختلاط بالأعاجم، وهو ما یقول عنه الخربوطلی: ((ساعد عمر بن الخطاب بغیر قصد علی ظهور روح العصبیه فقد کان نظام عطاء الجند الذی سنه دافعاً هاماً لظهور العصبیه القبلیه... وقد کانت سیاسه عمر القاضیه بعدم اختلاط العرب بالشعوب الأخری المتحضره عاملاً علی احتفاظهم بالتقالید البدویه بما فیها من تعصب))(٢)، وقد جاء هذا مع یقیننا أن الصحابه ولاسیما من تولی منهم الحکم لم یکونوا یجهلون قول رسول الله صلی الله علیه و آله ((أیها الناس إن الرب واحد والأب واحد وإن الدین واحد ولیست العربیه بأحدکم من أب

١- أخرجه الألبانی فی سلسله الأحادیث الضعیفه والموضوعه برقم (٩٢٥) وقال عنه: ضعیف جدا، وقال عنه ابن عساکر فی تاریخ

بغداد: هذا حديث مرسل، ج ٨، ص ١٩٠ - ١٩١

٢- الحضاره العربيه الإسلاميه، الخربوطلى، ص ٨٥

وأم وإنما هى |للان فمن تكلم العربيه فهو عربى))(١).

أما الحاضن الثانى فكان قصدياً بدأ مع تولى عثمان بن عفان الخلافه وتقريبه بنى أميه واعتماده عليهم فى إداره شؤون دوله الإسلام حيث عادت العصبيه الجاهليه إلى المجتمع بحيث عجز التاريخ عن أن يخفى تأثيرها السلبى على المجتمع، ولذا ذكر تناميها وتطورها غالبيه المؤرخين، وإلى ذلك أشار أحمد أمين بقوله: ا(ولا ولى عثمان تبرم على وأنصاره وزادهم تبرما أن عثمان وهو أموى استعان بالأمويين فكان أكثر عماله منهم وكان كاتبه وأمين سره مروان بن الحكم، والأموى ومروان هذا وشيعته هدموا كل ما بناه الإسلام من قبل ودعمه أبو بكر وعمر من محاربه العصبيه القبليه وبث الشعور بأن العرب وحده، وحكموا كأمويين لا كعرب، فحرك ذلك ما كان كامناً من العداوه القديمه الجاهليه))(٢).

وكان الحاضن الثالث متمثلاً فى سعى السياسيين الدنيويين للسيطره على الحكم عن طريق العصبيه والولاء االقبلى والعشائرى، وقد اعترف أحمد أمين بدور الأمويين فى إذكاء روح العصبيه؛ فقال: ولما ولى الأمويون الخلافه عادت العصبيه إلى حالها كما كانت فى الجاهليه))(٣) فالعصبيه هى التى تحفز المتعصبين للدفاع عام يؤمنون به قباله أى تهديد مادى أو معنوى يلوح فى الأفق، ولذا كان التناحر فاشياً بين العصبيات ولاسيما وأن هناك من كان يدفع أحد الطرفين ليكون البادىء وتقع المشاكل، وفى هذا الصدد قال أحمد أمين: واستغلها -أى العصبيه- خلفاء بنى أميه ومن بعدهم فكانوا يضربون

١- العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسيه والدينيه وأهم مظاهر حياتهم، الدكتور محمود عرفه محمود، ص ١٣
٢- فجر الإسلام، أحمد أمين، ط٣، ج١ ، ص ٣١١

٣- لمصدر نفسه، ص ٩٨

بحقبا ببعض))(١)

إن ثقافه العصبيه الموروثه هى التى سلبت الموالى المسلمين حقوقهم وأنزلتهم درجات فى سلم الطبقات المجتمعى بعد أن رفعهم الإسلام مكاناً علياً، وكان الأمويون بسبب انغماسهم فى التعصب ينظرون إلى الموالى نظره فيها الكثير من الازدراء؛ ومن هنا جاءت زياده أعداد المحرومين فى المجتمع، وهؤلاء هم الذين كانوا نثورون أو كان الثوار يستعينون بهم متى ما سنحت الفرصه، يقول الدكتور فاروق عمر: (إن الثورات التى حاولت أن تستعين بالموالى... لم تنظر إليهم كفرس أو أعاجم بل كفئه يقع قسم منها ضمن القطاع المحروم من المجتمع، ذلك القطع الذى يضم الكثير من العرب كذلك)(٢)

وهى عاده ثورات كانت تبحث عن التصحيح؛ يعرف محمد عماره الثوره بأنها:

((العلم الذى يوضع فى الممارسه والتطبيق من أجل تغيير المجتمع تغييراً جذرياً وشاملاً والانتقال به من مرحله تطوريه معينه إلى أخرى أكثر تقدما الأمر الذى يتيح للقوى الاجتماعيه المتقدمه فى هنا المجتمع أن تأخذ بيدها مقاليد الأمور فتصنع الحياه الأكثر ملائمه وتمكنا لسعاده الإنسان ورفاهيته، محققه بذلك خطوه على درب التقدم الإنسانى نحو مثله العليا التى ستظل دائماً وأبداً خطوه على درب التقدم الإنسانى نحو مثله العليا التى ستظل دائماً وأبداً زاخره بالجديد الذى يغرى بالتقدم ويستعصب على النفاد والتحقيق))(٣)

١- فجر الإسلام ص ١١١

٢- التأريخ الإسلامى وفكر القرن العشرين دراسه نقديه فى تفسير التأريخ، الدكتور فاروق عمر، ص ٤٧

٣- الإسلام والثوره، محمد عماره، ص ١٠

بمعنى أن تنميه روح العصبيه كان عملاً مقصوداً وبدوافع سياسيه بحته، وأنا لا أستبعد ذلك مطلقاً، لأن بث العصبيه فى المجتمع فى أثناء مده حكم عثمان بن عفان مثلاً جعل من السهل على الحكام والولاه ضرب قبيله بأخرى لإضعافهما واتقاء شرهما، وهو النهج الذى بقى سارياً طيله أيام حكم الأمويين ليس فى دولتهم فقط بل و حتى قبل ذلك، وفى أيام خلافه عثإف تحديدأ يوم كانوا مسيطرين عل مقاليد السياسه، فقد عادت العصبيه فى زمن عثمان إلى الحياه بنوعيها وبدأت تظهر بوضوح بعد أن تغلب العنصر الأموى القرشى عل مقاليد الأمور السياسيه والاقتصاديه والإداريه. ويعزو الخربوطلى سبب ذلك إلى الحسد، لأن القبائل العربيه الأخرى كانت ترى نفسها مثل قريش فى الإسلام والهجره والجهد الحربى والفتوح، فلم تفضل عشيره الأمويين عليهم؟ وأرى فى هذا الرأى الكثير من التمويه على حراك العرب السياسى وهو ما سيتكرر منهم ومن أتباعهم فى مواقف أخرى لتبرئه السياسيين من جرائمهم التى ارتكبوها. لكننا لا نعدم فرصه التعرف إلى تأثير ما حدث أيام عثإف عل المجتح العربى الملم من خلال المماحكات التى ظهرت فى زمن خلافه على عليه السلام، إذ كان شعور العربى المسلم قبل خلافه على بسبب مؤثرات العصبيه أنه أفضل من باقى المسلمين، وقد انتقل هذا الشعور معهم إلى حقبه حكم على عليه السلام بالرغم من مواقفه الكثيره فى التصدى له، وفى الروايات المعروفه، ((حدثنا محمد قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا إبراهيم قال: وأخيرى شيخ لنا عن إبراهيم بن أبى يحيى المدنى عن عبد الله بن أبى سليم عن أبى إسحاق الهمدانى: أن امرأتين أتتا عليا عليه السلام عند القسمه إحداهما من العرب والأخرى من الموالى فأعطى كل واحده خمسه وعشرين برهماً وكراً من الطعام، فقالت العربيه: يا أمير المؤمنين إنى امرأه من العرب، وهذه امرأه من العجم! فقال على عليه السلام: إنى لا أجد لبنى إسماعيل فى هذا

الفيء فضلا على بنى إسحاق (١)

وجاء فى روايه أخرى للثقفى: ((حدثنا محمد قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا إبراهيم

قال: حدثنى محمد بن عبد الله بن عثمان قال: حدثنى على بن أبى سيف عن أبى حباب

عن ربيعه وعماره أن طائفه من أصحاب على عليه السلام مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين أعط

هذه الأموال، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالى والعجم ومن

تخاف خلافه من الناس وفراره؟ قال: وإنما قالوا له ذلك للذى كان معاويه يصنع بمن

أتاه فقال لهم على عليه السلام: أتأمرونى أن أطلب النصر بالجور، والله لا أفعل ما طلعت

شمس، وما لاح فى الماء نجم، والله لوكان مالهم لى لواسيت بينهم، فكيف وإنما

هى أموالهم؟ قال: ثم أزم طويلًا ماكتاً ثم قال: من كان له مال فإياه والفساد فإن إعطاء

المال فى غير حقه تبذير و إسراف و هو ذكر لصاحبه فى الناس؛و يضعه عند الله و لم

يضع رجل ماله فى غير حقه وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم، وكان لغيره ودهم،

فإن بقى معهم من يودهم ويظهر لهم الشكر فإنما هو ملق وكذب، وإنما يقرب أن

ينال من صاحبه مثل الذى كان يأتى إليه من قبل فإن زلت بصاحبه النعل فاحتاج إلى

معونته ومكافأته فشر خليل وألأم خدين ومن صنع المعروف فيما آتاه الله فليصل به

القرابه وليحسن فيه الضيافه وليفك به العانى وليعن به الغارم وابن السبيل والفقراء

والمهاجرين وليصبر سه على النوائب والخطوب فإن الفوز بهذه الخصال شرف

مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخره))(٢) .

وفى حادثه أخرى خاطبهم قائلا: ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من

أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، يرى أن الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل النير غدا

١- لغارات، إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفى المتوفى سنه ٢٨٣ ، ج ١ ص ۴۶
٢- المصدر نفسه، ج ١ ص ٧٥-٧۶

عند الله، ثوابه وأجره على الله. وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل

فى ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، ولا يتخلفن أحد منكم،

عربى ولا عجمى، كان من أهل العطاء أولم يكن، إلا حضر إذا كان مسلماً حراً)).(۱)

ودعا عليه السلام كاتبه عبيد الله بن أبى رافع يوماً، وقال له: ((ابدأ بالمهاجرين فنادهم،

وأعط كل رجل ممن حضر ثلاثه دنانير، ثم ثن بالأنصار، فافعل معهم مثل ذلک، ومن

حضر من الناس كلهم، الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلک، فقام سهل بن حنيف

فقال: يا أمير المؤمنين، هذا غلامى بالأمس، وقد أعتقته اليوم، فقالعليه السلام: نعطيه كما

نعطيک، فأعطى كل واحد منهما ثلاثه دنانير)).(۲)

إن تشخيص الإمام على عليه السلام لتأثر المسلمين بروح العصبيه التى فشت أيام خلافه

عثمان دفعه للتحدث بصراحه كبيره عن التغير السلبى فى المجتمع المسلم، وقد نقل

أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى قوله عليه السلام: ا(إن رسول الله مات وترک الناس على نهر

مورود، فولى بعده رجلان لم يختصا نفسيهما وأهليهما منه شيء، وولى الثالث فكرى

منه ساقيه، ولم يزل الناس يكرون منه السواقى حتى تركوه يابا لا قطره فيه)) وفى قول

آخر: ((ما يريد عثمان اَن ينصحه اَحد، ليس منهم اَحد اِلا قد

تسبب بطائفه من الأرض، يأكل خراجها و يستذل اَهلها))(۳)وفى قول آخر: إلى أن قام

ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم

الإبل نبته الربع إلى أن انتكث فتله وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته))(۴)

۱- شرح نهج البلاغه، لابن أبى؛ الحديد المعتزلى ج ۷ ص ۳۷

۲- شرح نهج البلاغه، لابن أبى الحديد، ج ۷ ص ۳۷ ۳۸

۳- تاريخ الطبرى، ص ۷۹۰،ج۱، ثم دخلت سنه خمس وثلاثين

۴- نهج البلاغه،الخطبه رقم ۳ المعروفه بالشقشقيه

وقد استعار الخليقه الأموى عمر بن عبد العزيز يوم ولى الخلافه قول الإمام على بعد أن بدأ برفع مظالم الناس التى أحدثها الخلفاء الذين سبقوه، قال ابن كثير: ((ثم تتابع الناس فى رفع المظالم إليه قام رفعت إليه مظلمه إلا ردها... فاستغاث بنو مروان بكل واحد من أعيان الناس، فلم يفدهم ذلک شيئاً، فأتوا عمتنهم فاطمه بنت مروان – وكانت عمته – فشكوا إليها ما لقوا من عمر، وأنه قد أخذ أموالهم، ويستنقصون عنده، وأنه لا يرفع بهم رأسا، وكانت هذه المرأه لا تحجب عن الخلفاء، ولا ترد لها حاجه، وكانوا يكرمونها ويعظمونها، وكذلک كان عمر يفعل معها قبل الخلافه، وقامت فركبت إليه فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها لأنها أخت أبيه، وألقى لها وساده وشرع حيادثها فرآها غضبى وهى على غير العاده، فقال لها عمر: يا عمه مالک؟ فقالت: بنو أخى عبد الملک وأولادهم يهانون فى زمانک و ولايتک؟ وتأخذ أموالهم فتعطيها لغيرهم، ويسبون عندک فلا تنكر؟ فضحلک عمر وعلم أنها متحمله، وأن عقلها قد كبر، ثم شرع يحادثها والغضب لا يتحيز عنها، فلما رأى ذلک أخذ معها فى الجد؛ فقال: يا عمه. اعلمى أن النبى مات وترک الناس على نهر مورود، فولى ذلک النهر بعده رجل فلم يستنقص منه ثيئا حتى مات، ثم ولى ذلک النهر بعد ذلک الرجل رجل آخر فلم يستنقص منه شيئاً حتى مات، ثم ولى ذلک النهر رجل آخر فكرى منه ساقيه، ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقى حتى تركوه يابسا لا قطره فيه، وأيم الله لئن أبقانى الله لأردنه إلى مجراه الأول، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط))(١)

إن العصبيه التى حاربها الدينيون وأحياها السياسيون خلقت نوعاً من الاستعلاء الأجوف الذى طغى على احترام المقدس وتوهينه فلم يعد التطاول عل الرسول صلى الله عليه و آله مستهجنا ولا قتال خليفه المسلمين على عليه السلام عجباً وقتل الإمام الحسن عليه السلام جالبا للدهشه

۱- البدایه والنهایه، ج۹، ص ۲۳۹، خلافه عمر بن عبد العزیز

ولا حرق بيت الله جريمه كبرى(۱) ولا إباحه المدينه جريره يؤاخذ عليها القانون (۲) ولا قتل الحسين وصحبه عملا غريباً، فهناك فى عقولهم وقلوبهم غراس العصبيه الذى طغى وتطفل على كل الموجودات الأخرى بما فيها العقيده. ولذا نجد الكثير من الباحثين يعتقدون أن فهم دور العصبيه القبليه على حقيقته ممكن أن يسهم فى فهم الأحداث التاريخيه وتداعياتها، ولهذا الرأى ذهب أحمد أمين بقوله: ((وأصبحت العصبيه مفتاحا نصل به إلى معرفه كثير من أسباب الحوادث التارخييه))(۳)

من قليل ما قدمناه يتضح بأن من أطلق على الحكم الأموى اسم (نظام الحكم العربى) كان محقا جدا وبامتياز، فبالرغم من بعد التسميهع ما كانت تصبو إليه الجماعات السياسيه المسلمه التى كانت تناضل بقوه لتبدو ممثله للدين وقيمه عليه لأنها كانت تخشى الاتهام بكثير من التهم الجاهزه إذا ابتعدت عن الدين أو بدت وكأنها بعيده عنه، جاءت التسميه متطابقه مع نوع الحراك الذى استخدمه الأمويون للسيطره على مقاليد الحكم بإحياء النعره العصبيه والعمل بهديها، وهو حراك نابع بالأساس من تقاليد عربيه موروثه وعادات قديمه تعود إلى العصور الجاهليه السحيقه(۴)، فهؤلاء كانوا على يقين من أن العصبيه هى التى تمنحهم الرئاسه والتسلط؛ وهو ما قال عنه ابن خلدون فى مقدمته: ((وذلكك أن الرئاسه لا تكون إلا بالغلب؛ والغلب إنما يكون بالعصبيه، فلابد فى الرئاسه على العموم أن تكون من عصبيه غالبه لعصبياتهم واحده واحده))(۵)من هنا

۱- ضرب الحجاج بيت الله الحرام بالمنجنيق والنار فأحرقه؛ لأن ابن الزبير تحصن فيه

۲- وهى واقعه الحره حيث أباح الأمويون المدينه واغتصبوا نساءها وقتلوا صحابه رسول الله

۳- فجر الإسلام، أحمد أمين، ج ۱ ، ص ۱۰

۴- الفاشى بن الناس أن هناك عصراً جاهليا واحدا ولكن المتخصصين يقسمون هذا العصر إلى عصور عده آخرها يعود إلى

مائه وخمسين عاما قبل البعثه وهو العصر الجاهلى المعروف

۵- المقدمه،ابن خلدون، ص ۱۳۲

ووفق موروث الأمويين القبلى جاء إحياء العصبيه لتعيد إلى أذهان العامه سلطه شيخ

القبيله التى انتزعها الإسلام وأحل بدلها سلطه الولاء الدينى.

نعم كان الأمويون أكثر العرب تعصبا لعروبتهم وأصولهم البدويه؛ وهم حتى بعد

أن هجروا الصحراء وقضت أجيال طويله منهم حياتها فى أجواء مكه التى كانت أكثر

تطورا من كثير من مناطق الصحراء الأخرى لم ينجحوا بمغادره موروثهم البدوى، ولذا

تراهم يتمسكون بعقائدهم الوثنيه، ويحاربون أبناء جلدتهم الذين اعتنقوا الإسلام، ولا

يكفون إلا بعد أن أحسوا بأن الكفه ليست فى صالحهم، ثم حتى بعد إسلامهم بقيت

روح البداوه فيهم مفعمه بالحماس والتحدى لدرجه أنهم مع تأخرهم بالدخول إلى

الإسلام طالبوا بمراكز سياديه فى المجتمع بأنفه نابعه من طبائع ابن الصحراء، وربما لهذا

السبب يرى (رفائيل باتاى): ا(إن البدو كانوا ولا يزالون يمثلون مجتمع السلطه الأبويه

والزعامه القبليه والذى يعتمد عل رابطه النسب والقرابه))(١) وخلص إلى نتيجه مفادها: ((إن واجبات الانتقام بالقتل والتوسط، ملامح تميز روح الجماعه البدويه والتى انتقلت

دون تغيير تقريباً إلى حياه القريه، وحافظت على البقاء فى مجتمع المدينه العربيه))(٢)

فالأمويون لم يأتوا بجديد حينما وظفوا العصبيه بحجه الثأر لمقتل الخليفه عثمان

ليقاتلوا تحت هذا الشعار الجاهلى عليا وحسنا وحسيناً عليهم السلام، بل يأتى هذا التوظيف

لتأكيد قوه ولائهم لموروثهم الجاهلى وتعلقهم به، وبالتالى لا نستغرب قيامهم بمحاربه

على لأنهم لو كانوا مؤمنين حقا بالإسلام لما حاربوا الخليفه الشرعى الذى تمثل محاربته

مخالفه لروح الشريعه التى يؤمنون بها، ولا نستغرب حربهم للخليفه الشرعى الحسن بن

على عليهما السلام للسبب نفسه، ولا نستغرب إباحتهم للمدينه المنوره وهتك أعراض نسائها،

۱- العقل العربی، رفائیل باتای، ترحمه ولید خالد أحمد حسن، ص ۱۳۷

۲- المصدرنفسه، ص ۱۴۲

ولا ضربهم بيت الله بالمنجنيق وحرق الكعبه، ولا قتل الحسين عليه السلام وصحبه ولا قتل زيد وابنه يحيى ولا قتل الطالبين، فكل جريمه من هذه الجرائم تعيد الإنسان من الإيمان إلى الكفر وعليه يتحرج المؤمنون من الإتيان بها، أما من هو غير مؤمن فلا فرق عنده بين العمل الحسن والعمل الخبيث فكلاهما فى ميزانه سواء.

إن التواشج بين العصبيه والسياسه الدنيويه خلق منظومه فكريه تمكنت من تفيير طباع الناس بعد أن ربتهم وأنشأتهم على موازين متنوعه يصل التعارض بينها أحيانا إلى حد القطيعه الشامله. وبتعاون السياسه مع العصبيه تحول السياسيون من أبناء المجتمع العربى المسلم إلى رعاه يقودون قطيعا مسلوب الإراده، خانعا يتحرك تبعا لأوامرهم ويفعل ما يريدونه منه بدون اعراض أو تذمر، ولذا تراهم يقودون مائه ألف أو أكثر ليحاربوا خليفه شرعيا تنهى عقيدتهم قبل غيرها عن اعراضه باللسان المجرد حتى ولو أوجع الظهر وسلب المال، فهل من دليل أكر من هذا الدليل!

الفصل الثانی

الحیاه السیاسیه قبل وبعد عصر البعثه

ص :۴۹

الفصل الثانی الحیاه السیاسیه قبل و بعد عصر البعثه

اشاره

إن للأمه العربیه ولعا بالسیاسه ما زالت آثاره باقیه فیهم إلی الیوم، وهم الیوم إن کانوا قد درسوا علوم السیاسه وتعلموها وطبقوها؛ فإنهم بالأمس لم تتح لهم فرصه التعلم، ولذا لجأوا إلی موروثهم القبلی واستقوا منه منهجهم السیاسی الذی جاء متطابقا مع الموروث، بعیدا عن التجدید بمعناه الفکری العقدی لا التطوری الحیاتی، فکانت سیاستهم قبل البعثه المشرفه تختلف عنها فی عصر البعثه وتختلف عنهما بعد العصرین.

سیاسه العرب قبل عصر البعثه

إن أمه کأمه العرب امتدت جذورها إلی أعماق التاریخ الإنسانی یستحیل أن تکون جاهله بالسیاسه وفنونها؛ کیف، وهی تعد من أقدم الأجناس السامیه، وقد قامت علی أرضها ممالک ودویلات کثیره مثل مملکه الحیره فی شمال شرق جزیره العرب ومملکه الغساسنه فی شمالها الغربی وکنده فی شمالها، وفی الجنوب کانت قتبان وحضرموت ومعین وسبأ،وإن کانت ممالک الجنوب أقل أثرا من الأخر، فضلاعن وجودقبائل کبیره کانت کل منها تمثل نظاما سیاسیا قائما بذاته، بل کانت القبیله وحده النظام السیاسی فی الفکر العربی الذی کان علی مستوی من النبوغ لدرجه أن بعض أهله رفضوا عباده الأوثان والأصنام ولم تستهوهم الدیانه الیهودیه ولا النصرانیه، فاتخذوا الحنیفیه التی جاء بها النبی إبراهیم. لأنهم وجدوها أقرب إلی فکرهم وعاداتم وسلوکهم وطبیعتهم الإنسانیه. ویقول الدکتور محمود عرفه: ((کانت القبیله هی وحده النظام السیاسی الذی

ينتمى إليها ويقدسها العربى قبل الإسلام))(١)

كما أن تقديس العربى للنظام العشائرى لا يأتى من باب العصبيه العليا فحسب، بل ينزل إلى أدق خصوصياتها لأن العشيره كانت المسؤوله عن تدبير وتسبير حياته وحياه عائلته ومصالحه وارتباطاته مع الآخرين وتوفير الحمايه والأمن له. وفى هذا الصدد يقول ابن خلدون فى مقدمته: ((اعلم أن كل حى أو بطن من القبائل وإن كانوا عصابه واحده لنسبهم العام ففيهم أيضا عصبيات أخرى لأنساب خاصه هى أشد التحاماً من النسب العام لهم مثل عشيره واحده أو أهل بيت واحد أو أخوه بتى أب واحد))(٢)

فضلا عن ذلك نرى أن الحاله المضطربه التى عاشها العرب فى تلك الحقبه تحت شعار الغلبه للقوه والأقوى دفعت القبائل ولاسيما الضعيفه والذليله متها إلى التوحد بأحلاف تجمعها بقبائل قويه تؤمن لها الحمايه، وهذا الاتفاق لا يمكن أن يوصف بغير صفه (سياسى) وهو بحد ذاته يدل على أن التوفيق بين القبائل المنضويه للحلف يحتاج إلى إداره سياسيه متمكنه لها قدره تقريب الرؤى وامتصاص الاحتكاكات الخشنه، ولاسيما وأن بعض الأحلاف كانت تضم عدداً كبيراً من القبائل المتقاربه من حيث القوه والرجال والمال فى بعض الأحيان، والمتباعده فى الرؤى والنشأه وطرائق التفكير؛ مثل حلف (الرباب) بين قبائل ضبه وثور وعكل وتميم وعدى(٣) وحلف (الأحلاف) الذى ضم بنى عبد الدار وبنى مخزوم وبنى سهم وبنى جح وبنى عدى وبنى عدى بن

١- العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسيه والدينيه وأهم مظاهر حياتهم، الدكتور محمود عرفه محمود، ص ٤٩

٢- المقدمه، ابن خلدون، ص ١٣١

٣- ينظر: العقد الغريد،ابن عبد ربه الأندلسي،ج ٥، ص ١٤١

كعب[1] وقد أطلق ابن خلدون على هذه الاتفاقيات صفه (العصبيه الكبيره) بقوله:

كانت الأحلاف تمثل العصبيه الكبيره التى تشمل القبائل والعشائر المتحالفه بالنسب والجوار[2] وأطلق عليها العالم العراقى المرحوم جواد على اسم (المجتمع القبلى الكبير) بقوله: ((وهى المجتمع القبلى الكبير الذى تنصهر فيه القبائل من أجل المؤازره والحمايه والدفاع المشترك))[3]

بل قادهم وعيهم السياسى المتطور فى بعض الأحيان إلى الخروج من طور الأحلاف القبليه المحليه إلى التحالف مع دول قويه وليس مجرد قبائل مثلهم، حيث قامت بعض القبائل بالدخول تحت رعايه تلك الدول لتحصل منها عل الحمايه والعون، وتقدم لها بالمقابل المساعده متى لزم الأمر، وقد دخل ملوك الحيره بحمايه الفرس، وتحالف الغساسنه مع الروم؛ باتفاقيات تشبه اتفاقيات الدفاع المشترك المعروفه فى زماننا الراهن، وهى دلالات أكيده على وجود وعى سيامى فى المجتمع العربى؛ ولذا يقول محمد عماره بعد أن تحدث عن حلف الفضول وغيره من الحركات المجتمعيه: فلقد كانت إذن للعرب جهود استهدفت تغيير الواقع وبعض هذه الجهود كان سلميا، بينا استعان بعضها الآخر بالسيف والعنف لانجاز ما أراد من تغيير، فكانت هذه الجهود جميعاً علامات على طريق الإنسان العربى نحو ثورته الكبرى))[4] وهذا من عيوب بعض المفكرين العرب الذين تجدهم حتى فى حديثهم عن سياسه العرب الأقدمين يموهون ولا يدخلون صراحه إلى صلب الموضع وصميم القضيه

١- ينظر: السيره النبويه، ابن هشام، ج ١ ص ١٣٧ ومروج الذهب للمسعودى ج ١ ص ٣٢٨
٢- المقدمه، ص ١٢٩

٣- تاریخ العرب قبل الإسلام، جواد علی، ج ٣، ص ٣٣۶- ٣٣٧

۴- الإسلام و الثوره، محمد عماره، ص ٢١

وفيما بعد أنجب الوعى السياسى العربى مجموعه دول كانت متطوره تبعاً للمقاييس القديمه مثل دوله معين (۱۳۰۰ ۶۵۰ ق. م) فى اليمن التى كان نظام الحكم فيها لا مركزياً (فكان يمثل الملك فى كل مقاطعه نائب له بلقب (كبير) يتبعه مجلس نيابى يعرف باسم (سور) محتمع فيه الأشراف للحكم بين الناس) وكانت لها علاقات تجاريه مع مصر الفرعونيه واليونان(۱) ودوله حضرموت (۱۰۲۰ ق.م ۲۹۰م) التى قامت فى جنوب بلاد العرب إلى الشرق من اليمن، وكانت لها علاقات جيده مع مملكه سبأ، وعلاقات تجاريه واسعه وجيش وحصون وقلاع وإداره(۲) ولا ننسى دوله مبأ التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم وهى مملكه متحضره ليس بمقاييس ذلك الزمان بل وبمقاييس العصور اللاحقه أيضاً.

بل حتى مكه المكرمه إنما أخذت مكانتها الأولى بفضل السياسه؛ فعندما ولى عمروبن لحى زعيم خزاعه أمر مكه اجتذب الحجاج فأقام موائد الطعام فى موسم الحج،و يسر جلب الماء من الآبار المحيطه بها، وقام بجلب الأصنام من أنحاء الجزيره العربيه وأقامها حول الكعبه، فتشط الحج ونشطت التجاره؛ فأزدادت مواردهم الماليه لأنه كان يأخذ العشور(۳)

ص :۵۴

۱- العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسيه والدينيه وأهم مظاهر حياتهم، الدكتور محمود عرفه محمود، ص ۱۱۴

۲- ينظر: المصدر نفسه، ص ۱۱۵

۳- العشور: نظام مالى أشبه ما يكون بقوانين الجمارك والضرائب التى تجبى من التجار فى عصرنا. كانت معروفه فى العصور القديمه فألغاها الإسلام، وهناك من يرى أن العمل بها أعيد أثناء الفتوحات العربيه فى عهد عمر بن الخطاب حيث كتب أبو موسى الأشعرى إلى الخليفه عمر يخبره أن السلطات الرومانيه فى الشام كانت تأخذ من التجار العرش قبل الفتح العربى، وكانوا يأخذون من التجار المسلمين نفس القدر، فكتب له الخليفه بأن يأخذ منهم كما كانوا يأخذون من تجار المسلمين،وأن يأخذ من تجار أهل الذمه نصف العرش ومن المسلمين ۲٫۵ ٪ وجعل حد الإعفاء ۲۰۰ درهم. وعلى هذا درجت الحكومات الإسلاميه من عهد عمر فأقيم (العاشر) أو الذى يأخذ ضريبه العشور عند ممر التجار يجبى هذه الضريبه من الصادرات والواردات فيأخذ من التاجر المسلم ربع العشر ومن التاجر الذمى نصف العشر، ومن الأجنبى العشر أوكما يعامل قومه التجار المسلمين، فإن كانوا

يأخذون منهم العمشر أخذوا منه نفس المقدار، وهكذا

...

من جميع القوافل التجاريه الماره بمكه(١) وهذا العمل وإن كان ظاهره اقتصادياً إلا أنه سياسى الهدف والدوافع بالتأكيد.

ومن مجمل هذه الإلماحات والممارسات تكون وتجمع عند بعض العرب خزين سياسى معرفى كبير حضت به نخبه المجتمع والقبائل الأكثر شهره مثل بنى هاشم والأخرى الأكثر عدوانيه مثل بنى أميه، فتركته الأولى بعد أن شذب الإسلام سلوكها وتحكم بتصر فاتها، وأصرت عليه الثانيه ووظفته فى كافه تحركاتها لأنها رأته الطريق الأوحد للعز بعد أن نزع الإسلام عنها عزها القديم الجاهلى الذى اكتسبته بالجور والطغيان.

إن أمه تقوم بها قبائل و ممالك عظيمه مثل عاد و ثمود و مدين و طسم و جديس و عبيل و العماليق لا يمكن أن تكون جاهله لمعنى السياسه والعمل السياسى، وهم فى جاهليتهم كانوا يملكون قدراً لا بأس به من المعارف العامه بما فيها علم السياسه بأبسط هيآته؛ ولكن سياستهم كانت مقرونه بسلوكهم الفردى و الجمعى تتأثر به وتؤثر فيه؛ ولذا لم تتضح مقاصدها إلا من خلال القصص والروايات والحكايات التى كانوا يتناقلونها شفاهاً فوصلتنا. ولكن ذلك لا يعنى أنهم كانوا يجهلون مبادئ علم السياسه ولو بشكله الساذج، فموروثهم السياسى هو الذى تحكم بجانب كبرى من الصراع الذى نشب بينهم وبين النبى صلى الله عليه و آله ورسالته وأصحابه.

١- ينظر: العرب قبل الإسلام

السياسه فى عصر البعثه

يمكن تقسيم نشاطات السياسيين العرب فى عص البعثه إلى مرحلتين زمنيتين، الأولى: مرحله النشاط المكى، والنشاط قبل الهجره، والثانيه: مرحله النشاط المدنى، والنشاط بعد الهجره. وكان نشاطهم فى بدايه عصر البعثه يتسم بالفطريه والبدائيه والسذاجه وتطغى عليه روح العصبيه، يمكن أختزاله بفكره المعارضه للتغيير والخوف من التجديد، وهى سمه عامه يشرك بها البشر بكل جنسياتهم وأصولهم، ولكن هذا الجهد المعارض للرساله الإسلاميه فى بدايه نزولها وإن كان فى ظاهره فطريا اعتباطياً عصبياً سانجاً بعيداً عن التخطيط والترتيب والتنظيم؛ وبدا وكأنه دفاع عن عقيده الأوثان التى يؤمنون بها؛ غير انه لا يوحى بأنهم كانوا يجهلون العمل السياسى، وإنما جاء حراكهم اسياسى فى حدود الإمكانيات المتوفره لدهيم؛ ومع ذلك كان أفضل حراك سياسى ممكن الحصول عليه فى تلك الحقبه من التاريخ، والدليل إن صحيفه المقاطعه التى جاءت متأخره ست سنوات عن باقى الحراكات الاعتراضيه الأخر من تعذيب وسجن ومطارده لكل من يسلم تعد إحدى الصيغ الآكثر قوه وتأثيراً فى العالم فى يومنا الحاضر وتستخدمها الأمم القويه لتركيع الأمم الضعيفه؛ وقد لمسنا أثرها فى العراق؛ فالحصار الذى فرض على العراق بعد غزو الكويت فى تسعينات القرن الماضى لم يصب العراقيين بالجوع فقط، وإنما حطم معنوياتهم، وبالتالى كان أمضى من أى سلاح آخر استخدمه العدو لأنه عبد طريق التخريب ويسر أمر الانحراف فقضى على البناء الروحى لكثير من العراقيين؛ وهو ما كان مأمولاً بالحصار القرشى أن يوقعه بالمسلمين يومذاك؛ بمعنى أن صحيفه المقاطعه القرشيه كانت واحده من المراحل السياسيه المتقدمه التى نفذها السياسيون القرشيون ضد النبى ورسالته بعد أن فشل مشروعهم الأول فى

ترويع ضعفاء المسلمين وتعذيبهم. ويكفى أن نعرف أن أكثر من ثمانين وجهاً من وجوه

ص :56

المجتمع القرشی اشترکوا بالتوقیع علی الصحیفه و وضع أختامهم علیها لتنص علی:

((ألا یبایعوا أحداً من بنی هاشم، ولا یناکحوهم، ولا یعاملوهم))(۱) إن جمع هذا العدد الکبیر من الوجوه والوجهاء للاتفاق علی أمر واحد یحتاج إلی عقل سیاسی کبیر یملک قوه الاقناع ومهارات التفاوض ونوعاً من القوه والشجاعه أیضاً، لکی یسوق الجمیع إلی هدف واحد بالرغم من تنافرهم وتباینهم علی أرض الواقع. وقد استمر العمل ببنود هذه الصحیفه الظالمه ثلاث سنوات من سنه ست إلی سنه تسع للبعثه، بل یری الدکتور السید عبد العزیز: إن الحصار رفع سنه عشر من البعثه مستنداً فی ذلک إلی ما نقله عن ابن سعد فی طبقاته(۲).

وبعد أن بدأ عصر الهجره المبارکه وهاجر المسلمون من مکه إلی المدینه المنوره، لم یقف القرشیون والسیاسیون وأعداء الرساله مکتوفی الأیدی، وإنما طوروا جهدهم السیاسی تبعاً لمستجدات المرحله فشنوا حروباً عاتیه تهددت الاسلام الضعیف بالخطر، وربما تکون غزوه الخندق من أهمها وأخطرها وأکثرها قوه لیس علی المسلمین وحدهم بل وعلی السیاسیین القرشیین أیضا، لأن خساره أی طرف لهذه المعرکه کان ینذر بتحطیم جهدهم الحربی کلیاً وکسر شأفتهم وشوکتهم ونع هیبتهم وزع الرهبه والخوف فی قلوب ونفوس جنودهم وأتباعهم. وهکذا کان حینما خسرتها قریش وأعوانها؛ ولکنهم لما خسروها لم یرکنوا إلی العقل وإنما طوروا تحرکاً جدیداً اعتقدوا أنه ممکن أن یوقف مسره الدین فدخل بعضهم فی الدین الجدید؛ ولکن لیس بالوجه الذی دخل به الآخرون؛ کما دلت علی ذلک الأحداث الکثره اللاحقه، وإنما لیکیدوه من الداخل. ویری الدکتور قاسم حسین أن للتدین وجوهاً بعضها یتعارض مع أصل

١- تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ٣١

٢- ينظر: التأريخ السياسى والحضارى للدوله العربيه، السيد عبد العزيز،ج ١ ،ص ٣٢٠

العقيده، وألمح إلى: ((أن الناس يكونون متدينين لأسباب متعدده وليس لسبب واحد.

ويمكن تصنيفهم على النحو الآتى:

١ . التدين الغرضى: ويعنى التوجه نحو الدين بوصيفه وسيله للحصول على أشياء أخرى ذات قيمه.... كما أن هذا النوع من التدين قد يحقق لصاحبه مكانه اجتماعيه أو اعتباريه أو وظيفيه. وبهذا يكون الدافع هنا تحقيق منفعه تهدف إلى خدمه المحافظه على احرام الذات، ويكون الوجدان الدينى فيه غير ناضج. وإلى هذا الصنف ينتمى المتدينون السياسيون الذين هم الأكثر تعصباً بين الناس، ليس فقط لأنهم يستخدمون الدين وسيله لتحقيق أهداف أخرى، بل لأن التنافس السياسى وصراع المصالح يضطرهم إلى أن يكونوا متعصبين. فالغايات هنا سياسيه وليست اجتماعيه من قبيل تكوين صداقات، بل السعى إلى تحقيق زعامات تشبع الحاجه إلى السلطه والسيطره ومصالح اقتصاديه ترفع صاحبها درجات فى سلم المكانات فى الهرم الاقتصادى للمجتمع.

٢.التدين الباحث عن الحقيقه: ويعنى التوجه نحو الدين بوصفه سفراً دائماً من أجل فهم القضايا الأخلاقيه والروحيه المعقده، والمصحوب عاده بمعتقد أن الإجابات السريعه والبسيطه، خاطئه تماماً.

٣.التدين الحقيقى: ويعنى التوجه نحو الدين الذى حياول الناس عن طريقه أن يعيشوا دينهم ويستدخلوا تعاليمه(١)

ومن يبحث عن نوع التدين الذى آمن به المسلمون ولاسيما آل البيت الكرام والتدين الذى آمن به السياسيون الدنيويون يجد بكل تأكيد وبدون أى معارضه أو

١– مقال بعنوان: إشكاليه فى الدين والسلطه،الدين والتعصب والإسلام السياسى) نشر فى موقع النور يوم ٢٠١٢/٩/١٩، الرابط

http://www.alnoor.se/article.asp?id=١٦٩٨٩٩

اعتراض بأن آل البيت ونخبه من المسلمين كانوا عن حق وجداره أسياد القسم الثالث من هذا التقسيم، وأما من حاربهم وقاتلهم ونازعهم وسفك الدم باسم الدين للحصول عل السلطه؛ فهم من الصنف الأول بامتياز.

ولفهم الاختلاف بين الصنفين ممكن أن نستأنس برأى الدكتور الاختصاصى قاسم حسين صالح الذى أوضح فى جوابه عن سؤال مفاده: مَن مِن هذه التوجهات الثلاثه، هو المتعصب أو الأكثر تعصباً؟ قائلا: إن التوجه الثالث (التدين الحقيقى) الذى يؤمن أصحابه بأن الدين ليس وسيله لتحقيق غايه، ولا هو البحث عن حقيقه الروح والأخلاق والحقيقه، أنما هو الغايه النهائيه للإنسان. وبما أن معظم الأديان تدعو إلى التسامح، والإفراد فى هذا النوع من التدين — الحقيقى-يسعون ويتمنون أن يحققوا نوعاً من التكامل بين معتقداتهم الدينيه وهوياتهم وسلوكهم. وعليه، فأننا نتوقع من هذا الصنف أن يكونوا الأقل تعصباً بين المتدينين. وتشير الدراسات إلى أن هذا الصنف من المتدينين ليسوا أكثر تعصباً حتى من أولئك الذين يصفون أنفسهم بأنهم غير متدينين. وما يميزهم أن الوجدان الدينى عندهم يكون ناضجاً، يثير لديهم الشعور بالمتعه ويحول مشاكل الحياه من سياقها الروتينى إلى متظور أكثر شموليه وأعمق معنى.. فيكون ثقلها أخف عليهم مقارنه حتى بغير المتدينين. أما الصنف الأول من المتدينين، الذين يتخذون من الدين وسطه للحصول على أشياء أخر من قبيل الصداقه والمكانه والاشاد فى الأوقات الصعبه، فإن هؤلاء يميلون إلى أن يكونوا الأكثر تعصباً، والأقل نصجاً فى الوجدان الدينى))(١) وهؤلاء هم الذين تآمروا ضد الإسلام ونبيه الأكرم ولاسيإ بعدما خسروا آخر معاركهم الحربيه الكبيره.

١- مقال بعنوان: إشكاليه فى الدين والسلطه،الدين والتعصب والإسلام السياسى، قاسم حسين صالح.…

التخطيط السياسى لقتل النبى صلى الله عليه و آله

من رحم المرحله الثانيه ولدت المؤامرات لأخر التى كانت أكثر واقعيه وتخطيطاً من سابقاتها، ومع أنه من المتفق عليه تأريخياً أن الجهد العسكرى القرشى فقد زخمه الكبير بعد معركه الخندق المصريه التى كان لعنايه السماء وبطوله الإمام على عليه السلام الأثير العظيم فى تهشيمها، فبعد هزيمه الأحزاب فى هذه الغزوه لم تعد مسأله القتال والحرب تشغل بال القرشيين وأعوانهم كما هى سابقا؛ لأنهم أدركوا يقينا ولاسيما السياسيتين منهم بأن الإسلام أصبح أقوى مما يتمكنون من الوقوف بوجهه، وعندها غيروا أنماط سلوكهم السياسى، وبدأ التفكير الجدى فى الخطط البديله، وكانت فكره الاستعاضه عن الحرب بالكيد والخداع هى المنهج الذى استقروا عليه واعتمدوه ونجحوا فى التعامل معه وبه بشكل كامل. وقد أوكلوا هذا الأمر لمن دخل منهم إلى الإسلام. هنا أنقل أقوالاً لرسول الله صلى الله عليه و آله تخص هذا التبدل الغريب، تحدث فيها النبى صلى الله عليه و آله عن مستقبل منظور بالنسبه إليه ومجهول للعالم كله بما فيهم السياسيون أنفسهم حيث وقف النبى صلى الله عليه و آله بعد هزيمه الأحزاب ليهنئ المسلمين بالبشرى العظيمه التى كانوا ينتظرونها: ((الآن، نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم)(١) وفى مكان آخر ((لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم. فلم تغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو الذى يغزوها حتى فتح الله عليه مكه))(٢)

السياسيون من جابيهم أدركوا بعد هزيمتهم المره وجوب تغيير الخطط وتبديل الآليات؛ وكان قتل النبى محمد صلى الله عليه و آله أحد أهم مشاريعهم السياسيه فى هذه المرحله، فاشتهرت لهم أكثر من محاوله؛ تكاد محاولتهم يوم (تبوك) أن تكون الأخطر بينها،بالرغم

۱- صحیح البخاری، حدیث رقم ۴۱۱۰ ص ۷۲۸
۲- تهذیب السره النبویه، ابن هشام، ج۳/ص ۲۳۰

من كونهم أخفوا دورهم فيها كلياً ولاسيما بعد فشلهم الكبير. ولكن فشلهم فی هذه المحاوله لا يعنی فشلاً سياسياً بالمره لأنهم عصبوه فيما بعد برأس المنافقين ليبرئوا أنفسهم منه، فحولوا الفشل إلی نجاح معنوی. والمعروف أن المنافقين كانوا ناشطين فی تلك الحقبه، فضاع أثر الجريمه وخفيت معالمها فی الأقل علی صفحات تاريخنا بالرغم من أن المسلمين وتاريخهم المكتوب وكتب السره النبويه كلها تجمع علی عدم مشاركه المنافقين فی تلك الغزوه التی حدثت فيها مؤامره السياسيين الدنيئه لقتل رسول الله صلی الله عليه و آله(۱)

لأن شيخ المنافقين (عبد الله بن أی بن سلول) وجموع المنافقين تخلفوا عن النبی صلی الله عليه وآله فی الموضع المعروف ب(الجرف) وفی روايات كتب السيره عن ابن سلول المنافق أن جيشه الذی تخلف فيه ((ليس بأقل العسكرين))(۲) أی: إن عدد أفراد جيش المنافقين كان مقاربا لعدد جيش المسلمين! وجاء هذا التخلف للإيقاع بالنبی ووضعه فی ورطه لا يحسد عليها بعد أن استقوی بكثره جيشه كما كانوا يعتقدون، وهذا العمل بحد ذاته يدل علی مقدره سياسيه فذه ومتطوره.

كما وتخلف غيرهم من جموع المنافقين فی أماكن أخر، وحتی الأفراد الآخرون من المنافقين تخلفوا واحدا تلو الآخر عن آخرهم، وأخرج الحاكم فی المستدرك عن عبد الله بن مسعود قال: ((لما سار رسول الله! إلی تبوك جعل لا يزال يتخلف الرجل؛ فيقولون يا رسول الله تخلف؛ فلان! فيقول: دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه))(۳)

۱- السيره النبويه،ابن هشام، ج ۴ ، ص ۱۳۵

۲- السيره النبويه،ابن هشام،ج۴، ص ۱۳۵

٣- المستدرك، الحاكم، ج ٣، ص٢ه، حديث رقم ٧٧/٤٣٧٣

بل و تخلف مع المنافقين عدد كبير من المسلمين أنفسهم يكاد يفوق أعدادهم فی كل

الغزوات الأخر؛ قال ابن هشام فی حديثه عن عوده النبی من هذ۵ الغزوه: ((...وصبح

رسول الله صلی الله علیه وآله المدینه، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس

للناس، فلما فعل ذلک، جاءه المخلفون، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، وكانوا بضعه

وثمانين رجلاً...))(۱)

أما النبی الأكرم فلم يكن أقل منهم إلماماً بالسياسه؛ فهذه الأعداد الغفيره من

المنافقين والمتخلفين تدعو حقا إلی التخوف والريبه والشک فارتأی أن يخلف علياً

ـبالرغم من حاجته إليه- فی المدينه ليحافظ عليها، وهو ما قال عنه ابن هشام: ((حتی

إن النبی تخوّف من تخلفهم، فخلف علياً علی المدينه ولم يخلفه قبلها))(۲)

السياسيون من جانبهم شهروا سيف السياسه لاستخدامه مع هذه الحاله لكی

يخدشوا حب اعتقادهم شرخا فی علاقه علی عليه السلام بمحمد صلی الله علیه وآله ((فأرجف به المنافقون

وقالوا: إن خلفه إلا استثقالا له وتخففا منه))، وهذا الاعتراف يعنی ضمنيا كذلک أن

المنافقين كانوا يريدون دفع علیّ عنوه لمغادره المدينه، لكی ينفذوا مخططهم الذی تخوف

منه النبی. وقد قال ابن هشام: ((أخذ علی بن ابی طالب سلاحه ثم خرج حتی أتی رسول

الله صلی الله علیه وآله وهو نازل بالجرف (أحد جبال المدينه) فقال له: يا نبی الله زعم المنافقون أنک

إنما خلقتنی أنک استثقلتنی، وتخففت منّی، فقال: كذبوا، ولكنی خلفتک لما تركت

ورائی فارجع، فاخلفنی فی أهلی وأهلک، أفلا ترضی يا علی أن تكون منّی بمنزله

هارون من موسی؟ إلا أنه لا نبیّ بعدی، فرجع علیّ إلی المدينه، ومضی رسول الله علی

۱- سيره ابن هشام، ج۴، ص ۱۴۸

۲- ینظر: السیره النبویه، سامی البدری، ص ۱۹۱ عن میزان الاعتدال ۱ / ۵۶۱

سفره))(۱)

هنا أود القول أن حركه الإمام علىّ عليه السلام لم تكن بدافع الجهل السياسى كما قد يتصور

بعضهم؛ وإنما جاءت لتؤكد للسياسيين عمق العلاقه التى تربطه بالنبى لكى لا يتحركوا

فى داخل المدينه للعبث فيها.

فإذا كان المنافقون قد تخلفوا عن الغزوه بكاملهم، فمن كان المسؤول عن محاوله

قتل النبى صلى الله عليه وآله بعد أن برّأ المنافقون تخلفهم؟ وهل كان الصحابى والوجه المعروف(أبو

موسى الأشعرى) بطل التحكيم فى صفين من المنافقين؛ وهو الذى اتهم بأنه كان ممن

تآمروا على النبى فى العقبه؟ إن أغلب الروايات حصرت عددهم باثنى عشر منافقاً(۲)

أما الواقدى فقد أبان: انهم ثلاثه عشر شخصا (۳)، وكان أبو موسى الأشعرى واحدا

منهم(۴)

ومن روايات كتب التاريخ والسيره عن هذه الغزوه يتبين أن المنافقين أجمعهم كانوا

قد تخلفوا فى منطقه الجرف وأماكن أخرى كما قلنا، وحتى باقى المنافقين تخلفوا فرادى

فى الطريق، ولم يذهب أىّ منهم إلى الحرب مع النبى صلى الله عليه وآله، بل هناك عدد لا بأس به من

المسلمين أنفسهم تخلفوا عنه؛ ومع ذلك تحدثت الروايات عن مؤامره حيكت بعنايه

للتخلّص من النبى صلى الله عليه وآله فى طريق العوده، قالت عنها النقول: إن النبى فى طريق العوده

من الغزوه وعند وصوله إلى (العقبه) أخبره الوحى بخبر المتآمرين الموجودين فى جيشه

۱- السيرهالنبويه،ج۴، ص ۱۳۵

۲- أخرجها البيهقى فى الدلائل عن ابن اسحاق. ينظر: التقيه، نزيه محى الدين، كتاب الكترونى، شبكه الفكر ص ۳۰۴

۳- مغازى الواقدى، ص ۱۰۴۴

۴- المصدر نفسه، ص۱۰۴۳ ومسند أحمد ۵ / ۳۹۰-۳۹۱

ونيّتهم الغدر به وقتله، فلما بلغ العقبه أرادوا أن يسلكوا معه، فقال للناس: اسلكوا

بطن الوادى فإنه أسهل لكم وأوسع، وسلك هو العقبه بعد أن أمر عمّار بن ياسر أن

يأخذ بزمام الناقه ويقودها، وأمر حذيفه بن اليمان أن يسوق من خلفه، ولكن المتآمرين

لم ييأسوا من افتراقهم عنه، فبينما رسول الله صلى الله عليه وآله فى العقبه؛ ا(إذ سمع حس القوم قد غشوه

فأمر حذيفه بردّهم))(۱)

۱- ینظر: البدایه والنهایه لابن کثیر الدمشقی ۳ / ۳۲۷ وسنن البیهقی الکبری ۹ / ۳۳ وأنساب الأشراف للبلاذری، ص ۲۳۶

نشاط السياسيين فى عصر البعثه

اشاره

أثبتت تلك المراحل المتقدمه من العمل السياسى أن هناك مناهج سياسيه مختلفه عن سابقاتها تولد من رحم المرحله التاريخيه لتتوائم معها؛ فخلال مرحله البعثه المشرفه بطوريها المكى والمدنى كانت للسياسيين قواعد عمل يسيرون وفق منهجيتها، وكانت مشاريعهم تتحرك بشتى الاتجاهات وبآليات مختلفه؛ ولكنها تجتمع على هدف واحد وهو القضاء على الرساله وقتل الرسول، وكان مشروعهم السياسى فى هذ٥ الحقبه مقسماً إلى مراحل:

المرحله الأولى:

إضعاف الوهج النبوى وتقليل شأن شخصيه النبى فى الحياه العامه عن طريق إظهاره بمظهر الإنسان البسيط الساذج الذى لا يعرف أبسط قواعد الحياه مثل جهله بأن النخيل يحتاج إلى التلقيح لكى يثمر ويعطى رطباً، ولهم فى ذلك أحاديث وأحداث كثيره وجدت طريقها إلى كتب الصحاح والموروث الفكرى بعد أن كتبوا تاريخ الأمه وكتب صحاحها؛ وهم مازالوا إلى الآن يعملون بها لمجرد أنها وردت فى الصحاح لا أكثر، مع يقينى أنهم يرفضوهنا فى دواخلهم، وقد جاء فى سؤال وجهه أحدهم إلى مركز الفتوى السعودى ومفاده: أنى قرأت من حديث طويل فى أحد الكتب للرسول صلى الله عليه وآله قوله: ((أنتم أعلم بأمور دنياكم)) ولم أجد سنده.. فإذا كان هذا الحديث صحيحا فما هو مقصده الشرعى وهل يجوز لنا أن نعممه على سائر الأمور الدنيويه لنا أو بعباره أخرى هل يمكن شرعا للناس الاجتهاد الفردى بناء على العقل فى أمور تنفعهم فى دنياهم؟.

فكان ردهم عليه: أما بعد: فإن ما ذكرته هو جزء من حديث صحيح، فقد أخرج

مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله مر بقوم يلقحون النخل فقال: لو لم تفعلوا لصلح،

قال: فخرج شيصاً((تمرا رديئا)) فمر بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا..

قال: أنتم أعلم بأمور دنياكم. كما نذكره ابن خزيمه فی صحيحه، وابن حبان فی صحيحه

وغيرهم بروايات مختلفه.

وقد بوب له النووی فی شرحه علی صحح ملم فقال: باب وجوب امتثال

ما قاله شرعاً دون ما ذكره صلى الله عليه وآله من معايش الدنيا علی سبيل الرأی. فذلک هو المقصد

الشرعی وهو عام فی سائر الأمور الدنيويه، فيمكن لكل فرد أن يجتهد فی أموره الدنيويه

الخاصه بما يناسبه وينفعه، فله أن يبنی داره – مثلأ- إلی أیّ جهه تناسبه، ويزرع مزرعته

بما يفيده. فلا دخل للشارع فی ذلک؛ اللهم إلا من ناحيه تقنينه للمسائل، مثل تحريمه

للإسراف أو التقتير أو الاضرار بالافراد ونحو ذلک من الأمور العامه التی تجری فی كل

المسائل تقريبا(۱) ولكننا نلحظ قباله هذه الفتوی الشامله وجود جماعه أخری من نفس

هذه الفئه تفتی ببطلان هذه الروايه، فقد أبطلها (ملتقی أهل الحديث)(۲) ولا أدری

۱- مركز الفتوی، الفتوی رقم: ۵۷۷۴۲. الرابط ۴۷۵۶۱

۲- بقولهم: يورد مسلم فی صحيحه عده روايات فی الموضوع أو الباب الواحد تكون الروايه الأولی هی التی علی شرط الصحه، أما ما يأتی به بعدها فی نفس الباب فلمجرد الزياده والاستشهاد مع أنها بأسانيد ضعيفه أحيانا كما أنه كان يرتب روايات الاستشهاد ترتيبا نازلأ فيجعل أضعفها فی آخر الباب. فإذا كانت الروايات الآتيه بعد الروايه الأولی موافقه للروايه الأولی فی بعض الجمل أو العبارات كانت هذه العبارات هی محل الاستشهاد، وأما ما كان فيها من عبارات ليست فی الروايه الأولی فلسيت محلا للاستشهاد ولا يحتج بها لأنها ضعيفه أحيانا. بل تكون أحيانا موضوعه يجزم بنفی نسبتها إلی النبی ويجزم بأنها إنما نسبت إليه من قبل بعض الرواه كذبا أوخطئاً. فعند الرجوع إلی هذا الموضع فی صحيح مسلم، نجده يروی بسنده حديث النبی صلی الله عليه وآله فی الروايه الاولی الصحيحه، وليست فيها هذه العباره (أنتم أعلم بأمر دنياكم) ولا حتی فی الروايه التی بعدها ولم ترد هذه العباره إلا فی آخر وأضعف روايه فی الباب وهی روايه ضعيفه الإسناد لا يحتج بما جاء فيها من عبارات زائده. وحتی إذا

افترضنا أن إسنادها يظهر عليه الصحه فإنها تكون حين إذ روايه شاذه والروايه الشاذه مردوده عند علماء السنه. إذن، هى روايه معلوله المتن من جانب وشاذه أو منكره من جانب آخر. الروايه الاولى صحيحه الإسناد فهى بعد ذكر مسلم لإسناده كالتالى: ((عن موسى بن طلحه عن أبيه قال مررت مع رسول الله صلى الله عليه واله بقوم على رؤوس النخل فقال ((ما يصنع هؤلاء)) ((فقالوا يلقحونه يجعلون الذكر فى الأنثى فيلقح، فقال رسول الله صلى الله عليه واله ((ما أظن يغنى ذلك شيئا)). قال فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقال ((إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإنى إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإنى لن أكذب على الله عز وجل)) ينظر: أهل الحديث، الرابط: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthead.php?t=١٥٨٤٦

أيهما على خطاء.!

وفى أكثر من مناسبه قللت السياسه الدنيويه من قيمه النبى صلى الله عليه وآله وآله ولاسيما

يوم وضعتهم فى كفه موازيه للكفه التى وضعت فيها السياسيين القاده وربما نافت

كفه السياسيين عليهم؛ لكن الله سبحانه يأبى للشر أن ينتصر ويأبى للحقيقه أن تبقى

مغيبه فأوكل أمر إماطه اللثام عن المستور للمؤمنين من المسلمين والعقلاء من غيرهم

وها هو أحد العقلاء من غير المسلميين يفند منهج السياسيه الدنيويه المتحيز ويكشف

مستورها وهو عالم الفلك والرياضيات والمؤرخ (مايكل هارت) الذى قام بالبحث فى

التاريخ عن الرجال الاكثر تأثيراً على البشريه وأحصى منهم آزوس - أرسطو - بوذا

— كونفوشيوس — هتلر - أفلاطون — زرادثت — وأدرجهم بكتاب أطلق عليه اسم

(الخالدون مائه) أو (القمم مائه) وقام بترتيب تفوقهم من حيث تقييم درجه التأثير

وقيمته فوضع نبينا الكريم الرسول محمد صلى الله عليه وآله بالمرتبه الاولى، والنبى عيسى فى المرتبه

الثالثه والنبى موسى عليه السلام فى المرتبه الأربعين، وعلل سبب تفضيله النبى محمداً على غيره من الأنبياء والمفكرين العظام: بأن محمد صلى الله عليه وآله لعب دورا فى ازدهار الإسلام يفوق فى أهميته كثيرا ما قام به السيد المسيح عليه السلام ازدهار المسيحيه لآن ازدهار الأخره يعود إلى القديس بولس الذى يعتبر المطور الأصلى للاهوت المسيحى والناشر الرئيس للمسيحيه ومؤلف قسم كبير من العهد الجديد. بينما يعتبرمحمد صلى الله عليه وآله المسؤول عن العقيده الإسلاميه بجانب خلقه الأساسى ومبادئه الأخلاقيه. فضلا عن أنه لعب الدور الرييس فى الدعوه للدين الجديد، وفى تأسيس التطبيق الدينى للإسلام؛ أما شرف تأسيس المسيحيه فيجب تقسيمه بين المسيح عليه السلام والقديس بولس. بل ويعتقد (هارت) أن بولس هو المؤسس الحقيقى للمسيحيه.

المرحله الثانيه:

إبراز وتعظيم شخصيات محسوبه على السياسيين لتقف قباله الشخصيات العظيمه التى رفعها الإيمان إلى الدرجات العلى؛ من خلال الإدعاء بأن خيار المجتمع الجاهلى القديم هم خيار المجتمع الإسلامى الحديث استنادا إلى حديث موضوع يقول:

((خياركم فى الجاهليه خياركم فى الإسلام، والحديث رواه ابن حبان مرفوعا: ((أنبأنا محمد بن الحسن بن الخليل بنسا، حدثنا أبوكريب,، حدثنا عبده بن مسليمان، عن عبيد الله بن عمر، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريره، قال: قيل: يا رسول الله، أىّ الناس أكرم؟ قل: أكرمهم عند الله اتقاهم ٠ قالوا: ليس عن هذا نسالك. قل:فعن معادن العرب تسألوننى؟ قالوا: نعم. قال: خياركم فى الجاهليه خياركم فى الإسلام إذا فقهوا)(١)

وأخرجه القارى عن أبى هريره))(٢)

۱- روضه العقلاء ونزهه الفضلاء، محمد بن حبان البستی أبو حاتم، حدیث رقم ۸۵

۲- مرقاه المفاتح شرح مشکاه المصابیح، علی بن سلطان محمد القاری، ج ۷، ص: ۳۰۶۸ باب

المرحله الثالثه:

اعتراضهم للمشروع الرسالی الهادف إلی وضع ضوابط العمل والإداره أثناء وبعد

موت النبی وبعملین کبیرین لا یمکن أن یصدرا من عقل لا یجید فن السیاسه إجاده

تامه؛ وهنان العملان هما:

۱ . إبطال العمل بالسنه النبویه ومقوله: ((حسبنا کتاب الله)) فی القصه التی أوردها

الشهرستانی فی الملل(۱) وأوردتها مئات المصادر التأریخیه والحدیثیه الأخری بما فیها

صحیح البخاری وصحیح مسلم، وهی قصه طلب النبی صلی الله علیه وآله ورقه وقلماً لیکتب لهم ما

لن یضلوا بعده أبداً، وکیف أن مسلمه طلب الأدواه للکتابه التی تکرر وقوعها من قبل

مئات المرّات حتی بلغ عدد الکتب التی کتبوها له ونجت من الضیاع والتلف ووصلت

إلینا أزید من ۳۱۶ کتابا، وما ضاع منها ولم یصل إلینا أکثر من ذلک بکثیر، وکان کتّابه

الذین ینوف عددهم علی الأربعین(۲) یستجیبون لها فورا، کیف أن هذه المسلمه وجدت

فی ظرف تأریخی حاسم وحساس من یعرقلها ویمنع النبی من الکتابه؛ فلا ینبری من

کتّابه علی کثرتهم من یستجیب لطلبه، لیکتب له ما کان یرید توضیحه، ولا یسأله أحد

عام کان یرید أن یکتب!

۲ . نجاحهم بمنع بعث أسامه من التحرک وتعطیل سیره إلی أن توفی النبی، ومن

ثم وبعد حسم مسأله الخلافه التی بسببها أراد النبی تسییر البعث؛ أسرعوا بدفعه بالقوه

للخروج من المدینه لکی لا یخرج من بین جنده من یعترض علی ما حدث. فقصه جیش

المفاخره والعصبیه، حدیث رقم ۴۸۹۳ .

ص :۶۹

۱- الملل والنحل، الشهرستانی،ج ۱، ص۱۳-۱۴

٢- قال الحلبی فی السیره: فقد ذکر بعضهم أن کتّابه صلی الله علیه وآله کانوا سته وعشرین کاتبأ.. وفی السیره للعراقی: أنهم کانوا اثنین وأربعین، ینظر: مکاتیب الرسول،علی بن حسین علی،ج ١ ،ص٢٢

أسامه الذى أوعب فيه النبى صلى الله عليه وآله وباعتراف أعم المؤرخين وجوه الصحابه وكبارهم من المهاجرين والأنصار بما فيهم أبو بكر وعمر وابن عوف وطلحه والزبير، وألحّ النبى صلى الله عليه وآله على تسييره برغم شده وجعه، بل ولعن من تخلف عنه(١) هى مسلمه أخرى سبق أن تكرر وقوعها منذ معركه بدر الكبرى؛ وقبلها وبعدها عشرات المرات، كيف تمت عرقله تنفيذها وأرجئ تسيير الجيش إلى ما بعد موته، ولحين انتخاب خليفه جديد ليتوب عنه فى قياده الأمّه!

المرحله الرابعه:

المواجهه: وهى بدايه المواجهه الفعليه التاريخيه بين الخطين والمنهجين يوم تفرغ الخط الأول لتجهيز النبى وتغسيله وتكفينه وتهيئته للدفن؛ وهرع الخط الثانى إلى سقيفه بنى ساعده لاستباق الحدث والهيمنه بالقوه على مقاليد الأمور.

المرحله الخامسه:

الإعداد المرحلى لتولى السلطه عن طريق تهيئه الأجواء واستغلال الفرص لبناء قواعد الانطلاق بكل ما أوتى المشتغلون بالسياسه من صبر وجلد ومطاوله. ومع بدء هذه المرحله تغير المنهج السياسى وبدأ التخطيط الجدى للحسم.

١- ينظر: النظم الاسلاميه الدكتور صبحى صالح ص ٧٩

السیاسه و الدوله

هنا قد یقول قائل: إذا کان العرب بهذا المستوی الرفیع من الإدراک السیاسی، فلم لم یتجحوا لا فی الجاهلیه ولا فی صدر الإسلام فی تأسیس نظام سیاسی عربی له قدره بناء دوله موحده، کما هو الحال فی زمن الأمویین مثلا؟

وأقول جوابا: لأن التظام القبلی الذی کان أبناء القبیله یرون فیه ضماناً أکثر من ضمان النظم الأخری هو الذی خلف حاله التفکک السیاسی الذی حال بدوره دون تجمعهم لإنشاء نظام دوله. فضلًا عن ذلک یتبین بوضوح أن النزعه القومیه لم تکن واضحه الملامح فی ذلک المجتمع، بل کانت النزعه العصبیه القبلیه هی الأقوی، ومع ذلک (نجد النظام القبیی ینبری لیکون دعامه الحیاه السیاسیه فی الممالک العربیه والإمارات التی قامت فی جنوب جزیره العرب وفی حوارض الحجاز والإمارات العربیه فی تحوم الشام والعراق)(۱)فبدا جهدهم فطریاً بعیداً عن العلمیه وفی منتهی البساطه، فأوهم الکثیر من الباحثین الذین وصفوا الحراک السیاسی بما یدل علی فطریته: (إن هذه الصور من النزاع لم تکن إلا نماذج لبعض المنازع الفطریه البشریه)(۲) مع أن الحراک علی بساطته یؤکد بما لا یقبل الشک أن العمل السیاسی العربی یمتلک جذورا علمیه وعملیه تحولت إلی موروث ثقافی وخیره متراکمه انتقلت إلی الأبناء والأحفاد، بل تجد الأوائل أنفسهم بعد أن اعتنقوا الإسلام وعملوا فی صفوف الدوله الإسلامیه ینجحون من

۱- ینظر: التأریخ السیاسی والحضاری للدوله العربیه، السید عبد العزیز سالم، ص ۱۱

۲- النظم الإسلامیه،مصدر سابق، ص ۸۴

خلال العمل السياسى فى إحداث تغيير لا يقدر على التخطيط له وتنفيذه إلا العقل السياسى الجبار المتمرس.

وفضلًا عن ذلك خذ مثلًا، تمكنهم من تعيين ثلاثه من الخلفاء الآربعه وقتل الأربعه واحدا تلو الآخر، وهو ما قال عنه إبراهيم بيضون فى حديثه عن قتل الخليفه عمر: ((إن الفئه المتهمه بأنها حاكت مؤامره الاغتيال من المفترض أيضا أنها نسجت بإتقان مشابه شخصيه البديل بما يتوافق والحوافز المحركه لهذه الفئه التى جمع بينها الموقف المشرك من الخليفه، دون أن تكون بجميع عناصرها منتميه إلى اتجاه سياسى واحد))(۱)

وهذا الرأى ليس يتيام بالتأكيد؛ إذ تماهى معه الدكتور صبحى الصالح فى حديثه عن الخليفه عثمان بقوله: ((فإن عثمان لم ينتخب بإجماع ولا شبه إجماع، ولم ينتخبه الخليفه، ولم يكن ليرز على الناس أو يظهر بعلمه كعلى أو حزمه كعمر أو سياسته كأبى بكر، وإنما أعانه على تولى الخلافه أمويته وقرشيته))(۲)

ومع أنى أتحفظ فى قسم من هذا الرأى إلا أنه من حيث المضمون يؤكد وجود قوى متعدده مسيطره متسلطه متحكمه كانت تتحكم بمسير الأحداث وتوجهها إلى الجهه التى تريدها؛ أما تحفظى فهو وليد الواقع القديم، فالمعروف أن هناك قوى أخر لم تكن بأقل من هذين العاملين ولكنها لم تنجح فى دفع رجالها إلى سده الحكم كما فعل السياسيون وهم الذين وصفهم النص بالأمويين القرشيين.

إن فى موروث العرب المسلمين الأوائل الكثير من الإلماعات السياسيه الناهضه والمتطوره، منها على سبيل المثال لا الحص أن الحرب الإعلاميه المصاده فن لم يعرف

۱– من دوله عمر إلى دوله عبد الملك، الدكتور إبراهيم بيضون، ص ۹۶

٢- النظم الإسلاميه، نشأتها وتطورها، الدكتور صبحي الصالح، ص ٩٠

ولم يوظف فى الحروب بشكل علمى إلا فى أربعينات القرن الماضى وتحديداً فى الحرب

الكونيه الثانيه، وبعد أن تطورت وسائل الاتصال وطرائق نقل المعلومه لمسافات كان

الوصول إليها مستحيلاً، بما فيها المواقع خلف خطوط العدو، حيث استخدم الراديو

ذلك الاختراع الجديد المدهش، والطائرات تلك الآلات المحلقه ذات القدرات الكبيره

لبث الأخبار الكاذبه وتوزيع المنشورات المحرضه والمثبطه للعزائم. لكننا نجد الفكر

السياسى العربى القديم فناناً مبدعاً ومبتكرًا فى توظيف هذا الفن بأرقى صوره برغم

ضعف الإمكانات المتاحه، ونجد لهم فيه وقائع كثيره تدل على عبقريه نادره، من أمثلتها

ما نقله اليعقوبى عن استخدام لخليفه الأموى معاويه بن أى سفيان لهذا الفن فى حربه

مع الإمام حسن عليه السلام، فقال: (اوكان معاويه يدس إلى عسكر الحسن عليه السلام من يتحدث

أن قيس بن سعد قد صالح معاويه وصار إليه! ويوجه إلى عسكر قيس من يتحدث أن

الحسن عليه السلام قد صالح معاويه وأجابه))(١)

وضمن التوجه الإعلامى المضاد سه وجه معاويه وفدا إلى الحسن بن على عليه السلام

يتكون من المفيره بن شعبه وعبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن أم الحكم،

وأتوه وهو بالمدائن نازل فى مضاربه، ثم خرجوا من عنده وهم يقولون ليمعوا الناس

ويوهمونهم: إن الله حقن بابن رسول الله الدماء، وسكن به الفتنه، وأجاب إلى الصلح!

فانخدع الناس واضطرب العسكر ولم يشكك الناس بصدق هؤلاء الكذابين؛ لأن

الحسن عليه السلام. لم يكن قد وافق على الصلح فى حينه، فانتهبوا مضاربه وما فيها.(٢)

وخذ مثلًا اعراف أبى سفيان بأنه ومن معه كانوا يسعون منذ زمن طويل للاستيلاء

على السلطه، هذا الاعتراف الخطير الذى نقله المسعودى، يقوله: ((وقد بلغ عمار حين

١- تأريخ اليعقوبى ج ٢ ن ص ٢١٤

٢- ينظر: تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢١٥

بويع عثمان قول ابى سفيان فى دار عثمان عقيب الوقت الذى بويع فيه عثمان وقد دخل داره ومعه بئو أميه، قال أبو سفيان: أفيكم أحد من غيركم؟ وقد كان عمى. قالوا: لا. فقال: يا بئى أميه تلقفوها تلقف الكره فوالذى يجلف به أبوسفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثه.

ونما هذا القول بين المهاجرين والأنصار، فقام عمار فى المسجد [خطيباً] فقال: يا معشر قريش، أما إذا صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم، ههنا مره، وههنا مره فما أنا بآمن من أن ينتزعه الله منكم فيضعه فى غيركم، كما نزعتموه من أهله ووضعتموه فى غير أهله))(١)

ومن هذا الاعراف الخطير تدرك مقدار وسعه إطلاعهم السياسى وتنوع طروحاتهم ورؤاهم، فأبو سفيان نفسه الذى استشف من تداعى الأحداث بعد تعيين ابى بكر خليفه فى مؤتمر السقيفه أن المعارضه الأنصاريه هزمت، وهزم السياسيون معها، ويتوجب البحث عن قوه معارضه شديده لتتولى التغيير أو مجرد االعتراض لكى تنشب الفتنه أظفارها فى المجتمع؛ هو من ذهب إلى الإمام على بن أبى طالب عليه السلام؛ وقال له: ابسط إلى يدک حتى أبايعک!! فرد عليه الإمام عليه السلام بشده؛ وقال: إنک والله ما أردت بهذا إلا الفتنه، والله طالما بغيت الإسلام شرًا، لا حاجه لنا فى نصيحتک)(٢)

بالمناسبه هناک العديد من المكائد التى أطلقها أبو سفيان، ومنها انه لما سمعت هوازن بفتح مكه المكرمه جمعها مالک بن عوف مع ثقيف كلها، ونصر، وجشم كلها، وسعد بن بكر، وبنى هلال، لحرب الإسلام. وكان النبى صلى الله عليه و آله حينها فى مكه بعد أن

١- المسعودى، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٥١

٢- ينظر: تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ١٢٦

افتتحها؛ فلما سمع بهم النبى خرج بعشره ألاف من المسلمين وألفين من أهل مكه الذين أسلموا بعد الفتح، وحينما دخل الجيش وادى حنين انقض عليهم الأعداء الكامنين فانهزم المسلمون ورسول الله يناديهم: لآهلموا إلى، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله)). ولم يبق معه إلا أهله ونفر من المهاجرين، وهنا أظهر أبو سفيان بن حرب ما به من ضغن(١) للإسلام مع أنه كان مسلماً فقال شامتاً ومستهزئاً: لا تنتهى هزيمه المسلمين دون البحر، وإن الأزلام لمعى فى كنانتى(٢)، بمعنى انه اعرف بالكفر، فالعقل يقول أنه كان كافراً، والقرآن كذلك لأن مجرد أحتفاضه بالأزلام فى كنانته وهى رجس كما فى قوله تعالى:(أنما الخمر پ الميسر و الانصاب و الازلام رجس من عمل الشيطن فاجتنبوه)يعنى أنه يرفض اجتنابها لأنه يؤمن بها.

التنقل عبر و الخطوط

فضلا عن ذلك تجد السياسيين خلال تلك الحقب يتنقلون من جهه إلى أخرى ومن اتجاه إلى آخر بشكل يدعو إلى التعجب، لأن الذين شخصوا هذه الحاله لم يكن لديهم تصور عن حجم هذا الحراك السياسى والغايه منه؛ مع أنه يدل على ذكاء سياسى متقد واندكاك فى دنيا السياسه بلا حدود. خذ مثلاً: اصحابيين طلحه والزبير اللذين ذهبا إلى على ليبايعاه خليفه؛ ثم تجدهم بعد أيام معدودات تخرجون لقتاله فى حرب الجمل. وخذ مثلاً يعلى بن أميه والى عثمان الذى سرق بيت مال المسلمين بعد مبايعه على ثم تبرع بقسم كبير منه إلى جيش الجمل؛ تجده بعد حين فى صفوف جيش على مقاتلاً فى صفين ضد معاويه وأهل الشام المعادين لعلى، بل وتجده قتيلاً فيها أيضًا (٣) حيث تقول الروايه

١- اضغن:العداوه والكره

٢- السيره ٤/ ٧٧

٣- ينظر:الكامل لابن الأثير ج١٣، ص ٣٠١

إن: يعلى بن منيه(١) عامل عثمان على صنعاء تحرك فى أحد اتجاهات التآمر فيبادر إلى سرقه

أموال بيت المال فى اليمن بعد مبايعه الإمام على مباشره واللجوء إلى مكه والتحصن

فيها، فلما التقى بطلحه والزبير بعد قدومهم إليها أعانهما بأربعمائه ألف، وحمل سبعين

رجلًا، واشترى لعائشه جملًا بثمانين ديناراً (٢) وفى روايه ابن الأثير فى الكامل: ((وجهزهم

يعلى بن منيه بستمائه بعر وستمائه ألف درهم))(٣) وفى روايه اليعقويب:((وقدم يعل بن

منيه بمال من اليمن قيل إن مبلغه أربعمائه ألف دينار فأخذه منه طلحه))(٤)

كل ذلك لكى يشجعهم على المضى فى مشروعهم لإضعاف حكومه على من جانب

والتخلص منهم، بوصفهم منافسين محتملين، من جانب آخر. لكن الغريب جدًا والمحير

للفكر، بل ما يشل التفكر كليًا ويعطل الحواس هو أن تسمع بوجود يعلى بن منيه بعد

هذا التأريخ فى صفوف جيش على مقاتلاً فى صفين ضد معاويه وأهل الشام المعادين

لعلى، بل وتجده قتيلًا فيها أيضاً (٥) فكيف تحول من الغرب إلى الشرق؟ ولماذا؟ وتحت

أى دافع؟ أليت هذه الواقعه وهذا الحضور من الأسرار التأريخيه المحيره الكبرى؟

هل كان يعلى بن منيه مع جيش الخليفه على عليه السلام لتنفيذ بعض صفحات المؤامره

مثلًا، أم أنه أحس بخطئه فتاب وطلب الغفران من خلال المشاركه مع جيش الخلافه

الشرعيه، وقتال أعدائه؟ وإذا كان علياً للمتآمرين ضمن صفوف جيش على وما أكثرهم

كما يروى لنا التأريخ وتبين لنا الشواهد، فلم قتلوه؟ هل قتل بطريق الخطأ، أم لتصفيه

١- يعلى بن منيه: كان يسمى باسم أمه منيه أما أسم ابيه فهو أميه ولذا يرد فى بعض الأحيان تحت اسم يعلى بن أميه

٢- ينظر: الجفر والفتن، ص ٣٠

٣- الكامل، ابن الأثير، المجلد٣،ص ١٧٨

٤- تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ١٨١

٥- الكامل لابن الأثير ص ٣٠١

الحساب؟ أي: للتخلص منه بوصفه تاجرًا صاحب حق تبرع لهم بماله، ويحب أن

يحصل مقابل ذلک على حقه وأرباحه ومردود تجارته، فجاء قتله لمنعه من إثاره المشاكل

للمتآمرين فی المستقبل!

وبعد أن أسهم الزبير بن العوام فی قتل جمع غفير من مسلمی أهل البصره الذين

كان يعتقد أنهم اشتركوا فی قتل عثمان، لم ينجح فی قتل (حرقوص بن زهير السعدی)

أحد رؤوس التآمر؛ الذی التجأ إلی عشيرته بنی سعد فمنعوه، وحرقوص يظهر فی هذه

اللقطه أحد الثوار الذی اشتركوا فی قتل عثمان، ولكنک تجده فی سنه سبع وثلاثين فی

الكوفه قرب علی عليه السلام، واحداً من أتباعه، ثم تجده بعد التحكيم يخرج مع زرعه بن البرج

الطائی ليكفر علياً وليقول له: (لا حكم إلآ لله) ويقول له: ((تب من خطيئتک وارجع

عن قضيتک)) ثم تجده بعد ذلک مقتولاً فی النهروان مع الخوارج الذين قاتلوا عليًا! (۱)

أبو موسى الاشعری كان والو لعثمان علی الكوفه حتی توليه الإمام علی الخلافه

وإلی تأريخ وقوع معركه الجمل وهو فی منصبه دون تغيير، فأرسل الإمام إليه كتاباً مع

محمد بن ابی بكر، ومحمد بن جعفر، فلما أمسوا دخل الناس علی أبی موسی؛ فسألوه

عن الخروج لمقاتله جيش الجمل؛ فثبط عزائمهم ومنعهم من الخروج؛ وقال: ((إنما هما

أمران: القعود سبيل الآخره، والخروج سبيل الدنيا فاختاروا))(۲)

وفی روايه أخری ذكرها اليعقوبی: ((ووجه (الإمام علی) الحسن عليه السلام وعمار بن

ياسر فاستنفرا أهل الكوفه، وعامله يومئذ علی الكوفه أبو موسی الأشعری، فخذل

الناس عنه))(۳) ومع ذلک نجد الأشعری بعد حين ضمن صفوف جيش الإمام علی عليه السلام

۱- ينظر: الكامل فی التأريخ، المجلد۳ص ۲۸۶

۲- الكامل فى التأريخ، مجلد۳ ص ۱۹۳
۳- تأريخ اليعقوبى؛ج ۲.ص ۱۸۱

فى صفين، فهل كان وجوده مخططاً له من لدن السياسيين المتآمرين؟ هل كان وجوده هناك من ضمن المخطط السياسى الكبير الذى أعده بطل السياسه العربيه الداهيه عمرو بن العاص الذى كان صاحب فكره التحكيم فى صفين، لكى يكون ممثلهم الخفى فى مباحثات التحكيم؟(١) وأرى أن الجواب بنعم على هذه الأسئله لا يجافى الحقيقه، فأبو موسى كان من الطامحين للسلطه، والباحثين عن الملك، ومعاويه نفسه شخص فيه هذه الصفه، كما فى الخبر الذى أورده الثقفى فى الغارات قال:((لما قدم معاويه النخيله أتاه أبو موسى (الأشعرى) وعليه جبه سوداء وبرنس أسود(٢) ومعه عصا سوداء. وعن محمد بن عبد الله بن قارب قال: إنى عند معاويه لجالس إذ جاء أبو موسى، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، قال: وعليك السلام. فلما تولى، قال: والله لا يلى هذا على اثنين حتى يموت))(٣)

وفى كل هذا التلون دلاله على التمكين والتطوير لا تجدها إلا عند كبار السياسيين، وفى ذلك دلاله على عبقريه السياسيين العرب، ولكن هل يستحق ذلك كله الفخر والزهو والتباهى بالمنجز الكبير بعد أن حقق انتصارات كبيره، أم التستر والكتمان والختل، ولماذا فضلوا الكتمان؟

التكتم على دور العرب السياسى

فضلا عن التنقل بين الخطوط تجد هناك التكتم الشديد على الدور الساسى، الذى لا يقل عجباً عن صاحبه حيث نجد أن التكتم الذى مورس تأريخيًا على دور العرب المسلمين السياسى أثر كثيرًا فى قرارات واستنتاجات من جاء بعدهم، ولاسيما منهم

١- تأريخ اليعقوبى، ص ٣١٦

٢- البرنس: قلنسوه طويله كان النساك يلبسونها ذلك الزمن

٣- ينظر:الغارات، ص ۴۵۱

الكتاب والمؤرخين، فاحتاروا بين أن تكون هناك برامج سياسيه عربيه ناهضه، وبين أن يكون العرب من الأمم التى كانت تجهل العمل السياسى، وما تأكد لى من خلال البحث والمتابعه أن المجتمع الإسلامى الأول عرف السياسه بكمال ألوانها وصيغها وألاعيبها ودناءتها وخياناتها ومؤامراتها، وأنه مارس العمل السياسى فعلاً و قولاً، وأجاد الصنعه وأحسن الفن بحيث نجح فى تمرير طبخات عظيمه دون أن يشعر بها المخالف أو يفضح أمره، وأنه نجح فى تغطيه هذه المؤامرات وعصبها برأس من لا ناقه لهم فيها ولا جمل لكى يبرئ نفسه منها، ويظهر بمظهر الحريص على الدين والحاكم الشرعى بأمره، ومن هذه الطبخات؛ مقتل الخلفاء الأربعه:أبى بكر وعمر وعثمان وعلى؛ وهو ثمن غال جدًا دفعته الأمه المسلمه، ودفعته العقيده مقابل سعى هؤلاء السياسيين إلى نيل المناصب التى كانوا يناضلون للحصول عليها. وإذا ما كان النبى الأكرم! قد عمل بجد للقضاء على الشحناء والأحقاد السياسيه التى شخص وجودها فى المجتمع الأول، ونجح فى كبتها وتحجيمها، فإن ما حدث بعد موته مباشره يثبت أن مجايله بعض أهل المدينه لعصر البعثه وجيل الصحابه لم يجوهر إيمانهم الحقيقى بالعقيده بقدر ما جوهر تطلعانهم السياسيه، ولذا نرى (أن جميع الأحقاد السياسيه التى كان النبى قد كبتها بنفوذه الأدبى لم تلبث أن ذرت قرنها)(١)

الأنساق السياسيه

فضلاً عن ذلك كانت هناك أنساق ومناهج سياسيه متباينه بعضها محلى موروث، والآخر وافد مكتسب اجتمعت سويه، لتؤيسس بادره الثقافه السياسيه الإسلاميه التى قادت الأمه. ومن خلال ما تحدث به المؤرخون عن النظام الإدارى العربى الإسلامى يتبين اكتساب العرب المسلمين للنظم الإداريه من الحضارات السابقه

۱- تأريخ الشعوب الإسلاميه، بروكلمان، ج ۱ ، ص ۹۸

(الفرس والروم)(١) ويتبين أنهم ورثوا عنهم أيضًا فكرهم ١السياسى بعد أن شذبوه من خصوصيته وأسبغوا عليه روحًا عربيه جعلته أقرب إلى أنماط حياه العرب القاسيه التى لا تزال روح البداوه سابته فيها منه إلى أصوله التى وفد منها، ومن أمثله إرثهم لمبادئ النظم الاداريه غير العربيه، تقسيم الخليفه عمر بن الخطاب الدوله الإسلاميه إلى ثمانى ولايات، فهذا التقسيم الادارى ليس من موروث الفكر العربى، ولا من بنات أفكار الخليفه، بل هو مأخوذ من النظم الإداريه السياسيه للحضارات الأخرى، كذلك يرى على حسنى الخربو طلى فى مسأله تشكيل القوه البحريه العربيه أول مره فى التأريخ العربى أن: (العرب كانوا فى الأصل مدينين للبيزنطيين فى هذه الناحيه من الفنون الحربيه)(٢)، وهذا لا يعنى أن المنظومه السياسيه العربيه كانت قاصره عن تحقيق غاياتها؛ فالعرب كانوا على قدر كبير من الفهم والتقدم الفكرى الذى جعلهم قادرين على تطويع واحد من أصعب العلوم المعاصره لخدمه قضاياهم، وتوظيفه للوصول إلى سده الحكم، ومنافسه من هم أكثر استحقاقاً، وأجدى نفعًا للدين والأمه، ألا وهو علم السياسه.

ولو كان الإداريون المسلمون قد اهتموا بشأن المنهج السياسى العرفى كما هو اهتمامهم بشأن الجانب المالى مثلاً; لكان لدينا اليوم خزيناً ثرياً وتصوراً واضحاً عن كل تلك الحراكات السياسيه؛ ولكنهم أغفلوا الإشاره إلى هذا الجانب بمعناه الحقيقى، وأشاروا إليه من خلال إلماعات تهتم بمسأله الدهاء و الخداع و غير ها من الطباع من دون أن يربطوا هذه الصفات بالسياسه، بالرغم من كونها من أوضح صفات السياسيين، ثم إنهم أسموا تلك الحراكات ب_(الفتنه)؛ وأنا أرى أن مصطلح الفتنه مأخوذ من الفلسفه السياسيه التى لم تكن قد أصبحت علماً قائماً بذاته فى ذلك التأريخ؛ فاستعاضوا عن كلمه

١- ينظر: الحضاره العربيه الإسلاميه، على حسنى الخربوطلى، ص ١٨

٢- الحضاره العربيه الإسلاميه،ص ٦٣

(سياسه) بكلمه مرادفه هى (فتنه) التى قصدوا بها الحراكات التى وقعت فى زمن عثمان تحديداً، وما تلاه من العصور الإسلاميه القريبه منه بدوافع سياسيه بحته وأغفلوا ما وقع قبل هذا التأريخ.

وللدكتور صبحى الصالح رأى ناضج؛ يقول فيه: ((وأمهات الكتب القديمه فى (النظم الإسلاميه) التى حملت اسم (الأحكام السلطانيه) لم يفتها الفصل بين تينك الزمرتين من النظم، ولكن ما اكتنف عباراتها من الغموض فى (أحكام) الفقيهين الماوردى (الشافعى) وأبى يعلى (الحنبلى) لم يتح لنا ولا للباحثين قبلنا الوقوف على الأطوار التأريخيه والأنماط الحضاريه والظروف البيئيه والجغرافيه التى مر بها كل نظام على حده من قبل أن يأخذ صيغته النهائيه (الرسميه) فى تعاليم الإسلام))(١)

وأرى أن هذا الرأى على قدر كبير من الصحه، ولكنه بالتأكيد لا يغطى كل جوانب الحقيقه، وإنما يغطى جزءاً منها، وجزءاً صغيرًا فقط؛ لأن التغييب المتعمد لأثر النظام السياسى، والذى كان جزءًا من العمل السياسى المنظم، هو المتسبب الأكبر فى هذا الغموض، وإلا فإن النظام السياسى بمفهومه المعاصر كان حاضراً و فاعلًا ومتحكمًا فى مسار الأحداث والتأريخ، وهو الذى شكل الخارطه السياسيه الإسلاميه بشكلها المعروف حالياً.

وكلما توغلنا فى الحديث عن تعامل العرب المسلمين مع متطلبات المرحله التى عاشوها بحسناتها وسيئاتها سوف يتضح لنا دور السياسه فى ترتيب البيت العربى الإسلامى وفق هواها، وفى مراحل ساخنه من هذا الحراك قادهم الهوى السياسى بعيدًا عن هوى الدين ومسؤولياته.

١- النظم الإسلاميه، د. صبحى الصالح، ص ٨

فضلًا عن ذلك يرى الدكتور عبد الرحمن العزاوى:((أن بدايات التدوين التأريخى عند العرب مرت بمراحل عبر القرون الثلاثه الهجريه الأولى، لكنها نالت فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى تطورًا فى المنهج والطريقه))(١) ويتبين من قول آخر للباحث أن هذا التأخير كان من أسباب وقوع المؤرخ المسلم فى مصيده الخلط التأريخى؛ حيث قال: ((فإن هذا الموضوع لا يمكن أن يدرك بالنسبه للقرون الثلاثه الأولى للهجره ولاسيما القرن الأول والثانى، وأنه لا يمكن التمييز بين التأريخ الحرف والمواد التى كانت تروى وتقص على أنها ماده صالحه من مواد التأريخ... وليس هذا بدعًا جاءت به العقليه العربيه؛ لأن الارتباك والصعوبه بين المواد التأريخيه الأصليه والأساطير قد مر على كل الأمم المثقفه التى شعرت بحاجتها إلى تدوين سيرها فلما شعرت هذه الأمم بالحاجه للتدوين صدمتها هذه العقبه))(٢)

والذى أراه أن الدكتور العزاوى حاول التغافل عن حقيقه الخلط التأريخى الذى وقع فى تأرخينا عند تأكيده الفارق الزمنى بين ساعه وقوع الحدث وتأريخ تدوينه وحده، ناسيًا أو متناسيًا أن هناك حقائق أخر أكثر منه أهميه أسهمت فى تشويه صوره تأريخنا، وكان بعض التشويه والإخفاء متعمدًا ومقصودًا أمهم فى وضعه المؤرخون والخلفاء ووعاظ السلاطين بأمر من السياسيين أنفسهم، لكى لا يعرف القادمون حقيقه ما وقع كما وقع، ويكتفون بما يجدونه فى روايات كتب التأريخ. وبالتالى تنوعت الروايات ومضامينها. وعلى العموم كان رأى الدوله و سلطانها هو النافذ وحجبت كل الآراء لأخر، فلم تجد لها مكاناً فى كتب التاريخ، ولكنها لم تمت وتتلاشى، وإنما بقيت فى عقول وصدور وقلوب فئه من الناس حافظوا عليها وتداولوها شفاها إلى أن حانت الفرصه

١- المنهجيه التأريخيه فى العراق، د. عبد الرحمن العزاوى، ص ٨
٢- المصدر نفسه، ص ٩

المؤاتيه فدونت وانتشرت، وحينها بدت للآخرين وكأنها غريبه لأنهم لم يألفوها من قبل، وهم الذين بنوا قناعاتهم وأحكامهم على ما تم تداوله وتدوينه من قبل، ولذا ليس غريباً أن تجد بينهم من ينكر وجود فكر سياسى عربى أو إسلامى، أو ينكر حدوث ما فى المدونات الجديده!

فمن السذاجه بمكان أن نعتقد خلو المجتمع الإسلامى الأول من العمل والفكر السياسى، فمن يبحث فى المصادر التى تناولت العصر الجاهلى لابد أن يجد إلماحات إلى دور السياسه فى ذلك المجتمع الذى سبق الإسلام، يجد ذلك حتى فى كتب الشعر والأدب، وقد نقل الدكتور محمد البهى عن كتاب الشعر الجاهل قول المؤلف عن عرب الجاهليه: ((وإذا كانوا أصحاب علم و دين، وأصحاب ثروه وقوه وبأس، وأصحاب سياسه متصله بالسياسه العامه، متأثره بها ومؤثره فيها، فما أخلقهم أن يكونوا أمه متحضره واعيه، لا أمه جاهله همجيه، وكيف يستطيع رجل عاقل أن يصدق أن القرآن ظهر فى أمه جاهله؟))(۱) كما ويجده فى تحرك سياسى بلباس اقتصادى لم يلتفت إليه المتخصصون، ولم يعطوه الأهميه التى يستحقها؛ ففى التاريخ أن هاشم جد النبى صلى الله عليه و آله ذهب إلى الشام وأتصل بحاكمها البيزنطى ((وسأله أن يعطى تجار مكه كتاباً يؤمن فيه تجارتهم وأنفسهم فاستجاب له الحاكم... ويظهر أن هاشماً أو عز لأخوته بأن يقوموا مع الدول المجاوره بالدور نفسه الذى لعبه فى الشام، نذهب المطلب بن عبد مناف إلى اليمن... ونهب عبد شمس بن عبد مناف إلى الحبشه... وكذلك حصل نوفل على ترخيص من الملك الساسانى كسرى، وبذلك طورت قريش بعد ذلك تجارتها وزادت

۱- الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاشعار الغربى، الدكتور محمد البهى،ط ۴ ،ص۲۱۳، عن كتاب الشعر الجاهلى، ص ۱۹۵

ثروتها))(1)

بل وتجد للمستشار محمد سعيد العشماوى فى حديثه عن مؤلفه قولاً يؤكد بما لا يقبل الشك وجود السياسه فى المجتمع العربى الجاهلى، جاء فيه: ((وإذا كان الكتاب يهدف إلى بيان أصول الخلافه وطبيعتها وحقيقتها فإنه يعرض إلى الأحداث التى انتهت به إلى أنها نظام سياسى، ولست نظاما دينيا وأنها تحتوى كل ألاعيب السياسه وكل دناياها وكل أخطائها وكل مساوئها وان وصفها بأنها (إسلاميه) لم يكن وصفا حقيقيا يفيد أنها انبنت على قيم الإسلام الأخلاقيه))(2)

لكن كيف تسنى للسياسيين إخفاء هذه الحقائق عن الناس، كيف نجحوا فى نزع جلدهم السياسى ولبس جلود دينيه أبعدت عنهم الشك؟ وهل يعنى ذلك ان مقدرتهم السياسيه هى التى مكنتهم من تبرئه أنفسهم من كل تلك المصائب بحجه انهم كانوا يريدون تصحيح الدين، أم ماذا؟

ص :۸۴

۱- ينظر: دراسات فى تاريخ العرب قبل الإسلام والعهود الإسلاميه المبكره، د. خالد العسلى، إعداد د. عبد السلام رؤوف، ص ۲۴- ۲۵

۲- الخلافه الإسلاميه، محمد سعيد العشماوى، ط۲، دار سينا، القاهره، ۱۹۹۲

الذين كتبوا التاريخ أخفوا حقائقه

أذكر مره أخرى بأن المدونات الإسلاميه والعربيه القديمه لم تكتب بأقلام محايده، بل كتبت بأقلام السياسيين والموظفين الحكوميين و وعاظ السلاطين، بل حتى الأحاديث النبويه جرحت وعدلت وفق نفس المنهجيه، ولذا تم تغييب الكثير من الحوادث والأحداث، بل والنصوص الصريحه، وتم تحريف القسم الآخر، فوصلنا ما اختاروه هم لا ما كان موجوداً، وما أرادنا النبى صلى الله عليه و آله أن نعرفه، وهؤلاء الذين تلاعبوا بسنه رسول الله وبالتاريخ كانوا من الموظفين عند السلطان والسائرين على نهجه، والمؤيدين لخطه، والنفذين لأوامره وخططه، وبالتالى كانوا يختارون ما يعجبه ويرضيه، ويخفون أو يحرفون ما لا يرضيه، وكان أحياناً يملى عليهم ما يكتبوه.! ومن هؤلاء الذين تلاعبوا بتاريخنا أسماء بارزه كان لها كبير الأثر فى تحريف الحقائق وصبغ تاريخنا باللون الذى أراده السياسيون، بعيداً عن لونه الطبيعى؛، ونجد فى ما نكره صاحب (تهذيب الكمال)(١) عن أحد الرواى الحديث وهو (حريز بن عثمان) الذى كان يشتم الإمام على بن أبى طالب عليه السلام علناً، عوضاً عن ذكر الله، و ممن اعترف بهذه الحقيقه المره الإمام أحمد بن حنبل الذى قال عن حريز:((إنه كان يحمل على على)) ولكن ابن حنبل لم يلتفت لهذه الخصله المعيبه فى تقييمه لهذا الراويه؛ فقال عنه: ((ثقه، ثقه، ثقه))، حريز الذى كان يتطاول على أول القوم إسلامًا يعده ابن حنبل ثقه بالثلاث، فما نوع الأحاديث التى سيوردها هذا الثقه؟ وأين ستوظف رواياته؟ وماذا ستثمر؟

١- تهذيب الكمال، الجزء الخامس، ترجمه ((حريز بن عثمان)) الحديث المرقم ١١٧٥

وهناک (الجوزجانی) وهومن أئمه الجرح والتعدیل المسؤولین عن توثیق أو تصدیق أو تسقیط او تضعیف الأحادیث النبویه؛ هو الآخر کان یجاهر ببغضه لعلی وأهل البیت عامه، فإذا مر علیه حدیث حریز وثقه حتی ولو کان مخالفاً لمنهج الرساله.

وقد حکم الذهبی وآخرون علی أن ابن إسحاق أحد أشهر کتاب السیره النبویه کان مدلسًا، وکان یدفع المال والقصص للشعراء لیضعوا فیها أبیاتاً ینسبها إلی المشارکین فی الحدث الذی یرید الحدیث عنه، وهناک من قال: إنه کان یأخذ من بعض الیهود. ومع ذلک جاء المتأخرون وأخذوا بما فی سیرته من مضمون اعتماداً علی ما أورده!(١)

فی جانب آخر نجد للدکتور الدوری قولاً جاء فیه: ((فالطبری مثلاً من مصادرنا الجلیله، ولکن نظره إلی ما کتبه عن صدر الإسلام تکشف لنا أننا أمام مجموعه من المؤرخین و غیر المؤرخین استند إلیهم الطیری، مثل أبی مخنف، وسیف بن عمر، وابن الکلبی، وعوانه بن الحکم، ونصر بن مزاحم، والمدائنی، وعروه بن الزبیر، والزهری، وابن إسحاق، والواقدی، و وهب بن منبه، وکعب الأحبار..إلخ.. وهم یتباینون فی الدقه والاتجاه والأسلوب، وفی طریقه الروایه، وکل منهم یحتاج إلی دراسه تأریخیه خاصه))(٢)

هکذا نشأ علم التأریخ العربی المدون بالتناقل الجمعی، وقد قال الدوری عن هذه الحاله: (ولنلاحظ هنا أننا إذا أردنا أن نتفهم تطور الکتابه التاریخیه یلزمنا أن نلحظ أن الدراسات حتی فی المغازی کانت أعمالا جماعیه، وأن فعالیات الأفراد تکون جزءاً من مدرسه، فکان کل واحد من حمله العلم یضیف دراساته وبحوثه إلی دراسات أساتذته

١- یراجع کتابنا (جزئیات فی السیره النبویه، عرض وتحلیل) للاطلاع علی آراء ١العلماء فی هذا الخصوص.

٢- نشأه علم التاريخ عند العرب، الدكتور عبد العزيز الدورى، ص ٩

وبذلك محفظ علم المدرسه التى ينتمى إليها)(١)

ولكى نعرف نتيجه هذا التكديس المعلوماتى التناقلى يجب أن نعرف بدايه نتفا عن سير بعض الرجال الذين كتبوا السيره والحديث والتفسير والمغازى والتاريخ، نعرف توجههم، تفكيرهم، علاقتهم بأهل البيت؛ لنعرف دوافعهم فى الكتابه، ومن هؤلاء فضلاً عن حريز والجوزجانى هناك:

١ . عروه بن الزبير (ت٩٤ -٧١٢م) كانت بعض كتاباته التاريخيه أجوبه مكتوبه عن أسئله وجهت إليه من البلاط الأموى.... أخذ عن عائشه ومن آل الزبير أسرته وكتب فى الحديث والسيره وعصر الخلفاء الراشدين وما سمى بحروب الرده ومعركتى القادسيه واليرموك(٢) علما بأن الزبيريين كانوا منحرفين عن أهل البيت، ومن المؤكد أنهم لا يرغبون بذكرهم ولا بذكر كراماتهم.

٢. شراحبيل بن سعد (ت ١٢٣ _٧٤٠م) مولى الأنصار ويكنى أبا سعد وكان شيخاً قديماً أخذ عن زيد بن ثابت وأبى هريره وش سعيد الخدرى وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعويم بن ساعده الأنصارى وزيد بن ثابت، واختلط واحتاج حاجه شديده، وله أحاديث وليس يحتج به(٣) قال عنه أئمه الجرح والتعديل الكثير وجلهم ضعفوه واتهموه بالخلط: قال أبو أحمد بن عدى الجرجانى: هو إلى الضعف أقرب، ومره: وفى عامه ما يرويه نكاره. وقال أبو حاتم الرازى: ضعيف الحديث. وقال أبو زرعه الرازى: فيه لين. وقال أبو عبد الله الحاكم النيسابورى: تابعى مدنى غير متهم. وقال أحمد بن شعيب النسائى: ضعيف. وقال ابن ش حاتم الرازى: عالم بالمغازى. وقال ابن حجر

١- نشأه علم التاريخ،الدورى، ص ٢١

٢- ينظر: المصدر نفسه، الدوري، ص ٢٠
٣- ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد،ج ٥،ص ٦٥ ١١٨

العسقلانى: صدوق اختلط بآخره. وقال الدارقطنى: ضعيف يعتبر به. وقال سفيان بن عيينه: لم يكن بالمدينه أحد أعلم بالبدريين منه وأصابته حاجه، فكانوا مخافون إذا جاء إلى الرجل يطلب منه الشيء فلم يعطه أن يقول لم يشهد أبوه بدراً. وقال عنه مالك بن أنس: ليس بثقه. ومحمد بن إسحاق المطلبى: تعجب ممن محدًث عنه، وقال: نحن لا نروى عنه شيئاً. وقال محمد بن سعد كاتب الواقدى: بقى حتى اختلط، واحتاج حاجه شديده وليس محتج به. وقال محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب: متهم. وقال محمد بن عبد الله بن البرقى: يضعف. وقال عنه مصنفو تحرير تقريب التهذيب: ضعيف، وماعلمنا أحداً وثقه سوى ابن حبان. وقال عنه يحيى بن معين: ليس بشيء ضعيف، وقال مره: ضعيف يكتب حديثه.

٣. الزهرى (ت١٢٤ ٧٤١م) لم يقتصر على روايه مغازى عروه بن الزبير ((وقد أخذ الزهرى جل مواده عن السيره من الحديث ولا تجد إلا أثراً بسيطاً للقصص... تناول بالدرس عصر البعثه والخلفاء الراشدين وانتقال السلطه إلى الأمويين))(١) والزهرى من المنحرفين عن على، وأخذ عن منحرف عن على، فكيف يكتب ولاسيما أن الروايات تذكر انه أجبر من قبل الأمويين على الكتابه كما يؤكد الدكتور الدورى(٢) فضلا عن ذلك نجد الشيخ الدكتور حارث الضارى(٣) بعد أن عدد أسماء الفرق فى عصر الأمويين تكلم كذلك عن موقف الزهرى منها فقال: إن كل فرقه من هذه الفرق كانت متلبسه بأكثر من ضلاله، إذ نهبت الشيعه كما رأينا إلى الحكم بتضليل جمهور

١- نشأه علم التاريخ، الدورى، ص٢٢. ٢٣

٢- المصدر نفسه، ص ٢٢

٣- رئيس هيئه علماء المسلمين السنه فى العراق التى تأسست بعد الاحتلال الأمريكى فى ٢٠٠٣

الصحابه... ومنهم من كفرهم جميعاً... ولما كانت هذه الفرق فى جملتها مخالفه لما عليه جمهور المسلمين من أهل السنه والجماعه الذين يتولون جميع المؤمنين ولا يتكلمون فيهم إلا بعلم وعدل، وكان الإمام الزهرى واحداً من أعلام الجمهور ومتكمميهم، كان حرياً به وقد عاصر هذه الفرق واطلع على كثير من بدعها وضلالاتها أن يتصدى لها ويندد بها ويفند آراءها، وهذا هو ما كان منه حيث وقف أمامها وندد بها... ومن مواقفه أمام فرق الضلال موقفه من الرافضه الذين ندد بهم وشبههم بالنصارى، فقد روى عنه أنه قال ضمن كلام: ولا رأيت قوما أشبه بالنصارى من السبأيه، قال أحمد بن يونس: يعنى الرافضه))(١)

وقد اعترف الضارى صراحه بالنهج السياسى للزهرى وارتباطه بالخلفاء الأمويين تحت عنوان(الإمام الزهرى والسياسه)، فقال:((بعد أن استقر الإمام الزهرى فى دمشق حوال منه مائه من الهجره وما بعدها شاع ذكره فيها، ونشأت له علاقات موده وتقدير مع بعض الخلفاء الأمويين... وكان أول من حظى بتقديره منهم الخليفه العادل عمر بن عبد العزيز... كما أن يزيد بن عبد الملك كان قد استقضاه مده من الزمن... ولما انتقلت الخلافه لهشام بن عبد الملك أمر كاتبين يكتبان عنه السنن، كما اسند إليه مهمه تأديب أولاده وتعليمهم وتوجيههم، ولعل أهم دور سياسى قام به الإمام الزهرى هو ما أشار به على هشام بن عبد الملك من خلع ولى عهده الوليد بن يزيد))(٢)

هؤلاء الثلاثه: شراحبيل بن معد، والجرجالى، والزهرى هم نإذج تم اختيارهم عشوائياً، وهناك المئات غيرهم ممن ساروا على نهجهم أو اشتركوا معهم، وهؤلاء الثلاثه كانوا يتعاونون ويضيف كل منهم ما يكتبه إلى ما كتبه من سبقه وجلهم اعتمدوا

١- نظر: الإمام الزهری وأثره فی السنه، حارث سلیمان الضاری، ص ٧٠- ٧١

٢- المصدرنفسه، ص٤٣

على القصص التى رواها كعب الأحبار و وهب بن منبه فضلاً عن روايات السياسيين ليحولوها إلى تاريخ. والقصص كما هو معروف فن أدخله اليهود إلى دوله الإسلام فى عهد الخليفه عمر ثم تحول إلى موروث شعبى وأدخل فى السيره والتاريخ، يقول الدكتور الدورى عنه: ((وكان وهب بن منبه اليمانى (ت ١١٠ ٧٢٨م) شيخ القصاصين، ألف وهب المغازى، أسلوبه نموذج من أسلوب القصاص فيه تصوير حاذق وفيه التمجيد وفيه الماده الأسطوريه... لقد اعتنى وهب بالإسرائيليات وهى قصص وأساطير العهد القديم... وقد جمع وهب القصص ما كان متداولا وبخاصه قصص كعب الأحبار (ت ٣٢- ٣٤ ه / ٦٥٢-٦٥٤م) ولم يكن وهب دقيقا بل لم يترفع عن الإدعاء بالكذب))(١) هؤلاء الثلاثه بعض من كتب الجزء الأهم من تاريخنا بسنته وحديثه وسيرته وتاريخه وهم جميعا إما منحرفون عن الخط العلوى أو سياسيون أو أبناء لسياسيين كبار، وبالتالى من غير المعقول أن يوردوا ما يسىء إلى تاريخهم الشخص والعائلى. وحينما جاء ابن إسحاق (ت ١٥١ ه / ٧٦٨م) ليكتب السيره أخذ عنهم فضلا عن مخترعاته الشخصيه الخاصه، ولذا قال عنه الدكتور الدورى: ((وينتقد ابن إسحاق (٢) لاعتماده على أهل الكتاب فى الروايه وإيراده كثيرا من الشعر الموضوع ولأخطائه فى الأنساب ولأنه لا يمحص مصادره ولأنه ينقل من كتب الآخرين مباشره، أى دون سماعها عن أصحابها))(٣) وفى مثل هذه الحال لا يستبعد التلاعب حسب الرغبه والاتجاه والتأثير السياسى والعصبى، ولذا قلبت المعادله، واستمرت مقلوبه إلى يومنا الحاضر، وباتت

١- نشأه علم التاريخ، الدورى، ص ٢٣-٢٤

٢- يراجع كتابنا ((جزئيات فى السيره النبويه)) فقد أوردنا أقوال أهل الجرح والتعديل فى ابن إسحاق وقصصا عن تلاعبه

٣- المصدر نفسه، الدورى، ص ٢٦

بحاجه ماسه على من يعدلها ويعيدها على طبيعتها الأولى.

لا يفوتنى أن أذكر أن هناك جانب مهم يجب الانتباه عليه وهو أن لمبانى فكر السلطه الحاكمه تأثيره على بنيه الأمه كلها ((فالمساله لا تقف عند حدود التواءات الرؤيه وأساليب النظر، بل تتجاوزها لترتبط بمبنى آخر هو مبنى السلطه الحاكمه فعجز الرؤيه وقصورها، وبالتالى فساد السياسات التى رسمت على ضوء هذه الرؤيه هو التعبير المباشر عن خلل أساسى فى بنيه السلطه الحاكمه وفى طبيعه القوى التى تتولى مقاليد أمور الأمه))(١) بمعنى ان امتزاج فكر السلطه مع الفكر الدينى أفسد السياسه والدين كلاهما، لأن ما كانت تبغيه السلطه يتعارض مع ما يبغيه الدين.

قلب المعادله

ثم أرى أن مجرد نجاح السياسيين المتآمرين فى قلب المعادله لمصلحتهم وإبعاد التهمه عن أنفسهم ولصقها بغيرهم وتثبيت ذلك فى كتب التاريخ، ثم نجاحهم أكثر من مره فى هذه المسأله بالذات، بل واستمرار العمل بها إلى الآن؛ يدل على وجود عقول سياسيه متمكنه فى ذلك المجتمع وفى ذلك التأريخ، وهذا العقل صمم مشروعه بدقه متناهيه خدعت عقول المتقدمين والمتأخرين؛ فصدقوا خدعه الجريمه الفارسيه فى قصه مقتل الخليفه عمر مثلاً، وتبنتها كتب التأريخ فى الوقت نفسه الذى غيب التأريخ أسماء المتآمرين الحقيقيين وصورهم وجنسياتهم وأصولهم لأسباب معروفه و واضحه.

وصدقوا كذبه أن الإمام على عليه السلام كافر منافق لا يصل، وأن معاويه حاربه لهذه الأسباب وليس لغيرها. ونسوا أن معاويه وكل حاشيته هم إما من الطلقاء أو المنافقين أو من اتباع الديانات الأخر. وصدقوا أن الإمام الحسن عليه السلام كان مشغولاً بالزواج والطلاق وتبذير

١- فى الاجتماع الإسلامى السياسى، الدكتور حسن الضيقه، ص ٤٥

الأموال عن متابعه رعيته، وأن معاويه حاربه وقتله بالسم لكى يريح الأمه منه، وينقذ النساء البريئات من سطوته.! وصدقوا بأن من اجتهد وأخطأ، حتى ولو تسبب خطؤه بمقتل آلاف الصحابه الكرام، يعطيه الله حسنه واحده. مقابل ذلك غيبوا الأثر الحسى للإمام الحسن عليه السلام وأظهروه بمظهر الضعيف المهزوم المشغول بمتعه الشخصيه وحب المال وكثره الزوجات. وفى هذا وغيره دلاله على أنهم كانوا فى منتهى الدقه من حيث الإعداد، والتخطيط، والتنفيذ، والمتابعه، والوصول إلى النتائج المتوقعه.

إن هناك الكثير من المؤثرات على أن النبى الأكرم والإمام على شخصا وجود السياسيين فى المجتمع، كذلك شخص الخلفاء وجودهم، فقد ذكر الباحث (لامنس) أن لخليفه عمر كان على إطلاع تام بأن بعض وجوه المجتمع الإسلامى كانوا يسعون إلى الخلافه، ويحاولون التسلط، ونجح بذكائه فى إفشال مخططاتهم، وقد نقل (هنرى ماسيه) رأى لامنس الذى قال فيه: إن ميزته (أى: لخليفه عمر) الرئيسيه التى لا تنكر هى منع الانفصاليين من التسلط))(۱)

ومن قبله كان أبو بكر قد شخص وجود سياسيين متآمرين يسعون إلى السلطه، وعرف أن هناك فى صفوف المجتمع العربى الإسلامى من ينظر إلى الخلافه بطمع كبير، ولو بشكل محدود له علاقه برشيح عمر للخلافه؛ حيث نقل لنا الطبرى ((عن صالح ابن كيسان عن عمر بن عبد الرحمان بن عوف عن أبيه أنه دخل أبى بكر الصديق فى مرضه الذى توفى فيه، فأصابه مهتمًا؛ فقال له عبد الرحمن مجاملًا: أصبحت والحمد لله بارئاً، فقال أبو بكر: أتراه، قال: نعم، قال: إنى وليت أمركم خيركم فى نفسى، فكلكم (ورم أنفه) من ذلك، يريد أن يكون الأمر له دونه، ورأيتم الدنيا قد أقبلت))(۲) ونقل

١- الإسلام، هنری ماسیه، ص ٥٩
٢- الطبری، ج ٢،ص ٥٩١

اليعقوبى فى تاريخه:((واعتق أبو بكر فى جمادى الآخره سنه ١٣ هجريه... ودخل عليه عبد الرحمن بن عوف فى مرضه الذى توفى فيه، فقال: كيف أصبحت يا خليفه رسول الله؟ فقال: أصبحت موليا، وقد زدتمونى على ما و أن رأيتمونى استعملت رجلا منكم، فكلكم قد أصبح ((ورم أنفه)) وكل يطلبها لنفسه(١)

أما تجاوز هذا التشخيص، ومن ثم تغييب ذكر السياسيين ومؤامراتهم فى تاريخنا منذ بدايه تدوينه وإلى الآن فقد كان جزءاً مهاماً من الحراك السياسى برمته. أما لماذا استمر هذا التصور المتحيز إلى الآن خلافاً لكمال التوقعات، وأقصد تصور البعض بأن ما وقع بين الخطين الدينى والسياسى كان صراعاً دينياً بحتاً، ولم تكن للسياسه علاقه به لا من قريب ولا من بعيد، ولم يكن هناك سياسيون حقيقيون فى المجتمع، فذاك ما يجيب عنه الدكتور صالح جواد الكاظم فى مقدمه ترجمته لكتاب (الروايه التأرخييه) لـ(جورج لوكاش) يقوله:((مع ازدياد الوعى بالحاضر يزداد الاهتمام بالتأريخ بوصفه خلفيه الحارض)) ولما كان جزء كبير من التأريخ الاسلامى خلفيه الحاضر الاسلامى المعاش وعلى المستويات كافه، وليد علاقه غير شرعيه بين رجل الدين السياسى ورجل الدوله السياسى حيث ((منذ فجر الخلافه جلس الفقيه فى معيه السلطان يصوغان لنا إسلامنا، إسلام يؤسلم ويكفر بحسب مدى التزام المواطن بالمذهب السيد الذى هو مذهب السدنه والسلطان وأولى الأمر، وطاعتهم أمر ربانى وفرض سماوى. ومنذ خرجت جيوش أبى بكر تحارب تاركى الزكاه تحت اسم الدين والصواب الدينى، أصبح معنى أن تخرج جيوش المسلمين لتحارب الكفار ((غير حروب الفتوحات)). إنها خارجه للقضاء على المعترضين أو المخالفين فى الرأى السياسى الذى تتم إحالته إلى الدين، حتى

۱- تأريخ اليعقوبى،ج۲، ص ۱۳۷

يتم الذبح والحرق والسبى باسم الدين، وليس لخلاف سياسى))(١)

فى كل هذا التاريخ كانت هناك نزاعات ومعارك وظلم وقهر وعسف تسبب به السياسيون، وكانت هناك مواقف جهاديه للعقائديين من الأمه هى التى تصدت لهذا التخريب وتحملت ما تحملت من أجل وقفه عند حده، وهو ما قال عنه حسن عبد الله:

((حرص الأمويون على أن يثيروها فتنه فطفقوا يذكون نارها كلما أوشكت أن تخمد... وحرص الهاشميون على أن يجعلوها أمنا وطمانينه فشمروا للحجه يريدون أن يقنعوا الناس. وما بين الفتنه والإقناع بالحجه ولدت المؤامره))(٢) ومن هذا النزاع كانت الأدوار السياسيه تتغذى حتى فى عصر البعثه.

ص :٩٤

١- مقال بعنوان (لكى لا يخدعنا بعضـهم: هل كان تأريخنا ماضياً سعيداً؟) للكاتب المصرى سيد القمنى نشر فى صحيفه المثقف (العدد: ١٤٠٩ الخميس ٢٠/ ٠٥/٢٠١٠)

٢- الاغتيالات فى الإسلام،حسن عبد الله، ص ۶۶

السياسه بعد عصر البعثه

مع انتهاء عصر البعثه تحقق للسياسيين العرب الذين أسلموا طوعاً أو كرهاً بعض ما كانوا يصبون إليه؛ فتغيرت خططهم ومشاريعهم بعد أن سيطروا على ساحه الإسلام بشكل شبه كامل، ولم يعودوا بحاجه إلا إلى بعض الترتيب، وهذا الرتيب فرضه وجود على ابن أبى طالب بينهم، فهم لم يغفلوا وجوده، بل كانوا يعدونه العقبه الوحيده التى تقف بطريقهم وتعترض مسيرهم؛ وكانوا على يقين بأن مشاريعهم لا تتحقق إلا بزواله وعزله وقتله، لأنه الامتداد الطبيعى لنبى الإسلام و لعصر الرساله، فوضعوا لهذه المرحله مشروعاً جديداً تطلب منهم صبراً طويلاً وجهداً كبيراً وتضحيات جمه وسفك دماء بريئه، وكان مشروعهم السياسى فى هذه الحقبه مقسماً إلى ثلاث مراحل متسلسله مترابطه فضلاً عن رغبتهم ببناء قواعد دوله موازيه لدوله الإسلام تأخذ على عاتقها جمعهم إذا فشلت مخططاتهم لأخر؛ فكانت دوله الشام الموازيه لدوله المدينه المنوره.

ترشيح و تنصيب و دعم و قتل الخلفاء

من مناهج هذه المرحله كان منهج تطويع من يتوب عن النبى فى قياده الأمه، لأن السياسيين لم يكونوا حينها مؤهلين لذلك؛ ففى هذه المرحله الخطيره نجد بأن مبايعه كل واحد من الخلفاء الثلاثه جاءت لتهيئه الأجواء للمرشح الذى يليه حتى من دون علم الخلفاء أنفسهم، لكى يعمل كل منهم على أداء دوره المرسوم له قبل الرحيل الذين يؤقتونه حسب متطلباتهم السياسيه، فهم الذين مهدوا الطريق للخلفاء، وهم الذين أزاحوهم من طريقهم. يقول إبراهيم بيضون عن عثمان: (اجاء إلى الخلافه وهولا يعرف

الكثير عن دور القوى الخفيه التى مهدت له الطريق (١)

ونحن لا نتكلم رجماً بالغيب حينما ندعى قتلهم للخلفاء؛ فالسياسيون العرب

هم المسؤولون عن مقتل الخلفاء الأربعه جميعهم، مثلما كانوا مسؤولين عن تعيين ثلاثه

منهم. ومجرد الإيمان بهذه الحقيقه يدلك على كبر المؤامره السياسيه التى كانت تتحكم

بالحياه العامه فى دوله الإسلام، ومقدار الوعى السياسى العربى، فهم بالتأكيد من:

•قتلوا لخليفه الأول بالسم وعصبوا الأمر برأس اليهود:

أورد الحاكم فى مستدركه عن داود بن يزيد الأودى قال:((سمعت الشعبى يقول:

والله لقد سم رسول الله وسم أبو بكر الصديق))(٢) وجاء فى حيثيات قصه السم هذه فى

حديث أخرجه الحاكم أيضًا عن ابن شهاب: ((أن رجلًا أهدى يومًا لأبى بكر صحفه من

خزيره وعنده رجل يقال له الحارث بن كلده، وعنده علم، فلما أكلا منها قال ابن كلده:

فيها سم سنه! فوالذى نفسى بيده لم يمر الحول حتى ماتا فى يوم واحد رأس السنه))(٣)

ولم نعرف من هو الرجل الذى قدم لهما السم، فقد غيب اسمه وكل ما يتصل به. فقط

المسعودى فى مروجه أشار إلى اليهود واتهمهم بالقتل بقوله: اوكان أبوبكر قد سمته

اليهود فى شيء من الطعام، وأكل معه الحارث بن كلده فعمى))(٤) ومنه أخذ الآخرون

هذا القول ونشروه، وربما يكون السياسيون أنفسهم من يقف وراء تلفيق مثل هذا الخبر

الغريب. أما الذين شككوا بصحه الخبر، ومنهم حسن عبد الله فقد عصبوا الجريمه

برأس المرتدين والمنافقين إما جهلًا، أو لغايات دفاعيه لها علاقه بالدوافع القديمه التى

١- من دوله عمر إلى دوله عبد الملك، ص ١٠٣

٢- المستدرك، الحاكم، ج٣، ص٥٩، الحديث رقم ٥_٩٩/٤٣٩

٣- المستدرک الحاکم، ص ۶۶، الحدیث ۹/۴۴۱۱

۴- مروج الذهب، المسعودی، ۲ / ۳۱۷

تكلمنا عنها، حيث قال حسن عبد الله: ا(هذا الخبر لا يمكن أن نطمئن إليه لأنه لم يكن

لليهود علاقات أو وجود مؤثر مع المسلمين فى عهد الصديق فقد أجل الرسول صلى الله عليه و آله

معظم اليهود من المدينه... لكن الأمر له علاقه بالمرتدين والمنافقين الذين كانوا يخالطون

المسلميين ويؤاكلونهم))(١) إن تبرئه اليهود قد تكون حقيقه لا لبس فيها، ولكن ماذا عن

المتهمين بالقتل من المرتدين والمنافقين؟ أليسوا هم السياسيون انفسهم الذين موه عنهم

المؤرخون بهذه التسميات لكى يخفوا دورهم؟ ثم كيف كان الزهرى واثقاً بأن الذى

قدم للخليفه وصاحبه الطعام المسموم كان رجلاً، لماذا لم يكن امرأه مثلاً لو لم يكونوا

على ثقه من قولهم، لكن أسأل: لماذا لم يحاسب القاتل، ولماذا أخفى أسمه، ومن المسؤول

عن ذلك؟

• قتلوا الخليفه الثانى غيله وعصبوا الأمر برأس الفرس:

وهم بعد أن هيأوا الخليفه الثانى للعمل وأعانوه وعاونوه لينفذ لهم مآربهم

وخططهم بالتناوب والتعاقب حتى من دون علمه خططوا لقتله ونفذوا خطتهم

وختلصوا منه وعصبوا الأمر برأس الفرس.

وفى جريمه قتل عمر هناك إشارات واضحه تدل على أن عمر كان منتبهاً للحراك

السياسى، وكانت الأخبار قد وصلته عن وجود مؤامره لقتله بالاشتراك مع أعاجم،

وربما لهذا السبب بادر إلى منع دخول الأعاجم إلى المدينه بعد أن أخرج غالبيه الموجودين

فيها، وينقل ابن سعد فى الطبقات الكرى قول عمر: ا(لا تجلبوا علينا من العلوج أحنا

جرت عليه الموامى)) وقد استمر هذا المنع زمناً، قال عنه السيوطى فى تاريخه: ((قال

الزهرى: كان عمر لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينه حتى كتب إليه المغيره بن

١- الاغتيالات فى الإسلام، حسن عبد الله، ص ٢٥-٢٦

شعبه)) ولكن السياسيين تمكنوا من خرق هذا المنع وإدخال أداه القتل إلى المدينه بموافقه عمر نفسه، كما أشار المسعودى فى مروجه إلى ذلك بقوله: ((وكان عمر لا يترك أحدًا من العجم يدخل المدينه، فكتب إليه المغيره بن شعبه: إن عندى غلاماً نقاشًا نجارًا احدًا من فيه منافع لأهل المدينه، فإن رأيت أن تأذن لى فى الإرسال به فعلت، فأذن له))(١)

ولذا نرى عمر بعد أن طعنه أبو لؤلؤه يأسف على تهاونه بهذا الشأن ويقول مقولته المشهوره:((ألم أقل لكم لا تجلبوا علينا من العلوج أحدًا، فغلبتمونى)) عمر الذى وصف بالشده والغلظه خياطب السياسيين ويقول لهم: ((فغلبتمونى)) فكم كانوا أقوياء وأشداء لدرجه إنهم حصروا الموضوع فى إطار ضيق جداً تداوله وروج له المؤرخون الأوائل؟

ولقد انتبه المؤرخون المتأخرون إلى حقيقه هذا الحراك بعد أن نجح السياسيون فى تحجيمه داخل دائره ضيقه بهدف تبرئه أنفسهم من جريمه القتل وعصبها برأس قوم كانوا يكنون لهم العداوه والبغضاء بسبب اختيارهم المذهبى لا أكثر، فقال إبراهيم بيضون: ((إن إقدام مولى كأبى لؤلؤه من تلقاء نفسه على اغتيال الخليفه، وأقوى شخصيات الدوله فى حينه، ربما كان خارجاً على القواعد المألوفه، وفى هذه الحاله لا تكون ثمه دوافع وجيهه وراء المتهم لاقتحام هذه المؤامره الجريئه، فى وقت لا يستطيع أحد ربط هذه القضيه بعوامل خارجيه))(٢)

وقال حسن عبد الله الذى اتهم فى بادئ الامر الفرس بتدبير مؤامره قتل الخليفه عمر: ((ويفيق الناس من هول الصدمه فإذا هم يتساءلون: من قتل عمر؟ أيقتله أبو لؤلؤه، لأنه لم يرفع عنه بعض ما فرضه عليه صاحبه المغيره بن شعبه من ضريبه؟ أيصلح

١- مروج الذهب للمسعودى ج١/ص٢٩٩

٢- من دوله عمر إلى دوله عبد الملك، إبراهيم بيضون، ص ٩٨

هذا سبباً؟)(١)

ولهذا السبب قال إبراهيم بيضون: ا(فإن الاتهام لابد أن يتجه إلى الفئه المستفيده من اغتيال عمر.... فقد لا يكون بعيدًا عن الاحتمال وجود (مؤامره) محبوكه الخيوط استهدفت الخليفه القوى))(٢) ثم أردف قائلا:((إن الفئه المتهمه بأنها حاكت مؤامره الاغتيال (اغتيال الخليفه عمر بن الخطاب) من المفترض أيضًا أنها نسجت بإتقان مشابه شخصيه البديل بما يتوافق والحوافز المحركه لهذه الفئه التى جمع بينها الموقف المشترك من الخليفه، دون أن تكون بجميع عناصرها منتميه إلى اتجاه سياسى واحد))(٣)

ولذا ما إن نضج مشروعهم حتى أدخل المغيره بن شعبه أبا لؤلؤه وأمره بقتل الخليفه، وخرجوا على الناس بقصه شورى السته التى أحسنوا لعبها وأجادوا تمريرها فعينوا من يريدونه خليفه جديداً، والدليل أن الخليفه عثمان بن عفان ليس أفضل الباقين ولم يتولى حكم الآمه بإجماع الأمه، أو كما يقول الدكتور صبحى الصالح: ((فإن عثمان لم ينتخب بإجماع ولا شبه إجماع، ولم ينتخيه الخليفه، ولم يكن ليبرز على الناس أو يظهر بعلمه كعلى أو حزمه كعمر أو سياسته كأبى بكر، وإنما أعانه على تولى الخلافه أمويته وقرشيته))(٤) ولقد تحكموا بقرارات الخليفه وتحكموا به على هواهم، فيقول اليعقوبى فى تأريخه: ((وكان الغالب عليه (أى على عثمان) مروان بن الحكم بن أبى العاص وأبو سفيان بن حرب))(٥)

ص :٩٩

١- الاغتيالات فى الإسلام،ص ۴۵

٢- من دوله عمر إلى دوله عبد الملك، بيضون، ص ٩٨

٣- المصدر نفسه، ص ٩۶، ويراجع كتابنا المعنون (نظريه فارسيه التشيع بين الخديعه والخلط التاريخى والمؤامره)

۴- النظم الإسلاميه، نشأتها وتطورها، د. صبحى الصالح، ص ٩٠

٥- ينظر: تأريخ اليعقوبي، جزء٢، ص ١٧٣

وبالتأكيد حقق تولى عثمان للسياسيين فصلًا مما كانوا يخططون له ويسعون إليه كما

فى قول شيخهم أبى سفيان بعد مبايعه عثمان للخلافه الذى عده إيذاناً بحلول عصر

الدوله الأمويه المرتقب، والذى نقله المسعودى فى مروجه وأوردناه من قبل.

• وقتلوا الخليفه الثالث ختلًا وعصبوا الأمر برأس الغوغاء:

فبعدما جاءت حركه الشورى وما رافقها من أحداث وتحركات مشبوهه بعثمان

إلى سده الحكم، دخل السياسيون والأقرباء من الطلقاء وأتباعهم تحت عباءته وسلبوه

مكانته، فسلمهم الحكم والدوله بكل مفاصلها على طبق من ذهب، فجازوه بالقتل على

يد من حرض الغوغاء لقتله والتخلص منه.

لقد رأى السياسيون أن ما حصلوا عليه فى حقبه خلافه عثمان يؤهلهم للاستيلاء

على السلطه قبل أن يموت الخليفه من تلقاء نفسه؛ فيستجد ما لا يريدون أن يحدث؛ أو

ما يعرقل مشروعهم الكبير، وكما هو ديدنهم استبقوا الآحداث وخططوا لقتله بدقه

و إحكام لكى يظهروا خارج الصوره؛ فإذا حدث ما ليس بحسبانهم- يهبون للمطالبه

بدمه. والحديث عن مقتل عثإن يثبت حقيقه الحراك السيامى بشكل كبر، ولذا سوف

نتوسع بالحديث عنه.

قتل الخليفه عثمان

حديثان أتمنى أن أكررهما فى كل صفحات البحث، الأول: حديث أحمد بن شهاب

الزهرى الذى يقول فيه:((ولى عثمان الخلافه اثنتى عشره سنه يعمل ست سنين لا ينقم

الناس عليه شيئًا، وأنه لأحب لقريش من عمر بن الخطاب، لأن عمر كان شديداً

عليهم))(١) فهذا القول يؤكد سعه اطلاع السياسيين وحسن تخطيطهم لأنهم أرادوا

١- رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، ص ١٥٧

من الآمه أن تنسى خشونه عمر؛ فتحب الخليفه الأموى وتنسى الحديث عما يقوم به ولا تهتم بالتفاصيل. ولقد عشنا فى العراق مثل هذ٥ التجربه مع السياسيين الدنيويين فحزب البعث بعد أن تجاوز مرحله التأسيس للنظام الذى يريده وتجاوز مراحل التقشف والإعسار المالى توجه إلى المواطن الفقر، فأباح له ما كان ممنوعا عليه بسبب التقتير الحكومى ذاته، فعاش أغلب الناس لا ينقمون على البعث بالرغم من جرائمه، ثم لما وصل إلى مرحله ظن معها أن لا أحد يقدر على زحزحته من مكانه عادت الشده بكل أنواعها!

السياسيون القدماء كانوا بعد أن تحقق لهم ما أرادوا وكبوا فى السنوات الست الآولى من خلافه عثمان ما كانوا يبحثون عنه؛ بدأوا صفحه التخريب فى السته الثانيه للسعى نحو النجوميه واللطه بتأليب الناس عليه ورفضه حتى يعلنوا اسم مرشحهم بدون اعتراض.

أما النقل الثانى فهو قول إبراهيم بيضون عن عثمان: جاء إلى الخلافه وهو لا يعرف الكثير عن دور القوى الخفيه التى مهدت له الطريق))(١) وهذا القول يؤكد أن السياسيين هم الذين مهدوا الطريق لعثمان لكى يستظلون بظله ويتفذون شروعهم أو الحلقات الأخيره منه. وقد تمثلت الحلقات الأخره ببسط نفوذهم الكلى على مقدرات الآمه، وسلب كل مواردها، وحرمان الناس من مصادر رزقهم، وهم بذكائهم السياسى وقدرتهم التخطيطيه وحسن استخدامهم للإعلام والدعايه نشروا بين الناس أن عثمان هو المسؤول عن جوعهم وعرهيم وظلمهم وإفقارهم.

بويع عثمان فى الثالث من المحرم سنه ٢٤ هجريه، وقيل فى آخر ذى الحجه سنه ٢٣

١- من دوله عمر إلى دوله عبد الملك، ص ١٠٣

هجريه وقتل آخر سنه ٣٥ هجريه. أما الطريقه التى تم بها انتخاب عثمان فتؤكد مقدار

الدهاء الذى يحمله السياسيون العرب وقوتهم التى مكنتهم من التحكم بالأحداث

لدرجه قتل وتنصيب الخلفاء، بما يؤكد سطوه السياسيين وحسن تخطيطهم. وهم كما

فعلوا فى كل مره كانوا فى هذ٥ المره قد برأوا أنفسهم من جريمه القتل وعصبوها برأس

غيرهم

فمن حيث تأليبهم عليه وتخطيطهم لقتله قال ابن الأثير فى تاريخه: ((كتب جمع

من أهل المدينه من الصحابه إلى من فى الآفاق منهم: إن أردتم الجهاد فهلموا إليه فإن

دين محمد صلى الله عليه وآله قد أفسده خليفتكم))(١) أما من هؤلاء الصحابه الذين أشار إليهم ابن

الأثير فلا يكاد يعرفهم أحد، ولم يكلف أحد نفسه عناء البحث أو مجرد السؤال عن

أسمائهم وسبب غصبهم على لخليفه وتأليب الناس عليه، وهذا شيء غريب جدا! وقد

يكون الطبرى أكثر تحديداً من غير ه لا بحديثه عن أسمائهم ولكن فى بحثه عن سبب

غصبهم، ولذا قال فى تاريخه: ((وكتب أهل المدينه إلى عثمان يدعونه إلى التوبه ويقسمون

لا يمسكون عنه أبدا حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله))(٢)

وكاد ابن عبد ربه الأندلسى أن يشر بوضوح وصراحه إلى أم المؤمنين عائشه على

أنها أحد المتآمرين على عثمان فى نقله لقولها لمروان بن الحكم لما طلب منها إصلاح أمر

عثمان مع الصحابه وعدم مغادره المدينه: ((ولعلك تظن أنى فى شك من صاحبك؟ أما

والله لوددت أنه مقطع فى عراره من عرائرى، وإنى أطيق حمله فأطرحه فى البحر))(٣) وأنا

استغرب ممن يعتقد أن مروان السياسى المتآمر كان يريد إصلاح الأمر بين الصحابه

...

١- تاریخ ابن الأثیر، مجلد ٣، ص ٦٥

٢- تاریخ الطبری، مجلد ٥، ص ١١٦

٣- تأریخ الیعقوبی، جزء٢،ص١٧٥ - ١٧٦

والخليفه وهو الذى كان مصراً على قتله والتخلص منه.

الطبرى فى مكان آخر من تاريخه نقل سؤالاً لعمرو بن العاص الذى كان حينها يسكن فلسطين، بعد أن خرج من المدينه بعد دخول الغوغاء وجهه لأعرابىّ مز بقربه استفسر فيه عن أخبار الخليقه عثمان، فأخبره الأعرابىّ أنه قتل، فقال عند سماعه الخبر شامتاً ومفتخراً: أنا أبو عبد الله، إذا حككت قرحه أنكأتها، إنى كنت لأحرّض عليه حتى الراعى فى غنمه فى رأس الجبل))(١)

ابن الأثير فى مكان آخر من تأريخه أشار إلى معلومه مهمه جداً يتضح من خلالها أن الخليفه نفسه كان يتهم بعض الصحابه بالتآمر عليه، حيث جاء فى قول أورده عن الخليفه عثمان فى طلحه بن عبيد الله مفاده: ((اللهم اكفنى طلحه فإنه حمل علىّ هؤلاء القوم وألّبهم، وإنى لأرجو أن يكون منها (أى: الخلافه) صفرا))(٢)

ولم يكتفى اليعقوبى باسم طلحه وحده و إنما أضاف إليه اسمين آخرين هما الزبير وعائشه كما فى قوله:وكان أكثر من يؤلب عليه طلحه والزبير وعائشه))(٣) وأورد خبراً يفيد أن الزبير بن العوام كان يحرض الغوغاء الذين حاصروا الخليفه فى بيته على الاسراع فى قتله، بقوله لهم: اقتلوه! فقالوا له: إن ابنك يحامى عنه بالباب! فقال: ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدئ بابنى!))(٤)

هذه المواقف العدائيه دفعت الخليفه عثمان إلى طلب النصره من ابن عمه معاويه وكما يقول الطبرى: فكتب عثمان إلى معاويه أما بعد فإن أهل المدينه قد كفروا واخلفوا

١- الاغتيالات فى الاسلام،ص١.٧

٢- الاغتيالات فى الاسلام، ص ١٠٨

۳- تأريخ اليعقوبى، ج ۲، ص ۱۷۵

۴- المصدر نفسه، تأريخ اليعقوبى، ج ۲، ص ۱۷۵

الطاعه ونكثوا البيعه فأبعث إليّ من قبلك من مقاتله الشام، فلما جاء معاويه الكتاب

تربص به وكره إظهار مخالفه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد علم اجتماعهم))(۱)

والغريب أن الطبرى أنبرى للدفاع عن السياسيين المتآمرين بحجه إجماع الصحابه

لتبرئتهم من الجريمه؛ وربما لهذا السبب تجد هناك أكثر من مؤرخ وباحث يدعى

أن الخوارج هم الذين قتلوا عثمان، مع أن هذه الجامعه وهذا الاسم لم يعرف إلا فى

أواخر خلافه على عليه السلام بعد أن خرجوا عليه فى صفين وقاتلهم فى النهروان، ومثل هذه

الإدعاءات تأتى لتأكيد براءه السياسيين من الجريمه لا أكثر بالرغم من تهافتها، ولاسيما

بعد أن تعمد السياسيون نشر مثل هذه الأقوال بين الناس.

إن كتب التأريخ الإسلامى أفاضت فى الحديث عن تحركات أعداء الخليفه من

المتآمرين فى العاصمه والأقاليم لتثوير الشارع الإسلامى عليه، بل أن الأخبار والروايات

تؤكد أن أهل المدينه هم الذين أمروا أهل الأقاليم بالمسير إليهم للتشكى عند الخليفه من

ظلم ولاته وتعسف أمرائه وخيانه مسؤوليه، وكان المتآمرون عازمين على شحذ همم

هؤلاء ودفعهم إلى قتل الخليفه عند قدومهم إلى العاصمه. ويكاد المؤرخون يجمعون

على هذه الحقيقه، ولكن السياسيين بشطارتهم ووعيهم انكروا التهمه و ألصقوها بمن

هو برىء منها وبعيد عنها.

اتهام على بالتآمر و التواطؤ مع المتآمرين!

ومن شده ذكاء وبراعه وخبث السياسيين أنهم وبعد أن نجحوا فى نفى تهمه التآمر

عن أنفسهم، وضعوا روايات فيها اتهام صريح لأناس آخرين لا علاقه لهم بالتآمر

بالمره، بل ثبت اعتراضهم على المتآمرين. فصدقهم أتباعهم ومؤيدوهم؛ فالقاضى أبو

۱- تاریخ الطبری. مجلد۵. ص ۱۱۵

بكر بن العربيّ أبى إلا أن يظهر الصحابى على بن ابى طالب عليهما السلام من المتعاونين مع الثوار، وأنه كان ممن راسلوا الغوغاء واستقدموهم إلى المدينه، مع أن عليّاً بريء من ذلك كلياً، فقال فى مجمل حديثه عن محاصره الخليفه: ((وخرج طلحه يبكى ويورع الناس، وأرسل عليّ ولديه، وقال الناس (يقصد الثوار) لهم: إنكم أرسلتم إلينا (اقبلوا إلى من غير سنه الله) فلما جئنا قعد هذا فى بيته، وخرجت أنت تفيض عينيك))(۱)

وقد بحثت طويلا عن سند لهذه الروايه الغريبه التى أوردها ابن العربى أو ما يؤيدها فما وجدت شيئا، بل لم أجد فى أيّ نقل ما يشير إلى تواصل عليّ مع الثوار، أو مراسلته لهم، وإنما وجدت ما يثبت أن علياً يكاد يكون أوحد اصحابه فى دفاعه عن الخليفه، على خلاف باقى وجوه اصحابه والسياسيين الذين كانت لهم مصلحه فى إزاله عثمان، وكما تبين من النصوص السابقه، والنصّ اللاحق الذى هو خلاصه روايات كثيره تحدثت عن تواصل بعض وجوه أهل المدينه مع أهل الأمصار الثائرين، ومنها روايه أوردها الشيخ المفيد عن فتوح البلدان للبلاذرى وطبقات ابن سعد وتأريخ المدينه المنوّره وأنساب الأشراف للبلاذرى وتأريخ الطبرى والعقد الفريد وتجارب الأمم والبدايه والنهايه؛ مجتمعه من خبر أبى حذيفه إسحاق بن بثر القرشيّ أثبته فى كتابه الذى صنفه فى مقتل عثمان، وكان أبو حذيفه صاحب الخبر من وجوه أصحاب الحديث المنتسبين إلى السنه والمباينين للشيعه ولايتهم فيام يرويه لمفارقه خصومه، ولا يظن به تخرص فيام يجتنيه من جميع الأخبار، فقال: حدثنى محمد بن إسحاق عن الزهريّ؛ قال: قدم أهل مص فى ستمئه راكب عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى فنزلوا ذا خشب، وفيهم كنانه بن بشر الكندى وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى وأبو عروه الليثى، واجتمع إليهم حكيم بن جبله العبدى فى طائفه من أهل البصره، وكميل بن

١- العواصم من القواصم، أبوبكر بن العرق، ص ٥٩- ٦٠ ....

زياد ومالك الأشتر وصعصعه بن صوحان و حجر بن عدى فى جماعه من قرّاء أهل الكوفه الذين كانوا سيّرهم عثمان؛ منها إلى الشام حين شكوا أحداثه التى أنكرها عليه المهاجرون والأنصار، فاجتمع القوم على عيب عثمان، وجهروا بذكر إحداثه، فمر بهم عمرو بن عبد الله الأصم وزياد بن النضر، فقالا لهم: إن شئتم بلغنا عنكم أزواج النبى! فإن أمرتكم أن تقدموا فأقدموا. فقالوا لهما: افعلا، واقصدا علياً آخر الناس.

فانطلق الرجلان فبدءا بعائشه وأزواج النبى بعدها، ثم أنبأ أصحابه وأخبراهم الخبر، فأمروهم أن يقدموا المدينه، وصاروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبراه واستأذناه للقوم فى دخول المدينه؛ فقال لهما: ((أتيتما أحداً قبلى))؟ قالا: نعم أتينا عائشه وأزواج النبى صلى الله عليه وآله بعدها وأصحابه من المهاجرين والأنصار فأمروهم أن يقدموا، فقاله: ((لكى لا آمرهم بذلك، يتعتبونه ممن قرب، فإن أعتبهم فهو خير لهم، وإن أبى فهم أعلم)).

فرجع الرجلان إليهم جميعا. وتسرّع إليهم جماعه من المدينه، فاجتمعوا مع أهل الحسب وذوى المروّات.

فلما بلغ عثمان اجتماعهم أرسل إلى علىّ عليه السلام فقال له: اخرج يا أبا الحسن إلى هؤلاء القوم وردهم عما -جاؤوا إليه، فخرج إليهم فلما رأوه رحبوا به وقالوا له: قد علمت يا أبا الحسن ما أحدثه هذا الرجل من الأعمال الخبيثه وما يلقاه المسلمون منه ومن عمّاله، وكنا لقيناه واستعتبناه؛ فلم يعتبنا وكلّمناه فلم يصغ إلى كلامنا وأغراه ذلك بنا، وقد جئنا نطالبه بالاعتزال عن إمره المسلمين واستاذنّا فى ذلك الأنصار والمهاجرين وأزواج النبى صلى الله عليه وآله وأمهات المؤمنين فأذنوا لنا فى ورود المدينه ونحن على ذلك!

فقال لهم: يا هؤلاء تريّثوا لا تسرعوا إلى شىء لا تعرف عاقبته؛ فإنا كنا قد عتبتاه على هذا فى شىء وإنه قد رجع عنه فارجعوا)). فقالوا: هيهات يا أبا الحسن، ما نقنع

...

منه إلا بالاعتزال عن هذا الأمر ليقوم به من يوثق بأمانته، فرجع أمير المؤمنين عليه السلام إلى

عثمان وأخيره بمقالتهم))(١)

وهناک فی کتب التاريخ عشرات الإشارات إلى اشتراک الأشخاص الذين طالبوا

بدم الخليفه والثأر له أنفسهم فی قتله أو عدم نصرته،- ففی بدايه الحصار طلب الخليفه

نجده معاويه برساله شکوی وجهها إليه تدمی القلب، ذکر مضمونها وخبرها البلاذری

فی أنساب الأشراف، والطبری فی تأريخه، و اليعقوبی فی تأريخه، جاء فيها: ((أما بعد فإنی

کتبت إليک کتابی هذا ووالله ما أحسبه يبلغک وأنا حیّ--- فإن بلغک کتابی هذا فابعث

لی جيشا سريعا برجل معه من أهل ثقتک فی نفسک واجعله حبيب بن مسلمه، ثم

مره فليجعل اليومين يوما، والليلتين ليله، والمنزلين منزلا، وإن استطعت أن تفاجئنی

مفاجأه، فقد ألقيت العصا، ولم يبق إلا خذ وآت)) (٢)

إن مسأله تأخر معاويه عن نصره ابن عمه الخليفه المحاصر تنضوی على قدر کبير

من الاستهانه بالعقيده کلها، وتبين بما لا يقبل الشک أن المؤامره العربيه هی التی کانت

خيرک الأحداث وأن السياسيين کانوا يرصدون نتايج حراکهم ويقيمونها ويستخلصون

منها المحصلات، فاليعقوبی لا يتحدث عن رساله خليفه المسلمين عثمان إلى والی الشام

معاويه فقط و إنما يتحدث أيضا عن قدوم معاويه من الشام إلى المدينه لتقييم الوضع

ووضع الخطط اللاحقه للمرحله القادمه، ويتحدث عن رأی الخليفه فی موقف معاويه

منه، وکيف أنه کان واثقا بأن معاويه يتحيّن قتله ليعلن المطالبه بدمه طريقا نحو القمه

والخلافه بما يعرفه عنه من طمع بها وشوق إليها، حيث يقول اليعقوبی عن عثمان:فکتب إلى معاويه يسأل تعجيل القدوم عليه، تتوجه إليه فی اثنی عشر ألفا ثم قال:

۱- الجمل، الشيخ المفيد، ص ۱۳۷-۱۳۹.

۲- ينظر: الكامل فى التأريخ، مجلد۳، ص ۱۹۵.

...

كونوا مكانكم فى أوائل الشام حتى آتى أمير المؤمنين لأعرف صحه أمره، فأتى عثمان،

فسأله (عثمان) عن المدد؟ فقال: قد قدمت لأعرف رأيك وأعود إليهم فأجيئك بهم! قال

(عثمان): لا والله، ولكنك أردت أن أقتل فتقول: أنا ولى الثأر،فجئنى بالناس!!!

فرجع [معاويه] فلم يعد إليه حتى قتل!!!) (١)

ومن أسرار هذه الجلسه الساخنه أن معاويه بن ابى سفيان طلب من الخليقه عثمان

أن يترك المدينه ويرافقه إلى الشام ليكون تحت حمايته، وقد تناول الدكتور السيد عبد

العزيز هذه القضيه وأدلى فيها برأى يصب فى مصلحه السياسيين، فقال: ((إن عثمان لما

أحس بخطر أهل الأمصار استقدم ولاته على الأمصار ومنهم معاويه والى الشام، ودار

بينهم ما دار فلما خرجوا من عنده بقى معاويه؛ فعرض على عثمان أن يصحبه معه إلى

الشام خوفا من أن يتركه وحيدا فى المدينه!)) (٢) ولا أدرى لم لم يرسل له قوه تحميه لو كان

حريصا ومتخوفا عليه بالشكل الذى تظهره الروايات!

ثم عاد وقال: ((لما صمم أهل الأمصار على خلع عثمان كتب إلى معاويه بن أبى

سفيان، وابن عامر، وأمراء الأجناد يستنجدهم ويأمرهم بالمبادره بإرسال الجنود إليه،

وكتب إلى معاويه: ((بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإن أهل المدينه قد كفروا وأخلفوا

الطاعه ونكثوا البيعه فابعث إلىّ من قبلك من مقاتله الشام على كل صعب وذلول))

فلما وصل الكتاب إلى معاويه لم يبادر إلى نجدته.. ولعله كان يهدف من وراء ذلك أن

يترك عثمان دون نصره فيقتله الثوار، وعندئذ يتولى المطالبه بدمه مستندا فى ذلك إلى أهل

الشام، ويتخذ من المطالبه مبرّرا لمحاربه من يتولى الخلافه من بعده من أجل أن تؤول

...

١- تأريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ١٧۵.

٢- ينظر: التأريخ السياسى، ص ٣٠٢

الخلافه إليه)(١)

هذا هو موقف السياسى الداهيه معاويه من الخليفه عثمان.

أما السياسى الثانى مروان بن الحكم وهو ابن عم الخليفه أيضا؛ فقد أخذ عل عاتقه استفزاز الثوار للإسراع فى قتل عثمان بعد أن كلفه الخليفه بالتحدث معهم عسى أن يقنعهم بالرجوع. والمفروض بمن ينوء بمثل هذه المهمه الكبيره التى تحتاج إلى مفاوض من الطراز الأول أن يداهن القلوب ويجاملها ويستميلها، ويطيّب الخواطر، ويعتذر من الثائرين، ويثنيهم عن مهامجه الخليفه، ويذّكرهم بحقه عليهم، ولكن مروان استغل هذه الفرصه لحثهم على قتل الخليفه، حيث قال لهم مخاطبا ومهددا ومتوعدا: ((شاهت الوجوه، كل إنسان آخذ بإذن صاحبه، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من بين أيدينا! اخرجوا عنها، وارجعوا إلى منازلكم، فإنّا غير مغلوبين على أمرنا!)).(٢)

سؤال: إذا ما كان مروان مستفيدا من وضعه مع عثمان فلماذا يتآمر عليه؟

هنا يجب أن نعرف بأن السياسيين لا يقنعون بالقليل، وهم متى ما حققوا الانتصار يبدأون بالتقاتل فيما بينهم على المناصب، وقد عشنا هذه الحاله بعد التغيير فى العراق فى عام ٢٠٠٣ حيث امتدت المعارك البينيه إلى البيت الواحد والمكون الواحد والحزب الواحد. ومروان رجل سياسى طماع مثل غيره ويتوق لما هو اكير من منصب سكرتير للخليفه، ولذا تآمر لقتل الخليفه، وما ورد فى الكتاب الذى وجهه مروان إلى والى مصر عبد الله بن أبى سرح على لسان الخليفه عثمان ما يدل على حقيقه وجود المؤامره وعلى

١- ننظر: المصدر نفسه، ص ٣٠٨-٣٠٩ .

٢- ننظر: النظم الإسلاميه، د. صبحى الصالح، ص ٩٢.

حراك المتآمرين الدائب والمستمر، ولو وقع هذا الكتاب بيد ابن سرح (١) لكان كافيا

لقتل جميع من اشترك من أهل مصر فى الثوره على الخليفه عثمان فى ساعه وصولهم إلى

مصر وحتى قبل أن يدخلوا إلى بيوتهم، مما يدفع قبائلهم وعشائرهم للثوره العارمه على

النظام كله وتقويضهن مع وضعه فى الحسبان أن الثوار إذا القوا القبض على الرسول

ممكن أن يعودوا ويقتلوا الخليفه ويهيئون الأجواء لاستيلاء السياسيين على السلطه.

أسأل سؤالا واحدا: أكثر من واحد من المؤرخين أفاد أن حصار الغوغاء للخليفه

عثمان فى بيته استمر زمنا طويلاً، قال عنه المسعودى: ((وكانت مده ما حوصر عثمان

١- عبد الله بن سعد بن أبى سرح: ابن خاله عثمان بن عفان، كان كاتبا لرسول الله صلى الله عليه وآله فظهرت خيانته فى الكتابه فعزله رسول الله فأرتد عن الإسلام ولحق بأهل مكه فكان رسول الله أباح دمه يوم الفتح وعن ابن عباس رضى الله عنهما:كان عبد الله بن أيى سرح يكتب لرسول الله فلحق بالكفار فأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتل فاستجار له عثمان فأجاره رسول الله. الحديث ٤٣٦١/ ٦٥ صفحه ٤٧ المستدرك للحاكم. وعن مصعب بن سعد عن سعد قال: لما كان يوم فتح مكه اختبأ عبد الله بن ابى سرح عند عثمان بن عفان فجاء حتى أوقفه على النبى صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله بايع عبد الله؟ فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا ثم اقبل على أصحابه فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآنى كففت يدى عن بيعته فقتله؟ الحديث ٤٣٦٠/ ٦٤ المستدرك. هذا وقال الحاكم فى تعليقه على هذه الروايات: قد صحت الروايه فى الكتابين أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر قبل دخوله مكه بقتل عبد الله بن سعد وعبد الله بن خطل، فمن نظر فى مقتل عثمان بن عفان وجنايات عبد الله بن سعد عليه بمصر إلى أن كان أمره ما كان علم أن النبى! كان أعرف به. الصفحه ٤٨ من المستدرك ومع ذلك ولاه عثمان مصر رغم أنه كان من المتآمرين على قتل عثمان كما يتبين من تعلق الحاكم الآنف. ومن ولاه عثمان أيضا الوليد بن عقبه بن أبى معيط الذى رفض النبى صلى الله عليه وآله أن يمسح عل رأسه لتبريكه يوم الفتح وهوأخو عثمن لأمه. قال عنه الإمام أحمد: فقذره رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يمسه ولم يدع له.. لسابق علم الله تعالى والله أعلم. ومع ذلك استخدمه عثمان واليا على رقاب المسلمين فى الكوفه، ولما عزله وولاها سعيد بن العاص رفض أن يصعد المنبر وقال: أغسلوا المنبر لأصعد عليه أو يظهر. فغسل المنبر حتى صعد سعيد بن العاص ركما روى ذلك الحاكم، صفحه ١٠٨ وتوفى ابن سرح عام سبعه وثلاثين فى عسقلان.... ص :١١٠

فی داره تسعا وأربعین یوما وقیل: أکثر من ذلک)).(١) شهران وخلیفه المسلمین محاصر

فی بیته فی عاصمه الحکومه الإسلامیه وبین ظهرانی الصحابه ولیس بین المحاصرین

للخلیفه من هو فارسی، أو رومی أو حبشی، وکانت تحیط بالخلیفه عشیرته الکبیره،

فضلاً عن وجوه الصحابه والتابعین، ومع ذلک لا یجد من ینصره ویخلصه من بین أیدی

الثوار الغاضبین!! فأین ذهبت تلک الجیوش الجراره التی جابت أنحاء الجزیره العربیه

ودخلت العراق لمقاتله (المرتدین) و(مانعی الزکاه) و(المتنبئین الکذابین) والمعارضین

الذین لم یعرفوا ببیعه أبی بکر أو اعرضوا علیها؟ أین ذهبت تلک الجیوش الجراره التی

قوضت حکم الإمبراطوریه الفارسیه وحررت الأرض العربیه من الاستعمار الرومانی؟

أین ذهب الصحابه الکرام والتابعون الذین کانوا یخیوف الموت کما یحب غیرهم الحیاه؟

أین ذهب الجیل المثالی الذی یقولون عنه إنه ((المعصوم عن الخطأ بمجموعه)) جیل

الصحابه الکرام؟ ولم لم تأخذ الغیره والمروءه أیا منهم لیحمل سیفه ویدافع عن الخلیفه،

ویقتل دونه؟ أین ذهب الأمویون الذین أغدق علیهم الخلیفه الأموال والمناصب

والمکاسب وجعلهم أسیادا للمجتمع وقیمین علیه؟ وأین ذهب جیش الشام الجرار،

المنظم، المجهز لخوض الحروب الشدیده؟ ولمآ تجمدت عقولهم فی هذه المده، وصدأت

سیوفهم، فأحجموا عن فعل شیء؟ ثم لما بویع لعلی بالخلافه، لم تراهم یرکبون جلهم

وینطلقون إلی البصره لتحریرها من قوات علی علیه السلام کما یدعون؟ ثم لما قتل الخلیفه عثمان

تأتی من الشام جیوش جراره لمطالبه الخلیفه المنتخب علی بن أبی طالب علیه السلام بدم الخلیفه

المغدور الذی کان بأمس الحاجه لنصرهتم فی حیاته فلم ینصروه؟! ألیس فی جواب

هذه الأسئله تکمن حقیقه وجود المؤامره الکبیره، ومن خلال جوابها تتکشف جذورها

العمیقه؟

۱- مروج الذهب، ۲ /۳۶۳

الفصل الثالث النزاع السياسى مع الخط العلوى

النزاع السياسى مع خط العلوى

إن تسارع الأحداث بعد مقتل عثمان ولاسيما بعد انتخاب الأمه عليا عليه السلام خليفه للمسلمين بقدر كونه أربك السياسيين وأصابهم بالإحباط؛ إلا أنه اثبت مره أخرى أنهم كانوا على مستوى عال جدا من المهارات السياسيه الفريده التى يصعب تخيل وجودها فى تلك الحقبه، وجدارتم الفائقه هذه دفعتهم إلى تغيير منهجهم القديم والاستعانه عنه بمنهج جديد يمكنهم من الوقوف بوجه المد العلوى الجبار. فماذا حدث بعد أن وجد السياسيون أنفسهم وجها لوجه مع على بن أبى طالب عليه السلام بكل ما تعنيه هذه المواجهه؟

لقد كان السياسيون على يقين تام بأن عليا عليه السلام هو الامتداد الطبيعى للرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وأنه التحدى الأكبر الذى يواجههم، وطالما أنه بعيد عن السلطه كان أمر تجاوزه صعبا و غير مقدور عليه، فما العمل وقد تسلم السلطه، وكيف يتصرفون؟

هنا أوحى لهم فكرهم السياسى الناضج أن يعدوا له منهجا وخططا تكاد تتشابه مع الخطط التى أعدوها للنبى صلى الله عليه و آله ولكن بشكل أوسع وأكثر نضجا، مع مجال أكبر للحركه، وآليات أحدث وأكثر تأثيرا، وكان جل همهم وعظيم جهدهم منذ اللحظه الأولى لوفاه النبى صلى الله عليه و آله أن يدفعوه عن الخلافه ويقصوه من الحياه العامه؛ ولذا تجد لخططهم الذى امتد منذ عصر البعثه وإلى تاريخ خلافته عليه السلام أكثر من شكل ووجه وطريقه، وبشكل عام يمكن إيجازه بثلاث مراحل هى على التوالى:

- مرحله التآمر الأولى: المواجهه الناعمه. من خلال العمل على إبعاد الإمام

علی علیه السلام عن الخلافه لکی لا یؤسس لمشروع الدوله الإسلامیه والقیاده المعصومه.

•مرحله التآمر الثانیه: المواجهه الخشنه. وامتازت باختیارهم طریق الحرب، ثم شنهم ثلاثه حروب مدمره انتهت بأغتیال الامام علی علیه السلام.

•مرحله التآمر الثالثه: تکمیم الأفواه وتغییر الموروث. وامتازت بالعنف الشعبی والمطارده وسب لامام علی علیه السلام؛ کرها له وإذلالا لاتباعه ومحبیه.

المرحله الأولى:المواجهه الناعمه

أولا: إتمام مشروعهم الذی بدأ فی زمن البعثه

و کانت غایته زرع الفرقه بین النبی صلی الله علیه و آله و بین علی علیه السلام.

وهی الأخری کانت علی مراحل تتصاعد تدریجیا لتبلغ الذروه حسب مسار

مشروعهم والنتائج التی یحققونها والمکاسب التی یحصلون علیها من کل مرحله فرعیه؛

وهی:

• أولا: اتمام مشروعهم الذی بدأ فی زمن البعثه وکانت غایته زرع الفرقه بین

النبی صلی الله علیه و آله وبین علی علیه السلام.

وکانت من فقرات هذا البرنامج ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حدیث:

((حدثنا ابن نمیر حدثنی أجلح الکندی عن عبد الله بن بریده عن أبیه بریده قال: بعث

رسول الله صلی الله علیه و آله بعثین إلی الیمن علی أحدهما علی بن أبی طالب علیه السلام وعلی الآخر خالد بن

الولید فقال: إذا التقیتم فعلی علی الناس وإن افترقتما فکل واحد متکما علی جنده

قال فلقینا بنی زید من أهل الیمن فاقتتلنا فظهر المسلمون علی المشرکین فقتلنا المقاتله

وسبینا الذریه فاصطفی علی امرأه من السبی لنفسه قال بریده فکتب معی خالد بن

الولید إلی رسول الله صلی الله علیه و اله یخبره بذلک فلما أتیت النبی صلی الله علیه و آله دفعت الکتاب؛ فقرئ علیه

فرأیت الغضب فی وجه رسول الله صلی الله علیه و آله فقلت: یا رسول الله هذا مکان العائذ بعثتنی مع

رجل وأمرتنی أن أطیعه ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله صلی الله علیه و اله: لا تقع فی علی فإنه

منی وأنا منه وهو ولیکم بعدی)).(۱)

۱- مسند الإمام أحمد، أحمد بن محمد بن حببل بن هلال بن أسد، دار إحیاء التراث العربی، حدیث رقم۲۲۵۰۳

ولأهميه هذه الواقعه أرى أن إيراد بعض طرق حديثها تثبت لمن يدعى أن عليا عليه السلام

كان يعيش حياه رغيده مع باقى الصحابه يملؤها الود والحبه لم يكن صادقا فى قوله.

عن سعيد بن عمرى عن أبى بريده على أبيه قال: ((بعثنا رسول الله صلى الله عليه و آله واستعمل علينا

عليا فلما رجعنا سألنا: كيف رأيتم صحبه صاحبكم؟ فإما شكوته أنا وإما شكاه غيرى

فرفعت رأسى، وكنت رجلا من مكه، وإذا وجه رسول الله صلى الله عليه و آله قد إحمر فقال: من كنت

وليه فعلى وليه))(١)

وبنفس السند: ((فرأيت منه جفوه، فقدمت على النبى صلى الله عليه و آله فذكرت عليا فتنقصته،

فجعل رسول الله يتغير وجهه، فقال: يا بريده ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قلت: بلى، قال: من كنت مولاه فعلى مولاه))(٢).

وعن عمران بن حصين قال: (اجهز رسول الله صلى الله عليه و آله جيشا واستعمل عليهم على بن

ابى طالب؛ فمضى فى السريه فأصاب جاريه، فأنكروا عليه وتعاقد أربعه من أصحاب

رسول اللهصلى الله عليه و آله إذا بعثنا إلى رسول الله أخبرناه ما صنع، وكان المسلمون إذا رجعوا من

سفر بدأوا برسول الله فسلموا عليه، فانحرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت الريه فسلموا

على النبى فقام أحد الاربعه فقال: يا رسول الله ألم تر أن عليا بن ابى طالب صنع كذا

وكذا، فأعرض عنه رسول الله،ثم قام الثانى وقال مثل ذلك، ثم الثالث فقال مقالته ثم

قام الرابع فقال مثلما قالوا فأقبل إليهم رسول الله والغضب يبصر فى وجهه فقال: ما

تريدون من على؟ إن عليا منى وانا منه، وهو ولى كل مؤمن بعدى))(٣).

...

١- تهذيب خصائص الإمام على، و عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائى، ص ٧٣، حديث رقم ٧٥

٢- المصدر نفسه، ص ٧۴- ٧۵ حديث رقم ٧٧

٣- النسائی، ص٧٨، حديث رقم ٨۴

وكان الصحابى خالد بن الوليد هو من يحثهم على الانتقاص من على عليه السلام أمام

النبى صلى الله عليه و آله:عن عبد الله بن بريده عن ابيه قال: ((بعثنا رسول الله صلى الله عليه و آله إلى اليمن مع خالد

بن الوليد وبعث عليا عليه السلام على جيش آخر وقال: إن التقيتما فعلى (كرم الله وجهه) على

الناس، وإن تفرقتما فكل واحد منكما على جنده، فلقينا بنى زبيد من اهل اليمن و ظفر

المسلمون على المشركين؛ فقاتلنا المقاتله و سبينا الذريه، فاصطفى على جاريه لنفسه من

السبى، وكتب بذلك خالد بن الوليد إلى النبى صلى الله عليه و آله وأمرى أن أنال منه، قال: فدفعت

الكتاب إليه ونلت من على عليه السلام فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه و آله وقال: لاتبغضن يا بريده عليا،

فإن عليا منى وأنا منه وهو وليكم بعدى))(١)

وقد تحدث بريده صراحه عن بغضه لعليعليه السلام وكيف انتبه من غفلته على يد النبى صلى الله عليه و آله

كما فى الحديث الذى رواه ابنه عبد الله وقال حالفا: ((والله ما فى الحديث بينى وبين رسول

الله غير أبى)) قال: حدثنا عبد الله بن بريده، قال: حدثنى أبى، قال:((لم أجد من الناس

أبغض من على بن أبى طالب حتى أحببت رجلا من قريش(٢) ولا أحبه إلا على بغض

على فبعث ذلك الرجل على خيل فصحبته، وما صحبته إلا على بغض على... فكتب

وبعث معنا مصدقا للكتابه إلى النبى، فجعلت أقرأ عليه ويقول: صدقا؟ وأقول: صدق

فأمسك بيدى رسول الله فقال: يا بريده أتبغض عليا؟ قلت: نعم فقال: لا تبغضه وإن

كتت تحبه فأزدد له حبا... فما كان أحد من الناس بعد رسول الله أحب إلى من على))(٣)

١- المصدر نفسه، ص ٧٨- ٧٩، حديث ٨٥

٢- الرجل هوخالد بن الوليد، وفى هذا دلاله على أن السياسيين كلهم كانوا يبغضون عليا عليه السلام.

٣- تهذيب خصائص الإمام على، أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائى، ص٨٤- ٨٥، حديث ٩٢

ثانيا: استباق الأحاديث و انتهاز الفرص ختلا.

ففى أثناء انشغال على عليه السلام بتجهيز النبى صلى الله عليه و آله عقدوا مؤتمر السقيفه الذى أرى أن من دعا إليه ليس الأنصار كما تفيد كتب التاريخ وإنما دعا إليه السياسيون أنفسهم وفق عمل دقيق التخطيط أقتضى غيابهم عن الصوره فى المرحله الأولى؛ ثم الحضور بقوه فى المرحله الثانيه. وهم لما تم الأمر لأبى بكر وأفلسوا أرادوا إشعالها فتنه طائفيه لا تبقى ولا تذر حيث تحرك أبو سفيان لإشعال الفتنه بين الخليفه الذى تمت بيعته فى السقيفه(أبو بكر) والخليفه الشرعى (على)عليه السلام، فبعد أن تمت بيعه أبى بكر(المفاجئه) أو كما سماها عمر (الفلته) فى السقيفه والتى جرت حتى قبل أن يوارى النبى صلى الله عليه و آله فى قبره وجاءت مخالفه لتوقعاتهم ومخيبه لآمالهم، عرف السياسيون المتآمرون أن الفرصه واتتهم وأنهم قد يخسرون هذه الجوله إذا لم يثيروا الفتنه عارمه، فثار كبيرهم أبو سفيان معترضا على أبى بكر بقوله:((ما لنا و لأبى بكر؟ إنما هى لبنى عبد مناف)) وذهب إلى على بن أبى طالب وقال له: ابسط إفى يدك حتى أبايعك!! فرده الإمام عليه السلام بشده؛ وقال له: إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنه، والله طالما بغيت الإسلام شرًا، لا حاجه لنا فى نصيحتك))!(١)

فقط انظروا إلى إدعائه (إنما هى لبنى عبد مناف) وليس لبنى أميه ثم أربطوا هذا القول يقوله لما بويع عثمان:يا بنى أميه تلقفوها تلقف الكره فوالذى يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثه)). وهو القول الذى أورده المسعودى؛ وذكرناه عند حديثنا عن مقتل عمر، وستعرف خبثهم، بل وعيهم السياسى!

وقد جاءت فى كتاب أمير المؤمنين عليه السلامإلى معاويه بن أبى سفيان إشاره إلى هذه الواقعه نصها: ا(...و قد كان أبوك أتانى حين ولى الناس أبا بكر فقال:أنت أحق

١- ينظر: تأريخ اليعقوبى، جزء٢، ص ١٢٦

بعد محمد صلی الله علیه و آله بهذا الأمر،و أنا زعیم لک بذلک علی من خالف

علیک،أبسط یدک أبایعک،فلم أفعل.و أنت تعلم أن أباک قد کان قال ذلک وأراده حتی

کنت أنا الذی أبیت،لقرب عهد الناس بالکفر،مخافه الفرقه بین أهل الإسلام،فأبوک

کان أعرف بحقی منک،فإن تعرف من حقی ما کان یعرف أبوک تصب رشدک،و إن لم

تفعل فسیغنی الله عنک والسلام)).(۱)

ثالثا: إنکار حقه فی الخلافه و أهلیته للخلافه و العمل علی تنحیته عنها مرتین.

اشاره

المره الأولی: جاءت بعد الإنکار الأول الکبیر فی السقیفه، ومن میزاتها محاولتهم

اتهامه بما لیس فیه، کما هو اتهامهم له بأن فیه (دعابه) ذکر الماوردی عن ابن عباس

قوله: ((وجدت عمر ذات یوم مکروبا، فقال: ما ادری ما أصنع فی هذا الأمر، أقوم علیه

وأقعد؟ فقلت: هل لک فی علی؟ فقال: إنه لها لأهل ولکنه رجل فیه دعابه! وإنی لأراه

لو ولی أمرکم لحملکم علی طریقه من الحق تعرفونها. قلت: فأین أنت عن عثمان؟ فقال:

لو فعلت لحمل أبناء أبی معیط عل رقاب الناس، ثم لم یلتفت إلیه العرب حتی تضرب

عنقه!)(۲)

المره الثانیه: جعله سادس سته یقودهم الصحابی الملیاردیر عبد الرحمن بن عوف

الذی ابتدع ما عرف فی حینه باسم (سنه الشیخین) وما ادراک ما هذا الابتداع المحیر،

وکیف أنه کان قنبله الموسم السیاسیه التی لا یتفتق عنها إلا الذهن السیاسی الجبار

۱- ینظر: وقعه صفین لنصر بن مزاحم ص ۹۱،أنساب الأشراف للبلاذری ج ۲ ص ۲۸۱،العقد الفرید ج ۴ ص ۳۳۶،مناقب الخوارزمی ص ۲۰۴،شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید مجلد ۳، ج۱۵ ص ۷۸،بحار الأنوار ج ۲۹ ص ۶۳۲ الرقم ۴۷

۲- الأحكام السلطانيه، الماوردی، ص ۱۲

المشمع بالحيل وخفه الحركه بل وبالسحر أيضا.

على و سنه الشيخين

إن بدعه (سنه الشيخين) إحدى المحطات السياسيه العربيه الإسلاميه المهمه التي وضعها السياسيون واوكلوا امرها إلى الصحابى عبد الرحمن بن عوف تعتبر حدّاً فاصلا بين المرغوب توليه الأمر، والواجب إبعاده عنه، فهى من الروعه وجمال الصنع وقدره الأثر لدرجه أنها خلقت مخايره بين قطبين أعلى وأدنى؛ فرجحت الأدنى وأخرت الأعلى، وهذا منتهى النجاح.

أسأل: ماذا حلّ بقانون سنه الشيخين، ولم تجاوزته الأمه بعد حين بشكل ثورى عنيف، لو لم يكن قد وضع بفعل التآمر السياسى العربى؟

إن بدعه (سنه الشيخين) بأثرها وتأثرها أثبتت عمق مدلول الفكر السياسى العربى الذى نجح بتطويع المصطلح الدينى وتسخيره ليخدم السياسه الدنيويه، فالسنه مصطلح دينى جاءت إضافه كلمه (الشيخين) إليه لتعطيه بعدا فكريا ذا ملامح دينيه فئويه خاصه، ووضع ذلك كله أمام شخص كان الشيخان يسألانه رأيه ويستمعان لحكمه وينهلان من حكمته؛ ثم طلب منه أن يتنازل عن هذه الميزه ويصبح تبعا لهما إذا أراد الحصول على الخلافه! أليس هذا هو العمل السياسى بعينه؟

إن الحديث عن هذه المحطه يبدو فى أحيان كثيره وكأنه يريد الإفصاح عن سر مفاده: إن عليا عليه السلام كان جهولا بالسياسه لا يجيدها مثل غيره بدليل أنه كان يمكن أن يوافق على المقترح ثم لما يستلم الخلافه يعمل برأيه ولا يطبق هذا الاتفاق المجحف.

وفعلا كان هناك من روج لهذا الوهم لدرجه انك تجد المعاصرين يرددونه بنفس صيغته

القديمه؛ مما يعنى أن النهج السياسى القديم لايزال مستمرا!

أما واقعا فإن الإمام على عليه السلام شخّص بدعه (سنه الشيخين) وسبب إيجادها

واستخدامها من لدن صانعيها ميزاناً معياريّا ومعادلا موضوعيا بين المرشحين والخلافه،

ولذا تراه ينظر إلى مروجها ومطلقها عبد الرحمن بن عوف لما طرحها عليه بصيغه خيار

بين اللا والنعم وبصيغه: ا(إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنه نبيه وسيره

أبى بكر وعمر)) ثم يجيبه: ا(إن كتاب الله وسنه نبيه لا يحتاج معهما إلى أجيرى أحد، أنت

مجتهد أن تزوى هذا الأمر عنى!))(١)

وأسأل: هل التزم عثمان بسنه الشيخين فى حقبه خلافته؟

إن ما تكلم عنه على بن أبى طالب لم يكن خافيا على عثمان نفسه؛ فعثمان كان يعرف

أسرار الصفقه التى أوصلته إلى سده الحكم؛ عن طريق هذا لشعار حيث روى اليعقوبى:

إن عثمان فى خلافته اعتلّ عله اشتدّت به، فدعا حمران بن أبان وكتب عهداً لمن بعده،

وترك موضع الاسم فارغا. ثم أخذ الكتاب من حمران وكتب الاسم فى الغرإغ سرّاً دون

معرفه حمران، وكان الاسم الذى كتبه هو (عبد الرحمن بن عوف) الذى بايعه بالأمس

خليفه ردّاً للجميل، ثم ربط الكتاب وبعث به إلى أم حبيبه، ففتحه حمران فى الطريق

وقرأه، فأتى عبد الرحمن فأخبره بالخبر. فغضب عبد الرحمن بن عوف غضباً شديداً

وقال: ((أستعمله علانيه ويستعملنى سرّاً؟، و وجّه عبد الرحمن ابنه إلى عثمان فقال: قل

له: والله لقد بايعتك وإن فى ثلاث خصال أفضلك بهنّ: أنى حضرت بدراً ولم تحضرها،

وحضرت بيعه الرضوان ولم تحضرها، وثبت يوم أحد و انهزمت أنت))(٢)

١- تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ١٦٢

٢- ينظر: تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ٦٩، وهذا القول يعيدنا إلى حديث عبد الله بن عمر (كنا نفاضل بين الصحابه) لأن قول عبد

الرحمن بن عوف يثبت أن هناك الكثير من مجتمع المـدينه الـذى خصه ابن عمر فى حـديثه آنف الـذكر لم يكونوا يؤمنون بما قاله وأرسله!

وأسأل مره أخرى: إذا ما كانت نظريه سنه الشيخين من صميم الفقه الإسلامى،

لماذا إذن لم يعرض أحد من فقهاء الصحابه وكبارهم على مخالفه الناس لها، وانثيالهم

لمبايعه أشهر؛ بل أوحد المعروفين برفضها ومخالفتها والمصِرّ على عدم الاعتراف

بشرعيتها وهو الإمام على عليه السلام؟

وقبل ذلك، إذا كانت سنه الشيخين قد نجحت وأوصلت عثمان إلى سده الحكم

باعتبار أنه تعهد بالالتزام بها والسير على هديها وعدم مخالفه نهجها، فلماذا لم تنزله عن

كرسيه بعد أن خالف سيرتهما، وبعد أن وضحت هذ٥ المخالفه لكل الناس بكل جلاء

ووضوح، مما أدى إلى مقتله على يد مجموعه من الثوار؟

لقد اعترف كل من كتب فى تأريخ الخلفاء وسيرهم أن الخليفه عثمان ابتعد كثيرا

عن سيره الخلفاء الذين سبقوه، بل وخالفها فى أكثر من موضع وموضوع، وهناك بين

الباحثين من أكد هذه الحقيقه وقال: ((لم يقتد عثمان بالشيخين فى سياستهما)).(۱) فلم لم

يبادر من وضع هذه القاعده ليقول للخليفه: إنك خالفت سنتهما؛ ولذا يجب أن تعزل؟

ولِمَ لم تبادر الأمه لذلك؟ ؛ انتظرت قدوم غوغاء أهل الأمصار كما يصفونهم لإبلاغ

الخليفه أنه خالف سنه الشيخين؟ لم؟

إن مصطلح سنه الشيخين بدعه لم تكن له علاقه بأهل السنه والجامعه الحقيقيين

الذين يرفضون سبّ علىّ عليه السلام خليفه المسلمين على المنابر، ويرفضون أن يسبه أحد، بل

تنحصر علاقته تحديدا بمن اغتصب الخلافه واغتصب معها الإسلام وقنّن شريعته

لتخدم خطه وتسند عرشه، لأن علياً عليه السلام لو كان يستحق اللعن حقا لكان الصحابه أولى

من غيرهم بذلك، وهم أقرب للإسلام وتعاليمه وسننه من غيرهم، ولمّا لم يصدر مثل

١- التأريخ السياسى، د. السيد عبد العزيز، مصدر سابق، ص ٢٩٧

هذا الأمر منهم؛ فذلك يدل على أن المصطلح الذى أوجده السياسيون بعد مقتل عليّ عليه السلام وسم الإمام الحسن عليه السلام هم الذين استنبطوا من شريعه السياسه نظما ومصطلحات غريبه وجعلوها سنناً يتعبد بها أتباعهم من المسلمين، أى: أن (السلف الصالح) برىء من هذه التهمه التى يريد أن يلصقها به عبد العزيز الأثرى وغيره كما سيتبيّن لنا بعد قليل!

الملحوظ أن هذا المصطلح مركب من جزأين (السنه) و (الجماعه) وكلا الجزءين وضع وعرف فى زمن الأمويّين تحديداً، ولم يكن مستخدما بصيغته المتداوله فى عصر النبوه أوعصر الخلافه الراشده وبذا يكون بدعه مستحدثه مخالفه لقول رسول الله: ((من ابتدع فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))، وحديثه الآخر: ((كل بدعه ضلاله والضلاله فى النار)). نعم كان هناك حديث عن السنه ويقصدون به السنه النبويه التى تلقاها المسلمون من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، وحديث عن الجماعه ويقصد به جماعه أتباع النبى صلى الله عليه وآله . أمّا فى العصر الأموى؛ فتحول المصطلح بجزءيه للدلاله على أتباع معاويه وأنصار الدوله الأمويه، ومن يخالفهم؛ لا يدخل ضمن هذا المفهوم.

ومعروف أن (عام الجماعه) هى الفريه التى ابتدعها معاويه وروج لها وعاظ السلاطين الموظفون لدى الحكومه الأمويه وأطلقوها على العام الذى تسلم فيه معاويه الملك، بعد أن تخلص من الإمام الحسن عليه السلام بالسمّ الذى دسّه له بواسطه زوجته جعده بنت الأشعث بن قيس،((فقالوا: عام الجماعه)).(١)

أمّا قول بعض المعنّيين بأن المقصود به: ((متابعه إجماع الصحابه وإجماع السلف،؛ فلا يمت إلى الحقيقه بصله؛ لأنه يخالف ما أوردته كل كتب التأريخ التى تحدثت عن تأريخ الإسلام الأول أو تأريخ الدوله الأمويّه، والتى أوردت سبب التسميه وموجباته،

...

۱- أهل السنه والجماعه معالم الانطلاقه الکبری، محمد بن عبد الهادی المصری، ص ۶۰.

أما من يعتقد أن إجماع الأمّه على نهج الإسلام النبوى / الراشدى قد تحقق على يدى معاويه، فنعطيه الحق بالتمسک بهذه التسميه؛ لأنها تعنيه وحده ولا تعنى المسلمين الآخرين.

أما (السنه) فقد ولدت مصطلحاً مشتقاً عن مصطلح (الجماعه) فى عهد الأمويّين كذلک، وقد جیء به للتدليل على المؤيدين للدوله الأمويّه وحكومتها، لتفريقهم وتمييزهم عن (أهل البدع)؛ أى: لتمييزهم عن الجهات التى تخالف النهج الأموىّ ولا تعترف بشرعيته، فهو من حيث سبب الوجود وغايته مشابه لمصطلح (الجماعه) كليّا.

أما دمج المصطلحين بمصطلح واحد فلم يتم إلا فى زمن الخلافه العباسيه، وتحديدا فى أجواء الصراع العنيف حول مبانى الإمامه، والخلافه، والتفاضل بين كبار الصحابه، والموقف ممّا شجر بينهم من نزاع وحروب، والخلاف حول الصفات، والقول بالتجسيم، وقضيه القول بقدم القرآن أم إنّه حادث مخلوق.

فى هذه الأجواء القلقه دعت الضروره إلى دمج المصطلحين معاً للإشاره من خلالهما إلى فئه إسلاميه محدده دون سواها من الفئات الأخرى من خلال التعاون بين الإمام أحمد بن حنبل ممثلاّ للجانب الدينى القريب من الحكومه، والخليفه المتوكل العباسى ممثلًا للجانب السياسى فيها! وبالمناسبه يقول المستشرق (تسيهر) عن العباسيين: ((وبعد أن ظفر العباسيون بثمره الدعايه الشيعيه، اضطروا أن يكونوا على جانب كبير من الحصافه وبعد النظر لمقاومه الدسائس والمؤامرات التى لم ين الشيعه عن تدبيرها))(۱)

و هل قتل حجر بن عدى من السنه أم من الجماعه؟

فى هذا التأريخ عدّ هذا المفهوم السياسى البحت (أهل السنه والجماعه) قانوناً

...

ص :۱۲۶

۱- العقیده والشریعه فی الإسلام، أجناس جولد تسیهر، ص ۱۷۷ ۰

إسلامياً فقهيّاً ملزماً حينما احتاج إليه الحكام والولاه لإيقاع عقوبه الموت من خلاله

بمن خالفهم أو لا يتفق معهم فى الرأى أو يعترض على جلوسهم فوق منبر النبوه،

ولمّا كان المعترضون غالباً هم الشيعه بدلاله أن معاويه الذى كان أول من استخدم هذا

النصّ لإباحه دم المسلمين أخذ بقول زياد بن أبيه والى الكوفه لمّا رأى أن حجر بن عدى

وجماعته يمتنعون عن سبّ الإمام على عليه السلام،!(۱) أسوه بجماعته (أهل السنه والجماعه) فى

المسجد بعد الصلاه، وقال اليعقوبى: وكان حجر بن عدى الكندى وعمرو بن الحمق

الخزاعى وأصحابهما من شيعه علىّ إذا سمعوا المغيره وغيره من أصحاب معاويه وهم

يلعنون عليّاً على المنبر، يقومون فيردون اللعن عليهم... وأخذ زياد بن أبيه حجرا وثلاثه

عشر رجلاـ من أصحابه فأشخصهم إلى معاويه فكتب فيهم: إنهم خالفوا الجماعه فى لعن ابى تراب وزوّروا بذلك على الولاه فخرجوا من الطاعه))(۲) فأخذ الخليفه بهذه التهمه

وأمر بقتلهم، لأنه كما نقل عنه قال:إنى رأيت قتلهم صلاحاً للأمه وإن بقاءهم فساد

للأمه)).

وتأريخ (سنه) لعن على عليه السلام يعود إلى سنه إحدى وأربعين للهجره يوم استعمل

معاويه المغيره بن شعبه والياً على الكوفه؛ فلما أمّره عليها دعاه، وقال له: وقد أردت

أيضا إيصاءك بأشياء كثيره أنا تاركها اعتماداً على بصرك ولست تاركاً إيصاءك بخصله:

لا تترك شتم علىّ وذمّه والترحّم على عثمان والاستغفار له والعيب لأصحاب علىّ

والإقصاء لهم والإطراء بشيعه عثمان والإدناء لهم... فأقام المغيره عاملاً على الكوفه

لا يدع شتم علىّ والوقوع فيه، فإذا سمع ذلك حجر بن عدى قال: بل إياكم ذمّ الله

...

۱- لم یکن الشیعه وحدهم من استهجن وأعترض علی وامتنع عن سب علی بن أبی طالب فالتأریخ یجدثنا أن کل الصحابه الکرام وتابعیهم ممن أخذ عنهم مبادئ دینه وتعبده رفضوا أن یشترکوا مع أتباع السیاسیین ومعاویه فی سبه وهناک شواهد وأقوال فی کتب التأریخ یطول ذکرها.

۲- تأریخ الیعقوبی، ج۲، ص ۲۳۰.

ولعن... ثم لما توفى المغيره ولى معاويه زياد بن أبيه على الكوفه فسار على نهج المغيره))(١)

واستمر حجر على نهجه السابق فاتهمه زياد بأنه يريد تفريق الأمه ومفارقه الجماعه

والامتناع عن أداء سنه لعن على بن ابى طالب عليهما السلام وأحضر بعضًا من رجالهم المقربين

ومن خاصّتهم ليشهدوا بذلك، وتضم قائمه الشهود بعضا من أقرب الأسماء للسلطه

الحاكمه ولا تجد فيها ذكرا لأحد من الصحابه الأجلاء الفضلاء، بل كانوا كلّهم ممن

وترهم علىّ وحارب آباءهم، وهم كل من: إسحاق بن طلحه بن عبيد الله، موسى بن

طلحه بن عبيد الله، المنذر بن الزبير بن العوام، عماره بن عقبه بن ابى معيط، عمرو بن

سعد بن ابى وقاص. والدليل على ذلك أن زياداً كان قد أدرج تدليساً اسم شريح بن

هانئ القاضى مع أسماء الشهود دون علمه، فلما علم شريح بذلك غضب غضبا شديدا

واعترض وكتب رساله إلى معاويه فى الشام قال فيها: ((بلغنى أن زيادا كتب شهادتى،

وأنّ شهادتى على حجر أنه ممن يقيم الصلاه، ويؤتى الزكاه، ويديم الحج والعمره، ويأمر

بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام الدم حرام المال))(٢) ولم يأخذ معاويه بهذه الشهاده

العادله أو يدقق فى فحواها وإنما أهملها وتركها!

وتأكيدا لهذا الافتراء، وتماهيا معه، وإخلاصا للنهج السياسى القديم، قال فاروق

عمر: ((بعد حوالى عشر سنوات من تسلم الأمويّين الخلافه تحرك حجر بن عدى

الكندى فى الكوفه سنه ٥١ هجريه/ ٦١٨ ميلاديه وكانت حركته سياسيه خاليه من

المحتوى الدينى أو العقائدى))(٣)

فهل من المعقول أن يثور حجر على الدوله الأمويه القويه بعشره أشخاص فقط،

...

١- ينظر: الكامل فى التأريخ، مجلد٣، ص ٤١٣ -٤١٤ .

٢- يتظر:الكامل، ٣/ ٤٢٢- ٤٢٣.

٣- الدكتور فاروق عمر، مصدر سابق، ص ٣٦.

وأى ثوره بائسه تلك؟، ولماذا غضبت أم المؤمنين عائشه على معاويه لما قتله لوكان دافعه سياسيّا؟ بل لماذا ندم معاويه على قتله لو كان حجر مجرد سياسى ثار على نظام الحكم؟

ولماذا يقول عمر بن بشير الهمدانى: ((قلت لأبى إسحاق: متى ذل الناس؟ قال: حين مات الحسن (يقصد الإمام الحسن بن على) وادعى زياد، وقيل حجر بن عدى))(١)

إن الحديث عن الحقيقه كما هى يفضح حقائق الكثير من الأمور المسكوت عنها والمستوره التى لا يراد لها الذيوع، ولذا لجأ هؤلاء إلى التدليس والخلط عسى أن يعينهم فى دفن تلك الحقائق فجعلوا من حجر بن عدى مجرما خارجا على إجماع الأمه وعلى القانون، ومحاربا لدوله الإسلام، وثائراً عليها بعشره أشخاص فقط، ثم جعلوا بالمقابل من زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف حراساً للعروبه! فأحمد المختار ما كان ليجرؤ على مدح الرجال الذين ولغوا بدماء الأبرياء لو أرفق بحديثه حقائق الوقائع، أما وقد أخفاها هو ومن هم على شاكلته؛ فمن حقه أن يدّعى أن فى الأمه العربيه (حراس) وقفوا فى وجه المدّ الفارسى فى البصره والكوفه، ليقول: ((ومن هؤلاء العرب زياد بن أبيه الذى ولى شؤون البصره سنه ٤٥ هجويه/ ٦٦٥ ميلاديه))(٢)

ومن حقه أن يقول عن الدموى السفاح الحجاج بن يوسف الثقفى: لآوتابع سياسه حراسه إقليم العراق حارس آخر لا يقل غيره على الأمه العربيه عن زياد بن أبيه وهو الحجاج بن يوسف الثقفى الذى خلّد له التأريخ العربى أروع الصفحات فى تلك السبل وقدّم هذا الحارس الجديد إلى بلاد العراق سنه ٧٥ هجويه/ ٦٩٥ ميلاديه بعد ثوره اندلعت فيها ضد الأمويين)).(٣)

١- مقاتل الطالبيينن أبى الفرج الأصفهانى، ص ٨٣.

٢- أحمد المختار، مصدر سابق، ص ٢١.

٣- أحمد المختار، مصدر سابق، ص ٢٢-٢٣ هنا اود الإشاره إلى الخلط الـذى أورده المختار فالحجاج عين واليا على العراق بعد موت واليها •بشـر بن مروان) سنه ٧٥ هجريه، امـا الثوره على الأمويين فنشـبت عام ٨١ هجريه بقياده عبـد الرحمن بن محمـد بن قيس بن الأشـعث الكنـدى بعد أن أرسـله الحجاج إلى حرب رتبيل فى سجسـتان، فعاد إلى العراق وخلع بيعه عبد الملك وأعلن الثوره.

ومن حقنا أن نسأل: أيهما أكثر عداله عمر بن عبد العزيز أم أحمد المختار؟ بالتأكيد لا يختلف اثنان أنّ عمر بن عبد العزيز أكثر عداله من أحمد المختار وغيره ممن يؤمنون بمثل هذه الآراء، ومع ذلک يختلف رأى عمر عن رأى هذا الكاتب؛ فقد قال خالد محمد خالد عن عمر بن عبد العزيز: ((قال عنه الإمام العادل عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمه بخطاياها وجئنا نحن (أى: بنو أميه) بالحجاج وحده لرجحناهم جميعا!))(۱) وفى طبقات ابن سعد والبدايه والنهايه لابن كثير روايات عديده فى الحجاج وظلمه وفسقه وفجوره ودمويته، وكفى به ظلما أنه ذبح اكثر من مائه وثلاثين ألف مسلم صبرا بعد فشل ثوره ابن الأشعث.

المهم أن حجرا لو كان ثائرا على الدوله الأمويه ويبغى إسقاط دولتها لما كان أصحاب معاويه حينما عرضوه وجماعته على القتل قد قالوا لهم: إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم الراءه من على واللعن له، فإن فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم! فقالوا: لنا فاعلى ذلک، فأمروا بقتلهم))(۲)فهل كانوا ليتركوهم بهذه البساطه لوكانوا من المتآمرين على الدوله والمخالفين لنهج الشريعه؟ ثم أليس فى قول أتباع معاويه تأكيد جلى أنهم كانوا يريدون منهم سبّ على عليه السلام لا أكثر، وكأنّ سبّ على عليه السلام هو الميزان المعيارىّ للمواطنه فى دوله السياسيين!

ولو كان حجر معاديا للدوله وثائرا عليها وساعيا خلف السلطه ما كان التابعى

۱- رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، ص ۵۶۵.

۲- ينظر: الكامل فى التاريخ، مجلد۳ ص ۴۲۴.

الكبير الحسن البصری؛ لیقول فیه وفی جماعته من الرجال الذین استشهدوا معه: ((حجّوا ورب الکعبه))(۱) ولما کان لیقول فی مناسبه أخری: ((أربع خصال فی معاویه لو لم تکن له إلا واحده لکانت موبقه: انتزاؤه علی هذه الأمه بالسیف.. واستخلافه ابنه سکّیراً خمّیراً یلبس الحریر ویضرب بالطنابیر.. واذعاؤه زیادا.. وقتله حجرا وأصحاب حجر))(۲)

ولما کان معاویه نفسه قد أسف علی قتل حجر لدرجه أن ابن سیرین التابعی المعروف؛ قال: ((بلغنا أن معاویه لما حضرته الوفاه جعل یقول: یومی منک یا حجر طویل))(۳)

أقول للحقیقه والتأریخ إن أم المؤمنین عائشه قالت لمعاویه حین حجّ، ودخل علیها: ((یا معاویه، أقتلت حجرا وأصحابه..؟ أما إنی سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله ! یقول: یقتل بمرج عذراء نفر یغضب لهم أهل السماوات! قال: لم یحضرنی رجل رشید!))(۴)

وروی فی کتب التأریخ أن معاویه کان یقول: ((ما أعد نفسی حلیماً بعد قتلی حجرا وأصحاب حجر))(۵)

فلوکان حجر وجماعته من المتآمرین علی الدوله، هل کان رسول الله صلی الله علیه وآله !! لیذکر ذلک الحدیث للمسلمین إلا إذا کان یرید التأکید أن حجرا وجماعته سیثورون علی سلطان غاصب للخلافه جاء بموبقه سب الإمام علیّ علیه السلام، تفرح ملائکه السماوات بشهاده من یعترض علی جور حکمه؟ وهل کانت أم المؤمنین عائشه لتذکر ذلک الحدیث بوجه

۱- الکامل فی التأریخ، ص۴۲۶.

۲- المصدر نفسه، ص ۴۲۷.

۳- الکامل فی التأریخ، المجلد۳، ص ۴۲۸.

۴- تأریخ الیعقوبی، جزء۳، ص ۲۳۱.

٥- المصدر نفسه

معاويه؟ وهل كان معاويه ليعد نفسه ليس حليما لأنه قتل حجرا وجماعته؟

لم يكن مقتل حجر بن عدى بالأمر الهين ولذا علق الربيع بن زياد على قتله بقوله:

((لا تزال العرب تقتل صبرا بعده، ولو نفرت عند مقتله لم يقتل رجل منهم صبرا، ولكنها أقرت فذلت)).

المهم أن مصطلح (أهل السنه والجماعه)؛ هذا المصطلح السياسى البحت لم يختف بزوال حكم واضعيه ومستخدميه وإنما تطور وتوسع ليخص ويختص بفئه واحده من المسلمين دون سواهم من الفرق الإسلاميه الأخرى وهم (السلفيه) حيث قال عبد الله الأثرى فى تعريفه للفرقه التى تؤمن كليا بذا المصطلح: إنها الفرقه التى وعدها الله بالنجاه من بين الفرق... وبهذا لا يخرج تعريف أهل السنه والجماعه عن تعريف (السلف)…. وهذا هو المعنى الأخص لأهل السنه والجماعه، فيخرج من هذا المعنى كل الطوائف المبتدعه وأهل الأهواء كالخوارج والجهميه والقدريه والمعتزله والمرجئه والرافضه))(١)

وكأن الرجل يريد أن يدعى أن تسميه مجموعه من المذاهب باسم أهل السنه والجماعه قد جاءت لهذا السبب تحديدا، ولكن هناك من قال الحقيقه ولم يعرف بصحه هذا الادعاء كما فى قول(إياد إبراهيم القطان) مدير المركز الثقافى الملكى الأردنى الذى جاء فى نشره معروفه ومهمه جدا اسمها (المنتدى) تصدر فى المملكه الأردنيه الهاشميه، ويشرف عليها وعلى المنتدى الذى يصدرها الأمر (الحسن بن طلال) ولىّ العهد السابق:

إن كلمه(سنّى) فى تعبير(الفقه السنى) تشير إلى سنه السلف الصالح فى اختيار الخلفاء

١- الوجيز فى عقيده السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثرى، ص ٤٥

الراشدين، ولا تشير إلى (السنه المحمديه) كما أصبح شائنا بين العامه فيما بعد))(۱)

وبناءً عليه وضمن حدود التعريف الإقصائيّ الشاذ للأستاذ الأثرى عرف معنى

(العقيده الاسلاميه) وخصص؛ فهى بحسب مفهومه: إذا أطلقت فهى عقيده أهل

السنه و الجامعه لأنها هى الإسلام الذى ارتضاه الله دينا لعباده، وهى عقيده القرون

الثلاثه المفضله))(۲) لكنها واقعا ليست شامله لأهل السنه والجماعه من الحنفيه والمالكيه

والشافعيه، وإنما مخصوصه بالسلفيه الحنابله وحدهم دون سواهم طبعا؛ فهؤلاء بحسب

التعريف مشمولون بالإقصاء حالهم حال الفرق التى ذكرها الأثرى!

هنا لا يفوتنى القول: أن مفهوم (أهل السنه والجامعه) لم يكن نهجا فاعلا مؤثرا

باستمرار؛ إذ كان يتوهج ثم يخبو تبعا للمستجدات السياسيه الطارئه؛ ولذا تراه بأعلى

مراحل بريقه الوهاج مع اشتداد التناحر والنزاع بين مكونات المجتمع الاسلامى، الذى

بلغ اشده تزامنا مع تحول بعض الأمم لاعتناق التشيع، وذلك بهدف توحيد المذاهب

فى خندق واحد مقابل خندق التشيع، أى: إنه عاد إلى التخندق الأول الذى أشار إليه

النوبختى وذكرناه من قبل فى مطاوى البحث.

بقيت مسأله مهمه أريد ذكرها؛ وهى أن علياً عليه السلام كان قد تحدث للمسلمين عن

هذه الحراكات حتى قبل ولادتها؛ فقال كما ينقل المتقى الهندى: إن عليا سئل عن أهل

الجماعه وأهل الفرقه فقال: ((فأما أهل الجماعه فأنا ومن اتبعنى وإن قلّوا وذلك الحق

عن أمر الله وأمر رسوله... وأما أهل الفرقه فالمخالفون لى ومن اتبعنى وإن كثروا))(۳)

۱- نشره المنتدى — منتدى الفكر العربى برئاسه الأمير الحسن بن طلال ولى العهد، العدد ۷۰ المجلد ۶ تموز ۱۹۹۱.

۲- الوجيز فى عقيده السلف، ص ۳۰.

۳- کنز العامل، المتقی الهندی، جزء ۱۶، ص ۱۸۴، حدیث ۴۴۲۱۶.

وهو ما أشار إليه الأصفهانى بقوله: عن عبد الله بن مسعود: ((إن جمهور الجماعه الذين فارقوا الجماعه، والجماعه ما وافق الحق وإن كنت وحدك)).(١)

فالسياسيون هم الذين أوجدوا كل المصطلحات الإقصائيه بدءاً من مصطلح (سنه الشيخين) مرورا بمصطلح (أهل السنه) وصولا إلى مصطلح (أهل السنه والجماعه) فهذه المصطلحات الطائفيه السياسيه لم تكن وليده فكر الحكام، وإنما جاء بها الإفتائيون بعد أن أمر السياسيون المتآمرون بنشرها بين المسلمين، ومن نكايه الزمان أن تنتشر هذه المصطلحات فرحا بمقتل الإمام الحسن عليه السلام وكأنه كان يقف مانعاً دون تكتل المسلمين فى جماعه.!

رابعا: التخلف عن بيعته

ثم لما بايعت الأمه علياً عليه السلام خليفه واجتمع ((أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحه والزبير فأتوا عليا فقالوا له: لابد للناس من إمام؟ قال: لا حاجه لى فى أمركم فمن اخترتم رضيت به! فقالوا: ما نختار غيرك، وترددوا إليه مرارا، وقالوا له فى آخر ذلك: إنا لا نعلم أحدا أحق به منك، ولا أقدم سابقه، ولا أقرب قرابه من رسول الله. فقال: لا تفعلوا، فإنى أكون وزيرا خيرا من أن أكون أميرا))(٢)وبعدها انهالوا عليه زرافات ووحدانا فاختاروه خليفه، لم يتخلف عن بيعته إلا من كان شانئا له أو سياسيا محترفا صاحب مشروع يبغى الترويج له؛ وكان عبد الله بن عمر على رأس المتخلفين بالرغم من أنه بايع كل من جاء بعد الإمام من الملوك وأولهم معاويه وابنه يزيد من بعده، قال ابن معد: ((أخبرنا يزيد بن هارون عن محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم: إن ابن عمر كان فى زمان الفتنه لا يأتى أمير إلا صلّى خلفه وأدى إليه زكاه ماله))

۱- النصائح الكافيه لمن يتولى معاويه،محمد بن عقيل، ص ۲۱۹.

۲- الكامل فى التأريخ ۷/ ۱۷۷.

ولاسيما إذا ما كان هذا الأمر قد غلب منافسه و قضى عليه، يقول ابن سعد: أخبرنا

مسلم بن إبراهيم قال حدثنا حميد بن مهران الكندى؛ قال أخبرنا سيف المازنى؛ قال:

كان ابن عمر يقول لا أقاتل فى الفتنه، وأصلى وراء من غلب)) وقال ابن سعد أيضا:

أخبرنا أحمد بن يونس؛ قال حدثنا أبو شهاب عن يونس عن نافع؛ قال: ((قيل لابن عمر

زمن ابن الزبير والخوارج والخشبيه: أتصلّى مع هؤلاء ومع هؤلاء وبعضهم يقتل بعضاً

قال: فقال: من قال حى على الصلاه أجبته، ومن قال حى على الفلاح أجبته، ومن قال

حى على قتل أخيك و أخذ ماله قلت: لا)).

وقال ابن سعد: ((أخبرنا عارم بن الفضل قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن

نافع: إن معاويه بعث إلى ابن عمر بمائه ألف، فلما أراد أن يبايع ليزيد بن معاويه قال:

أرى ذاك أراد هذا، إن دينى عندى إذاً لرخيص))

بل إنه كان يبادر بالكتابه إليهم حتى قبل أن يطالبوه بالبيعه؛ يقول ابن سعد: كتب

ابن عمر إلى عبد الملك بن مراون فبدأ باسمه فكتب إليه: أما بعد فالله لا إله إلا هو

ليجمعنكم إلى يوم القيامه لا ريب فيه، إلى آخر الآيه، وقد بلغنى أن المسلمين اجتمعوا

على البيعه لك، وقد دخلت فيما دخل فيه المسلمون والسلام*.

وكان يجبر أبناءه على البيعه؛ قال ابن سعد: ((لما أجمع الناس على عبد الملك بن مروان

كتب إليه ابن عمر: أما بعد فإنى قد بايعت لعبد الله بن عبد الملك أمير المؤمنين بالسمع

والطاعه على سنه الله وسنه رسوله فيام استطعت وإن بنى قد أقروا بذلك))(١)

ولكنه حينما قرب أجله ندم على ما قدم، وقال قولته المشهوره: قال ابن سعد:

أخبرنا الفضل بن دكين قال: حدثنا عبد العزيز بن سياه قال: حدثنى حبيب بن أبى

١- ينظر الطبقات الكبرى، ترجمه عبد الله بن عمر، والحقبه من سنه ٥٠ وحتى ١١٨ هجريه.

ثابت قال: بلغتي عن ابن عمر في مرضه الذي مات فيه، قال: ما أجدني آسي على شيء من أمر الدنيا، إلا أني لم أقاتل الفئه الباغيه)) كما قال خالد محمد خالد: ((روى عنه أنه قال في أخريات أيامه: ما أجدني آس على شيء فاتني من الدنيا، إلا أني لم أقاتل (مع على) الفئه الباغيه))(۱)

وقال ابن الآثير: ((وكان ممن امتنع عن بيعته لما بايعت الناس المغيره بن شعبه))(۲)

كما كان مروان بن الحكم واحدا من أشهر ثلاثه رؤوس امتنعت عن بيعه على عليه السلام، منهم الوليد بن عقبه بن أبي معيط، وسعيد بن العاص، وقد ادّعى هؤلاء الممتنعون الثلاثه أنهم لن يبايعوا لآنّ علياً عليه السلام وترهم وقتل آباءهم، حيث تكلم الوليد بن عقبه أمام عليّ بلسان جماعته الآخرين فقال: ((يا هذا إنك قد وترتنا جميعا، أما أنا فقتلت أبى صبرا يوم بدر، وأما سعيد بن العاص فقتلت أباه يوم بدر، وأما مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمه إليه))(۳) وكان من المتخلفين عن البيعه: عبد الله بن عامر و أسامه بن زيد وزيد بن ثابت والنعمان بن بشير(۴)

كذلك امتنع عمرو بن العاص الذي غادر المدينه إلى فلسطين في حصار عثمان؛ فلم يعد إليها ولم يبايع علياً عليه السلام، وإنما استجاب لطلب معاويه وذهب إلى الشام ليفاوض معاويه على التعاون معه مقابل منحه مصر بخراجها وخيراتها (۵) وحينما نجحت المفاوضات بينهما نسى عمرو تلك الدمله التي تباهى أنه أنكأها، ويقصد تحريض الناس

۱- رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، ص ۱۰۷.
۲- ينظر: الكامل، مجلد۳،ص ۱۶۴.
۳- تأريخ اليعقوبي، ج۲، ص ۱۷۸.
۴- ينظر تأريخ الطبري، ج ه ، ص ۱٥۳-هه۱-۱٥۶.

٥- ينظر: تأريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٩٣ .

على عثمان، وصار من أكبر المطالبين بدمه والثأر له.

الجدير بالذكر أن المسلمين كانوا يرون فى التخلف عن البيعه أمرا معيبا وكانوا يبيحون لأنفسهم سب من يتخلف عن البيعه والتطاول عليه علنا سواء كانت البيعه شرعيه صحيحه أم مخالفه للشرع؛ فبعد بيعه أبى بكر اعتزلته الأنصار (فغضبت قريش وأحفظها ذلك فتكلم خطباؤها، وقدم عمرو بن العاص فقالت له قريش: قم فتكلم بكلام تنال فيه من الأنصار؟ ففعل ذلك... فخرج عليّاً مغضبا حتى دخل المسجد فذكر الآنصاربخير).(۱)

إن الاختلاف بين منهجى على عليه السلام وابن العاص يؤكد قرب أحد المنهجين لروح الدين وبعد المنهج الثانى كليا عن الدين فى الأصول والفرعيات ومنها حب الأنصار الذين كان الرسول يجبهم، وفى الحديث: ((حدثنا محفوظ بن أبى توبه، ثنا يزيد بن موهب، عن عيسى بن يونس، عن مجالد، عن الشعبى، عن خفاف بن عرابه، عن عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((الأصمار أصحابى فى الدنيا وشيعتى فى الآخره، وأول من يدخل الجنه من أمتى)).(۲)

لقد أزعج انتخاب الإمام على عليه السلام خليفه للمسلمين كل الطامعين بالإمره والساعين إليها والداعمين لهم، ومن يفضلهم على غيرهم، ولذا تجد التأثير قد وصل إلى بيت النبى صلى الله عليه وآله نفسه إذ جاء عن أم المؤمنين عائشه قولها بعد مقتل عثمان، وبعد إن علمت أن الأمه بايعت على عليه السلام خليفه للمسلمين: ((والله ما أبالى أن تقع هذ٥ على هذ٥)).(۳)

۱- تأريخ اليعقوبى، ج۲، ص ۱۲۸.

۲- الأوائل، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيبانى أبو بكر بن أبى عاصم، كتاب الكترونى،ص۲۲.

٣- تأريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٨٠.

خامسا: إفشال خططه وجهده عليه السلام بالدس والتدليس والغش.

بعد انتخاب علىّ للخلافه رغما لأنوف السياسيين، أصبح الهم الأكبر إفشال خططه والاعتراض على مشروعه البنائى وإسقاطه؛ وكانت لهم محاولات عديده منها:

١ . ما فعله المغيره بن شعبه يوم زار علىّ عليه السلام (لينصحه) بضروره إبقاء ولاه عثمان الفاسدين فى مواقعهم بما فيهم معاويه. وهى محاوله بارعه من السياسيين العرب كان هدفهم منها الحصول على فرصه لتنظيم أمورهم واستكمال استعداد جيشهم، لأن بيعه على عليه السلام للخلافه بغتتهم، وهو الموضوع الذى تحدث عنه المسعودى بقوله: ((ووجدت فى وجه آخر من الروايات أن ابن عباس قال: قدمت من مكه بعد مقتل عثمان بخمس ليال، فجئت على أدخل عليه، فقيل لى: عنده المغيره بن شعبه، فجلست بالباب ساعه، فخرج المغيره وسلم علىّ، وقال: متى قدمت؟ قلت: الساعه، ودخلت عليعلىّ وسلمت عليه فقال: أين لقيت الزبير وطلحه؟ قلت: بالنواصب، قال: ومن معهما؟ قلت:أبو سعيد بن الحارث بن هشام فى فتيه من قريش، فقال علىّ: ((أما إنهم لم يكن لهم بعد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان، والله يعلم أنهم قتله عثمان))، فقلت: أخبرنى عن شأن المغيره، ولم خلا بك؟ قال: جاءنى بعد مقتل عثمان بيومين فقال: أخلنى ففعلت، فقال: إن النصح رخيص وأنت بقيه الناس، وأنا لك ناصح، وأنا أشير عليك أن تردّ عمّال عثمان عامك هذا فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم)).(١)

إن المغيره الذى لبس ثوب الناصحين ممثلا ومندوبا للسياسيين العرب وموفدا منهم إلى الإمام والخليفه كان قد جازف قبل هذا التاريخ مع عمر بن الخطاب أيضا

١- مروج الذهب، سعودى، ٢ / ٣٧٢ والكامل فى التأريخ، مجلد٣ ص ١٦٨ واليعقوبى فى تاريخه، ج ٢ ،ص ١٨٠.

بنفس الآسلوب ولنفس الغايه والسبب، وبأمر من السياسيين العرب، فقد أخرج الطبرى عن النخعى والروايه أوردها السيوطى فى تاريخه: ((إن رجلا (المعروف أن هذا الرجل الذى لم يذكره النخعى هو المغيره بن شعبه مولى أبى لؤلؤه وثانى أكبر متآمر) قال لعمر: ألا تستخلف عبد الله بن عمر؟ فقال: قاتلك الله، والله ما أردت الله بذا، أستخلف رجلا لم يحسن أن يطلق امرأته؟))(۱)

يكفى أن نعلم بأن المغيره بن شعبه اعترف صراحه بأنه حاول غشّ الإمام علىّ عليه السلام بتلك النصيحه الغريبه (۲) وقد أشار اليعقوبى إلى هذا الاعتراف الخطر جدا فى تأريخه (۳)ولكنه لا هو و لا من قرأ أو سمع الاعتراف فهموا الدافع السياسى الذى كان يقف وراء هذه الحراكات.

۲. ومنها قيامهم يمطارده ولاته بالترصد لهم خارج حدود المدينه وعلى أطراف المدن؛ ومنعهم من الالتحاق بأعمالهم. إذ روى ابن الأثير فى حوادث سنه ست وثلاثين: ((إن فى هذه السنه فرق علىّ عماله على الأمصار: خرج سهيل حتى كان بتبوك فلقيته خيل فأرجعوه إلى المدينه! وخرج ييس بن سعد فلما انتهى إلى أبله لقيته خيل! وخرج عماره بن شهاب فلما بلغ (زباله) لقيه طلحه بن خويلد فقال له:ارجع فإن القوم لا يريدون بأمرهم بدلا، فإن أبيت ضربت عنقك))(۴)وهذا عمل منظم؛ لا اعتباطيه ولا ارتجال فيه، ويدل على مستوى سياسى عال جدا، ورفع كفايه لإسقاط مشروع قيد التنفيذ، وقد شهدنا مثل هذا التنسيق فى تنفيذ العمليات الإرهابيه فى العراق بما يدل على ارتباط

۱- تأريخ السيوطى، ص ۱۴۵.

۲- ينظر: الكامل فى التأريخ، مجلد۳ ص ۱۶۸.

٣- تأريخ اليعقوبي، جزء٢،ص ١٨٠.
٤- ينظر: الكامل لابن الأثير، المجلد٣ ص ١٧٢ -١٧٣ .

المنفنين بقياده واحده!

سادسا: تخريب اقتصاد دولته

بدأ التخريب الاقتصادى مبكراً جداً، وتحديداً مع بدايه انتخاب أبى بكر يوم قاموا بمصادره فدك منه ومن زوجه فاطمه عليها السلام؛ ثم أخذ شكلا آخراً فى النصف الثانى من خلافه عمر بن الخطاب وبشكل ظاهره عفوى وباطنه كيدى تآمرى بغيه خلق طبقتين غنيه متحكمه قائده مسيطره، وفقيره مسحوقه مسلوبه الإراده محكومه. وكان هدفهم من ذلك إرباك الأوضاع السياسيه للخليفه ودولته وشعبه.

إن مسأله التمييز فى توزيع الأموال التى سنها عمر إنما كانت بحث من السياسيين أنفسهم، وجاءت لتجريد الأطراف المعارضه لهم من أموالهم وإضعافهم اقتصاديا، وأنا أربط هنا بين قول من يرى أن الخليفه الأول صادر فدك من فاطمه عليها السلام ليضعف علياً عليه السلام اقتصاديا، وبين أمر لخليفه الثانى بالتفريق بين المسلمين فى العطاء ربطا مباشراً، وهنا نلحظ أن المستفيد الأكبر من هذا القرار هم السياسيون، والمتضرر الأكبر منه هم المعارضون، ومن أسلم من الموالى الذين كانوا يحسبون على المعارضه بسبب حرمانهم وبحثهم عمن ينصفهم.

أقرت هذه السياسه وفق المرسوم العمرى: لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه))(١) وفى حديثه عن سنه ١٥ هجريه قال الطبرى عن هذا القانون العمرى: ((وفى هذه السنه فرض عمر للمسلمين الفروض و دوّن الدواوين وأعطى العطايا على السابقه)).(٢)

١- الخراج، محمد بن عبد الله الأزدى البصرى، ص ٤٣ .

٢- تأريخ الطبرى، ج٢، ص٦٦١.

وعندما طعن عمر عرف الغايه من الضغط عليه بشده لإصدار مرسوم المفاضله،

فقال قولته المشهوره: ا(لئن عشت إلى هذه الليله وبقيت إلى الحول، لألحقن آخر الناس

بأولهم ولأجعلنهم رجلًا واحداً.. حتى يكونوا فى العطاء سواء))(١)

أما فى خلافه عثمان فقد أخذت سياسه التمييز فى العطاء والتوزيع طابعا جديدا

ومكشوفا حيث تجمعت الأموال بيد الأمويين، وأفتقر المسلمون من عرب وموالى من

غير الأمويين.

ومع تولى الإمام على عليه السلام الخلافه ضج السياسيون وتآمروا على إفقاره وتجويع شعبه

من خلال سرقه ما كان موجودا فى بيوت مال المسلمين لكى يضعفوه ويعرفوا الناس

عنه؛ وعليه تجد (يعلى بن منيه(٢) عامل عثمان على صنعاء يتحرك فى أحد اتجاهات التآمر

فيبادر إلى سرقه أموال بيت المال فى اليمن بعد مبايعه الإمام على عليه السلام مباشره واللجوء

إلى مكه والتحصن فيها، فلما التقى بطلحه والزبير بعد قدومهم إليها أعانهما بأربعمائه

الف، وحمل سبعين رجلا، واشرى لعائشه حملا بثمانين دينارا (٣) وفى روايه ابن الأثير

فى الكامل: ((وجهزهم يعلى بن منيه بستماته بعير وستمائه ألف درهم))(۴)وفى روايه

اليعقوبى((و قد يعلى بن منيه بمال من اليمن قيل إن مبلغه أربعمائه ألف دينار فأخذه

منه طلحه))(۵)

١- ينظر الطبرى، ٢ج، ص ۵۶۵

٢- كان يسمى باسم أمه(منيه)أما اسم أبيه فهو (أميه) ولذا يرد اسمه فى بعض الأحيان باسم أمه وفى يعضها باسم أبيه

٣- ينظر: الجفر والفتن، ص ٣٠

۴- الكامل، ابن الأثير، المجلد٣،ص ١٧٨

۵- تأريخ اليعقوبى،جزء٢، ص ١٨١

بمعنى أن التباين والتمكن المالى الذى أحدثته سياسه عمر فى توزيع العطاء وسياسه عثمان فى فتح بيوت مال المسلمين للأمويين لم يكن فاشيًا فشوًا طبيعئا بين عموم السابقين من المسلمين، أو عند غالبيتهم، ولا فى المجتمع الإسلامى كله، بل ولا حتى فى نصفه أو ربعه، ممايؤكد أن هناك خللًا مقصودًا دبره السياسيون أنفسهم أحدث تباينًا فى توزيع الأموال والثروات لم يفطن له الخلفاء ومنهم عمر، إذ لو كان التوزيع طبيعى وناتجا عن ظروف التقدم الاقتصادى لعاصمه المسلمين نتيجه مغانم الفتوح لكان قد شمل المجتمع كله، بينما نجد مقابل جبال الذهب التى تكدست عند البعض من الأقليه قحطا مدقعا عند الغالبيه، وفى صحيح الأخبار أن جميع تركه الإمام علئ بن أبى طالب عليه السلام بعد أن طعنه أشقاها المجرم ابن ملجم فى بيت الله، لم تتجاوز السبعمائه درهم فقط!!!

ص:١٤٢

محاولات الإصلاح الاقتصادى العلويه

وحينما ولى الإمام على عليه السلام الخلافه حاول إصلاح ما أفسدوه بغيهم وعمل على إعاده الأمور إلى نصابها بعيداً عن أى تحيز سياسى أو مفاضله عصبيه، وقد حاول عليه السلام فى أوائل أيام خلافته تصحيح الاعوجاج المدمر، والمؤثر فى مسيره الاسلام وعقيدته، بل والموهن لقدرات الإسلام بإعاده الأمور إلى نصابها، وتقسيم المال بين الناس بالتساوى، وأول عمل قام به أنه (انتع أملاكا كان عثمان أقطعها جماعه من المسلمين، وقتم ما فى بيت المال على الناس، ولم يفضل أحدا على أحد).(۱)

إن السلوك المتحيز والنظره التسقيطيه الاحتكاريه الضيقه إلى مال المسلمين يبدوان أكثر قربا إلى نظريه(الحق الإلهى)(۲) التى انفرد بها الاتجاه القرشى الأموى تساوقاً مع ما كان شائعًا فى بلاد فارس منه إلى تعاليم الإسلام، ومع ذلك قد يأتى من يعترض على فكره وجود مؤامره سياسيه، أو يعرضن على قولنا أن هذه المؤامره هى التى كانت تحرك إلى هذا الاتجاه، ويقول: صحيح أن هذا السلوك سواء من حيث التعامل مع المال أم التعامل مع المعترضين على السلوك المخطئ يبدوان مخالفين للنظريه الإسلاميه، ولكن أين موقع المؤامره منه، وما هى المؤشرات على وجودها؟

والجواب عليه يمكن تلخيصه بالآتى: يبدو من خلال طريقه اعتراض من لم يرضهم هذا العمل أنها تمثل الاتجاه الإسلامى البحت وهو اتجاه عرف بإتباعه الطرائق السلميه

۱- مروج الذهب، المسعودى،ج ۲، ص ۳۷۰

۲- سوف نتوسع إن شاء الله بشرح نظريه الحق الإلهى لاحقا

من خلال المعارضه الايجابيه النابعه من تشريع وقاعده (الدين النصيحه) وشعار ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)) وكان القائمون على هذا النهج مجموعه من وجوه الصحابه المعروفين ومنهم على بن أبى طالب، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفارى، وعبد الله بن مسعود، ومالك بن الحرث الأشتر رضى الله عنه، وهم جميعاً كانوا يحترمون الخلافه احتراما للإسلام، ولكنهم بعد اعتراضهم المنطقى على مخالفات بعض الخلفاء قوبلوا شده ويعنف وقسوه، وهى قسوه لم يرد فى القانون الاسلامى تخريج أو إباحه لها، بما ينبيك أن القساه الذين تعاملوا مع المعارضه بالشكل المهين لم يكونوا مهتمين بمسأله تطبيق مبادئ الشريعه بقدر اهتمامهم بحمايه مصالحهم، وهم لم يلتفتوا إلى أمهيه معاقبه المعترضين بهذا الأسلوب إلا لأنها تصب فى صالح مشروعهم، فهم كانوا يدركون أن ذلك العمل سوف يزيد غليان الشارع الاسلامى بوجه الحكومه، وحينئذ يسرع فى وصولهم إلى الحكم.

ص:١٤٤

المرحله الثانيه: المواجهه الخشنه

اشاره

ولكى يشغلوا عليا عليه السلام بالحروب وينفروا بسطاء الناس وطلاب الدنيا عنه ومجردوه من قاعدته الجماهيريه ويفشلوا مشروعه الكبير شنوا ثلاثه حروب متعاقبه مدمره فى جغرافيات متباعده وأزمنه متقاربه. ولذا أجد أن محطات الحروب الدمويه الثلاث التى فرضوها عليه تستحق الوقوف والتأمل فهى فضلا عن كونها وعدا ربانيا اخيره النبى صلى الله عليه و آله به يوم قال له: ((ستقاتل الناكثين والمارقين والغاسطين)) فإنها تؤكد أيضا قدره السياسيين العرب على المناوره والتحرك والتأثير على الجماهير وتسخيرهم عن طريق الإغراءات الدنيويه.

ونظرا لأهميه الوعد النبوى بمقاتله الإمام لهذه الفئات الثلاث، ولعلاقه ذلك بالحديث عن السياسه الدينيه وما سيرد فى الجزء الثانى من الكتاب، سأضطر إلى التوسع قليلا بإيراد أحاديث الوعد(١) ولاسيما أن هناك مناهج سياسيه دينيه لا تزال إلى يومنا الحارض تصر على كذب هذا الخير، وتعمل المستحيل لإسقاطه من المنظومه الحديثيه؛ بالتشكيك مره بنده، وأخرى بمضمونه، وثالثه بحقيقته.

قتال الناكثين و القاسطين و المارقين

روى الحاكم فى المستدرک بنده ((عن عقاب بن ثعلبه قال: حدثنى أبو أيوب الأنصارى فى خلافه عمر بن الخطاب قال: أمر رسول الله!، على بن أبى طالب بقتال

١- للاستزاده و التوسع ينظر: كتاب الإمامه وأهل البيت، محمد بيومى مهران، ج ٢، ص ١٧٧-١٨٣

الناكثين، والقاسطين والمارقين))(۱) ورواه الهيثمی عن عبد الله بن مسعود وقال: رواه

الطبرانی(۲) وعن الإصبع بن نباته عن أبی أیوب الأنصاری قال: ((سمعت النبی صلی الله علیه و آله،

یقول لعلی بن أبی طالب: تقاتل الناكثين والقاطين بالطرقات والنهروانات،

وبالسعفات، قال أبو أیوب: قلت یا رسول الله: مع من نقاتل هؤلاء الأقوام، قال: مع

علی بن أبی طالب))(۳).

ورواه الخطيب البغدادی بنده عن خليد العصری قال: ((سمعت أمير المؤمنين

عليا يقول يوم النهروان: أمرنی رسول الله صلی الله علیه و آله بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين))(۴)

وعن علقمه والأسود، قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاری عند منصرفه من صفين فقلنا له:

يا أبا أيوب إن الله أكرمک بنزول محمد صلی الله علیه و آله وبمجیء ناقته، تفضلا من الله وإكراما لک

حتی أناخت ببابک دون الناس ثم جئت بسيفک علی عاتقک تضرب به أهل لا إله إلا

الله؟ فقال: يا هذان، إن الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله أمرنا بقتال ثلاثه مع علی:

بقتال الناكثين والقامطين والمارقين، فأما الناكثون فقد قاتلناهم أهل الجمل، طلحه

والزبير، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم (يعنی معاويه وعمرو) وأما المارقون

فهم أهل الطرقات وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات. والله ما أدری

أين هم ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله. قال: وممعت رمول الله! يقول لعار:

تقتلک الفئه الباغيه، وأنت إذ ذاک مع الحق والحق معک، يا عماربن ياسر إن رأيت عليا

قد سلک واديا؛ وسلک الناس واديا غره، فاسلک مع علی، فإنه لن يدليک فی ردی ولن

۱- المستدرک الحاكم ج ۳ ص ۱۳۹

۲- مجمع الزوائد ج ۷ ص ۲۳۸ و قال:رواه الطبرانی فی الأوسط

٣- المستدرك للحاكم ١٣٩/٣

٤- تاريخ البغدادى الخطيب البغدادى ج٨ ص ٣٤٠ و ج٢ ص ١٧٨

يخرجک من هدی. یا عمار من تقلد سیفا أعان به علیا علی عدوه قلده الله یوم القیامه

وشاحین من در، ومن تقلد سیفا أعان به عدو علی علیه، قلده ک یوم القیامه وشاحین

من نار. قلنا: یا هذا حسبک رحمک الله، حسبک رحمک الله.(۱)

ورواه ابن الأثیر عن أبی صادق عن مخیف بن سلیم قال: أتینا أبا أیوب الأنصاری

فقلنا: قاتلت بسیفک المشرکین مع رسول الله صلی الله علیه و آله، ثم جئت تقاتل المسلمین؟ قال:

أمرنی رسول الله صلی الله علیه و آله بقتال الناکثین والقاسطین والمارقین))(۲) وعن سعید بن عبید عن

علی بن ربیعه قال: سمعت علیا علی منبرکم هذا یقول: عهد إلی رسول الله صلی الله علیه و آله، أن

أقاتل الناکثین والغاسطین والمارقین))(۳) وعن أبی سعید الخدری قال: أمرنا صلی الله علیه و اله بقتال

الناکثین والقاسطین والمارقین، فقلنا: یا رسول الله صلی الله علیه و آله أمرتنا بقتال هؤلاء فمنع من؟

قال: مع علی بن أبی طالب، معه یقتد عمار بن یاسر))(۴)

ورواه المتقی الهندی فی کنز العمال عن الإمام زید بن الإمام علی بن الحسین عن

أبیه عن جده عن علی بن أبی طالب علیهم السلام و، قال: أمرنی رسول الله صلی الله علیه و آله بقتال الناکثین

والمارقین والغاسطین)). قال أخرجه ابن عساکر(۵) وعن علی بن ربیعه قال: سمعت

علیا علیه السلام علی المنبر، وأتاه رجل فقال: یا أمیر المؤمنین، ما لی أراک تستحل الناس

استحلال الرجل إبله، أبعهد من رسول الله صلی الله علیه و آله، أو شیئا رأیته؟ قال: ((والله ما کذبت،

ولا کذبت، ولا ضللت، ولا ضل بی،بل عهد من رسول الله صلی الله علیه و آله، أن أقاتل الناکثین

۱- تاریخ البغدادی ج ۱۳ ص ۱۸۶

۲- أسد الغابه ۱۱۵/۴

۳- المصدر نفسه أسد الغابه ج ۴ ص ۱۱۵

۴- أسد الغابه ج ۴ ص ۱۱۴

٥- كنز العمال ج ۶ ص ۳۹۲

والقاسطين والمارقين)). قال أخرجه البزار وأبو يعلى(۱) وعن الثوری ومعمر عن أبی

إسحاق عن عاصم بن ضمره عن أبی صادق قال: ((قدم علینا أبو أیوب الأنصاری

العراق، فقلت له: یا أبا أیوب، قد کرمک الله بصحبه نبیه صلی الله علیه و آله، وبنزوله علیک، فما لی

أراک تستقبل الناس تقاتلهم، تستقبل هؤلاء مره، وهؤلاء مره، فقال: إن رسول الله صلی الله علیه و آله،

عهد إلینا أن نقاتل مع علی الناکثین، فقد قاتلناهم، وعهد إلینا أن نقاتل معه القاسطین،

فهذا وجهنا إلیهم - یعنی معاویه وأصحابه - وعهد إلینا نقاتل مع علی المارقین، فلم

أرهم بعد - قال أخرجه ابن عساکر))(۲) وعن ابن مسعود قال:((خرج صلی الله علیه و آله، فأتی منزل أم

سلمه، فجاء علی، فقال رسول الله صلی الله علیه و آله: یا أم سلمه، هذا والله قاتل القاسطین والناکثین

والمارقین من بعدی - أخرجه الحاکم فی الأربعین وابن عساکر)).(۳) ورواه المحب

الطبری عن ابن مسعود.(۴)

وأخرج السیوطی فی تفسیره(الدر المنثور فی التفسیر بالمأثور) فی تفسیر قول الله

تعالی:(فإما نذهبن بک فإنا منهم منتقمون)(۵)قال:((أخرج ابن مردویه من طرق

محمد بن مروان عن الکلبی عن أبی صالح عن جابر بن عبد الله عن النبی صلی الله علیه و آله فی قوله

تعالی: (فإما نذهبن بک فإنا منهم منتقمون) نزلت فی علی بن أبی طالب علیه السلام إنه ینتقم

من الناکثین والقاسطین بعدی))(۶)...

۱- المصدر نفسه.ج ۶ ص ۸۲

۲- المصدر النفسه ج ۶ ص ۸۸

۳- مصدر النفسه ج ۶ ص ۳۱۹

۴- الریاض النضره ۳۲۰/۲

۵- سوره الزخرف: آیه ۴۱

۶- فضائل الخمسه من الصحاح السته السید مرتضی الحسینی الفیروز آبادی ج ۲ ص ۳۵۸-۳۶۳

فضلا عن ذلک ورد الحدیث بصیغه المختلفه فی کتب أخری منها مسند أبی یعلی

ومجمع الزوائد عن علی بن ربیعه قال: اسمعت علیا علیه السلام علی المنبر وأتاه رجل فقال: یا

أمیر المؤمنین ما لی أراک تستحیل الناس ستحاله الرجل أبله؟ أبعهد من رسول الله صلی الله علیه و آله

أو شیئا رأیته؟ قال علیه السلام: ((والله ما کذبت ولا ضللت ولا ضل بی، بل عهد من رسول

الله صلی الله علیه و آله عهده إلی، وقد خاب من افتری))(۱)

ومن خطبه للإمام علی علیه السلام خطبها بالبصره بعد افتتاحها....فقام إلیه رجل فقال:یا

أمیر المؤمنین أخبرنا عن الفتنه، هل سألت عنها رسول الله صلی الله علیه و اله؟ قال علیه السلام: ((نعم، إنه لما

نزلت هذه الآیه،من قول لله عز وجل:((أحسب الناس أن یترکوا أن یقولوا أمنا و هم

لا یفتنون)) علمت أن الفتنه لا تنزل بنا ورسول الله صلی الله علیه و آله حی بین أظهرنا، فقلت: یا

رسول الله، ما هذه الفتنه التی أخبرک الله بها؟ فقال: یا علی، إن أمتی سیفتنون من

بعدی. قلت: یا رسول الله، أولیس قد قلت لی یوم أحد حیث استشهد من استشهد

من الملمین، وحزنت علی الشهاده فثق ذلک علی، فقلت لی: أبشر یا صدیق، فإن

الشهاده من ورائک؟ فقال لی: فإن ذلک لکذلک، فکیف صبرک إذا خضبت هذه من

هذه؟ وأهوی بیده إلی لحیتی ورأسی. فقلت: بأبی وأمی یا رسول الله لیس ذلک من

مواطن الصبر ولکن من مواطن البشری والشکر. فقال لی: أجل، ثم قال: یا علی،

انک باق بعدی، ومبتلی بأمتی، ومخاصم یوم القیامه بین یدی الله تعالی فأعدد جوابا.

فقلت: بأبی أنت وأمی، بین لی ما هذه الفتنه التی یبتلون بها؟ وعلام أجاهدهم بعدک؟

فقال: إنک ستقاتل بعدی الناکثه والغاسطه والمارقه. وجلاهم وسماهم رجلا رجلا.

۱- مسند أبی الموصلی ج ۱ ص ۲۶۸ الرقم ۵۱۴ و ص ۲۶۹ الرقم ۵۱۵ مجمع الزوائد ج ۹ ص ۱۳۵ و ج ۷ ص ۲۳۸ و تاریخ

دمشق ج ۳ ص۲۰۱ الرقم ۱۲۰۸ ؛البدایه النهایه ج ۷ ص ۳۰۵ ؛اللآلی المصنوعه ج ۱ ص ۴۱۱ ؛ احقاق الحق ج ۶ ص ۷۰

ثم قال لی: وتجاهد أمتی علی کل من خالف القرآن ممن یعمل فی الدین بالرأی، ولا

رأی فی الدین إنما هو أمر من الرب ونهیه)).(۱)

وقد یکون الحدیث الذی أخرجه النسائی فی الخصال من أروع مصادیق هذه

الروایه العظیمه، وهو الحدیث رقم ۱۵۰ وفیه: ((حدثنا أحمد بن شعیب، قال: اخبرنا

إسحاق بن إبراهیم ومحمد بن قدامه (واللفظ له) وعن حرب عن الأعمش عن

إسماعیل بن رجاء عن أبیه، عن أبی سعید الخدری قال: کنا جلوسا ننظر رسول الله

فخرج إلینا قد انقطع شسع نعله نرمی به إلی علی علیه السلام، فقال: إن منکم رجلا یقاتل الناس

علی تأویل القرآن کما قاتلت علی تنزیله، قال أبو بکر: أنا؟ قال: لا قال عمر: أنا؟

قال: لا ولکن خاصف النعل))(۲)وقال المحقق فی الحاشیه: إسناده صحیح، أخرجه

ابن حبان (۲۲۰۷) من طریق الأعمش به. وتابعه فطر بن خلیفه عن إسماعیل بن جابر

به. أخرجه احمد (۳/ ۳۱، ۳۳، ۸۲) والحاکم (۱۲۲/۳ ۱۲۳) وأبو نعیم فی الحلیه

(۶۷/۱) وابن الجوزی فی العلل المتناهیه (۱/ ۲۴۲) قال الحاکم: صحیح علی شرط

الشیخین، ووافقه الذهبی.

وفی روایه: قال الحسن علیه السلام لأبیه یوم النهروان: ا(یا أمیر المؤمنین، أکان رسول الله

تقدم إلیک فی أمر هؤلاء بشیء؟ فأجابه: إن رسول الله أمرنی بکل حق، ومن الحق أن

أقاتل الناکثین والقاسطین والمارقین))(۳).

ص:۱۵۰

۱- منتخب کنز العمال بهامش مسند احمد بن حنبل ج ۶ ص ۳۱۹ المعجم الکبیر ج ۳ ص ۱۴۵ الاحتجاج للطبرسی ج ۱ ص ۴۶۳ الرقم ۱۰۷

۲- خصال النسائی مصدر سابق حدیث رقم ۱۵۰ ص ۱۱۹-۱۱۸

۳- أهل البیت؛ الحسن بن علی توفیق أبو علم ط ۳ دار المعارف. مصر ص ۴۶

ولما فشلت مساعيهم فى عرقله إتمام البيعه تحركوا فى اتجاه الحسم العسكرى؛ حركه استباقيه للاستيلاء على السلطه وتسقيط المشروع العلوى، ليس للقضاء على هذا المنافس الخطير الجديد فحسب، بل وللقضاء على مجاميع الصحابه الذين لا تتوافق رؤاهم ومواقفهم مع الشرع السياسى التآمرى، وذلك لكى تخلو لهم الساحه بالكامل، وعليه كانوا يغرون الصحابه وتخدعونهم ويورطونهم فى المشاكل، فكانت الجمل... وكانت صفين... وكانت النهروان... وكان النجاح المنتظر قد تحقق أخيرا (بعد عناء طويل ودماء بريئه أكثر) بقيام الدوله الأمويه فى الشام، حيث نسى العالم الإسلامى شعار(سنه الشيخين) ونسى كل ما قالوه من أحكام وسنن فعلا، ونسوا الدماء التى كان المتآمرون يطالبون بالثأر لها من قبل.

إن الجمل وصفين والنهروان لم ترتكب لكى تنهى حكم الإمام على عليه السلام فقط، بل سعرت نارها لتنهى وجود كل الوجوه المعارضه الأخرى التى كانت مستعده للاعتراض على مشروع المتآمرين التخريبى، لأن وجود هذه الوجوه ذات الثقل المجتمعى الكبير ما كان ليسمح للمؤامره أن تمر بيسر، ولذا تجد المتآمرين يعملون باتجاهين:

•الأول: تسقيط المشروع العلوى للسيطره على الحكم، تاره بالتشنيع وأخرى بحث الناس على عدم البيعه، وثالثه بإثاره الفتن، ورابعه بمهاجه ثغور الدوله العلويه وقوافل الحجاج.

•الثانى: زج الصحابه ولاسيما الرموز الكبيره منهم فى الفتن المختلفه من خلال الوقوف فى وجه قوات الدوله للتخلص من منافستهم أو اعراضهم.

إن هذه الوقاح العظيمه الثلاث (الجمل وصفين والنهروان) هى محطات أريد منها

أن تصفو الأجواء للمتآمربن عن طريق التخلص من كل المنافسين المحتملين، أو الذين

سيرفضون المشروع التآمرى، وعليه قدمت صفين إلى الموت فى أثناء سته أشهر ونصف

الشهر من القتال الدموى أكثر من سبعين ألف مسلم موحد منهم خمسه وأربعون ألفا من

أهل الشام، وخمسه وعشرون ألفا من أهل العراق، وتجد بين هذه الوجوه التى مرغت

بالتراب بقسوه ووحشيه قل نظيرها؛ وقدمت أجسادها للطيور الجارحه ووحوش

البيداء طعاماً، العشرات من وجوه الصحابه الكرام رضى الله عنهم منهم من كانت الجنه تشتاق

إليه كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه و آله، وهو الصحابى الكبير عمار بن ياسر الذى استشهد

وهو شيخ عجوز يبلغ الثالثه والسبعين من العمر، ليصدق قول النبى صلى الله عليه و اله: ((ويح عمار

أو ويح ابن سميه تقتله الفئه الباغيه)).(١)

إن مشاركه ذلك الثقل الكبير من الصحابه الكرام فى جيش الإمام على فى حرب

صفين يأتى ليؤكد حقيقه تلك الخطوط ويؤكد وجودها إلى جانب الحق واستعدادها

لنصره العقيده، ويؤكد من جانب آخر كبر المؤامره التى تنفذ ضد الإسلام ورجاله

العظام صحابه رسول الله الكرام رضى الله عنهم حيث يقول المسعودى: ((وكان ممن شهد صفين

مع على أصحاب بدر سبعه وثمانون رجلاً: منهم سبعه عشر من المهاجرين، وسبعون

من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجره وهى بيعه الرضوان من

المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله تسعمائه وكان جميع من شهد معه من

الصحابه ألفين وثمانمائه))(٢) وأخرج الحاكم عن الحكم قال: ((شهد مع علئ فى صفين

ثمانون بدرياً، وخمسون ومئتان ممن بايع تحت الشجره))(٣) وهذا يعنى أنه لوكتب لصفين

١- ينظر مروج الذهب للمسعودى، ٢ / ٣٦٩

۲- مروج الذهب،المسعودی، ۲ / ۳۶۹

۳- المستدرک، الجزء الثالث، صفحه ۱۱۴، حدیث رقم ۱۵۷/۴۵۵۹

أن تستمر مده أطول لكانت قد أكلت جيل الصحابه بأكمله، وأفرغت الأرض منهم

ومن بركاتهم وحرمت الأجيال من علومهم وسنن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله التى كانوا يحملونها

بكمال ما يمثله ذلك من خطر على الفكر والعقيده والشرع الإسلامى برمته.

وأتت هذه الجريمه النكراء بعد أن اختطفت يد المنون من الرعيل الإسلامى

الأول، جيل الصحابه المثالى، كوكبه كريمه من حامل لواء الدعوه البواسل ورجال

الإسلام الأوائل فى واقعه الجمل التى قيل فيها من أهل البصره ومن غيرهم ثلاثه عشر

ألفا وقتل من أصحاب على خمسه آلاف فى يوم واحد فقط(۱) وكان بين القتل عدد كبير

من الصحابه الكرام فى الجيشين الإسلاميين المتقابلين.

إن هذه المجازر الوخثيه بحق المسلمين من الصحابه والتابعين، من الجيل المثالى

والجيل الذى يليه، جيل التابعين الذى لا يقل روعه عن جيل الصحابه، لم تأت من فراغ،

ولم تكن وليده حقد مفاجئ، وإنما جاءت لكون هؤلاء وافقوا على بيعه عليهه للخلافه

فأصبحوا من المعادين لمشروع الانقلاب، باعتبار أنهم لو لم يكونوا من المعرضين على

المؤامره ما كانوا قد خرجوا للقتال بين يديه، وأنهم لو كانوا قد اعتزلوا ولم يبايعوا

عليا عليه السلام ما كانت يد الموت لتطالهم.

إنها صفحه من صفحات تلك المؤامره التى يرفضى التأريخ التحدث عنها صراحه،

وإذا ما تحدث عنها يتحنث بالهمس والإيماء، أو بأسلوب ابن العربى فى العواصم من

القواصم، كان هدف هذه الصفحه الغادره إفشال المشروع العلوى، والقضاء على وجوه

المعارضه المحتمله، وتخنيع الناس، ووضعهم أمام محصلات الأعمال، دون أن يكون لهم

رأى فيما يحدث، ولاسيما بعد أن رأوا بأم أعينهم جرائم مقتل خلفائهم الواحد تلو

١- ينظر: مروج الذهب، جزء٢ ، ص ٣٦٨

الآخر. وتأتى بعد أن عجزت الفتوح الوهميه التى كانت غايتها إبعادهم عن العاصمه فى تطويعهم وإسكاتهم أو القضاء عليهم.

وأرى أنه لو لم يكن لهذه الحروب التى افتعلها المتآمرون وزجوا فيها وجهاء الصحابه بعد أن خدعوهم إلا تشتيت رأى الأمه، لكان ذلك كافيًا لتأكيد عمق أثرها فى الإسلام، وفى المسلمين الذين اختلفت آراؤهم فى أهل الجمل اختلافاً يدعوإلى الدهشه والعجب، لأنه يبين عمق التخريب الذى أصاب الرأى الإسلامى الموحد، حيث نجد المسلمين سقمون فرقا لكمال منها رأى خاص بأحد طرفى نزع الجمل، لا تدرى علام استندوا فى استنباطه. وفى إحصاء بسيط لهذه الآراء المتباينه تجد هناك:

فرقه قالت بتخطئه جميع أهل الجمل، على وعائشه وطلحه والزبير.

فرقه قالت: لا ينبغى لأحد أن يخوض فى ذكر الصحابه وما جرى بينهم.

فرقه قالت: إن الطرفين كانا على صواب.

فرقه قالت: إن عليا كان محقا ومصيبا فى حربه لهم؟

فرقه قالت إن أحد الفريقين ضال فى البصره فاسق خارج من الإيمان والإسلام، والفريق الآخر هاد مهدى مصيب مستحق للثواب والخلود فى الجنات، غير أنهم زعموا أنه لا دليل على تعيين الفريق الضال.

فرقه الخوارج قالت: إن عليا عليه السلام كان مصيبا ومحقا فى قتال أهل البصره، وإنهم كانوا بقتاله ضلالاً كفاراً.

فرقه الشيعه وقالت: بكفر كل من حارب عليا عليه السلام، ولكنهم لم يخرجوهم بذلك...

عن حكم الإسلام؛ لأن كفرهم كان كفر مله، ولم يكن كفر رده عن الشرع. (۱)

ولك أن ترى مقدار الضرر الذى أحدثه الفعل السياسى التآمرى على الإسلام لدرجه أن المسلمين بدو عاجزين عن معرفه المخطئ من المصيب فى هذه الواقعه التأرخييه الكبيره والمهمه، ومن حقهم أن يعجزوا بالتأكيد، لأنهم ظاهراً كانوا مهتمين بشؤونهم الحياتيه الخاصه أكثر من اهتمامهم بالعقيده. إن اثر الحراك السياسى فى الحروب التى شنوها على عليه السلام وجيشه يدفعنا عنوه للتوسع فى الحديث عنها لكى نثبت الدور السياسى الذى كان يتحكم فى الأحداث والذى أمتد تاثيره إلى حقبه خلافه الإمام الحسن عليه السلام. وكانت بدايه هذا المشروع السياسى الاعتراضى التخريبى الكبير واقعه يوم الجمل.

الجمل؛ الحرب الغادره الأولى

بعد كل تلك المعمعه والممانعه؛ بدأ الصراع الدموى بين الخطين، وكانت حرب الجمل أولى الوقعات. وقد جاء فى العقد الفريد عن حرب الجمل: ((عن حصين عن الآحنف بن قيس قال: قدمنا المدينه نريد الحج فانطلقت فأتيت طلحه والزبير فقلت لهما: إنى لأرى هذا مقتولا (يعنى عثمان) فمن تأمرانى به كما ترضيه لى؟ قالا: نأمرك بعلى بن أبى طالب. قلت: تأمرانى به وترضيانه لى؟ قالا: نعم. قال: ثم انطلقت حتى أتيت مكه، فبينما نحن فيها إذ أتانا قتل عثمان فانطلقت إلى عائشه فى مكه؛ فقلت: من تأمرينى أن أبايع؟ قالت: على بن أبى طالب. قلت: أتأمريننى به وترضيه لى؟ قالت: نعم. فمررت على على بالمدينه فبايعته ثم رجعت إلى البصره فما راعنا إلا وقدوم عائشه وطلحه والزبير قد نزلوا جناب الخريبه))(۲)

١- ينظر: الجمل للشيخ المفيد، ص ٥٣ إلى ص ٧٠

٢- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، مجلد ٣، ص ٩٨

سؤال: لماذا نحكم ونجزم بأن جيش الجمل وقادته كانوا مدفوعين من قبل

السياسيين وواقعين تحت تأثيرهم، ولماذا لا يكون ذلك اجتهادا منهم؟

الواقع أنهم أنفسهم فى مسيرهم إلى البصره بدرت منهم أقوال فضحت وجود

المؤثر والدافع السياسى وراء هذا الحراك؛ ومن يفكك هذه الأقوال يصل إلى حقيقه لا

تقبل أى تأويل آخر تقول بأن قاده الجمل وزعماء الحمله أنفسهم كانوا مدفوعين لحرب

على عليه السلام رغما عنهم، ولم يكونوا أصحاب قرار ولا مجتهدين.

كانت عائشه أول المنتبهين للمؤامره فهى بعد أن وصلت إلى (الحوأب) حيث

جاء فى كتب التأريخ أنها فى الطريق إلى البصره، وبعد وصول الجيش إلى منطقه اسمها

الحوأب نبحتها الكلاب؛ فسألت عن المنطقه؛ فقالوا لها: إنها الحوأب فقالت: ((ما أظننى

إلا راجعه، سمعت رسول الله يقول: كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب))

ويقول (عكاشه عبد المنان) فى هامش الصفحه التى أخرج بها هذه الروايه: رواه أحمد

وأبويعلى والبزار والحاكم والبيهقى وأبونعيم عن قيس؛ قال: ((لما بلغت عائشه ديار بنى

عامر نبحت عليها الكلاب)).(۱)

وفى روايه أخرى عن (العرنى) الذى اشتروا منه الجمل المدعو عسكر لتركبه

عائشه، وشغلوه دليلًا لدهيم، أخرجها ابن الأثير، أنه قال: ((حتى طرقنا الحوأب وهو

ماء فنبحتنا كلابه؛ فقالوا: أى ماء هذا؟ فقلت: هذا ماء الحوأب، فصرخت عائشه بأعلى

صوتها: إنا لله وإنا إليه راجعون، إنى لهى، سمعت رسول الله صلى الله عليه و اله يقول وعنده نساؤه:

ليت شعرى يكن تنبحها كلاب الحوأب. وقالت: ردونى أنا والله صاحبه ماء الحوأب،

فأناخوا حولها يوما وليله، فقال لها عبد الله بن الزبير: إنه كذب ولم يزل بها؛ وهى تمتنع،

١- ينظر: الجفر والفتن، عكاشه عبد المنان، ص ٣٠

فقال لها: النجاء، النجاء قد أدرككم على بن أبى طالب عليه السلام فارتحلوا))(۱) وأنت تلاحظ هنا

وكأن فى المسأله توريطاً متبادلاً، حيث ورط السياسيون قاده الجمل، ومنهم طلحه وابن

الزبير وعائشه وقاده الجمل الآخرين فى المسير إلى الحرب، فلما كشفت عائشه الخدعه

بادرها القاده المخدوعون بالكذب والتخويف وورطوها لتنصاع إليهم ولا تتركهم.

لقد جاء امتناع عائشه عن المسير؛ لأنه سبق لها أن سمعت تحذيرا نبويا بهذا

الخصوص، وأوردت أغلب الكتب الحديثه قصه التحذير والكتب التى تناولت موقعه

الجمل. وفضلا عن الروايات المذكوره آنفاً، أورده الحاكم فى مستدركه عن أم المؤمنين

أم سلمه. قالت: ((ذكر النبى صلى الله عليه و اله خروج بعض أمهات المؤمنين؛ فضحكت عائشه

فقال: انظرى يا حميراء أن لا تكونى أنت. ثم التفت إلى على فقال: إن وليت من أمرها

ثيقا فأرفق بها)(۲)

إن ما يوضح لنا أن عائشه كانت خمدوعه وكانت واقعه تحت تأثير (السياسيين

الذين ورطوها بهذا العمل من دون أن يلتفتوا إلى حرمتها ومكانتها من رسول الله صلى الله عليه و آله)،

إنها بعد الواقعه أسفت وتندمت وبكت كثيرًا وقد ورد عن (هشام بن قيس) أنها قالت:

((وددت أنى كتت ثكلت عشره مثل الحارث بن هشام وأنى لم أسر سيرى مع ابن الزبير(۳)

وفى المسعودى أنها بعد أن أعادها الإمام عليه السلام إلى ديارها وأرسل معها النساء اللواتى

لبسن أزياء الرجال يحرسنها: ((فلما أتت المدينه قيل لها: كيف رأيت مسيرك؟ قالت:

كنت بخير والله، لقد أعطى على بن أبى طالب فأكثر، ولكنه بعث معى رجالا أنكرتهم،

فعرفها النسوه أمرهن، فسجدت وقالت: ما ازددت والله يا ابن أبى طالب إلا كرما،

۱- الكامل لابن الأثير، المجلد الثالث، ص ۱۸۰

٢- المستدرک، الجزء الثالث، صفحه ١٢٩ الحديث رقم ٢٠٨/۴۶١٠

٣- المصدر نفسه، المستدرک للحاکم، حديث رقم ٢٠٧/۴۶٠٩ صفحه ١٢٨

وودت أني لم أخرج... وإنما قيل لي: تخرجين فتصلحين بين الناس، فكان ما كان(١)

ومن خلال هذا النقل تتضح الخدعه الكبرى ويتضح التوريط المتبادل، بدلاله قولها:

اوإنما قيل لي: تخوجين تتصلحين بين الناس)) فمن قال لها أخرجي للإصلاح؟ لماذا لم

تعلن اسمه؟ لماذا قالته بصيغه المبني للمجهول؟ ألا يستحق الفضيحه بعد أن ورطها

هذه الورطه الكبيره؟ فلماذا تسكت؟!

فإذا ما كان الزبير وطلحه وكما سيمر علينا بعد قليل لا يملكان امرهما؛ وهناك

من قال لهما: أخرجا عنوه، أو مكرا وخداعا؛ وكانت عائشه قد قيل لها أخرجي؛ فمن

القائل الآمر؟ ولماذا لم تشر إليه الروايات؛ هذا إلا إذا ما كان هو نفسه الذي كتب تاريخ

الأمه فحذف هذه المعلومه، او أن هناك مصلحه متبادله استوجبت إبقاء اسمه في طي

النسيان!

الزبير هو الآخر كان مخدوعا؛ واعرف بذلك صراحه. فهو بعد أن فرغ من قتل

أنصار علي عليهم السلام في البصره بحجه أنهم اشركوا في قتل عثمان، وقف خطيبا وقال: ((ألا

ألف فارس أسير بهم إلى علي أقتله قبل أن يصل إلينا، فلم يجبه أحد. فقال: إن هذه للفتنه

التي كنا نتحدث عنها. فقال له مولاه: أتسميها فتنه؛ وتقاتل فيها؟ قال: ويلك، إنا نبصر

ولا تبصر، ما كان أمر قط إلا وأنا أعلم موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدري

أمقبل أنا فيه أم مدبر)).(٢)

ويعني هذا الاعتراف الصريح (غير هذا الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر)

بأنه كان مدفوعا قسرا لحرب علي عليه السلام ويؤكد صحه رأينا أنه بعد أن نبهه الإمام علي عليه السلام

١- مروج المسعودي جزء ٢ ص ٣٨٨

۲- الکامل فی التاریخ مجلد۳ ص ۱۸۸

من غفلته تلك؛ ترك ساحه الحرب وقفل راجعًا إلى المدينه لا يلوى على شيء، فلما وصل

إلى (وادى السباع) جلس يؤذى الصلاه، فلحقه واحد من جند السياسيين المتآمرين

أو عمالهم ومساعديهم ممن أوكلت لهم المهمات القذره؛ اسمه (عمرو بن جرموز) مع

صاحبين له الأول اسمه (نفيع) والثانى اسمه (فضاله) فقتلوه واحتزوا رأسه وحملوه

معهم.

وطلحه هو الآخر اعترف صراحه بأنه مدفوع إليها؛ وليس صاحب قرار فيها،

فهو حتى قبل أن يقتل الزبير كان يجلس وحيدا معتزلا الناس مفكرا بالحال التى وصل

إليها، بما فيها الخروج على إمام الزمان، وقد قال (علقمه بن وقاص الليثى) بعد أن رآه

مختليًا معزولا عن الناس مطرقاً مفكرًا، وقد وضع رأسه فى صدره، كمن يحمل هموم

الدنيا كلها: يا أبا محمد أرى أحب المجالس إليك أخلاها، وأنت ضارب بلحيتك على

صدرك، إن كرهت شيئاً فاجلس! قال: فقال لى: يا علقمه، بينا نحن يد واحده على من

سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضا)).(۱)

ولذا تراه مثل الزبير يتهاوى لمجرد سماعه كلمه الإمام حينما رآه واقفا قرب

هودج عائشه وهو زوج أختها، فغضب الإمام على عليه السلام حينما رآه فى ذلك الموقف وكأنه

يستعرض عرض رسول الله صلى الله عليه وآله فى ساحه الحرب، وخاطبه قائلا ومعنّفا: يا طلحه

أجئت بعرس رسول الله تقاتل بها وخبأت عرسك قى البيت؟

فاستحيا طلحه واعتزل القتال، فتسلل شيخ المتآمرين مروان بن الحكم من خلفه

واغتاله بسهم أصاب رقبته وخرج من فمه، وبعد انتهاء المعركه مر الإمام على عليه السلام جثمان

طلحه ملقّى فى بعض الأوديه فتزل فمسح التراب عن وجهه، ثم قال:عزيز على

١- الكامل فى التأريخ، مجلد٣ ص ١٨٨.

أبا محمد أن أراك مجندلأ فى الأوديه، ثم رفع يديه وقال: إلى الله أشكو عجرى وبجرى*.(١)

وعن مقتل طلحه قال اليعقوبى: ((فقتل طلحه بن عبيد الله فى المعركه، رماه مروان بن الحكم بسهم فصرعه)) وقال: ((لا أطلب والله بعد اليوم بثأر عثمان، وأنا قتلته)).

فقال طلحه لما سقط: ((تا الله ما رأيت كاليوم شيخا من قريش أضيع منى، إنّى والله ما وقفت موقفا قط إلا عرفت موضع قدمى إلا هذا الموقف!))(٢) وقال خالد محمد خالد: ((أما طلحه فقد رماه مروان بن الحكم بسهم أودى بحياته))(٣)

وكان الإمام عليه السلام أول المنوهين بذه القوه الجباره التى أجبرت ثلاثه من كبار الصحابه للتآمر عليه، حيث قال: ((ومن العجب انقيادهما (أى طلحه والزبير) لأبى بكر وعمر؛ وخلافهما علىّ، والله إنهما ليعلمان أنى لست بدون رجل مما تقدم))(۴)

فالجمل كانت بفعل السياسيين الكبار المتخفين الذين دفعوا غيرهم للقيام بالآعمال القذره نيابه عنهم، ولكن ذلك لا يعفى الطرف الذى قاتل الخليفه المنتخب من تحمل المسؤوليه كامله على خلاف ما يراه ابن العربى فى قوله الذى نقله عنه القرطبى فى تفسيره للآيه (٩) من سوره الحجرات: وهذا صواب من الفريقين وطاعه لله تعالى))(۵) فهو قول لا يعتد به؛ يراد به تعميم التصويب على وقائع كبيره أخرى مثل واقعه صفين التخريبيه الشرسه. وسنلحظ هذا الجهد التخريبى يزداد قوه أيام خلافه الحسن عليه السلام،...

ص:١۶٠

١- ينظرك الاغتيالات فى الاسلام. ص٩٣
٢- تاريخ اليعقوبى. جزء٢. ص١٩٣
٣- رجال حول الرسول. خالد محمدخالد. ص٣۵٧
۴- الكامل فى التاريخ مجلد٣ ص١٩٣

۵- تفسیر القرطبی للآیه۹ من سوره الحجرات

وينجح فى توريط الأمه كلها بما فيهم أقرب الناس من الإمام الحسن عليه السلام مثل عبيد الله بن عباس.!

صفين معركه الخداع و المكر السياسى

بعد صفحه الجمل الدمويه جاءت صفحه الغدر فى صفين، تلك الجريمه النكراء التى أوهت أركان الإسلام، وحرفت مسار الدين، وكانت بدايتها أن بعثت أم حبيبه بنت أبى سفيان إلى أخيها معاويه بقميص عثمان مخضباً بدمائه مع الصحابى النعمان بن بشير الأنصارى))(١)

وبالرغم من بشاعه صفين إلا أنها كانت على مستوى كبير من التخطيط السياسى لأنها شنت لغايتين، إحداهما أكبر من الأخرى، تماما كما هى حرب الجمل التى سبقتها:

•الأولى: قتل على وهزيم فكره وعقيدته لتفرغ الساحه للمتآمرين وفكرهم.

•الثانيه: القضاء على أكبر عدد من الصحابه المخلصين لكى لا يبقى من يعترض على قراراتهم المجحفه والمخالفه للعقيده التى سيتخذونها إذا حكموا، لأنهم أدركوا أن القسم الأكبر من خيره وكبار الصحابه سوف يلتحقون بجيش الإمام، وفعلا ((كان ممن شهد صفين مع على أصحاب بدر سبعه وثمانون رجلا: منهم سبعه عشر من المهاجرين، ومبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجره وهى بيعه الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله تسعماثه وكان جميع من شهد معه من الصحابه ألفين وثمانمائه))(٢) وأخرج الحاكم عن الحكم قال: شهد مع

١- مروج الذهب، المسعودى، ج ٢،ص ٣٧٠

٢- المصدر نفسه، ٢ / ٣٦٩

على صفين ثمانون بدريًا وخمسون ومئتان ممن بايع تحت الشجره)).(١)

جمر الصحابه بالفتوح للتخلص منهم

وفق نظريه سياسيه وضعها معاريه تحت مسمى(أخفى وأعفى) تم تطبيق مشروع

جمر الصحابه والمعارضين فى الفتوح، وقد كانت بدايات فكره قتل الصحابه والتخلص

منهم قد بوشرت عن طريق إدراكهم فى الفتوح، بعد أن تغيرت دواعى الفتوح نفسها،

وبدأ العمل بهذه المنهجيه فى خلافه عثمان بن عفان، حيث أورد المسعودى مقترحا

لسعيد بن العاص صاحب وزميل معاويه فى مشاريعه فى المؤتمر الذى عقده الخليفه عثمان

لأمرائه على الأمصار والذى ضم فضلا عن ابن العاص كل من ابن عامر ومعاويه؛

بعد أن كثرت شكاوى أهل الأقاليم منهم، من خلال رأيه الذى اقرحه على الخليفه

ليكون بديلًا عن موافقه الخليفه على مطالب أهل الأقاليم، قائلًا: ((إنك إن فعلت هذا

كان أهل الكوفه هم الذين يولون ويعزلون، وقد صاروا حلقاً فى المسجد ليس لهم غرى

الأحاديث والخوض، فجهزهم فى البعوث، حتى يكون هم أحدهم أن يموت على ظهر

دابته))(٢) وهى نظريه سياسيه تمارسها الدول العظمى اليوم بأساليب جديده مبتكره بعد

أن أدركهت قيمتها مؤخرا، فى وقت عرفها السياسيون المسلمون فى وقت مبكر جدا!

لكن أليس من المستغرب والمدهش أن الخليفه أحجم عن استشاره عليه القوم

وكبار الصحابه واكتفى بأمرائه على الأقاليم؟ ألا يعد هذا الغعل نمطا من السياسه

يتوافق مع حده الرؤيه والرأى التى تجمع بين لخليفه وأمرائه، وتنافر وتباعد رأيه مع

آراء المحيطين به؟ وماذا ممكن أن نشم من هذا الخبر؟ ألا يعنى ذلك أن الولاه كانوا من

١- المستدرک، الجزء الثالث، صفحه ١١٤، حديث رقم١٧٥/٤٥٥٩

٢- مستدرك الحاكم، ٢ / ٣٥٥، وقد روى هذا الخبر بصيغ كثيره جاء في بعضها قول سعيد: (حتى لا يكون هم أحدهم إلا قمل فروته وفساء أو وقراد دابته!)

...

حزبه الخاص الذى يعول عليه لأن مصالحهم مترابطه، وهذا يعنى نشاطا سياسيا صائبا لا مثلبه فيه فى مقاييس السياسه؟

رأى سعيد بجمرهم بالفتوح ألا يعتبر رأيا سياسيا ناهضا ولاسيما وأن الإنسان المسلم يرفض أن يكون مع المخلفين بعد التهديد والوعيد الذى تقدم به القرآن والمقاطعه التى فرضها النبى صلى الله عليه و آله على من تأخر وتخلف من قبل من المسلمين عن الغزوات؟

لقد أصبح جمر المعارضين بالفتوح سياسه معروفه اشتهر بها الأمويون وكثر الحديث عنها فى الأقل هناك كما لا بأس به من الروايات التى تخص معاويه وحده، ومنها روايه تقول أن مهاتره حدثت بين معاويه ورجل من باهله سمع معاويه يقول: والله لقد هممت أن أملأ سفينه من باهله فأبعث بها إلى اليم، فإذا توسطوا غرقتهم! فأجابه الباهلى: إذن ما رضينا بعددهم من بنى أميه. فشتمه معاويه قائلا: أسكت أيها الغراب الأبقع. فرد عليه الباهل: إن الغراب ربما مشى إلى الرخمه حتى ينقر عينها. وعندما سمع يزيد أبنه بهذه المهاتره قال له: هلا قتلته؟ فسكت معاويه. ثم مضت مده أتاحت له أن جيند الباهلى ويرسله إلى إحدى جبهات الفتح فقل هناك؛ فلما سمع معاويه بمقتله قال ليزيد: ((هذا أخفى وأعفى)).

وهنا قد نجد من يرى أن سعيدا بن العاص كان حياول لملمه الغغب وإطفاء نار الفتنه عندما اقرح على الخليفه هذا المقترح، ولا يوجد تأكيد أن هذا الرأى يدل على وجود مؤامره فى الأفق، وأقول لأصحاب هذا الرأى: لكن تكمله الخرب الذى أورده المسعودى وغربه تؤكد أن هنالك مؤامره كبيره ومتآمرين كانوا يؤججون نار الفتنه ويشجعون الناس على التمرد ويدعمون حراكهم بالمال، حيث ورد فى الخرب نفسه أن

عمرو بن العاص الذى كان حاضراً فى المؤتمر خرج إلى المسجد بعد أن سمع مقترح...

ص :١٦٣

سعيد فإذا طلحه والزبير جالسان فى ناحيه منه. فقالا له: تعال إلينا، فصار إليهما،

فقالا: ما وراءك؟

قال: الشر، ما ترك شيئاً من المنكر إلا أتى به وأمر به،

وجاء الأشتر فقالا له: إن عاملكم الذى قمتم فيه خطباء قد رد عليكم وأمر

بتجهيزكم فى البعوث وبكذا وبكذا.

فقال الأشتر: والله لقد كنا نشكو سوء سرته وما قمنا فيه خطباء، فكيف وقد

قمنا؟ وأيم الله على ذلك لولا أنى أنفدت النفقه وأنضيت الظهر لبقته إلى الكوفه حتى

أمنعه دخولها.

فقالا له: فعندنا حاجتك التى تقوم بك فى سفرك!

قال: فأسلفانى إذا مائه ألف درهم.

قال: فأسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم فقسمها بين أصحابه وخرج إلى

الكوفه فسبق سعيدا وصعد المنبر وسيفه فى عنقه ما وضعه بعد، ثم قال: أما بعد فإن

عاملكم الذى أنكرتم تعديه وسوء سيرته قد رد عليكم فبايعونى على أن لا يدخلها

فبايعه عشره آلاف من أهل الكوفه)).(١)

بل هناك من المؤرخين من أكد بأن الخليفه عثمان بن عفان كان هو صاحب فكره

جمر المعارضين والصحابه الخيرين فى الخروب، ويتبين من حديث البلاذرى وكأن

الخليفه عثمان هو من كان يصر على إشراك هؤلاء فى الفتوح(٢) ويعتقد المستشرق (هنرى

١- مروج الذهب، ج٢،ص ٣۵۵

٢- ينظر: فتوح البلدان، للبلاذرى، ص ٢٢٨

ماسیه) بصحه هذا الرأی؛ ویقول: ((ویمکن أیقا أن یکون للخلفاء مصلحه فی قذف

رعایاهم فی الغزوات لیبعدوهم عن العاصمه، ویربطوهم بالإسلام بواسطه الفتوحات

والغنائم)).(۱) ولکن من یعرف عثمان علی حقیقته لا یمکن أن یتوقع صدور مثل ذلک

الرأی السیاسی عنه، ولذا أجد کل المؤشرات تشیر نحو معاویه، حیث روی الیعقوبی أن

معاویه بن أبی سفیان ((کان إذا بلغه عن رجل ما یکره، قطع لسانه بالعطاء، وربما احتال

علیه فبعث به فی الحروب)).(۲)

ثم إنها لم تکن المره الأولی التی یرسل الکبار والحکام فیها معارضیهم إلی الحروب

للتخلص منهم، فلقد عملوا بجدّ للتخلص من کل المنافسین المحتملین بزجهم فی

الفتوح، ولاسیما أولاد رموز الصحابه وکبارهم الذین کانوا یرونهم أکثر رغبه من

آبائهم للعمل فی المجال السیاسی، مما یعنی أنهم یشکلون خطرا کبیرا محتملا علی مشروع

التآمر یجب التخلص منه بنحو لا یثیر الریبه والشک، ولیس هناک أسهل من طریق

الغزوات العقائدیه لهذا الغرض، وقد أشرکوا فعلا عبد الله بن الزبیر، وعبد الله بن

عمر، وعبد الرحمن بن ابی بکر، وغیرهم فی الفتوح، ویتبین من حدیث البلاذری وکأنّ

الخلیفه عثمان هو من کان یصرّ علی إشراک هؤلاء فی الفتوح (۳) ولذا نجد هناک من یری

أن مقترح سعید بن العاص جاء متناغما مع سیاسه الخلیفه ولیس ابتداعا،!

إن مسأله جمر المعارضین فی الغزوات والحروب للتخلص منهم سمه معروفه

۱- الإسلام، هنری ماسیه، ص ۸۷.

۲- تأریخ الیعقوبی، جزء۲، ص ۲۳۸.

۳- فتوح البلدان للبلاذری، ص ۲۲۸ لاحظ هنا أن البلاذری لم ینکر اسم الحسن بن علی من ضـمن من ذکرهم وهذا یؤکد عدم اشراک الحسن علیه السلام فی حروب الفتح، وهو ما سنناقشه فی القسم الثانی من الکتاب.

ونهجاً متبعًا طوال سنوات الفتح تقريبًا باستثناء عص الفتوح الأولى؛ ولذا يعتقد المستشرق (هنرى ماسيه) أنه: ((يمكن أيضًا أن يكون للخلفاء مصلحه فى قذف رعاياهم فى الغزوات ليبعدوهم عن العاصمه، ويربطوهم بالإسلام بواسطه الفتوحات والغنائم))(١)وأقول: حتى لو كان فى جرهم مصلحه للخلفاء فإن ذلك لا يعنى أن الخلفاء أنفسهم هم الذين ابتدعوا هذه النظريه، فى الأقل فيما يخص عثمان بأعتبار أن صاحب النظريه الأصلى معاويه ابتدعها يوم كان واليا على الشام قبل أن يسرق الخلافه من الإمام الحسن عليه السلام

وربما لهذا السبب وبسبب هذه السياسات ترى الباحثين يختلفون فى دوافع الفتوح ولا يرجعونا إلى سبب محدد بعينه، وعليه قال الدكتور السيد عبد العزيز سالم أستاذ التأريخ الإسلامى والحضاره الإسلاميه بكليه الآداب فى جامعه الإسكندريه بمصر: ((فبعضهم يرجع ظاهره الفتوحات إلى أسباب اقتصاديه، وجمهور آخر يرى أنها بدافع الجهاد، وفريق ثالث يرجح العامل القومى)).(٢)

إن قوه سياسيه تملك كل هذه المؤثرات والقواعد العلميه للعمل السياسى المؤثر، ولها قدره التحكم بقرارات الخلفاء، هل ممكن ان تعجز عن مجابهه شعب وجيش مثل شعب وجيش الإمام الحسن وهى التى تمرمت بعملها فأجادته؟

فصول الصفين

ولأنهم كانوا بمستوى عال من الفهم الماكر والتخطيط السياسى فقد وضعوا منهجا للتخلص من على عليه السلام ومن الخط العلوى نهائيا فرسموا أجواء معركه(هرمجدون)

ص:١٦٦

١- الإسلام، هنرى ماسيه، ص ٨٧

٢- التأريخ السياسى والحضارى للدوله العربيه، الدكتور السيد عبد العزيز، ص ١٩٧

الإسلاميه لتكون المعركه الحاسمه والأخيره بينهم وبين قواعد الإسلام الحقه، ووضعوا مناهج متعدده لكل حركه من حركاتهم فيها. فكره التحكيم مثلا كانت فصلاً من فصول مؤامره صفين، أعدت سلفًا للتطبيق عند الضروره وكان من شروط نجاحها زرع بعض الشخصيات المهمه والمؤثره وبمواصفات خاصه فى جيش الخلافه ليوكل إليهم تنفذ صفحات فصل التحكيم.

إن وجود وجوه المعارضه السياسيه المؤيده للخط الأموى أو التى تلتقى مصالحها مع مصالحه فى جيش على عليه السلام فصلا آخر من فصولها. وفضلاً عن وجود يعلى بن منيه و أبى موسى الأشعرى فى جيش على عليه السلام، كان هناك جماعه القراء، وكان هناك الأشعث بن قيس الكندى، ولكل من هؤلاء واجب محدد ومرسوم بعنايه، حسب فصول المؤامره.

أما الأشعث بن قيس(١) واليمانيه جماعته الذين هم طوع أمره لا يعصونه؛ فقد وضح أمرهم فى اللحظه التى أراد الإمام على عليه السلام من جيشه أن لا ينخدع بمؤامره رفع المصاحف التى هى من مقدمات فصل مؤامره التحكيم، فقال لهم: ((إنها مكيده، وليسوا بأصحاب قرآن))(٢) فاعترض الأشعث بن قيس عليه وقال: <(والله لئن لم تجبهم أنصرف عنك))(٣)،ولم يكن قول الأشعث تهديداً فارغا لعلى عليه السلام بقدر ما كان إشاره لأصحابه الذين يعلمون سلفاً بمتطلبات مثل هذا القول، لأن انسحابه وتركه للميدان يعنى فشل المؤامره وهو ما لم يكن مأمورا به، ولذا ترى اليمانيه وجماعات أخرى ما إن سمعوا هذا

ص:١٦٧

١- قدم الأشعث بن قيس فى وفد كنده وكانوا فى ثمانين راكبا إلى المدينه ليعلنوا إسلامهم فى أواخر سنه تسع للهجره وذلك بعد أن أسلم الأعم الأغلب من قبائل العرب فيما عرف بعام الوفود. ينظر: سيره ابن هشام ۴/ ١٩٩ ثم تراه هنا يتحكم بمصر أمه الإسلام ويجير أول القوم إسلاما على القبول بالتحكيم، وهذه من مهازل الدهر العظيمه.

٢- تأريخ اليعقوبى،ج٢، ص ١٨٨

٣- تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ١٨٩

القول حتى مالوا مع الأشعث وضموا أصواتهم إلى صوته وقوتهم إلى قوته. وبعد أن قوى جانب الأشعث وأدرك أن جماعته أدوا أدوارهم الموكوله إليهم أداء سليماً وجه إلى الخليفه تهديده الحقيقى الذى يختلف مضمونه عن التهديد الأول كثيرًا، فقال مهدداً ومتوعداً: (والله لتجيبتهم إلى ما دعوا إليه، أو لندفعنك إليهم برمتك!))(١)

ولم يقتصر دور الأشعث على هذه الحركه فحسب، بل إنه أصبح بعد هذه المقوله الآمر والمحرك الفعل للشخوص وللأحداث، وتحول من مجرد ممثل شبه مغمور إلى بطل يمارس دور المخرج المحترف، والمتحكم بالأحداث. وهنا أدرك الأشتر رضى الله عنه خطوره المؤامره؛ فأراد من الآخرين معرفه ذلك من خلال المشاجره التى افتعلها مع الأشعث، وقال للأشعث من خلالها: ا(والله يا أعور (وكان الأشعث أعور فعلًا مثل المغيره) لهممت أن أملأ سيفى منك.... وإنى أعلم أنك ما تحاول إلا فتنه، وما تدور إلا على الدنيا وإيثارها على الآخره))(٢)

ونجد أن قول ورأى مالك الأشتر بالأشعث هو عين قول ورأى لخليفه أبى بكر فى هذا السياسى غريب الأطوار. فرأى الأشتر جاء متساوقاً مع رأى لخليفه أبى بكر فى الأشعث حيث روى اليعقوبى أن أبا بكر قال لعبد الرحمن بن عوف الذى عاده فى مرضه: ما آسى إلا على ثلاث خصال صنعتها لم أكن صنعتها، وثلاث لم أصنعها ليتنى كنت صنعتها)) ومن تلك التى ندم أنه لم يصنعها قوله: ليتنى قدمت الأشعث بن قيس تضرب عنقه، فإنه يخيل إفى أنه لا يرى شيئاً من الشر إلا أعان عليه!))(٣)

١- تأريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ١٨٩

٢- تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ١٨٩

٣- تأریخ الیعقوبی، ج٢، ص١٣٧

وأثناء صفحه صفين أعلنت صفحه النهروان كفصل آخر من فصول المؤامره

السياسيه؛ فجماعه القراء وهم جميعاً من جيل التابعين، لا صحابى بينهم بالمره تبعا لقول

ابن عباس: (أتيتكم من عند أصحاب النبى صلى الله عليهو آله وليس فيكم أحد منهم) الذى ورد

فى النقل الذى أخرجه النسائى فى التهذيب أن ابن عباس حينما أرسله الإمام على عليه السلام

ليكلمهم ويحتج عليهم، قال لهم:((أتيتكم من عند أصحاب النبى صلى الله عليه و آله وصهره وعليهم

نزل القرآن وهم اعلم بتأويله، وليس فيكم أحد منهم، لأبلغكم ما يقولون، وتخبرون

بما تقولون))(۱)

والخوارج هم المارقون الذين أخير رسول الله صلى الله عليه و آله المسلمين بخروجهم؛ وحديث

تمرق مارقه من الناس يلى قتلهم أولى الطائفتين بالحق أخرجه النسائى برقم ۱۶۰ عن

داود عن أبى نضره عن اى سعيد الخدرى و برقم ۱۶۱ عن أبى عوانه عن قتاده عن أبى

سعيد الخدرى وبرقم ۱۶۲ عن قتاده عن أبى نضره عن الخدرى وبرقم ۱۶۳ عن عمرو

بن على عن يحيى عن أبى نضره عن الخدرى وبر قم ۱۶۴ عن بهز بن القاسم عن ابى

نضره عن الخدرى وبرقم ۱۶۵ عن المعتمر عن ابيه عن أبى نضره عن الخدرى وبرقم

۱۶۶ عن الأجلح عن حبيب أنه بسمع الضحاك المشرقى حديثهم ومعه سعيد بن جبير

وميمون بن شعيب وأبو البحرى والوضاح الهمدانى والحسن العرنى أنه سمع الخدرى

يرويه عن رسول الله.(۲)

وأذكر هنا بشده وعنف السياسيين فى محاربه من كان يقول الحقيقه أو كان يعترض

۱- تهذيب خصائص النسائى، حديث ۱۸۲ص ۱۳۳- ۱۳۴

٢- تهذيب خصائص الإمام على؛أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى، الصفحات ١٢٣-١٢٥

على ما يأتون به من خرافه القصص وسبونهاإلى رسول الله صلى الله عليه و آله وصحابته الكرام، من خلال تعاملهم مع النسائى حينما زار دمشق فاجتمعوا وانهالوا عليه بالضرب المبرح إلى أن مات لأنه حدثهم بفضائل على عليه السلام؛ والقصه معروفه وصحيحه، وكما فى فتوى مركز الإفتاء السعودى:

رقم الفتوى: ٩٩٥٠.

التصنيف: تراجم وشخصيات

السؤال: ما قصه قتل الإمام العلم أبو (هكذا فى الأصل والصحيح: أبى) عبد الرحمن النسائى(رحمه الله) أريد الراجح من أقوال أهل العلم. جزاكم الله خير؟.

الإجابه

((أما بعد: فقصه قتل الإمام أحمد بن شعيب النسائى رواها الحافظ ابن كثير فى البدايه والنهايه حيث قال بعد الثناء الكثير: وقد قيل عنه إنه كان ينسب إليه شىء من التشيع قالوا ودخل إلى دمشق فأله أهلها أن يحدثهم بشىء من فضائل معاويه فقال: أما يكفى معاويه أن نذهب رأسا برأس حتى يروى له فضائل، فقاموا إليه فجعلوا يطعنون فى خصيتيه حتى أخرج من المسجد الجامع فسار من عندهم إلى مكه فمات بها فى هذه السنه وقبره بها هكذا حكاه الحاكم عن محمد بن إسحاق الأصبهانى عن مشايخه.

وقال الدارقطنى: كان أفقه مشايخ مصر فى عصره، وأعرفهم بالصحيح من السقيم من الآثار، وأعرفهم بالرجال، فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه فخرج إلى الرمله فسئل عن فضائل معاويه فأمسک عنه فضربوه فى الجامع فقال: أخرجونى إلى مكه فأخرجوه وهو عليل فتوفى بمكه مقتولا شهيدا مع ما رزق من الفضائل رزق الشهاده فى آخر عمره مات فى مكه سنه ثلاث وثلاثمائه. قال الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الغنى بن نقطه فى

تقييده ومن خطه نقلت ومن خط أبى عامر محمد بن سعدون العبدرى الحافظ: مات أبو عبد الرحمن النسائى بالرمله مديته فلسطين يوم الإثنين لثلاث عشره ليله خلت من صفر سنه ثلاث وثلاثمائه، ودفن ببيت المقدس وحكى ابن خلكان أنه توفى فى شعبان من هذه السنه وأنه إنما صنف الخصائص فى فضل على وأهل البيت لأنه رأى أهل دمشق حين قدمها فى سنه اثنتين وثلاثمائه عندهم نفره من على عليه السلام وسألوه عن معاويه فقال ما قال فدققوه فى خصيتيه فمات، وهكذا ذكر ابن يونس وأبو جعفر الطحاوى أنه توفى بفلسطين فى سفر من هذه سنه، وكان مولده فى سنه خمس عشره أو أربع عشره ومائتين تقريبا عن قوله فكان عمره ثمانيا وثمانين سنه. انتهى)).(١)

وقد أعجبنى بأستخفاف تعليق الشيخ السلفى عثمان الخميس على هذه الفتوى

فهو تعليق مستقى من ثقافه ابن العربى فى العواصم من القواصم وفيه يستخدم التعليل والتأويل رجما بالغيب ويدلس خلاف الواقع، وما ذاك إلا بسبب تأثير السياسه الأولى على عقولهم وطرائق تفكيرهم. وقد جاء فى تعليق الشيخ السلفى عثمان الخميس قوله:

((علم عن النسائى – رحمه الله– وغيره من أهل العلم أنهم كانوا يحرصون على مخالفه أهل البدع فيما يذهبون إليه، فكانوا إذا دخلوا الكوفه حيث التشيع ذكروا فضائل عثمان واذا دخلوا الشام حيث النصب ذكروا فضائل على وذلك للرد عل أهل البدع، وكان هذا ما وقع على الإمام النسائى لما دخل الشام حيث النواصب هناك كثر فألف كتابه خصائص على للرد على قولهم الباطل، وأجتمع إليه بعضهم وطلبوا منه فقالوا له: أسمعنا فضائل معاويه كما أسمعتنا فضائل على فأراد أن يبين لهم أن معاويه لا ينبغى أن يقارن بعلى فقال لهم تلك الكلمه ألا يرضى معاويه أن يكون رأسًا برأس حتى تكون له فضائل؟ وذلك

...

١- ملتقى السنه، الرابط، http://www.soonaa.com/vb/showthread.php?t=٨٨٨۴

ليخفف غلوهم فى معاويه ونصبهم لعلى فما كان منه لجهلهم وتعصبهم وقله دينهم

إلا أن قاموا إليه وضربوه رحمه الله عليه ولم يكن النسائى رحمه الله عليه فى يوم من الأيام رافضياً (هكذا فى

الأصل والصحيح: رافضيا) لا قريبا من ذلك، وهذا ظاهر ى كتابه فضائل الصحابه.

الشيخ عثمان الخميس)).

أى أن الخميس يدعى أن النسائى قام بتأليف كتابه الخصائص وهو مقيم فى الشام

ثم نشره بينهم لأنه يزعم الشيخ الخميس: (أهل العلم أنهم كانوا حيرصون على مخالفه

أهل البدع فيما يذهبون إليه) فأغضبهم ذلك وثاروا عليه وقتلوه!

وأرى أن عثمان الخميس جانب الحقيقه وأبتعد عن المضمون وأغفل ذكر الأسباب

الحقيقيه التى دفعت الشاميين إلى قتل النسانى، فالشاميون كانوا أوفياء للأمويين لأن

الخلفاء الأمويين دللوهم وأسعدوهم وأنفقوا عليهم وفضلوهم فى العطاء على كل

المسلميين الآخرين؛ يقول الدكتور العسلى: ((وكانت وفاه هشام مفاجأه ساره للوليد بعد

ضيق وانتظار شهدت الرصافه على أثرها حركه نشيطه غصت بالوافدين وبويع الوليد

بالخلافه لست خلون من شهر ربع الآخر سنه خمس وعشرين ومائه فى اليوم الذى توفى

فيه هشام. بدا الوليد الخلافه بالإحسان إلى الناس وبالغ فى إحسانه إلى أهل الشام خاصه

فأجرى النفقه على مرضاهم وعميانهم وكساهم وأمر لكل إنسان منهم بخادم وأخرج

لعيالات الناس الطيب والكسوه وزادهم على ما كان يخرج لهم من هشام، وزاد الناس

جميعا فى العطاء عشره دنانير ثم زاد أهل الشام عشره دنانير زياده عما زاد الناس، وخص

من وفد عليه من أهل بيته جوائز مضاعفه))(١) وكان هذا العطاء الجزيل لأهل الشام

خاصه ديدن الخلفاء الأمويين، فأين هذا من فعل على بن أبى طالب عليه السلام الذى كوى يد

١- دراسات فى تاريخ العرب، الدكتور خالد العسلى، ج٢، ص٢٢٥

أخيه لأن الحاجه دفعته ليطلب منه بعض المال يسد به خلته!

فضلا عن ذلك كان الخوارج هم أيضا فصلا آخراً من فصول مؤامره صفين،

وقد أوكل لهم السياسيون المتآمرون دورًا مختلفًا، ولكنه مرتبط ارتباطًا وثيقاً بمأله

التحكيم، وتوقيت ظهورهم الذى بدا وكأنه مفاجئ ومن دون مقدمات، وهو أمر لا

يتقبله العقل ولا يمكن تصديقه.

ويكشف صدق رأينا تصرف غريب بدر من واحد منهم، أظنه أخطأ فى التوقيت،

ولم يحسن لعب دوره الموكل إليه، وهو (عروه بن أديه التميمى) الذى صاح قبل أن

يجتمع الحكمان فى صفين: (لا حكم إلا لله) ظنا منه أن ذاك وقتها(١) فى حين المعروف

أنهم وقتوا لإطلاق هذا الشعار السياسى الكبير فى مرحله ما بعد التحكيم تحديدًا،

وليس قبله، وبعد أن يجبر الإمام على عليه السلام على قبول شروط التحكيم المجحفه رفضاً لهذا

القبول المنتظر، وإثاره للفتنه فى صفوف جيش على عليه السلام!

هنا قد يقول قائل: لو كان هذا صحيحًا، فلم ينصرهم السياسيون يوم رأوا أنهم

أحيط بهم وسوف يقتلون بسيف على عليه السلام وسيوف جيشه فى النهروان عن آخرهم،

فهركوهم يواجهون مصيرهم الأسود دون عون ومساعده؟

وأقول جواباً: إن تجميع القراء ضمن هذا التنظيم وحشرهم مع جيش على عليه السلام لم

يكن عملا اعتباطياً، وإنما كان عملا سياسياً فريداً اعتمد على تجميع نماذج من المسلمين

الأكثر التصاقاً بحرفيه العقيده، السادرين فى فهم العقيده فهماً نمطيًا محاكاتياً بعيدا عن

التجديد، من الذين يربطهم مع بعضهم كرههم الخضوع للسلطان والحكم المركزى

١- ينظر تأريخ اليعقوبى؛ج٢ ص ١٩٠

بسبب تجلى النزعه القبليه فى مبادئهم السياسيه (۱)، وكرههم لتسلط قريش دون غيرها عليهم، وكانوا يناضلون للتخلص من الحكم القرشى. والظاهر أن العقل السياسى العربى رصد فيهم هذه النزعه ونجح فى توظيفها، لتقديمهم إلى المحرقه فى الوقت المناسب بعد أن يزج بهم لأداء أحد الأدوار القنره فى المؤامره، بما يضعهم بمواجهه قوات الخلافه لإضعافها، ثم التخلص منهم ومن المشاكل التى قد يثيرونها مستقبلاً؛ فالسياسيون لم يكن فى نيتهم |لاهتمام بالجوانب الدينيه التى قد يدقق بشأنها مثل هؤلاء المتزمتين.

طبيعه هؤلاء القراء النمطيين التقليديين المتمسكين بالقشور دون اللب؛ فضلاً عن كونها تدل عل سذاجتهم وسهوله انقيادهم لمن لجدعهم، فهى تشبه شبها كبيراً طبيعه المسلمين المتطرفين المعاصرين، بل قد يكون هؤلاء حمله فكر من سبقهم من القراء، فأولئك بعد الحوار الذى أجراه الإمام على بن أبى طالب عليه السلام معهم قبل أن يحاربهم وبعد أن ذكرهم بالقرآن والسنه وحدودهما الصحيحه، أدركوا خطأهم (ورجع إليه منهم ألفان، وأقام أربعه آلاف لم يقنعوا برأيه)(۲)، أما المعاصرون منهم بكل تشكيلاتهم (الجهاديه والحديثيه)؛ فلا يمكن إقناعهم أبداً!

أما مأله تركهم ليموتوا بذلك الشكل المهين برغم كبر دورهم؛ فلا تقل أهميه فى نظر المتآمرين، ولا اختلافا عن مأله تقديم لخليفتين عمر وعثمان إلى الموت، ولا تقل عن مسأله تقديم يعلى بن منيه والأشعرى إلى الموت، بل لا تقل عن زج الصحابيين طلحه والزبير وعائشه فى حرب خاسره قباله جيش الخلافه الذى يقوده على بن أبى طالب عليه السلام!

١- ينظر: مقدمه فى تأريخ صدر الإسلام، عبد العزيز الدورى، ص ٧٠
٢- مقدمه فى تأريخ صدر الإسلام، الدورى، ص١٩٣

غريب أن تجد الدول العظمى التى ترعى الإرهاب اليوم تدعم الإرهابيين و تقوبهم لا لتغيير أنماط الحياه الإسلاميه كما يظهر للعيان وإنما لتدميرها؛ سواء نجح الإرهابيون بذلك أم لم ينجحوا، فهى كما تقول فى وصفها لجموع الإرهابيين: (حلق ليفنى) أى: خلق لأداء دور ما ينسب إليه، ولا فرق بين موته وحياته بعد ذلك، بل إن موته أفضل من بقائه! ويتضح مما تقدم أن السياسيين كانوا قد أضمروا نيه قتل كل من اعترض طريقهم، أو من جندوه لأداء واحده من مهامهم كما قتلوا الزبير وطلحه وعشرات غيرهم. ولأن الإمام الحسن عليه السلام وقف بوجه مشروعهم بقوه وصلابه حكموا عليه بالموت فحاصروه وهاجموه وضيقوا عليه، ثم قدموا له السم....

ص :۱۷۵

المرحله الثالثه: تكميم الأفواه و تغيير الموروث

اشاره

فی هذه المرحله المتقدمه بدأ التفکر الجدی والعمل الحقیقی لقطع کل ما یتصل بعبق النبوه مع الحیاه العامه؛ بدأ من التآمر لقتل علی علیه السلام غیله وختلا، وهو ما تحقق لهم علی ید صنیعتهم وخادمهم ابن ملجم، وصولا إلی تغییب فضائل الإمام علیه السلام ونسبه ما لیس فیه إلیه لتشویه صورته أمام الناس، وختما بسبه علی المنابر فی مساجد الإسلام(۱)

سب الإمام علی

السیاسه التی اتبعها الأمویون أدت إلی قتل الإمام علی علیه السلام، وما تلاها من طرائق معامله الخلیفه الأموی معاویه بن أبی سفیان للمتشیعین وعسفه بهم ولاسیما بعد صلح الإمام الحسن علیه السلام تحدینا واحده من المثالب الکبیره التی تؤخذ علی السیاسیین، وقد أسهب الطبری فی الحدیث عن نقض معاویه لبنود الصلح مع الحسن علیه السلام وکیف تسبب هذا النقض فی إیذاء أهل البیت علیهم السلام والمتشیعین لهم ومعاقبتهم؛ ومما قاله: ((ولم یکتف

۱- عن أبی إسحاق، عن أبی عبد الله الجدلی، قال: دخلت علی أم سلمه، فقالت: ایسب رسول الله صلی الله علیه و آله فیکم؟ قلت: سبحان الله أو معاذ الله قالت: سمعت رسول الله صلی الله علیه و آله یقول: من سب علیا فقد سبنی(ولأهمیه هذا الحدیث لا بأس بإیراد أقوال علماء الجرح والتعدیل التی أوردها المحقق فی هامش الصفحه عنه؛ قال: أبو عبد الله الجدلی وثقه أحمد وابن معین وغرهما. والحدیث أخرجه احمد (۶/۳۲۳) والحاکم (۳/۱۲۱) من طریق یحیی بن أبی بکر بإسناده سواء. قال الحاکم: إسناده صحیح ووافقه الذهبی. أخرجه الطراق فی الصغیر (۲۱۱۲) من طریق عیسی بن عبد الرحمن السلمی عن السدی. ینظر: تهذیب خصائص الإمام علی، أبی عبد الرحمن أحمد بن شعیب المعروف بالنسائی، ص ۷۹، حدیث رقم ۸۶

معاويه هبذا وإنما نقض الشرط الآخر وهو أن لا يسىء إلى أصحاب الحسن عليه السلام. فأمر معاويه عماله: أن لا يجيزوا لأحد من شيعه على وأهل بيته شهاده، وأمر بحرمان كل من عرف منه موالاه على من العطاء وإسقاطه من الديوان والتنكيل به وهدم داره))(۱) كما وذكر المؤرخان الطبرى واليعقوبى والنص لليعقوبى أن معاويه أمر بلعن على عليه السلام على المنابر.(۲)

ولم يكن السب سريا أو مقتصرا على الخاصه بل صار من وجوبيات أداء السنن التعبديه، وقد روى ابن أبى الحديد المعتزلى أن مناد معاويه نادى، وكتب إلى عماله: ((ألا برئت الذمه ممن روى حديثاً فى مناقب على وأهل بيته وقامت الخطباء فى كل كوره ومكان على المنابر بلعن على بن أبى طالب والبراءه منه))(۳) حتى تحول سب أول الناس إسلاما وأصدقهم إيمانا إلى شعار سياسى، حيث روى اليعقوبى أن شعار الأمويين كان (لا صلاه إلا بلعن أبى تراب) (۴) وقد تعرض أتباع على عليه السلام تحت هذا الشعار إلى أنواع الاضطهاد والتنكيل. وأجد أن استساغه التطاول على القمه العلويه الباسقه يحتاج إلى جرأه كبيره وثقافه من نوع خاص غير مألوفه فى ذلك المجتمع، وقد يسأل البعض عن مصادر الثقافه السياسيه للدنيويين التى أباحت لهم ارتكاب هذه الموبقه وهذا التطاول، فأقول جوابا:

لقد أفاد السياسيون من المناصب التى حصلوا عليها فى حكومه الخليقه عثمان بن عفان كثيرا حتى أنها إفادتهم فى تنميه فكرهم السياسى وطورته وأضافت إليه خبرات

۱- ينظر: التاريخ الطبرى أيام معاويه بى أبى سفيان ص ۲۱۶ فصاعدا

۲- تاريخ اليعقوبى: ج ۲ ص ۱۹۰

۳- شرح نهج البلاغه ابن أبی حدید المعتزلی ج ۳ ص ۱۵
۴- تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۲۷۵

عمليه مكتسبه عن طريق التجريب والتجديد ساعدتهم بعد حين فى دعم موقفهم

عندما وظفوها فى صراعهم مع على والحسن عليهما السلام، فضلا عن طول المده التى قضوها

فى الشام مجاورين للروم ودولتهم وحضارتهم، ومن المعروف أنه وفق مفهوم التناقل

الثقافى أو المناقله الثقافيه حدث وأن انتقلت بعض عادات وقيم وثقافات الروم إلى

المناطق الأخرى التى حكموها مثل الرقعه الجغرافيه الشاميه التى كانت تحت سيطرتهم،

فضلا عن المناطق الأخرى المجاوره لهم مثل المناطق التى قامت عليها الشام التى ولى

عليها يزيد بن أبى سفيان وتلاه معاويه.

ثم إن التناقل لم يحدث على مستوى المجتمعات فسب ويقتص عليها، بل حدث

أيضا على مستوى الأفراد والفئات المتنقذه فى ذلك المجتمع ولاسيما وأن المتنفذين

كانوا على اتصال دائم بأباطره الروم كما فى القصه التى تتحدث عن محاوره أبى سفيان

للإمبراطور الرومانى وحديثهم عن النبى الجديد، والروايه أخرجها الطبرانى فى المعجم

الكبير عن ابن عباس تحت عنوان (حديث هرقل ملك الروم مع أبى سفيان بن حرب)(١)

فمن المتعارف عليه: ((إن الحضارات تفتقر إلى تخوم محدده بدقه؛ وهى تعبر الحدود

السياسيه وتتمدد فوق فضاءات يكاد يتعذر تحديدها بسهوله، تشكل الحضارات نوعا

من البنيه الاجتماعيه التى تحتضن عددا من الأمم والأقوام المختلفه)(٢)

والسياسيون بحكم هذه الخبره المراكمه وهذا الوعى السياسى المتطور تحولوا إلى

حيتان سياسيه لا تدانيها حيتان الوقت الراهن فى الخبث والدناءه والغدر والخداع،

ولذا تجدهم ينتصرون ويحكمون ويظلمون، وتجد قصصهم تملأ كتب التاريخ والسيره،...

١- المعجم الكبير الطبرانى ج ٢٤ ص ٢٣٧-٢٣٤

٢- الحضـارات فى السـياسه العـالميه بيتر جى كاتزنشـتاين؛ ترجمه فاضل جتكر؛ سلسـله عالم المعرفه رقم ٣٨٥ المجلس الوطنى للثقافه و الفنون و الآداب؛ الكويت ٢٠١٢ ص ٣٢

ولاسيما وأنهم لم يكونوا يأبهون لحدود الشريعه وأوامر الرساله وأخلاق الدين، وهى المحاور التى أكد عليها الدينيون وتمسكوا بها فى صراعهم مع السياسيين. وكما تطرد العمله السيئه العمله النظيفه؛ كذلك طردت السياسه الرديئه سياسه الحق وزوتها بركن ضيق. ومن هنا كان صراعهم مع الدينيين غير متكافىء لأن إحدى كفتيه تأنف عن كل ما يسىء إلى إنسانيه الإنسان، والكفه الأخرى مملوءه بأنوع الدناءه والقذاره والخبث لدرجه انها لا تلتفت إلى الإنسان إلا حينما تريد أن تحوله إلى حطب تشعله لتستنرى بضوءه فى حفلاتها الوحشيه. فهل كانت للإمام الحسن عليه السلام قدره المفامره بالإسلام والمذهب وكل ما تحقق لحد تلك الساعه بخوض نزال مع هذّ المجموعه الشرسه التى تحد الأمه كلها وجعلت من سب الإمام على عليه السلام شعارا لها وسنه فى عباداتها؟

وبعد الحديث المسهب عن أنماط السياسه العربيه الإسلاميه ورؤاها وحراكاتها والنتائج التى حققتها فى مسيرتها الطويله ينبغى التحدث عن أنمودجات من السياسيين الذين كانوا أبرز من غيرهم فى هذا المضمار، وقد اخرت هذه الشخصيات من بين كم كبرى جدا من السياسيين الذين كان زعيقهم يملأ ساحه الإسلام بالضوضاء.

فصل الرابع أنموذجات سياسيه فی تاريخ العرب

اشاره

ص :۱۸۱

أنموذجات سياسيه فى تاريخ العرب

حفل المجتمع الإسلامى الأول بأنمودجات سياسيه قديره ومتمكنه ولكنها لم تحض بفرصه دراسه هذا الجانب فيها بعد أن انطوت شخصياتهم على أنماط مختلفه من السلوكيات كالمخادعه والتلون وغير ذلك، فصلا عن التمظهر بمظهر المتدينين الذى طغى على المظاهر الأخرى. ومن هؤلاء السياسيين المقتدرين: معاويه بن أبى سفيان وعمرو بن العاص وقد درست سيرهم ونشاطاتهم بكثره، ولذا لن أطيل الحديث عنهم لأتفع للكلام عن البعض الآخر ممن لم يجش بفرصه للانتشار الكبير كما حصل للنخبه، ومن هؤلاء السياسيين الثانويين:

المغيره بن شعبه

سياسى على قدر كبير من الذكاء مهد وخطط لقتل الخليفه عمر بن الخطاب وخاض الحراك السياسى إلى آخر يوم من عمره، كان هو ومروان من أكثر المتآمرين علانيه وظهورا وإسهاما فى الأحداث، وفى معركه الجمل حاول مروان زرع عدم الثقه بين رؤوس جيش الجمل كما سيرد فى الحديث عنه، وقام المغيره بنفس الدور ولكن بشكل آخر حيث أمر ثقيفاً قومه بالرجع والتخلى عن أهل الجمل ليس حبا بعلى عليه السلام ولا خشيه من الله سبحانه،بل لإضعاف قوتهم التى رأى فيها تهديداً للمشروع السياسى التآمرى الكبير، وقال لهم: ((من كان ههنا من ثقيف فليرجع، فرجع))(١)ظنا منه أنه بعمله ذاك يخذل أهل الجمل ويورطهم. وقبل ذلك أوكل إليه السياسيون الكبار مهمه

١- ينظر: الكامل فى التأريخ،ج٣، ص ١٧٩

قتل الخليفه عمر؛ وهی المهمه التی نجح فیها نجاحا باهرا أذهل الجمیع.

وقد أورد ابن هلال الثقفی فی الغارات: ((عن علی بن النعمان، قال: قال علی علیه السلام:لئن ملکت لأرمینه بأحجاره یعنی المغیره، وکان ینتقص علیا)(۱)

وعن جندب بن عبد الله قال: ذکر المغیره بن شعبه عند علی علیه السلام وجد؛ مع معاویه فقال: ((وما المغیره إنما کان إسلامه لفجره وغدره لمطمئنین إلیه ورکبها منهم فأتی النبی صلی الله علیه و آله کالعائذ بالاسلام، والله ما رأی احد علیه منن ادعی الإسلام خضوعا ولا خشوعا))(۲) ومن جرائم المغیره بن شعبه الکبیره والمفضوحه التی تم التستر علیها بفعل السیاسیین أنفسهم کانت جریمه قتل لخلیفه عمر بن الخطاب.

قتل الخلیفه عمر

إن عملیه إدخال أبی لؤلؤه فروز إلی المدینه کانت أولی خطوات تنفیذ مؤامره مبیته!

فالمعروف أن الخلیفه عمر بن الخطاب کان قد مع دخول الآعاجم إلی عاصمه الإسلام بعد تولیه الخلافه، وهناک روایات کثیره تقول: إنه کان کثیر التشدد بشأن دخول الآعاجم إلی المدینه؛ کما نقل الدکتور أحمد صبحی داود عن ابن سعد: ((ویقول ابن سعد: إن عمر کان لا یأذن للسبی من الآسری من الرجال بدخول المدینه، واستأذن المغیره بن شعبه حتی سمح عمر بأن یأتی للمدینه أبو لؤلؤه فروز المجوسی، وکان من سبی نهاوند، وفی النهایه قتل عمر انتقاما))(۳)

وکان عمر قد أصدر مرسوما بهذا المنع جاء فیه: ((لا تجلبوا علینا من العلوج أحداً

۱- الغارات،أبو إسحاق بن محمد بن سعید بن هلال المعروف بابن هلال الثقفی، ص۳۵۳ ۳۵۴

۲- المصدرنفسه، ص ۳۵۴

۳- المسکوت عنه فی سیره عمر بن الخطاب فی الفکر السنی،احمد صبحی منصور، ص ۵

جرت عليه المواسى))(۱) وهو الخبر الذى قال عنه السيوطى فى تاريخه: ((قال الزهرى: كان عمر لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينه حتى كتب إليه المغيره بن شعبه))(۲)

ولكن المغيره السياسى النافذ بما معروف عنه من مكر ودهاء نجح باستحصال موافقه عمر بعد أن أغراه بالخبرات التى يمتلكها أبو لؤلؤه. وقد أشار المسعودى فى مروجه إلى هذا المكر بقوله: ((وكان عمر لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينه، فكتب إليه المغيره بن شعبه: إن عندى غلامًا نقاشاً نجارًا حدادًا فيه منابع لأهل المدينه، فإن رأيت أن تأذن لى فى الإرسال به فعلت، فأذن له))(۳)

ولكن لا عمر ولا أى من المحيطين به انتبهوا إلى مخاطر استثناء أبى لؤلؤه من أمر المنع والأسباب الكامنه وراء طلب المغيره بإدخاله إلى المدينه إلا بعد فوات الأوان، ولذا نرى عمرا بعد أن طعنه أبو لؤلؤه يأسف على تهاونه بذا الشأن ويقول مقولته المشهوره:

(ألم أقل لكم لا تجلبوا علينا من العلوج أحدًا، فغلبتمونى)(۴)

إن ربط مقتل عمر بدوافع سياسيه عربيه أمر لا يمكن نكرانه أو تجاهله ولذا تجد على مر التاريخ من يشكك فى الأقوال التى تحدثت عن الدوافع التافهه الأخرى التى قالوا أنها جعلت أبا لؤلؤه يقتل عمر؛ ومن هؤلاء حسن عبد الله الذى قال: ((و يفيق الناس من هول الصدمه فإذا هم يتساءلون: من قتل عمر؟ أيقتله أبو لؤلؤه، لأنه لم يرفع عنه بعض ما فرضه عليه صاحبه المغيره بن شعبه من ضريبه؟ أيصلح هذا سببًا؟))(۵)

۱- الطبقات الكبرى، ابن سعد،ج ۲،ص ۲۵۳
۲- تأريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطى، ص ۱۳۳
۳- مروج الذهب، المسعودى، ج۲،ص۳۳۷
۴- طبقات ابن سعد،ج ۲،ص ۲۵۳

۵- الاغتيالات فى الإسلام، ص ۴۵

كذلك لم يقتع إبراهيم بيضون بالأسباب التى اعتبروها دافعا لقتل الخليفه وقال:

((فى حال انتقاء الدافع الشخصى الساذج، ومعه الداوع القومى الأكثر سذاجه، يبقى الافتراض الواقعى هو أن تكون للقضيه خلفيه سياسيه فقدلا يكون بعيداً عن الاحتمال وجود مؤامره محبوكه الخيوط)).(١)

إن اقتراح المغيره على عمر أن يولى ابنه عبد الله بدلا منه؛ بل الإلحاح والترغيب بضروره توليه عبد الله على بساطته وقله علمه وسهوله خداعه وتسييره من قبل السياسيين؛ يكشف أن المغيره الذى أدخل القاتل إلى المدينه كان واحداً من المتآمرين، وأنه كان يروم الاستعجال بحسم الأمر بأسرع وقت وبشكل قانونى؛ لكى لا يثير الشبهات؛ فلما أفشل عمر مخططهم لجأوا إلى القتل وأعدوا شخصاً آخراً ليتولى القياده لا يختلف كثيرا عن ابن عمر.

إن المغيره بن شعبه شخصيه مركبه فيها الكثير من المفاجآت، ولما تقدم به العمر دون أن يحضى بمنصب رسمى رفع يبيح له التمتع بالحياه استغل مقتل الإمام على وصلح الإمام الحسن عليه السلام والفوضى التى نشبت فى أثناء هذه المرحله لينصب نفسه أميرًا للحج من دون أمر رسمى كما كان متبعا، فقد روى ابن الأثير عن حوادث السنه الأربعين للهجره: ((حج بالناس هذه السنه المغيره بن شعبه وافتعل (أى: زيف) كتاباً على لسان معاويه، فيقال: إنه عرف (أى: وقف فى شعيره عرفه) يوم الرويه، ونحر يوم عرفه خوفاً أن يفطن لفعله، لأنه بلغه أن عتبه بن أبى سفيان مصبحه والياً على الموسم، فعجل الحج من أجل ذلك))(٢) هذا العمل بحد ذاته يدل على أمرين مهمين:

١- من دوله عمر إلى دوله عبد الملك،إبراهيم بيضون، مصدر سابق، ص ٩٨

٢- ينظر: مروج الذهب،ج ٣،ص ٣٥١

الأول: أن الرجل كان يعد نفسه حتى تلك الساعه من المشاركين الفعليين بالمؤامره، وانه كغيره من أولئك السياسيين الجامحين كان مستعدا للتضحيه بموسم الحج وتخريب شعائره من أجل الإمره والسلطه.

الثاني: أن كل السياسيين كانوا يتهاونون بشأن الدين ولا يعرونه أهميه تذكر.

وقبل هذه المجازفه الفاشله كان المغيره قد استغل تعيين عمر واليا جديدا على الكوفه ليكذب حتى يحصل عليها بدلا منه، وتقول القصه: ((ولى عمر جبير بن مطعم على الكوفه، فمكر به المغيره وحمل خبراً إلى عمر وقال له: ولنى يا أمير المؤمنين مكانه؟ قال: أنت رجل فاسق! قال: وما عليك مني؟ كفايتى ورجلتى لك، وفسقى على نفسى، فولاه الكوفه)(١)

كان المغيره والسياسيون الآخرون يتدخلون حتى فى صغائر الأمور للحصول على المعلومه التى تخدمهم، حتى أنهم يوم الشورى وبعد أن جمع المقداد أهل الشورى وأمر طلحه أن يحجبهم؛ جاء عمرو بن العاص والمغيره بن شعبه فجلسا بالباب، فحصبهما سعدوأقامها؛ أى: طردهما(٢).

ثم لما أعطاها عبد الرحمن بن عوف إلى عثمان وحرفها عن على عليه السلام نجد المغيره يأتى مسرعا لتهنئه عبد الرحمن بن عوف على اختيار عثمان، وترك على: ((وقال المغيره بن شعبه لعبد الرحمن: يا أبا محمد قد أصبت أن بايعت عثمان، وقال لعثمان: ولو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا! فقال عبد الرحمن: كذبت يا أعور (المغيره كان فعلا أعورا) لو

١- مروج الذهب ج٢،ص ١٥٥
٢- ينظر: الكامل، مجلد٣،ص ٥٦

بايعت غيره لبايعته، ولقلت هذه المقاله).(١)

وبعد موت عتبه بن غزوان عينه عمر واليا على البصره فأنشأ علاقات دنيئه

وجشره مريبه مع مجموعه من نساء المجتمع البصرى، منهن واحده تكشفت علاقته

معها للناس، قال عنها المسعودى: وكان يختلف إلى امرأه من بنى هلال يقال لها أم

جميل زوجه الحجاج بن عتيك الثقفى... فعزله عمر وبعث أبا موسى الأشعرى عاملاً

مكانه)).(٢)

هذا المغيره لم يتهاون فى الدين فقط بل تهاون فى أمور المسلمين أيضا، فهو حينما

ولاه معاويه الكوفه سنه ٤٢ هجريه لم يحسن العمل فأراد معاويه عزله، فلما سمع الخبر

أسرع بالذهاب إلى الشام، فأغضب قدومه معاويه أكثر من قبل، وقال له: ما أقدمك يا

مغيره، تركت العمل، وأخللت بالمصر، وأهل العراق هم أسرع شيء إلى الفتن؟ فاعتذر

وأراد تفادى غضب معاويه فقال: إنى جئتك بأمر يخصك فأنا أخبرت الكوفيين أنك

بايعت لابنك يزيد ففرحوا واسحسنوا العمل، فأعجب ذلك معاويه، وأقره والياً على

الكوفه، ولم يعزله. ولما خرج المغيره من عنده قال لكاتبه الذى كان قد فارقه؛ لأنه عرف

أنه سيعزل، ثم عاد إليه بعد أن سمع بإعادته إلى الوظيفه: ((ارجع بنا إلى الكوفه، فوالله

لقد وضعت رجل معاويه فى غرز لا يخرجها منه إلا سفك الدماء))(٣)

وقد استغل منصبه هذا للولوغ فى دماء المسلمين وزرع الفرقه بينهم؛ يقول (كارل

بروكلمان): ((فلما ولى الكوفه جعل همه أن يفسد بدهاء بارع بين الخوارج، وأتباع على من

١- الكامل فى التاريخ ص ٥٩

٢- مروج الذهب ص ١٤۶

٣- ينظر: تأريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٢٠

الشيعه، وبذلك استطاع أن يشغل الكوفيين عن معارضه معاويه)).(۱)

وقد كان للمغيره دور تخريبی كبير فی النزاع بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاويه، كان

إلی جنب معاويه خادما مخلصا، وكان شديدا علی الإمام الحسن عليه السلام وأصحابه، وقد

وظف كل خبراته لكی يفشل المشروع الحسنی. وفی سئه خمسين للهجره كان المغيره

فی الكوفه التی ضربها مرض الطاعون فهرب منها، وحينما زال الخطر عاد إليها، وكان

الموت له بالمرصاد، فطعن فمات.(۲)

مروان بن الحكم

السياسی الذی مهد وخطط لقتل ابن عمه لخليفه عثمان بن عفان بدم بارد ومكر

كبير. وكانت لهذا السياسی النشيط مواقف كبيره خدمت الخط السياسی ثم أوصلته إلی

كرسی الحكم.

إن قتل مروان بن الحكم لطلحه فی معركه الجمل يبدو من اكبر المؤشرات علی

أنه احد أهم السياسيين المعارضين لنهج الاسلام، أما قيامه بزرع الفرقه بين قاده

جيش الجمل فأكبر دليل علی تآمره. كانت غايه مروان من عمله ذاك دفع أقطاب قياده

معسكر الجمل إلی التقاتل فيما بينهم فی سبيل كرسی الحكم؛ إذا ما كتب لهم الانتصار

فی هذه المنازله، فبعد خروج جيش الجمل جاءهم مروان حتی وقف علی طلحه والزبير

وأبنائهم محمد وعبد الله، فسأل بخبث ودهاء ومكر سياسی: علی أيكما أسلم بالإمره،

وأؤذن بالصلاه؟

فقال عبد الله بن الزبير: طبعاً علی أبی الزبير، وهو ری أباه أحق بها من غيره!

۱- تأريخ الشعوب الاسلاميه بروكلمان ؛ص ۱۴۶

٢- ينظر: الكامل فى التاريخ ٤٠٣/٣

وقال محمد بن طلحه: على والدى طلحه، وهو يرى أباه هو من يستحقها!

فأرسلت عائشه إلى مروان وكانت قد انتبهت إلى لعبته الدنيئه، فقالت له زاجره:

أتريد أن تفرق أمرنا؟

والظاهر أن بذور هذه المكيده السياسيه المحكمه والجاده، وجدت أرضاً خصبه

نمت فيها فأينعت أوراقها وأثمرت أشجارها، إذ يروى اليعقوبى أن قاده جيش الجمل

بعدما خدعوا عامل على عليه السلام على البصره عثمان بن حنيف (۱)؛ فبفتوه بعد التفاوض معه

والاتفاق على انتظار قدوم على عليه السلام إليهم، فألقوا القبضى عليه ونتفوا شعر رأسه ولحيته،

وأرسلوه إلى على عليه السلام واستولوا على ما فى بيت مال البصره وانتهبوه وقتلوا من قتلوا من

أهل البصره، دب الخلاف بينهم عند حلول وقت الصلاه بوحى من ذلك المكر المروانى:

(فلما حضرت الصلاه تنازع طلحه والزبير وجنب كل واحد منهما صاحبه حتى فات

وقت الصلاه، وصاح الناس: الصلاه، الصلاه يا أصحاب محمد! فقالت عائشه: يصلى

محمد بن طلحه يوما وعبد الله بن الزبير يوماً)).(۲)

كان المتآمرون يستغلون أى فرصه متاحه لخلق مثكله قد تقود المسلمين أو

المتنازعين إلى التقاتل فيما بينهم، حتى أن الروايات تتحدث عن أحداث تأريخ متأخر

عن تلك الحقب، تعود إلى أيام الإمام الحسن عليه السلام حدثت فيه مشاده مختلقه، اختلقها بطل

التآمر مروان بن الحكم ليجر المسلمين إلى قتال يفضى بعد حين إلى استيلاء الأمويين

يشكل كامل على الدين بعد أن استولوا على السلطه، وهى قضيه دفن الإمام الحسن عليه السلام

۱- عثمان بن حنيف الأوسى الأنصارى كان عاملا لعمر بن الخطاب على عراق و كان عاملا لعلى على البصره و هو أخو سهل بن حنيف شهد أحدا و ما بعدها من المشاهد مع النبى صلى الله عليه و آله و له روايه= عنه.

٢- تأريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٨٠

التی سنناقشها لاحقا.

کان مروان یقتنص الفرص لیؤکد للامویین صدق إخلاصه ونزعته وعصبیته من

خلال إظهار نفسه محبًا للخلیفه المغدور عثمان بن عفان الذی أصبح مقتله شعاراً یرفع

لتأکید الولاء المطلق للنزعه الأمویه، ولذا تراه یعید تمثیل هذه المسرحیه حتی وهو وال

علی المدینه للتذکر بأنه ما زال مخلصًا للخلیفه ومعادیا لاعدائه، ومتمسکاً بروح ثوریه

أمویه مناصره للخط الأموی، حتی ولو کان فی ذلک السلوک ما یخالف سنه النبی صلی الله علیه و آله،

إذ أخرج ابن شیبه النمیری عن شیخ من بنی مخزوم یدعی عمر، قال: ((کان عثمان بن

مظعون رضی الله عنه من أول من مات من المهاجرین فقالوا: یا رسول الله أین ندفنه؟ قال:

بالبقیع، قال: فلحد له النبی صلی الله علیه و اله، وفضل حجر من حجاره لحده، فحمله النبز فوضعه

عند رجلیه، فلما ولی مروان بن الحکم المدینه مر علی ذلک الحجر، فأمر به فرمی به وقال:

والله لا یکون علی قبر عثمان بن مظعون حجر یعرف به، فأتته بنو أمیه فقالوا: بئس ما

صنعت؟ أعمدت إلی حجر وضعه النبی صلی الله علیه و آله فرمیت به؟ بئس ما عملت به؛ فأمر به

فلیرد! قال: أما والله إذ رمیت به؛ فلا یرد(۱)

کان مروان بن الحکم وأبوه طریدی رسول الله ثلی الله علیه وآله، حیث أسلم أبوه بعد الفتح،

ونفاه الرسول من المدینه لسوء خلقه، وح ذلک عده ابن حجر من العحابه، صحیح

أنه قال: ((فلم یثبت له أزید من الرؤیه))(۲)، ولکنه لا ینفی عنه الصحبه المزعومه!!

وکان مروان یری نفسه مقدما علی غیره ویسعی إلی أن یشرک نفسه فی کل حادثه

وحدیث لکی یثبت صحه هذا الاعتقاد لغیره أیضاً، یروی أن معاویه لما طلب عمرو بن

۱- معاویه عبد الباقی قرنه الجزائری ص ۵۹ عن تلریخ المدینه لابن شیبه النمیری ۱۰۱/۱ .

۲- الاصابه ابن حجر المجلد ۳ ص ۱۸۰۸ رقم ۷۹۱۶ و ص ۱۹۰۸ رقم ۸۳۲۱

العاص إليه بعد وقعه الجمل وتشاور معه وطلب منه التعاون، وبعد التفاوض أعطاه

مصر طعمه مقابل الرضوخ لأمره، غضب مروان غضباً شديدًا؛ لأن معاويه قدمه عليه

وقال: ((مالی لا استشار؟ فقال معاويه: اسكت؛ فإنما يستشار بک))(۱)

وما أريد قوله بصدد تآمر مروان بن الحكم الستمر: أنه كان حتی فی أحلامه

ومناماته يفكر بالسلطه التی يسعی إلی الحصول عليها ونيلها، وأن ابنه عبد الملک

كان متيما بهذا النهج حتی قيض له النزو علی منبر رسول الله صلی الله عليه و آله، ثم لما آلت إليه بدأ

يفكر ويتآمر لعزل الأمويين كلهم وتنصيب أولاده الأربعه؛ ليقودوا رقاب المسلمين،

ومناماته لم تكن مثل منامات من رأی فی عالم الرؤيا أن شمساً كذا وكذا بل كانت عن

طريق التبول فی المحراب الذی يؤذی فيه الصلوات؛ ومن ذلک ما ذكره السيوطی ((عن

مصعب الزبيری قال: رأی عبد الملک بن مروان أنه بال فی المحراب أربع مرات، فسأل

سعيد بن المسيب؟ فقال: يملک من ولده لصلبه أربعه))(۲)

ولد مروان فی السنه الثانيه للهجره وقيل فی السنه الثالثه وقيل فی الرابعه، ونفاه

رسول الله صلی الله عليه و اله يوم نفی والده الحكم الذی كان يختلج فی مشيته مقلداً رسول الله صلی الله عليه و اله

استهزاء فدعا عليه النبی صلی الله عليه و اله بقوله: كن كذلک فما زال كذلک حتی مات)). وكان

عثمان بن عفان قد توسط عند أبی بكر بعد موت النبی صلی الله عليه و اله؛ ليسمح للحكم وولده

مروان بالعوده إلی المدينه، فرفض، ثم فی عهد عمر توسط فی ذلک؛ فرفض عمر الموافقه.

وقد رويت أخبار كثيره فی لعنه ولعن من فی صلبه، أی: أولاده وعل رأسهم مروان!

كان المسلمون يلقبون مروان وأبناءه من بعده ب_ (بنی الزرقاء) ذما لهم، يقصدون

۱- تأريخ اليعقوبی ج ۲ ص ۱۸۶

٢- تأريخ الخلفاء السيوطى ص٢٤٧

(الزرقاء بنت موهب) جده مروان لأبيه وكانت من ذوات الرايات الحمر (البغايا) التى يستدل بها على ثبوت البغاء(۱)، ثم شاءت الصدف أن يحكم أبناؤها وأحفادها العالم الاسلامى بعد أن مهد لهم مروان والمغيره الطريق!!وقد تكون هذه صفه لازمه لخلفاء بنى أميه؛ إذ هناك أكثر من روايه تؤكد أن حمامه جده معاويه، وأمه هند كانتا من ذوات الرايات الحمر؛ ويحكى أن عقيلا دخل على معاويه وعنده جاعه من أصحابه فكلموه، فطعن فى نسب كل منهم، فقال له معاويه: قل فى شيئا لأساوى أصحابى فقال: أعفنى، فقال معاويه: لا بد من ذلك، فقال: خل عنى يا معاويه، فقال: ليس إلى ذلك من سبيل حتى أساوى أصحابى، فقال عقيل: أتعرف حمامه؟ قال: ومن حمامه، قال: قد قلت لك، فاطلب من يخبرك عنها، وخرج من عندهم، فطلب معاويه عجوزا كانت قد أدركت الجاهليه وسألها عن حمامه فقالت: لى الأمان إن أخبرتك؟ قال: لك الأمان، قالت: إن حمامه أحدى جداتك وكانت من ذوات الرايات فى الجاهليه وكانت الناس تهتدى برايتها، فالتفت معاويه إلى أصحابه، وقال: أبشروا فقد ساويتكم. وقد أورد المؤرخون عن أخبار هند بنت عتبه أم معاويه الشيء الكثير، وتجد فى كتاب التميمى المغربى قصصا كثيره.(۲)

ويبدو أن مروان بن الحكم كان فى كل المراحل الحاسمه من أبرز وجوه التآمر وأكثرها حراكا، وعليه أجد أن أفضل وصف وصف به شيخ المتآمرين مروان بن الحكم ثلاثه أقوال لكتاب معاصرين من مدرسه الخلفاء:

الأول: قول حسن عبد الله: كان مروان بن الحكم أمويا قد أنسته أمويته كل شيء

۱- ينظر: الكامل فى التأرخ،مجلد۳، ص ۶۲۲-۶۲۳

۲- المناقب والمثالب، القاضی أبی حنیفه النعمان بن محمد التمیمی المغربی (ت ۳۶۳) تحقیق ماجد بن احمد العطیه،مؤسسه الأعلمی، بیروت،۱۴۲۳ ۲۰۰۲م، ص ۲۴۳

حتى دينه)(۱)

الثانی: قول الدکتور خالد العسلی: ا(إن بروز مروان فی معرکه الجمل بالذات

ورمیه طلحه بن عبید الله بسهم سبب وفاته ینبئ بما فی نفسه من طموح للخلافه وتطلع

للوصول إلی الحکم)).(۲)

الثالث: قول أحمد أمین: ((وکان کاتبه (أی: کاتب عثمان) وأمین سره مروان بن

الحکم الأموی، ومروان هذا وشیعته هدموا کل ما بناه الإسلام من قبل ودعمه أبو بکر

وعمر من محاربه العصبیه القبلیه)).(۳)

فی أثناء کل تلک التواریخ کان مروان موغلاً فی التآمر ولا یمکن لأحد أن ینکر

هذه الحقیقه ولاسیما أنه کان فی زمن معاویه بن أبی سفیان وابنه یزید یری نفسه سیداً

وشیخا لأمیه کلها، حتی أنه لما أخرج أهل المدینه عثمان بن محمد بن أبی سفیان والی

یزید منها اجتمع بنو أمیه وموالیهم ومن یری رأیهم ونزلوا فی داره(۴) أما هو فأخذ

نساءه وأودعهن عند علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب علیهم السلام. وکان معاویه السیاسی

الداهیه قد شخص تطلع مروان للإمره والخلافه، وکان یرید إرضاءه بما یسکته، أو

یدفعه إلی عدم إثاره المشاکل؛ فعمد إلی تولیته البحرین، ثم عزله عنها، وولاه المدینه

أکثر من مره؛ وح إن (إسناد إماره المدینه لأموی تفرضه ظروف معاویه، ولکن لخوف

معاویه من تقویه مروان کان یلجأ إلی إبداله بأموی آخر).(۵)

ص: ۱۹۴

۱- الاغتیالات فی الإسلام،ص ۱۰۵

۲- دراسات فی تأریخ العربی، الدکتور خالد العسلی، ص ۱۹۲

۳- فجر الإسلام، أحمد أمین، ج۱ ، ص ۳۱۱

۴- الکامل فی التأریخ، مجلد ۳ ص ۵۵۶

٥- دراسات فى تأريخ العرب، خالد العسلى، ص ١٩٢

ومن المعروف والمؤكد عن مروان بن الحكم أنه خلال عمره كله كان يكره أهل البيت ولاسيما عليا والحسنين عليهم السلام، وهناك عشرات بل مئات النقول التى تثبت بغضه وكرهه لهما؛ بل كان يذهب إلى أبعد من ذلک، حيث كان يعيب على من يحب عليا والحسنين عليهم السلام، ويعتر حبهم منقصه، ومنها أنه كان يعيب على أبى هريره حبه للحسنين عليهم السلام كمل فى الحديث الذى أخرجه الطبرانى فى معجمه وابن عساكر فى تاريخه عن إسحاق بن أبى حبيبه: أن مروان بن الحكم أتى أبا هريره فى مرضه الذى مات فيه، فقال مروان لأبى هريره: ما وجدت عليک(۱) فى شيء منذ اصطحبنا؛ إلافى حبک الحسن والحسين)).(۲)

ومن المعلوم والمتعارف عليه بين المسلمين أيضا أن بغض الحسنين عليهم السلام كفز بواح، ومن يبغضهما يدخل النار رغم أنفه، ولكن مروان استهان بكل التحذيرات التى أطلقها النبى صلى الله عليه و آله بوجه من يفكر مجرد تفكير أن يكرههما، وفيما أخرجه أبو نعيم فى الحليه وابن عساكر والحاكم فى المستدرک على شرط البخارى ومسلم عن أبى هريره أن رسول الله قال: ((الحسن والحسين ابناى من أحبهما أحببته ومن أحببته أحبه الله ومن أحبه الله أدخله جنات النعيم ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله ومن أبعضه الله أدخله نار جهنم وله عذاب مقيم))(۳)

فضلا عن ذلک كان مروان عدوا مبغضا لعلى عليه السلام والشواهد على ذلک كثيره، وبغضه لعلى يقوده إلى ما لا تحمد عقباه بلا جدال، حيث أخرج الطبرانى فى معجمه

۱- وجدت عليک: أى دخل فى قلبى حقد أو وجد أو زعل أو غضب عليک

۲- حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد علس، ط۲،عالم الكتب، بيروت، ۱۴۰۱۹۸۴هـ م ص۲۳

۳- حلیم آل البیت الحسن بن علی، الشیخ موسی محمد علی، ص ۲۵

والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله ((من سره أن يحيى حياتى ويموت مماتى ويسكن جنه عدن التى غرسها ربى فليوال علياً من بعدى وليوال وليه وليقتد بأهل بيتى من بعدى فإنهم عترتى خلقوا من طينتى ورزقوا فهمى وعلمى، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتى القاطعين فيهم صلتى لا أنالهم الله شفاعتى))(١)

ومن ضمن نشاطاته السياسيه أنه كان قد اعترض على بيعه يزيد بن معاويه، ثم نزل مذعنًا، فهو لما بايع يزيد بن معاويه ولده معاويه الثانى للخلافه ثارت ثائرته من جديد وهو يرى أمنياته تتلاشى وعمره يتقدم ويبتعد عن نيلها، فقرر التخلص من الخليفه الجديد، ومع أن سبب تنحى معاويه الثانى عن السلطه وانزوائه فى بيته وموته فى ريعان الشباب لم يمط اللثام عنه بسبب تضارب الروايات فى شأنه، وهناك من يدعى أن مرضه أو زهده هو الذى دفعه إلى النزول عن العرش والانزواء، إلا أن تضارب الروايات بذاته يشير إلى وجود مؤامره سياسيه مدبره كانت السبب فى تنحيته، وأنه نحى قسراً وإكراهاً، وليس زهدا وتعبدا، بعد أن قتل أو سمّ على اختلاف الروايات؛ ومنها روايه المسعودى: ((امات حتف أنفه، ومنهم من رأى أنه طعن، ومنهم من رأى أنه سقى السمّ وهوبعمر اثنين وءعشرين))(٢) وروايه الطبرى فى تأريخه: ((إنه بويع سنه أربع وستين، فلم يمكث إلا أربعين يوما حتى مات، وتوفى وهو ابن ثلاث عشره سنه وثمانيه عشر يوما)) ثم قال فى مكان آخر: ((فلم يلبث إلا ثلاثه أشهر)) وقال عوانه: ((فلم يمكث إلا أربعين يوماً)) وعن عمر بن على بن محمد: ((وبويع بدمشق، هلكك بها بعد أربعين يوما، وتوفى وهو ابن ثلاث عشره سنه وثمانيه عشر يوما))(٣)وأكد الطبرى الأقوال التى تناقلت خبر

١- حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد على، ط٢، ص ٤٩-٥٠

٢- مروج الذهب، المسعودى، ج٢، ص ٥٧
٣- ينظر: تأريخ الطبرى، ج٣، ص ١٠٧١.

سمّه أو طعنه وقتله بحسب اختلاف الروايات.(۱)

هنا قد يقول قائل: إذا كان مروان يحمل كل هذا الشوق والتطلع للخلافه والإمره فلم رفضها عندما جاءه (الحصين بن نمير) من حرب ابن الزبير فی مكه وأخبره بخبر بيعه ابن الزبير، وطلب منه أن يتولاها، لكنه كان من رأيه أن يرحل إلى ابن الزبير فيبايعه بالخلافه كما تقول الروايات؟

وهو سؤال مثمر ومنتج ومهم، ولكن يمكن أن تنطلی مثل هذه الأقوال علی من لا يعرف مروان حق المعرفه، أما الذين يعرفونه فبالتأكيد يعرفون سبب قوله هذا، ولا يستغربون منه، فالخبر أورده الطبری فی تأريخه (۲)، ولكن بما هو مشهور عن مروان من مواقف تدعو إلى ملك بنی أميه عامه ورغبته فی تولی الملك خاصه ما يتنافی وهذا الرأی؛ فمروان فی موقفه من الثوار الذين حاصروا الخليفه عثمان تحدث عن ملك بنی أميه وتوعد من يريد سلب هذا الملك منهم، والخبر سبق أن مرّ عليكم، كما دلت الآراء والروايات التی ذكرناها آنفا علی تلهفه للخلافه، وهذا الخبر حتی لو كان صحيحا فإنه يدل علی أن مروان إنما أراد من خلاله جسّ نبض الأمويين الذين كانوا يتنازعون الخلافه بينهم؛ قبل أن يقدم علی ترشيح نفسه، وكان يريد أن يوضح لهم أنم يقفون علی مفترق طريقين لا ثالث لهما، فإما أن يكون خليفتهم فيحتفظون بمراكزهم ومكاسبهم، وإما أن يتسلط عليهم عبد الله بن الزبير فيخلعهم من مناصبهم ومراكزهم ويوليها غيرهم.

ثم إن الأمصار كانت حينها قد بايعت ابن الزبير حيث بايعه أهل المدينه ومصر،

۱- المصدر نفسه. ج۳. ص ۱۰۸۲

٢- تاريخ الطبرى. ج٣. ص١٠٨٢

و بايع (زفر بن الحارث الكلابى) بقنسرين فى الشام، والنعمان بن بشير بحمص، و(ناتل بن قيس بن زنباع) فى فلسطين، والضحاك بن قيس أصبح زبيرى الهوى، ويدعو لابن الزبير بالخلافه فى الشام نفسها، هؤلاء جميعا كانوا من القواد العسكريين المهمين الذين حاربوا فى جيش معاويه، وأغاروا على ثغور الدوله العلويه وباقى أمصار الإسلام من قبل، ثم إن الكوفه كانت تحت إمره مصعب بن الزبير(۱)، فرأى مروان أنه إذا فرض نفسه بالقوه وتولى الخلافه دون موافقه البيت الأموى؛ فإنه قد يخسر حربه مع أنصار ابن الزبير فى الشام وفلسطين ومصر قبل أن يخسرها فى لقائه مع جيش ابن الزبير، ومن خلال طرحه لهذا الرأى السياسى الناهض كسب ودهم وأشركهم فى مهمه الدفاع عن كرسيه دون أن يشعروا.

وبمكر ه وخبثه تمكن فعلا من كسب ولائهم، وكان (روح بن زنباع الجذامى) أول المؤيدين لمروان، وهو الذى رد على من دعا لاستخلاف عبد الله بن عمر أو من دعا لاستخلاف ابن الزبير بالقول: ولكن ابن عمر ضعيف وليس بصاحب أمه محمد الضعيف، وأما ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير... ولكن ابن الزبير منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاويه وسفك الدم و شق عصا المسلمين وليس صاحب أمه محمد المنافق، وأما مروان بن الحكم والله ما كان فى الإسلام صدع إلا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع وهو الذى قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار، والذى قاتل على ابن ابى طالب يوم الجمل، فأجمع رأى الناس على البيعه لمروان))(۲) وهكذا تولاها مروان لكن بشروط ملزمه منها:

- أن خليفه على العرش خالد بن يزيد بن معاويه، ويلى خالد عليها عمرو بن

١- ينظر: تأريخ الطبرى، ص ١٠٨٢ -١٠٨٣ .

٢- ينظر: تأريخ الطبرى، ج٣، ص ١٠٨٤.

سعید بن العاص.

• علی أن تکون إماره دمشق فی خلافته لعمرو، وإماره حمص لخالد.(۱)

ولکنه لم یلتزم بهذه الشروط وتخلی عنها بعد أیام معدودات لیأخذ البیعه لولدیه

عبد الملک، ثم عبد العزیز بدلاً من خالد وعمرو(۲)، وکل ذلک یؤکد حبه بل عشقه

وهیامه بالخلافه التی انتظرها طویلاً.

فی سنه أربع وستین للهجره بویع له بالخلافه، ثم ما لبث فی سنه خمس وستین أن

أخذ البیعه لولدیه عبد الملک وعبد العزیز (۳)، ثم بعدها بقلیل قتل فی العام نفسه بید

زوجته أم خالد بن یزید بوساده وضعتها علی وجهه حتی قتلته(۴)، وقیل إنه حکم مده

تسعه أشهر وقیل عشره أشهر إلا ثلاث لیال (۵)، وهی مده لا تسمن ولا تغنی من جوع

ولا تستحق کل ذلک العناء الکبیر، وتلک المخالفات والعداوات التی أثارها، والدماء

الغزیره التی أسهم فی سفکها!

وهو حتی فی قصیه موته بالطریقه التی تحدثت عنها الروایات التأرخیه کان مثیراً

للجدل والحیره والشک الکبیر، فأکثر من واحد من المؤرخین نسب موته إلی سفاهته

وترعه واستهتاره من جهه، وإلی مکر النساء وشده حقدهن من جهه أخری، وکما

نقرأ فی أکثر من مکان من کتب التأریخ التی تناولت حقبه حکم الأمویین أو التأریخ

الإسلامی الأول. و کان الطبری ممن تحدث عن موت مروان خنقاً بید زوجته، فقال:

۱- تأریخ الطبری، ج۳، ۱۰۸۴

۲- ینظر: المصدر نفسه، ص ۱۱۱۳

۳- الکامل فی التأریخ، مجلد ۳ ص ۶۱۹

۴- الکامل فی التأریخ، المجلد۳، ص ۶۲۱

٥- تأريخ الطبرى، ج٣، ص ١١١٣

(لما حضرت معاويه بن يزيد الوفاه أبى أن يستخلف أحداً وكان حسان بن مالك بن بحدل يريد أن يجعل الأمر بعد معاويه لأخيه يزيد بن معاويه وكان صغيرًا وهو (أى: حسان بن مالك) خال أبيه يزيد بن معاويه؛ فبايع لمروان وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد... فلما بايع لمروان وبايعه معه أهل الشام قيل لمروان: تزوج أم خالد.. حتى تصغر شأنه؛ فلا يطلب الخلافه فتزوجها، فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعه كثيره وهو يمشى بين الصفين؛ فقال: إنه والله ما علمت لأحمق، تعال يا ابن الرطبه الاست، يقصر به ليسقطه من أعين أهل الشام، فرجع إلى أدنه فأخيرها فقالت له أمه: لا يعرفن ذلك منك واسكت، فدخل عليها مروان فقال لها: هل قال لك خالد فى شيئا؟ فقالت: وخالد يقول فيك شيئاً!؟ خالد أشد لك إعظاماً من أن يقول فيك شيئاً. فصدقها، ثم مكثت أياماً. ثم أن مروان نام عندها فغطته بالوساده حتى قتلته))(١)

وقد اعتمد أكثر الرواه على مضمون هذه الروايه الكاريكتيريه المضحكه، والتى تدل على استهانه بعض المؤرخين بحقائق تأريخنا الإسلامى الأول، واعتمدوها لروايه موت مروان، وإلا قل لى بربك إذا كان مروان خليفه وسلطاناً وملكًا و والداً لملوك أكبر إمبراطوريه فى العالم، فلم يقلل زواجه من أم خالد من شأنها؛ فيمنع ذلك خالد عن المطالبه بالخلافه التى هى استحقاقه بموجب الاتفاق بينهما؟ هذا فى وقت يعتقد فيه العقلاء أن هذا الزواج بحد ذاته يتحول إلى عنصر دفع وتقويه لخالد ليطالب بالإمره ويصبح أكثر استحقاقاً لها من غيره ولاسيما أنه موعود بتوليها، وهناك من يعاضده ويسانده لنيلها. أما الاعتقاد السائد والمرشح أكثر من غيره للقبول؛ فهو أن المتآمرين الجدد الذين هم أبناء المتآمرين الأوائل هم الذين قتلوا مروان!!

١- تأريخ الطبرى ج ٣ ص ١١٤١٣

وأرى أنه ليس من المعقول أن تنتهى حياه مروان المليئه بالمؤامرات والشبق للإمره بهذا الشكل المضحك دون أن يذكر أحد ماذا حل بأم خالد وكيف تصرف أولاد مروان معها بعد أن فتحت لهم الباب ليتسلطوا على رقاب الأمه؟

وقد أفرد الدكتور خالد العسلى قسماً خاصاً فى كتابه (دراسات فى تأريخ العرب) للحديث عن مخططات مروان التى كان يسعى من خلالها إلى نيل الخلافه منها ما نقله عن الإمتاع للتوحيدى، وفيه: ((وكان مروان إذا جرى بينه وبين معاويه كلام قال لمعاويه: والله إنى لأبو عشره، أخو عشره، وعم عشره، وما بقى إلا عشره حتى يكون الأمر لى))(١) يذكره بروايه مستقبليه من أحاديث النبى صلى الله عليه و آله عن العدد الذى يصل إليه الأمويون فيستولون بعده على الحكم. وقد كانت هذه المعلومه من مدارات النزاع مع الإمام الحسن عليه السلام، فالإمام كان يعرف أنهم موعودون بالكرسى والإمره، وهم كانوا يعرفون أنهم سيلون أمر الأمه وبين هذه وتلك كان مطلوبا من الإمام الحسن عليه السلام أن يوازن ويرضى أمه اعتادت أن تضع أمام عينيها هدفا واحدا وتوقف نظرها عليه متجاهله كل ما حوله.!

الأشعث بن قيس

وجه آخر من وجوه المتآمرين الكبار والسياسيين الصغار، نكره دخل الإسلام متأخرا بغدره غدرها، وانخرط فى العمل السياسى لتقويض الدين وتحريف الشريعه، له أكثر من جريمه تشرك كلها بدرجه الخبث الكبير؛ لدرجه أن الخليفه أبا بكر وصفه بأنه: ((لا يرى شيئاً من الشر إلا أعان عليه)) روى اليعقوبى: أن الخليفه أبا بكر قال لعبد الرحمن بن عوف الذى عاده فى مرضه: ((ما آسى إلا على ثلاث خصال صنعتها لم أكن

...

ص :٢٠١

١- دراسات فى تأريخ العرب، د. خالد العسلى،ج٢، ص ١٩٩

صنعتها، وثلاث لم أصنعها ليتنى كنت صنعتها)) ومن تلك التى ندم أنه لم يصنعها قوله: ((ليتنى قدمت الأشعث بن قيس تضرب عنقه، فإنه يخيل إلى أنه لا يرى شيئاً من الشر إلا أعان عليه!))(١) وقد كان الأشعث مشهورا بهذه الخصال حيث وصفه مالك الأشتر يوم صفين بنفس هذه الصفه.

كان الأشعث بطل التحكيم يوم هدد بتسليم الإمام على عليه السلام إلى معاويه إذا لم يوافق على التحكيم، وكانت ابنته الأداه التى استخدمها معاويه لقتل الإمام الحسن عليه السلام!

أبو سفيان و مشايخ قريش

بعد غزوه تبوك، وفى سنه ١٣ هجريه وقعت معركه (اليرموك) مع الروم وكان المتآمرون هذه المره يأملون انكسار المسلمين وخساره الحرب؛ لكى تسنح لهم فرصه تولى الحكم وكانوا يتظاهرون أمام الناس علنا معلنين عن موقفهم دونما خوف لثقتهم بقرب هزيمه المسلمين، حيث يروى الطبرى عن ابن حميد أنه قال: ((حدثنا سلمه بن إسحاق عن وهب بن كيسان عن عبد الله بن الزبير؛ قال: كنت مع أبى الزبير عام اليرموك فلما تعبى المسلمون للقتال لبس الزبير لأمته، ثم جلس على فرسه، ثم قال لموليين له احبسا عبد الله بن الزبير معكما فى الرحل؛ فإنه غلام صغير؛ قال: ثم توجه فدخل فى الناس، فلما اقتتل الناس والروم نظرت إلى ناس وقوف على تل لا يقاتلون مع الناس، قال: فأخذت فرسا للزبير كان خلفه فى الرحل فركبته؛ ثم ذهبت إلى أولئك الناس فوقفت معهم فقلت: أنظر ما يصنع الناس، فإذا أبو سفيان بن حرب فى مشيخه من قريش من مهاجره الفتح وقوفاً لا يقاتلون فلما رأونى رأوا غلاماً حدثاً؛ فلم يتقونى، قال: فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبتهم الحرب، للروم يقولون: إيه بلاصفر! فإذا مالت الروم

١- تأريخ اليعقوبی، ج٢، ص١٣٧

وركبهم المسلمون قالوا: يا ويح بلاصفر فجعلت أعجب من قولهم، فلما هزم الله الروم

ورجع الزبير جعلت أحدثه خرهم؛ قال: فجعل يضحك ويقول: قاتلهم الله أبوا إلا

ضغناً))(١)

من هذه المقدامات يتضح أن كل ما وقع فى المجتمع الإسلامى الأول كان من نتاج

الفكر السياسى التآمرى العربى الذى استغل سيطرته على الحكم لتثقيف الناس

بالمفاهيم

المبتدعه حتى وسخت فى أذهانهم ونسوا أو تناسوا الحقيقه المره، حقيقه أن رسول الله صلى الله عليه و آله!

والخلفاء من بعده وصولا إلى الإمام الحسن عليه السلام قتلوا بيد السياسيين العرب!

إن عمل بعض رجال المجتمع المسلم من الصحابه والتابعين فى المجال السياسى

وتآمر البعض منهم وليس كلهم طبعاً بعضهم ضد البعض الآخر، أو من أجل نصره

مذهب سياسى بعينه من دون الالتفات للمخاطر التى تهدد الإسلام من جراء هذا

العمل وكما تبين مما سبق، إذا لم تكن واضحه الملامح بالأمس برغم وضوح أثرها

فى الحياه العامه حتى فى مجال تأديه العبادات، أو أنها غيبت لأغراض خاصه، فإنها

أصبحت اليوم مثار نقاشات لا لجلو بعضها من التطاول؛ بل والجرأه المفرطه، وهى

سواء انضوت على حقائق تأريخيه لا يمكن السكوت عنها، أم أنها فسرت الحقائق

بعكس مقاصدها الأولى، فإنها تخضع اليوم إلى الدرس والتمحيص والبحث الجرىء،

البحث الذى سيوصلنا إلى نتائج قد تبدو غريبه على الكثير منا.

ولقد تأكد لى أن الإمام عليا عليه السلام كان سباقاً فى تشخيص السياسيين المتآمرين وكان

متخوفاً من الاصطفافات القرابيه بينهم، ولذا تراه يقول فى أيام الشورى لسعد الذى

لاقاه فى الطريق: ((أسألك برحم ابنى هذا من رسول الله صلى الله عليه و آله وبرحم عمى حمزه منك

۱- تأريخ الطبرى ۶۴۵/۲

أن لا تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيرا على)).(١)

ثم لما تم الأمر لعثمان صرح الإمام عليه السلام برأيه علنًا من خلال قوله لعبد الرحمن:

((ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا.. والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك))

وبعدها خاطب الأمه بقوله: ((إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر بيتها فتقول:

إن وفى عليكم بنوهاشم لم تخرج منهم أبدا، وما كانت فى غيرهم تتداولونها بينكم،(٢)

وهاتان الغيبيتان تحققتا بالفعل، حيث مرت عليكم قصه عثمان يوم أوصى لعبد

الرحمن حينما أصابه المرض. أما النبوءه الثانيه؛ فقد تحققت بالفعل وتداولها الأمويون

والعباسيون وغيرهم، وحرم منها على وأبناؤه عليهم السلام و على مدى التأريخ، وإلى ما يشاء الله

سبحانه.

إن الإمام علياً عليه السلام لم يقل هذا القول إلا بعد أن أدرك أن الخلافه متحول عنه إلى

غيره لأسباب كثيره؛ منها أن عبد الرحمن بن عوف هو زوج كلثوم بنت عقبه بن أبى

معيط وهى أخت عثمان لأمه! أما ما حدث بعد ذلك فيدعو إلى الدهشه والاستغراب،

وهو ما يتضح من قراءه القضايا الثلاث الآتيه:

• الأولى: إن زمام الأمور كان فعلا بيد عبد الرحمن بن عوف صهر عثمان بن

عفان. وهو بالرغم مما قاله له الخليفه أبو بكر فى حديثه عن (ورم الأنف)

الذى مر سابقاً، ورغبته الحقيقيه بتولى الأمر؛ نجده ينزل عن حق الترشيح

بشرط أن يعطى مهمه حق اختيار المرشح، أى: أن تكون له كلمه الفصل

العليا، ربما لأنه رأى أن الوقت غير مؤات ليعلن ترشيح نفه، فحاول من

١- الكامل فى التأريخ، مجلد٣، ص ٥٧

۲- ینظر: الکامل فی التأریخ، مجلد۳، ص ۵۷ و ۵۸

خلال هذا العمل تهيئه الأجواء لنفسه وهو ما سيتبين لاحقاً، وهو ما أكده

الإمام على عليه السلام فى قوله السابق، وأكدته الرساله التى أرسلها عبد الرحمن إلى

عثمان بيد ابنه وقد مر ذكرها!

•الثانيه: كان نزول سعد بن أبى وقاص عن حقه بالترشيح بشرط أن يحسب

صوته إلى جانب صوت ابن عوف مبادره سياسيه بارعه لا تقل أهميتها عن

مبادره ابن عوف، وهذا ليس غريباً؛ لآن سعدا هو ابن عم عبد الرحمن بن

عوف، وبنزوله هذا قوى جانب ابن عوف كثيرا ليمنحه سلطه ترشيح عثمان

بما يفتح الباب أمام أحدهما أو كلاهما لتولى الامر من بعده!

•الثالثه: وهى نقطه لا تقل أهميه عن سابقتيها، أن طلحه بن عبيد الله وهو أحد

المرشحين الأقوياء للخلافه كان غائباً عن المدينه، ولم يشارك فى المباحثات من

أصله، ولم يعد إلى العاصمه (المدينه المنوره) إلا بعد أن تمت بيعه عثمان بن

عفان بالطريقه المعروفه، فبايعه مع الناس.(۱)

فلما قوى جانب ابن عوف وأصبح المتحكم بقرار الترشيح أراد تحشيد الشارع

الاسلامى للقبول بحكمه فهو كما يقول ابن قتيبه (۲)(خرج يلقى الناس فى المدينه متلثماً

لا يعرفه أحد فما ترك أحدا من المهاجرين والأنصار وغرهم من ضعفاء الرأى ورعاعهم

إلا سألهم واستشارهم، أما أهل الرأى فأتاهم مستشيراً بسؤال واضح وصريح: (من

ترى الخليفه بعد عمر؟) ثم بعد ليله طويله من النقاش الحاد الذى استمر إلى صلاه

الصبح، صلى ثم جمع الناس فى المسجد وفتح معهم نقاشًا عن المرشح المحتمل، فاحتدم

۱- ینظر: تأريخ الطبرى ج ۳ ص ۳۸

٢- الأمامه و السياسه ابن قتيبه ص ٢٩

الصراح، وكاد يتحول إلى فتنه وفضيحه، فنصحه سعد الذى كان لمّا يزل إلى جانبه يدعمه

بأن يبادر ويعجل بإعلان اسم المرشح، فأعلن اسم عثمان)). (۱)

هنا أودّ القول أن علياً عليه السلام كان ومنذ زمن طويل يتابع نشاط التآمرين، وأنه حتى

قبل هذا التأريخ؛ بل وفى خلافه أبى بكر وعمر وعثمان، وحتى فى عصر البعثه، كان

يتابع تحركاتهم ويرصدها، ولذا كان على علم بكثير من خفاياهم، ومعرفته هذه هى

التى استنتج من خلالها بعد هذا التأريخ أن الخوارج غررت بهم جهات سرّيه ليخرجوا

عن طوعه؛ فقال بعد أن مرّ عليهم صرعى بعد انتهاء معركه النهروان: ((بؤساً لكم لقد

ضرّكم من غركم)) (۲)

إن ما رشح اليوم من أفكار متحرره تجاوز التشخيص والتحديد الذى أتينا به على

خوف من أن يفهمه بعض ضيقى الأفق على أنه تطاول على الصحابه الكرام بالرغم من

اعتمادنا على مصادر المدارس الإسلاميه وكتب التاريخ والدراسات الفقهيه للمدرستين.

وقد رشحت هذه الأفكار التى أراها متحرره ويراها غيرى متطرفه من خلال دراسات

مطوله غايه فى الغرابه بدأت تنتشر اليوم على صفحات الجرائد ومواقع الانترنيت، ومن

أمثله هذه الدراسات الموضوع الذى تكلم عليه (موقع العربيه نت) (۳)

ونظرا للأهمّيه القصوى لهذا الموضوع الشائك الحساس؛ سأورده كاملا من دون

قطع، أو اختزال، أو تبديل؛ لأنه يؤكد فى بعض جوانبه حقيقه وجود الحراك السياسى فى

المجتمح الإسلامى الأول، ذلك الحراك الذى يرفض بعضهم أن يشير إليه مجرد إشاره

عابره، بل و يتهم كل من يتحدث عنه إما بالتشيع أو بالأعجميه. ولأنه يعنى ثانيا أن...

۱- ينظر: الكامل فى التاريخ. ابن الاثير. ج۳. ص۷۱

٢- الكامل فى التاريخ. مجلد٣. ص٢٩٨
٣- موقع العربيه نت من القاهره

الجرأه ستدفع الكثير من الناس إلى التحدث بصوت أعلى مما اعتادوا عليه من قبل، وأن حديثهم سوف ينضوى على كثف للأسرار الخفيه، وفضح لما كان مسكوتا عنه من قبل.

يقول التقرير بالحرف الواحد: أثار ملحق من أربع صفحات أصدرته جريده (الغد) المصريه عن أسوأ شخصيات فى الإسلام جدلا حادّا وانتقادات واسعه بسبب تصديره لأمّ المؤمنين السيده عائشه وعثمان بن عفان قائمه هذه الشخصيات. وتصدر هذه الجريده عن حزب الغد الليبرالى الذى يتزعمه د. أيمن نور المغيب فى السجن حالياً تنفيذاً لحكم قضائى بشأن اتهامه بتزوير توكيلات الحزب عند تأسيسه، ولا تزال ترويسه الجريده تحمل اسمه كرئيس للتحرير، وإن كان لا يتمكن من إدارتها بسبب حبسه، ويرأس تحريرها فعليّا الصحفى أحمد فكرى الذى اختير قبل أسبوعين فقط، وهذا العدد المثير للجدل هو العدد الثانى له)).

قال أيمن بركات عضو الهيئه العليا للحزب بأن سيتمّ عقد اجتماع لبحث ما حدث قائلا: لا أعرف مقدما ما يمكن أن ينتج عن الاجتماع، لكنى أتوقع شخصيا ألّا يمرّ هذا الموضوع بسهوله، فكلنا نقدر هؤلاء الصحابه ونحترمهم ولا يمكن المسّ بأشخاصهم. وتوقع أن يتم فتح تحقيق مع المشرفين على التحرير، ونشر بيان اعتذار فى العدد القادم، خصوصا أن العنوان جاء مخالفا للمضمون الذى يتناول مواقف لهؤلاء الصحابه دون الإساءه إلى أشخاصهم.

ونفى ما تردد بأن ثمه اختراقا أمنياً حدث فى الصحيفه كان من نتيجته إصدار هذا الملحق للإساءه إلى الحزب وصوره د. أيمن نور فى أوساط الرأى العام، مشبرا إلى أن ما حدث لا يزيد عن كونه خطأ مهنياً فى اختيار العنوان لا ينطبق على المضمون نافيا أيضا...

أن يكون هناك اختراق إيرانى أو شيعى ممول من الخارج، قائلا إن هذ٥ الأمور مستبعده تماما فى مصر، ناهيك عن أنها غير موجوده فى الصحيفه، ولا توجد خلفيات طائفيه من أىّ نوع وراء هذا الملحق.

عنوان صادم يتناقض مع المضمون

وأكد أيمن بركات أن العنوان كان مستفزّاً وصادما، وأنه أحدث ردود فعل غاضبه حتى من أعضاء الحزب، وأن الاتصالات لم تنقطع عن مقر الحزب.. وقال إن الملحق مكون من أربع صفحات بحجم صفحات الجريده المعتاد تتحول إلى ثمانى صفحات (تابلويد) عند طيها كملحق منفصل.

وأوضح بركات: اقتصرت الصفحه الأولى على عنوان شامل للملف يقول: ((من عائشه أم المؤمنين وعثمان الخليفه الراشد وحتى الأب الرييس والابن الوريث.. أسوأ عشر شخصيات فى الإسلام)).

وقال: العنوان لا ينطبق على المضمون، فالكلام عن عايشه يوجه المديح لها، و يصفها بأنها ظلت تبكى حتى وفاتها على موقفها فى موقعه الجمل وعلى الذين قتلوا فى تلك الموقعه. ((من المقبول الحديث عن موقف سيئ للشخص، لكن وصفه هو ذاته بأنه من أسوأ الشخصيات فهذا ما لا يمكن قبوله بالنسبه لأم المؤمنين وكبار الصحابه المبشرين بالجنه)).(١)

ويضيف: المضمون يبدأ من الصفحه الثانيه من الملحق و تقول مقدمته: نحن نحبهم جدا ونقدرهم جدا ولكننا نرى من حقنا أن نختلف معهم أحيانا. وبدأ بعثمان بن عفان حيث تكلم على إطلاق يد الأقارب فى الحكم، ثم الزبير بن العوام باعتبار أنه

...

١- لاحظ هنا أن هذا الرأی يخالف أقوالهم فی النهی عن الحديث عما شجر بين الصحابه

تورط فی موقعه الجمل، بعد ذلک أم المؤمنین السیده عائشه وکتب عنها: ظلت طوال عمرها تبکی عشرین ألف قتیل مسلم ماتوا بسببها فی موقعه الجمل، وبعد ذلک عمرو بن العاص عن واقعه التحکیم، وطلحه بن عبید الله عن موقفه بشأن مقتل عثمان ثم المطالبه بالثأر له، والمغیره بن شعبه فیما یخص الإیراث من معاویه لیزید بن معاویه، ومعاویه عن (اغتصاب) الخلافه، وعبد الملک بن مروان، والحجاج بن یوسف الثقفی.

وأشار أیمن برکات إلی أن هذ الملحق لا یحمل اسماً أو أسماء وراء اختبار هذه الشخصیات، أو الطریقه التی اعتمد علیها، إنما مجرد انطباعات لمن کتبوه.

أما رئیس تحریر (الغد) أحمد فکری فقال ل(العربیه.نت) إنه هو الذی کتب الملف واختار هذه الشخصیات بناء؛ علی تأثیرها وخطرها علی الحیاه الإسلامیه، فهی التی أجهضت الحلم الدیمقراطی فی الحیاه الإسلامیه أو توقف عندها حکم الخلفاء الراشدین، والذین یمکن اعتبارهم مجموعه الشرکاء فی حادث الفتنه الکبری.

لا اختراق شیعیا ولا نحن تشیّعنا

وأضاف: الملف یقول إن هؤلاء العشره هم الأسوأ سیاسیّا لأنهم کانوا الآکثر تأثیرا وخطرا علی الشوری والخلافه و حولوها من حکم دیمقراطی یتم انتقال السلطه فیه بإراده الناس إلی حکم وراثی عضوض، حیث بدأت فیما بعد الدوله الأمویه ثم العباسیه.

ویوضح أحمد فکری أن بعضهم عدّ أن هذا هو کلام الشیعه ونوعا من التشیع والتعرض لصحابه رسول الله صلی الله علیه وآله، نافیا ما قیل عن ثمه اختراق شیعی؛ قائلا ((هذا کلام غیر صحیح أو معقول إطلاقا، وحقیقه القضیه هو الجدل السائد فی مصر حالیّاً عن...

توريث السلطه، والناس كلها ضد ذلك التوريث، ومن ثم نحن قلنا إن مفهوم توريث السلطه ابتدأ فى الإسلام من هؤلاء العشره، ومع كل تقديرنا لهم كأشخاص ومبشرين بالجنه ولهم قيمتهم فى حياتنا، إلا أنهم كانوا شركاء أساسيين و رؤوس الممارسه السياسيه فى حادث الفتنه الذى راح ضحيته عثمان بن عفان و على بن أبى طالب وآل البيت وأكثر من ١٥ ألف ملم فى موقعه الجمل وفى المواح الأخرى.

من هو الأب الرئيس والابن الوريث؟

وأوضح أن المقصود بالأب الرئيس والابن الوريث فى العنوان، معاويه بن سفيان وابنه، وأن الملف غير مسلسل ويخص العدد الذى صدر فقط ولا يمتد لأشخاص فى العصر الحديث كما قيل، مشريا إلى أن ((ملحق العدد الذى قبله كان عن (النبى الليبرالى).. حيث أننا نصدر كل أسبوع ملحقا ذا موضوع مختلف)).

وأكد أحمد فكرى رييس تحرير (الغد) أن الموضوع يتكلم فقط على السلوك السياسى الذى حول حكم الدوله الإسلاميه وامبراطوريتها العظيمه من دوله ديمقراطيه تسود فيها حاله المكاشفه الواضحه من أى شخص عادى لحاكم الدوله، إلى دوله وراثيه.

واستطرد: ((لا أحد يستطيع أن ينكر دور عمرو بن العاص فى توطيد حكم الأمويين، وأن عثمان بن عفان نفسه وهو الخليفه الراشد المبشر بالجنه وذو النورين تزوج ابنتين من بنات الرسول اختلف حوله الصحابه حتى أنهم قتلوه ولم يدفنوه. هذا حدث تأريخى لا يمكن إنكاره، وكان ضمن القتله محمد بن أبى بكر)).

وأضاف فكرى: ((نحن نناقش مواقف سياسيه لأشخاص وبشر، وفى الإسلام ليست هناك أيه قداسه للبشر. (١) والمشكله ليست فى عنوان الملحق، وإنما فى أشخاص

١- وهـذا الرأى يتنـاقض مـع نظريه عـداله الصـحابه الـتى يرى بعض المسـلمين المتعصـبين أن مخالفتهـا تؤدى إلى الكفر البواح المخرج من الملة ٠

لديهم حس المؤامره، ويتصورون أن الشيعه وراء ذلك (۱) ولديهم تصورات خاطئه

وغريبه عن كيفيه تفكير الإنسان. الحقيقه أن البعض يفكر بمنطق المؤامره ونحن نفكر

بأهميه التعلم من تأريخنا))(۲)

۱- وهـذا ما تخوفنا منه عند البدء بكتابه هذا البحث، لأن هناك من يرى فى الخوض فيما شـجر بين الصـحابه كفرا بواحا يختص به الشيعه دون غيرهم من الفرق. وكان النسائى احد شهداء هذه السياسه.

۲- موقع العربيه نت....

أعود وأقول: إذا كانت السياسه العربيه بكل هذ٥ القوه والتأثير، فلم لمه يشر إلى

وجودها أحد من المؤرخين الأقدمين، ولماذا قللوا من أهميتها بهذا الشكل؟

واقعا أرى أنه لو كان الإداريون المسلمون قد اهتموا بشأن المنهج السياسى العربى

كما هو اهتمامهم بشأن الجانب المالى مثلا لكان لدينا اليوم خزين ثرّ وتصور واضح عن

كل تلك الحراكات السياسيه؛ ولكنهم أغفلوا الإشاره إلى هذا الجانب بمعناه الحقيقى

وأشاروا إليه من خلال إلماعات تهتم بمسأله الدهاء والخداع والمكر وغيرها من الطباع

من دون أن يربطوا هذه الصفات بالسياسه، بالرغم من كونها من أوضح صفات

السياسيين، وترجمه حقيقيه لمعنى السياسه، ثم إنهم أسموا تلك الحراكات ب(الفتنه)؛

وأنا أرى أن مصطلح الفتنه مأخوذ من الفلسفه السياسيه التى لم تكن قد أصبحت علماً

قائماً بذاته فى ذاك التأريخ؛ فاستعاضوا عن كلمه (سياسه) بكلمه (فتنه) ويقصدون بها

غالبا الآحداث التى وقعت فى زمن عثمان، وما تلاه من العصور الإسلاميه القريبه منه.

وللدكتور صبحى الصالح رأى ناضج؛ يقول فيه: ((وأمهات الكتب القديمه

فى النظم الإسلاميه التى حملت اسم (الأحكام السلطانيه) لم يفتها الفصل بين تينك

الزمرتين من النظم ولكن ما اكتنف عباراتها من الغموض فى أحكام الفقيهين الماوردى

(الشافعى) وأبى يعلى (الحنبلى) لم يتح لنا ولا للباحثين قبلنا الوقوف على الأطوار

التأريخيه والأنماط الحضاريه والظروف البيئيه والجغرافيه التى مرّ بها كل نظام على حده

من قبل أن يأخذ صيغته النهائيه (الرسميه) فى تعاليم الإسلام))(١)

وأرى أن هذا الرأى على قدر كبير من الصحه، ولكنه بالتأكيد لا يغطى كل جوانب الحقيقه وإنما يغطى جزءا منها، وجزءا صغيراً فقط؛ لآن التغييب المتعمد لأثر النظام السياسى العربى فى الحياه العامه، والذى كان جزءا من العمل السياسى المنظم الكبير، هو المتسبب الاكبر فى هذا الغموض وإلا فإن النظام السيامى بمفهومه المعاصر كان حاضراً وفاعلا ومتحكماً فى مسار الأحداث والتأريخ، وهو الذى شكل الخارطه السياسيه الإسلاميه بشكلها المعروف حالياً.

وكلما استطردنا فى الحديث عن تعامل العرب المسلمين مع متطلبات المرحله التى عاشوها بحسناتها وسيئاتها سوف يتضح لنا دور السياسه فى ترتيب البيت العربى الاسلامى وفق هواها، ويتبين لنا أنهم فى مراحل ساخنه من هذا الحراك قادهم الهوى السياسى بعيدا عن هوى الدين ومسؤولياته.

ثم يجب أن لا نغفل جانبا مهما آخر لا يقل أهميه عن تلك الجوانب؛ وهوأن العرب والمسلمين لم يهتموا بتدوين تاريخهم إلا بعد زمن طويل من بدء البعثه؛ يقول الدكتور عبد الرحمن العزاوى: ((إن بدايات التدوين التأريخى عند العرب مرت بمراحل عبر القرون الثلاثه الهجريه الأولى، لكنها نالت فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى تطورًا فى المنهج والطريقه))(٢)

ويتبين من قول آخر للباحث أن هذا التأخرى كان من أسباب وقوع المؤرخ المسلم فى مصيده الخلط التأريخى؛ حيث قال: ((فإن هذا الموضوع لا يمكن أن يدرك بالنسبه

١- النظم الاسلاميه، د. صبحى الصالح، ص ٨

٢- المنهجيه التأريخيه فى العراق، د. عبد الرحمن العزاوى، ص ٨

للقرون الثلاثه الأولى للهجره ولاسيما القرن الأول والثانى، وأنه لا يمكن التمييز بين التأريخ الصرف والمواد التى كانت تروى وتقص على أنها ماده صالحه من مواد التأريخ...وليس هذا بدعا جاءت به العقليه العربيه؛ لأن الارتباك والصعوبه بين المواد التأريخيه الأصليه والأساطر قد مر على كل الأمم المثقفه التى شعرت بحاجتها إلى تدوين سيرها فلما شعرت هذه الأمم بالحاجه للتدوين صدمتها هذه العقبه))(١)

والذى أراه أن الدكتور العزاوى حاول تغافل حقيقه الخلط التأريخى الذى وقع فى تأريخنا عند تأكيده الفارق الزمنى بين ساعه وقوع الحدث وتأريخ تدوينه وحده، ناسيًا أو متناسيًا أن هناك حقائق أخرى أكثر من هذا أهميه أسهمت فى تشويه صوره تأريخنا، وكان بعض التشويه والإخفاء متعمنا ومقصودا أسهم فى وضعه المؤرخون والخلفاء ووعاظ السلاطين، لكى لا يعرف القادمون حقيقه ما وقع كما هو، ويكتفون بما يجدونه فى رواييات كتب التأريخ، وبالتالى تنوعت الروايات ومضامينها. وعلى العموم كان رأى الدوله وسلطانها هو النافذ وحجبت كل الآراء الأخرى فلم تجد لها مكانا فى كتب التاريخ، ولكنها لم تمت وتتلاش وإنما بقيت فى عقول وصدور وقلوب فئه من الناس حافظوا عليها وتداولوها شفاها إلى أن حانت الفرصه المؤاتيه فدونت وانتشرت، وحينها بدت للاخرين وكأنها غريبه لأنهم لم يألفوها من قبل، وهم الذين أسسوا قناعاتهم وأحكامهم على ما تم تداوله وتدوينه من قبل، ولذا ليس غريبا أن تجد بينهم من ينكر وجود فكر سياسى عربى أو إسلامى؛ أو ينكر حدوث ما فى المدونات الجديده! أو ينكر أن الأحداث التى نوردها ذات أصل تاريخى.

فضلا عن ذلك نتفق بأن المدونات القديمه لم تكتب بأقلام محايده وإنما كتبت بأقلام

١- المنهجيه التأريخيه فى العراقى، د. عبد الرحمن العزاوى، ص ٩

الموظفين الحكوميين ووعاظ السلاطين؛ بل حتى الأحاديث النبويه جرحت وعدلت وفق نفس المنهجيه ولذا تم تغييب الكثير من الحوادث والأحداث بل والنصوص الصريحه، وتم تحريف القسم الآخر، فوصلنا ما اختاروه هم لا ما كان موجودا. وهؤلاء الذين تلاعبوا بسنه رسول الله صلى الله عليه و آله كانوا من الموظفين عند السلطان والسائرين على نهجه والمؤيدين لخطه والمنفذين لأوامره وبالتالى كانوا يختارون ما يعجبه ويرضيه ويخفون أو يجرفون ما لا يرضيه.

من هؤلاء ما ذكره صاحب (تهذيب الكمال)(١) عن أحد رواه الحديث وهو (حريز بن عثمان) الذى كان يشتم الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، عوضاً عن ذكر الله، وممن اعتراف بهذه الحقيقه المره الإمام أحمد بن حنبل الذى قال عن حريز: إنه كان يحمل على على. ولكن ابن حنبل لم يلتفت لهذه الخصله فى تقييمه لحريز؛ فقال عنه: ثقه، ثقه، ثقه! حريز الذى كان يتطاول على أول القوم إسلاماً يعده ابن حنبل ثقه بالثلاث، فما نوع الأحاديث التى سيوردها هذا الثقه؟

وكان (الجوزجانى) وهو من أئمه الجرح والتعديل يجاهر ببغضه لعلى وأهل البيت عليهم السلام! عامه، فإذا مر عليه حديث حريز وثقه حتى ولو كان مخالفا لمنهج الرساله.

وقد حكم الذهبى وآخرون على أن ابن إسحاق أحد أشهر كتاب السيره النبويه كان مدلسًا، وكان يدفع المال والقصص للشعراء ليضعوا فيها أبياى ينسبها إلى المشاركين فى الحدث الذى يريد الحديث عنه، وهناك من قال: إنه كان يأخذ من بعض اليهود. ومع ذلك جاء المتأخرون وأخذوا بما فيها من مضمون اعتمادًا على ما أورده ابن إسحاق! (٢)

ص :٢١٦

١- تهذيب الكمال، الجزء الخامس، ترجمه ((حريز بن عثمان) الحديث المرقم ١١٧٥

٢- يراجع كتابنا (جزئيات فى السيره النبويه، عرض وتحليل) للاطلاع على آراء العلماء فى هذا الخصوص.

هؤلاء بإجماعهم واجتماعهم أوجدوا كل المصطلحات الإقصائيه بدءاً من مصطلح (سنه الشيخين) مرورا بمصطلح (أهل السنه) وصولا إلى مصطلح (أهل السنه والجماعه). فهذه المصطلحات الطائفيه السياسيه لم تكن وليده فكر الحكام والسياسيين فقط بل أسهم الإفتائيون بنشرها بعد أن قام السياسيون بتنضيرها ووضح قواعدها ونشرها بين المسلمين.

والغريب أن هناك جبهه عريضه ترفض اتهام التاريخ بالزيف وترفض أن يقول أحد ما: إن تاريخنا مزيف، وأرى أن ذلك امتداد للموقف الإسقاطى القديم، وربما لهذا السبب يقول المستشار العشماوى: ((فدعوى تزييف التأريخ دعوى حديثه لم يقل بها احد من القدماء الثقات المشهود لهم بكتابه التأريخ مثل الطبرى والسيوطى وابن الأثر وغيرهم وهى ترفع فى الآونه الأخيره من جانب تيار الإسلام السياسى ومن يلوذ به أو ينتفع منه أو يسعى إليه بقصد إسقاط الحجج المقابله الدامغه التى من واقع التاريخ ومن صميم الأحداث بطلان دعاوى هذا التيار))(١)

ومن يدقق ويحقق بقول العشماوى يتأكد أن نهجه التعليلى نابع من نفس الخط السياسى القديم، فكم فى تاريخنا من أكاذيب وأباطيل ودس وتدليس وتلاعب وتحوير وتزوير متعمد مقصود؛ تفضح ذلك التباينات الكبيره بين ما جاء به المؤرخون أنفسهم باستثناء أولئك الذين نقل بعضهم عن البعض الآخر دونما تمحيص او تدقيق.

الآن، وبعد أن أتضح لنا الدور الذى لعبه السياسيون العرب فى الحياه العامه، فمن الممكن أن نجيب من يشكك بوجود السياسه العربيه ودورها بنعم كبيره لا تقبل النقاش، ولكن ربما نصطدم بمن يسألنا عن الدليل؟ ومن حق المعترض أن يسأل،

١- الخلافه الاسلاميه محمد سعيد العشماوى ص ٢٧

فليطمئن السائل بأن هناك مئات الأدله على وجود نظام سياسى بكل معنى الكلمه؛

وأن هذا النظام هو الذى أعاد تشكيل الإسلام؛ وفكك الفكر الإسلامى وأعاد صياغته

حسب ما يشتهى ويرغب، وأنه هو الذى تحكم بالأحداث والوقاح ووجهها إلى الوجهه

التى أرادها، وهو الذى قتل الإمام على وقتل الإمام الحسن وقتل الإمام الحسين عليه السلام

وقتل قبل ذلك الخلفاء الثلاثه، وتسبب بمقتل المئات من كبار الصحابه ونخبتهم؛ وأنه

هو الذى تسبب بتشضى الإسلام وتكوين المذاهب؛ وهو الذى أنتج منظومات التكفير

والتنفير.

لقد البس السياسيون العرب منهجهم السياسى ثوبا دينيا حتى بدا وكأنه هو

الدين ذاته مع أنه كان أشد ضررا على الدين من أعدائه الحقيقيين، وذلك لأن سياستهم

كانت دنيويه الأهداف والقواعد والفكر وهى أمور تتعارض غالبا مع العقيده الدينيه

وقواعدها وفكرها. ولذا يرى الأستاذ عزيز الخزروجى إن: فقدان الأمه للقياده الربانيه

الصالحه التى حملت هم تطبيق النظريه الإسلاميه فى عالمنا الذى امتلا بالظلم والجور

والفساد والطبقيه لهو: بسبب السياسيين الذين لا يراعون حرمه وكرامه الإنسان

ويفرقون فى الفيء لتشوه القواعد والمنطلقات الصحيحه فى رؤاهم ومتبنياتهم العقائديه

المختلطه مع القوانين الوضعيه عاده وبالتالى اختلاط الفهم عند الإسلاميين منهم..

للنصوص الشرعيه يشكل صحيح، تلك النصوص ألتى تشخص وتحدد معالم القياده

الربانيه التى على الجماعه الإسلاميه ألإنقياد والطاعه لها فى كل عمل يراد منه التقرب لله

تعالى))(١)

وحين يفقد المجتمع الحريه، ببب سياسه القهر والفساد والاستبداد من قبل...

١- ينظر : كتاب السياسه و الاخلاق :من يحكم من؟ عزيز الخزرجی ؛كتاب الكترونی؛موسوعه نينوی.

المتسلطين تتعرض المنظومه الأخلاقيه بشكل طبيعى إلى التبدد والتغيير ويتوقف الإبداع والإنتاج ويموت الوعى، لأن جل هم المواطن ينحصر فى الحصول على لقمه العيش والحاجات الطبيعيه بكل وسيله ممكنه، كالسكن والإمكانات الأخرى، ومن الطبيعى أن تتعرض كرامته للإهانه على يد الذين عاده ما يحتكرون سلطه والمال والإمكانات لتجردهم عن القيم الأخلاقيه والمثل والتواضع والمحبه التى يأمر بها الدين وحده، وقد تصل الأمور مع ذاك الوضع إلى حد يصعب معه الحصول على لقمه الخبز إلا ببيع المواطن لكرامته، ولاسيما فى بلادنا وحتى الدول الغربيه التى يميل فيها القانون عادةً لمصلحه الأغنياء وأصحاب البنوك والشركات التى لها الحق فى وضع القوانين الخاصه باتجاه مصالحهم من دون مراعاه حقوق العاملين لتتعرض المنظومه الأخلاقيه كلها للتغير(١)

لقد تعرضت المنظومه الأخلاقيه والأدبيه فى الأمه الإسلاميه بسبب سياسه وجشع المتصدين فيها إلى تغييرات جذريه منذ القدم ومرورا بالسقيفه وإلى يومنا هذا.. بل إن المفاهيم الإسلاميه التى تحوى أمثل المنظومات الأخلاقيه انقلبت إلى القد من التعاليم الإسلاميه الواضحه فى مجال الربيه وحقوق الإنسان وكرامه المواطن العربى والمسلم والعلاقات الاجتماعيه، بمعنى صار الكذب حلالاً والصدق نشازاً والحلال حراماً والحرام حلالاً والمعروف منكراً والمنكر معروفاً، حتى صارت معنا من معالم السياسى النشط فى هذا العصر.

وقد لا أجانب الحقيقه لو قلت: إن السياسيين العرب تجاوزوا نظريات (ميكافللى) الايطالى الذى تعممد نظرياته بالأساس على قوانين النظريه السياسيه الواقعيه المعروفه

١- ينظر : المصدر النفسه من يحكم من؟؛عزيز الخزرجي

بأنها تنهج الأساليب الخادعه للوصول إلى السلطه والحفاظ على المنصب بكل الوسائل الممكنه، لأن الغايه حسب شريعتهم تبرر الوسيله، والمطلع على ما كتب ميكافيللى يرى أنه شرع نظرياته التى فى النهايه تضر بمجموعات وشرائح كبيره من المجتمع، لكنها بالمقابل تصب فى مصلحه شريحه أخرى عاده ما تكون مؤتلفه فى القرار والحكم والأولويات!(۱)

هذه هى أسس السياسه العربيه التى كتب لها أن توضع قباله السياسه الدينيه التى يمثلها الإمام الحسن عليه السلام، كانت ناشطه فاعله مقتدره قويه متكامله مؤيده من بسطاء الناس وعامتهم ومن اكتفى بالإسلام ولم يؤمن بروحه وجوهره. كانت تستسغ كل الوسائل حتى الدنيئه منها لتحقق أهدافها قباله نخبه عقديه كانت تتحرج من أبسط الأمور ولا تقدم على عمل إلا بعد أن تعرف كل أوجهه ومقدار قربه أو بعده عن روح الدين، ثم ما يمكن ان يحققه من نفع وفائده للناس.

۱- ينظر: المصدر نفسه، الخزرجى

الفصل الخامس و النزاع السياسى مع خط الحسنى

اشاره

ص :۲۲۱

سیاسه التشکیک

قبل الحدیث عن المنهج السیاسی للإمام الحسن علیه السلام الذی هو المنهج الإسلامی دون تحریف؛ لا بأس من الحدیث عن تعامل السیاسیین مع سیرته العطره وبإیجاز شدید مع ضروره التوسع فی بعض الجوانب المهمه التی لها علاقه وثیقه بمجمل البحث، فلقد وجدتم مهتمین بحیاته علیه السلام ربما أکثر من کل الأئمه الآخرین، ولذا لم یترکوا صغیره ولا کبیره فی سیرته إلا ودسوا فیها وحولها أخبارا وروایات وقصصا وأکاذیب، فساروا فی تشویههم مع سیرته الزکیه بمنهج تحریفی بدأوه متن ولادته ولم ینتهوا منه حتی بعد هدم قبره الشریف وتسویته بالأرض، أملا بالوصول إلی هدم کل أفکاره والقضاء الکلی علی من یعتقد به ویجبه ویتبع منهجه ویؤمن بإمامته، أی أنهم أعادوا کتابه سیرته وفق رؤیتهم السیاسیه وأرادوا الناس أن یأخذوا بها، وأرادوا قسر الناس علی التعبد بفکرهم المنحرف وحده بعیدا عن أی تلون أو تنوع.

وقد ینظر بعضهم إلی هذه الجزئیات البسیطه علی أنها لیست من الأهمیه بمکان لکی ترک أثرا فی تاریخ الإمام الحسن علیه السلام باعتبار أنه ماذا سیحدث إن شککوا بتأریخ مولده، وماذا لو أنکروا أن النبی صلی الله علیه و اله عق عنه وحلق رأسه بیده الشریفه، وماذا... وماذا؟

ومن یؤمن بهذا التقییم وینظر إلی عمل السیاسیین العرب بهذه البساطه أراه غیر مدرک

لدرجه وعيهم؛ ويجهل تقييم قدراتهم، لأنه لم يدرك ما أدركه السياسيون من كبير الأثر لمثل هذا التعارض الشديد فى جوهر كل مفرده من مفردات حياه إنسان ما لدرجه أنه يستحيل مع كثيره الاقوال معرفه الحقيقه التى ضاعت بين أكداس من الاقوال المختلفه المتباينه، وبدا يثبت السياسيون أنهم وصلوا فى عصر الإمام الحسن عليه السلام إلى درجه عاليه من التنظيم والتنظير، ووظفوا كل مهاراتهم المكتسبه والموروثه لمحاربته من خلال خطين تم اختيارهما بعنايه فائقه:

•الخط الأول: أخذ على عاتقه شن الهجمات العسكريه وتسيير جيش يزيد تعداده على المائه ألف مقاتل لكى يقتله ويتخلص من وجوده.

•الخط الثانى: أخذ على عاتقه تشويه سيرته من خلال التشكيك والخلط والفوضى، والملاحظ على هذا الخط أنه تناول مجمل سيره الإمام الحسن عليه السلام وكل ما له علاقه به؛ فأضاف إليه وحذف منه، وغير فيه وطمر بعضه وأخفى الآخر، وشوه ما لم يقدر على تذويبه،والملاحظ على هذا الخط كذلك أنه استمر عاملا فاعلا ناشطا منذ عصر الإمام الحسن عليه السلام ولغايه هذه الساعه لم يمل ولم يكل، تراه مستعدا لمهاجمه أى بارقه تبدر عن حياته الشريفه فيتصدى لها بنفس الاندفاع القديم وربما أكثر.

وسنبدأ بتفكيك ودراسه الخط الثانى أولاً باعتبار أنه تحصيل حاصل للخط الأول، ولأن دراسه الخط الأول تحتاج إلى تعمق أكثر و شرح أكبر. بدأ هذا الخط عمله مع تاريخ ولاده الإمام الحسن عليه السلام ووصل إلى هدم قبره الشريف، ويعمل اليوم على تفجير وتهجير وذبح أتباعه ومحبيه. وكان التشكيك هو سلاح السياسيين فى هذه المرحله الطويله؛ نظرا لما يوقعه التشكيك فى النفس من حيره وتخبط، فهو على رأى رجل الدين المسيحى البابا

(شنوده الثالث) عمل من وحى الشيطان: إن الشيطان يزيع الشكوك فى كل مجال من مجالات الحياه. لأن الإنسان فى حاله الشك يكون ضعيفاً يمكن للشيطان أن ينتصر عليه))(١) وبناء عليه نجد رحلتهم التشكيكيه تبدأ من لحظه ولاده الامام الحسن عليه السلام، فهى المحطه الأولى التى يبدأ التأسيس من خلالها للمحطات التشكيكيه الأخرى.

تشكيكهم بتاريخ مولده

الحسن بن على وفاطمه عليهم السلام هو أول حفيد ولد لرسول الله صلى الله عليه و اله وهو حدث فريد بكل المقاييس، ومن الأهميه بمكان لدرجه أنه لا يمكن لمن يحب النبى صلى الله عليه و آله أن يغفل هذا التأريخ المهم، كيف والولاده تعنى امتدادا لحياه النبى صلى الله عليه و آله وتكذيبا لمن وصفه بأنه (الأبتر)

ولكن مع ذلك تضاربت الأخبار فى تأريخ ولادته وبشكل يدعوإلى الاستغراب:

فمنهم من قال: إنه ولد فى السنه الثانيه للهجره.

ومنهم من قال: ولد فى الته الثالثه، ذهب إلى ذلك كثير من المؤرخين والباحثين منهم السيوطى فى تأريخ الخلفاء.(٢) والمعتزلى فى نقله عن الزبير بن بكار فى أنساب قريش، وقوله: ((ولد الحسن بن على عليه السلام للنصف من شهر رمضان سنه ثلاث من الهجره))(٣) واعتقد أن الشيخ أحمد محمد إسماعيل أخذ عن هؤلاء فقال: ((ولد الإمام عليه السلام فى ليله النصف من شهر رمضان المبارك فى السنه الثالثه للهجره))(۴) وقال ابن حجر فى فتح البارى: ((وكان مولد الحسن فى رمضان سنه ثلاث من الهجره عند الأكثر، وقيل

١- كتاب حروب الشياطين، البابا شنوده الثالث، مكتبه الكتب المسيحيه، كتاب الكترونى، فصل ٢٨ التشكيك

٢- ينظر: تأريخ الخلفاء، السيوطى،ص ١٨٨ ، وغيره

٣- شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد المعتزلى، مجلد۴، ج١۶ ، ص ۴

۴- صلح الحسن غدير عز ولغز جهاد، الشيخ احمد محمد إسماعيل، ص ١۴-١۵

بعد ذلک، ومات بالمدینه مسموما سنه خمسین، ویقال قبلها ویقال بعدها))(۱)

وهناک من قال: إنه ولد فی أواسط السنه الرابعه، کما فی قول الدولانی: ((تزوج علی فاطمه علیها السلام؛ فولدت له حسنا بعد أحد بسنتین وکان، بین وقعه أحد وبین مقدم النبی صلی الله علیه و اله المدینه سنتان وسته أشهر ونصف، فولادته لأربع سنین وسته أشهر ونصف من التاریخ وبین أحد وبدر سنه ونصف))(۲) وقال الحاکم فی المستدرک: ((عن قتاده قال: ولدت فاطمه علیها السلام ؛حسنا بعد أحد بسنتین ونصف، فولدت الحسن لأربع سنین وسته شهر من التأریخ))(۳)

وهناک من ذهب إلی أبعد من ذلک فقال أنه ولد فی السنه الخامسه للهجره، قال ابن حجر فی الإصابه: ((ولد فی نصف شهر رمضان سنه ثلاث من الهجره، قال ابن سعد وابن البرقی وغیر واحد، وقیل فی شعبان منها، وقیل ولد سنه أربع وقیل سنه خمس، والأول أثبت))(۴)

وقد أورد الأصبهانی فی المقاتل أن مولد فاطمه الزهراء علیها السلام؛ کان قبل النبوه وقریش تبنی الکعبه وکان تزویج علی بن أبی طالب إیاها فی صفر بعد مقدم رسول الله المدینه وبنی بها بعد رجوعه من غزوه بدر ولها یومئذ ثمانی عشره سنه)(۵)أی أن الحسن علیه السلام ولد بعد غزوه بدر بسنه فی أقل تقدیر.

۱- فتح الباری شرح صحیح البخاری، أحمد بن علیی بن حجر العسقلانی، دارالریان للتراث، ص ۱۲۰، حدیث ۳۵۳۶

۲- الذریه الطاهره النبویه، لأبی بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابی.ص ۶۸ حدیث رقم ۱۰۰

۳- مستدرک الحاکم، حدیث ۳۸۷/۴۷۸۹،ص۱۸۵ ، ج۳

۴- الإصابه،ابن حجر، ج۱ ،ص ۳۷۴

۵- مقاتل الطالبیین، ص ۵۹

أذكر هنا بأن الروايات أجمعت على أن بناء الكعبه تم سنه خمس قبل النبوه(۱)، وأن

النبی الکریم صلی الله علیه و آله صاحب الخمسه وثلاثين عاماً أسهم فی البناء، وحمل الحجاره من

الوادی مشاركاً قومه فی مثل هذا الحدث العظيم ويعنى هذا أنها عليها السلام ولدت قبل البعثه

بخمس سنين فيما إذا كانت قد ولدت فی وقت بناء الكعبه، باعتبار أن النبی صلی الله علیه و اله بعث فی

الأربعين من عمره الشرف وبذا يكون عمرها ثمانيه عشر عاماً حين تزوجها الإمام عليه السلام

وهوعمر كبير نسبيا نسبه إلى ما عرف عن العرب والمسلمين من تزويج بناتهم فی الصغر

حتى ادعوا بأن النبی صلی الله علیه و آله تزوج عائشه وعمرها ست سنوات بالرغم من أن هناك من

قال أن ولاده الزهراء وعائشه كانت متقاربه! وإذا ما كان تزويج فاطمه قد تأخر إلى ما

بعد الهجره فمن المؤكد انه تم بعدها مباشره، وكانت ولاده الحسن عليه السلام بعد الزواج بسنه

فی أكثر الاحتمالات، فما الذی أخر ولاده الحسن عليه السلام إلى سنه ثلاث أو أربع أو خمس

هجريه إذا لم تكن هناك نيه مبيته لاستخدام هذا الإيهام لأغراض سياسيه؟

ولذا أرى أن الروايات التی تذهب إلى هذا المذهب إنما هدفها الانتقاص من حكمه

الإمام الحسن عليه السلام باعتبار أنه كان غضا غريرا حينما ولی الخلافه. وأنه ليس أهلا للصدام

مع دهاء معاويه الحكيم.! وللتشكيك يصدق صحبته للنبی صلی الله علیه و اله والروايه عنه باعتبار

أنه كان أصغر من أن يعد من الصحابه! ولهذا السبب امتنع البخاری ومسلم عن إيراد

أحاديثه، وتوقفا عنده، ولم يخرجا له حتى ولو حديثا واحدا، وهو ما سنتوسع فی بحثه

مستقبلا نظرأ لأن البخاری أخرج احاديث لمن هو أصغر منه عمرا.

وهنا أقتبس من ابن شهر آشوب تواريخه التی جاء بها، ومنها قوله: ((قبض رسول

الله صلی الله علیه و اله وله (أی الإمام الحسن) (۷) سنين وأشهر، وقيل: (۸) سنين)).. وقام بالأمر بعد

١- ينظر على سبيل المثال كتاب الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفورى

أبيه علیه السلام وله (۳۷) سنه.. وأقام فی خلافته (سته شهر وثلاثه أیام) ووقع الصلح بینه

وبین معاویه سنه إحدی وأربعین.(۱)

وبعیدا عن نظریه المؤامره أقول: إن السیاسیین وأعداء الخط العلوی هم من بث

أغلب تلک الروایات فی تأریخنا للتقلیل من أهمیه الإمام الحسن؛ لأنهم قباله ذلک

أکدوا بشکل کبیر علی ضبط تواریخ ولادات ووفیات رجالهم. وبعد هذا التلاعب

الکبیر بتاریخ مولده انتقلوا إلی اسمه الشریف.

تشکیکهم فی أصل تسمیته

وتضاربت الروایات بفعل وحث السیاسیین أیضا فی وقت تسمیه الإمام الحسن

وأصل اسمه علیه السلام حیث جاء فی الروایات أن أمه فاطمه علیها السلام جاءت به إلی رسول الله صلی الله علیه و اله

یوم السابع من مولده فسماه حسناً، وعق عنه کبشاً.(۲)

وفی روایه أخری أن النبی صلی الله علیه و آله هو الذی قدم إلی بیت علی علیه السلام فی یوم الولاده لیهنئه

بالمولود، وسمی الولید(الحسن) من قبل الله لم یکن أحد من قبله یحمل هذا الاسم.

وقد أذن فی إذنه الیمنی، وأقام فی الیسری.

وفی روایه أخری یتضح أن النبی صلی الله علیه و آله کان حاضرا فی بیت علی علیه السلام ینتظر ولاده

حفیده الأول، عن جابر بن عبدالله، قال: لما ولدت فاطمه الحسن علیهم السلام قالت: لعلی

علیه السلام سمه؟ فقال: ما کنت لأسبق باسمه رسول اللهصلی الله علیه و آله. فقال رسول الله صلی الله علیه و آله: ما کنت

لأسبق باسمه ربی عزوجل، فأوحی الله جل جلاله إلی جرئیل علیه السلام: أنه قد ولد لمحمد

ابن فاهبط إلیه وهنئه وقل له: إن علیاً منک بمنزله هارون من موسی، فسمه باسم ابن

۱- انظر: مناقب ابن شهرآشوب، ج ۴، ص ۲۸- ۲۹

٢- إرشاد المفيد، ج ٢،ص ۵، مناقب ابن شهرآشوب، ج ۴، ص ٢٨

هارون. فهبط جبرئيل علیه السلام فهنأه من الله تعالی جل جلاله، ثم قال: إن الله تعالی یأمرک

أن تسمیه باسم ابن هارون. قال: وما کان اسمه؟ قال: شبر. قال: لسانی عربی. قال:

سمه الحسن، فسماه الحسن))(۱)

ولم تعجب هذه التراتیبه الإلهیه السیاسیین الذین اعتبروها مکرمه تتعارض مع

مصالحهم الدنیویه فأکثروا الحدیث عن تسمیه الإمام الحسن علیه السلام ولکن سعیهم خاب،

وثبت فی الأرض ما ینفع الناس، وذهب زبدهم جفاءً.

وأنا أری واقعا أن أول ظلم لحق بالإمام الحسن علیه السلام بعد موضوع ولادته کان

موضوع تسمیته علیه السلام، فیما أوردت کتب الصحاح أن الاسم الذی اختاره له أبوه هو

(حرب) قال الدولیبی: ((حدثنا إسرائیل عن أبی إسحاق عن هانیء بن هانیء عن علی،

قال: لما ولد الحسن سمیته حربا فجاء رسول الله فقال: أرونی ابنی ما سمیتموه؟ قلنا:

حربا، قال: بل هو حسن. فلما ولد حسین سمیته حربا فجاء النبی فقال: أرونی ابنی

ما سمیتموه؟ قلنا: حربا، قال بل هو حسین، فلما ولد الثالث سمیته حربا. فجاء النبی

فقال: أرونی ابنی ما سمیتموه؟ قلنا: حربا، قال بل هومحسن))(۲)

هنا أرجو ملاحظه أمور مهمه منها:

• تأکیدهم علی إصرار الإمام علیه السلام علی علی اسم (حرب) بالرغم من عدم رضا

النبی صلی الله علیه و آله عن هذا الاسم وکرهه له ونهیه عنه، وهم من وراء هذا الإصرار غیر المبرر

والحاد لدرجه أن یتکرر ثلاث مرات ویجابه بالرفض ثلاث مرات أرادوا الطعن

بالإمام، وعد ذلک مثلبه من مثالبه التی تفتق الذهن المریض عن صنعها، ولکنها لم

۱- علل الشرائع، ص ۱۳۷ ، حدیث ۵ ، ونحوه فی ذخائر العقبی، ص ۱۲

۲– الذریه الطاهره النبویه، الدولابی، مصدر سابق، حدیث ۹۸ ، ص ۶۷

تثبت بالوقوف بوجه النقد العلمي والعقلي.

• حديثهم عن مولود ثالث اسمه محسن بالرغم من اتفاق علماء مدرستنا أزمحسنا

سقط ميتا في حادث الباب يوم تحريق بيت فاطمه سلام الله عليها . وهدفهم من ذلك الإيغال في

الدس وضرب أكثر من عصفور بحجر واحد. فضلا عن ذلك هناك روايات أوردها

الدولابي لم يذكر فيها محسنا؛ تقول الأولى: ((عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن

الحنفيه عن علي انه سمى البحسن بعمه حمزه وسمى الحسين بعمه جعفر، قال: فدعاني

رسول الله فسمى الأكبر بحسن بعد حمزه وسمى الأصغر بحسين بعد جعفر)(١)

وتقول الثانيه وهي أصح الروايات وأقربها إلى فكر أهل البيت عليهم السلام وإلى منزله الإمام

علي عليه السلام: ((عن عمران بن سليمان قال: الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنه))(٢)

أما أقرب الروايات إلى العقل والمنطق فهي التي تذهب إلى أن النبي صلى الله عليه و آله ذهب إلى

بيت علي وفاطمه عليهما السلام قبل ساعه الولاده، لأنه يحبهما ويحب ذريتهما وكان ينتظر ولاده

أول مولود من صلبه؛ وقد أخبره الله سبحانه أن ذريتهما أولاده الذين حرم منهم من

زوجاته على كثرتهن، ولأنه يعرف أن ذريتهما سوف يحملون أعباء الرساله من بعده

وينقلونها إلى الأجيال عبر التاريخ، وأن آخرهم هو المهدي المنتظر. المنقذ الذي سوف

يصلح الكون كله. وحينما ولد الوليد قالت السيده فاطمه الزهراء لعلي عليهما السلام بصفته

والد الصبي: ((سمه))، فقال لها بما معروف عنه من احرام للنبي وأمره وقوله: ((ما كنت

لأسبق باسمه رسول الله))صلى الله عليه و آله. النبي صلى الله عليه و آله من جانبه لم يكن يريد مصادره حق الوالد

بتسميه ولده ولكنه كان يريد أن يصدر أمر التسميه من عند الله سبحانه وتعالى، فسأل

عليا: ا(هل سميته))؟ فأجابه: ((ما كنت لأسبقك باسمه))؟ فقال صلى الله عليه و آله: ا(ما كنت لأسبق

١- ينظر: الدولابى، مصدر سابق، حديث ٩٧ ، ص ٦٧

٢- المصدر نفسه، حديث ٩٩ ص ٦٨

باسمه ربی عزوجل))، فأوحی الله تبارک وتعالی إلی جبرائیل ((أنه قد ولد لمحمد ابن؛ فاهبط

وأقراءه السلام وهنئه، وقل له: إن علیاً منک بمنزله هارون من موسی، فمه باسم ابن

هارون))، فهبط جبرائیل علیه السلام فهنأه من الله عز وجل، ثم قال: ((إن الله عز وجل یأمرک أن

تمیه باسم ابن هارون))، قال: وما کان اسمه؟ قال: ((شبر))، قال: لسانی عربی،،

قال: سمه الحسن، فسماه الحسن(۱) بدلاله أن الروایات اتفقت علی أنه لم یکن یعرف

هذا الاسم (الحسن) عند العرب منذ عسر الجاهلیه ولحین ولاده الإمام الحسن علیه السلام.

وهذه الروایه مقاربه نوعا ما لروایه المجلسی فی البحار، وفیها أن النبی صلی الله علیه و آله جاء

إلی بیت علی وفاطمه علیهما السلام وکانت الزهراء علیها السلام قد ولدت الحسن علیه السلام، فأخرج إلیه

الولید، فقال: ((اللهم إنی أعیذه بک وولده من الشیطان الرجیم، ثم أذن فی أذنه الیمنی،

وأقام فی الیسری))(۲) إلا أنه یتبین من هذه الروایه أن الرسول صلی الله علیه و آله جاء بعد الولاده

مباشره.

المهم أن السیاسیین أحدثوا فی أمر التسمیه وحضور النبی ابنته ساعه ولادتها أمورا

یندی لها الجبین، وانهم کانوا یرفعون الروایات والأحادیث إلی أهل البیت علیه السلام عسی أن

یمر تدلیسهم ولا ینتبه إلیه أحد، وقد قالوا: روی مرفوعا إلی علی بن أبی طالب علیه السلام:

لما حضرت ولاده فاطمه علیها السلام قال رسول الله صلی الله علیه و آله لأسماء بنت عمیس وأم سلمه رضی الله عنهما:

أحضرا فاطمه، فإذا وقع ولدها واستهل صارخا فأذنا فی أذنه الیمنی وأقیما فی أذنه

الیسری.. ولا تحدثا شیئا حتی آتیکما))(۳)

ولا أدری لماذا لم یأمرهما النبی صلی الله علیه و آله بأن تخبرا أمه علیها السلام لتؤذن وتقیم فی أذنیه وهی

۱- ینظر: أمالی الصدوق، ص ۱۹۸

٢- ينظر: البحار، المجلسى، ج ٤٣،ص ٢٥٧

٣- حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد على، ص ٦٢

أكرم منهما، أو أن تخبرا والده الإمام على عليه السلام ليقوم بذلك؟ لماذا يطلب النبى صلى الله عليه و آله من آخرين التأذين والإقامه لابنه البكر؟ وما دور وصيته: ولا تحدثا شيئا حتى آتيكما))؟

كما لا أدرى ما مدى مطابقه هذه الروايه مع روايه أخرى أخرجها الشيخ نفسه

وفيها: إن النبى صلى الله عليه و آله كان يروح ويغدو على بيت فاطمه صلى الله عليه و اله منتظرا ساعه ولادتها، وإن بعض نساء المدينه كن عندها ساعه طلقها، ومنهن سوده بنت سرج، وإن النبى صلى الله عليه و اله أمرهم بأن لا يحدثوا شيئا، لا آذان ولا إقامه ولا أى أمر آخر لحين دخوله على ابنته؛ بعد أن تضع وترتاح من آلام الوضع، وتقول الروايه:((أخرج الحافظ عن سودهبنت سرج قالت: كنت ممن حضر فاطمه حين ضربها المخاض فأتانا رسول الله فقال: كيف هى؟ كيف هى؟ ابنتى فديتها! قلنا: إنها لتجهد، قال: فإذا وضعت فلا تحدثى شيئا حتى تبلغينى))(۱) علما أن الشيخ وبعد أن ذكر هذه الروايات التى نفى من خلالها أن يكون النبى صلى الله عليه و اله قد أذن فى أذن ولده؛ عاد وأخرج روايه أخرى تؤكد بأن النبى صلى الله عليه و اله بشخصه هو من أذن وأقام فى أذنى ولده الحسن وتقول الروايه: وأذن فى أذنه، وسماه الحسن،عليه السلام، وعق عنه بكبش))(۲)

تشكيكهم أن النبى صلى الله عليه و آله عق عنه

لم يترك السياسيون التلاعب حتى مع أبسط شعيره تخص حياه الحسن عليه السلام، وأبوا إلا أن يسيئوا لها ويكثروا الحديث بشأنها لكى لا يتركوها بنقائها جريا على عادتهم اللئيمه الحقود، ولذا تجد لهم أقوالا مختلفه بشأن أمر بسيط كالعقيقه يدعوك إلى الدهشه من مقدرتهم على التلاعب بعقول أتباعهم إلى هذا الحد، والنزول إلى أدق الشعيرات والخوض فيها، كما فى حديثهم عن العقيقه.

۱- ینظر: حلیم آل البیت الحسن بن علی، الشیخ موسی محمد علی، ص ۶۳
۲- حلیم آل البیت الحسن بن علی، الشیخ موسی محمد علی، ص ۶۲

فی حدیثها عن أهم نقاط اهتمام الإسلام بالطفل، عدت الدکتوره مریم إبراهیم هندی من جامعه القاهره العقیقه کواحده من أهم هذه النقاط، کما فی قولها: ((فإن من عظمه الإسلام أنه لم یترک صغیره ولا کبیره إلا بینها، واهتم بها، ونبه علیها، وخاصه ما یتعلق بالإنسان، حیث اهتم الإسلام به قبل أن یخلق فقد حث الزوج علی اختیار أمه علی أساس الدین کما حیث الولی أیضاً علی اختیار الزوج علی أساس الدین، واهتم به وهو جنین حیث شرع له عده أحکام من حیث میراثه وتحریم الجنایه علیه وغیر ذلک، واهتم به بعد أن یولد حیث حث علی العقیقه عنه، واختیار الاسم الحسن له، وغیر ذلک))(۱)

بل إن الدکتوره المصریه أوضحت سبب اختیارها للکتابه عن موضوع العقیقه قائله: ((إن کثیراً من هذه السنن قد اندثر، وانبهر المسلمون بالعادات الغربیه من عمل السبوع، وإشعال الشموع وغیرها، فاخترت هذا الموضوع محاوله منی لتعریف الناس بهذه السنن لیتمسکوا بها))(۲)

إن مدرسه أهل البیت علیهم السلام تؤمن أن کون الإمام الحسن علیه السلام هو الابن البکر للنبی صلی الله علیه و آله من فاطمه وعلی علیهما السلام؛ بعد أن فقد أبناءه من قبل بأمر الله تعالی یدفعه حتما إلی متابعه هذا الحدث الفرید بهمه عالیه وشوق کبیر وترقب وبحث عن تطبیق الشریعه بحذافیرها فیما یخص المولود الجدید لیتعلم الناس منه ما خفی علیهم أو لم یفهموه من قبل؛ ولکی یحصن الولید ویربطه بالعقیده ربطا محکما لا ینفذ منه شیطان أو إنسان، فقام بکل ما تستوجبه الولاده الجدیده من مهام وأولها التسمیه الحسنه والآذان والإقامه فی

۱- بحث بعنوان (أحکام العقیقه فی الفقه الإسلامی) للدکتوره مریم إبراهیم هندی، مجله کلیه دار العلوم — جامعه القاهره،

العدد (٢٨) سنه ٢٠٠١م

٢- المصدر نفسه

أذنيه، وهى أولى مراحل الإعداد النفسى للطفل يتركها سحر كلمات: (الله أكبر.. الله أكبر) التى تنساب كسيل عذب رقراق من بين شفتى النبى صلى الله عليه و آله لتتوغل فى أعماق الوليد وتستقر فى فكره وذاكرته. ثم تلا ذلك حلاقه شعر رأس الوليد وذبح العقيقه عنه.

وأما العقيقه فنجد عنها فى البحار: وعق عنه، قال: بسم الله عقيقه عن الحسن عليه السلام، وقال: اللهم عظمها بعظمه، ولحمها بلحمه، ودمها بدمه، وشعرها بشعره، اللهم اجعلها وقاءً لمحمد وآله. وحلق رأسه، وأمر أن يتصدق بزنه شعره فضه))(۱) وفى روايه أخرى: عق عنه بكبشين أملحين وأعطى القابله فخذا ودينارا)). بل جاء فى إحدى الروايات أن النبى صلى الله عليه و اله عق عن الحسن عليه السلام بيده الشريفه كما حلق شعره بيده الشريفه أيضا، أى أنه ذبح العقيقه بيده الشريفه ولم يدع أحدا آخر يذبحها، وحلق له بيده الشريفه ولم يدع شخصا آخر يحلق له: عن الصادق عليه السلام قال: عق رسول الله عن الحسن بيده وقال: بسم الله عقيقه عن الحسن، وقال: اللهم عظمها بعظمه ولحمها بلحمه ودمها بدمه وشعرها بشعره، اللهم اجعلها وفاءً لمحمد وآله))، وهوما لم يفعله لمولود من مواليد المسلمين قط سوى الحسن والحسين عليهم السلام.

وتجد فى البحوث الشرعيه للمدارس الإسلاميه عامه اهتماماً بالغاً بموضوع العقيقه تتضوى تحته تفرعات كثيره تناولت حكم العقيقه بالشرح المفصل بدءأ من: تعريفها لغه، فتعريفها اصطلاحاً، فحكم تسميتها، ومن ثم حكمها، ومن يرى أنها سنه وأدلته، أو واجبه وأدلته، أو مستحبه وأدلته، ثم فضلها وفوائدها، ومن يعق عن المولود، ومن يعق عنه؟ وهل يعق عن الكبير؟ وهل يجزى التصدق بثمنها؟ وهل يعق الإنسان عن نفسه إذا بلغ ولم يعق عنه؟ وهل يعق عن المولود لو مات قبل السابع؟ وهل يعق عن الذكر والأنثى أم عن الذكر فقط؟ الحيوان الذى يذبح فى العقيقه، وشروطه، العدد

۱- ینظر: البحار، ج ۴۳، ص۲۵۷

الذی یذبح فی العقیقه عن الذکر والأنثی، وقت الذبح، هل یجوز ذبح حیوان واحد

عن أکثر من طفل؟ ما الحکم لو اجتمعت العقیقه والأضحیه فی یوم واحد؟ حکم کسر

عظمها وطبخها والاکل منها والإهداء والتصدق، ولطخ جسم المولود بدمها، وبیع

جلدها وسواقطها.

وفیها أیضا أجوبه شافیه لهذه المسائل؛ منها علی سبیل المثال لا الحصر والتخصیص

قول السید محمود الهاشمی: (یستحب أن یعق عن الذکر بذکر وعن الأنثی یأنثی

سمینه سالمه من العیوب.. ویکره أن یأکل الأب منها أو أحد عیال الأب والأحوط

للأم الترک.. ویستحب أن تقطع جداول وقیل یکره أن تکسر العظام ویستحب أن

تعطی القابله منها الربع ویقسم الباقی علی المؤمنین... ومن بلغ ولم یعق عنه استحب

له أن یعق عن نفسه.. ولا یجزی عن العقیقه التصدق بثمنها ومن ضحی عنه أجزأته

الأضحیه عن العقیقه(1)

ولم یکن التشیع وحده من أهتم بها فالمدارس الإسلامیه کلها تقریبا تشترک فی

وجوب أهمیتها کما تشرک فی الکثیر من أحکامها ولکن هناک من یحاول التعتیم علی

رأی التشیع بالعقیقه تماما کما عتم السیاسیون القدماء علی عقیقه الإمام الحسن علیه السلام،

حیث تقول الدکتوره مریم إبراهیم هندی من جامعه القاهره أنها ومن خلال البحث

تبین لها أن المذهب الحنفی وحده من یعتبر العقیقه بدعه، والمذهب الشیعی لم یتکلم

عنها فی کتب فقهه(2)وکما فی قولها: ((وقد رجعت فی هذا البحث إلی سته مذاهب، وهی

1- منهاج الصالحین المعاملات، فتاوی سماحه آیه الله العظمی السید محمود الهاشمی،ص 397- 398،الجزء 2

2- لا مختلف هذه الدکتوره کثیرا عن سلفها أحمد أمین صاحب المنار الذی تطاول فی حینه علی الشیعه وأتهمهم بأنواع التهم

ثم لما حضر إلى العراق ضمن وفد كان فى منهاج زيارته زياره النجف وكربلاء، فاهتم به علماؤنا وناظروه بأقواله وأفحموه فأدعى أنه كتب ما كتب من غير أن يعرف فكان عذره أحمق من فعله. وهذه الدكتوره تشبهه فى الحمق تماما فهى لو اتعبت نفسها قليلا ـ لكانت وجدت مئات النقول الشيعيه التى تتحدث عن وجوب العقيقه وأحكامها، ونحن لو لم نكن مهتمين بها لما أفردنا لها مبحثا فى كتابنا هذا. ومن خلال أحد هوامش بحثها ثبت لى أنها تعمدت ذلك، أى تعمدت عدم ذكر رأى التشيع لأنها تعد التشيع من الفرق الضاله كما فى قولها فى أحد الهوامش: (ومن المعلوم أن الإباضيه والزيديه والإماميه من الفرق الضاله عن الصراط المستقيم وأهله. الفرقه الناجيه والطائفه المنصوره: أهل السنه والجماعه، وأنه لا يعقد بكلامهم على الإطلاق، ولا عبره بخلافهم، لا ـ فى العقائد والأصول، ولا ـ فى الأحكام والفروع غير أن بعض الكليات الشرعيه ببلاد الإسلام (ومنها مصر) تشترط ذكر هذه المذاهب الثلاثه بالإضافه إلى الأربعه والظاهريه فالمذاهب المعتمده زعموا -: ثمانيه)

المالکی، والشافعی، والحنبلی، والظاهری، والزیدی، والإباضیی، وهی المذاهب التی

وجدت لأصحابها کلاماً حول العقیقه، أما المذهب الحنفی فلم أجد لها ذکراً فی کتبهم

وذلک لأنهم یرون أنها بدعه کما هو مذکور عنهم فی کتب الفقه المقارن، وأما الشیعه

الامامیه فلم أجد للعقیقه ذکراً فی کتاب شرائع الإسلام للحلی، ولا فی تهذیب الأحکام

للطوسی، ولا أدری السبب فی عدم تناولهم لأحکامها))(۱)، وأری أن من المعیب أن

یتوکأ بعض الباحثین علی عصی واهیه لتوهین معتقد الآخرین، والأکثر عیبا أن یکون

الباحث من حمله الدرجات العلمیه، وإلا فمن غیر المعقول ان ترجع الدکتوره إلی بحث

أو اثنین لتثبت من خلالهما حکما شرعیا او تنفیه.

إن الاهتمام الزائد بهذه المسأله البسیطه بالذات یعنی أنها مهمه وأن المسلمین

الأوائل عملوا بها بعد أن علمهم النبی صلی الله علیه و اله حکمها نظریا من خلال المحاصرات وعملیا

من خلال عقه عن ذریته من علی وفاطمه و أولهم الحسن علیه السلام، والروایات التی نقلت

حادثه العق عن الحسن علیه السلام کثریه منها فضلا عن روایات مدرستنا:

۱- بحث بعنوان (أحکام العقیقه فی الفقه الإسلامی) للدکتوره مریم إبراهیم هندی، مجله کلیه دار العلوم — جامعه القاهره، العدد (۲۸) سنه ۲۰۰۱م

أخرج الدولابی عن محمد بن عمر: ((لما ولد الحسن بن علی عق عنه رسول الله

بکبش وحلق شعره وأمر أن یتصدق بوزنه فضه))(۱) وعن ابن عباس: ((أن رسول الله عق

عن الحسن کبشا وعن الحسین کبشا))(۲) وفی سنن أبی داود:((عن ابن عباس أن رسول

الله صلی الله علیه و اله عق عن الحسن والحسین کبشا کبشا))(۳) وفی سنن النسائی: فی روایه أخری عق

عنهما: ((کبشین کبشین))(۴) وفی سنن الترمذی، عن الإمام علی علیه السلام: ((عق رسول الله عن

الحسن بشاه)) وقال: یا فاطمه أحلقی شعر رأسه وتصدقی بزنه شعره فضه))(۵) وفی

سنن البیهقی عن جابر: ((أن النبی عق عن الحسن والحسین وختنهما لسبعه أیام))(۶)

ومع أنه من غیر المعقول بل من المستحیل أن یولد للنبی صلی الله علیه و آله مولود هو سید شباب

أهل الجنه فلا یعق عنه؛ إلا أن السیاسیین وبغیه التهویش والتشوش والتأثیر علی عقول

الناس نوعوا الروایات التی تتحدث عن الإمام الحسنعلیه السلام لیس عن زمن المجابهه معه

فحسب، وإنما ابتداء من التسمیه وحتی فی طقوس الولاده الأخری مثل حدیثهم عن

العقیقه،فادعوا بأن النبی علیه السلام لم یعق عن الحسن علیه السلام؛ بل ومنع فاطمه علیها السلام من ذلک،

لأنهم زعموا أن العقیقه من الموروث الجاهل الذی أبطله الإسلام کما فی روایه الدولابی:عن أی سلمه بن عبد الرحمن قال: سألته عن عقائق الولدان فقال: إنها کانت من عمل

الجاهلیه ولم أعق عن ولد لی قط. قال فسألت علی بن حسین فقال: اخبرنی أبو رافع مولی

رسول الله أن حسن ابن علی الأکبر أرادت أمه فاطمه أن تعق علیه بکبش عظیم فقال

۱- الذریه الطاهره النبویه، الدولابی،مصدر سابق، حدیث ۱۰۳، ص ۶۹

۲- الذریه الطاهره النبویه، الدولابی،مصدر سابق، حدیث ۱۰۵، ص ۷۰

۳- سنن أبی داود، فی الأضاحی، حدیث رقم ۲۸۴۱

۴- سنن النسائی، باب کم یعق عن الجاریه،ج۷،ص۱۶۶

۵- سنن الترمذی، حدیث رقم ۱۵۱۹

۶- سنن البیهقی، ج۸،ص ۳۲۴

رسول الله صلى الله عليه و آله: لا تعقى عنه بشيء ولكن احلقى رأسه وتصدقى بوزنه من الورق فى سبيل الله)(١)

ولقد وجدت الروايه فى مسند أحمد تختلف قليلا، أوردها عن أبى رافع، قال: ((إن حسن بن على لما ولد أرادت أمه أن تعق عنه بكبشين، فقال رسول الله صلى الله عليه و اله: لا تعقى عنه، ولكن أحلقى شعر رأسه فتصدقى بوزنه من الورق، ثم ولد الحسين فصنعت مثل ذلك))(٢) فقط أرجو الانتباه إلى حديثهم عن إصرار فاطمه عليها السلام فى هذا الأمر الذى يشبه حديثهم عن إصرار على عليه السلام على اسم (حرب) الذى قالوا أن النبى غيره ثلاث مرات، وأسألوا أنفسكم: ماذا يراد من مثل هذه الأقوال؟ ولماذا على وفاطمه فقط؟

وهل معنى ذلك أن عليا وفاطمه سلام الله عليهما لو رزقا عشره أولاد ذكور كان على عليه السلام سيبقى مصرا على اسم حرب وكانت فاطمه ستبقى مصره على ان تعق عن كل واحد منهم بكبشين فيمنعها النبى صلى الله عليه و آله؟ ولماذا ذكروا قصصا تخص الحسن والحسين عليه السلام فقط، لماذا لم يذكروا قصصا عن بنات فاطمه عليهم السلام والشرع يوجب العقيقه للذكر والأنثى، أم أنها لم تعق عن البنات، أم لأن دور البنات المجتمعى أقل انتشارا من دور الأبناء، أم ماذا؟

بفعل هذه الأحاديث الساقطه بقيت هذه العقيده فاشيه عند بعض الناس الذين كانوا ولا زالوا يعتقدون بأن النبى صلى الله عليه و آله لم يعق عن الحسنين عليهم السلام و منع فاطمه عليها السلام من ذلك، بالرغم من قيامهم بذبح العقيقه عما يولد لهم من مواليد حتى بدا الأمر جالبا للشك والريبه والشبهه، فانبرى المتأخرون منهم للبحث عن تأويل لهذا الخطل الكبير والخطأ الفاحش ومن هؤلاء الكاتب الليبى المتعصب الدكتور على محمد الصلابى الذى بقى إلى أن وافته المنيه وهو يعتقد أن الخلفاء العثمانيين المستعمرين هم الامتداد للخلافه

۱- الذریه الطاهره النبویه، الدولابی،مصدر سابق، ص ۶۹- ۷۰، حدیث ۱۰۴

۲- مسند احمدج ۶ ،ص۳۹۲

الإسلاميه الشرعيه! فأراد تلطيف التعارض فادعى:((وإنما صرفها صلى الله علیه و آله عن العقيقه

لتحمله عنها ذلك؛ لا تركا بالأصاله))(۱) وأقول له: وماذا عن الحديث الذى أخرجه

الدولابى وجاء فيه: ((أنها كانت من عمل الجاهليه، ولم أعق عن ولد لى قط)) وكيف

يستقيم قولك مع قوله؟ وبماذا تعلل ذلك القول؟!

أرجو هنا ملاحظه أنه بالرغم من كون الدولابى شافعى المذهب قبل أن يتحول إلى

المذهب الحنبلى(۲) وبالرغم من أن المذهب الشافعى أفتى بأن ذبح العقيقه للمولود سنه

مؤكده استنادا إلى خبر قيام النبى صلى الله علیه و آله فى ذبح عقيقه عن الإمام الحسن عليه السلام، حيث يرى

الشافعيه أن الإمام الشافعى احتج فى كون العقيقه سنه عن المولود بالحديث الذى جاء

فيه أن النبى عق عن الحسن عليه السلام وحلق شعر رأسه(۳) إلا أن تحوله المذهبى إلى المذهب

الحنبلى المتشدد هو الذى أوقعه بذلك الخلط الكبير.

إن اختلاف رأى مذاهب مدرسه الخلفاء بحكم العقيقه بين الوجوب والإباحه

۱- سره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على،ط ۸، على محمد الصلابى، ص ۲۰

۲- وترجمه ابن العماد الحنبلى (ت / ۱۰۸۹ هـ) قائلاً: (عنى بالحديث بعد أن برع فى الفقه وتحول من مذهب الشافعى إلى مذهب الحنابله - ونقل عن ابن رجب قوله: كان والده شابا تركيا محدثا فاضلا من أصحاب أبى بكر الخطيب الحافظ... وخالط ابن ناصر الحنابله ومال إليهم وانتقل إلى مذهبهم لمنام رأى فيه النبى صلى الله علیه و آله). ويظهر أن عوامل الغربه واليتم لكونه تركى الأصل وأنه حرم رعايه والده شابا جعلته يتصل بحنابله بغداد - وأصحاب الشوكه آنذاك - وأن يرتكز فى حياته على العلم ويرتوى من نمير الأدب والفقه والحديث على الأعلام البارزين فى هذه الفنون حتى لقب بمحدث بغداد بلا منازع. شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلى، ج ۳،ص ۱۵۶

۳- ينظر: مطاليب السؤول فى مناقب آل الرسول، محمد بن طلحه بن محمد بن الحسن القرشى العدوى النصيبى الشافعى، ص ۲۲۶

والكراهه والحرمه جاء بالتأكيد من تلك الروايات الموضوعه؛ بما يعنى أن السياسيين

وحراكهم العدوانى ضد أئمه أهل البيت عليهم السلام ألحق الضرر حتى بباقى المذاهب

وأوقعها بمشاكل عمقت الخلاف بينها.

والدكتوره المصريه بعد أن قالت عن العقيقه إن: (فيها معنى القربان، والصدقه

واشكر لله تعالى وأنها فديه يفدى بها المولود من المصائب، وفيها إظهار الفرح والسرور

بإقامه شرائع الإسلام، وإرفاء موارد التكامل الاجتماعى بين الناس). أدلت برأيها

بشأن حكم العقيقه فقالت:((يرجح القول باستحبابها على القول بوجوبها، على القول

بكراهتها، وأنها بدعه))(۱) بمعنى أنها أفتت باستحباب العقيقه ومع ذلك جاءت

بمجموعه أقوال فقهيه بعضها سنن والآخر شرط والثالث يجوز ولا يجوز والرابع إجماع

والخامس اختلاف لكى تبين الحكم الشرعى للعقيقه التى ادعوا بأن النبى صلى الله عليه و اله لم يذبحها

لولده الحسن عليه السلام، فكيف يستقيم ما جاءت به مع ما جاء به الأقدمون؟

ونظرا لأهميه ما توصلت إليه الدكتوره من أحكام، ولكى أبين التناقض الكبير

فى هذه الأحكام سأوردها لكم مختصره من أقوالها، حيث خلصت بالقول إلى أن:

ذبح العقيقه أفضل من التصدق بثمنها. يستحسن أن يقوم بها الأب. وإن قام هبها غيره

فجائز. يسن أن يعق عن الكبير، وأن يعق الإنسان عن نفسه بعد البلوغ؛ لأنها مشروعه

عنه، وهو مرتين بها، ومحتاج لحفظ الله ورعايته طيله حياته. إن مات الطفل قبل السابع

اختلف العلماء فى العقيقه عنه حيث يرى البعض أنها تسقط، وقيل: يسقط استحبابها،

وقيل: لا تسقط. يعق عن الذكر والأنثى لقوه أدله من يرى ذلك وترجيحها على أدله

من يرى أنه لا يعق عن الأنثى. لا يجوز فى العقيقه إلا الأزواج الثمانيه، ذكورهم وإناثهم.

١- بحث بعنوان (أحكام العقيقه فى الفقه الإسلامى) للدكتوره مريم إبراهيم هندى، مجله كليه دار العلوم — جامعه القاهره، العدد (٢٨) سنه ٢٠٠١م

يشترط فى الحيوان: أن يكون جذع ضأن وثنى سواه، ولا يجزئ الجذع من الماعز، وأن تكون سليمه من العيوب على اختلاف بين المذاهب فى بعض العيوب واتفاقهم على بعضها. أجمع العلماء على استحباب استحسان لون حيوان الأضحيه، والأبيض أفضل من خلافه، والاءقرن أفضل من الأجم، والذكر أفضل من الأنثى، والفحل أفضل من الخصى؛ إلا أن يكون الخصى أسمن. اختلف العلماء فى تسمينها لكن الراجح جواز ذلك. أجمع العلماء على أنه يذبح عن الأنثى شاه واحده، واختلفوا فى العدد الذى يذبح على الذكر: حيث ذهب الجمهور إلى أنه يذبح عنه شاتان، وذهب البعض الآخر إلى أنه يذبح عنه شاه واحده. اختلف العلماء فى وقت ذبح العقيقه حيث يرى البعض أن السنه أن تذبح يوم السابع، وإن ذبحت قبله جيوز، وإن ذبحت بعده تجزئ، ويرى البعض الآخر أنها لا تجزئ قبل يوم السابع، وإن ذبحت بعده أجزأت. لا يجوز ذبح حيوان واحد عن أكثر من طفل. إذا اجتمعت العقيقه والأضحيه فى يوم واحد أجزأت إحداهما عن الأخرى. اختلف العلماء فى كسر عظام العقيقه حيث يرى البعض أنه لا تكسر عظامها، ويرى البعض الآخر جوازكسرها. السنه طبخ العقيقه وأن توزع عليهم فى بيوتهم، وإن طبخها ودعا الناس إليها فحسن، وأنه جيوز الإطعام منها نيئاً. السنه أن توزع أثلاثاً كالأضحيه. ثلثاً للفقراء، وثلثاً هديه، وثلثاً لأهل بيته. جيوز بيع جلد ورأس وسواقط العقيقه ويتصدق بثمنه، وهى بذلك تخالف الأضحيه حيث لا جيوز فى الأضحيه بيع هذه الأشياء. لا جيوز لطخ رأس وجسم المولود بدم العقيقه وهو رأى الجمهور، لأن دليل من يجوز ذلك فيه وهم من راويه، وقيل: إنه منسوخ، وقيل: إن هذا كان من أعمال الجاهليه.(١)

المهم أن هذه التفرعات الصغيره وبالرغم من عدم أهميتها تجدها تحولت إلى ماده

۱- ینظر: أحکام العقیقه فی الفقه الإسلامی، الدکتوره مریم إبراهیم هندی، مصدر سابق

دسمه بيد السياسيين، وتراهم يلتفتون إليها ويعتنون بها ويدخلونها فى مشروعهم

التخريبى، ولقد ثبت أن النظريات السياسيه المعاصره والعمليات المخابراتيه الحديثه

تهتم كثيرا بمثل تلك الجزئيات لتستخدمها فى تحليل الشخصيه التى تريد دراستها

ومعرفه أسرارها،أو تريد محاربتها وتسقيطها. وبذا تتبين درجه الوعى السياسى العربى

الذى حارب خط الإمامه المعصومه، ويتبين مقدار الجهد الذى بذلوه فى محاربه المشروع

الإلهى، وتتبين عظمه الإمام الحسن عليه السلام الذى نجح بالتصدى لمشاريعهم التخريبيه.

تشكيكهم فى صحبته

أمضى الإمام الحسن عليه السلام مع جده النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ما يناهز الثمان سنوات من

عمره، وكان النبى يحبه حباً مجاً، وكثيراً ما كان يحمله على كتفيه ويقول: ((اللهم إنى أحبه

فأحبه)) وهو بموجب تعريفهم للصحبه يعد من الصحابه بل من ساداتهم، وبما ألزموا

به أنفسهم نلزمهم.

فضلا عن ذلك كان الإمام الحسن عليه السلام من حيث العمر مقاربا لأعمار مجموعه من

الأولاد الذين ولدوا بعد الهجره من الذين أخرج لهم البخارى ومسلم عددا لا يستهان

به من الأحاديث التى بنيت عليها أحكام شرعيه يتعبد بها الناس مثل المسور بن مخرمه

ومروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وغيرهم، بينما أغفل البخارى ومسلم(۱) روايه

الحسن عليه السلام بالرغم من منزلته وقربه من جده النبى ومن أبيه على وأمه فاطمه عليهم السلام

۱- لم يخرج مسلم أو البخارى أحاديث عن أئمه أهل البيت عليهم السلام: الإمام الحسن والإمام موسى بن جعفر والإمام الرضا، والإمام الجواد والإمام الهادى، والإمام العسكرى عليهم السلام بالرغم من أن البخارى كان معاصرا للإمام العسكرى مثلا. ينظر: أضواء على الصحيحين دراسه وتحليل لصحيحى البخارى ومسلم، تعريب يحيى كمالى البحرانى، مؤسسه المعارف الإسلاميه، قم، ۱۴۱۹، ص ۱۱۳

وهما أحب الناس وأقربهم إلى رسول الله صلى الله عليه و آله. ويعنى هذا أن السياسيين العرب نجحوا فى التأثير على الرواه والمؤرخين والمدونين لكى يطمسوا فضائل الإمام الحسن عليه السلام؛ ويستنهضوا هممم من سار على نهج العداء لهم، وقد نجحوا فى ذلك مع أن الله سبحانه أبى أن تتجاوز الأيام والشهور الإمام الحسن عليه السلام ولا تحمل من ضوع عطره؛ فزع محبته فى قلوب الطيبين الذين نقلوا حديثه إلى الناس عبر التأريخ.

إسهامه فى الفتوح

من المؤكد أن الإمام الحسن عليه السلام اشرك فى جميع حروب والده الإمام على عليه السلام فى البصره وصفين والنهروان، ولكن من المشكوك فيه أن يكون قد اشرك فى الفتوح قبل هذا التاريخ. ومع أنهم لم ينجحوا بتاتا فى إثبات اشراكه فى الفتوح التى تمت فى خلافه عمر بالرغم من كونه كان يومذاك شابا يافعا تجاوز العشرين من عمره الشريف، إلا أن هناك من يدعى كذبا وتدليسا أنه عليه السلام شارك فى فتح شمال أفريقيا وطبرستان. وقالوا أنه فى خلافه عثمان بعد أن بلغ عمره نيف وعشرين عاما((انضم إلى المجاهدين حيث اتجهت ألويتهم إلى احتلال أفريقيا))(۱) فلماذا لم يشارك الإمام الحسن عليه السلام فى فتوح عصر عمر وشارك فى فتوح عصر عثمان بالرغم من سيطره الأمويين على مقاليد الأمور وتحكمهم بمن يشارك فى تلك الفتوح ومن يعفى من المشاركه فيها؟ عليا أن المؤرخين أجمعوا تقريبا على أن الفتوح فى عصر عثمان كانت سياسيه أكثر منها عقائديه، وأن الأمويين كانوا مرون أعداءهم فيها لكى يتخلصوا من خطرهم، وهم من المستحيل أن يجبروا الحسن عليه السلام كما أجبروا الآخرين للاشتراك عنوه فى تلك الفتوح المسيسه.

ولذا تجد هناك جمعا كبيرا أنا من ضمنهم يشككون بل يرفضون التصديق باشتراك

١- أهل البيت، الحسن بن على،توفيق أبو علم، ص ٦١

الحسن علیه السلام فی تلک الفتوح لأن روایاتهم عن اشتراکه فیها کانت غیر دقیقه وبدلیل

قاطع، والشیخ الزین رد علی الکاتب المصری الذی ادعی أن خالد بن الولید والحسن

بن علی الذی کان یصحبه فی الفتح الإسلامی أقاما الصلاه فی جامع (قزوین) بقوله:

((والحال أن خالد توفی سنه ۲۱ هجریه قبل فتح قزوین بسنه ونصف، علی ذلک أبو

الفداء ج ۱ صفحه ۱۶۴ من تأریخه ونص ابن الأثیر أیضا وابن عساکر وأثبتوا أن الذی

فتح قزوین هو البراء، وإن همدان فتحها حذیفه بن الیمان وافتتح الری؛ ولم تکونا فتحتا

من قبل، انظر مجلد ۴ صفحه ۲۰۰ من تأریخ ابن عساکر، وإنا لم ندر علی کثره البحث

فی هذه المسأله إلی أی مصدر استند الرحاله فی دعوی وصول خالد إلی قزوین المفتوحه

بعد موته؟ ومن دعوی صحبه الحسن بن علی علیه السلام خالد فی فتوحه)}(۱)

وأری أنه ما کان للإمام علی علیه السلام أن یتأخر هو أو یؤخر إشراک بعض أو کل أولاده

فی تلک الفتوح قاده أو منقادین لو کانت مشابهه للفتوح التی أشترک فیها مع رسول

الله صلی الله علیه وآله فی عصر البعثه؛ ولکنه علیه السلام کان ینظر إلیها بخلاف ما یراها الآخرون؛ ویعرف

غایاتها وأهدافها؛ ولذا امتنع ومع أولاده عن الإسهام فیها تطبیقا لمبانی عقیدته، وبالتالی

من غیر المحتمل أن یسمح لأولاده بالاشتراک بما لا یشترک فیه أو یشکک بصحته

وشرعیته. ومن الطبیعی أن لا یشترک الجمیع فی هذا الرأی، فالشیخ محمد الیعقوبی یری

أن الحسن والحسین علیه السلام شارکا فی الفتوح بوصفها جزءاً من عطائهما للأمه(۲) وفی هذا

القول نظر.

۱- الشیعه فی التاریخ، محمد حسین الزین، هامش ص ۹۶

۲- ینظر: دور الأئمه فی الحیاه السیاسیه، الشیخ محمد الیعقوبی، ص۳۳۷

الخلط بين مهام إمامته وخلافته

تعتقد مدرستنا أن إمامه الإمام المعصوم تبدتدىء مع بدء حياته، كما هو النبى المرسل

تبدأ نبوته مع بدء حياته حتى مع وجود رسول أو رسل آخرين، وتبدأ إمامته حتى مع

وجود إمام أو أئمه آخرين ولكن (النبى والامام) لا يصرح ما لم يؤمر بذلك تماما كما

يعلن النبى بدء دعوته المأمور بتبليغها، وعليه بدأت إمامه الحسن عليه السلام المصرح والأمور

بإعلانها بعد موت أبيه مباشره بالمنصبين (الإمامه والخلافه) حيث أقام فى خلافته عده

أشهر على اختلاف الأقوال، وأقام فى إمامته إلى أن انتهت بمقتله مسموما على يد أعدائه

السياسيين فى سنه خمسين من الهجره على اختلاف الأقوال أيضا مما ادخل السرور إلى

قلوبهم والحزن والكمد إلى قلوب المؤمنين. ولكن هناك من يرى أن الحسن عليه السلام بتنازله

عن الخلافه لمعاويه تنازل عن الإمامتين الدينيه والدنيويه ولم يعد إماما إلا بنظر أهله

وبعض المقربين منه، وهذا خلط أريد منه تشويه الحقائق وحرف مسار التاريخ و شرعنه

سيطرتهم على دوله الإسلام.

ولا خلاف لدينا نحن الشيعه على استخلاف الإمام الحسن بنص من أبيه عليهما السلام

وبوصيه من جده النبى الأكرم صلى الله عليه وآله؛ ونقولنا فى ذلك لا حصر لها ولا يرقى إليها شك،

ففى اصول الكافى باب تحت عنوان (الإشاره والنص على الحسن بن على عليه السلام ضم

سبعه أحاديث منها ما فيه نص صريح، ومنها ما فيه إشاره إلى النصيب. ومما جاء فى

النص على إمامته من أحاديث:

۱ . عن سليم بن قيس قال: (اثهدت وصيه أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه

الحسن علیه السلام وأشهد علی وصیته الحسین علیه السلام ومحمدا وجمیع ولده ورؤساء شیعته وأهل بیته، ثم دفع إلیه الکتاب والسلاح وقال لأبنه الحسن علیه السلام: یا بنی: أمرنی رسول الله صلی الله علیه وآله أن أوصی إلیک وأن ادفع إلیک کتبی وسلاحی کما أوصی إلیّ رسول الله ودفع إلیّ کتبه وسلاحه، وأمرنی أن آمرک إذا حضرک الموت أن تدفعها إلی أخیک الحسین علیه السلام...))(۱)

۲. عن أبی الجارود، عن أبی جعفر علیه السلام قال: ((إن أمیر المؤمنین علیه السلام لما حفره قال لأبنه الحسن: أدن منی حتی أسرک ما أسر رسول الله صلی الله علیه وآله

إلیّ وائتمتک علی ما ائتمتنی

علیه، ففعل))(۲)

أما ما جاء إشاره إلی إمامته، فمنه:

۱. عن أبی بکر الحضرمی قال: ((حدثنی الأجلح وسلمه بن کهیل وداود بن أبی یزید وزید الیمامی قالوا: حدثنا شهر بن حوشب: إن علیاً علیه السلام حین سار إلی الکوفه استودع أم سلمه کتبه والوصیه، فلما رجع الحسن علیه السلام دفعتها إلیه))(۳)

۲ . عن أبی بکر عن أبی عبد الله علیه السلام: إن علیاً حین سار إلی الکوفه استودع أم سلمه کتبه والوصیه، فلعا رجع الحسن دفعتها إلیه))(۴)

ومن مجمل هذه الروایات نستخلص وجود اتفاق بین رجال مدرستنا بأن الإمام علی علیه السلام أوص بالخلافه لابنه الحسن علیه السلام وهو علی فراش الموت، وروایاتنا فی ذلک لا تحصی ولا تعد، ولکن أبناء الفصیل السیاسی شککوا بهذه الروایات وجاءوا بروایات

۱- أصول الکافی، ص۲۱۷-۲۱۸حدیث رقم ۱

۲- أصول الکافی ج۱،ص۲۱۸.

٣- المصدر نفسه،ج١، ص٢١٨.

٤- المصدر نفسه، ج١،ص٢١٨.

أخرى يدعى بعضها أن قسما وليس كل رجال الأمه انتخبوا الحسن عليه السلام خليفه، ولا يوجد نص من على عليه السلام على توليه الخلافه. وأبقى القسم الآخر الآمر سرا فلم يشر إلى الطريقه التى أستخلف بها الحسن عليه السلام، كما حاول الصلابى أن يوحى بنقله عن مجمع الزوائد ومسند احمد: ((عن عبد الله بن سبع قال: سمعت عليا يقول: لتخضبن هذ٥ من هذا، فما ينتظر بى الأشقى. قالوا: يا أمير المؤمنين فاخبرنا به نبير عترته، قال: إذن تالله تقتلون بى غير قاتلى. قالوا: فاستخلف علينا؟ قال: لا، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله! قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته؟ قال: أقول: اللهم تركتنى فيهم ما بدا لك، ثم قبضتنى إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم،.(١)

وبنقله عن عقيده أهل السنه فى الصحابه: ((روى البيهقى بإسناده إلى شقيق بن سلمه، قال: قيل لعلى ابن آبى طالب: ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدى على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم))(٢)

وهى نقول تفوح منها رائحه التحيز الكبير، جىء بها لتدعم نظريه الخلافه المخالفه والمعارضه لنظريه الاستخلاف والوصيه فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام، ومن خلال تلك النقول المحرفه والكاذبه حاول الصلابى تفنيد مزاعم النص على خلافه الحسن عليه السلام فقال: ((عند حديثنا عن بيعه الحسن تبرز أمامنا قضيه يروج لها الشيعه الاماميه بقوه، ألا و هى قضيه النص على خلافه الحسن عليه السلام من قبل والده على بن أبى طالب عليه السلام، وهذا الأمر يعد من المفتريات على أمير المؤمنين على حيث لم يصح النقل عنه بذلك))(٣)

ص :٢٤٧

١- سيره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، على محمد الصلابى، ص ١٥٦.

٢- المصدر نفسه، ص ١٦٠.

٣- سيره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، الصلابى، ص ١٥٧.

وقال أيضا: بهذه النصوص القطعيه يتضح بجلاء أن لا أصل للوصيه المزعومه

وأن ما أعتمد عليه الاماميه هو من وضع عبد الله بن سبأ الذى هو أول من أحدث

الوصيه))(۱)

لقد طعن أحفاد الفصيل السياسى فى شرعيه خلافه الحسن عليه السلام لأنهم كانوا يبحثون

عما يطعنون من خلاله بالتشيع فلم يجدوا أمامهم طودا سوى الحسن عليه السلام لكى يبان أثر

طعنتهم للجميع، طعنوه لأنه ركن الإمامه المعصومه لكى يبطلوا قضيه النص التى

نؤمن بها بدلاله أن الصلابى سه اعترف بهذا الجهد وأقره من خلال قوله: إن من

أخطر الأمور التى ابتدعها الشيعه: الوصيه، وهى أن رسول الله أوصى بالخلافه بعد

وفاته مباشره إلى على.. ولكن بالاستقراء التأريخى لتأريخ الخلفاء الراشدين لا نجد

للوصيه ذكراا(۲)

وخرج الرجل بنتيجه مفادها: إن مسأله النص لا تثبت بأى وجه من الوجوه،

ومسأله حصر الأئمه بعدد معين مردوده بالكتاب و السنه، كما لا يقبلها العقل ومنطق

الواقع)).(۳) واجد أن الرد عليه سوف يدخلنا فى متاهات لا حصر لها لأننا ومنذ فجر

تأريخ الإسلام نكتب ويكتبون فى هذا العنوان بالذات فلم نفلح فى إقناعهم بأقوالنا

وعجزوا عن مجرد إشاره إعجابنا البسيط بأقوالهم. ولكنى لا أرغب بمغادره هذا المبحث

قبل أن أنكر الصلابى بالحديث المتواتر الذى أخرجه جميع الذين عنوا بسنه رسول الله صلى الله عليه وآله

والذى يذكر عدد الخلفاء الاثنى عشر من قريش لأقول له: ألا يخالف ما ادعيته تلك

النقول التى حصرت عددهم؟ إن رفض الصلابى فكره النص على الإمام الحسن عليه السلام

۱- المصدر نفسه، ص ۱۶۰

٢- المصدر نفسه، ص ١٥٨

٣- المصدر نفسه، ص ١٦٣

ياتى مكملا للجهد القديم من أجل تقويض فكره الإمامه من أصولها، وكانت فكره تكذيب النص على إمامه وخلافه الحسن عليه السلام المنفذ الذى نفذ منه!

قد يكون موضوع الخلافه واحداً من مواضع ظلم الإمام الحسن عليه السلام وما تعرض له، فمع أن مدرسه اهل البيت عليهم السلام أوردت أحاديث كثيره عن بيعه الحسن عليه السلام للخلافه الدنيويه فضلا عن بيعته للإمامه الشرعيه، وهذا ما أكدت عليه مدرستنا دائما، وأكدت أن الإمام على عليه السلام حينما طعن سلمه سلاحه وسائر تراث الأنبياء الموجود لديه.

أما مدرسه الخلفاء فكانت ولا زالت ترى أن الحسن عليه السلام كان خليفه للمسلمين، ثم انتهى دوره بعد تنازله لمعاويه وأصبح فردا من سائر الناس، بل وترى أن الحسن عليه السلام استغل بنوته للإمام على عليه السلام ففرض نفسه على الخلافه فرضا، ويروون فى ذلك حديثا قالوا فيه: ((إن المسلمين سالوا عليا عن خليفته فقالوا: من ستخلف علينا؟ فقال: ما أستخلف رسول الله فأستخلف ولكن إن يرد الله للناس خيرا فسيجمعهم بعدى على خير)) وها أنت تشم فى هذا الحديث رائحه (عام السنه والجماعه) للتدليل على أن الله أراد بالمسلمين خيرا يوم جمعهم على معاويه بشهاده على!

ويروون حديثا آخراً قالوا فيه: إنه سئل هل يستخلف الحسن عليه السلام؟ فقال: لا آمركم ولا أنهاكم)).

إن هذه الروايات المتحيزه وضعت وقيلت لكى تنتصر لمؤتمر السقيفه وما جاد به من نظم استخلافيه امتدت على مدى أكثر من ثلاثين عاما من عمر الإسلام، ولكنها بدت فى منتهى الوهن وهى تصطدم بحقيقه بيعه الإمام الحسن عليه السلام للخلافه فى وقت رأى فيه مروجوها أن هناك فى المجتمع الإسلامى من هم أكثر استحقاقا من الإمام الحسن عليه السلام، إذن لابد وأن تكون هناك بيعه شرعيه عتم عليها السياسيون هى التى

جاءت بالحسن علیه السلام إلی السلطه متجاوزا من کانوا یرونهم أهلا لها.

أما الروایات التی تتحدث عن بیعه بدت کرد فعل عل مقتل الإمام علی علیه السلام فهی

لا تقل وهنا عن سابقاتها، حیث تنقل الروایات التأریخیه أن المسلمین فزعوا بعد موت

الإمام علی علیه السلام وأجمعوا أمرهم علی مبایعه |لحسن علیه السلام، فاجتمعوا فی جامع الکوفه سنه

(۴۰) من الهجره فی صباح (۲۱) رمضان، وقدم قیس بن سعد وعبد الله بن عباس

الإمام للخلافه وبایعاه. أو کما یقول الیعقوبی: ((واجتمع الناس فبایعوا الحسن بن

علی))(۱) وکان ابن قتیبه الدینوری أکثر وضوحا حتی أنه وصف مبایعه الإمام الحسن

وکأنها من سنخ بیعه أبیه یوم ثار الناس إلی مبایعته فیقول: ((وذکروا أنه لما قتل علی بن

أبی طالب ثار الناس إلی الحسن بن علی بالبیعه))(۲)

أما باقی المؤرخین فإما أنهم أوردوا الخبر مموها کما فی قول ابن الأثیر فی الکامل

فی حدیثه عن سنه أربعین: ((وفی هذه سنه،أعنی سنه أربعین، بویع الحسن بن علی

بعد مقتل أبیه))(۳) وقول الطبری فی حدیثه عن سنه أربعین هجریه: اوفی هذه السنه،

أعنی سنه أربعین بویع للحسن بن علی علیه السلام بالخلافه))(۴) ثم فی روایه أخری حصر

بیعه الحسن بأهل العراق وحدهم دون غیرهم من المسلمین، فقال: ((واستخلف

أهل العراق الحسن بن علی علیه السلام علی الخلافه))(۵) وکأنه یرید أن یوحی بأن أهل العراق

وحدهم اختاروا الحسن علیه السلام خلیفه؛ وبالتالی من حق الشام أن تختار معاویه خلیفه،

۱- تاریخ الیعقوبی ج۲،ص ۱۴۹

۲- الإمامه والسیاسه، ابن قتیبه، ج۱ ، ص ۱۸۳

۳- الکامل فی التاریخ، ابن الأثیر، ج۳،ص ۳۵۰

۴- تاریخ الطبری، ج۳، ص ۹۴۱

٥- المصدر نفسه

ومكه أن تختار ابن الزبير خليفه! ناسيا أن العراق كانت عاصمه الخلافه وما يحدث فيها يمثل جميع الأمصار إلى أن تتضح مواقفها.

إن هذا التنوع ليس بريئا بالمره، ولا يمكن اعتباره من الحديث المسترسل لأنه كان قد أنتقى بدقه ليعبر عن منهج سياسى يمثل رساله فكريه يجب تمريرها إلى الأجيال اللاحقه. وهو من سنخ مسعاهم الكبير للتضليل على واحد من أشهر أحاديث النبى الأكرم صلى الله عليه و آله المستقبليه التى قالها محذرا الأمه، ولكن السياسيين امتصوا وهج الحديث، ثم نقلوه بعد حين وكأنه مجرد حديث خرافه، مع أن كتب الحديث المشهوره نقلته وشرحته فى أكثر من مكان ولأكثر من سبب واستنبطوا منه إحكاما شرعيه يتعبدون بها. فقد ثبت فى الصحيحين من روايه عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمره، عن النبى صلى الله عليه و آله: ((يكون اثنا عشر خليفه كلهم من قريش)).

وهو الحديث الذى رواه أبوداود من طريق آخر (عن جابر بن سمره سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون. وفى روايه: لا تزال هذه الأمه مستقيماً أمرها ظاهره على عدوها حتى يمضى منهم اثنا عشر خليفه كلهم من قريش، قالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم تكون الفرج فهؤلاء المبشر بهم فى الحديثين ليسوا الاثنى عشر الذين زعم فيهم الروافض ما يزعمون من الكذب والبهتان وأنهم معصومون، لأن أكثر أولئك لم يل أحد منهم شيئاً من أعمال هذه الأمه فى خلافه، بل ولا فى قطر من الأقطار ولا بلد من البلدان، وإنما ولى منهم على وابنه الحسن بن على.))(۱)

ولذا تجد ابن كثير يقول تحت عنوان (ليس المقصود بالخلفاء القرشيين الاثنى عشر أولئك الذين تتابعوا بعد الرسول صلى الله عليه و آله)سرداً: ا(وليس المراد من هؤلاء الاثنى عشر الذين

۱- النهایه فی الفتن والملاحم لابن کثیر، ص ۸

تتابعت ولايتهم سرداً إلى أثناء دوله بنى أميه لأن حديث سفينه: (الخلافه بعدى ثلاثون سنه) يمنع من هذا الملك، وإن كان البيهقى قد رجحه وقد بحثنا معه فى كتاب دلائل النبوه فى كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته ولله الحمد، ولكن هؤلاء الأئمه الاثنى عشر وجد منهم الأئمه الأربعه أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على وابنه الحسن بن على أيضاً، ومنهم عمر بن عبد العزيز كما هو عند كثير من الأئمه وجمهور الأمه ولله الحمد، وكذلك وجد منهم طائفه من بنى العباس وسيوجد بقيتهم فيما يستقبل من الزمان حتى يكون منهم المهدى المبشر به فى الأحاديث الوارده فيه كما سيأتى بيانها وبالله المستعان وعليه التكلان، وقد نص على هذا الذى بيناه غير واحد كما قررنا ذلك))(۱) وهكذا تتضح الأسباب الحقيقيه التى تعللوا بها للإعلان عن تنازل الحسن عليه السلام عن الإمامه الدينيه كتحصيل حاصل لتنازله عن الإمامه الدنيويه، وهذا خلط كبير غير مستساغ، ولكن السياسه تستسيغ عاده ما لايستسيفه الدين.

۱- المصدر نفسه، ابن كثير

التلاعب بتأريخ وفاته

وكما كثرت الأقوال فى تأريخ مولده الشريف؛ كثرت كذلك فى يوم وشهر وسنه وفاته، وفى مده عمره الشريف؛ ليس من قبل المؤرخين وحدهم بل حتى من مشاهير وأعاظم العلماء مثل الكليتى والمفيد والطبرسى وغيرهم، وهذا التخبط مصدره تلك الروايات التى وضعها السياسيون وثبتها المؤرخون الموالون لهم فى كتب التأريخ؛ فاختلط الأمر على من جاء بعدهم، وباتت معرفه الحقيقه أشبه بالمستحيل.

فعن يوم الوفاه قالوا: قبض مسموماً على يد زوجته جعده بنت الآشعث بتخطيط من معاويه وذلك فى السابع من صفر. وقالوا: فى يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر. وقالوا: لخمس خلون من ربيع الأول. وقالوا: لخمس بقين من ربيع الأول.

وعن شهر الوفاه قالوا: قبض فى ربع الأول لخمس بقين منه. وقيل: فى صعر لليلتين بقيتا منه. وقيل فى السابع منه. وقيل: فى العاض من المحرم يوم الأحد.

وعن سنه وفاته قالوا: توفى سنه أربعين. توفى سنه أربع وأربعين. توفى سنه خمس وأربعين. توفى سنه ست وأربعين. توفى سنه سبع وأربعين. توفى سنه ثإن وأربعين. توفى سنه تسع وأربعين، كما فى قول ابن الأثير وابن حجر فى تهذيب التهذيب وأبو الحسن المدائنى كما نقل عنه المعتزلى فى شرح النهج، والمسعودى فى التنبيه والإشراف. توفى سنه خمسين كما فى قول الزبير بن بكار الذى نقله المعتزلى(۱) توفى سنه إحدى وخمسين،

۱- ينظر: شرح نهج البلاغه، مجلد ۴، ج ۱۶، ص ۴

وذهب إلى ذلك الخطيب البغدادى فى تأريخه وابن قتيبه فى الإمامه والسياسه. وآخرها

قولهم: إنه توفى سنه ثمان وخمسين من الهجره.

معنى هذا أن هناك عشره تواريخ محتمله لسنه وفاته عليه السلام ويأنى هذا التناقض مع

أهميه وفاه الحسن عليه السلام بوصفها واقعه بالنسبه إلى محبيه وشيعته من جانب، وإلى مبغضيه

وأعدائه من جانب آخر بما يبدو وكأن هذا التناقض الصارخ ليس من اعتباطيه المؤرخين

وعدم دقه الرواه، وإنما هو عمل محكم الصنع من تخطيط السياسيين الذين اعتقدوا أن

الفوضى الخلاقه التى أوقعوها فى مجمل سره الإمام الحسن عليه السلام سوف تصنع حجابا

سميكا بينه وبين تأريخ الأمه فلا يذكره التأريخ إلا بقصص مملوءه بالشك القائم على

مبدأ (قالوا) و (قيل) و(يقال) من دون أن يعرف من يقف وراء هذه الأقوال الخفيه.

وتبعا لذلك خلقوا الاختلاف فى تأريخ استشهاده وفى مده عمره الشرف عند موته،

فقالوا: مات وله من العمر سبع وأربعون سنه، أو ست وأربعون وأربعه أشهر وثلاثه

عشر يوما، وقيل غير ذلك٠

ومن الغريب والمدهش أن تجد هذه التناقصات فى عمده كتب تأريخ الإسلام بما

يدعو إلى الدهشه والاستغراب، صحيح أن مثل هذا التناقض ليس غريبا على تأريخنا

الذى يمكن وصفه بأنه تأريخ لتناقضات؛ ولكنه من حيث حجم التناقض لم يكن

بالشكل الذى مر فى سيره الإمام الحسن عليه السلام وهذا يؤكد دور السياسيين العرب فى صنع

هذا الإرباك المتعمد، وفى أدناه مقتطفات من أقوال المؤرخين الكبار عن هذا التناقض:

ففى حديثه عن سنه تسع وأربعين هجريه قال ابن الأثر: ((وفى هذه السنه توفى

الحسن بن على سمته زوجته جعده بنت الاشعث بن قيس الكندى))(۱)

۱- الکامل فی التاریخ،ج۳،ص۴۰۲

وقال الاصفهانی: ((واختلف فی مبلغ سن الحسن وقت وفاته... عن هشام بن سالم

وجمیل بن دراج، عن جعفر بن محمد: أنه توفی وهو ابن ثمان وأربعین سنه... عن عبد الله

بن مشکان عن ابی بصیر عن جعفر بن محمد: أن الحسن توفی وهو ابن ست وأربعین))(۱)

وقال المسعودی: ((وتوفی بالمدینه مسموماً فیما ذکر فی شهر ربیع الأول سنه ۴۹،

وله ست واربعون سنه))(۲)

وقال السیوطی: ((وکانت وفاته سنه تسع وأربعین، وقیل فی خامس ربیع الأول

سنه خمسین وقیل: سنه إحدی وخمسین))(۳)

وفی الجزء الأول من کتابه فجر الإسلام أورد أحمد أمین جدولا بأهم الأحداث فی

ذلک العصر؛ مبتدأ بسنه (۱۲) هجریه التی مات فیها رسول الله صلی الله علیه و آله، وحینما وصل إلی

سنه (۴۹) هجریه أثار إلی أف موت الإمام الحسن وقع فیها))(۴)

وفی تأرخیه قال الیعقوبی: ((وتوفی الحسن بن علی فی شهر ربیع الأول سنه ۴۹))(۵)

وفی مقاتل الطالبیین قال الأصفهانی: ((عن أبی بکر بن حفص، قال: توفی الحسن بن

علی وسعد بن أبی وقاص فی أیام بعدما مضی من إماره معاویه عشر سنین، وکانوا یرون

أنه سقاهما سما))(۶) أی أنهما ماتا سنه خمسین للهجره.

وفی البدایه والنهایه قال ابن کثیر: (وقال شعبه، عن أبی بکر بن حفص قال: توفی

۱- مقاتل الطالبین، الأصفهانی، ص۸۳

۲- التنبیه والإشراف، المسعودی، ص ۲۶۰

۳- تاریخ الخلفاء،السیوطی، ص ۱۹۲

۴- ینظر: فجر الإسلام، أحمد أمین، جزء۱ ، ص۳۷۴

۵- تاریخ الیعقوبی، ج۲، ص۱۵۶

۶- مقاتل الطالبین، مصدر سابق، ص ۸۰_۸۱

سعد والحسن بن على فى أيام بعد ما مضى من إماره معاويه عشر سنين. وقال ابن عليه عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: توفى الحسن وهو ابن سبع وأربعين. وكذا قال غير واحد، وهو أصح. والمشهور أنه مات سنه تسع وأربعين كما ذكرنا، وقال آخرون: مات سنه خمسين. وقيل: سنه إحدى وخمسين أو ثمان وخمسين))(۱)

وفى الإصابه قال ابن حجر العسقلانى: قال الواقدى: مات سنه تسع وأربعين، وقال المدائنى: مات سنه خمسين، وقيل: سنه إحدى وخمسين، وقال الهيثم بن عدى: سنه أربع وأربعين، وقال ابن منده: مات سنه تسع وأربعين، وقيل: خمسين، وقيل: سنه ثمان وخمسين))(۲)

وفى المستدرک قال الحاكم: ((أخبرنى إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعرانى، حدثنا جدى، حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنى أبو واقد قال: توفى أبو محمد الحسن بن على بن أبى طالب فى ربع الأول سنه تسع وأربعين))(۳)

بالمناسبه وجدت هذا التباين فاشيا فى مدرستنا كذلک ربما نتيجه الصخب الذى أحدثه السياسيون فى رواياتهم الغريبه؛ حيث يرى الشيخ محمد اليعقوبى أن الإمام الحسن ((استشهد فى السابع من صفر سنه ۵۰ للهجره... وكان عمره (۴۷) عاما ومده إمامته عشر سنوات))(۴) ويرى الشيخ أحمد محمد إسماعيل أنه: ((استشهد فى الثامن والعشرين من شهر صفر فى السنه الخمسين للهجره النبويه الشريفه))(۵)

۱- البدايه والنهايه،إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى، ج۸، ص ۲۱۳
۲- الإصابه، ترجمه الحسن بن على، ج۱، ص۳۷۷
۳- المستدرک، الحاكم،ج۳،ص۳۸۸، حديث ۴۷۹۰
۴- دور الأئمه فى الحياه الإسلاميه، ص ۳۳۸

٥- صلح الحسن غدير عز ولغز جهاد، الشيخ احمد محمد إسماعيل، ص ١٥

إن التشكيك بعمر الإمام الحسن عليه السلام كان مشروعا سياسيا بحتا ربما لم يلتفت إليه

الكثير من الباحثين. ومحاوله السياسيين خلط الأوراق والتشويش على ذهنيه المتلقى

هو الذى دفعهم إلى استحداث تواريخ عديده لتضيع معها الحقيقه فيهون أمر الإمام

الحسن عليه السلام على الناس، ودليلى فى ذلک قصه يرويها ابن قتيبه فى تأريخه تقول أن معاويه

كان يتابع تدهور حاله الإمام الحسن عليه السلام الصحيه بعد أن سقاه السم، وأنه كان يتلقى

تقريرا إخباريا يوميا يبعثه إليه عامله على المدينه الذى أرسل له يبشره بموت الحسن عليه السلام:

((فلما أتاه الخبر أظهر فرحا سرورا حتى سجد وسجد من كان معه، فبلغ ذلک ابن

عباس وكان بالشام يومئذ فدخل على معاويه، فنما جلس قال معاويه: يا ابن عباس

هلک الحسن بن على، فقال ابن عباس: نعم هلک (إنا لله و أنا إليه رجعون) ترجيعا

مكررا، وقد بلغنى الذى أظهرت من الفرح والسرور لوفاته. أما والله ما سد جسده

حفرتک، ولا زاد نقصان أجله فى عمرک، ولقد مات وهو خير منک، ولئن أصبنا به لقد

أصبنا بمن كان خيرا منه، جده رسول الله صلى الله عليه و آله.... قال معاويه: كم أتى له من العمر؟

فقال ابن عباس: أمر الحسن أعظم من أن يجهل أحد مولده))(۱)

فإذا كان عمر الحسن. أعظم من أن يجهل؛ فلماذا هذا الاختلاف؟ ألا يعنى قول

ابن عباس أن المسلمين الأوائل كانوا يعرفون تواريخ ولاده وموت الحسن عليه السلام لأنه

من الشهره بحيث لا يمكن تجاهله أو عدم العلم به، فلماذا تختلف الأمه فيما بعد بهذا

الشكل الغريب لو لم تكن هناک مصلحه سياسيه؟ وأن السياسيين هم الذين أرادوا

طمس التاريخ الحقيقى من خلال تعارض التواريخ التى وضعوها بأنفسهم؟

كما أن الأحداث التى رافقت الوفاه والدفن كانت من الأهميه بمكان لدرجه

١- الإمامه والسياسه، مصدر سابق، ص ١٩٧.١٩٦

أنه يستحيل نسيانها بسهوله ويسر وقد حدث هذا فی زمن كان الناس يؤرخون تبعا للأحداث فإذا أرادوا الحديث عن تاريخ واقعه أو أمر مهم قالوا: حدث يوم كذا يشيرون إلی الواقعه المهمه؛ لتفهم الناس تاريخ الحدث، فضلا عن ذلک كانت الكتابه منتشره، وكان التاريخ الهجری معمولا به. وفی كتب الحديث وكتب التاريخ والسيره عشرات بل مئات الروايات التی تقول: إن نساء بنی هاشم ما بطلن النوح علی الإمام الحسن عليه السلام لأكثر من شهر، وهناک روايه تقول أن مطلقاته لزمن الحداد عليه لمده عام كامل، وعامه الناس ظلوا يبكون عليه زمنا طويلا، والأسواق معطله، وذلک كله موثق ومكتوب، ففی المستدرک عن حداد الهاشميات: ((عن أم بكر بنت المسور قالت: كان الحسن بن علی عليه السلام سم مرارا كل ذلک يفلت حتی كانت المره الأخره التی مات فيها فإنه كان يختلف كبده فلما مات أقام نساء بنی هاشم النوح عليه شهرا))(١)

وفيه عن بكاء الناس وتعطل الأسواق: ((قال ابن عمر: وثنا جعفر بن عمر عن أبی جعفر قال: مكث الناس يبكون علی الحسن بن علی وما تقوم الأسواق))(٢)

وفی الروايات: ((فقد بعث الهاشميون إلی العوالی والقری المحيطه بيثرب من يعلمهم بموت الإمام، فنزحوا جميعاً إلی يثرب ليفوزوا بتشيع الجثمان العظيم))(٣)

وهرع أبو هريره وهو باكی العين مذهول اللب إلی مسجد رسول الله صلی الله عليه و آله وهو ينادی بأعلی صوته: يا أيها الناس! مات اليوم حب رسول الله صلی الله عليه و آله فابكوا.(۴)

وقالوا: وهرع من فی يثرب. وقد حدث ثعلبه ابن مالک عن كثره المشيعين فقال:

١- المستدرک، الحاكم، حديث ۴٨٠۴/ ۴٠٢،ص ١٨٩،ج٣

٢- المصدر نفسه

٣- تاريخ ابن عساكر، ج ٨، ص ٢٢٨

٤- تهذيب التهذيب، ج٢، ص ٣٠١، وتاريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٢٢٧

((شهدت الحسن يوم مات، ودفن فى البقيع، ولو طرحت فيه إبره لما وقعت إلاعلى رأس إنسان))(١) وقالوا: إن البقيع يومها ما كان يسع أحداً من كثره الناس.

هذه المظاهره، وهذا الحشد الكبير، وهذا التجتمع الغريب لا يمكن أن يضيع وقته وساعته ويومه وشهره وسنته فتختفى أخباره عن الناس إلا إذا ما كان هنالك من تعمد تضييعه لأسباب خاصه. فضلا عن ذلك هناك جزئيات أخرى لها علاقه وثيقه بالحدث تزيد أشتهاره وانتشاره ومنها الحديث عن حداد نساء الإمام الحسن عليه السلام المزعومات، وعن حداد نسائه عليه: قال ابن عمر: ((وحدثنا عبيده بن نائل عن عائشه بنت سعد، قالت: حد نساء الحسن بن على سنه))(٢)

لاحظ هنا أن الحديث الذى أوردوه على لسان ابن عمر يتحدث عن حداد نساء الحسن خاصه ويغفل الحديث عن حداد نساء بنى هاشم؛ وهو امر لا يمكن متابعته وحصره ميدانيا حتى من قبل القوات الأمنيه المعاصره المدربه، ولا يمكن التصديق به عقليا ولاسيما وأن تلك النسوه لابد وإن يكن قد تزوجن بعد طلاقهن منه هذا إذا سايرناهم جدلا على قدر عقولهم بموضع الزواج والطلاق الكبيرين بما يبدو وكأن حديثهم هنا مكمل لحديثهم عن خروج نساءه وراء جنازته حافيات حاسرات، وهذه من نوع الأحاديث التى صنعوها للتدليل على كثره زواجه، أما الأحاديث الصحيحه فتذهب للحديث عن نساء بنى هاشم اللواتى طال حدادهن على إمامهن وقائدهن الحسن عليه السلام.

كما أعتقد أن توافد الناس إلى البقيع هال وأرعب السياسيين ودفعم للتفكير فى أمر

١- الإصابه، ج ١، ص ٣٣٠

٢- المستدرک، ص ١٨٩،ج٣

يهون كثره الجمع؛ فادعوا أن شده الزحام يوم تشيع الإمام الحسن عليه السلام نشأت من كون

مطلقاته البالغ عددهم أكثر من ثلاثمائه أو تسعمائه مطلقه ((خرجن كلهن خلف جنازته

لتوديعه وتشييعه؛ وهن حافيات حاسرات، يرددن بصوت مرتفع: نحن أزواج الإمام

الحسن))(١)

إن السياسيين هم الذين أخفوا مظاهر حزن النساء الهاشميات على سيدهن الإمام

الحسن عليه السلام؛ واستعاضوا عنه بالحديث عن مظاهره مطلقات الإمام لأغراض سياسيه

تشويهيه بحته، ومع كل ذلك عبرت بعض الأخبار الصحيحه حاجز المنع ودخلت عنوه

إلى بطون كتب التاريخ لتعلن أن نساء ورجال المدينه عامه هم الذين خرجوا في تشيع

الإمام عليه السلام؛ قال ابن كثير: ((وقد اجتمع الناس لجنازته، حتى ما كان البقيع يسع أحدا

من الزحام، وقد بكاه الرجال والنساء سبعا، واستمر نساء بنى هاشم ينحن عليه شهرا،

وحدت نساء بنى هاشم عليه سنه))(٢) وفي روايه أخرى وقال الواقدي: ((حدثتنا عبيده

بنت نابل، عن عائشه قالت: حد نساء بنى هاشم على الحسن بن على سنه))(٣)

وهذا يؤكده أنهم بعد أن استجاب الإمام الحسن عليه السلام إلى نداء الله سبحانه وتعالى

ليصطفيه إلى جانبه فودع الدنيا غير آسف عليها، استراحوا من هم عظيم، ولكنهم

استمروا في عداوتهم للإمام عليه السلام وأظهروا كل حقدهم لكى يرتكبوا واحده من أكبر

جرائم التاريخ ضد هذا الإنسان العظيم ليودعوه بها وهو محمول إلى قبره الشريف.

بمعنى أنهم ارتعبوا من كثره المشيعين فأرادوا تشويه هذه المناسبه بالإدعاء بأن

الازدحام تولد من تواجد مطلقات الإمام الحسن عليه السلام اللواتى كن يصرخن: (نحن

١- ينظر: أبوطاب المالكى (ت ٣٨٠) فى قوت القلوب

٢- البدايه والنهايه،إسماعيل بن عمر بن كثير القرشی الدمشقی، ج٨، ص٢١٢

٣- المصدر نفسه، ابن كثير، ج ٨، ص ٢٠٨

مطلقاته) ولا أدرى ما المقصود بذلك، وهذا يؤكد أنهم ارادوا ضرب عده عصافير

بحجر واحد، الأول: التهوين من حجم المشيعين. الثانى: تأكيد خرافه كثره الزوجات.…

ص :٢٦١

تشكيكهم بطريقه موته

أشارت أهم وأغلب كتب التاريخ إلى أن الإمام الحسن عليه السلام مات مسموما، وهوأمر يفضح كيد السياسيين ومكرهم وخداعهم، ويبين أنهم لا يأمنون من يختلفون معه إلا إذا أرسلوه إلى القبر، ومن أكداس كتب التاريخ التى أوردت قصه السم، اخترت بعضا لأن التطرق إليها جميعا يحتاج إلى مجلد كبير. واخرت منها مستدرك الحاكم، وطبقات ابن سعد وتاريخ السيوطى والكامل لابن الأثير ومقاتل الطالبيين للأصفهانى فقط.

ففى مستدرك الحاكم: ((عن أم بكر بنت المسور قالت: كان الحسن بن على سم مرارا كل ذلك يفلت حتى كانت المره الأخره التى مات فيها فإنه كان يختلف كبده))(١)

وفيه روايه أخرى: ((عن قتاده بن دعامه السدوسى قال: سمت ابنه الأشعث بن قيس الحسن بن على، وكانت تحته، ورشيت على ذلك مالا))(٢)

وروايه أخرى عن عمير بن إسحاق أن الحسن بن على قال: القدبلت طائفه من كبدى ولغد سقيت السم مرارا فما سقيت مثل هذا))(٣)

وأخرج ابن سعد فى طبقاته بإسناده: ((إن الحن دخل كنيفاً له، ثم خرج فقال: والله لقد لفظت ساعه طائفه من كبدى قبل، قلبتها بعود كان معى، وإنى سقيت السم

۱- المستدرک،الحاکم، ج۳،ص۱۸۹،حدیث ۴.۲/۴۸.۴

۲- المصدر نفسه،ج۳،ص۱۹۳، حدیث ۱۳/۴۸۱۵

۳- المصدر نفسه، ج۳، ص ۱۹۳، حدیث ۴۱۴/۴۸۱۶

مراراً فلم أسق مثل هذا))(1) وفى روايه ثانيه: ((إن الحسن عليه السلام، قال: إنى قد سقيت السم غير مره، وإنى لم أسق مثل هذه، إنى لأضع كبدى))(2)، وفى روايه ثالثه، قال: ((كان الحسن بن عل سقى السم مراراً، كل ذلك يفلت منه، حتى كان المره الأخره التى مات فيها، فإنه كان يختلف كبده.(3)

وقال المسعودى: ((وتوفى بالمدينه مسموما))(4)

وقال السيوطى فى تاريخه: ((توفى الحسن عليه السلام بالمدينه مسموما، سمته زوجته جعده بنت الاشعث بن قيس، دس إليها يزيد بن معاويه أن تسمه فيتزوجها))(5)

وقال ابن الأثير فى الكامل، فى حديثه عن سته تسع وأربعين: ((فى هذه السته توفى الحسن بن على، سمته زوجته جعده بنت الأشعث بن قيس الكندى))(6)

وفى مقاتل الطالبيين، قال الأصفهانى: ((و أراد معاويه البيعه لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل من أمر الحسن بن على وسعد بن ابى وقاص، فدس إليهما سما فماتا منه))(7) وفى روايه ثانيه: ((عن مغيره قال: أرسل معاويه إلى ابنه الأشعث إنى مزوجك بيزيد ابنى على أن تسمى الحسن بن على وبعث إليها بمائه ألف درهم فقبلت وسمت الحسن))(8) وفى روايه أخرى: ((عن عمر بن إسحاق، قال: كنت مع الحسن والحسين فى الدار، فدخل

۱- طبقات ابن سعد، القسم المفقود، تحقيق الدكتور محمد بن صامل، ج ۱ ، ص ۳۳۶

۲- المصدر نفسه، ج ۱،ص ۳۳۸

۳- المصدر نفسه، ج ۱،ص ۳۳۹

۴- التبيه والإشراف، المسعودى، ص ۲۶۰

۵- تاريخ السيوطى، ص ۱۹۲

۶- الكامل فى التاريخ،ج۳،ص۴۰۲

۷- مقاتل الطالبيين، ص ۸۰

٨- مقاتل الطالبيين، ص ٨١

الحسن المخرج ثم خرج فقال: لقد سقيت السم مرارا ما سقيته مثل هذه المره، ولقد

لفظت قطعه من كبدى فجعلت اقلبها بعود معى، فقال له الحسين: من سقاكه؟ فقال:

وما تريد منه، أتريد أن تقتله؟))(١)

كل هذه الروايات ومئات غيرها لم نذكرها دفعا للإطاله أجمعت على أن الإمام

الحسن عليه السلام مات مسموما، سمه معاويه بأمر منه وبتنفيذ ابنه يزيد بالتعاون مع جعده

بنت الأشعث زوجه الإمام عليه السلام، ولأنه من الصعب إنكار هذا الكم الكبير من الوثائق

الدامغه؛ ولكون ما فيها يمثل صفعه قويه للسياسيين وأتباعهم التاريخيين، ويمثل

تشكيكا بصدق منهجيتهم التى أرادوا للناس أن يؤمنوا بها ولأن الكثر من هذه الروايات تسللت إلى بطون التاريخ بغفله، أو أنهم اعتمدوها بدايه لإرهاب الناس

وتخويفهم مثلما تفاخروا يوم قتلوا مالك الأشتر (رحمه الله) بالطريقه نفسها، بقولهم: ا(إن لله

جنودا من عسل) فإنما لما تحولت إلى انتقاص لهم جاهدوا وجاهد من جاء بعدهم من

ذريتهم لتفنيدها لكنهم عجزوا عن رفعها ومحوها وإخفاء أثرها، وفصلا عن محاولات

القدماء هناك الكثير من المعاصرين جاهدوا بقوه لطمس آثار هذه الروايات، ومن

هؤلاء شخص معاصر هو المدعو (فيصل نور) أخذ على عاتقه مهمه التفنيد بالتأويل

والتعليل البائسين البعيدين عن ضوابط المنطق والعقل والعلم، ومما قاله فى محاولته

البائسه: ((هذا الادعاء باطل وذلك لأسباب وهى:

آ. أنه لم يثبت ولا دليل صحيح عليه وإن كان عند صاحبنا نقل ثابت عن عدل

فليرشدنا إليه لا أن يتهم صحابيا دون أن يأتى ببينه على ادعائه.

ب. كان الناس فى تلك المرحله فى حاله فتنه تتصارعهم الأهواء وكل فرقه تنسب

١- مقاتل الطالبيين ص ٨١

للأخرى ما يذمها وإذا نقل لنا ذلك فيجب ألا نقبله إلا إذا نقل بعدل ثقه ضابط.

ج. لقد نقل أن الذى سم الحسن غير معاويه فقيل هى زوجته وقيل أن أباها

الأشعث بن قيس هو الذى أمرها بذلك وقيل معاويه وقيل ابنه يزيد وهذا التضارب

بالذى سم الحسن يضعف هذه النقول لأنه يعوزها النقل الثابت بذلك.

د. هذه الحجه تستسيغها العقول فى حاله رفض الحسن الصلح مع معاويه ومقاتلته

على الخلافه ولكن الحق أن الحسن صالح معاويه وسلم له بالخلافه وبايعه، فعلى أى

شىء يسم معاويه الحسن؟))(۱)

والظاهر أن ارجل أدرك أن ما جاء به من كلام فارغ لا يقع الناس ولا يرضيهم

فلجأ إلى كتب التاريخ التى طعن بها فى النقطه (أ) وشكك بكل رواياتها ونقولها؛

ليقتبس منها أقوالا قد تعينه، وأوردها تحت عنوان (رد آخر على زعمهم أنه سم الحسن

بن على) ومما جاء تحت هذا العنوان قوله: ((لم يرد فى خبر وفاه الحسن بن على عليه السلام بالسم

خبر صحيح(۲) أو روايه ذات أسانيد صحيحه))، وفى ما يلى أقوال أهل العلم فى هذه

المساءله:-

• قال ابن العربى(۳) فى العواصم ص ۲۲۰-۲۲۱: فإن قيل: دس أى معاويه

— على الحسن من سمه، قلنا: هذا محال من وجهين:-

أحدهما: أنه ما كان ليتقى من الحسن بأسأ وقد سلم الأمر. وقوله هذا مخالف لما

۱- موقع فيصل نور، الرابط http://www.fnoor.com/fn۰۵۲۲.htm

۲- هذا الأسلوب الإقصائى ليس جديدا عليهم فابن خلدون قال فى تاريخه عن الأحاديث المهدويه: لم يصح منها شىء، والغريب أن اتباعهم يأخذون بهذه الأقوال البائسه المخالفه للعقل وينسون كل تلك النقول المشهوره التى نقلت قصص سم الحسن عليه السلام والأحاديث المهدويه!

٣- أبن العربى هذا هو صاحب مقوله: إن الحسين قل بسيف جده!

أتفقت عليه الكتب التاريخيه بأن معاويه كان يخاف مثلا من بأس الحسين وابن الزبير

حينما أراد أن يعقد البيعه لولده يزيد، كذلك ما جاء فی الكامل فی التاريخ ((و أراد معاويه

البيعه لابنه يزيد، فلم يكن شیء أثقل من أمر الحسن بن علی وسعد بن أبی وقاص. وقدمر الحديث عليكم قبل قليل.

الثانی: أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله، فكيف تحملونه بغير بينه علی أحد من خلقه،

فی زمن متباعد، لم نثق فيه بنقل ناقل، بين أيدی قوم ذوی أهواء، وفی حال فتنه وعصبيه،

ينسب كل واحد إلی صاحبه مالا ينبغی، فلا يقبل منها إلا الصافی، ولا يسمع فيها إلا

من العدل الصميم.

•قال ابن تيميه فی منهاج السنه (۴/ ۴۶۹): وأما قوله: إن معاويه سم الحسن،

فهذا مما ذكره بعض الناس، ولم يثبت ذلك ببينه شرعيه أو إقرار معتبر ولا نقل

يجزم به، وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم.

•قال الذهبی فی تاريخ الإسلام (عهد معاويه)(ص ۴۰): قلت: هذا شیء لا

يصح فمن الذی اطلع عليه.

• قال ابن كثير فی البدايه والنهايه (۴۳/۸): وروی بعضهم أن يزيد بن معاويه

بعث إلی جعده بنت الأشعث أن سمی الحسن وأنا أتزوجک بعده، ففعلت،

فلما مات الحسن بعثت إليه فقال: إنا والله لم نرضک للحسن أفنرضاک

لأنفنا؟ وعندی أن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاويه بطريق

الأولی والأخری.

•قال ابن خلدون فی تاريخه (۲ / ۶۴۹): وما نقل من أن معاويه دس

إليه الم مع زوجته جعده بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعه، وحاشا...

لمعاويه من ذلک.

• وقد علق الدکتور جمیل المصری علی هذه القضیه فی کتابه (أثر أهل الکتاب

فی الفتن والحروب الأهلیه فی القرن الأول الهجری)(ص ۴۸۲)(۱)بقوله: ثم

حدث افتعال قضیه سم الحسن من قبل معاویه أو یزید، ویبدو أن افتعال هذه

القضیه لم یکن شائعا آنذاک؛ لأننا لا نلمس لها أثرآ فی قضیه قیام الحسین، أو

حتی عتاباً من الحسین لمعاویه.

وفی منهجه البائس البعید عن العلمیه وشرائط البحث العلمی حاول حفید الفصیل

السیاسی استخدام سالیب جدیده للدفع عن أولیاء نعمته، أو فی الأقل تطویع اسالیب

قدیمه وتجدیدها من خلال التعلل مره بتباعد الزمن، وأخری بالادعاء ان جریمه السم

أمر مغیب لا یعلمه إلا الله، وثالثه بطلب بینه شرعیه أو إقرار خطی معتبر(۲)، ورابعه

بطلب شهود علی الجریمه (هذا لا یصح فمن الذی اطلع علیه) وخامسه بتنصیب نفسه

قاضیا (وعندی أن هذا لیس بصحیح) وسادسه بالادعاء ان کل الروایات التاریخیه

(من أحادیث الشیعه) وسابعه بتنزیه معاویه عن عالم الجریمه الذی أشتهر به (وحاشا

لمعاویه من ذلک) وثامنه عصب الجریمه برأس أهل الکتاب (أثر أهل الکتاب فی الفتن

والحروب الأهلیه) وأجد أن هذا الاندفاع الکبیر لا یخدم قضیه السیاسین بقدر ما

یفضحهم ویفضح أسلافهم المجرمین.

بعدها جاهد فیصل نور لینفی التهمه عن جعده زوج الحسن علیه السلام التی سمته

ویبرئ ساحتها من جریمه القتل، فقال مستخدما اسلوب التعلیل والتأویل والاحتمال

۱- هذا الکتاب صدر عن مکتبه الدار بالمدینه المنوره وهوبالأصل رساله جامعیه.

٢- وهـذا مـا قـاله من قبـل المـدعو محمود الملاـح فى كتـابه مجموع السـنه النبويه، فقـد قال: لا توجـد وثيقه رسـميه صادره من محكمه تثبت أن معاويه سم الحسن.!

...

الموروث من ابن العربى وابن تيميه:

• هل معاويه أو ولده يزيد بهذه السذاجه ليأمرا امرأه الحسن عليه السلام بهذا الأمر الخطير، الذى فيه وضع حد لحياه الحسن بن على عليهما السلام غيله، وما هو موقف معاويه أو ولده أمام المسلمين لو أن جعده كشفت أمرهما؟!

• هل جعده بنت الأشعث بن قيس بحاجه إلى شرف أو مال حتى تسارع لتنفيذ هذه الرغبه من يزيد، وبالتالى تكون زوجه له، أليست جعده ابنه أمير قبيله كنده كافه وهو الأشعث بن قيس، ثم أليس زوجها وهو الحسن بن على عليهما السلام أفضل الناس شرفاً ورفعه بلا منازعه، إن أمه فاطمه وجده الرسول صلى الله عليه وآله وكفى به فخراً، وأبوه على بن أبى طالب أحد العشره المبشرين بالجنه ورابع الخلفاء الراشدين، إذا ما هو الشىء الذى تسعى إليه جعده وستحصل عليه حتى تتفذ هذا العمل الخطير؟!

وفى طريقه تذكر سيده معاويه الذى يترضى عليه كلما مر ذكره ولا يترضى على على والحسن عليهما السلام؛ فقرر الدفاع عنه كذلك تأكيدا فى النفى، ومما قاله:

• لقد وردت الروايات التى تفيد أن الحسن قال: ((لقد سقيت السم مرتين))، وفى روايه ثلاث مرات، وفى روايه ((سقيت السم مراراً))، هل بإمكان الحسن أن يفلت من السم مراراً إذا كان مدبر العمليه هو معاويه أو يزيد؟! نعم إن عنايه الله وقدرته فوق كل شىء، ولكن كان باستطاعه معاويه أن يركز السم فى المره الأولى ولا داعى لهذا التسامح مع الحسن المره تلو المره!!

• وإذا كان معاويه يريد أن يصفى الساحه من المعارضين حتى يتمكن من مبايعه

يزيد بدون معارضه، فإنه سيضطر إلى تصفيه الكثير من أبناء اصحابه، ولن

تقتصر التصفيه على الحسن فقط.

•وإن بقاء الحسن من صالح معاويه فى بيعه يزيد، فإن الحسن كان كارهاً للنزاع وفرقه المسلمين، فربما ضمن معاويه رضاه، وبالتالى يكون له الأثر الأكبر فى موافقه بقيه أبناء الصحابه.

•ثم إن هناك الكثير من أعداء الحسن بن على عليه السلام، قبل أن يكون معاويه هو المتهم الأول، فهناك السبئيه الذين وجه لهم الحسن صفعه قويه عندما تنازل عن الخلافه لمعاويه وجعل حداً لصراع المسلمين، وهناك الخوارج الذين قاتلهم أبوه على بن أبى طالب عليه السلام فى النهروان وهم الذين طعنوه فى فخذه، فربما أرادوا الانتقام من قتلاهم فى النهروان وغيرها.

و ألحظ فى هذه التعليلات الأربعه البائسه أن الرجل نسى ما كان عليه ذلك المجتمع فظن جهلا أن نفس الآلات والمعدات والمختبرات الموجوده اليوم كان موجودا مثلها عند الأقدمين، وأن لهم قدره التحكم بدرجه التركيز ودرجه السميه فى الماده كما هوعليه اليوم فقال فى الفقره الأولى: (كان باستطاعه معاويه أن يركز السم فى المره الأولى ولا داعى لهذا التسامح مع الحسن عليه السلام المره تلو المره) وهو هنا يفضح جهله وشده تعصبه وانحيازه الكبير وعدم عدالته. فلقد أثبتت النقول أنهم سموا الحسن مرات ومرات وأن معاويه ويزيد جربوا قتله بانواع السموم فلم تفلح كلها، وفلحت الأخيره بقتله فاشتهرت وعرفت، إن الإمام الحسن عليه السلام اعترف بنفسه أن معاويه دس له السم أكثر من مره، ومنها ثلاث مرات ممتاليه، كما فى قوله لأخيه الحسين: ((يا أخى إن هذ٥آخر ثلاث مرار سقيت فيها السم، ولم أسقه مثل مرتى هذ٥.)) (۱)

۱- تاریخ الیعقوبی. ج۲. ص۱۵۶

وأثبتت نقول أخرى أن السياسيين وبالرغم من تأخرهم العلمى لم يعدموا وسيله

الحصول على سم قوى، وهم فعلا كانوا يبحثون عن مواد شديده السميه تؤثر فى

الحسن عليه السلام وتقتله بعد أن فشلت المرات السابقه؛ وباعتراف الإمام الحسن عليه السلام للرجل

الذى سأله: أفلا تتداوى؟ قال: ((قد سقانى مرتين، وهذه الثالثه لا أجد لها دواء. ولقد

رقى إلى أنه كتب إلى ملك الروم يسأله أن يوجه إليه من السم القتال شربه، نكتب إليه

ملك الروم: إنه لا يصلح لنا فى ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا! فكتب إليه معاويه:

إن هذا ابن الرجل الذى خرج بأرض تهامه وقد خرج يطلب ملك أبيه وأنا أريد أن

أدس إليه من يسقيه ذلك فأريح العباد والبلاد منه)).(١)

وقوله فى الفقره الثانيه فإنه سيضطر إلى تصفيه الكثير من أبناء الصحابه)) دفاع

فاشل واستغفال للعقل المسلم و إلا فالقاصى والدانى يعرف الجرائم الوحشيه الكبيره

التى ارتكبها معاويه بحق اصحابه وأبنائهم وكل من عارضه وأعترض عليه، فلماذا

هذا التعتيم والكذب؟

وقوله: إن بقاء الحسن عليه السلام يصب فى صالح رغبه معاويه تعيين ابنه يزيد خليفه

باعتبار أن موافقه الحسن عليه السلام علب بيعه يزيد يشجع باقى أبناء الصحابه للموافقه

أو كما قال: ((فربما ضمن معاويه رضاه، وبالتالى يكون له الأثر الأكبر فى موافقه بقيه

أبناء الصحابه)) فذلك تدليس كبير جدا لأنه قبل غيره يعرف أن من شروط الإمام

الحسن عليه السلام فى الصلح أن تكون البيعه له أو للحسين، فكيف يوافق على بيعه يزيد؟

أما اتهامه للسبئيه والخوارج بجريمه سم الحسن عليه السلاموقوله: فربما أرادوا الانتقام

من قتلاهم فى النهروان)) فهو اعتراف كامل بجريمه السم التى يريد نفيها، فكيف ينكر

١- الاحتجاج. الطبرسی. ج ٢. ص ٧٢

الجريمه ثم يعصبها برأس هؤلاء حتى لو فرضنا جدلا وجودهم؟ علما أنه اعترف من قبل بوقوع الجريمه كما فى قوله الذى مر علينا قبل قليل: ((لقد نقل أن الذى سم الحسن غير معاويه فقيل هى زوجته وقيل أن أباها الأشعث بن قيس هو الذى أمرها بذلك وقيل معاويه وقيل ابنه يزيد وهذا التضارب بالذى سم الحسن يضعف هذ٥ النقول)).

المهم أن الرجل لم يكتف بكل ما قدم فلجأ إلى مناقشه الجانب الطبى فى روايات السم استنادا إلى رأى الطب الحديث بالرغم من اعتقاده أن ما جاء به من احتمالات وفرضيات قد برأ معاويه من جريمه القتل، ولاتمام اللعبه لجأ إلى طبيب من أعوانهم من جماعه هجره العماله الوافده يعمل فى السعوديه ويتقاضى مرتبه من خزينتها التى لا تمنح نقودها إلا لمن يسير على نهجها؛ عسى أن يأتى بما يدعم تلك الأقوال الشاذه، فقال: ((هذا؛ وبعرض النصوص المتعلقه بالجانب الطبى فى هذه المسأله على أ.د. كمال الدين حسين الطاهر أستاذ علم الأدويه كليه الصيدله جامعه الملك سعود بالرياض (يستعين به لاتمام اللعبه)، فقال: بعدما تبينت براءه معاويه وابنه يزيد من تهمه سم الحسن بن على عليه السلام، فيما سبق من أقوال العلماء، وما سردناه من تحليلات، نأخذ رأى الطب)) وفعلا كان الدكتور على قدر كبير من (الأمانه) يتناسب مع كبر خوفه على مرتبه ومورده المالى الكبير، فقال فى جوابه المضحك المبكى: ((لم يشتك المريض أى الحسن بن على عليه السلام من أى نزف دموى سائل، مما يرجح عدم إعطائه أى ماده كيميائيه أوسم ذات قدره على إحداث تثبيط لعوامل تخثر الدم، فمن المعروف أن بعض الكيميائيات والسموم، تؤدى إلى النزف الدموى؛ وذلك لقدرتها على تثبيط التصنيع الكبدى لبعض العوامل المساعده على تخثر الدم، أو لمضادات تأثيراتها فى عمليه التخثر؛ ولذلك فإن تعاطى هذه المواد سيؤدى إلى ظهور نزف دموى فى مناطق متعدده من أعضاء الجسم مثل العين والأنف

والفم والجهاز المعدى — المعوى — وعند حدوث النزف الدموى فى الجهاز المعدى —

المعوى - يخرج الدم بشكل نزف دبرى سائل، منفرداً أو مخلوطاً مع البراز، ولا يظهر فى شكل جمادات أو قطع دمويه صلبه كانت أو إسفنجيه، أو فى شكل (قطع من الكبد)، ولذلك يستبعد إعطاء ذلك المريض أحد المواد الكيميائيه، أو السموم ذات القدره على إحداث نزف دموى)).

وعن طبيعه قطع الدم المتجمده التى أشارت الروايات إلى أنها قطع من الكبد، يقول أ.د. كمال الدين حسن الطاهر: ((هناك بعض أنوع سرطانات أو أورام الجهاز المعدى — المعوى — الثابته أو المتنقله عبر الأمعاء، أو بعض السرطانات المخاطيه التى تؤدى إلى النزف الدموى المتجمد، المخلوط مع الخلايا، وبطانات الجهاز المعدى — المعوى — وقد تخرج بشكل جمادات (قطع من الكبد كما فى الروايات)، ولذلك فإنى أرجح أن ذلك المريض قد يكون مصاباً بأحد سرطانات، أو أورام الأمعاء). راجع كتاب: مرويات خلافه معاويه فى تاريخ الطبرى للدكتور خالد الغيث ص٣٩٥ — ٣٩٧))

ولا أدرى لم رفض الرجل الأخذ بكل الروايات عن جريمه السم وأختار الروايات التى تتحدث عن قطعه الكبد بالرغم من أن المقصود ليس الغده الكبديه نفسها وإنما يقصد قطع الدم المتخثر بتأثير السم، وما دام يريد اقناعنا بأقوال الأطباء أنصحه ليسألهم عن تأثير السم فى تخثير الدم لكى لا يقع فى مثل هذا الوهم كل مره.

ثم لما عجز حتى عن إقناع نفسه بعد كل ما جاء به من غث وخلط وتدليس ومن استعان به من الأطباء والمنجمين والسحره؛ قال متملصا من المسؤوليه وبفس أسلوب ابن العربى فى العوصم من القوصم: ((وإن ثبت موت الحسن عليه السلام بالسم فهذه شهاده له وكرامه فى حقه كما قال بذلك شيخ الإسلام ابن تيميه فى منهاج السنه ۴/ ۴۲))(۱)

١- موقع فيصل نور http://www.fnoor.com/fn٠٥٢٢.htm

ويذكرنى هذا القول بما جاء فى منشور أصدرته إحدى التنظيمات الإرهابيه فى العراق وأسمها (جيش محمد) بعد ۲۰۰۳ تحدثت فيه عن المقابر الجماعيه التى تم اكتشافها فى أنحاء متعدده من العراق؛ وادعت أن أهل الضحايا الذين عثر عليهم فى المقابر الجماعيه يجب أن يفرحوا لأن أبناءهم إذا كانوا مؤمنين سوف يذهبون إلى الجنه! هكذا بكل وقاحه يترجم المعاصرون ما أقترفه الأقدمون من أعمال منافيه للأخلاق والدين ويطرحونها للتعامل والتداول مع كل ما تسببه من انحرافات نفسيه وأخلاقيه على الفرد والمجتمع.

ومن هؤلاء الذين تلاعبوا بجرائم السياسيين أيضا وأنا هنا لا أريد إحصاءهم وإنما أورد نتفا من أقوالهم كان الدكتور على محمد الصلابى الذى كتب تحت عنوان (هل يصح اتهام معاويه بسم الحسن بن على عليه السلام) حيث قال عن روايه ابن سعد فى الطبقات عن حادثه السم: ((ذكرت بعض الروايات أن الحسن بن على توفى متأثرا بالسم الذى وضع له، وقد اتجهت أصابع الاتهام نحو زوجه الحسن جعده بنت قيس أمير كنده، فهذه أم موسى سريه على تتهم جعده بأنها لمدت السم للحسن، فاشتكى منه شكاه.... وهذه الروايه إسنادها لا يصح وهى ضعيفه))(۱)

وقال أيضا عن الروايه الموجوده فى تهذيب الكامل: ((وحاول بعض من الأخباريين والرواه أن يوجدوا علاقه بين البيعه ليزيد و وفاه الحسن، وزعموا أن يزيد بن معاويه أرسل إلى جعده بنت قيس أن سمى حسنا فإنى سأتزوجك.... وفى سندها يزيد بن عياض، ابن جعديه، كذبه مالك وغيره))(۲)

۱- سيره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين، على محمد الصلابى، ص ۳۵۳

٢- المصدرنفسه، ص ٣٥٤

وقال عن الروايه التی أخرجها الأصفهانی فی مقاتل الطالبیین: ((بإسناده عن احمد

بن عبد الله بن عمار، وهو من رؤوس الشیعه، وفی أسانیده أیضا عیسی بن مهران رافضی

کذاب، قال عنه الخطیب: من شیاطین الرافضه))(۱)

ثم لما اعترضته الروایات التی أوردتها کتب مدرستهم قال: ((وقد وردمت هذه

الروایات فی کتب السنه بدون تمحیص، مع العلم أن أسانید تلک الروایات ضعیفه.

وأما کتب الشیعه الامامیه فی اتهام معاویه فی مقتل الحسن علیه السلام بالسم فحدث ولا حرج،

ولیس لهم روایات صحیحه یعتمد علیها، والقوم متخصصون فی الکذب والبهتان

وإلصاق التهم الباطله والروایات الظالمه فی الطعن فی الصحابه وخصوصا معاویه))(۲)

والصلابی لا یختلف کثیرا عن فیصل نور فی التدلیس والکذب فالمدرسه التی

تخرجوا منها واحده(۳)، حیث لجأ بعد أن أظناه اللهاث خلف السراب الکاذب مثل

صاحبه إلی نفس أقوال المنحرفین من الطائفیین الحاقدین علی المنهج الامامی مثل ابن

العربی وابن تیمیه والذهبی وابن خلدون وغیرهم فأوردها مثل صاحبه، فنقل عن ابن

العربی قوله:((فإن قیل: دس علی الحسن علیه السلام من سمه قلنا: هذا محال من وجهین: أنه ما

کان لیتقی من الحسن بأما وقد سلمه الأمر. الثانی: أنه أمر مغیب لا یعلمه إلا الله

فکیف تحملونه بغیر بینه علی أحد من خلقه فی زمن متباعد)).

ونقل عن ابن تیمیه قوله: ((وأما قوله: معاویه سم الحسن، فهذا مما ذکره بعض

۱- المصدر نفسه

۲- سیره أمیر المؤمنین خامس الخلفاء الراشدین، علی محمد الصلابی، ص ۳۵۴

۳- لم اتمکن من تحدید من سرق من من، لم اتمکن من تحدید إذا ما کان فیصل نور قد سرق موضوع الصلابی أو أن الصلابی هو الذی سرق من فیصل، ولکن مجرد إثبات جریمه السرقه یؤکد بأن هناک من لا یرعوی عن فعل أی شیء فی سبیل نصره ما

يؤمن به حتى ولو كان مجرد تفاهات

الناس، ولم يثبت ذلك ببينه شرعيه أو إقرار معتبر... وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم)).

ويقل عن الذهبى قوله: ((هذا لا يصح، فمن الذى أطلع عليه))

وقال عن روايه ابن الكثر فى النهايه ٨/ ٤٣ : ((وعندى أن هذا ليس بصحيح))

ومل عن ابن خلدون قوله: ((وما نقل من أن معاويه دس إليه السم مع زوجته

جعده بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعه، وحاشا لمعاويه من ذلك))

ونقل عن الدكتور جميل المصرى قوله: ((ويبدو أن افتعال هذه القضيه لم يكن شائعا آنذاك لأننا لا نلمس لها أثرا فى قضيه قيام الحسن أو حتى عتابا من الحسين لمعاويه))(١)

وأجد أن الدفوعات الباطله التى أعتمدها الرجل تدينه وتدين عقيدته، وتؤكد واقعه السم؛ لأنها جميعها مبنيه على الظن والشك والضحك على الذقون. فهو يقول عن روايه ابن سعد: (وهذه الروايه إسنادها لا يصح وهى ضعيفه) ويقول عن روايه تهذيب الكمال: (وفى سندها يزيد بن عياض، ابن جعديه، كذبه مالك وغيره) ويقول عن روايات الأصفهانى فى المقاتل: أن فى سندها شيعه رافضه؛ وكأنه يحتكم إلى علم الجرح والتعديل للتدليل على عدالته، ولكنه لا يلبث أن ينكر وجود هذا العلم وفاعليته حينما يجد الروايات نفسها تتكرر فى كتب يعجز عن تكذبيها، ولذا يقول: (وقد وردت هذه الروايات فى كتب السنه بدون تمحيص) هكذا، بدون تمحيص، فكيف تجاوزت رجال الجرح والتعديل لتدخل إلى التاريخ وكتبه بدون تمحيص؟

ثم تراه يطعن بهذا العلم حينما يقول عن روايه ابن كثير: (وعندى أن هذا ليس

١- المصدر النفسه ص ٣٥٥-٣٥٣

بصحيح) وكأنه هو الحكم العدل من دون خلق الله أجعين، ولا أدرى لماذا لم يستخدم علم الجرح والتعديل هنا أيضا؟.

أما الأقوال التى نقلها عن مشايخه فهى تجمع على رأى مفاده: ((أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله فكيف تحملونه بغير بينه على أحد من خلقه فى زمن متباعده وتتفق على أن هذا (مما لا يماكن العلم به، فالقول به قول بلا علم) وتتوافق على أن: (هذا لا يصح، فمن الذى أطلع عليه) فبنى من خلاصه هذه الأقوال السقيمه الغريبه قاعده فقهيه أراد من الناس أن يتعبدون بها، ولو طبقنا هذه القاعده على كل تاريخنا وكل قصصه ورواياته، بل لو طبقناها على السنه وعلى التفسير وعلى كل الأخبار التى بين أيدينا سنجد انطباقها عليها بنفس المقاييس التى طبقوها على قضيه السم، وهذا معناه أن التشكيك فى صحه سم الإمام الحسن عليه السلام وفق هذه القاعده الفقهيه الغريبه العجيبه ممكن أن ينطبق على جميع الروايات الأخرى وبدون استثناء سواء أكانت قرآنا أم حديثا أم سيره أم تاريخا أم أدبا وشعرا، أو أى نص تاريخى آخر!

ومن المدهش كيف أن أقوال الصلابى تطابقت كليا مع أقوال فيصل نور ولكننا لا نجد إشاره إلى أن احدهما أقتبس من الآخر، ومصادر الصلابى هى نفسها مصادر فيصل نور، وهذا يعنى أن أحدهما سرق من الآخر ونقل عنه بعيدا عن الأمانه العلميه، وتلك وربى خله لا يؤتمن صاحبها على الحكم بين نعجتين لا بين فرقتين عظيمتين. ولا أدرى كيف يستسيغ مدعى العلم أن يسرق موضوعا بهذا المستوى إن كان هو الذى سرق من فيصل، كما لا أدرى كيف يسمح صاحب موقع الكترونى وداعيه أن يسرق مثل هذا الموضوع من دكتور باحث، إن كان هو الذى سرق الموضوع.!

ومما تقدم يتضح أن التماحك بمجمله يؤكد واقعه السم ويشرى صراحه إلى المجرم

الذى ارتكبها لأنه لو لم يكن هو الفاعل دون غيره لما اتعبوا وأجهدوا انفسهم فى الدفاع عنه بهذا الشكل الغريب!

إن سم الحسن عليه السلام ولاسيما بعد أن عقد الصلح وترك الكوفه وتوجه إلى المدينه المنوره للعيش فيها بسلام يبدو لكل منصف شريف كوصمه عار فى جبين السياسيين؛ تدل على مكرهم وغدرهم واستهتارهم وخداعهم وعدم الوثوق بهم، ولذا أراد أتباع السياسيين محو هذا العار بالتشكيك بصحه واقعه السم مره، وبتكذيب الروايات التى جاءت فيها واقعه السم مره أخرى، ولكون واقعه السم موثقه فى أصح المصادر الإسلاميه والتاريخيه فإن محوها من الذاكره الجمعيه لا يمكن أن يتحقق بأيه حال، فوجدوا أن خير وسيله لمحاربتها تأتى من خلال التشكيك، والتشكيك وحده، وذلك بخلق قصص وروايات توحى بأن هناك احتمالات أخرى لموت الحسن عليه السلام من غير السم.

والظاهر أن بعض الإسلاميين وبعض المستشرقين تعاونا سويه على ترسيخ فكره أن الحسن عليه السلام لم يمت بالم الذى دسه له السياسيون وإنما مات بسبب المرض الذى ألم به؛ وقد مر عليكم ما خاض به أحفاد السياسيين (الصلابى وفيصل) لإثبات بطلان واقعه السم، لكن الظاهر أيضا أن المستشرق (لامنس) الذى حطب فى قصه السم كحاطب ليل لم يكن ضحيه الروايات الموضوعه لتشويه صوره الإمام الحسن عليه السلام فحب، وإنما كان واحدا من المروجين لتلك الروايات الكاذبه، وكان هواه مع السياسيين ضد الحسنيين، فأخذ بروايات السياسيين وأضاف لها ما يراه مناسبا لدعم رأيه الذى لا أصل له بالرغم من أن ما جاء به مجرد احتمال؛ ومقابل ذلك أعتمد توهين آراء أخرى لها أصول فى كثير من مراجع التاريخ ولم يلتفت إليها، ولذا تراه يرفض الحقيقه التى روتها كتب التاريخ

حول نهايه الإمام الحسن عليه السلام بالسم على يد زوجته بعد أن غرر بها معاويه، وجاء برأى سقيم مبتى على الظن لا أكثر يبدو فيه وكأنه من أتبع السياسيين المخلصين، وعليه قال فى آخر ما كتبه فى توجه الحسن عليه السلام: ((وتوفى الحسن فى المدينه بذات الرئه... وقد بذلت محاوله لإلقاء تبعه موته على رأس معاويه، وكان الغرض من هذا الاتهام وصم الأمويين بهذا العار ولم يجرؤ على القول بذا الاتهام الشنع جهره سوى المؤلفين من الشيعه أو أولئك الذين كان هواهم مع العلويه بنوع خاص. وقد أعطى هذا الاتهام فى الوقت نفسه فرصه للإيقاع بأسره الأشعث بن قيس المبغضه من الشيعه، لما كان لها من شأن فى الانقلاب الذى حدث يوم صفين، وما كان معاويه بالرجل الذى يقرف إثما لا مبرر له.

كما إن الحسن عليه السلام كان قد أصبح مسالماً منذ أمد طويل وكانت حياته عبئاً على بيت المال الذى أبهضه مطالبه المتكرره، ومن اليسير أن نعلل ارتياح معاويه وتنفسه الصعداء عند ما سمع بمرض الحسن))(۱)

ومن يدقق فى هذا القول ويفككه يجد بينه وبين الأقوال السقيمه الأخرى تواصلا غريبا، وبما انه أقدم تاريخا من الصلابى وفيصل نور يتبين أن الصلابى سرق منه ما جاء به دون أن يشير إلى المصدر ليبدو وكأنه جاء بهذا (الفتح المبين) ثم جاء فيصل نور فسرق من الصلابى لنفس الأسباب، مع احتمال أن يكون فيصل هو السارق الأول، اما الطبيب الذى أعتمدوه حكما علميا فقد ثبت أنه سرق رأى (لامنس) وأدعاه لنفسه، فما ظنك بمجموعه سراق يريدون الدفاع عن الباطل؟!

۱- دائره المعارف الإسلاميه، مجموعه متشرقين، ج/ ۴۰۱ ۴۰۲. تم إصدارها على طبعتين، الأولى بين ۱۹۱۳ و ۱۹۳۸، والثانيه ما بين ۱۹۵۴ و ۲۰۰۵، ويتم إصدارها من قبل شركه بريل الهولنديه. وقد ظهرت هذه الموسوعه بأكثر من لغه، أما بالنسبه للعربيه

فقد تم تعريب بعض أجزائها وتنقيحها وصدرت فى مصر فى الستينات وأعيد طبعها بالشارقه عام ١٩٩٨

اعتراضهم على دفنه مع جده

كان السياسيون منذ الأيام الأولى للبعثه وفى عصر الخلفاء الأربعه يستغلون الفرص المتاحه لخلق مشاكل وخلق أزمات تقود المسلمين إلى التقاتل فيما بينهم حتى إن الروايات تحدثت عن أحداث فى تأريخ متأخر عن تلك الحقب، ويعود إلى أيام الإمام الحسن عليه السلام.

حدثت فيه مشاده مختلقه، اختلقها السياسى مروان بن الحكم ممثل السياسيين العرب فى المدينه ليجر المسلمين إلى قتال بينى يفضى إلى إضعاف البيت الهاشمى وقتل الإمام الحسين عليه السلام الذى يعتقدون بأنه يمثل امتدادا للخطر الذى يمثله على والحسن عليه السلام، وخلاصه هذه القضيه أن الإمام الحسن عليه السلامبعد أن دس له معاويه السم واقترب أجله، أوصى أن يدفن مع جده النبى الأكرم صلى الله عليه و آله حب بعض الروايات وجاء فى الوصيه التى أوردها الشيخ الطوسى فى أماليه عن ابن عباس: ((هذا ما أوصى به الحسن بن على إلى أخيه الحسين، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له و أنه يعبده حق عبادته، لا شريک له فى الملک، ولا ولى له من الذل، وأنه خلق كل شىء فقدره تقديرا، وأنه أولى من عبد وأحق من حمد، من أطاعه رشد ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه اهتدى، فإنى أوصيک يا حسين بمن خلفت من أهلى وولدى وأهل بيتک أن تصفح عن مسيئهم وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خلفا ووالدا، وأن تدفتنى مع رسول الله صلى الله عليه و آله فإنى أحق به وببيته. فإن أبوا عليک فأنشدک الله بالقرابه التى قرب الله عز وجل منک والرحم الماسه من رسول الله صلى الله عليه و آله أن لا تهريق فى أمرى محجمه من دم حتى نلقيص

رسول الله صلى الله عليه و آله فنختصم إليه ونخبره بما كان من الناس إلينا)(۱)

نستشف من الوصيه أمورا مهمه جدا، منها:

• الأول: إن الإمام الحسن عليه السلام كان يرغب كليا بأن يدفن مع جده النبى صلى الله عليه و آله وهو الآمر ذاته الذى يدفع الشيعه إلى الرغبه الآكيده بان يدفنوا عند ضريح الإمام على وأولاده المعصومين عليهم السلام؛ لعدم تمكنهم من الحصول على مكان للدفن قرب الرسول.

•الثانى: إنه كان يعرف بحسب ما أخره به أبوه من الأمور المستقبليه بأن السياسيين سوف يمنعون دفنه مع جده حتى ولو بالقوه وسفك الدماء.

•الثالث: إنه أراد توضيح منهجه السلمى فى حياته وبعد موته ليكون درسا للعالمين.

إن قصص مع الأمويين دفن الإمام الحسن عليه السلام مع جده أوردتها أغلب كتب التاريخ الإسلامى وكتب المدرستين، وقد تلاعبت بها الأقلام السياسيه كما تلاعبت فى كل ما له علاقه بالحسن عليه السلام، ولذا تجد هناك من يثبت بالنقل الصحيح الموثوق أن أم المؤمنين عائشه ركبت بغله وسارت للتصدى للمشيعين؛ جنبا إلى جنب مع الأمويين الذين أثار حقدهم موضع الدفن بشكل كبير جدا دفعهم إلى حمل السلاح والتهديد بإشعال فتنه كبيره إذا أصر الهاشميون على الدفن. وهناك أيضا من يدعى بأنها وافقت على الدفن ولم تعترض كما تقول روايات أخرى ومنها روايه الأصفهانى الذى نقل عنها قولها: ((نعم، ما كان بقى إلا موضع قبر واحدا))(۲)

۱- أمالى الشيخ الطوسى

٢- مقاتل الطالبيين، ص ٨٢

قال ابن الأثير عن هذه قصه واقعه الدفن: ((فى السته التاسعه والأربعين للهجره

توفى الحسن بن على سمته زوجته جعده بنت الأشعث بن قيس الكندى؛ وأوصى أن

يدفن عند النبى صلى الله عليه و آله؛ فاشتأذن الحسين عائشه فأذنت له، فقام مروان بن الحكم وجمع بنى

أميه و شعتهم ومع من ذلك))(۱)

وقال ابن كثير: ((قال الواقدى: حدثنا إبراهيم بن الفضل، عن أبى عتيق قال:

سمعت جابر بن عبد الله يقول: شهدنا حسن بن يوم مات، فكادت الفتنه تقع بين

الحسين بن على ومروان بن الحكم، وكان الحسن قد عهد إلى أخيه أن يدفن مع رسول

الله صلى الله عليه و آله، فإن خاف أن يكون فى ذلك قتال أو شر فليدفن بالبقيع. فأبى مروان أن يدعه،

ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضى معاويه بذلك، فلم يزل مروان عدوا لبنى هاشم

حتى مات. قال جابر: فكلمت يومئذ حسين بن على فقلت: يا أبا عبد الله، اتق الله؛ فإن

أخاك كان لا يحب ما ترى، فادفنه بالبقيع مع أمه. ففعل.

ثم روى الواقدى: ((حدثنى عبد الله بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر قال: حضرت

موت الحسن بن على، فقلت للحسين: اتق الله، ولا تثر فتنه، ولا تسفك الدماء، وادفن

أخاك إلى جنب أمه؛ فإن أخاك قد عهد بذلك إليك. قال: ففعل الحسين. وقد روى

الواقدى عن أى هريره نحوا من هذا))(۲)

وفى روايه أن الحسن بعث يستأذن عائشه فى ذلك، فأذنت له، فلما مات لبس

الحسين السلاح وتسلح بنو أميه، وقالوا: لا ندعه يدفن مع رسول الله صلى الله عليه و آله، أيدفن عثمان

بالبقيع، ويدفن الحسن بن على فى الحجره؟ فلما خاف الناس وقوع الفتنه؛ أثار سعد

۱- الكامل فى التأريخ، مجلد۳،ص ۴۰۲

۲- البدایه والنهایه،إسماعیل بن عمر بن کثیر القرشی الدمشقی، ج۸، ص ۲۱۱

بن أبی وقاص وأبو هریره وجابر وابن عمر علی الحسین أن لا یقاتل؛ فامتثل ودفن

أخاه قریبا من قبر أمه بالبقیع)).(۱) وتبدو الصوره هنا وکأن الأمویین هم من تبنی مسأله

معارضه دفن الإمام الحسن مع جده، ولکنها لیست الصوره الوحیده فی مشهد الدفن

بکل تأکید.

ففضلا عن ذلک هناک من یقول أن أم المؤمنین عائشه هی التی حرضت الأمویین

علی الخروج لنصرتها لکی تمنع دفن الحسن علیه السلام مع جده صلی الله علیه و آله؛ وهی التی اعترضت

علی مکان الدفن؛ ولکن من المؤکد فی حال صحه هذه الروایات أن مروان هو الذی

أو غر قلبها وحضها علی الرفض لکی تقع الفتنه من جانب ولا ینال الحسن علیه السلام مقاما

بدفنه إلی جانب جده: ((فلما مضی لسبیله وغسله الحسین علیه السلام وکفنه وحمله علی سریره لم

یشک مروان وبنو امیه أنهم سیدفنونه عند رسول الله صلی الله علیه و آله، فتجمعوا ولبسوا السلاح،

فلما توجه به الحسین علیه السلام إلی قبر جده رسول الله صلی الله علیه و آله لیجدد به عهداً أقبلوا فی جمعهم؛

ولحقتهم عائشه علی بغل وهی تقول: نحوا ابنکم عن بیتی، فإنه لا یدفن فیه ویهتک

علیه حجابه))(۲)

ولکن الأصبهانی یعرض علی هذا الرأی ویورد روایه تقول: إن عائشه هی التی

کانت مصره علی المنع؛ وهی التی حرضت الأمویین لنصرتها، ولم یوغر قلبها علی

الحسن علیه السلام أحد منهم، بل هی التی أثارت قلوب الأمویین واستنفرتهم: ((قال یحیی

بن الحسن: وسمعت علی بن طاهر بن زید یقول: لما أرادوا دفنه؛ رکبت عائشه بغلا

۱- البدایه والنهایه، ج۸، ص ۲۱۱

۲- إرشاد المفید،ج ۲،ص ۱۷، کشف الغمه،ج۱،ص ۵۸۵، ونحوه فی: مقاتل الطالبیین،ص ۷۴، ودلائل الإمامه،ص ۶۱، وشرح

نهج البلاغه لابن أبی الحدید،م۴، ج ۱۶ ،ص ۴۹

واستنفرت بنی أمیه مروان بن الحکم ومن کان هناک منهم ومن حشمهم))(۱)

وبعد ذلک ثار قناص فرص الفتنه السیاسی الکبیر مروان بن الحکم وجماعته من

السیاسیین لتحقیق ما أرادته وما یریدونه هم أیضا، یقول الأصبهانی: ((فمنع مروان بن

الحکم من ذلک، ورکبت بنو أمیه فی السلاح، وجعل مروان یقول: یا رب هیجا هی

خیر من دعه، أیدفن عثمان فی أقص البقیع ویدفن الحسن فی بیت رسول الله؟ والله لا

یکون ذلک أبدا؛ وأنا أحمل السیف، فکادت الفتنه أن تقع))(۲)

وفی روایه الیعقوبی: ((فرکب مروان بن الحکم ومعید بن العاص فمنعا من ذلک

حتی کادت تقع فتنه))(۳)

ونجد فی المستدرک روایه:((عن سالم بن أبی حفصه قال: سمعت أبا حازم یقول:

إنی لشاهد یوم مات الحسن بن علی؛ فرأیت الحسین یقول لسعید بن العاص ویطعن فی

عنقه: تقدم فلولا أنها سنه ما قدمتک وکان بینهم شیء فقال أبو هریره: أتنفسون علی

ابن نبیکم صلی الله علیه و آله بتربه تدفنونه فیها وقد سمعت رسول الله یقول: من أحبهما فقد أحبنی

ومن أبغضهما فقد أبغضنی))(۴) وهذا حدیث صریح یشیر إلی اعتراض السیاسیین علی

ما اعتقدوا أنه دفن قرب الرسول صلی لله علیه و آله وفیه یعاتبهم أبو هریره بما حدث وکأنه یقول لهم:

یا من تبغضون الله ورسوله عار علیکم أن تثیروها فتنه بالظن والشک؛ وکان الأولی

بکم أن تطلبوا من الحسین دفن الحسن مع جده حتی ولو لم یوص بذلک، لا أن تمنعوه!

وسواء صحت هذه الروایه أو تلک، فقد نجح السیاسیون فی منع دفن الإمام

۱- مقاتل الطالبیین؛مصدر السابق ص ۸۲

۲- مقاتل الطالبیین؛ أبی الفرج الأصفهانی ص ۸۱

٣- تأريخ اليعقوبى؛ ج ٢ ص ٢٢٥
۴- المستدرک الحاکم ج ٣ ص ١٨٨-١٨٧ حديث ٣٩٧/۴٧٩٩

الحسن عليه السلام مع جده النبى صلى الله عليه السلام بعد أن أثاروها فتنه لو قيض لها أن تتحول إلى نزاع لكانت أحرقت الأخضر واليابس ولم تبق للإسلام من أثر يذكر، ولكان معاويه قد أسرع بإرسال جنوده لحرق المدينه ومن فيها من الهاشميين والصحابه وكل من يعترض عليه، ليقرأ على الإسلام السلام.

أما ما أراه واعتقده فهو أنه يستحيل أن يطلب الإمام الحسن الدفن مع رسول الله وهو يعلم تمام العلم أن هناك جيوشا تعترض على هذا الأمر ولديها استعداد لحرق المدينه والقبر وكل ما فيه، فالحسن عليه السلام الذى تنازل فى حياته عن الخلافه وكل بهرجها لمجرد أنه كان حريصا على الإسلام من الضياع مع ما كان لديه من جند وأصحاب ومعدات، لا يمكن أن يأمر بإشعال فتنه تحرق الأخضر واليابس فى مماته؛ ومن بقى من الهاشميين لم يكونوا سوى قله قليله، لا قدره لهم على مواجهه السيل الأموى المدمر.

أو ربما أنه أراد مره أخرى أن يثبت للعالم أبتعاد السياسيين عن الحق والعدل والإيمان، ويظهر للناس كره السياسيين لأهل البيت عليهم السلام الذين أوصى النبى صلى الله عليه و اله بحبهم وتبجيلهم، فطلب أن يبدو الحسين عليه السلام؛ وكأنه يريد دفن أخيه مع جدهم؛ تماما كما فعل يوم الصلح، فالصلح وفكره الدفن وجهان لعمله واحده هدفها فضح أعداء الدين، وقد نجح الإمام الحسن عليه السلام؛ فى الوقعتين، نجح حيا وميتا، وفشل السياسيون وبان غباؤهم وكفرهم وحقدهم للناس. وقباله هذين الرأيين أرى أن الإمام الحسن عليه السلام كان يرغب بأن يطوفوا به على قبر جده صلى الله عليه و آله ليثبت آخر العهد به، ثم يدفنونه فى البقيع مع من دفن فيها سرا بجتب أمه فاطمه الزهراء عليها السلام وفى حضنها الدافىء، أو بجنب جدته فاطمه بنت أسد رضى الله عنها. وأن الأمويين اعتقدوا بأن الحسين عليه السلام يريد دفن الحسن عليه السلام مع جده فثارت ثائرتهم.

أما تلك الزوابع التى تحدثت عن تخبط كبير وقع يوم الدفن، فهى من صنع

السياسيين، وجاءت مكمله لباقى فقرات مشروعهم التخريبى، وللأسف صدق بها

كثير من الناس. ولقد وجدت ما يؤيد رأيى بمجموعه نقول جاء منها:

• أولا: ((عن عبد الله بن إبراهيم، عن زياد المحاربى، قال: لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاه استدعى الحسين عليه السلام، وقال له: يا أخى إننى مفارقك ولاحق بربى، وقد سقيت سم ورميت بكبدى فى الطست، وإنى لعارف بمن سقانى ومن أين دهيت، وأنا أخاصمه إلى الله عز وجل، فبحقى عليك إن كلمت فى ذلك بشىء، وانتظر ما يحدث الله تبارك وتعالى فى، فإذا قضيت فغسلنى وكفنى واحملنى على سريرى إلى قبر جدى رسول الله صلى الله عليه و آله لأجدد به عهداً، ثم ردنى إلى قبر جدتى فاطمه فادفنى هناك، وستعلم يا ابن أم أن القوم يظنون أنكم تريدون دفنى عند رسول الله صلى الله عليه و آله فيجلبون فى منعكم من ذلك، وبالله أقسم عليكم أن لا تهريق فى أمرى محجمه من دم. ثم وصى إليه بأهله وولده وتركاته وما كان وصى أمير المؤمنين عليه السلام حين استخلفه))(۱)

• ثانيا: ((روى عن زياد المخارقى قال: لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاه، استدعى الحسين بن على عليهم السلام فقال: يا أخى إنى مفارقك، ولاحق بربى عز وجل، وقد سقيت السم، ورميت بكبدى فى الطست، وإنى لعارف بمن سقانى السم، ومن أين دهيت، وأنا أخاصمه إلى الله تعالى، فبحقى عليك إن تكلمت فى ذلك بشىء، وانتظر ما يحدث الله عز ذكره فى، فإذا قضيت نحبى فغمضنى، وغسلنى وكفنى، واحملنى على سريرى إلى قبر جدى رسول الله صلى الله عليه و آله لأجدد به عهداً، ثم ردنى إلى قبر جدتى فاطمه بنت أسد رضى الله عنها فادفنى هناك. وستعلم يا بن ام، أن القوم يظنون أنكم تريدون دفنى

۱- موسوعه الأسئله العقائديه، مركز الأبحاث العقائديه،ج۲، ص ۱۶۳ -http://www.aqaed.com/book/۵۶۷/saqd۲۰۶.html

عند رسول الله صلى الله علیه و آله فیجلبون فی منعکم عن ذلک، وبالله أقسم علیک أن لا تهریق فی أمری محجمه دم. ثم وصی علیه السلام إلیه بأهله وولده وترکاته، وما کان وصی به إلیه أمیر المؤمنین علیه السلام حین استخلفه وأهله لمقامه، ودل شیعته علی استخلافه، ونصبه لهم علماً من بعده))(۱)

• ثالثا: قال الشیخ المفید: لما مضی لسبیله غسله الحسین علیه السلام وکفنه وحمله علی سریره، ولم یشک مروان ومن معه من بنی أمیه أنهم سیدفنونه عند رسول الله صلی الله علیه و آله فتجمعوا لذلک؛ ولبسوا السلاح، فلما توجه به الحسین علیه السلام إلی قبر جده رسول الله صلی الله علیه و آله لیجدد به عهدا؛ أقبلوا إلیهم فی جمعهم ولحقتهم عائشه علی بغل وهی تقول: ما لی ولکم تریدون أن تدخلوا بیتی من لا أحب! وجعل مروان یقول: یا رب هیجا هی خیر من دعه. أیدفن عثمان فی أقصی المدینه ویدفن الحسن مع النبی، لا یکون ذلک أبدا وأنا أحمل السیف، وکادت الفتنه أن تقع بین بنی هاشم وبنی أمیه. فبادر ابن عباس إلی مروان فقال له: ارجع یا مروان من حیث جئت، ما نرید دفن صاحبنا عند رسول الله صلی الله علیه و آله لکنا نرید أن نجدد به عهدا بزیارته ثم نرده إلی جدته فاطمه بنت أسد فندفنه عندها بوصیته بذلک، وقال الحسین علیه السلام: والله لو لآ عهد الحسن بحقن الدماء وأن لا أهریق فی أمره محجمه دم لعلمتم کیف تأخذ سیوف الله منکم مأخذها وقد نقضتم العهد بیننا وبینکم وأبطلتم ما اشترطنا علیکم لأنفسنا. ومضموا بالحسن فدفنوه بالبقیع عند جدته فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف)).

ولهذا السبب تری المیت من أتباع مدرسه أهل البیت علیهم السلام یطاف به علی قبور ومراقد الآئمه المعصومین علیهم السلام لکی یجدد العهد بهم قبل دفنه.

۱- الموسوعه، ص ۶۵

أما السياسيون ولكى يغطوا على خيبتهم وفشلهم فى إثاره الفتنه عمدوا إلى وضع

روايات كثيره تصل أحيانا إلى درجه التعارض فيما بينها، لكى لا يفهم الناس ما دار فى

يوم الدفن، فلا يصلوا إلى الحقيقه. ومن هذه الروايات قولهم: إن الإمام الحسن عليه السلام أراد

أن يدفنوه مع جده صلى الله عليه و آله، فأخذ الواقدى قولهم، وأخذه عنه ابن سعد، وجاء سبط ابن

الجوزى فأخذ عن ابن سعد، وهكذا استمر تداول المعلومه حتى ملأت بطون الكتب

وبات من الصعب عدم التصديق بها.

قال سبط ابن الجوزى: قال ابن سعد عن الواقدى: لما احتضر الحسن قال: أدفنونى

عند أبى يعنى رسول الله صلى الله عليه و آله فأراد الحسين عليه السلام أن يدفنه فى حجره رسول الله صلى الله عليه و آله فقامت

بنو أميه ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وكان واليا على المدينه فمنعوه وقامت بنو

هاشم لتقاتلهم، فقال أبو هريره أرأيتم لو مات ابن لموسى، أما كان يدفن مع أبيه؟ قال

ابن سعد: ومنهم أيضا عائشه وقالت لا يدفن مع رسول الله صلى الله عليه و آله أحد))(۱)

إن المشكله التى أثاروها يوم دفن الإمام الحسن عليه السلام تؤكد خبث المخططات السياسيه

التى كانت تحارب الخط العلوى من جانب، وتؤكد من جانب آخر أن السياسيين ومن

لف لفهم لم يجبوا أهل البيت قط، وخالفوا وصايا الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، وتؤكد

ثالثا أن مخططاتهم الشريره هى التى أودت بالإمام الحسن عليه السلام، وأخيرا أن هذه المؤامرات

لن تقف عند هذا الحد وإنما ستستمر إلى تحقيق كامل الأهداف المرسومه.

والظاهر أن الأهداف بمجملها لم تتحقق إلى الآن، ولذا نجد أحفادهم يستخدمون

الأساليب ذاتها مع أتباع اهل البيت عليهم السلام بما يعنى أنها ستبقى قلقه فاعله إلى يوم ظهور

الإمام المهدى المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

۱- تذکره خواص الأمه فی خصائص الأئمه، الحافظ ابو الفرج سبط ابن الجوزی، قدم له: السید محمد صادق بحر العلوم، مکتبه نینوی

هدم القبر الشريف

وبعد كل تلك الجرائم والجرائر العظيمه التى ارتكبوها بحق الإمام الحسن عليه السلام، وكل ذلك التحريف التاريخى الذى اعتمدوه منهجا منذ النصف الأول من القرن الهجرى الآول فصاعدا عز عليهم أن يروا له قبرا على سطح الأرض حتى ولو كان شاهدا بسيطا لا تكلف فيه ولا بهرجه؛ فعمدوا إلى هدمه وتغييب ملامحه فى الثامن من شوال سنه ۱۳۴۶ هجريه الموافق ۳۰-۳-۱۹۲۸ ميلاديه، مع قبور الأئمه الآخرين: الإمام زين العابدين على بن الحسين، وابنه الإمام محمد الباقر، وابنه الإمام جعفر الصادق عليهم السلام.

ومن يحلل هذا العمل المشين يجده جينيا و وراثيا موصولا بالحراك السياسى الأول ونابعا من جوهره وراضعا من ثديه؛ وكأن السياسه تأبى أن ترى المسلمين متحدين على أمر ما مهما كان بسيطا، فيلجأ أساطينها وكهانها إلى سحرهم القديم وطيشهم الأقدم لتطغى القباحه على كل جميل فى الكون.

إن ما تقدم ذكره يؤكد أن بعض المسلمين لم ولن يحترموا قيم مجتمعهم وتاريخ أهلهم فى أى وقت من الأوقات، وهم بسبب أنانيتهم وحبهم للدنيا وجشعهم وطمعهم كانوا ولا زالوا على ستعداد لتخريب الكون من أجل أن يعمروا ملكياتهم الخاصه؛ وإلا هل يعقل أن تقوم أمه تحترم نفسها وتحترم نبيها وأهله بكل تلك الأعمال القبيحه، وكل ذلك التحريف والدس والكذب ضد واحد من أعز أبنائه وشبيهه وحامل مفتاح رسالته؟

ص :۲۹۱

وإذا كان الجهل والطيش القديم هو من دفع الأوائل إلى ارتكاب كل تلك الحماقات؛ فما الذى يدفع أبناءهم فى عصر التقدم والذره والإنسان الأخير ليرتكبوا الحماقات نفسها!؟ وإذا ما كان التجهيل المقصود قد لوث عقول أتباعهم المعاصرين، فما لوث أفكارهم وهم قريبون من عصر البعثه ويعرفون من هو الحسن بن على عليه السلام فى ميزان النبوه والدين والعقيده والرحم؟ متواليه فى منتهى العجب لا تتقفى ولا تقف عند حد مهما تنوع التعامل معها.!

ص:٢٩٢

هكذا أراد السياسيون تشويه سيره الإمام الحسن عليه السلام غير ملتفتين إلى هذا العلم العالى والطود الشامخ، هذا الإمام المعصوم والخليفه المنصوص على إمامته وخلافته، الذى وردت بحقه جمله عظيمه من الأحاديث النبويه الشريفه الصحيحه التى اتفقت المدارس الإسلاميه على صحتها وتواترها، وهى أحاديث بمضمونها ومجملها تجعل من الإمام الحسن عليه السلام شخصاً فريداً بكل المقاييس الإنسانيه والدينيه والأخلاقيه، ولو أن المسلمين كانوا ملتزمين حقا بمنهج الرساله لكانوا صلوا على تراب أقدام الإمام الحسن عليه السلام بدلا من أن يقاتلوه ويغتصبوا حقه ويقتلوه بالسم ويهدموا قبره الشريف.

ولكى تتضح صوره الفعل الشنيع الذى جابهوا به الإمام الحسن عليه السلام وعظيم ما اقترفوه بحقه وبحق الرساله المحمديه؛ سأورد بعضا من الكم الكبير من الأحاديث معتمدا على كتب المدارس الإسلاميه، ومتجاوزا ما جاء فى كتب مدرستنا لكى لا أتهم بالتحيز، ولكى اثبت أن غيرنا يعرف كما نعرف مركز الإمام الحسن عليه السلام وقيمته الفكريه والعقديه والأخلاقيه، ولكن شتان بين التطبيق والتلفيق، وشتان بين من عادى أعداءه وبين من ساوى بينه وبين أعدائه وترضى عليهما سويه! وأنقل مما فى حاشيه السندى على ابن ماجه بعض الروايات:

• الأولى: ((عن عبد الله بن بريده، عن ابن عباس قال: انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه و آله فنادى على باب فاطمه ثلاثا فلم يجبه أحد، فمال إلى حائط فقعد فيه وقعدت إلى جانبه

...

نبينا هوكذلك إذ خرج الحسن بن على قد غسل وجهه وعلقت عليه سبحه، قال: فبسط

النبى صلى الله عليه و آله يده ومدها ثم ضم الحسن إلى صدره وقلبه، وقال: إن ابنى هذا سيد، ولعل

الله عز وجل يصلح به بين فئتين من المسلمين)). وقال: ورد ذيله فى مسند الطيالسى:

١١١٨ ا ٨٧٤، مصنف عبد الرزاق ١١ : ٤٥٢، وصحيح البخارى ٢:٣٥، ومسند

أحمد ۵: ٣٧ و ٥١، والمعجم الكبير للطبرانى ٣: ١٢٢ ا ٢٥٩١، وحليه الأولياء ٢:٣٥،

والاستيعاب ١: ٣٧٠، ومجمع الزوائد ٩: ١٧٥.

•الثانيه: من أحب الحسن والحسين فقد أحبنى، ومن أبغضهما فقد أبغضنى))

•الثالثه: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنه))

•الرابعه: ابناى هذان إمامان، قاما أو قعدا))(١)

وقال السندى، باب فضل الحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب عليه السلام: ((حدثنا

أحمد بن عبده، أنبأنا سفيان بن عيينه، عن عبيد الله بن أبى يزيد، عن نافع بن جبير، عن

ابى هريره، عن النبى صلى الله عليه و آله قال للحسن: ((اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه قال

وضمه إلى صدره))(٢) وقال السندى: فضلا عن ذلك ورد الحديث فى صحيح مسلم

ج۵ص ٣٦ صحيح البخارى ج٢ كتاب فضائل الصحابه ص١٢٨١ جامع الأصول

ج٩ ح٦۵۵٢ص٢٧ مجمع الزوائد ج٩ ص١٧٦ تاريخ ابن عساكر ج١٣ ص١٨۶

ذخائر العقبى ص١٢٢ أسد الغابه ج٢ ص١٢ الصواعق المحرقه الباب العاشر

ص١٣٧ مطالب السؤول ص٢٢٧ المعجم الكبير ج٣ ح٢۵٨٢ ص٣١ إسعاف

١- حاشيه السندى على ابن ماجه، أبو الحسن الحنفى الشهير بالسندى، باب فضل الحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب رضى

الله عنهم

٢- المصدر نفسه، حاشيه السندى، حديث رقم ١٤٢

الراغبين ص١٩٣.

وفى فتح البارى، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام. قال نافع بن جبير: ((عن أبى هريره: عانق النبى صلى الله عليه وآله الحسن)) (١)

وفى البحر الزخار وتحت عنوان (الحسن سفينه نجاه) جاء ((عن سعيد بن المسيب عن ابى ذر، حدثنا عمرو بن على، والجراح بن مخلد، ومحمد بن معمر، واللفظ لعمرو، قالوا: حدثنا مسلم بن إبراهيم، قال: حدثنا الحسن بن أبى جعفر، عن على بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبى ذر! قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مثل أهل بيتى كمثل سفينه نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق، ومن قاتلنا فى آخر الزمان كان كمن قاتل مع الدجال)) وقال: وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن النبى صلى الله عليه وآله إلا عن أبى ذر من هذا الوجه، ولا نعلم تابع الحسن بن أبى جعفر على هذا الحديث أحد)).(٢)

وفى مستدرك الحاكم، من مناقب الحسن والحسين ابنى بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ((عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر؛، قال: قال رسول الله: لكل نبى أم عصبه ينتمون إليهم إلا ابنى فاطمه فأنا وليهما وعصبتهما. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)).(٣)

وفيه أيضا عن أبى ظبيان، عن سلمان رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: الحسن والحسين ابناى من أحبهما أحبنى ومن أحبنى أحبه الله ومن أحبه الله أدخله الجنه،

.

١- فتح البارى شرح صحيح البخارى، أحمد بن على بن حجر العسقلانى، مناقب الحسن والحسين.

٢- البحر الزخار المعروف بمسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكى البزار، حديث رقم .٣٩٠.

٣- المستدرك للحاكم، ج٣، ص١٧٩ حديث ٣٦٨/٤٧٧٠

ومن أبغضهما أبغضنى ومن أبغضنى أبغضه الله ومن ابغضه الله دخل النار.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(۱)

وعن مصنف ابن آبى شيبه فى الجزء السابع، ما جاء فى الحسن والحسين عليهما السلام.

۱ . حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر قال: كان الحسن والحسين يثبان

على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلى، فجعل الناس ينحونهما فقال النبى: دعوهما بأبى

هما وأمى، من أحبنى فليحب هذين)).

۲ . حدثنا وكيع عن سفيان عن ابى الجحاف عن ابى حازم عن ابى هريره قال: قال

يعنى النبى صلى الله عليه واله : اللهم إنى أحبهما فأحبهما يعنى حسنا وحسينا(۲)

۳. حدثنا وكيع عن سفيان عن يزيد بن ابى زياد عن ابن ابى نعم عن ابى سعيد قال:

((قال يعنى النبى صلى الله عليه واله : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنه)).

۴ . حدثنا زيد بن حباب عن إسرائيل عن ميسره النهدى عن النعمان بن عمرو عن

زر بن حبيش عن حذيفه قال: أتيت النبى صلى الله عليه واله فصليت معه المغرب ثم قام يصلى حتى

صلى العشاء ثم خرج فاتبعته فقال: ملك عرض لى استأذن ربه أن يسلم على ويبشرنى

أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنه)).

۵. حدثنا حسين بن على عن ابى موسى عن الحسن قال: ((رفع النبى صلى الله عليه واله الحسن

بن على معه على المنبر فقال: إن ابنى هذا سيد، ولعل الله سيصلح به بين فئتين من

المسلمين)).

.

۱- المصدر نفسه، ج۳،ص ۱۸۱، حدیث ۳۷۴/۴۷۷۶.

۲- المصنف، عبد الله بن محمد بن أبی شیبه،دار الفکر، سنه النشر: ۱۴۱۴/ ۱۹۹۴ م،ج۷،ص۱۲ه

۶ . حدثنا أبو الأحوص عن أبی إسحاق عن علی قال: ((قال رسول الله صلی الله علیه وآله : الحسن والحسین سیدا شباب أهل الجنه)).

۷. حدثنا عفان قال حدثنا وهیب قال حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثیم عن سعید بن أبی راشد عن یعلی العامری أنه جاء حسن وحسین یسعیان إلی رسول الله صلی الله علیه وآله فضمهما إلیه وقال: إن الولد مبخله مجبنه)).

۸. حدثنا مالک بن إسماعیل عن أسباط بن نصر عن السدی عن صبیح مولی أم سلمه عن زید بن أرقم أن النبی صلی الله علیه وآله قال لفاطمه وحسن وحسین: ((أنا حرب لمن حاربکم وسلم لمن سالمکم*.

۹ . حدثنا خالد بن مخلد قال ثنا موسی بن یعقوب الزمعی عن عبد الله بن أبی بکر بن زید بن المهاجر قال أخری مسلم بن ابی سهل النبال قال: أخبرنی حسن بن أسامه بن زید قال أخبرنی أبو أسامه قال: ((طرقت رسول الله صلی الله علیه وآله ذات لیله لبعض الحاجه، قال: فخرج إلی و هو مشتمل علی شیء لا أدری ما هو، فلما فرغت من حاجتی قلت: ما هذا الذی أنت مشتمل علیه، فکشف فإذا حسن وحسین علی ورکیه فقال: هذان ابنای وابنا ابنتی، اللهم إنک تعلم أنی أحبهما فأحبهما))(۱)

۱۰ . حدثنا هوذه بن خلیفه عن التیمی عن أیب عثمان عن أسامه بن زید قال: کان رسول الله صلی الله علیه وآله یأخذنی والحسن فیقول: اللهم إنی أحبهما فأحبهما)).

۱۱ . حدثنا جویر عن مغیره عن الشعبی قال: لما أراد رسول الله صلی الله علیه وآله أن یلاعن أهل نجران أخذ بید الحسن والحسین وکانت فاطمه تمشی خلفه))....

۱- المصدر نفسه. ج۷. ص:۵۱۳

۱۲ . حدثنا وكيع عن الأعمش عن سالم قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنى سميت ابنى هذين باسم ابنى هارون شبر وشبير)).

۱۳ ۰ حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعى عن يحيى بن ابى كثير: ((إن النبى صلى الله عليه وآله سمع بكاء الحسن أوالحسين فقام فزعا فقال: إن الولد لفتنه، لقد قمت إليه وما أعقل)).

۱۴ . حدثنا هوذه بن خليفه عن التيمى عن أبى عثمان عن أسامه قال:((كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذنى والحسن فيقول: اللهم إنى أحبهما فأحبهما)).

۱۵ . حدثنا غندر عن شعبه عن عمرو بن مره عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقمر قال: ((بينما الحسن بن على يخطب إذ قام رجل من الأزد آدم طوال فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله واضعه فى حقويه يقول: من أحبنى فليحبه، فليبلغ الشاهد الغائب)).

۱۶ . حدثنا زيد بن الحباب قال حدثنى حسين بن واقد قال حدثنى عبد الله بن بريده عن أبيه قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطبنا فأقبل حسن وحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ويقومان، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذهما فوضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله ورسوله: إنما أموالكم وأولادكم فتنه، رأيت هذين فلم أصبر، ثم أخذ فى خطبته)).

۱۷. حدثنا أسود بن عامر قال: حدثنى مهدى بن ميمون عن محمد بن عبد الله بن ابى يعقوب عن ابن ابى نعم قال: ((كنت جالسا عند ابن عمر فأتاه رجل من أهل العراق فقال ابن عمر: ها انظروا هذا يسألنى عن دم البعوض وهم قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هما ريحانتى من الدنيا))[(۱)]

۱- المصنف. عبدالله بن محمد بن ابى شيبه. ج۷. ص۵۱۴

١٨. حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنى جرير بن حازم عن محمد بن عبد الله بن أبى
يعقوب عن عبد الله بن شداد عن أبيه قال: ((دعى رسول الله صلى الله عليه وآله لصلاه، فخرج وهو
حامل حسنا أو حسينا فوضعه إلى جنبه فسجد بين ظهرانى صلاته سجده أطال فيها،
قال ابى: فرفعت رأسى من بين الناس فإذا الغلام على ظهر رسول الله فأعدت رأسى
فسجدت، فلما سلم رسول الله قال له القوم: يا رسول الله لقد سجدت فى صلاتک هذه
سجده ما كنت تسجدها، أفكان يوحى إليك؟، قال: لا ولكن ابنى ارتحلنى فكرهت
أن أعجله حتى يقضى حاجته)).

١٩ . حدثنا شبابه قال ثنا شعبه عن عدى بن ثابت عن البراء قال: ((رأيت النبى صلى الله عليه وآله
حمل الحسن بن على على عاتقه وقال: ((اللهم إنى أحبه فأحبه)).

٢٠ . حدثنا جعفر بن عون قال أخبرنا معاويه بن ابى مزرد المدينى عن أبيه عن أبى
هريره قال: ((بصر عيناى هاتان وسمع أذناى النبى صلى الله عليه وآله وهوآخذ بيد حسن أو حسين
وهو يقول: ترق عين بقه قال: فيقع الغلام قدمه على قدم النبى ثم يرفعه فيضعه على
صدره ثم يقول: افتح فاک قال: ثم يقبله ثم يقول: اللهم إنى أحبه فأحبه .

٢١ . حدثنا مطلب بن زياد عن جابر عن ابى جعفر قال: ((اصطرع الحسن والحسين
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : هو حسين فقالت فاطمه: كأنه أحب إليک، قال: لا ولكن جبريل
يقول: هو حسين)).

٢٢ . حدثنا مطلب بن زياد عن جابر عن ابى جعفر قال: ((مر رسول الله صلى الله عليه وآله بالحسن
والحسين وهو حاملهما على مجلس من مجالس الأنصار فقالوا: يا رسول الله نعمت المطيه
قال: ونعم الراكبان))

٢٣. حدثنا عفان قال ثنا وهيب عن عبد الله بن عثمان عن سعيد بن أبى راشد

عن يعلى العامرى أنه ((خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى طعام دعوا له، فإذا حسين يلعب

مع الغلمان فى الطريق فاستقبل أمام القوم ثم بسط يده وطفق الصبى يفر هاهنا مره

وهاهنا، وجعل رسول الله يضاحكه حتى أخذه رسول الله فجعل إحدى يديه تحت ذقنه

والأخرى تحت قفاه ثم أقنع رأسه رسول الله فوضع فاه على فيه فقبله فقال: حسين منى

وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حين سبط من الأسباط)).(۱)

وفى شرح النووى على صحيح مسلم

۲۴۲۲ حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا ابى حدثنا شعبه عن عدى وهو ابن ثابت

حدثنا البراء بن عازب قال: ((رأيت الحسن بن على على عاتق النبى صلى الله عليه وآله وهويقول: اللهم

إنى أحبه فأحبه))

۲۴۲۲ حدثنا محمد بن بشار وأبو بكر بن نافع قال ابن نافع حدثنا غندر حدثنا

ثعبه عن عدى وهو ابن ثابت عن البراء قال: ((رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله واضعا الحسن بن

على على عاتقه وهويقول: اللهم إنى أحبه فأحبه)) (۲)

وفى صحيح مسلم: حدثنى أحمد بن حنبل حدثنا سفيان بن عيينه حدثنى عبيد الله

بن ابى يزيد عن نافع بن جبير عن أبى هريره ((عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال لحسن: اللهم إنى

أحبه فأحبه وأحبب من يحبه))(۳)

وفى حليه الأولياء

۱- المصنف، عبد الله بن محمد بن ابى شيبه،ج۷، ص: ۵۱۵

۲- شرح النووى على مسلم،يحيى بن شرف أبو زكريا النووى، حديث ۲۴۲۲

۳- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، دار إحياء الكتب العربيه، سنه النشر: بلا، خمسه أجزاء، باب فضائل الحسن والحسين رضى الله عنهما، حديث ۲۴۲۱

۱ . حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا یوسف بن حبیب، حدثنا أبو داود، حدثنا شعبه، عن عدی بن ثابت، قال: سمعت البراء یقول: ((رأیت النبی صلی الله علیه وآله واضعا الحسن علی عاتقه، فقال: من أحبنی فلیحبه. رواه اشعث بن سوار وفضیل بن مرزوق عن عدی مثله)).

۲ . حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسی، حدثنا خلاد بن یحیی، حدثنا هشام بن سعد، حدثنی نعیم، قال: قال لی أبو هریره: ((ما رأیت الحسن قط إلا فاضت عینای دموعا، وذلک أنه أتی یوما یشتد حتی قعد فی حجر رسول الله صلی الله علیه وآله فجعل یقول بیدیه هکذا فی لحیه رسول الله ورسول الله صلی الله علیه وآله یفتح فمه ثم یدخل فمه فی فمه ویقول: اللهم إنی أحبه فأحبه، یقولها ثلاث مرات))(۱)

ولو أردنا المواصله والمتابعه وحمع الأحادیث الداله علی مکانه ومنزله الحسن بن علی علیهما السلام من کتب مدرسه الخلفاء وحدها لما وسعتنا المجلدات الطوال، ولکنی اکتفی بما تقدم فهو خیر دلیل علی أن السیاسیین لم یأبهوا بکل هذه الأحادیث، ولم یلتزموا بها، وإنما حاربوا وقتلوا الإمام الحسن علیه السلام وجاء من بعدهم أبناؤهم واحفادهم فدافعوا عمن کره وقاتل الإمام الحسن علیه السلام ومن فرح بموته وجهل منزلته وفق ازدواجیه مقیته لا یستقیم معها العدل والإنصاف بله الإیمان والتصدیق.

۱- حلیه الأولیاء وطبقات الأصفیاء،الإمام الحافظ أبو نعیم الأصبهانی، ص ۳۵، حدیث ۱۳۲

فرح السياسيين بموته

إن شخصا بمثل مواصفات الإمام الحسن عليه السلام المقدسه ومنزلته الفريده ما كان للأمه أن تفرط به لو كانت حقا مدركه لمعنى الرساله وقيم السماء؛ فالإمام الحسن عليه السلام أنموذج مائز للإنسان الفريد المنتفى بعنايه الرب سبحانه لم تجد الأيام بمثله إلا فى نادر الندره ثم عقمت؛ ولن تتكرر نسخته إلى أبد الآبدين، ولكن السياسيين وأعوانهم من المتزلفين، فضلا عن خدمهم من وعاظ السلاطين اجتمعوا سويه وخلخلوا وخلطوا صافى منظومه فكر الإنسان المسلم البسيط الساذج الأول؛ وهى لما تزل طريه يانعه لم تتضج بعد، تتصارع مع قيم البداوه وسنن الجاهليه وعنت العرف العشائرى وما اكتسبته من قسوه الطبيعه و شظف العيش وهى العوامل المانعه المضاده التى كانت لا تزال تعشش فى أركان كيانه، فخدعوه وحرفوا مساره وأوقفوا مسيرته نحو المعرفه الساميه التى جاءت بها الرساله المحمديه؛ ليضخوا فى كيانه معرفه من نوع آخر محت جوهر البراءه من روحه وحولته إلى نصف آدمى ونصف شيطان؛ فما عاد يحسب للنبوه وفروعها حسابا سواء ظلمت أمام عينيه أو أسهم هو أيضا فى ظلمها، وهى الساعه التى تحكمت الازدواجيه فيها بفكر الأمه وأوصلتها إلى مرحله السجود شكرا لله لموت الحسن بن على بن أبى طالب عليهما السلام سيد شباب أهل الجنه الذى جعله الله للناس إماما وأمنا!!

ولذا ترى التاريخ ينقل عن معاويه أنه حينما جاءه خبر موت الحسن عليه السلام سجد وكبر وأعلن الفرح والسرور؛ وروت أغلب المصادر ارتفاع صوت الفرحه من قصر

معاويه بقتل الإمام الحسن عليه السلام! ففى وفيات الأعيان لابن خلكان،ج۲، ص۶۶: ((ولما

كتب مروان إلى معاويه بشكاته كتب إليه: أن أقبل المطى إلى بخبر الحسن، ولما بلغه موته

سمع تكبيراً من القصر، فكبر أهل الشام لذلك التكبير! فقالت فاخته زوجه معاويه:

أقر الله عينك يا أمير المؤمنين ما الذى كبرت له؟ قال: مات الحسن. قالت: أعلى موت

ابن فاطمه تكبر؟)(۱)

وفى أخبارالدوله العباسيه/ ۴۲ :((عن معمر عن إدريس ومحمدبن إسحاق قال:

ثم إن مروان بن الحكم كتب إلى معاويه يخبره بمرض الحسن بن على عليه السلام وأنه رأى أن به

السل! فكتب إليه معاويه: لا تغيبنى خبره يوماً فكان يأتى خبره معاويه كل يوم! فقال

رجل من قريش: إنى لفى الباب فى اليوم الذى جاء فيه نعى الحسن بن على عليه السلام إذ مر

يزيد بن معاويه داخلاً على أبيه فأدخلنى فما مر بباب إلا قالوا: مرحباً بابن أمير المؤمنين

حتى انتهى إلى البيت الذى فيه معاويه، وإذا امرأته بنت قرظه تعطره وتسرح لحيته،

فلما رأتنا امرأته قالت: واسوأتاه أتدخل علينا الرجال؟ فقال لها: أسكتى وإلا عزمت

على أمير المؤمنين أن يتزوج أربع قرشيات كلهن يأتين بغلام يبايع له بالخلافه! فقال لها

معاويه: أسكتى فلو عزم على يزيد لم أجد بداً من إنفاذ عزيمته! فقامت فلم تقدر على

النهوض حتى وضعت يدها على الأرض ثم ارتفعت، فلما ولت قال معاويه: ما كنا

لنغيرها. قال يزيد: وما كنت لأعزم عليك، إنما قلت ما قلت لأذعرها! فإنا كذلك؛

إذ دخل شيخ طوال كان على الصائفه فسأله معاويه عن أمر الناس والجند، فبينا نحن

كذلك إذ دخل غلام معاويه فقال: يا أمير المؤمنين بشراى! قال: وما ذلك؟ قال: فى هذه

الصحيفه ما تحب. قال: لك بشرال، فدفعها إليه ولما قرأها خر ساجداً ثم رفع رأسه،

۱- فرح معـــــاويه بقتلــــه للإمـــــام الحســـــن عليـــــه الســـــلام، موقــــع ســـــماحه الشـــــيخ على الكـــــورانى،
http://www.alameli.net/books/index.php?id=۲۸۴۲

...

فعرفنا السرور فی وجهه فنعی الحسن بن علی، فبکی الشیخ وانتحب و وضع یده علی

(فمه) ینتحب فقال له الغلام: أسکت أیها الشیخ فقد شققت علی أمیر المؤمنین! هل

الحسن إلا أحد رجلین: إما منافق أراح الله منه، وإما بر فما عند الله خیر للأبرار! ثم إن

معاویه قال لحاجبه: إئذن للناس وأخر إذن ابن عباس..))(۱)

وفی الإمامه والسیاسه لابن قتیبه:۱۵۰/۱: ((فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً،

حتی سجد وسجد من کان معه، فبلغ ذلک عبد الله بن عباس وکان بالشام یومئذ فدخل

علی معاویه، فلما جلس قال معاویه: یا بن عباس هلک الحسن بن علی، فقال ابن عباس:

نعم هلک، إنا لله وإنا إلیه راجعون، ترجیعا مکرراً، وقد بلغنی الذی أظهرت من الفرح

والسرور لوفاته! أما والله ما سد جده حفرتک، ولا زاد نقصان أجله فی عمرک، ولقد

مات وهو خیر منک ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن کان خیراً منه، جده رسول الله صلی الله علیه و آله. فجبر الله مصیبته وخلف علینا من بعده أحسن الخلافه. ثم شهق ابن عباس وبکی،

وبکی من حضر المجلس)). ونحوه تاریخ دمشق:۱۳/۲۹۵، ومروج الذهب۶۶۱ (۲)

ص :۳۰۵

۱- المصدر نفسه

۲- المصدر نفسه

عدم احترام منزلته

من المفروض بالأمه تبعا لما وصلها من الأحاديث الصحيحه والحسان والمتواتره أن لا تفرح بموت الحسن عليه السلام، وإنما كان يجب أن تكون للإمام منزله فی الأقل عند معاصريه لا يرقى إليها الراقون، ولا يبلغها المتسلقون؛ طالما أنهم سمعوا أخبارها من فم النبی صلی الله عليه و آله أو من فم من سمعها عنه. كما يتوجب على الأمه التی تحب رسولها أن تحترم تلك الأوامر وتعمل بها وتطبقها حرفيا مثل أی تعليم أو أمر آخر صادرعنه صلی الله عليه و آله ولكنهم ضربوا بها عرض الحائط ولم يكتفوا بمحاربه الحسن عليه السلام وقتله ومع تجديده العهد مع جده صلی الله عليه و آله ثم عمدوا إلى هدم قبره وإنما شوهوا سيرته العطره وأساءوا له وللإسلام ولنبی الإسلام. إن كرههم لآل البيت يتنافى مع كل تلك الروايات ويتنافى مع ما جاء فی خصائص النسائی: ((أخبرنا القاسم بن دينار قال: حدثنا خالد بن مخلد قال: حدثنا موسى (وهو ابن يعقوب الزمعی) عن عبد الله بن أبی بكر بن زيد بن المهاجر قال: أخبرنی مسلم بن أبی سهل النبال قال: اخبرنی الحسن بن أسامه بن زيد بن الحارثه قال: اخبرنی أسامه بن زيد قال: طرقت رسول الله صلی الله عليه و آله ليله لبعض الحاجه فخرج وهو مشتمل على شیء لا أدری ما هو، فلما فرغت من حاجتی قلت: ما هذا الذی أنت مشتمل عليه؟ فكشفه، فإذا هو الحسن والحسين على وركيه فقال: هذان ابنای وابنا بنتی، اللهم إنك تعلم أنی أحبهما فأحبهما))(۱) نعم لم يشفع له ذلك كله، ولم يشفع له شبهه بالنبی صلی الله عليه و اله.

۱- تهذيب خصائص الإمام علی؛أبی عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائی، باب (ذكر ما خص به علی بن أبی طالب كرم الله وجهه من الحسن والحسين ابنی رسول الله صلی الله عليه و آله وريحانته من الدنيا وسيدی شباب أهل الجنه إلا عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليه السلام)، ص ۱۰۹ - ۱۱۰، حديث ۱۳۴

لم يشفع له شبهه بالنبى صلى الله عليه و آله

من المعروف بين العامه والخاصه أن (ألف عين لأجل عين تكرم) وللعرب

والمسلمين فى ذلك قصص وروايات ومواقف وحكايات، وكانوا يحبون الديار والمناطق

إكراما لعيون من يحبونه، قال شاعرهم:

وما حب الديار شغلن قلبى ولكن حب من سكن الديار

بل إنهم إكراما لمن يحبونه كانوا يسمون أبناءهم باسمه ويكنوهم بكنيته، ويحبون

ويحترمون من يشبه واحدا من آبائهم أو أجدادهم؛ والمفروض أن تكون هذه السجيه

عامه شامله فى كل الحالات، ولكنك للأسف تجد الانتقائيه والتمييز واضحا وبشكل

كبير بسبب الخلاف السياسى والعداء العقيدى، فالمعروف أن الإمام الحسن عليه السلام كان

أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه و آله وإكراما للرسول كان يحب أن يكرم شبيهه، ولكنهم لم

يحترموا الشبه لأنهم أساسا لم يكونوا يحترمون الأصل، مع أنهم لم يختلعوا بشأن الشبه

ولم يعترضوا عليه، بل لهم أحاديث كثيره جدا تتناول موضوع شبه الحسن عليه السلام بجده

النبى صلى الله عليه و آله، منها:

((عن إسماعيل بن أو خالد قال: مشيت مع أو جحيفه إلى الجمعه قال: رأيت

رسول الله وكان الحسن بن على يشبهه))(۱)

((عن الزهرى قال أخبرنى أنس بن مالك قال: كان أشبههم برسول الله يعنى أهل

۱- الدولابى مصدر السابق ص ۷۰ حديث رقم ۱۰۶

البیت الحسن بن علی))(۱)

((عن أبی إسحاق عن هانیء بن هانیء عن علی، قال: أشبه الحسن رسول الله ما بین

الصدر إلی الرأس....))(۲)

((وروی إبراهیم بن علی الرافعی عن أبیه، عن جدته زینب بنت أبی رافع قالت:

أتت فاطمه علیها السلام بابنیها الحسن والحسین علیهم السلام إلی رسول الله صلی الله علیه و آله فی شکواه التی توفی

فیها فقالت: یا رسول الله، هنان ابناک فورثهما شیئاً. فقال: أما الحسن فإن له هیبتی

وسؤددی، وأما الحسین فإن له جودی وشجاعتی)).

ویصدق هذا الخبر ما رواه محمد بن إسحاق قال: ((ما بلغ أحد من الشرف بعد

رسول الله صلی الله علیه و آله ما بلغ الحسن بن علی، کان یبسط له علی باب داره، فإذا خرج و جلس

انقطع الطریق فما مر أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بیته فمر الناس،

ولقد رأیته فی طریق مکه نزل عن راحلته فمشی فما من خلق الله أحد إلا نزل ومشی،

حتی رأیت سعد ابن أبی وقاص قد نزل ومشی إلی جنبه))(۳)

وروی عن أنس بن مالک قال:((لم یکن أحد أشبه برسول الله صلی الله علیه و آله من الحسن بن

علی علیه السلام))

۱- المصدر نفسه، ص ۷۰، حدیث ۱۰۷. وقال فی الهامش: والحدیث أیضا صحیح فقد رواه عبد الرزاق (۲۰۹۸۴) ومن طریقه أحمد فی المسند (۱۶۴/۳) وفی القضائل (۱۳۶۹) ورواه أیضا أحمد (۱۹۹/۳) والبخاری (۷/ ۹۵) والترمذی (۳۷۷۶) والحاکم (۱۶۸/۳) کلهم من طریق معمر

۲- الدولابی، حدیث ۱۰۸ ص ۷۱

۳- مناقب ابن شهرآشوب،ج ۴ ، ص ۷. ینظر: إعلام الوری بأعلام الهدی، للشیخ الطبرسی، تحقیق مؤسسه آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث. (۴) ارشاد المفید ۲: ۵، صحیح البخاری ۵:۳۳، سنن الترمذی ۵: ۶۵۹ | ۳۷۷۶، تاریخ ابن عساکر- ترجمه الإمام الحسن ۲۸/ ۴۸ . ینظر: إعلام الوری بأعلام الهدی، للشیخ الطبرسی.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((إن الحسن ابنى أشبه برسول الله صلى الله عليه و آله ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين عليه السلام أسفل من ذلك))(۱)

وأسأل هنا: كم من رجال الأمه ونسائها تذكروا هذه الأحاديث وهم يرون معاويه يقود مائه ألف أو أكثر من أهل الشام ليهاجم عاصمه الخلافه الإسلاميه التى يسوس الناس فيها وفى باقى أقاليمها الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه و آله وهل طرأت على بالهم أو تذكروها، أم أن ذلك لم يحدث؟ وما أسباب غفلتهم يا ترى، هل هو كم الأحاديث المضاده الذى ضخوه ونشروه بين الناس، ام ماذا؟

واقعا نجد قباله الكم الكبير من الأحاديث الصحيحه المتفق عليها والتى أوردتها كتب المدرستين هناك من كذب على رسول الله غير ملتفت إلى تحذيراته، فسخر ملكته الشيطانيه فى وضع أحاديث عن فضائل عدو الحسن عليه السلام سعيا منه إلى معادله الكفه بين الحسن عليه السلام ذلك الطود الشامخ والجبل الأشم وبين معاويه تلك الحفره التى يطمرها و شل السيول وما تحمله مما مرت عليه فى طريقها!وهى أحاديث الافتراء على حبيب رسول الله صلى الله عليه و آله الإمام المعصوم الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام.

وكانت سياسه الحجب التى اتبعها السياسيون قد قادت من جاء بعدهم ولاسيما بعد أن أستنبطوا مصطلح(الخلافه الراشده) بعد عصر الخلافه بزمن إلى أن يشككوا فى احتساب مده خلافه الحسن عليه السلام من ضمن الخلافه الراشده بالرغم من كونها لم تتجاوز السته اشهر إلا بقليل

۱- صحيح الترمذى ۵: ۶۶۰ | ۳۷۷۹، مورد الضمآن بزوائد ابن حبان: ۵۵۳ | رقم ۲۲۳۵، تاريخ ابن عساكر ترجمه الإمام الحسن ۶۰ ۱۳۳. ينظر: إعلام الورى بأعلام الهدى، للشيخ الطبرسى

حجبهم الراشديه عنه

بالرغم من موقف الشيعه من الخلافه بعد وفاه النبی صلی الله علیه و آله؛ وموقفهم حتی من تسمیتها باسم الخلافه الراشده، وحدیثهم عن أصول الإمامه والاستخلاف التی یعتقدون بشرعیتها وصحتها دون سواها؛ بما یجعلهم غیر متحمسین لغیرها، ولا متباهین بمنزله ما هو دونها، إلا أن السیاسیین إیغالا منهم بالکره والعداء للحسن علیه السلام أنکروا أن یکون خامس الخلفاء الراشدین، ثم تجاوزوا عددا لا یستهان به من الخلفاء الأمویین(۱) حتی وصلوا إلی عمر بن عبد العزیز الذی حکم فی السنوات ۹۹- ۱۰۱ هجریه لیجعلوه خامس الخلفاء الراشدین خلافا لما أوردوه فی صحاحهم بأن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله حدد مده الخلافه من بعده بثلاثین عاماً وإشارته إلی أنها ستتحول بعد ذلک إلی ملک عضوض، کما فی الحدیث الذی رواه أحمد وأبو داود والنسائی والترمذی، وحسنه من طریق سعید بن جهمان عن سفینه أن رسول الله صلی الله علیه و آله قال: ((الخلافه بعدی ثلاثون سنه ثم تکون ملکاً))، ((وقد اشتملت هذه الثلاثون سنه علی خلافه أبی بکر الصدیق، وعمر

۱- تجاوزوا حسنا علیه السلام، ثم تجاوزوا کلا من: معاویه بن أبی سفیان الذی حکم تسع عشره سنه و ثمانیه أشهر توفی فی رجب سنه ۶۰ عن ۷۸عاما.. ویزید بن معاویه: حکم ثلاث سنین و ثمانیه أشهرتوفی فی ربیع الأول سنه ۶۴ عن۳۸عاما.. ومعاویه بن یزید: حکم أربعون یوما توفی فی سنه۶۴ عن۲۳عاما.. ومروان بن الحکم: حکم عشره أشهر توفی فی رمضان سنه ۶۵عن ۷۱عاما.. وعبدالملک بن مروان:حکم إحدی وعشرین سنه توفی فی شوال سنه ۸۶ عن ۶۰عاما.. والولید بن عبد الملک:حکم تسع سنین و ثمانیه أشهر توفی فی جمادی الآخره سنه ۹۶ عن ۴۸ عاما.. وسلیمان بن عبد الملک: حکم سنتان و ثمانیه أشهر توفی فی صفر سنه ۹۹ عن ۴۵ عاما.. ووصلوا إلی عمر بن عبد العزیز بن مروان: ومده حکمه سنتین وخمسه أشهر وتوفی فی رجب سنه ۱۰۱ عن ۴۰ عاما، فجعلوه خامس الخلفاء الراشدین. ولهم فی ذلک مغامره أخری عند حدیثهم عن حدیث رسول الله (الخلفاء بعدی اثنا عشر کلهم من قریش) حیث استخدموا نفس سیاسه القفز والتجاوز ولم یفلحوا لحد الآن فی إحصائهم.

الفاروق وعثمان الشهيد، وعلى بن أبى طالب الشهيد أيضاً، وكان ختامها وتمامها بسته

أشهر وليها الحسن بن على بعد أبيه، وعند تمام الثلاثين نزل عن الأمر لمعاويه بن أبى

سفيان سنه أربعين وأصفقت البيعه لمعاويه بن أبى سفيان وسمى ذلك عام الجماعه))(۱)

ولذا ترى بعضهم يجعل الحسن عليه السلام خامس الخلفاء الراشدين ويؤلف الكتب

لإثبات ذلك مثل (سن محمد كامل الملطاوى) الذى ألف كتاب (خامس الخلفاء

الراشدين الإمام الحسن بن على) والدكتور (على محمد الصلابى) الذى ألف كتاب

(سيره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على بن أبى طالب)

وترى بعضهم الآخر يجعله مجرد ثائر خسر حربه، فركبته الديون، فطمع بكرم

عدوه، فكاتبه وعقد معه الصلح على أن يسدد ديونه التى تراكمت عليه بسبب تبذيره

على الزواج والطلاق والهدايا، ولذا لا يمكن عده مع الراشدين!

ولتبيان التناقض الكبير أورد من مركز الفتوى فى السعوديه ما ورد فى الفتوى

المرقمه: ۹۷۴۱۱ جوابا على سؤال: (من هو خامس خلفاء الراشدين حيث إن المشهور

أنه عمر بن عبد العزيز، ولكنى قرأت مؤخراً أنه الحسن بن على بن أبى طالب ومن خلفه

معاويه فمتى تولى عمر بن عبد العزيز الحكم؟)

الفتوى:

ا(أما بعد: فالخليفه الراشد الخامس هو الحسن بن على عليه السلام، ولا شك أن معاويه

وعمر بن عبد العزيز كانا عادلين راشدين))(۲)

ثم أردفوا قائلين: ((أما خلافه الحسن فقد ثبت عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: الخلافه فى

۱- ينظر النهايه فى الفتن والملاحم لابن كثير، ص ۴

٢- مركز الإفتاء السعودى

أمتى ثلاثون سته، ثم يكون بعد ذلك الملك... رواه أحمد والترمذى. قال الحافظ فى الفتح: والمراد به خلافه النبوه. وقال القاضى: المراد بها الخلافه التى لا يشوبها ملك بعده. وقال بن أبى العز شرح الطحاويه: كانت خلافه أبى بكر سنتين وثلاثه شهر، وخلافه عمر عين سنين ونصفاً، وخلافه عثمان اثنتى عشر سنه، وخلافه على أربع سنين وتسعه أشهر، وخلافه الحسن سته أشهر، وأول ملوك المسلمين معاويه، وهوخير ملوك المسلمين. وقال ابن كثير فى البدايه والنهايه:... وتكميل الثلاثين بخلافه الحسن بن على نحواً من سته أشهر حتى نزل عنها لمعاويه عام أربعين. انتهى.

فأما معاويه فهو خير ملوك المسلمين كما مر معنا فى كلام أبى العز، حتى قال الأعمش: لو رأيتم معاويه لقلتم إنه المهدى. وقد ذكر عند الأعمش عمر بن عبد العزيز فقال: كيف لو أدركتم معاويه؟! قالوا: فى حلمه؟ قال: لا والله؛ بل فى عدله. ومع ذلك فإن حكمه لا يعتبر خلافه نبويه لأنه شابه ملك، قال شيخ الإسلام ابن تيميه فى مجموع الفتاوى عن خلافه معاويه: وخلافه معاويه قد شابها الملك، وليس هذا قادحاً فى خلافته، كما أن ملك سليمان لم يقدح فى نبوته... وهذا يقتضى أن ثوب الخلافه بالملك جائز فى شريعتنا، وأن ذلك لا ينافى العدل؛ وإن كانت الخلافه المحضه أفضل.

وأما عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) فقد تولى الحكم سنه ۹۹ هـ. وقد كان عادلاً عالماً ورعاً زاهداً، وقد سماه كثير من العلماء الخليفه الخامس لأنه جاء فى زمن ابتعد الولاه فيه عن الهدى النبوى فى الحكم وعن سيره الخلفاء الراشدين فجدد مسيرتهم، أو لعله لقله فتره خلافه الحسن عليه السلام، ولاضطر اب أمر المسلمين فى هذه الفتره))(۱)...

۱- مركز الفتـــــوى الســـــعودى الرابـــــط http://www.islamweb.net/fatwa/indox.php?

page=showfatwaOption=FatwaIdId=٩٧٤١١

والذی أراه أن هذا التدلیس لا یحتاج إلی شرح وتوضیح، فهو واضح والدس فیه مفضوح والخلط المتعمد لا یمکن أن یمر حتی علی بسطاء الناس.

ولکنهم حتی مع کل تلک المحاولات للالتفاف علی الحقیقه تجدهم فی أحادیثهم العامه یتجاوزون الحسن وینسون خلافته الراشده بالرغم من أنه لم یکن بحاجه إلیها؛ لیثبتوا بأن عمر بن عبد العزیز هو خامس الخلفاء الراشدین ولا أحد غیره! کما فی قول الکرکیت عن عمر بن عبد العزیز:((هو خامس الخلفاء الراشدین، وعلی الرغم من أنه لم یتول الخلافه بعد سیدنا علی علیه السلام، إلا أنه یعتبر خامس الخلفاء الراشدین، حیث لم تشهد الدوله الإسلامیه بعد علی إلا نهایه للخلافه الراشده، وانتقال الدوله الإسلامیه إلی دوله تتنازعها الأهواء، وتبعد بها عن الطریق الحق. وجاءت تولیه عمر بن عبد العزیز، وإعزاز الإسلام به، وتقدم الدوله الإسلامیه فی عهده، والمآثر التی حدثت علی یدیه، فجعلت منه بحق خامس الخلفاء الراشدین))(۱)

أما من لم یتجاوز الحسن وجعله فی کفه واحده مع عمر بن عبد العزیز فقد تأول لیوسح مکانا لمعاویه أیضا، فما الضیر فی أن یکون معاویه معهم فی الکفه نفسها حتی ولو أصبحوا أکثر من خمسه؟ ما الضیر أن یکون معاویه خامس أو سادس الخلفاء الراشدین؟ ألم یجعله شاعرهم (أعشی بنی ربیعه) رابعا بعد أن أسقط خلافه علی بن طالب علیه السلام کما فی قصیدته التی أوردها الجاحظ فی البیان والتبیین، والتی قال فیها:

((وکان الخلائف بعد الرسول لله کلهم خاشعا

شهیدین من بعد صدیقهموکان ابن صخر هو الرابعا

وکان ابنه بعده خامساطیعا لمن قبله سامعا

١- موقع طارق الكركيت الرابط: http://alkarket.maktoobblog.com

و مروان سادس من قد مضى و كان ابنه بعده سابعا

و بشر يدافع عبد العزيز مضى ثامناً ذا و ذا تاسعا

و أيهم ما يكن سائساً لها لم يكن أمرها ضائعا

فأما ترينى حليف العصا فما كنت من رثيه خامعا

فساونى الدهر ختى اشترى شبابى و كنت له مانعا))(١)

إنهم هكذا يفكرون، وهكذا يستهينون بالعقل المسلم، وهكذا يريدون الناس أن تفكر، أو فى الأقل هكذا يريدون أن يفكروا نيابه عن الناس ثم يجبرونهم على الإيمان بما توصلوا إليه؛ فيصادرون فكرهم وحقهم، ولهذا، ووفق منطق الجدل الافلاطونى وبعيدا عن هيمان الشعراء فى الوديان سعى بعضهم حقا وحقيقه ليجعل من معاويه خامسا للخلفاء الراشدين، كما فى قول الدكتور على محمد الصلابى بعد أن تحدث عن أمتداد مرحله الخلفاء الاثنى عشر من قريش الذين عناهم الحديث النبوى، وقال أنها غير محدده بزمن وتمتد إلى آخر الزمان، وبناء عليه قال: ((وقد ذكر ابن كثير أن من خلفاء هذه المرحله عمر بن عبد العزيز. ولما كان معاويه أفضل من عمر بن عبد العزيز، فهذا يعنى دخول معاويه فى خلفاء هذه المرحله))(٢)

هكذا بكل بساطه، وبهذا المنطق الفج يدخل الناس إلى سله الخلافه الراشده ويخرجوا منها دونما عناء، وما ذاك سوى إستهانه بالعقل المسلم وبالعقيده والتاريخ والقيم كلها، والغريب أن البحث فى شبكه الانترنيت يقودك إلى مئات الدراسات والمقالات التى تتفق مع هذه الآراء الفارغه بما يؤكد أن هناك من يزن بميزانين.

وتأتى هذه المماحكه بالرغم من وجود الكثير من الباحثين الذى استندوا إلى

١- هذه الأبيات تنسب لكثير عزه أيضاً، ولكن نسبتها للأعشى اصح والجاحظ ثقه
٢- سيره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين، على محمد الصلابى، ص ٣٤٣

أحاديث فى صحاحهم تتحدث عن وجود خلافه راشده تمتد من تاريخ وفاه النبى صلى الله عليه و آله ولمده ثلاثين عاما، ثم لما حسبوا المده وجدوها تغطى حكم أبابكر وعمر وعثمان، وعد بعضهم حقبه حكم الإمام على عليه السلام من ضمنها، وعدها آخرون خارجه عنها، وأخرا مده الأشهر السته التى حكم فيها الإمام الحسن قبل أن يتصالح مع معاويه، وقد قال الصلابى بعد أن نصب نفسه حكما يثبت وينفى كيفما يشاء: ((وأثبت بأن خلافته كانت راشده حقه لأن مدته فى الحكم كانت تتمه لمده الخلافه الراشده التى أخبر النبى صلى الله عليه و آله أن مدتها ثلاثون سنه ثم تصير ملكا))(۱)

هنا أريد التنويه إلى أن الدفع عن راشديه الحسن عليه السلام لم يأت حبا به وتبجيلا لمقامه؛ وإنما جاء لكى تمرر مثل هذه الطبخات، ولكى يمرر محتوى حديث الخلفاء من بعدى ومضمونه وفق معاييرهم وحسب فهمهم، وهو محتوى ومضمون تختلف معه مدرستنا وتعتبره تجاوزا على حقوق شرعيه الإمامه والاستخلاف الشرعيين، ويؤكد لك هذا التلون فى تمرير المشاريع درجه الوعى السياسى عند السياسيين العرب المسلمين عن طريق خلط الأوراق.

۱- سيره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، الدكتور على محمد الصلابى،ص ۹

وتمكنت السياسه من خلط ألأوراق بشأن خُلق الإمام

روج أحفاد الفصيل السياسى فى كتبهم ومقالاتهم وأحاديثهم بأن الإمام الحسن عليه السلام كان رجلاً مسالماً، ولا باع له فى الحرب والقتال حقا أو باطلا، وقد خلطوا فى هذا الأمر كثيرا، فمن ناحيه يروون بأنه شارك فى حروب الفتح، وهى القريه التى فندناها من قبل. ومن ناحيه أخرى يروون أمثله عن حب الإمام عليه السلام لسلم ونبذه للفتنه والخصام والنزاع، يقول السيوطى: ((أخرج ابن سعد عن عمر بن اسحاق قال: ما تكلم عندى أحد كان أحب إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن على وما سمعت منه كلمه فحش قط إلا مره فإنه كان بين الحسن وعمرو بن عثمان خصومه فى أرض فعرض الحسن أمرا لم يرضه عمرو، فقال الحسن: فليس له عندنا إلا ما رغم أنفه، قال: فهذه أشد كلمه فحش سمعتها منه))(١)

وقال السيوطى أيضا: ((وأخرج ابن سعد عن عمير بن اسحاق قال: كان مروان أمرا علينا فكان يسب عليا كل جمعه على المنبر وحسن يسمع فلا يرد شيئا ثم أرسل إليه رجلا يقول له: بعلى وبعلى وبغلى وبك وبك، وما وجدت مثلك إلا مثل بغله يقال لها: من أبوك؟ فتقول: أمى الفرس. فقال له الحسن: ارجع إليه فقل له: إنى والله لا أمجحو عنك شيئا مما قلت بأن أسبك، ولكن موعدى وموعدك الله، فإن كنت صادقا جزاك الله بصدقك، وإن كنت كاذبا فالله أشد نقمه)(٢)

١- تاريخ السيوطى ص ١٩٠

٢- تاريخ السيوطى ص ١٩٠

وهم فی إدعائهم هذا لا یریدون مدح الحسن بقدر کوتهم یسعون إلی الإیغال فی تشویه مدائحه، وإلا بماذا نفسر قول الطبری: ((وکان الحسن لا یری القتال ولکنه یرید أن یأخذ لنفسه ما استطع من معاویه ثم یدخل فی الجماعه))؟(۱) هکذا، وکأن الحسن علیه السلام بنظرهم مجرد نصاب یبحث عن المنافع الدنیویه ویستغل الفرص لتحقیق الأرباح المادیه، فهل یتساوق حدیثهم هذا مع کل تلک الأحادیث عن منزله الإمام الحسن علیه السلام وعلو شأنه؟

۱- تاریخ الطبری،ج۳، ص ۹۴۱

الفصل السادس السیاسه الدینیه

اشاره

ص :۳۲۱

بعد الحديث الطويل عن سياسه الإسلاميين العرب يجب أن نتحدث عن الجبهه الأخرى جبهه وسياسه العقائديين المسلمين العرب ورجال سياسه الإسلام الذين كان همهم نشر الدين وإعلاء شأنه لأنهم الجبهه التى تقصدتها جبهه السياسيين الدنيويين وحاربتها ونالت منها وعملت على تقويضها بكل ما أتيح لها أملا منها فى إطفاء أنوار الامامه التى كانت تشع على الأمه وتلهمها الايمان؛ وقد تكون فكره محاوله إطفاء أنوار الإمامه المعصومه من أشهر ما يعتقده أهلنا نظرا للمحاولات الجاده والخطره التى مورست من أجل تحقيق هذا الهدف عبر التاريخ مع كل أئمه أهل البيت المعصومين عليهم السلام، ويكفى أن نعرف أن هذا العمل مورس حتى مع الأئمه المتأخرين وصولا إلى الإمامين على بن محمد الهادى والحسن بن على العسكرى وقد جاء فى أصول الكافى عن محمد بن يحيى عن صالح بن سعيد قال: ((دخلت على أبى الحسن عليه السلام فقلت له: جعلت فداك فى كل الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك....))(۱)

ولأن كتابنا هذا قد تم وضعه للحديث عن الإمام الحسن عليه السلام بوجه خاص لذا لن أتطرق إلى تعامل النبى صلى الله عليه و آله والإمام على عليه السلام مع السياسيين وردهم عليهم فما أوردته فى القسم الأول من الكتاب يكفى لتوضيح المقاصد، وسأوقف هذا القسم للحديث عن تعامل الإمام الحسن بسياسته الدينيه مع تلك السياسه وموقف السياسه منه ومن الإسلام والمسلمين.

۱- أصول الكافى، باب مولد أبى الحسن على بن محمد عليه السلام، ص ۳۸۱،ج ۱ ،حديث رقم ۲

وقبل الحديث عن مراحل حياه الإمام الحسن علیه السلام أود أن أبين أنه من المسلم بشأنه

فی مدرستنا أن أئمه أهل البيت عليهم السلام تميزوا عن باقی المسلمين بأنهم من (المخلصين)

الـذين نزههم الله سـبحانه وتعالی عن الـدنس والقـذر والرجس بنص القرآن ((انما يريـد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيراً))وهم كانوا يعرفون أنفسهم

حق معرفتها ويعرفون منزلتهم عند الله وعند الناس. وكانوا يدعون أتباعهم لكی

يعرفوا أنفسهم أيضا ويمتحنوا ذواتهم، لأن الأئمه موقنون بأن المعرفه مقدمه علی ما

سواها، والمعرفه هی التی تؤدی إلی معرفه الذات كما فی قول أمير المؤمنين علی عليه السلام:

غايه المعرفه أن يعرف المرء نفسه)) وقوله الآخر: معرفه النفس انفع المعارف))

فمعرفه الذات هی التی تؤدی إلی معرفه الله سبحانه وتعالی والإيمان به، فالذات أو

النفس هی القيمه العليا التی جعلها الله آيه ((سنريهم ءايتنا فی الافاق و فی انفسهم حتی يتبين لهم أنه الحق))(۱) جعلها آيه لتدل عليه وتهدی إلی الإيمان به، كما فی قول

رسول الله صلی الله عليه و آله ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) وهو ما ترجمه الإمام علی عليه السلام بقوله:

((الفوز الأكبر من ظفر بمعرفه نفسه)) فالجهل بالنفس يحول بين المرء والإيمان ولذا ثبت

عن علی عليه السلام، قوله: ((عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه)).

وما من إمام من أئمه أهل البيت عليهم السلام و إلا وتجد له عشرات الأقوال التی تحث علی

معرفه النفس والبحث عنها وكأنها ضاله كأی ضاله عزيزه أخری هديا بقول وأمير

المؤمنين علی عليه السلام قال: عجبت لمن ينشد ضالته وقد أضل نفسه فلا يطلبها))

يقول الشيخ موسی: ومعرفه النفس عمل جليل إلی أبعد الحدود، فإذا وفق الله

الإنسان كان لابد وأن يتخن لنفسه هدفاً يتناسب مع جلاله قدره وعلو منزلته فلا يقلد

۱- فصلت،۵۳

الحیوانات فی إشباع الملذات واحراف الشهوات... وأقرب طریق إلی تحدید الهدف هو

أن ینظر الإنسان إلی واقعه ویرسم الخطه علی أساس سلیم ویتعرف علی حاجات من

حوله ویوفق بین واقعه ومطالبه حتی لا یصدم فی أول الطریق أو فی منتصفه فإذا کان

ساذجاً أو قاصر النظر فوف یغلب علی أمره بل ربما یقف مقهوراً ولا یکمل طریقه،

وهذا أمر خطیر لا یوصل إلی غایه، وربما یلقی بصاحبه إلی مواطن الزلل ویطرحه فی

مطارح لایتوقعها(۱)

إن حیاه التی تبنی وفق هذه المواصفات لا یمکن إلا أن تکون فی منتهی الرفعه

والسمو والعظمه، وعملیاً وعلمیاً یمکن تقسیم حیاه الإمام الحسن علیه السلام إلی ثلاث

مراحل متداخله، وهی:

• مرحله المعصومیه التی امتدت علی طول عمره الشریف منذ ولادته ولحین

استشهاده.

• مرحله المعصومیه القیادیه التی امتدت علی مدی تسع سنین وأشهر منذ الیوم

الأول لاستشهاد الإمام علی علیه السلام وتولیه الإمامه نیابه عن أبیه، ولحین استشهاده

بالسم.

• مرحله الخلافه والإمامه القائده المتممه لخلافه علی علیه السلام وامتدت علی مدی

سته أشهر وأیام انتهت بالصلح مع معاویه.

هذه المراحل بمجموعها امتدت علی مدی سع أو تسع وأربعین عاما من الجهاد

المتواصل المریر، وهی مجمل حیاه الإمام الحسن علیه السلام، ومن المؤکد أن فی کل ساعه بل فی

۱- حلیم آل البیت الحسن بن علی، الشیخ موسی محمد علی، ط۲،عالم الکتب، بیروت، ۱۴۰۱۹۸۴۵م، ص۲۶

كل دقيقه من هذا العمر الزاخر بالعطاء كانت هناك مواقف جهاديه وعباديه وتعليميه وإرشاديه وتفقيهيه وتثقيفيه، لكن كم واحد منا يعرف عنها ولو نزراً يسيراً؟ كم واحد منا يعرف دور الإمام الحسن فى حياه جده النبى صلى الله عليه و آله، وفى حياه أبيه الإمام على عليه السلام، وفى مرحله جهاده للبغاه، وفى الذين التسع التى قضاها فى المدينه المنوره بعد الصلح؟

ودونا عن كل تلك المراحل المفعمه بالحراك، كانت مرحله ما بعد الصلح من أكثرها حاجه للدرس والبحث، ولكننا وللاسف الشديد طوينا دونها كشحاً؛ وأشحنا بوجهنا عنها، ولا نكاد نذكرها إلا فى حال الاضطرار، هذا إذا كنا نملك عنها شيئاً نتحدث عنه، فتحولت إلى مساحه سوداء معتمه، الرؤيا فيها معدومه،وأخبارها مجهوله، والحديث عنها سر من أسرار العيب.

وعلى خلاف ذلك وجهنا بعضاً يسراً من اهتمامنا إلى مرحله الخلافه والصلح التى كانت بمجموعها أقل من حمل امرأه، فأوليناها بعضا من جهدنا، وقسماً صغيراً من نشاطنا، واليسير من اهتمامنا، فطفت أحداثها على أحداث كل حياته الشريفه، وغطت رواياتها على كل مراحل جهاده، والأشد نكايه أن هناك بيننا من نظر إلى هذه المرحله نظره سلبيه بارده حولت العلاقه بينه وبين الإمام عليه السلام إلى علاقه بارده سالبه؛ وهذا أمر خطر يجب تداركه، لأن أئمه أهل البيت عليهم السلام المعصومين وحده واحده متكامله متناقله تتناقل الأدوار فيما بينهم لتتماهى مع المرحله التى يعيش فيها كل منهم.

إن شخصيات الأئمه المعصومين عليهم السلام ليست شخصيات انفراديه تخصصيه، بل هى شخصيات متواصله مع الرساله ومحيطها ومع حياه المجتمع وليس فيهم من له حياته الخاصه بمفهومها العام، وإلا ففى المفهوم الخاص لهم حياتهم الخاصه؛ فتزوجوا وخلفوا وأكلوا وعاشوا وماتوا، أما حياتهم العامه فكانت فى تبادل ادوار مستمر مع…

من سبقهم من المعصومين مع خصوصيه تحايل المرحله وتهتم بفرادتها ودرجه الوعی الجمعی للأمه.

وفی مجمل هذه الحیاه القصیره المفعمه بالأحداث الساخنه کانت السیاسه الدنیویه هی سبب لکل النکبات التی وقعت فی حیاه الحسن علیه السلام، بالرغم من أنهم وجدوا من یتصدی لهم من قبل، حیث تصدی لهم النبی الأکرم صلی الله علیه و آله منذ الأیام الأولی للبعثه ولغایه انتقاله إلی الرفیق الأعلی وبشکل مستمر أمتد إلی أخریات حیاته، بل ولساعات قلیله قبل موته؛ فلما مات قام بدوره الإمام علی علیه السلام الذی تصدی لهم، وکانت له معهم وقائع فکریه وجدالیه حواریه ودمویه، فلماا استشهد جاء دور الإمام الحسن علیه السلام لیتصدی لکشف السیاسه والسیاسیین الدنیویین، وکان لهذا التصدی منهجه الذی یختلف کثیرا عن منهجی النبی صلی الله علیه و آله والوصی علیه السلام نظراً لکون السیاسیون کانوا فی هذه المرحله الحساسه أکثر قوه وخبره مما کانوا علیه من قبل، وکان الدعم الذی حصل علیه من تصدی لهم أقل من الدعم الذی حصل علیه من سبقوه، قضلا عن تغیر الظروف والآلیات التی استخدمها السیاسیون، وثبات الآلیات التی انتهجها الدینیون، لیس لأنهم لا یجیدون فن السیاسه وإنما لکونهم ملزمین ومأمورین بأداء ما حملوه؛ مع علمهم بنتائج ما یدور حتی قبل أن تقع وقائعه، والشواهد علی ذلک کثیره لا تحصی، قد یکون علم المستقبلیه من أهمها.

المستقبليه

وكما بدأنا كتابنا بالحديث عن العصبيه ودورها فى دعم السياسيين بوصفها واحده

من آليات عملهم المهمه جداً، سنبدأ خواتيمه بهذا المبحث الخاص بالمستقبليه والغيبيات

التى امتاز رسول الله وأئمه أهل البيت عليهم السلام بالحديث عنها والتعامل معها، بكل ما

تمثله من تقيد بالتعاليم والتزام بالمنهج وسير وفق الخطه التى رسمها الله للكون باعتبار

أن علوم المستقبليه تقف قباله نعره العصبيه المنفتحه على كل ما يمكن أن يحقق الغلبه؛

والتى رفعت السياسيين إلى كراسى الحكم. فما المستقبليه؟

واقعا لا يوجد بلد متطور معاصر إلا وتجد فيه مراكز حكوميه(١) وأهليه لدراسه

القضايا الإستراتيجيه المتصله عاده بالمتغيرات العالميه وانعكاساتها المحليه والاقليميه

والدوليه، نظراً لترابط المصالح واشتراك المصير.

إن حاله عدم الاستقرار التى يعيشها العالم اليوم لا تفتح مجالاً رحباً أمام الباحثين

عن الأمن والسلم والذين يأملون عيش حياه رغيده للبحث عن حلمهم، وبالتأكيد كان

الانسان السابق يعيش نفس الارهاصات ويشعر بنفس الخوف من المستقبل؛ ولذا كان

الإنسان ولا يزال يتمنى لو كان يعلم شيئا عن غيب المستقبل الذى ينتظره لكى يرتب

أولويات حياته تبعاً لذلك، وربما لهذا السبب كثرت حالات ظهور المتنبئين بالمستقبل

والفلكيين عبر التاريخ؛ لأن هناك دائماً من يرغب وبشده بمعرفه الأسرار التى يمكن أن

١- تجدها تحت مسميات مختلفه، منها: وحدات الدراسات المستقبليه، المراكز الدوليه للدراسات المستقبليه والاستراتيجيه، وغيرها

يجليها المتنبئون له، بسبب حاله القلق والغموض التى يمثلها المستقبل.

ولذا نلحظ أنه خلال حقبه الثمانينات والتسعينات من القرن الماضى تطور علم دراسات المستقبل (الباراسيكولوجى)، ليشمل مواضيع محدده المحتوى وجدولاً زمنياً للعمل ومنهجاً علمياً تجتمع سويه لتتحدث مع عالم اليوم، الذى يتسم بتغيير متسارع بات المستقبل معه أقرب مما يتصورون.

إن علم المستقبل يشير عاده إلى أن القادم ممكن تصوره من خلال مثال يوضح العلاقات والتشابكات لثلاثيه خالده تتكون أضلاعها من: الماضى والحاضر والمستقبل، ويبحث كذلك عن العلاقه بين أضلاع هذه الثلاثيه، فالمستقبل يرسمه الحاضر والحاضر نفسه كان مستقبل الماضى، ومعنى هذا أن علم المستقبليات أو الدراسات المستقبليه هو علم يختص بالمحتمل والممكن من المستقبل، من خلال السيناريو الذى يقترحه المتخصصون بهذا العلم، وبجانب الآشياء التى هى قليله الاحتمال ولكنها ذات تأثير كبير، فإنه دائما ما تتواجد احتماليه كبيره يجب عدم الاستهانه بها.

ويرى المتخصصون فى الدراسات المستقبليه أن من أهم نتاج العلم الحديث هو السيناريو المستقبلى الذى يقوم أساسا على دراسه الجدوى، وهذا يعنى السيطره على الخطه، إمكانيه استمراريتها، الوفاء بالتزاماتها الماديه، توفر القياده التقنيه والتغلب على العقبات الخارجيه التى قد توقف السيناريو فى إحدى مراحله، وفى نهايه المطاف فوائد السيناريو، وإذا ما كان من المجدى أن يتم إيقافه أو استمرار العمل به، رفع مستوى التطور العلمى فى المجال قيد الدراسه. ومعنى هذا أن السيناريو يعتمد على منظومه البيانات المبرمجه والمخزنه والتى يتم تحديثها باستمرار وفقا للتغيرات فى جميع الميادين.

وفى عالم اليوم جاءت الخطط الخمسيه الوطنيه التى توضع لرسم ملامح السنوات

الخمس القادمه للبلد، مع رصد الاحتياجات الماليه المتوقعه والبنيه التى يراد إنشاؤها

كمؤشر على نجاح هذا العلم فى مسعاه.

ولقد حدد الدكتور محسن عبد الحميد الهدف من المستقبليه الإسلاميه التى مارسها

النبى صلى الله عليه و آله بقوله: ((وفى سبيل ألا يضل الإنسان فى عوالم الغيب وضع الله تعالى فى كتابه

الكريم الحقائق النهائيه التى يحتاجها، كى لا يتعب نفسه وفكره فى هذا المجال، دون

جنى أيه ثمره، ليتفرغ إلى التفاعل مع الأرض والاستفاده من الزمن، لإنجاح عمليه

الخلافه الإلهيه.... وانطلاقاً من هذا المبدأ، فإن على الإنسان فى إطار الحقائق الإلهيه

التى وضعت أمامه أن يسلم بالتفصيلات الغيبيه. فهو طالما آمن بإله خيالاته الماديه فى

محاوله تصور ماهيه الإله وصفاته. ولذلك فلقد دعاه الخالق سبحانه وتعالى إلى الإيمان

بالغيب وجعل ذلك من أمارات صدق يقينه فى قوله: (الذين يومنون بالغيب و يقيمون الصلاه و مما رزقنهم ينفقون)(۱) ثم بين له أن أى تحرك خيالى للعقل فى غير ما كلف به لا يكون مجدياً

أبداً و لن يوصل الى المراد))(۲)

ولقد تأكد أن آباءنا وأجدادنا وأهلنا القدماء لم يكونوا أقل منا حرصاً ورغبه فى

معرفه المستقبل وما تخفيه الأيام، فلقد رافق المتنبئون الحكام فى قصورهم وقاده الجيوش

فى حروبهم، وكان الأغنياء والمترفون يدفعون المبالغ العظيمه لهم ألأ فى الحصول عن

معلومه ولو بسيطه عن المستقبل.

قد تكون لهذا الاهتمام أسبابه الدينيه أيضاً، فالعقائد السماويه قائمه على الاستشراف

الستقبلى والوعود المستقبليه وفق معادلات الثواب والعقاب، وفيما يخص الإسلام

۱- سوره البقره، الآيه ۳

٢- المذهبيه الإسلاميه والتغيير الحضارى، الطبعه ۴، مطابع وزاره التربيه العراقيه، تقديم الدكتور عمر عبيد حسنه

كدين متحضر متطور نجد القرآن يتحدث عن المستقبليه بشكل واضح جدا فى أكثر

من مكان، كما فى قصه العبد الصالح وموسى عليهم السلام، حيث قتل العبد الصالح طفلاً.

فاعرض عليه نبى الله موسى عليه السلام الذى لم يكن يعرف غيب هذه القصيه بقوله تعالى:

((فانطلقا حتى اذا لقيا غلماً فقتله قال أقتلت نفساً زكيه بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً))(١)

فأخبره العبد الصالح أن هذا الطفل شرير وسيؤذى أبواه ويرهقهما:((و اما الغلم فكانن أبواه مؤمنين فخشينا يرهقهما طغيناً و كفراً((٨٠))فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكوه و أقرب رحما))(٢)

ولقد استشرف رسول الله صلى الله عليه و آله المستقبل للأمه لكى يؤكد لمن فى قلبه مرض صدق

ما جاءت به الرساله، ولكى يزداد المؤمن إيمانا، ولكى يتحوطوا لأنفسهم فلا يقعوا فى

مساوئ الفتن، جاء فى فتن ابن حماد: عن حذيفه بن اليمان قال: هذه فتن قد أظلت

كجباه البقر يهلك فيها أكثر الناس إلا من كان يعرفها قبل ذلك))(٣) فمن يعرفها يحتاط

منها ولا يقع فى شركها.

وبالتأكيد كان الاستشراف النبوى مختلفاً عما يجىء به المتنبئون، لأنه كان يتم

بواسطه وحى من السماء ولم يكن اعتقاداً شخصياً ظنياً مبنياً على التخمين والشك،

قابلا للصح والخطأ.

وكان الحديث النبوى عن المستقبل يقع كلما اقتصت الضروره، ومع أنه صلى الله عليه و آله كان

كثير التحدث عن المستقبليه، نظرا لما يعرفه عن مستقبل الأمه، إلا انه نقل لهم فى بعضى

المناسبات وقايع مهمه نقلاحياً ومباشراً لم يحدث أن مارسه خلال عشرات الحروب

١- سوره الكهف، الآيه ٧۴

٢- سوره الكهف، الآيات ٨٠و٨١

٣- الفتن نعيم بن حماد،ص ٢۶

والسرايا التى جابهت الجزيره فى عصر البعثه، ولأول مره حدد النبى صلى الله عليه و آله فى معركه مؤته

مقدماً أسماء القاده الذين سيتعاقبون على قياده الجيش كل بعد استشهاد صاحبه حتى قبل

أن تتحركوا، حيث قال لهم: إن أصيب زيد بن حارثه فجعفر بن أبى طالب على الناس،

فإن أصيب جعفر فعبد الله بن أبى رواحه على الناس، فإن قتل فليتربص المسلمون

برجل من بينهم يجعلونه عليهم))(۱) وكان على يقين سير الاحداث ونتائجها... بل ورد

فى السيره أنه صلى الله عليه و آله كان ينقل وقائع المعركه للمسلمين أولاً بأول فيقول: ((أخذ الرايه زيد

بن حارثه فقاتل بها حتى قتل شهيدا؛ ثم أخذها جعفر فقاتل حتى قتل شهيدا))(۲)

ومعنى هذا أن العلم المستقبل كان الحاكم لحراك النبى وأهل البيت (صلوات

الله عليهم أجمعين) ولاسيما وأنهم كانوا يعرفون مقدماً نتائج ما يبغون عمله فى السلم

والحرب. وإذا ما كانت المدارس الإسلاميه لأخر قد آمنت بشكل محدود بعلاقه

النبى صلى الله عليه و آله بالمستقبليه فإن حديثنا عن تعامل الأئمه المعصومين من أهل البيت عليهم السلام مع

المستقبليات أثار حفيظه بعفو الناس وتهكمهم؛ فأسبغوا علينا وعلى عقلنا الذى يؤمن

بذلك ويتقبله برحابه أنواعا مختلفه من الأقوال والتهم وصل بعضها إلى حد التطاول

المشين واتهامنا بالشرك والرده عن الإسلام.

وأنوه هنا إلى أن أتباع المدارس الإسلاميه الأخر الذين يتهموننا بالشرك أوردوا

فى باب الكرامات والفضائل فى كتبهم قصصاً عن الغيبيات والمستقبليات ترقى إلى

مستوى الخرافه؛ هذا إذا لم تكن مجرد خرافه صدقوها؛ ولم يعترض عليهم أحد، بينما

تجد حتى من داخل البيت الشيعى من يعترض على حديثنا عن كرامات وفضائل جاء

بها أئمه أهل البيت وأوردتها أوثق الكتب والمصادر. ومن الباحثين الذين تناولوا هذا

۱- السيره النبويه، ابن هشام ج ۴ ، ص ۹

۲- السيره النبويه، مصدر سابق، ج ۴ ، ص ۱۶

الجانب بالنقد، أورد موضوعه على سبيل التوضيح باحث شيعى مغترب اسمه (غالب الشابندر) نشر يوم ٢٦/ ٧/ ٢٠١٠ بحثاً بعنوان (نقد أخبار الإمام الحسن بن على بن أبى طالب) ابتدأه بقوله: ((تورد المصادر الشيعيه التقليديه الكثير من صور المحاججه بين الإمام الحسن بن على عليه السلام ومعاويه بن أى سفيان، وبعض من الأمويين، ومن الطبيعى أن تنتهى هذه المحاججات بانتصار بيان الحسن وخطابه ودليله وبرهانه، لأن الحسن فى العرف العقدى الشيعى معصوم، وربما يعلم كل ما فى هذا الوجود، بل ما كان وما هو كائن وما سيكون على بعض الروايات بل على بعض الاعتقادات السائده والتى ربما يتحمل ثقلها علماء كبار فى فن علم الكلام والعقائد والنحل والملل))(١)

ويدعى الباحث أن دليل تشكيكه بعلم الإمام الحسن عليه السلام بالمستقبليات فضلا عن تبحره فى البحث العلمى جاء اعتمادا على ما قاله الشيخ الرجالى الكبير (محسن آصف) عن روايات الجزء (٤٤) من كتاب بحار الأنوار، باب (٢٠) باعتبار أن المجلسى رحمه الله. جمع هذه الروايات فى هذا الجزء من بحار الأنوار، ونص ما قاله الشيخ محسن عن هذا الجزء من البحار: ((فيه مطالب كثيره محرقه لقلوب المؤمنين، وهى مشتهره بين الشيعه فى الجمله، بتأثير هذا الكتاب فى نفوسهم، لكن ليس فيها أسانيد معتبره، فالله تعالى العالم بصحتها من موضوعها))(٢)

حقيقه الأمر أن مدرستنا تؤمن يقينا بأن من فضل الله تعالى على الأنبياء والأئمه أن أمدهم ببعض علوم الغيب، وأطلعهم على بعض أسرار المستقبل لكى تكون سلاحاً

(١) موقع إيلاف،

http://www.alaph.com/web/opinion/٢٠١٠/٧/٥٧٩٧٠٣.html

(٢) موقع إيلاف،

http://www.alaph.com/web/opinion/۲۰۱۰/۷/۵۷۹۷۰۳.html

ص :۳۳۴

بأيديهم كأحد اساليب الرغيب فى الدين، وهكذا أعلم جيرائيل النبى محمداً صلى الله عليه و آله، بكثير

مما يخص مستقبل البشريه، فأخير رسول الله صلى الله عليه السلام علياً عليه السلام بما عنده، وأخير على أولاده

الحسن والحسين وعنهم أخذ الباقون عليهم السلام. كما فى قوله تعالى: (ءعلم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد((۲۶)) الا ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصداً)(۱)

ومن يتابع كتب تفسير المدرستين يجدها متطابقه فى تفسير معنى الآيتين، ولكن هناك

من لا يؤمن بموضع تعليم النبى صلى الله عليه السلام الإمام على عليه السلام ألف باب من العلم، وهو التعليم

الذى نستند إليه عند حديثنا عن غيبيات أئمه أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا يعيبون علينا

تكلمنا عنه. ولغرض توضيح المعنى أنقل أقوال المفسرين مختصره.

قال صاحب تفسير الميزان. فى تفسير قوله تعالى: (علم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا) والمعنى: هو عالم كل غيب علماً يختص به فلا يطلع على العيب –وهو

مختص به— أحداً من الناس، فالمفاد سلب كلى وإن أصر بعضهم على كونه سلباً جزئياً

محصل معناه، لا يظهر على كل غيبه أحدا.

قوله تعالى: (الا من ارتضى من رسول) استثناء من قوله: (أحداً) و (من رسول) بيان لقوله (من ارتضى) فيفيد أن الله تعالى يظهر رسله على ما شاء من

الغيب المختص به، فالآيه إذا انضمت إلى الآيات التى تخص علم الغيب به تعالى

كقوله: (و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو)(۲) و قوله (ولله غيب السموت والارض)(۳) وقوله:(قل لا يعلم من فى السموت و الارض الغيب الا الله)(۴) أفاد ذلك

۱- سورهالجن، الآيات۲۶-۲۷

۲- سوره الأنعام، الآيه ۵۹

۳- سورهالنحل، الآيه ۷۷

۴- سوره النمل، الآيه ۶۵

معنی الأصاله والتبعیه، فهو تعالی یعلم الغیب لذاته وغیره یعلمه بتعلیم من الله.

وقال ابن کثیر فی تفسیر الآیه: ((هذه کقوله تعالی ((و لا یحیطون بشیء من علمه الا بما شاء)) وهکذا قال ههنا إنه یعلم الغیب والشهاده، وأنه لا یطع أحد من خلقه علی

شیء من علمه إلا مما أطلعه تعالی علیه))(۱)

وقال عنها الطبری فی تفسیره: ((یعنی بعالم الغیب: عالم ما غاب عن أبصار خلقه،

فلم یروه فلا یظهر علی غیبه أحدا فیعلمه أو یریه إیاه إلا من ارتضی من رسول، فإنه

یظهره علی ما شاء من ذلک. عن علی، عن ابن عباس، قوله:((فلا یظهر علی غیبه احداً((۲۶)) الا من ارتضی من رسول)

فأعلم الله سبحانه الرسل من الغیب الوحی وأظهرهم

علیه بما أوحی إلیهم من غیبه، وما یحکم الله، فإنه لا یعلم ذلک غیره. وعن قتاده: فإنه

یصطفیهم، ویطلعهم علی ما یشاء من الغیب. وقال ابن زید: ینزل من غیبه ما شاء علی

الأنبیاء، أنزل علی رسول الله صلی الله علیه و آله الغیب القرآن، قال: وحدثنا فیه بالغیب بما یکون یوم

القیامه))(۲)

وقال القرطبی:قال العلماء (رحمه الله علیهم): لما تمدح سبحانه بعلم الغیب

واستأثر من هنا بم یرضی الله وتعست الشرکه به دون خلقه، کان فیه دلیل علی أنه

لا یعلم الغیب أحد سواه، ثم استثنی من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من

غیبه بطریق الوحی إلیهم، وجعله معجزه لهم ودلاله صادقه علی نبوتهم. ولیس المنجم

ومن ضاهاه ممن یضرب بالحصی وینظر فی الکتب ویزجر بالطیر ممن ارتضاه من رسول

فیطلعه علی ما یشاء من غیبه، بل هو کافر بالله مفتر علیه بحدسه وتخمینه وکذبه...

۱- تفسیر ابن کثیر سوره الجن الآیه ۲۶

۲- الطبری، تفسیر الآیه ۲۶ من سوره الجن.ج۲۳/ص۶۷۲

وقيل لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام لما أراد لقاء الخوارج: أتلقاهم والقمر فى العقرب؟ فقال: فأين قمرهم؟ وكان ذلك فى آخر الشهر. فانظر إلى هذه الكلمه التى أجاب بها، وما فيها من المبالغه فى الرد على من يقول بالتنجيم، والإفحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم. وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين لا تسر فى هذه الساعه وسر فى ثلاث ساعات يمضين من النهار. فقال له على: ولم؟ قال: إنك إن سرت فى هذه الساعه أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد، وإن سرت فى الساعه التى أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت. فقال على: ما كان لمحمد صلى الله عليه و آله منجم، ولا لنا من بعده... فمن صدقك فى هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ندا أو ضدا، اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك. ثم قال للمتكلم: نكذبك ونخالفك ونسير فى الساعه التى تنهانا عنها. ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر، وإنما المنجم كالساحر، وساحر كالكافر، والكافر فى النار، والله لئن بلغنى أنك تنظر فى النجوم وتعمل بها لأخلدنك فى الحبس ما بقيت وبقيت، ولأحرمتك العطاء ما كان لى سلطان. ثم سافر فى الساعه التى نهاه عنها، ولقى القوم فقتلهم وهى وقعه النهروان الثابته فى الصحيح لمسلم. ثم قال: لو سرنا فى ساعه التى أمرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قائل سار فى ساعه التى أمر بها المنجم، ما كان لمحمدصلى الله عليه و آله منجم ولا لنا من بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان – ثم قال: يا أيها الناس؛ توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفى ممن سواه))(١)

إن الحديث عن الغيب والمستقبل لا يأتى ليدعم رسالات الأنبياء ومهمات الأوصياء فحسب، بل يأتى كذلك لدعم وإثراء منظومه المعرفه البشريه، وفى حديثه عن الغيب

۱- تفسیر القرطبی، الآیات ۲۶-۲۷، سوره الجن.ج۱۹/ص۲۹

يقول الدكتور (عبد السلام التونجى): ((هذه المعارف سواء توصلنا إليها بالعقل أو عن طريق الإخبار اليقينى فهى قد وجدت لإثراء الفكر الإنسانى وإناره السبيل لسلوك الإنسان بغيه هدايته بما فيه مصلحته))(۱)

ثم إن من البديهى أن الله عزو جل جعل العلوم مراتباً، وما يمنحه من مرتبه للنبى أو الإمام المعصوم لا يمنحه للسلاطين والأمراء والملوك وعامه الناس، يقول ابن المطهر فى (البدء والتاريخ) عن القول فى كميه العلوم ومراتبها: ((أقول إن اسم العلم قد يطلق فى الحمله على الفهم والوهم والذهن والفطنه واليقين والخطره والمعرفه وكل ما يحصل منه إدراك شيء ظاهراً أو باطناً ببديهه عقل أو مباشره حاسه أو استعمال آله كالا ستدلال والفكره والبحث والتمييز والقياس والاجتهاد، لأن هذه لخصال كلها آلات إدراك لعلم ووطرق التوصل إليه، ومما يصاب من هذه الجهه فرع بالإضافه إلى علم البدايه والحواس ألا ترى أن الإنسان العاقل المميز مضطر إلى شواهد عقله وحسه غير مضطر إلى استدلاله وبحثه أو لا ترى أن لا سبيل إلى البحث والاستدلال لمن عرى من عقله أو أصيب بحسه، فأول العلم الخطره الصادقه وهو كالبديهه مثلا كل بقوه البديهه وآخره اليقين وهو استقرار الحق وانتفاء الشك والشبهه عنه))(۲)

يعنى أن المستقبليه الإسلاميه التى أسس قواعدها القرآن والنبى الأكرم صلى الله عليه و آله هى حقيقه واقعه لا لبس فيها، وأننا شئنا ذلك أم أبيناه علينا الاعراف بهذه الحقيقه طالما أن المدارس الإسلاميه تتفق على صحه أحاديثها، ولا تعترض على إيراد البخارى ومسلم وغيرهم لرواياتها بما يدل على أن النبى كان يحدثهم جمعا بأحاديث تخص المستقبل

ص: ۳۳۸

۱- الإيمان بالقضاء والقدر، الدكتور عبد السلام التونجى ط۲، ۱۴۲۶، منشورات جمعيه الدعوه الإسلاميه، بنغازى، ليبيا،ص۸

۲- البدء والتاریخ، المطهر بن المطهر المقدمی، کتاب الکترونی، مکتبه المصطفی، ص۳

او يحدث مجموعه منهم او حتى محدث شخصا بعينه، وينقل حديثه شخصا بعينه او مجموعه أشخاص سمعوه من شخص واحد.

ومما اتفق عليه المسلمون أن النبى حجز الصحابه و المسلمين الأوائل فى المسجد مده زمنيه طويله ليحدثهم عن مستقبل الأمه، وقد ورد حديث هذه الواقعه التاريخيه المهمه فى أغلب كتب الحديث؛ منها البخارى ومسلم. وفى أغلب كتب الحديث والفتن أن رسول الله حدث المسلمين عن المستقبل مده غير معقوله امتدت لأكثر من اثنى عشر ساعه شبه متواصله ابتداء من صلاه الصبح ولغايه وقت صلاه المغرب، وهى مده طويله جدا بكل المقاييس؛ لم يثبت انه صلى الله عليه و آله أو أن نبيا آخر ولا حتى خطيبا مفوها من قبله استغرقها فى حديث عن أمر عام بسيط بله عن عالم الغيب والمستقبل، وقد أورد ابن كثير جمله من أخبار هذه الواقعه تحت عنوان: (ذكر إخباره صلى الله عليه و اله بالغيوب المستقبله بعد زماننا هذا) ومنها: قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا أبوعاصم، حدثنا عروه عن ثابت، حدثنا عليان بن أحمد البكرى، حدثنا أبو زيد الأنصارى قال: (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه و آله صلاه الصبح ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى العصر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا).

وقد رواه مسلم منفرداً فى كتاب الفتن من صحيحه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقى، وحجاج بن الشاعر عن أبى عاصم الضحاك بن مخلد النبيل عن عروه عن على عن أبى يزيد وهو عمرو بن أخطب بن رفاعه الأنصارى))(۱)

وقد كان الحديث الذى رواه الخليفه عمر بن الخطاب وأورده البخارى فى صحيحه أكثر تحديداً حيث يتضح من خلاله أنه صلى الله عليه و آله أخبرهم بتاريخ الكون كله من بدء الخليقه

۱- النهـایه فی الفتـن والملاـحم، ابـن کـثیر، کتـاب الکرونی، مکتبـه المصــطفی الاـلکترونیه، To PDF:http://www.al-mostafa.com ص ۱۰

وحتى نهايه يوم الحساب، ودخول أهل الجنه الجنه وأهل النار النار: ((وقال البخارى فى

كتاب بدء الخلق من صحيحه، وروى عيسى عن رقبه عن قيس بن مسلم عن طارق بن

شهاب قال، سمعت عمر بن الخطاب يقول: قام فينا رسول الله صلى الله عليه و آله مقاماً. فأخبرنا عن

بدء الخلق حتى دخل أهل الجنه منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه

من نسيه.هكذا ذكره البخارى تعليقاً بصيغه التمريض، عن عيسى بن موسى عنجار،

عن أبى حمزه عن رقبه، فالله أعلم))(۱)

وقال أبو داود فى أول كتاب الفتن من سننه: ((حدثنا عثمان عن أبى شيبه، حدثنا

جرير، عن الأعمش عن أبى وائل عن حذيفه قال: ((قام فينا رسول الله صلى الله عليه و الله قائماً؛ فما ترك

شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعه إلا حدثه؛ حفظه من حفظه ونسيه من نسيه،

قد علمه أصحابى هؤلاء، وإنه ليكون الشيء فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا

غاب عنه ثم إذا رآه عرفه))(۲)

ورواه البخارى عن طريق آخر وكأنه واقعه أخرى استغرقت وقتا أقل من الأولى،

رواه من حديث سفيان الثورى، وملم من حديث جرير كلاهما عن الأعمش به،

وقال الامام أحمد: ((حدثنا عبد الرزاق. أخبرنا معمر عن على بن زيد عن أبى نصره عن

أبى سعيد قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه و الله صلاه العصر ذات يوم ثم قام فخطبنا إلى أن غابت

الشمس فلم يدع شيئاً مما يكون إلى يوم القيامه إلا حدثناه حفظ ذلك من حفظه ونسى

ذلك من نسيه فكان مما قال: يا أيها الناس إن الدنيا خضره حلوه وإن الله استخلفكم

فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء إلى أن قال وقد دنت الشمس أن

۱- المصدر نفسه، النهايه فى الفتن والملاحم، ص ۱۱

۲- المصدر نفسه،النهایه فی الفتن، ص ۱۰-۱۱

نغرب وإن ما بقى ين الدنيا فيما مضى يثل ما بقى من يومكم هذا فيما مضى و منه))(۱)

وأخرجه نعيم بن حماد عن عبد الله بن المبارك، عن معمر، عن على بن زيد، عن

نضره، عن سعيد الخدرى؛ وابن عيينه عن على بن زيد عن أبى نضره عن

أبى سعيد الخدرى، قال: ((صلى بنا رسول الله صلى الله عليه و آله؛ صلاه العصر نهاراً ثم خطب إلى أن غابت

الشمس فلم يدع شيئأ هو كائن إلى يوم القيامه إلا حدثنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه))(۲)

وإذا ما كانت العصبيه التى أحيى السياسيون الأمويون مواتها قد فتحت لهم

الأبواب واسعه لعمل كل ما يظنون أنه يقربهم من تحقيق أحلامهم المريضه؛ فإن علم

أئمه أهل البيت عليهم السلام بالمستقبليه ونتائج ما كان يدور على الساحه حتى قبل أن تنجلى

غبرته جعل الناس تنظر إليهم بمناظير مختلفه، وصل بعضها إلى حد منحهم درجه

الربوبيه، و وصل بعضها الآخر إلى حد التشكيك بقدراتهم القياديه والسلوكيه، غر

مدركين أن عمل الإمام المعصوم يبدو وكأنه متداخل مع أفق الجبريه التى أقرها المشروع

الكونى الإلهى بعيداً عن القدريه والأمر بين أمرين، بمعنى أن الإمام لا يحتاج إلى التفكير

بنتائج عمله لأنه يعرفها ويعرف ما ستؤول إليه الأمور وما ستكون عليه النتائج؛ وهو

لو أعطى حريه التصرف كما هى متاحه للآخرين لكان قادراً على تفسير النتائج بكل

تأكيد.

ومما يتضح من هذه المقدمه أن الإمام علياً عليه السلام لو كان حر التصرف فى صفين لما

رضى بالرضوخ إلى سلطه التحكيم مهما كانت الظروف المحيطه به، ولكان قد قلب

۱- المصدر نفسه، النهايه فى الفتن والملاحم، ابن كثير،ص ۱۱

۲- الفتن، نعيم بن حماد، حديث ۱،ج۱، ص۲۳- ۲۴

عاليها على سافلها وقطع دابر أعدائه فاستقامت الأمور له. والإمام الحسنعليه السلام هو الآخر ما كان ليصالح مهما كانت النتائج، ولكان قاتل وقتل الآلاف من جيش العدو وقتل الألوف من جيشه، واستقامت له الأمور فلا يحتاج الحسينبعد ذلك إلى الثوره لكى يقوم اعوجاج مسيره التائهين. والإمام الحسين عليه السلام ما كان ليخرج بثلاثه وسبعين شخصا ليتحدى إمبراطوريه الشر بعظمتها، ولكان أعد العده وحقق نوعاً آخر من النصر لا ينتهى بمقتله مع عائلته وجميع أصحابه الكرام.

إن اعتراض الكثيرين على أثر وتأثير المستقبليه على حراك الأئمه المعصومين عليهم السلام، وتشكيك البعض بصحه وجودها يدفعنا للحديث عن تعامل المدارس الإسلاميه مع موضوع المستقبليه. وقبل الحديث عن مستقبليات أهل البيت عليهم السلام أجد من الضروره بمكان أن أتحدث عن بعض ما ينسبه الآخرون ولاسيما منهم من يعترض علينا عندما نتحدث عن هذا الموضوع إلى أئمتهم وقادتهم من أحاديث عن المستقبليات، وسيكون معينى فى ذلك دون غيره من المصادر والكتب التى تملأ المكتبات؛ وبقصد الإيجاز كتاب (معجزات الأنبياء كرامات الأولياء من هذه الأمه) لعلى فرج العبد الله(١) حيث أسهب الكاتب بالحديث عن الكرامات(٢) وقال: ((إن كل ما كان معجزه لنبى جاز أن يكون كرامه لولى؛ إلا أنه يشرط فى المعجزه إدعاء النبوه، وليس للكرامه هذا الشرط، ولا

١- لقد وجدت الكتاب خالياً من الفهرسه الوصفيه فلا اسم دار النشر ولا تاريخ النشر أوسنته مذكوراً فيه باستثناء إشاره إلى أن الكتاب من تدقيق أ. عبد الله سنده وتنضيد حسن مهندس، مع ذكر لمؤلفات الكاتب وهى: الدرر البهيه فى منهج الطريقه القادريه الدرر البهيه فى أعلام القادريه السهام القادريه لرد شبهات الوهابيه؛ ما يدل على أن الكاتب من أتباع الطريقه الصوفيه القادريه

٢- أورد الشيخ الأمينى رحمه الله أكثر من مئه منقبه وكرامه من هذا الشكل فى كتاب خصه لهذه المنكرات، ينظر: قصص الخرافه فى فضائل الصحابه والتابعين، عبد الحسين الأمينى، كتاب الكترونى، مكتبه العقائد، مركز الأبحاث العقائدى

فرق بين المعجزه والكرامه إلا بهذا الشرط، وقد أكرم الله سبحانه وتعالى كثيراً من أولياء

الأمه بكرامات قريبه من معجزات الأنبياء أو من جنسها))(١)

وعلى سبيل المثال، وفى حديثنا عن المستقبليه نقول نحن: بأن علم الأئمه للمستقبلى

مأخوذ عن جدهم النبى عن على عن الحسن عن الحسين وإلى الإمام المهدى عليهم السلام وأنهم

كانوا يتوارثونه واحداً عن واحد؛ فكذبنا الآخرون وشككوا بصحه أقوالنا، ولكنك

تجدهم يوردون فى كتبهم قصصاً ترقى إلى الخرافه فى حديثهم عن أئمتهم، فالمؤلف

يورد قصه عن صحابى اسمه (عبد الله بن ثوب) يعرف باسم (أبى مسلم الخولانى)(٢)

المتوفى عام ۶۲ هجريه يقول فيها: إنه كان مجاهداً وأمير مقدمه.. ((وكانوا غزاه فى أرض

الروم فبعث الوالى سريه وحدد لهم موعد العوده فلما جاء الموعد لم تأت السريه فبينما أبو

مسلم يصلى إلى رمحه الذى ركزه فى الأرض إذ جاء طائر فوقع على سنان الرمح وقال:

إن السريه، قد سلمت وغنمت وسرد عليكم فى يوم كذا فقال، أبو مسلم للطير: من

أنت يرحمك الله؟ قال: أنا مذهب الحزن عن قلوب المؤمنين؛ فجاء أبو مسلم إلى الوالى

وأخبره، فلما كان اليوم الذى ذكر أتت السريه فى الوقت الذى قال))(٣)

فلماذا يصدقون طائراً اسمه (مذهب الحزن) لم يرد له ذكر لا بقرآن ولا بحديث

نبوى ولا حتى بأسطوره خرافيه أو قصه من قصص العجائز عدا هذه، ورد ذكره على

لسان صحابى لم يذكره ابن حجر فى الإصابه، ويكذبون من يأخذ عن القرآن والنبى صلى الله عليه و آله

ويوردعلى ذلك شواهدا؟

۱- معجزات الأنبياء كرامات الأولياء، على فرج العبد الله، ص ۱۰

۲- بحثت عن الاسم فى باب العين من إصابه ابن حجر ولم أجده ثم بحثت عنه فى باب الكنى والألقاب فلم أجده أيضا

٣- ينظر: معجزات الأنبياء كرامات الأولياء من هذه الأمه ص ٢٥

ويورد قصه أخرى عن الصحابسى نفسه، ولكنه ينسب كرامه العلم بالمستقبل هذه المره إلى راهب نصرانى يعلم بأوقات موت الناس، وتقول هذه القص: ((وروى عن المشايخ الشاميين أنهم مروا بصومعه لأحد الرهبان وكانوا عائدين من أرض الروم، فألهم: هل تعرفون أبا مسلم لخولانى؟ فقالوا: نعم، فقال: إذا وجدتموه فاقرؤوه السلام وقولوا له: إنا نجده فى الكتب رفيق عيسى بن مريم، أما إنكم لا تجدونه حيا!! فلما قدموا دمشق سمعوا بخر وفاته وكان قد توفى بحمه من أرض الروم))(١)

وفى قصه عن (محمد بن حسان أبى عبيد البسرى)، قال: إنه كان جالسا بعرفه وإلى جنبه ولده فقال له: ((يهنئك الفارس! فقال له ابنه: يا أبه وأى فارس؟ فقال: ولد لك الساعه غلام. قال ولده: فلما رجعنا إلى بسر وجدت زوجتى ولدت غلاما فى يوم عرفه))(٢)

وفى قصه أخرى عن شيخ اسمه (إبراهيم الدسوقى)، قال: ((جاء إليه سبعه من القضاه يمتحنونه فلما وصلت مراكبهم إلى البر بناحيه دسوق كشف الله للشيخ قصدهم فبعث نقيبه فدفعهم، فإذا هم خلف جبل قاف فأقاموا سنه يأكلون من حشيش الأرض حتى تغيرت أجسادهم وخلقت ثيابهم، ثم تذكروا ما وقعوا فيه من أمر سيدنا إبراهيم الدسوقى فتابوا هناك، فأرسل لهم النقيب فدفعهم، وإذا هم على ساحل دسوق))(٣)

ومن المستقبليات المشهوره ما عرف عند المؤرخين باسم (أشج بنى أميه) يقصدون بذلك لخليفه الأموى عمر بن عبد العزيز؛ ففى حديثه عن سيره عمر بن عبد العزيز قال النويرى: ((وكان أبيض نحيفاً حسن الوجه، وهو أشج بنى أميه، رمحته دابه فشجته،

١- معجزات الأنبياء، ص ٢٨ ٢٩

٢- معجزات الأنبياء كرامات الأولياء، ص ٦٢

٣- معجزات الأنبياء، ص ٧٠

وهو غلام، فدخل على أمه فصمته إليها ولامت أباه حيث لم يجعل معه حاضناً. فقال لها عبد العزيز: اسكتى يا أم عاصم، فطوبى له إن كان أشج بنى أميه)(١)٠

وأشج بنى أميه خليفه أموى كانوا يعلمون أنه سيملأ الأرض عدلاً حينما يولى وكما يتبين من أقوالهم، يتبين علمهم بما يخصه حتى من كان منهم فى صدر الإسلام الأول وقبل أن تبدأ دوله الأمويين بالتبلور، وحتى قبل أن ينصب معاويه والياً على الشام!

قال النويرى: ((وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب يقول: يا ليت شعرى، من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامه يملأ الدنيا عدلاً؛ فكان عمر بن عبد العزيز، لأن أمه ابنه عاصم بن عمر بن الخطاب))(٢) وفى الكامل فى التاريخ: ((وقيل كان ابن عمر يقول: يا ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامه يملأ الأرض عدلا؟))(٣)

وفى هذه الأمثله كفايه لإثبات حقيقه وجود العلم المستقبل فى فكر الجماعات الإنسانيه سواء كان حقيقيا ثابتاً أم خرافياً وهمياً. ولقد استمر الإدعاء بعلم الغيب أو المستقبل عبر التاريخ، حتى أن أحد شيوخ المذهب السلفى المعاصرين تحدث عن (عوده الخلافه الإسلاميه)فى عام ١۴۴۶ أى بعد اثنى عشر عاما من الآن، فى موضوع نشر على (اليوتيوب) تحت عنوان: (بشرى وهابيه لا يتوقعها سنى ولا شيعى)، وقال فى قصته الخرافيه: ((إننا نقترب من موعد قيام الخلافه، الخلافه التى ستنزل بيت المقدس، والخليفه الذى سيفتح فلسطين تحقيقاً لقوله تعالى: ((فاذا جاء وعد الاخره ليسئو وجوهكم

١- نهايه الأرب فى فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشى التيمى البكرى، شهاب الدين النويرى (المتوفى: ٧٣٣)، دار الكتب والوثائق القوميه، القاهره، ١۴٢٣ ، ج ٢١ ص ٣۶۵-٣۶۶

٢- المصدر نفسه، نهايه الأرب فى فنون الأدب، ج ٢١ ص ٣۶۵- ٣۶۶

٣- الكامل فى التاريخ، ابن الأثير، ج ۵، ص ۵٩

و ليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مره))فإذن هذا الخليفه الذى سيبايع فى فلسطين

بعد أن يفتح الجزيره العربيه وفارس، فنحن نرى والله تعالى أعلم بأنه بين أظهرنا ونراه

بأعيننا وهو عبد الله الذى هو الآن يملك فى الأردن، هذا الرجل سيهديه الله تعالى إلى

هذا الفتح العظيم وسنرى بأعيننا إن شاء الله عام ۱۴۴۶ هجريه والمسجد الأقصى قد

أعيد بناؤه كأجمل ما يكون وستجتمع الجيوش التى تفتح فلسطين، ستجتمع على توليه

عبد الله هذا الخلافه لتكون خلافه هاشميه، هى ليست على منهاج النبوه لأن الخلافه

التى على منهاج النبوه ستأتى على يدى محمد الذى هو ابن لعبد الله هذا، أى عبد الله الثانى

ملك الأردن))(۱)

صحيح أنهم صاغوا بعغس قصصهم تلك على شكل أحاديث ونسبوها إلى رسول

الله لكى لا يعترض عليها المعرضون، ولكن إيرادنا لروايات عن أهل البيت عليهم السلام

أكثر صدقا منها يوقف مدها بالتأكيد، لأن ما نورده أكثر قرباً للواقع، هذا إذا لم يكن

هو الواقع بعينه. وأؤكد هنا أننا حينما نورد بعض أحاديث المستقبليات عن أهل البيت

الكرام عليهم السلام لا يعنى بأننا نعترض على حديث رسول الله صلى الله عليهو آله بالمره، والسبب الذى

دعانا إلى ذلك أن الأحاديث التى أوردها غيرنا عن النبى صلى الله عليه و آله فى هذا الباب تحديداً

أغلبها أحاديث ساقطه لا يعول عليها ولا يعتد بها. أما الصحيحه منها فنحن نعتقد

بصحتها أكثر مما نعتقد بصحه روايات أئمتنا، بالرغم من أنهم لم يوردوا حديثاً إلا عن

جدهم الأكرم عليهم السلام، ولاسيما وأن مضمون تلك الروايات تحقق بعضه فى حياه الصحابه

وعايشوه ونقلوا لنا شعورهم تجاهه. وأذكر على سبيل المثال لا الحصر ما أورده ابن كثير

۱- شيخ وهاو يتكلم عن عام ۱۴۴۶ هجريه ونحن الآن فى عام ۱۴۳۳ هجريه ويدعى بأن ملك الأردن عبد الله بن حسين هو

المهدى المنتظر، يراجع الرابط http://www.youtube.com/watch?v=RIGJa٤CnN٩sfeature=related

فی كتاب الفتن عن معلومه مستقبليه عاشها من سمعها من النبی صلی الله علیه و آله، فقال: وقال

أحمد، حدثنا روح، حدثنا أبو أميه هم وابن يحيى بن سعيد بن العاص، أخبرنی جدی

سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبی هريره قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه و آله يقول: هلكه أمتی

علی يدی غلمه)) فقال مروان وما معنا فی الحلقه أحد قبل أن يلی شيئاً: فلعنه الله عليهم

غلمه. قال وأنا والله لو شئت أن أقول بنی فلان وبنی فلان لفعلت. قال: فكنت أخرج

مع أبی إلی بنی مروان بعد ما ملكوا فإذا هم يبايعون الصبيان ومنهم من يبايع له وهو

فی حزامه، فقلت: هل عسی أصحابكم هؤلاء أن يكونوا الذين سمعت أبا هريره قال

لنا عنهم: إن هذه الملوک يشبه بعضها بعضاً. ورواه البخاری بنحوه عن أبی هريره،

والأحاديث فی هذا كثيره جداً))(١)

ومما يتحقق معه صدق وقوع الحديث عن المستقبل وتكرره عشرات بل مئات

المرات ما يروی عن أم المؤمنين أم سلمه أنها قالت: كنا عند رسول الله صلی الله علیه و آله تسع نسوه،

وكانت ليلتی ويومی من رسول الله صلی الله علیه و آله، فأتيت الباب فقلت أدخل يا رسول الله؟ فقال:

لا. قالت: فكبوت كبوه شديده مخافه أن يكون ردنی من سخطه، أو نزل فی شیء من

السماء، ثم لم ألبث أن أتيت الباب ثانيه فقلت: أدخل يا رسول الله فقال: لا. قالت:

فكبوت كبوه أشد من الأولی، ثم لم ألبث حتی أتيت الباب ثالثه فقلت: أدخل يا رسول

الله؟ فقال: ادخلی يا أم سلمه، فدخلت وعلی علیه و آله جاث بين يديه، وهو يقول: فداک أبی

و أهی يا رسول الله إذا كان.. كذا وكذا فما تأمرنی. قال: آمرک بالصبر.. ثم أعاد عليه

القول ثانيه فأمره بالصبر.. ثم أعاد عليه القول ثالثه، فقال له: يا علی يا أخی إذا كان

ذلک منهم فسل سيفک وضعه علی عاتقک واضرب قدما قدما حش تلقانی وسيفک

شاهر يقطر من دمائهم، ثم التفت إلی وقال: ما هذه الكآبه يا أم سلمه. قلت: للذی كان

۱- سوف یرد الحدیث مثبتاً مع الشرح فی مباحث قادمه

من ردک إیای یا رسول الله. فقال لی: والله ما رددتک إلا لشیء خیر من الله ورسوله، ولکن أتیتنی وجبرائیل علیه السلام یخبرنی بالأحداث التی تکون بعدی، وأمرنی أن أوصی بذلک علیاً، یا أم سلمه سمعی واشهدی هذا علی بن أبی طالب وزیری فی الدنیا و وزیری فی الآخره، یا أم سلمه اسمعی و اشهدی هذا علی بن أبی طالب وصیی وخلیفتی من بعدی وقاضی عداتی والذائد عن حوضی، اسمعی واشهدی هذا علی بن أبی طالب سید المسلمین وإمام المتقین وقائد الغر المحجلین، وقاتل التاکثین والغاسطین والمارقین. قلت: یا رسول الله هن الناکثون؟ قال: الذین یبایعونه بالمدینه ویقاتلونه بالبصره. قلت: من القاسطون؟ قال معاویه وأصحابه من أهل الشام. قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان)(۱)

وعن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن أبی عبد الله الصادق، عن أبیه، عن جده علیهم السلام قال: ((بلغ أم سلمه زوج النبی صلی الله علیه و آله أن مولی لها یتنقص علیاً علیه السلام ویتناوله، فأرسلت إلیه، فلما أن صار إلیها قالت له: یا بنی بلغتی أنک تتنقص علیاً وتتناوله، قال لها: نعم یا أماه، قالت: اقعد ثکلتک أمک حتی أحدثک بحدیث سمعته من رسول الله صلی الله علیه و آله ثم اختر لنفک: إنا کنا عند رسول الله تسع نسوه وکانت لیلتی ویومی من رسول، فدخل النبی وهو متهلل، أصابعه فی أصابع علی واضعاً یده علیه، فقال: یا أم سلمه اخرجی من البیت وأخلیه لنا، فخرجت وأقبلا یتناجیان سمع الکلام وما أدری ما یقولان حتی إذا قمت فأتیت الباب فقلت: أدخل یا رسول الله؟ قال: لا، قالت: فکبوت کبوه شدیده مخافه أن یکون ردنی من سخطه أو نزل فی شیء من السماء، ثم لم ألبث أن أتیت الباب الثانیه، فقلت: أدخل یا رسول الله؟ فقال: لا، فکبوت کبوه

۱- أمالی الصدوق، ۲۲۸ و ۲۲۹، أمالی الطوسی ۴۲۵ / ۲۵۹مناقب الخوارزمی: ۱۴۶ - ۱۴۷ / ۱۷۱

أشد من الأولى، ثم لم ألبث حتى أتيت الباب الثالثه فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: ادخلی يا أم سلمه، فدخلت وعلی جاث بين يديه، وهويقول: فداک أبی وأمی يا رسول الله إذا كان كذا وكذا فما تأمرنی؟ قال: آمرک بالصبر، ثم أعاد عليه القول الثانيه فأمره بالصبر، فأعاد عليه القول الثالثه فقال له: يا علی يا أخی إذا كان ذاک منهم فسل سيفک وضعه علی عاتقک واضرب به قدماً حتى تلقانی وسيفک شاهر يقطر من دمائهم، ثم التفت إلی فقال لی: والله ما هذه الكآبه يا أم سلمه؟ قلت: للذی كان ردک لی يا رسول الله، فقال لی: والله ما رددتک من موجده، وإنک لعلی خير من الله ورسوله، ولكن أتيتنی وجبرائيل عن يمينی وعلی عن يساری، وجبرائيل يخبرنی بالأحداث التی تكون من بعدی، وأمرنی أن أوصی بذلک علياً، يا أم سلمه اسمعی واشهدی، هذا علی بن أبی طالب أخی فی الدنيا، وأخی فی الآخره، يا أم سلمه اسمعی واشهدی، هذا علی بن أبی طالب حامل لوانی فی الدنيا، وحامل لوانی غدا فی القيامه. يا أم سلمه اسمعی واشهدی، هذا علی بن أبی طالب وصی وخليفتی من بعدی، وقاضی عداتی، والذائد عن حوضی، يا أم سلمه اسمعی واشهدی هذا علی بن أبی طالب سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، قلت: يا رسول الله من الناكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينه وينكثون بالبصره، قلت: من القاسطون؟ قال: معاويه وأصحابه من أهل الشام، قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان. فقال مولی أم سلمه: فرجت عنی فرج الله عنک، والله لا سببت علياً أبدا))(۱)

وروی أن أمير المؤمنين عليه السلام قال فی أثناء خطبه خطبها بعد فتح البصره بايام حاكياً عن النبی صلی الله عليه و آله قوله:((يا علی إنک باق بعدی ومبتلی بأمتی، ومخاصم بين يدی الله،

١- الاحتجاج، أبی، منصور أحمد بن علی بن أبی طالب الطبرسی، کتاب الکترونی، المکتبه العقائدیه، مرکز الأبحاث العقائدیه،ج ١ ، ص٢٨٨

فأعد للخصوم جواباً. فقلت: بأبى أنت وأمى بين لى ما هذه الفتنه التى أبتلى بها

وعلى ما أجاهد بعدک، فقال لى: إنک ستقاتل بعدى الناکثه والقاسطه و المارقه..

وحلاهم وسماهم رجلًا رجلًا، وتجاهد من أمتى کل من خالف القرآن وسنتى ممن

یعمل فى الدین بالرأى، فال رأى فى الدین، إنما هو أمر الرب ونهیه. فقلت: یا رسول

الله فأرشدنى إلى الفلج عند الخصومه یوم القیامه. فقال: نعم، إذا کان ذلک فاقتصر

على الهدى إذا قومک عطفوا الهدى على الهوى، وعطفوا القرآن على الرأى یتأولونه

برأیهم بتتبع الحجج من القرآن بمشتبهات الأشیاء الطارئه عند الطمأنینه إلى الدنیا،

فاعطف أنت الرأى على القرآن إذا قومک حرفوا الکلم عن مواضعه عند الأهواء

الناهیه والآراء الطامحه، والقاده الناکثه، والفرقه القاسطه، والأخرى المارقه أهل

الإفک المردى، والهوى المطغى، والشبهه الحالقه، فلا تکلن عن فضل العاقبه، فإن

العاقبه للمتقین(۱)

وروى عنه علیه السلام أیضا: عن أبى عمرو الکندى قال: ((کنا ذات یوم عند على علیه السلام

فوافق الناس منه طیب نفس ومزاح... فقام إلیه ابن الکواء(۲)... قال: فمن الخاسرون

أعمالاً ((الذین ضل سعیهم فى الحیوه الدنیا و هم یحسبون أنهم یحسنون صنعاً))(۳) قال :کفره أهل

الکتاب فإن أولیهم کانوا فى حق فابتدعوا فى دینهم فأشرکوا بربهم وهم یجتهدون فى

العباده یحسبون أنهم على شیء فهم الآخرون أعمالا... ثم رفع صوته وقال: وما

۱- المصدر نفسه، الاحتجاج، الشیخ الطبرسى، ص ۳۰۳ ج

۲- کان خارجیاً بل کان من کبار زعمائهم وفى حدیثه عن الخوارج قال الضارى: (ولذلک سمیت الخوارج: حروریه/ وزعیمهم یومئذ: عبد الله بن الکواء ومعه شبث بن ربعى) ینظر: ص ۶۵، الإمام الزهرى وأثره فى السنه، حارث سلیمان الضارى، مکتبه بسام، موصل، العراق، ۱۴۰۵ ۱۹۸۵ م، وکان ابن الکواء کثیر المساءله لعلى علیه السلام، کان یسأله تعنتاً، قتل مع الخوارج فى

النهروان

٣- الكهف ١٠٣

أهل النهروان غداً منهم ببعيد!))(۱)

ومن حديث المستقبل الذى عايشه المسلمون الأوائل قول رسول الله صلى الله عليه و آله فيما ثبت عنه فى الصحيحين: ((إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله))(۲)

ومقتل عمار بن ياسر رحمه الله على يد السياسيين بعد أكثر من ثلاثه عقود على ما أخرهم به النبى صلى الله عليه و آله من المستقبليات التى عايشوها واستشهدوا بها، قال ابن كثير: ((وكذلك الإخبار بمقتل عمار، وأما ذكر الخوارج الذين قتلهم على بن أبى طالب عليه السلام ومقتلهم وبعث ذى الندبه منهم، فالأحاديث الوارده فى ذلك كثيره جداً))(۳).((وعن أم سلمه أن رسول الله قال لعمار: تقتلك الفئه الباغيه))(۴)

بل حتى المتشدد ابن تيميه تحدث عن المستقبليه والإخبار بالغيب بثقه ويقين، ومما جاء عنه قوله الذى نأتى به للاستشهاد وليس لليقين بصحته، لأنه مشكوك بنواياه وصدقه: ((وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أسماء عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: ((سيكون فى ثقيف كذاب ومبير))(۵) ويقصد بذلك الحجاج والمختار الثقفيين.

وضمن سياق الحديث عن الغيبيات ورد حديث لرسول الله كان فيه النبى صريحا

۱- الغارات، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هلال المعروف بابن هلال الثقفى، تحقيق عبد الزهره الحسينى الخطيب، دار الأضواء، بروت، ۱۴۰۷ -۱۹۸۷ ، ص ۱۰۳-۱۰۵

۲- النهايه فى الفتن والملاحم، ابن كثير، ص ۲

۳- المصدر نفسه، ص۴

۴- تهذيب خصائص الإمام على، أبى؛ عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائى، تحقيق أبى؛ إسحاق الحوينى الأثرى، دار الكتب العلميه، بروت، ۱۴۰۵/ ۱۹۸۴ م، حديث ۱۵۲، ص ۱۲۰

۵- منهاج السنه النبويه فى نقض كلام الشيعه القدريه،أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيميه،مكتبه ابن تيميه، سنه

النشر: ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م، ص١٤٨ ، ج ٨

وواضحاً فی غیبیاته ومستقبلیاته حتی أنه حدد الخلافه الإسلامیه بثلاثین عاما، لیس لمنحها الشرعیه بما یتعارض مع النص علی خلافه علی بن ابی طالب علیه السلام للنبی صلی الله علیه و آله وهو أمر مفروغ منه ومن صحته، ولا مجال لمناقشته، وإنما إخبار من النبی بأن هناک فی مستقبل الإسلام مرحلتان، الأولی: مرحله الخلافه بغض النظر عن مضامینها وصدقها وضعیتها، والثانیه: مرحله التوارث والملکیه بغض النظر عن ضعیتها، فالمقام لم یکن مقام حدیث عن الشرعیه، وإنما عن التاریخ والمستقبل. قال ابن کثری: ((وتقدم الحدیث الذی رواه أحمد وأبو داود والنسائی والترمذی وحسنه من طریق سعید بن جهمان عن سفینه أن رسول الله صلی الله علیه و آله قال: الخلافه بعدی ثلاثون سنه ثم تکون ملکاً. وقد اشتملت هذه الثلاثون سنه علی خلافه أبی بکر الصدیق، وعمر الفاروق وعثمان الشهید، وعلی بن طالب الشهید أیضا، وکان ختامها وتمامها بسته أشهر ولیها الحسن بن علی بعد أبیه))(۱)

ویعنی هذا بان معاویه قاتل خلیفتین شرعیین هما علی والحسن لکی یستولی علی الحکم وتتحقق النبوءه التی أخربت المسلمین أنه بصلح الإمام الحسن علیه السلام انتهت الخلافه إلی الأبد وحل بدلا عنها الملکیه الوراثیه القیصریه.(۲)

فضلا عن ذلک توجد هناک أحادیث مستقبلیه أوردتها کتب حدیث المدارس الإسلامیه نوهت فعلا عن حتمیه قتال الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام لثلاث فئات إسلامیه، تخرج علیه من بین المسلمین، وهی الوقائع التی حدثت فی خلافته علیه السلام وقد

۱- النهایه فی الفتن والملاحم، ص ۴

۲- مع کل ذلک التوضیح هناک من یعتقد أن الخلافه الإسلامیه استمرت حتی مع الخلفاء الأعاجم الذین استعمروا الأمه، وأنها

لم تنقطع إلا بانتهاء سلطه سلاطين بنى عثمان فى بدايه القرن العشرين،ينظر: على محمد العلابى، تاريخ الدوله العثمانيه

أورد النسائی عن أبی سعید الخدری قال: کنا جلوساً ننظر رسول الله صلی الله علیه و آله فخرج إلینا قد انقطع شسع نعله؛ فرمی به إلی علی علیه السلام فقال: ((إن منکم رجلاءیقاتل الناس علی تأویل القرآن کما قاتلت علی تنزیله، فقال أبو بکر: أنا؟ قال: لا، قال عمر: أنا؟ قال: لا، ولکن خاصف النعل))(۱)

إن قتال الإمام علی للخوارج خبر مفعم بالمستقبلیه، والخوارج هم المارقه، وعن أبی سعید الخدری رضی الله عنه أن رسول الله قال: ((تمرق مارقه من الناس یلی قتلهم أولی الطائفتین بالحق)(۲)

وفی حدیث له ارتباط بهذا الحدیث، عن أبی سعید الخدری قال: قال رسول الله: ((تکون أمتی فرقتین فیخرج من بینها مارقه یلی قتلهم أولاهما بالحق))(۳) وفی هذا الحدیث إشاره مهمه للفرقتین، حیث تکون إحداهما أولی بالحق من الأخری، أی تکون الأخری بعیده عن الحق، أی ضاله، ولما کان من المتفق علیه ان علیاً علیه السلام هو الذی قاتل تلک الخارجه، فذلک معناه أن فرقته أولی بالحق من الفرقه التی قاتلته، وهی فرقه السیاسیتین٠

أما فی الحدیث الآخر، فالصوره أوضح حیث تفرق الأمه إلی فرقتین ومن بینهما تمرق طائفه یقتلهم أولی الفرقتین بالحق وهو علی علیه السلام بمعنی أن الأخری علی باطل: عن أبی سعید: ((تفترق أمتی فرقتین، تمرق مارقه تقتلهم أولی الطائفتین بالحق)(۴)

۱- تهذیب خصائص الإمام علی، أبی عبد الرحمن أحمد بن شعیب المعروف نسائی، حدیث ۱۵۰، ص۱۱۸-۱۱۹
۲- المصدر نفسه، حدیث ۱۶۰، ص ۱۲۳
۳- المصدر نفسه، حدیث ۱۶۲، ص ۱۲۳
۴- المصدر نفسه، ۱۶۳، ص ۱۲۴

والحديث الآخر عن الخدری أن رسول الله صلی الله علیه و آله، قال: ((تمرق مارقه عند فرقه من الناس تقتلهما أولی الطائفتین بالحق)(۱)

كما أن الحديث عن غربه الإسلام يأتی من بين دفتی دفتر المستقبليه، إذ ثبت فی الصحيح من حديث الأعمش، عن أبی إسحاق، عن أبی الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: ((إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبی للغرباء قيل: ومن الغرباء؟ قال: الترأئح من القبائل)). ورواه ابن ماجه عن أنس و أبی هريره.(۲)

كذلك الحديث عن المهدويه مستقل، والأحاديث المهدويه على كثرتها من المستقبليات المؤكده، ومنها حديث أنقله بتحفظ كبير كمثال لا أكثر: ((عن قيس عن شعيب بن خالد عن أبی إسحاق قال: قال علی ونظر إلی ابنه الحسن فقال: إن ابنی هذا سيد كما سماه رسول الله صلی الله علیه و آله وسيخرج من صلبه رجل يسمی باسم نبيكم صلی الله علیه و آله يشبهه فی الخلق ولا يشبهه فی الخلق ثم ذكر قصه يملأ الأرض عدلًا))(۳)

كما كان الوعد بما سيصيب أهل البيت عليهم السلام من عسف وجور على أيدی السياسيين جزءاً من المنظومه المستقبليه التی خصهم فيها النبی صلی الله علیه و آله دون غيرهم.

۱- المصدر نفسه، حديث ۱۶۴، ص۱۲۴

۲- النهايه فی الفتن والملاحم، ابن كثير، ص۱۴

۳- ابن كثير النهايه فی الفتن والملاحم، ص ۲۳

ایذاء الحکام الجائرین لآل البیت علیهم السلام

فی الأقل هناک فیما یخص موضوعنا بالذات أربعه وعود من رسول الله صلی الله علیه و آله أودعها قلوب المسلمین، تتحدث عن المستقبل الذی تنتظره أمه الإسلام وینتظره، وقد عایشوها وتذکروا قوله بشأنها:

٠ الوعد الأول: کثره الغتن التی سوف تحدث بعد موته مباشره.

وقد وردت فی ذلک أحادیث کثیره، منها الحدیث الذی أخرجه البخاری ومسلم وجمع کبیر من أهل الحدیث، والنص لابن کثیر فی الفتن: ((ثم روی البخاری ومسلم من حدیث الزهری، عن عروه، عن أسامه بن زید قال: أشرف النبی صلی الله علیه و آله علی أطم من أطام المدینه فقال: ((هل ترون ما أری؟ قالوا: لا. قال: فإنی لأری الفتن تقع خلال بیوتکم کوقع المطر)).

وروی من حدیث الزهری، عن سعید، عن أبی هریره، عن النبی صلی الله علیه و آله قال:((یتقارب الزمان وینقص العلم ویبقی الشح وتظهر الفتن ویکثر الهرج. قالوا: یا رسول الله إیما هو؟ قال: القتل القتل)). ورواه أیضاً عن الزهری، عن حمید، عن أبی هریره، ثم رواه من حدیث الأعمش، عن سفیان، عن عبد الله بن مسعود وأبی موسی(۱).

وفی فتن نعیم بن حماد: عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلی الله علیه و آله:إن الفتنه راتعه فی

ص: ۳۵۵

۱- المصدر نفسه، ص ۲۸

بلاد الله تطأ فی خطامها لا یحل لأحد أن یوقظها، ویل لمن أخذ بخطامها)).(۱)

إن الویل: کلمه عذاب، یقال ویله، وویلک، وویلی، وفی الندبه ویلاه، قال الأعشی:

قالت هریره لما جئت زائرها ویل علیک وویل منک یا رجل

والویل: حلول الشر. قال الراغب الأصفهانی: قال الأصمعی: ویل قبح، وقد

یستعمل علی التحسر(۲)

وقال: وردت (ویل) فی القرآن فی أکثر من موضع منها کأمثله: ((فویل لهم مما

کتبت أیدیهم))(۳)و ((و ویل للکافرین))(۴) و ((ویل لکل أفاک أثیم))(۵) و ((فویل للذین کفروا))(۶) و ((ویل للمطففین))(۷) و((ویل لکل همزه))(۸)

ولقد ثبت بما لا یقبل الشک والتأویل أن معاویه أیقظ الفتنه یوم قاد جیش الشام

لمحاربه علیی علیه السلام، وأیقظها مره أخری یوم قاد جیشه بعد أیام معدودات من مقتل علی

لیحارب الحسن علیه السلام، فاستحق الویل مرتین

٠ الوعد الثانی: إن أهل بیت النبوه صلی الله علیه وآله سیلقون البلاء بعده.

وهو الآخر وردت بشأنه أحادیث کثیره منها حدیث ابن کثیر: ((وقال ابن ماجه

۱- فتن ابن حماد،ص ۳۰

۲- مفردات القرآن، الراغب الأصفهانی، ص ۸۸۸

۳- سوره البقره: ۷۹

۴- سوره إبراهیم:۲

۵- سوره الجاثیه: ۷

۶- مریم، ۳۷

۷- المطففین:۱

۸- الهمزه: ۱

حدثنا عثمان بن ابی شیبه، حدثنا معاویه بن هشام، حدثنا علی بن صالح، عن یزید بن أبی

زیاد، عن إبراهیم، عن علقمه، عن عبد الله قال: بینما نحن عند رسول الله صلی الله علیه وآله اغرورقت

عیناه وتغیر لونه قال: فقلت: ما نزال نری فی وجهک شیئا ذکرهه فقال: إنا أهل بیت

اختار الله لنا الآخره علی الدنیا، وإن أهل بیتی سیلقون بعدی بلاء وتشریداً وتطریداً

حتی یأتی قوم من قبل المشرق معهم رایات سود فیسألون الخبز (فی أغلب الروایات:

الخیر) فلا یعطونه فیقاتلون فینصرون فیعطون ما سألوا فلا یقبلونه حتی یدفعوها إلی

رجل من أهل بیتی فیملأها قسطاً کما ملئت جوراً، فمن أدرک ذلک منکم فلیأتهم ولو

حبواً علی الثلج))(۱)

• الوعد الثالث: إن أئمه أهل البیت علیهم السلام کانوا علی إطلاع مسبق بمجریات

الأمور.

وبالرغم من وجود من ینکر هذه الکرامه الفریده ولاسیما بین المثقفین والاکادیمیین

العلمانیین وبعض المتفیقهین الذین یستکثرون علی الأئمه علیهم السلام أن یتحدثوا فی الغیبیات،

ویعدون ذلک تطرفا شیعیا مبعثه الغلو، فإن الوقائع تثبت أنهم علیهم السلام کانوا ملمین

بأخبار مستقبلیه ورثوها عن أبیهم علی عن رسول الله صلی الله علیه وآله عن الله جل جلاله، وهناک الکثیر

من الروایات والأحادیث التی توثق إخبار رسول الله صلی الله علیه وآله لعلی علیه السلام بأشیاء من المغیبات

والغیبیات إلی حد التفصیل الدقیق، حتی أنه حینما أخبره عن حرب المارقین(النهروان)

وصف ید أحدهم وصفا دقیقا وصل إلی درجه توصیف ثلاث شعرات فی طرفها،

والحدیث أخرجه النسائی فی الخصائص، قال: ((أخبرنا الحسن بن مدرک قال: حدثنا

یحیی بن حماد قال: ((أخبرنا أبو عوانه قال: أخبرنی أبوسلیمان الجهنی أنه کان مع علی علیه السلام

۱- النهایه فی الفتن والملاحم، ابن کثیر، ص ۲۵

يوم النهروان... فلما كان يوم النهروان وقتل على الحروريه، فخرج على قتلهم حين لم

يجد ذى الثدى، فطاف حتى وجده فى ساقيه، فقال: صدق الله وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله

وقال لى: فى مسكنه ثلاث شعرات فى قبل حلمه الثدى))(۱)

وفى حديث آخر، قال النسائى: ((اخبرنا محمد بن العلاء قال: حدثنا أبو معاويه

عن الأعمش عن زيد (وهو ابن وهب) عن على بن ابى طالب عليه السلام، قال: لما كان يوم

النهروان لقى الخوارج فلم يبرحوا حتى شجروا بالرماح (قتلوا جميعا) قال على عليه السلام:

أطلبوا ذا الثديه، فطلبوه فلم يجدوه، فقال على: ما كذبت ولا كذبت أطلبوه فوجدوه فى

وخده من الأرض عليه ناس من القتلى فإذا رجل على يده مثل سبلات السنور، فكبر

على عليه السلام والناس، وأعجبهم ذلک))(۲)

وفى الحديث آخر جاء عن على عليه السلام أنه قال لجنده: ((التمسوا المخدج (وذلک فى يوم

شات) فقالوا: ما نقدر عليه، فركب على بغله النبى صلى الله عليه وآله الشهباء، قال: هذ۵ من الأرض،

قال: التمسوا فى هؤلاء، فأخرج فقال: ما كذبت ولا كذبت، اعملوا ولا تتكلموا لولا

أنى أخاف أن تتكلوا لاخبرتكم بما قضى الله لكم على لسانه))(۳)

وفى حديث آخر: ((أخبرنا محمد بن عبيد قال: حدثنا أبو مالك (وهو عمرو بن

قيس) عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش أنه سمع عليا عليه السلام يقول: ((أنا فقأت عين

الفتنه، لولا أنا ما قتل أهل النهروان وأهل الجمل. يقول: ولولا أخشى أن تتركوا العمل

لاخبرتكم بالذى قضى الله على لسان نبيكم لمن قاتلهم مبصرا ضلالتهم عارفا بالهدى

۱- خصائص النسائى، حديث ۱۷۴ ص ۱۲۹

۲- المصدر نفسه، حديث ۱۷۶ ص ۱۳۰- ۱۳۱

٣- المصدر نفسه، حديث ١٧٧ ص ١٣١

...

الذى نحن عليه))(١) وقوله عليه السلام: ((ولولا أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذى قضى

الله على لسان نبيكم)) يعنى انه يعرف ما لا يعرفه أحد، تعلم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله

وعن النسائى أيضا: عن كليب الحرمى عن أبيه قال: ((كنت عند على عليه السلام جالسا، إذ

دخل رجل عليه ثياب السفر، وعلى عليه السلام يكلم الناس ويكلمونه، فقال: يا أمير المؤمنين

أتأذن لى أن أتكلم؛ فلم يلتفت إليه وشغله ما فيه، فجلس إلى رجل، قال له: ما عندك،

قال: كنت معتمراً، فلقيت عائشه، فقالت: هؤلاء القوم الذين خرجوا فى أرضكم

يسمون (حروريه)، قلت: خرجوا فى موضع يسمى حروراء، تسمى بذلك، فقالت:

طوبى لمن شهد منكم، لو شاء ابن أبى طالب لأخبركم خبرهم، فجئت أسأله عن

خبرهم. فلما فرغ على، قال: أين المستأذن، فقص عليه، كما قص علىّ، قال: إنى دخلت

على رسول الله صلى الله عليه وآله وليس عنده أحد غير عائشه، فقال لى: كيف أنت يا على، وقوم كذا

وكذا، قلت: الله ورسوله أعلم، ثم أشار بيده، فقال: قوم يخرجون من المشرق، يقرأون

القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه، فيهم رجل

مخدج، كأن يده ثدى حبشيه، أنشدكم بالله أخبرتكم به؟ قالوا: نعم، قال: أنشدكم بالله

أخبرتكم أنه فيهم، قالوا نعم، فجئتمونى وأخبرتمونى أنه ليس فيهم، فحلفت لكم بالله

أنه فيهم، ثم أتيتمونى به تسحبونه كما نعت لكم، قالوا: صدق الله ورسوله))(٢)

وعن الأعمش عن زيد، وهو ابن وهب، عن على بن أو طالب عليه السلام قال: لما

كان يوم النهروان لقى الخوارج فلم يبرحوا حتى شجروا بالرماح (قتلوا جميعا) قال

على عليه السلام: اطلبوا ذا الثديه فطلبوه، فلم يجدوه، فقال على: ما كذبت ولا كذبت، اطلبوه

فطلبوه فوجدوه فى وخده من الأرض عليه ناف من القتلى، فإذا رجل على يده مثل

۱- المصدر نفسه، حدیث ۱۸۱ص ۱۳۳

۲- الخصائص،النسائی ص .۱۰ - ۱۰۱ النسائی

...

سبلات السنور، فكبر على عليه السلام وأعجبهم ذلك)).

وعن محمد بن سيرين قال: قال عبيده السلمانى:لما جئت أصيب أصحاب

النهروان، قال على عليه السلام: اتبعوا فيهم فإنهم إن كانوا من القوم الذين ذكرهم رسول

الله صلى الله عليه وآله فإن فيهم رجلا مجدب اليد، أو مثدون اليد، أو مودون اليد، وأتيناه فوجدناه،

فدللناه عليه، فلما رآه قال: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، والله لولا أن تبطروا، ثم ذكر

كلمه معناها، لحدثتكم بما قضى الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله ، فى قتل هؤلاء، قلت:

أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أى ورب الكعبه ثلاثا)).

وعن المنهال بن عمرو عن ذر بن حبيش أنه سمع عليا عليه السلام يقول: أنا فقأت عين

الفتنه، لولا أنا ما قل أهل النهروان وأهل الجمل، ولولا أخشى أن يتركوا العمل

لأخبرتكم بالذى قضى الله على لسان نبيكم لمن قاتلهم مبصرا ضلالتهم عارفا

بالهدى الذى نحن عليه))(۱)وانظر عن أخبار الخوارج ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغه، ج ۲، ۲۶۵ وما

بعدها، وعن رأى عائشه فى زعم عمرو بن العاص أنه قتل ذا الثديه بالإسكندريه(۲)

يعنى هذا، أن العلم المستقبلى بحدوده الدنيا، ولكن الموثوق كان معروفا لكثير من

المسلمين، ولذا تناقلوا رواياته وعايشوا تحقق تلك الأخبار؛ ولما كان الإمام الحسن عليه السلام

صحابيا مقربا من النبى صلى الله عليه وآله وابنا لرسول الله ولعلى ولفاطمه(عليهم صلوات الله)

فيستحيل أن يكون غير مطلع على البرنامج الربانى المستقبلى، بل كان يحمل فى ذاكرته

وعقله قصصا موثقه ضخت فى كيانه كما كبيراً من الحديث عن مستقبل الأيام وما

۱- تهذيب الخصائص، النسائى، ص ۱۰۴ - ۱۰۵

٢- شرح نهج البلاغه، ٢ /٢٦٨

سيقع فيها بما فى ذلك عقد الصلح مع معاويه، ولهذا السبب سماه بعضهم: الكاهن،

أى العارف بالمستقبل، والعارف بالمستقبل لا يمكن أن يرضخ للظن أو التوقع أى: أن

حراكه يكون محكوماً بعلم المستقبل الذى يملكه.

أنطلق من الروايات التى أوردى مثالاً لا أكثر فضلاً عن الروايات التى ساءوردها

لأتحدث عن علاقه أئمه أهل البيت عليهم السلام بالمستقبليه، وأود بدايه أن أقول: بأن مجرد

إخبار رسول الله صلى الله عليه و آله للإمام الحسن عليه السلام أو مجرد حديثه أمامه عن دوره فى الإصلاح بين

الناس كما سيمر علينا يضع الإمام عليه السلام الحسن فى لب المستقبليه بعد أن ربط مصيره بها

فأصبح على يقين أنه حمل أمر المستقبل وما عليه سوى الانتظار.

ومن هذه الروايات فى الكافى عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن ابى عمر، عن

عبد الصمد بن بشر، عن ابى الجارود، عنابى جعفر عليه السلام قال: ((إن أمير المؤمنين عليه السلام

لما حضرته الوفاه قال لابنه الحسن: ادن منى حتى أسر إليك ما أسر إلىّ رسول الله صلى الله عليه و آله

وائتمنك على ما ائتمننى عليه، ففعل))(١)

وقال ابو جعفر الطبرى الشيعى: حدثنا أبو محمد سفيان، عن أبيه، عن الأعمش،

قال: قال فقير بن عبد الله بن مجاهد] كذا [، عن ابن الأشعث، قال:كنت مع الحسن بن

على حين حوصر عثمان فى الدار، وأرسله أبوه ليدخل إليه الماء، فقال لى: يا بن الأشعث

الساعه يدخل عليه من يقتله، وإنه لا يمسى. فكان كذلك، ما أمسى يومه ذلك)) وأيضا

هناك روايه أخرى جاء فيها، قال أبو جعفر: حدثنا سفيان، عن أبيه، عن الأعمش،

قال: قال محمد بن صالح: ((رأيت الحسن بن على يوم الدار وهويقول: أنا أعلم من يقتل

(١) الكافى ١: ٢٣٦|٣، ونقله المجلى فى بحار الأنوار ٤٣: ٣٢٢|٣

عثمان، فسماه قبل أن يقتله بأربعه أيام، وكان أهل الدار يسمونه الكاهن)).(۱)

• الوعد الرابع: أن الأمه كانت تعرف ما يصيب أهل البيت عليهم السلام حتى قبل وقوعه وكانوا يصدقون اخباره عند وقوعه.

وهو الآخر ورد بشأنه الكثير من الأحاديث، منها قال ابن ماجه: حدثنا عثمان بن أبى شيبه، حدثنا معاويه بن هشام، حدثنا على بن صالح، عن يزيد بن أبى زياد، عن إبراهيم، عن علقمه، عن عبد الله قال: ((بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله اغرورقت عيناه وتغير لونه قال: فقلت ما نزال نرى فى وجهك شيئا ذكرهه فقال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخره على الدنيا وإن بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريداً و طريداً حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخبز فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتى فيملأها قسطأ كما ملئت جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج)).(۲)

وقد جاء عن الإمام الحسن عليه السلام بعد عقد الصلح ودخول معاويه وعمرو بن العاص إلى الكوفه وطلب معاويه منه أن يخطب الناس، طبعا نكايه به؛ بأنه: تشهد ثم قال: ((أما بعد يا أيها الناس فإن الله قد هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مده، والدنيا دول، وإن الله تعالى قال لنبيه: ((و إن أدرى لعله فتنه لكم ومتاع الى حين))

بدلاله حديثه عن مده الأمر فى قوله: (وإن لهذا الأمر مده) فهو يؤمن ويعرف أن لكل شيء مده هو بالغها. وكل ذلك وتلك الروايات تؤكد ذلك وتثبت أن الأئمه كانوا يتعاملون مع البرنامج الإلهى بعلم مسبق ومعرفه يقينيه.

۱- دلائل الإمامه/ص۱۶۸/ج(۱۱/۸.)و(۱۲/۸۱).

۲- النهایه فی الفتن والملاحم لابن کثیر، مصدر سابق، ص۲۵

و عليه لا نستغرب أن يبعد الإمام على عليه السلام عن حقه، ويوضع الإمام الحسن عليه السلام فى موضع لا يحسد عليه، فيضطر إلى طلب الصلح إبقاء على الإسلام والمسلمين من الفناء، ويقتل الحسين عليه السلام، وتدور مجزره قتل وتشريد وتغييب الطالبيين على مر التاريخ ولا يتحركون كما فى مقدورهم أن يتحركوا، فيلين لهم الحديد وتطيعهم الأشجار والبحار والصواعق.

ولا نستغرب من أن الأئمه عليهم السلام كانوا يعرفون بهذه الوقائع قبل وقوعها بزمن طويل وهذا يعنى أن تصرفاتهم الخاصه والعامه وسلوكياتهم وتعاملاتهم السياسيه والدينيه والحياتيه كلها محكومه بما ألقى إليهم من قول أصبحوا ملزمين بتطبيقه حرفيا رضى الناس أم كرهوا، اعتقدوا أم اعترضوا، كفروا أم آمنوا.

ولا نستغرب أن الإمام الحسن عليه السلام كان على علم بكل دقيقه من دقائق عمر إمامته بدءا من ساعه توليه الخلافه و إلى ساعه موته، كان يعرف كيف سيتصرف معاويه وكيف سيتعامل معه أنصاره وجيشه، ونتائج الحشد المتهيئ للقتال، وموضع الصلح وتداعياته، كان يعلمها لا بعلم الغيب كما يتهمنا بعض الأخوه بأنا نقول أن الأئمه يعلمون الغيب؛ وإنما عن طريق التعلم، عن طريق الأخبار المستقبليه العامه والخاصه التى علمها النبى صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام ونقلها على لأبنائه الأئمه عليهم السلام، ولذا لا يحق لأى إنسان مهما كانت منزلته أن يعترض على قول أو فعل يصدر عن الإمام المعصوم مطلقا؛ فهو أدرى بما يصنع ويقول، وهو دائما على صواب سواء قاتل أم صالح، ولكننا مع ذلك نجد بين المتقدمين والمتأخرين من اتخذ موقفا سلبيا من الصلح انعكس على نظرته إلى قداسه ومنزله الإمام الحسن عليه السلام وبشكل يدل على الجهل قبل كل شيء.

الخاتمه

لقد وجدته ضجيجا عالياً جدا ذاك الذى أحدثه السياسيون العرب لتقويض الحسنيه، وتشويه نقاء سيره الإمام الحسن عليه السلام، ولايزال صداه إلى الآن يتردد فى عقولنا، وبقيت آثاره تتحكم بطرائق تعاملنا مع هذه القامه الباسقه، فمتى نتحرر من تلك السطوه؟ ومتى نعيد لسيره الإمام المجاهد المعصوم الحسن بن على بن أبى طالب عليهما السلام بريقها؟

إن ما رمت الوصول إليه مما تقدم من البحث، ومن خلال هذا التجميع المضنى لبعض النصوص التى بدأت تنتشر فى الاونه الأخير على شبكه الانترنيت وفى الصحف الورقيه والبحوث والكتب، هو أن التكتيم الذى مورس تأريخيا على دور العرب المسلمين السياسى أثر كثيرا فى قرارات واستنتاجات من جاء بعدهم من الكتاب والمؤرخين، فاحتاروا بين أن تكون هناك برامج سياسيه عربيه ناهضه، وبين أن يكون العرب من الأمم التى كانت تجهل العمل السياسى، وما تأكد لى من خلال البحث والمتابعه أن المجتمع الإسلامى الأول عرف السياسه بكمال ألوانها وصيغها وألاعيبها ودناءتها وخياناتها و مؤامراتها، وأنه مارس العمل السياسى فعلا، وأجاد الصنعه وأحسن الفن، بحيث نجح فى تمرير طبخات عظيمه دون أن يشعر بها المخالف الساذج أو يفضح أمره، وأنه نجح فى تغطيه هذه المؤامرات وعصبها برأس من لا ناقه لهم فيها ولا جمل، لكى يبرّئ نفسه منها، ويظهر بمظهر الحريص على الدين والحاكم الشرعى، ومن هذه الطبخات: مقتل الخلفاء الثلاث عمر وعثمان وعلى عليه السلام، وهو ثمن غال جدا

دفعته الأمه المسلمه ودفعته العقيده مقابل سعى هؤلاء السياسيين إلى نيل المناصب التى

كانوا يناضلون للحصول عليها.

وإذا ما كان النبى الاءكرم صلى الله عليه وآله قد عمل بجد للقضاء على الشحناء والاءحقاد السياسيه

التى شخّص وجودها فى المجتمع الأول، ونجح فى كبتها وتحجيمها. فإن ما حدث بعد

موته مباشره يثبت أن مجايله بعض أهل المدينه لعصر البعثه وجيل الصحابه لم تجوهر

إيمانهم الحقيقى بالعقيده بقدر ما جوهرت تطلعاتهم السياسيه، ولذا نرى ((أن جميع

الأحقاد السياسيه التى كان النبى صلى الله عليه وآله قد كبتها بنفوذه الأدبىّ لم تلبث أن ذرت قرنها))(١)

ومنه نتأكد من صحه وجود الفصيل السياسى الذى مارس الضغوطات على رجال

الدين وعلماء العقيده، بعد أن أثمر جهده المتواصل وخيرته الكبيره المكتسبه والتجارب

الكثيره التى مر بها فى إزاحه القياده الشرعيه عن مكانها الرسمى بقتل الإمام على عليه السلام

والانفراد بالإمام الحسن عليه السلام.

وأن يتصدى الإمام الحسن عليه السلام لمثل هذا الجهد السياسى المنظم وينتصر من خلال

النجاح بالبقاء على قيد الحياه وقياده الأمه قيميا وأخلاقيا ثم التصدى لمناهج السياسه

المنحرفه والحكام المنحرفين لهو أكبر دليل على عظمه الحسن عليه السلام وعلو شأنه، وأكبر

دليل على أن الحسن عليه السلام الخليفه والقائد السياسى لم يكن أقل كفاءه وجداره وتنظيما من

الحسن عليه السلام الإمام المعصوم والقائد الربانى، فهو كما نجح فى الإمامه نجح فى السياسه

ولولا نجاحه السياسى لكانت الأمه اليوم تتعبد بمفاهيم السياسيين التى نشرها

الإسلام الأموى بين الناس ولا تعرف شيئا عن الإسلام المحمدى.

أما السياسيون فإنهم أصيبوا بالخيبه والخذلان بعد أن تبين لهم ولمن جاء بعدهم أن

١- تاريخ الشعوب الاسلاميه. كارل. ج١. ص٩٨

كل الدس والتحريف لم ينجح فى إخفاء وهج الإمام الحسن عليه السلام، وأرى أن بقاء شعله

الفكر الحسنى منيره مضيئه معطاء نافعه للأمه كل هذه السنين بالرغم مما تعرضت له

من محاولات لاطفائها يثبت مدى انطباق قوله تعالى: ((فأما الزبد فيذهب جفاء وأمّا ما ينفع الناس فيمكث فى الارض)) على الحسن عليه السلام ومناوئيه؛ فالحسن عليه السلام لأنه مما ينفع الناس

خلّده الله فى قلوبنا وخلّد ذكره، والآخرون من أعدائه، لأنهم زبد أذهب الله وهجهم

وأطفأ شعلتهم وخيب مساعيهم ومؤامراتهم، ولم تنفعهم كل تلك الجرائم والجرائر.

ولكى لا نستهين بفعلهم يجب أن نذكر بعض محاولاتهم للنيل من الإمام

الحسن عليه السلام ففى ذكرها تأكيد لنجاح الإمام عليه السلام وفشلهم. وبالتأكيد تطول قائمه من

يريد جمع الافتراءات التى ارتكبوها بحق الإمام الحسن عليه السلام لأنها بدأت منذ اللحظه

الأولى لولادته ولم تنته لغايه هذه اللحظه، وبعيدا عن المفتريات الطائفيه والأخرى التى

سأمر عليها مرور الكرام، سوف أركز حديثى على بعض الافتراءات السياسيه حصراً

لأنها الأساس الذى قامت عليه باقى الافتراءات بأنواعها، لكى أثبت وبالدليل القاطع

أن السياسه العربيه التى دخلت تحت عباءه الدين، وتزيت بزى الإيمان، فضلا عن

كونها شوهت مبانى العقيده وأغرت الكثير من المسلمين بالابتعاد عن جوهر الإسلام؛

نجحت كذلك فى التأثير على جميع مكونات العالم الإسلامى، وأثرت فى أنماط سلوكهم

وتفكيرهم من خلال تأثيرها على السعى الإسلامى النقى لأئمه أهل البيت عليهم السلام الذين

وباعتراف الجميع كانوا يريدون السير بالأمه على المحجه البيضاء، كما أخرج ابن أبى

الحديد عن الخليفه عمر قوله لسته الشورى بعد أن جمعهم وغادر على عليه السلام: ((والله، إنى

لأعلم مكان رجل لو وليتموه أمركم لحملكم على المحجه البيضاء. قالوا: من هو؟ قال:

هذا الولى من بينكم. قالوا: فما يمنعك من ذلك؟ قال: ليس إلى ذلك من سبيل))(١)

۱- شرح نهج البلاغه، م۳،ج ۱۲، ص۲۵۹ - ۲۶۰

و فی خبر ثان فی الاستیعاب وطبقات ابن سعد: أن عمر لما خرج أهل الشوری من

عنده، قال: إن ولوها الأجلح سلک بهم الطریق. قال عبد الله بن عمر: فما یمنعک منه،

یا أمیر المؤمنین؟ قال: أکره أن أتحملها حیا ومیتاً.(۱)

وفی هذا الحراک کله کان الإمام الحسن هلم یدعوهم إلی الله، فلا یسمعون، وقد أبرأ

ذمته أمام الله والناس أجمعین وعصب جریره الرفض برأس من لم یسمعه ولم یأخذ منه؛

فکذبه وأذکر فضله وکرهه وأبغضه وحاربه وقاتله وحاصره وقتله مسموما، غیر آبه

إلی کونه ابن رسول الله صلی الله علیه وآله ، عن جابر قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله : ((إن لکل بنی أب عصبه

ینتمون إلیها إلا ولد فاطمه فأنا ولیهم وأنا عصبتهم وهم عترتی خلقوا من طینی ویل

للمکذبین بفضلهم، من أحبهم أحبه الله ومن ابغضهم أبغضه الله))(۲)

هذا ما جاء به النبی صلی الله علیه وآله وقد صرح الکتاب العزیز بوجوب الآخذ عن النبی صلی الله علیه وآله

والانتهاء عما نهی عنه، قال تعالی: ((وما ءاتاکم الرسول فخذوه و ما نهاکم عنه فانتهوا))

فهل یصح أن تأخذوا ما ترضاه عقولکم وتترکوا ما أمرکم الرسول بالآخذ به؟

((أفتؤمنون ببعض الکتاب و تکفرون ببعض)) ألم یقل رسول الله: ((لا یؤمن

أحدکم حتی یکون هواه تبعاً لما جئت به))؟ فأین هم من قوله تعالی:

((قل إن کنتم تحبون الله فاتبعونی یحببکم الله ویغفر لکم ذنوبکم)) وأین هم من قوله تعالی: ((و ما کان لمؤمن و لا مؤمنه إذا قضی الله ورسوله أمرا أن یکون لهم الخیره من أمرهم و من یعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبینا)) ألم یتفق أئمه المذاهب الأربعه علی قاعده: (کل أحد یؤخذ

من کلامه ویترک إلا رسول الله) فلماذا لم یأخذوا بکلام رسول الله صلی الله علیه وآله الذی نقله لهم

۱- الاستیعاب، ج ۳،ص ۱۱۵۴ ترجمه عمر بن الخطاب، الطبقات الکبری، ج ۳،ص ۳۴۲ ترجمه عمر بن الخطاب

۲- البحار .ج۲۳ .ص۱۰۴.

الإمام الحسن عليه السلام، فحاربوه وقتلوه؟ وما ذنب الإمام الحسن عليه السلام إذا ما كانت قوى الشر

قد تكالبت عليه لتزيحه من أمامها لكى يتسنى لها السيطره على الدنيا ومباهجها؟

وبالتالى أرى أنه لا يمكن لأحد مهما علت منزلته وعظم شأنه أن يلوم الامام

الحسن عليه السلام،لأنه عقد مع معاويه صلحا، فيتخذ ذلك دريعه للتقليل من شأن هذا الامام

العظيم، وهذا ما سنعرفه فى الجزء الثانى من الكتاب بإذن الله تعالى، والحمد لله رب

العالمين.

ص :۳۶۹

المراجع

(أ)

- أهل البيت، الحسن بن على،توفيق أبو علم، ط٣، دار المعارف، القاهره، مصر.

إعلام الورى بأعلام الهدى، للشيخ الطبرسى، تحقيق مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

أمالى الصدوق، محمد بن على بن الحسين بن بابويه، تقديم: حسين الأعلمى، الناشر: مؤسسه الأعلمى للمطبوعات، ٢٠٠٩.

آمالى الطوسى،أبى جعفر بن محمد بن الحسن الطوسى، ترجمه، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مؤسسه الوفاء، ١٩٨١ .

الاحتجاج،أبى منصور أحمد بن على بن طالب لطبرسى، تحقيق الشيخ إبراهيم البهادرى والشيخ محمد هادى به، دار الأسوه للطباعه، طهران، ١٤٢٢.

أعلام النصر المبين فى المفاضله بين أهل صفين، أبى الخطاب عمر بن الحسن بن دحيه الكلبى (٦٣٣ ١٢٣٥م) دراسه وتحقيق الدكتور محمد أمزون، تقديم الدكتور سامى الصفار، مراجعه الدكتور محمود محمد الطناحى، دار الغرب الإسلامى، المغرب، ١٩٩٨.

أضواء على الصحيحين دراسه وتحليل لصحيحى البخارى ومسلم، تعريب يحيى كمالى البحرانى، مؤسسه المعارف الإسلاميه، قم، ١٤١٩.

الأنظمه السياسيه، الدكتور حميد حنون خالد، وزاره التعليم العالى والبحث العلمى،

جامعه بغداد، كليه القانون، الدار العربيه للقانون، بغداد، ٢٠١٠.

الإمامه وأهل البيت، محمد بيومى مهران، مركز الأبحاث العقائديه، المكتبه العقائديه.

الامامه والسياسه، المعروف بتاريخ الخلفاء، أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينورى (٢١٣_ ٢٧٦ه) تحقيق على شيرى، منشورات الشريف الرضى،(د.ت).

الإمام الزهرى و أثره فى السنه، حارث سليمان الضارى، مكتبه بسام، موصل، العراق، ١٤٠٥ ١٩٨٥م.

الاسلام، المستشرق هنرى ماسيه، ترجمه بهيج شعبان، ط٣، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٨ .

الإسلام والثوره، محمد عماره،ط٣، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م، دار الشروق، بيروت.

الأحكام السلطانيه والولايات الدينيه، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى (ت ٤٥٠ ه_)، المطبعه المحموديه،القاهره، (د. ت).

أهل السنه والجماعه معالم الانطلاقه الكبرى، محمد بن عبد الهادى المصرى، مكتبه الغرباء، اسطانبول، ١٩٩٢ .

الإيمان بالقضاء والقدر، الدكتور عبد السلام التونجى ط٢، ١٤٢٦، منشورات جمعيه الدعوه الإسلاميه، بنغازى، ليبيا.

الأوائل، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيبانى أبو بكر بن أبى عاصم (٢٠٦ - ٢٨٧ ه_ ٨٢٢ - ٩٠٠م) تحقيق: محمد بن ناصر العجمى، كتاب الكترونى.

أنساب الأشراف، احمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (ت ٢٧٩)، تحقيق محمد عبد الله، دار المعارف، مصر، (د.ت).

أسد الغابه فى معرفه الصحابه، على بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى

الجزری، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، تحقيق على محمد معوض وعادل أحمد عبد

ص :٣٧٢

الموجود، دار الكتب العلميه.

إحقاق الحق، ميرزا موسى الاحقاقى الاسكوئى،ط ۴، منشورات جامع الإمام الصادق. العامه – الكويت،۲۰۰۰.

الإصابه فى تمييز الصحابه، ابن حجر العسقلانى (۷۷۳- ۸۲۰ه) تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفه، بيروت، ۲۰۰۴.

إسعاف الراغبين فى سيره المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين بذيل نور الأبصار، الشيخ محمود بن على الصبان الشافعى، دار الفكر، دمشق.

الإرشاد الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى المفيد (۳۳۶- ۴۱۳).

الاغتيالات فى الإسلام،حسن عبد الله.

(ب)

– بحار الأنوار، المجلسى.

البدايه والنهايه، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى (۷۰۱-۷۷۴) تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى، دار عالم الكتب، ۱۴۲۴۲۰۰۳م.

بلوغ المرام فى أدله الأحكام، الحافظ ابن حجر العسقلانى (۷۷۳ت ۸۲۰ه) دار السلام، الرياض، ۱۹۹۷.

البدء والتاريخ، المطهر بن المطهر المقدسى (ت هه۳)، كتاب الكترونى، مكتبه المصطفى.

البحر الزخار المعروف بمسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكى البزار(ت۲۹۲) تحقيق الدكتور محفوظ الرحمن زين الله، مكتبه العلوم والحكم، المدينه

المنوره، سنه النشر: ۱۴۲۴/ ۲۰۰۳م....

ص :۳۷۳

(ت)

التأريخ السياسى والحضارى للدوله العربيه، الدكتور السيد عبد العزيز سالم، دار النهضه العربيه، بروت (د.ت).

التأريخ الإسلامى وفكر القرن العشرين دراسه نقديه فى تفسير التأريخ، الدكتور فاروق عمر، ط٢، مكتبه النهضه، بغداد، ١٩٨٥ .

تاريخ الأمم والملوك، جعفر بن محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤-٣١٥ هـ) مراجعه نواف الجراح، دار صادر، بروت، ٢٠٠٣.

تأريخ اليعقوبى، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى البغدادى (ت ٢٩٢) تعليق خليل المنصور، دار الاعتصام ١٤٢٥ه.

تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١١) ط٣، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، مكتبه الشرق الجديد، بغداد، دار العلوم الحديثه، بروت،١٩٨٧.

تأريخ الشعوب الإسلاميه، كارل بروكلمان، تعريب الدكتور نبيه أمين فارس ومنير بعلبكى، ط٢، دار العلم للملايين، بروت،١٩٥٣.

تاريخ بغداد، أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى أبو بكر - ابن النجار تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامى، سنه الطبع: ١٤٢٢ هـ - م٢٠٠١.

تاريخ دمشق الكبر، أبو القاسم على بن الحسن بن هبه الله الشافعى المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ه) تحقيق الشخ عبد القادر بدران، دار المسيره، بروت، ١٩٧٩ .

تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزى، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسه الرساله، سنه النشر: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ .

تهذيب خصائعص الإمام على، أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائى، تحقيق

أبی إسحاق الحوینی الأثری، دار الکتب العلمیه، بروت، ه_ ۱۴۰۵/ ۱۹۸۴م.

ص :۳۷۴

تذكره خواص الأمه فى خصائص الأئمه، الحافظ أبو الفرج سبط ابن الجوزى، قدم له السيد محمد صادق بحر العلوم، مكتبه نينوى، العراق، (د.ت).

تفسير القرآن العظيم، تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى، تحقيق سامى محمد السلامه، سته النشر: ١٤٢٢ / ٢٠٠٢م .

التقيه، نزيه محى الدين، كتاب الكترونى، شبكه الفكر.

التنبيه والإشراف، المسعودى، مؤلف كتاب مروج الذهب، دار التراث، بيروت، ١٣٨٨١٩٦٨م.

(ج)

– جزء فيه من أحاديث الإمام أيوب السختيانى، القاضى أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدى البصرى ثم البغدادى المالكى الجهضمى (المتوفى: ٢٨٢هـ) المحقق: د سليمان بن عبد العزيز العرينى، مكتبه الرشد وشركه الرياض – السعوديه، ١٤١٨هـ.

الجمل والنصره لسيد العتره فى حرب البصره، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى المفيد (٣٣٦-٤١٣) ط٢، تحقيق السيد على مير شريفى، مكتبه الإعلام الإسلامى، إيران، ١٤١٦.

جامع الأصول فى أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيبانى الجزرى ابن الأثير (ت ٦٠٦)، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، مكتبه الحلوانى، مطبعه الملاح، مكتبه دار البيان، كل جزء صدر بتاريخ مختلف، صدر الأول فى ١٩٦٩.

الجفر والفتن وإشراط الساعه لأمير المؤمنين على بن أبى طالب، إعداد عكاشه عبد المنان

الطيبى، دار اليوسف،بيروت، (د.ت).

ص :۳۷۵

الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبى، أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى،دار الفكر للطباعه والنشر.

جامع البيان عن تأويل آى القرآن، تفسير الطبرى، محمد بن جرير الطبرى، دار المعارف، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر.

(ح)

الحضارات فى السياسه العالميه، وجهات نظر جمعيه وتعدديه، بيترجى كاتزنشتاين، ترجمه فاضل جتكر،سلسله عالم المعرفه، رقم ٣٨٥، المجلس الوطنى للثقافه والفنون والآداب، الكويت.

الحضاره العربيه الإسلاميه، على حتى الخربوطلى، مكتبه الخانجى، القاهره، مصر، ١٩٧٥.

الحياه السياسيه للإمام الحسن،السيد جعفر مرتضى العاملى،المركز الإسلامى للدراسات، بروت، ١٤٣٢٢٠١١م.

حاشيه السندى على ابن ماجه، شرح سنن ابن ماجه، أبو الحسن الحنفى الشهر بالسندى، دار الجيل، بيروت.

حليه الأولياء وطبقات الأصفياء،الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانى، دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع، (د.ت).

حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد على، ط٢،عالم الكتب، بروت، ١٤٠٥ ١٩٨٤م.

حروب الشياطين، البابا شنوده الثالث، مكتبه الكتب المسيحيه، كتاب الكرونى.

(خ)

- الخلافه الإسلاميه، محمد سعيد العشماوی، ط۲، دار سينا، القاهره، ۱۹۹۲ .

الخلافه ونشأه الأحزاب الإسلاميه، الدكتور محمد عماره، ط٣، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤ .

الخراج، محمد بن عبد الله الأزرى البصرى.

(د)

-دور الآئمه فى الحياه السياسيه، الشيخ محمد اليعقوبى، مؤسسه البديل للدراسات والنشر، دار المتقين للثقافه والعلوم، بروت، ١٤٣٠ ٢٠٠٩م.

دور العصبيه القبليه وآثارها على المجتمع العربى، الدكتوره آمال آل كاشف الغطاء، مكتبه الصدر، قم، إيران، (د.ت).

دراسات فى تاريخ العربى قبل الإسلام والعهود الإسلاميه المبكره، د. خالد العسلى، إعداد د. عبد السلام رؤوف،دار الشؤون الثقافيه العامه،وزاره الثقافه، بغداد، ٢٠٠٢ .

دلائل الإمامه، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى العامى، (ت ٣١٠ هـ ، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميه، مؤسسه البعثه، قم، ١٤١٣.

دائره المعارف الإسلاميه، مجموعه مستشرقين، ج/ ٤٠١ ٤٠٢. تم إصدارها على طبعتين، الآولى بين ١٩١٣ و ١٩٣٨، والثانيه ما بين ١٩٥٤ و ٢٠٠٥، ويتم إصدارها من قبل شركه بريل الهولنديه. وقد ظهرت هذه الموسوعه بأكثر من لغه، أما بالنسبه للعربيه فقد تم تعريب بعض أجزائها وتنقيحها وصدرت فى مصر فى الستينات وأعيد طبعها بالشارقه عام ١٩٩٨.

(ذ)

-ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى، دار المعرفه للطباعه والنشر، بروت، ١٩٧٤ .

الذريه الطاهره النبويه، لأبى بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابى، تحقيق سعد المبارك

ص :۳۷۷

الحسن، الدار السلفيه- الكويت، ط١، ١٤٠٧ ــــ ١٩٨٦م.

(ر)

- روضه العقلاء ونزهه الفضلاء، محمد بن حبان البستى أبو حاتم، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلميه ــــ بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧.

رجال حول الرسول، خالد محمد خالد،دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥ .

الرياض النضره فى مناقب العتره الطاهره،أبوجعفر أحمد المحب الطبرى، صححه محمد بدر الدين النعسانى الحلبى، محمد أمين الخانجى، مصر (د.ت).

الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفورى، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت).

(س)

السيره النبويه، تدوين مختصر مع تحقيقات وإثارات جديده، سامى البدرى، ط٣ تحقيق السيد حسين البدرى والشيخ إحسان المظفر، دار طور سينين، دار الفقه، ٢٠٠٥.

السيره النبويه، عبد الملك المعافرى ابن هشام، تحقيق الشيخ محمد على القطب والشيخ محمد الدالى بلطه، المكتبه العصريه، بيروت، ٢٠٠٢.

ألسياسه وألأخلاق؛ من يحكم من؟، عزيز الخزرجى، كتاب الكترونى، موسوعه نينوى.

سنن الترمذى، محمد بن عيسى بن سوره الترمذى، دار الكتب العلميه، بيروت.

سنن النسائى بشرح جلال الدين السيوطى وحاشيه السندى، أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بجر النسائى، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧ ١٩٨٧م.

*ــــ وطبعه مكتب المطبوعات الإسلاميه، ١٤١٤ ١٩٩٤م .

سنن أبى داود، سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى، المكتبه العصريه.

سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزوينى، المكتبه العلميه، بيروت.

سنن الدارمی، عبد الله بن عبد الرحمن الدرامی السمرقندی، دار الکتاب العربی، سنه

ص :۳۷۸

النشر: ١٤٠٧ /١٩٨٧م.

السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى (٤٥٨ه) وفى ذيله الجوهر النقى، دار المعرفه، بيروت .

سيره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، الدكتور على محمد الصلابى،ط ٨، دار المعرفه، بروت، ١٤٣٠ ٢٠٠٩م.

(ش)

– الشيعه فى التاريخ، محمد حسين الزبن، ط٢، مطبوعات مكتبه النجاح، طهران، (د.ت).

شرح نهج البلاغه، عز الدين أبى حامد عبد الحميد بن هبه الله المدائنى الشهير بابن أبى الحديد المعتزلى،دار المعرفه، دار الكاتب العربى، دار إحياء التراث، بروت، لبنان، (د.ت).

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، عبد الحى بن أحمد بن محمد ابن العماد العكرى الحنبلى، أبو الفلاح (ت١٠٨٩) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

شرح النووى على مسلم، يحيى بن شرف أبو زكريا النووى (٦٣١- ٦٧٦)،تحقيق على عبد الحميد أبو الخير، دار الخير، توزيع دار السلام، القاهره، سنه النشر: ١٤١٦ / ١٩٩٦م.

(ص)

صلح الحسن غدير عز ولغز جهاد، الشيخ احمد محمد إسماعيل، دار الهادى، بيروت، ١٤٢٤ _٢٠٠٣م.

صلح الحسن، الشيخ راضی آل یاسین، شرکه الأعلمین بیروت، ۱۴۳۱ ۲۰۱۰م.…

ص :۳۷۹

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيرى النيشابورى، دار إحياء الكتب العربيه، سنه النشر: بلا.

صحيح وضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، على بن أبى بكر الهيثمى نور الدين، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى، دار الصميعى، سنه النشر: ١٤٢٢ - ٢٠٠٢.

صحيح البخارى، أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ١٩٤ـ ٢٥٦) دار إحياء التراث العربى، بروت، ١٤٢٢ ـ٢٠٠١م، جزء واحد.

* ــ وطبعه دار الفكر، بروت بغداد، ١٩٨٦ ، أربعه أجزاء.

(ط)

-الطبقات الكبير (الطبقات الكبرى)، محمد بن سعد بن منيع الزهرى (ت ٢٣٠)، تحقيق على محمد عمر، مكتبه الخانجى، القاهره، مصر، سنه النشر: ١٤٢١ ــ ٢٠٠١.

طبقات ابن سعد، القسم المفقود، تحقيق الدكتور محمد بن صامل.

(ع)

-علل الشرائع، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١)، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، ١٣٨٥ ــ ١٩٦٦م.

العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسيه والدينيه وأهم مظاهر حياتهم، الدكتور محمود عرفه محمود، عين للدراسات والبحوث،القاهره، مصر، ١٩٩٥ .

فجر الإسلام، احمد أمين، ط٣، مطبعه لجنه التأليف والدرجه والنشر، القاهره، مصر، ١٣٥٤ ه ـ١٩٣م.

العقل العربى، رفائيل باتاى، ترجمه وليد خالد أحمد حسن، مكتبه مصر، القاهره، دار المرتضى، بغداد، ٢٠٠٩.

العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى، تحقيق مفيد محمد قميحه، دار الكتب

ص :٣٨٠

العلميه، ١٤٠٤ -١٩٨٣م.

العواصم من القواصم، القاضى أبو بكر بن العربى،تحقيق محب الدين الخطيب،ط٢، الدار السعوديه للنشر،١٣٨٧ هـ.

العقيده والشريعه فى الإسلام، أجناس جولد تسيهر، نقله إلى العربيه محمد يوسف عيسى وعبد العزيز عبد الحق وعلى حسن عبد القادر، دار الرائد العربى، بروت،١٩٤٦ ٠

عون المعبود شرح سنن أبى داود، محمد شمس الحق العظيم آبادى، مع تعليقات شمس الدين بن قيم الجوزيه،إشراف ضياء محمد جميل العطار، دار الفكر للطباعه والنشر، سنه النشر: ١٤١٥ / ١٩٩٥م .

(غ)

الغارات،أبو إسحاق بن محمد بن سعيد بن هلال المعروف بابن هلال الثقفى، تحقيق السيد عبد الزهراء الحسينى الخطيب، دار الأضواء، بروت، ١٤٠٧ ١٩٨٧ م.

(ف)

- فضائل الخمسه من الصحاح السته، السيد مرتضى الحسينى الفيروز آبادى، ط٤، مؤسسه الأعلمى، بروت، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م.

الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، الدكتور محمد البهى،ط ٤ ، مكتبه وهبه، القاهره.طبع لأول مره عام ١٩٥٧ م.

فى الاجتماع الإسلامى السياسى، الدكتور حسن الضيقه، دار الإيمان، بروت، ١٩٩٣ ١٤١٤م.

فتوح البلدان، احمد بن يحيى بن جابر البغدادى البلاذرى (ت ٢٧٩) تحقيق محمد رضوان، المكتبه التجاريه الكبرى، القاهره، مصر، (د.ت).

الفتن، نعيم بن حماد بن معاويه بن الحارث الخزاعى المروزى (ت ٢٢٩) تحقيق أبوعبد...

ص :٣٨١

الله أيمن محمد محمد عرفه، انتشارات المكتبه الحيدريه،قم، ۱۴۲۴ .

فتح البارى بشرح صحيح البخارى، أحمد بن على بن حجر العسقلانى (۷۷۳_ ۸۵۲)

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب،دار الريان للتراث، سنه النشر:

۱۴۰۷ه_/ ۱۹۸۶م.

فضائل الصحابه ومناقبهم وقول بعضهم فى بعض صلوات الله عليهم، أبو الحسن على

بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادى الدارقطنى (ت

۳۸۵ ۹۹۵م) اعتنى به محمد بن خليفه الرباح، مكتبه الغرباء الأثريه، المملكه العربيه

السعوديه، ۱۴۱۹ – ۱۹۹۸م.

فجر الإسلام، احمد أمين، ط۳، مطبعه لجنه التأليف والترجمه والنشر، القاهره، مصر،

۱۳۵۴ ۱۹۳۵م.

(ق)

_ كشف الغمه فى معرفه الأئمه، أبى الحسن على بن عيسى بن أبى الفتح الأربلى، ط۲، دار

الأضواء للطباعه والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ۱۹۸۵ .

الكامل فى التاريخ، عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم

بن عبد الواحد الشيبانى ابن الأثير (۵۵۵_۶۳۰) تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار

المعرفه، بيروت، ۱۴۲۸ ۲۰۰۷م.

الكتابه فى درجه الصفر، رولان بارت،ترجمه عن الفرنسيه الدكتور محمد نديم

خشفه،مركز الإنماء الحضارى، ۲۰۰۲.

كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين المتقى بن حسام الدين الهندى

البرهان فورى، تحقيق صفوت السقا وبكرى الحيانى، مؤسسه الرساله، (د.ت).

(ل)

ص :۳۸۲

اللآلئ المصنوعه فی الأحادیث الموضوعه، عبد الرحمن السیوطی جلال الدین، ط۲،

دار المعرفه، سنه النشر: ۱۳۹۵ – ۱۹۷۵.

(م)

– المیزان فی تفسیر القران، السید محمد حسین الطباطبائی، صححه واشرف علی طباعته

الشیخ حسین الاعلمی، منشورات مؤسسه الاعلمی للمطبوعات، بروت، ۱۹۹۷ .

مطالیب السؤول فی مناقب آل الرسول، کمال الدین محمد بن طلحه بن محمد بن الحسن

القرشی العدوی النصیبی الشافعی (ت ۶۵۲) مؤسسه البلاغ،بروت، ۱۴۱۹

۱۹۹۹م.

مقاتل الطالبیین، أبی الفرج الأصفهانی (۲۸۴_ ۳۵۶ هـ_) تحقیق أحمد صقر، مؤسسه

العطار الثقافیه، قم، إیران، ۱۴۲۸ .

مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبی الحسنبن الحسین بن علی المسعودی (۳۴۶

۹۵۷م) تحقیق أمر مهنا، مؤسسه الأعلمی، بروت، ۱۴۲۱ ...۲م.

المقدمه، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمی (ت ۸۰۸)ن دار الکتاب اللبنانی،

بروت، ۱۹۶۱ .

معالم التنزیل، تفسیر البغوی، أبو محمد الحسین بن مسعود البغوی،تحقیق محمد عبد الله

النمر وآخرون، دار طیبه،

المفصل فی تاریخ العرب قبل الإسلام، جواد علی، کتاب الکترونی، الرابط، .

. http://sonofalgeria.blogspot.com/۲۰۱۰/۰۳/۱۰.html

المستدرک علی الصحیحین، عبد الله محمد بن عبد الله الحاکم النیسابوری، تحقیق

مصطفی عبد القادر عطا، دار الکتب العلمیه، بروت، ۲۰۰۲.

مسند الإمام أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، دار إحياء التراث العربی،

ص :۳۸۳

سنه النشر: ۱۴۱۴ / ۱۹۹۳م.

موطأ مالک، ملحق به کتاب إسعاف المبطأ برجال الموطأ، مالك بن أنس بن مالك،تحقيق سعيد محمد اللحام، دار إحياء العلوم العربيه،بروت، سنه النشر: ۱۴۱۴ ه_/ ۱۹۹۴م.

من دوله عمر إلى دوله عبد الملك، الدكتور إبراهيم بيضون، شهاب الدين للطباعه والنشر، قم، ۲۰۰۶.

المنهجيه التأريخيه فى العراق، الدكتور عبد الرحمن العزاوى، دار الشؤون الثقافيه العامه، بغداد، ۱۹۸۸ .

مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق الدكتور محمد طه الحاجرى، دار النهصه العربيه، بروت، ۱۹۸۳.

مرقاه المفاتيح شرح مشكاه المصابيح، على بن سلطان محمد القارى، دار الفكر، سنه النشر: ۱۴۲۲ ۲۰۰۲م.

المناقب،أبو المؤيد الموفق بن احمد بن محمد البكرى المكى الحنفى الخوارزمى (۴۸۴_۵۶۸) تقديم محمد رضا الموسوى الخرمان، محمد كاظم الكتبى، منشورات المطبعه الحيدريه،النجف، العراق، ۱۳۸۵ ه_ ۱۹۶۵م.

المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (۲۶۰_۳۶۰)، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى.

المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى، تحقيق الدكتور محمود الطحان، مكتبه المعارف، الرياض، سنه النشر: ۱۴۰۵ ه_ ۱۹۸۵ م.

المعجم الصفر، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعه والنشر، ۱۴۱۸ / ۱۹۹۷م.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى، تحقيق حسام الدين

ص :۳۸۴

القدسی، مكتبه القدسی، سنه النشر: ۱۴۱۴ هـ / ۱۹۹۴م.

مسند أبی یعلی الموصر، أبو یعلی أحمد بن علی بن المثنی بن یحیی بن عیسی بن هلال التمیمی، الموصلی (المتوفی: ۳۰۷هـ) تحقیق حسین سلیم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق.

المغازی، محمد بن عمر بن واقد الواقدی (ت ۲۰۷هـ) تحقیق الدكتور مارسدن جونس، ط۳، مؤسسه الأعلمی، بروت، ۱۴۰۹ ۱۹۸۹م.

منتخب كنز العمال بهامش مند احمد بن حنبل.

مقدمه فی تأریخ صدر الإسلام، الدكتورعبد العزیز الدوری، مطبعه المعارف، بغداد، ۱۹۸۴.

المناقب والمثالب، القاضی ابی حنیفه النعمان بن محمد التمیمی المغربی (ت ۳۶۳) تحقیق ماجد بن احمد العطیه،مؤسسه الأعلمی، بروت،۱۴۲۳ هـ ۲۰۰۲م.

المنهجیه التاریخیه فی العراق، د. عبد الرحمن العزاوی.

المذهبیه الإسلامیه والتغییر الحضاری، الطبعه ۴، مطابع وزاره الربیه العراقیه، تقدیم الدكتور عمر عبید حسنه.

معجزات الأنبیاء كرامات الأولیاء، علی فرج العبد الله، تدقیق عبد الله سنده، (د.ت).

مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهانی (ت ۴۲۵ هـ)تحقیق صفوان عدنان داوودی، ذوی القربی، قم، ۱۴۳۱ .

منهاج السنه النبویه فی نقض كلام الشیعه القدریه، أبو العباس تقی الدین أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیه، تحقیق الدكتور محمد رشاد سالم، مكتبه ابن تیمیه، القاهره، ۱۴۰۶ / ۱۹۸۶م.

المذهب السیاسی فی الإسلام، صدر الدین القبانجی، ط۲، دار الأضواء، بروت،

ص :۳۸۵

١٤٠٥ هـ _ ١٩٨٥م.

مناقب أل أبى طالب، محمد بن على بن شهر اشوب السروى المازندرانى، طبعه الراشد

بن على المحلانى الحايرى سنه ١٣١٣ هـ.

المصنف، عبد الله بن محمد بن أبى شيبه، دار الفكر، سنه النشر: ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.

منهاج الصالحين المعاملات، فتاوى سماحه آيه الله العظمى السيد محمود الهاشمى،

الناشر دفتر آيه الله محمود الهاشمى، ١٤٣٢ /٢٠١١م.

الملل والنحل، الشهرستانى، تخريج محمد بن فتح الله بدران، ط٢، مكتبه الانجلو المصريه،

القاهره،(د.ت).

مكاتيب الرسول،على بن حسينعلى الأحمدى، دار المهاجر، بروت،(د.ت).

من دوله عمر إلى دوله عبد الملك، الدكتور إبراهيم بيضون،الناشر شهاب الدين، قم،

١٤٢٧ ٢٠٠٦م.

معاويه، عبد الباقى قرنه الجزائرى، مطبعه مينوى، ١٤٢٦ هـ .

(ن)

نظام الإسلام السياسى، باقر شريف القرشى، دار المعارف، بيروت، ١٣٩٨ ١٩٧٨م.

النظم الإسلاميه، نشأتها وتطورها، الدكتور صبحى الصالح، ط١٣، دار العلم

للملايين، بيروت، ٢٠٠١.

نشأه علم التاريخ عند العرب، الدكتور عبد العزيز الدورى، ط٢، مركز دراسات

الوحده العربيه، بروت، ٢٠٠٧.

النصائح الكافيه لمن يتولى معاويه،محمد بن عقيل.

النهايه فى الفتن والملاحم، ابن كثير، كتاب الكترونى، مكتبه المصطفى الالكترونيه.

نهايه الأرب فى فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشى

ص :٣٨٦

التيمى البكرى، شهاب الدين النويرى(المتوفى: ٧٣٣ هـ)، دار الكتب والوثائق القوميه، القاهره، ١٤٢٤

(و)

وقعه صفين، نصر بن مزاحم المنقرى (ت ٢١٢)، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، ١٤١٠ ١٩٩٠م.

الوجيز فى عقيده السلف الصالح، الشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثرى، راجعه نخبه من العلماء،ط٢، الغرباء، اسطانبول، ١٤٢٢.

الدراسات والمقالات

– مقال بعنوان: إشكاليه فى الدين واللطه،الدين والتعصب والإسلام السياسى) نشر فى موقع النور يوم٢٠١٢/٩/١٩ .

مقال بعنوان (لكى لا يخدعنا بعضهم: هل كان تأريخنا ماضيا سعيدا؟) للكاتب المصرى سيد القمنى نشر فى صحيفه المثقف (العدد: ١٤٠٩ الخميس ٢٠/ ٢٠١٠/٠٥).

نشره المنتدى — منتدى الفكر العربى برئاسه الأمير الحسن بن طلال ولى العهد، العدد ٧٠ المجلد ٦ تموز ١٩٩١ .

مقال بعنوان (المسكوت عنه فى سيره عمر بن الخطاب فى الفكر السنى)،احمد صبحى منصور،نشر فى موقع عرب تايمز .

بحث بعنوان (أحكام العقيقه فى الفقه الإسلامى) للدكتوره مريم إبراهيم هندى، مجله كليه دار العلوم — جامعه القاهره، العدد (٢٨) سنه ٢٠٠١م .

مواقع الكترونيه

– موقع الشيخ الكورانى.

موقع موسوعه الإمام الحسن.

موقع موسوعه الأسئله العقائديه، مركز الأبحاث العقائديه.

موقع النور، مقال بعنوان: إشكاليه فی الدین والسلطه،الدین والتعصب والإسلام

السیاسی) الدکتور قاسم حسین صالح، نشر نشر فی موقع النور یوم ۲۰۱۲/۹/۱۹.

موقع إیلاف.

موقع أهل الحدیث.

موقع صحیفه المثقف.

موقع عرب تایمز.

الموقع الرسمی للشیخ عبد الله بن عبد العزیز بن باز.

موقع الیو تیوب.

موقع ملتقی السنه.

موقع مرکز الفتوی السعودی.

موقع فیصل نور.

موقع العربیه نت.

.

الجزء الثانی الامام المفتری علیه

مقدمه

ص: ۳۸۹

يطول تعداد الافتراءات التى ارتكبها السياسيون وأولادهم وأحفادهم بحق

الإمام الحسن عليه السلام، وسنكتفى بالحديث عن بعض منها لكى نعرف أهميه وقوه الجهات

التى كانت تدير الصراع مع الامام الحسن عليه السلام، وكيف أنها شوهت غالب مفردات

سيرته، وضعفت ما لم تقدر على تشويهه بواسطه بعض رجال الحديث، وبعض العاملين

فى ميدان الجرح والتعديل، وبعض المؤرخين المأجورين، وكيف أن الإمام الحسن عليه السلام بما

معروف عنه من علم وحلم وكياسه ومعصوميه وفراسه وشجاعه استطاع تجاوز ما لم

ننجح نحن فى تجاوزه يوم ثبت بوجه الهجمه، فانتصر، ولكن الكثر منا لم يلحظوا عظمه

هذا الانتصار وأثره فى العقيده، فنسوه أو تناسوه، أو قللوا من أهميته.!

وسعياً وراء الاختصار سوف أتناول فى بدايه هذا الجزء لمحات من مواطن التحريف

المعادى، لتكون شاهداً على ما وقع فى باقى المواطن، وستكون قصص زواج الإمام

الحسن عليه السلام المكذوبه بدايه حديثنا عن هذه الافتراءات، لندخل بعد ذلك إلى رحاب دنيا

الإمام الحسن عليه السلام؛ ونعرف كيف كان يفكر ويتصرف ويتخذ القرارات وكيف أن حراكه

هذا بإرادته لا بدهائهم كان مكشوفاً للاخرين، بما فيهم أعداؤه الذين استغلوا هذه

الشفافيه لينفذوا من خلالها ويضعوا كماً كبيراً جدا من الروايات والأحاديث والقصص

السمجه التى حاولوا من خلالها تشويه صوره وسيره هذا القائد الفريد، فشوهوا

الإسلام وأساءوا إلى فكره وفقهه و مسيرته قبل أن يسيئوا إلى أحد أبرز قادته.

الفصل الأول قصص زوجاته التسعمانه!

اشاره

ص :۳۹۳

قصص زوجاته التسعمائه!

تأتی أهمیه الزواج من حیث کونه ((واحداً من شؤون الحیاه وهو کغیره من الأمور یوضح الفرق بین المؤمن وغیر المؤمن))(۱) ولذا تجد المهتمین بالسنه النبویه من رجال المدرستین الفقهیتین، والتابعین لسنه الأئمه المعصومین علیهم السلام التی رووها عن جدهم من رجال مدرستنا یولون الزواج أهمیه کبیره، ویفردون له فی کتبهم أبوابا فیما یطلقون علیه اسم (کتاب النکاح)، منها: باب حب النساء، باب غلبه النساء، باب أصناف الذساء،باب خیر النساء، باب شرار النساء، باب فضل نساء قریش، باب من وفق له الزوجه الصالحه، باب فی الحض علی النکاح، باب کراهه العزبه، باب إن التزویج یزید فی الرزق، باب من سعی فی التزویج، باب اختیار الزوجه، باب فضل من تزوج ذات دین وکراهه من تزوج للمال،باب فضل الأبکار، وعشرات الأبواب الاخر وصولاً إلی أبواب خطب النکاح والمهر والصداق.

ولقد استغل السیاسیون موضوع الزواج فجهدوا جهدهم وکادوا کیدهم للإساءه إلی الإمام الحسن علیه السلام. بما أضعوه علیه من صفات تبدو مخالفه لروح الشریعه، وهدفهم من وراء ذلک تلویث صورته النقیه وإظهاره بمظهر المزواج المطلاق المذواق النزق الذی تفتنه النساء وتلهیه عن مطالب الإمامه وشؤون الأمه (حاشاه) ؛ کل ذلک لکی یقولوا أنه لم یکن أهلاً للقیاده والحکم. ولا یخفی علی اللبیب أن قصص تعلق الإمام

۱- الزواج الإسلامی، نظره مختصره علی العلاقات الزوجیه فی الإسلام، السید عبد الحسین دستغیب، ترجمه لجنه الهدی، ط۳، دار البلاغه، بروت، ۱۴۳۱ ه_ ۲۰۱۰م، ص ۱۱

١الحسن عليه السلام بالنساء وبالشكل الذى يبدوا غريباً كل الغرابه عنه وعن سلوكه السوى وعصمته ونسبه ومكانته العلميه والاجتماعيه إنما جيء بها للطعن به وبالإمامه المعصومه وبمنهج أهل البيت وبالإمام على عليه السلام وبالتشيع عامه؛ ولذا ترى أعداء التشيع يعلنون هذا الهدف الخفى بعد حين معتمدين على تلك القصص الخرقاء؛ ويعتبرون كثره الزواج سنه سيئه قام بها الإمام الحسن عليه السلام(حاشاه).

ومع أن ذلك العصر كان مولعاً شغوفاً بكثره الزواج والطلاق، وكان السياسيون منهم أشد فتكاً وشذوذاً وكثره فيه، إلا أن السياسيين على وجه الخصوص وأتباعهم عامه حاولوا التملص من عدوانيتهم الغرائزيه وشهواتهم الدونيه لا بنكران وقوعها لأنهم لا قدرون على ذلك، وإنما عن طريق البحث عن قمم مجتمعيه باسقه ليشركوهم قولاً بأفعالهم، حتى وإن كانوا فعلاً أبرياء كل البراءه من ذلك. وكان الإمام الحسن عليه السلام من القمم التى اختاروها نظراً لما شجر بينهم وبينه، فاتهموه بكثره الزواج والطلاق، لدرجه أنهم وصفوه بالمذواق، وفى عقيدتنا أن رسول الله صلى الله عليه و آله لعن المذواقين والمذواقات، أو الذواقين والذواقات.! فإذا ما كان الإمام الحسن عليه السلام؛ من المذواقين فاللعن ينسحب عليه بالتأكيد، أو هكذا أرادوا أن يظهروه.!

ما أريد قوله ابتداءً بخصوص أكذوبه كثره زوجات الإمام الحسن عليه السلام؛ بضع مقدمات لأدخل من خلالها إلى صلب الموضوع، وهذه المقدمات هى:

•إن الزواج فى الفقه الإسلامى سنه، قال النبى صلى الله عليه و آله: ((النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى. وأهل البيت الكرام هم أول من طبق سنه جدهم بالحرف الواحد لكى يتبعهم الناس.

• إن شريعه الإسلام أقرت الزواج لإتمام الدين، قال النبى عليه السلام: ((من تزوج فقد

أحرز نصف دينه فليتق الله فی النصف الثانی)) وهنا یأتی الزواج بدرجه عالیه

فی سلم العقیده. ومن یستهین به بالشکل الذی نسبوه إلی الإمام الحسن علیه السلام

یبدو وکأنه یتعمد الإساءه للعقیده.!

•أن الزواج من أعاظم أبنیه الإسلام قال النبی صلی الله علیه و آله: ((ما بنی بناء فی الإسلام

أحب إلی الله من التزویج)) ویستحیل أن یعبث أبسط أتباع أهل البیت علیهم السلام بهذا البناء فکیف بالإمام المعصوم؟

•فی تطبیقهم سنه کان أئمه أهل البیت علیهم السلام یختارون أوسط الأمور تبعاً

للقاعده الفقهیه التی استنبطوها: ((إفراط ولا تفریط، وإنما أمر بین أمرین))

وهو المشهور عنهم فی کل حیاتهم، بما فیها الزواج.

• إن المؤمن یتزوج لیرضی الله سبحانه، ولذا تراه یبحث عن (ذات الدین) التی

أوصاه النبی صلی الله علیه و آله بها لتترب یده، والفاسق والملحد والکافر یتزوج لإشباع

رغباته وإمتاع لذاته وإسکات شهواته، وهو لا یبحث عن ذات الدین، وإنما

یبحث عن ذات المال والجمال، بغض النظر عن دینها وأخلاقها.

• وضع رسول الله صلی الله علیه و آله الجنه تحت أقدام الأمهات، ولم یضعها تحت أقدام اللواتی

یتزوجوهن لقضاء الوطر والمتعه، ثم یطلقوهن لیتزوجن من جدید ثم لا ینلن

فرصه للإنجاب.

• إن الزواج بأکثر من واحده کان فاشیاً فی ذلک المجتمع علی أن لا یزید عدد

الزوجات الحرائر فی عصمه الرجل فی المره الواحده علی أربع، مع ملاحظه

أن فی فقه مدرستنا یتوجب علی المتزوج بأربع إذا ما طلق واحده أو أکثر من

زوجاته أن لا یتزوج قبل انقضاء عدتهن.

• إن رسول الله صلى الله عليه و آله وغالب الصحابه جمعوا أكثر من أربع زوجات وتزوجوا

بأضعاف هذا العدد بدءاً من الخلفاء ووصولا إلى عامه الناس، وفى الروايات

أن الإمام على عليه السلام مع ما كان عليه، تزوج بعد موت فاطمه عليها السلام تسع

حرائر،وكان له ثمانيه عشر من أمهات الأولاد، وأنه يوم استشهد كان عنده

أربع حرائر هن: أمامه بنت أبى العاص، وليل بنت مسعود التميميه، وأسماء

بنت عميس الخثعميه(١)، وأم البنين فاطمه بنت حزام الكلابيه.

• ثبت فى الروايات أن الإمام علياً عليه السلام كان يبحث عن نساء يلدن له رجالاً

يقاتلون فى سبيل نصره دين الله، لا للمتعه وقضاء الوطر، كما فى حديثه مع

أخيه عقيل الذى كان نسابه عالماً بأخبار وأنساب العرب وقوله له: ((أبغى

امرأه قد ولدتها الفحول من العرب لأتزوجها فتلد لى غلاماً فارساً. فقال له

عقيل: أين أنت عن فاطمه بنت حزام الكلابيه فإنه ليس فى العرب أشجع من

آبائها ولا أفرس))(٢)

• إن الإمام علياً عليه السلام كان يبحث بنفسه عن زوجات لأولاده الحسنين عليهم السلام،

ولوكانا كلاهما، أو كان احدهما مزواجاً مطلاقاً لما فعل ذلك.!

فعن ماذا كان الإمام الحسن عليه السلام يبحث فى زواجه بأكثر من تسعمائه امرأه لكى

نصدق قولهم؟ وما الحدود التى التقى بها الذى نسبوه من قول وفعل إليه مع هذه

الحقائق؟ وهل يعقل أن يخالف الحسن عليه السلام بعض أو كل هذه الحقائق بغض النظر عن

١- كانت زوجه جعفر بن أبى طالب فبعدما استشهد تزوجها أبو بكر وأولدها محمداً؛ فمات عتها فتزوجها الإمام على عليه السلام

٢- أعيان الشيعه، محسن الأمين العاملى، تحقيق وتخريج: سن الأمين، طبعه دار المعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، سنه ١۴٠۶ /

۱۹۸۶م، ج۷، ص ۴۲۹

الأسباب؟

إن الحديث عن المشكله التى خلقوها من العدم فظهرت إلى الوجود وكأنها واحده من حقائق التاريخ تشعب ونزل إلى أصغر جزئياتها، فبات لعقاً على لسان كل من هب ودب، يتحدثون عنه وكأنهم كانوا شهوداً عليه أو شهوداً على عقود الزواج التى ادعوا أنه أبرمها، ويتحدثون عن أسماء الزوجات، بل يتطرقون إلى ما دار بينهن وبين الإمام من حديث بعضه لا يمكن أن يطلع عليه ثالث، لأنه جرى فى مخدع النوم، هذا بالرغم من أنهم خلطوا كثيراً فى حديثهم عن تاريخ ولادته وتاريخ وفاته وأشياء كثيره أخر هى بكل تأكيد أكثر أهميه من موضع الزواج، بما يؤكد أنهم لم يكونوا صادقين فى هذا الحديث. ونحن ممكن أن نرد على التخرصات بالاسلوب نفسه الذى يرد به بعض المتشنجين على حقائقنا، ولكننا سنرد تهمه كثره الزوجات من مصادرها النقليه والعقليه كما تعودنا(١)

قال المؤرخون والكتاب فى عدد المرات التى تزوج بها الإمام أو عدد النساء اللواتى تزوجهن فى حياته القصيره التى قضاها إما تلميذاً عند جده وأبيه ينهل عنهما ومنهما العلم، وإما مجاهدا فى سبيل الله مع أبيه فى حروبه ضد الناكثين والباغين والمارقين، وإما حاجاً سراً على الأقدام حتى بلغ عدد مرات ذهابه سيرا إلى مكه أكثر من عشرين مره(٢) وإما معتكفا فى داره لا يقوم من دسيسه سم حتى يقع فى أختها، قالوا الكثير وغير

١- ولقد كفانا الشيخ الدكتور نجاح الطائى فى كتابه ((الشائعات المشهوره ضد الإمام الحسن)) الصادر عن دار الهدى لإحياء التراث فى بروت عام ٢٠١٠ جرح تلك الروايات، لأنه قام بمتابعتها وأخضعها للجرح بالرجوع إلى مصادر المدرسه التى وضعتها فأسقطها جميعا، فجزاه الله خير جزاء المحسنين

٢- عن عبد الله بن عبيد بن عمر قال: ((لقد حج الحسن بن على خمسا وعشرين حجه ماشياً، وإن النجائب لتقاد معه))،

مستدرك، الحاكم، حديث ۸۹ثم ۳۸۷/۴۱،ص ۱۸۵ ،ج۳...

المعقول بل والمستحيل، والظاهر أنهم لحظوا أن عمره الشريف ومهامه وطرائق تعبده وانشغاله الدائم لا يتناسب مع عدد الزوجات الذى جاؤوا به، إذ لا يمكن التوفيق بين ما تحتاجه مهامه وعبادته مع ما يحتاجه الزواج الكثير، فجاؤوا بأقوال غريبه عسى أن يقتنع بها السذج والبسطاء، ومنها على سبيل المثال إدعاؤهم بأنه فى ذات الوقت الذى كان يمارس فيه العلاقه مع زوجاته، كان يقرأ ويتعبد أيضاً، كما فى قولهم: ((وكان يقرأ كل ليله سوره الكهف قبل أن ينام، يقرؤها من لوح يدور معه حيث كان فى بيوت نسائه، فيقرؤه بعد ما يدخل فى الفراش قبل أن ينام))(۱)ولذا ما خافوا من تعارض قصص كثره الزواج مع قصص كثره العباده، فوفق هذا الأسلوب: لا ضير بأن كثير العباده كثير الزواج يتكرر زواجه بالأيام والساعات وليس بالأشهر والسنين، وعليه ما الضير فى أن يقول المقدمى فى البدء والتاريخ إنه عليه السلام: ((كان أرخى ستره على مائتى حره))(۲)، ويقول الذهبى فى سير أعلام النبلاء: ((وكان منكاحاً مطلاقاً تزوج نحواً من سبعين امرأه، وقلما كان يفارقه أربع ضرائر))(۳)، ويقول ابن عساكر إنه عليه السلام: ((تزوج سبعين امرأه، وفى روايه أنه أحصن تسعين امرأه))(۴) وهى صور ملتقطه لما كان يحدث فى قصور السياسيين الباذخه عكسوها لتبدو فاشيه عند غيرهم من الأتقياء كما هى عند المتهتكين،وتجد الشبه بينها وبين ما أورده النويرى عن الخليفه الأموى سليمان بن عبد الملك الذى

...

۱- البدايه والنهايه،إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى، دار عالم الكتب، ۱۴۲۴ هـ / ۲۰۰۳م،ج ۸، ص: ۱۹۶ تجد فى هذه الروايه ايحاء بأن الإمام الحسن ما كان يحفظ القرآن وأنه كان يلجأ إلى الألواح ليقرأه مكتوباً، وهذا افتراء كبير على الإمام الحسن عليه السلام غير مقبول بالمره.

۲- البدء والتاريخ، المقدسى:ج ۵، ص۴

٣- سیر أعلام النبلاء، الذهبی، ترجمه الحسن بن علی بن أبی طالب،ج١٣

۴- تاریخ دمشق ینظر: ابن عساکر:ج١٣ / ص٢۴٩، نهج البلاغه، ابن أبی الحدید، شرح،م۴ ، ج ١۶، ص ٨

إذا ما قارنت نصه مع نص الذهبى ستجد تقارباً لا يمكن أن يكون قد وقع مصادفه أو تناصاً، وأن الذهبى انتقى بعض صفات السياسيين وألصقها بالإمام الحسن عليه السلام متعمدا؛ بما يعنى أن اتهامهم للإمام الحسن عليه السلام كان تحريفا لما وقع لخلفائهم من أخبار؛ ففى حديثه عن سنه ٩٩ هجريه ذكر النويرى وفاه سليمان بن عبد الملك وروى شيئاً من أخباره فقال:كانت وفاته يوم الجمعه لعشر مضين من صفر من السنه بدابق من أرض قنسرين بذات الجنب، وله خمس وأربعون سنه... وكان أكولا، نكاحاً))(١) وهذا يعنى أن الذهبى وغيره أرادوا القول بأن الإمام الحسن عليه السلام؛ كان كذلك (نكاحاً) كرجالهم.

ولذا لا أستغرب قول ابن كثير: وكان كثير التزوج، وكان لا يفارقه أربع حرائر، وكان مطلاقاً مصداقاً. يقال: إنه أحصن بسبعين امرأه. وذكروا أنه طلق امرأتين فى يوم واحده من بنى أسد وأخرى فزاريه، وبعث إلى كل واحده منهما بعشره آلاف، وبزقاق من عسل، وقال للغلام: اسح ما تقول كل واحده منهما. فأما الفزاريه فقالت: جزاه الله خيرا، ودعت له. وأما الأسديه فقالت: متاع قليل من حبيب مفارق. فرجع الغلام إليه بذلك، فارتجع الأسديه وترك الفزاريه)) ولا أدرى لماذا أرسل غلاماً واحدا ليسمع من الطليقتين كلتيهما، فهما لم تكونا فى مكان واحد ومن المستحيل أن يأتى قولاهما فى ذات اللحظه وكأنهما كن بانتظاره.! فضلا عن ذلك تبدو هذه الصوره لمن يحكم عقله مقتبسه

١- نهايه الأرب فى فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشى التيمى البكرى، ئهاب الدين النويرى (المتوفى: ٧٣٣)، دار الكتب والوثائق القوميه، القاهره، ١٤٢٣ ، ج ٢١،ص٣٥٣...

من صور قصور الرذيله التی كانت تدار من قبل الجواری والقيان والغلمان، من عالم

الإماء الذی اشتهرت به قصورهم وباحات ملذاتهم، لا من بيوت الطهر والعفه، بيوت

أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله.

الغريب أن هذه القصه الأكذوبه تكررت بصيغ أخر يتبين من خلال إحداها أن

الطليقات كن زوجاته بالزواج المنقطع (المتعه) لا الدائم، كما فی قول آخر لابن كثير

الذی أراد كعادته أن يتلافى التناقض الذی وقع به من سبقه من المؤرخين، فقال: ((وقال

عبد الرزاق، عن الثوری عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، عن الحسن بن سعد،

عن أبيه قال: متع الحسن بن علی امرأتين بعشرين ألفاً وزقاق من عسل، فقالت إحداهما

وأراها الحنفيه: متاع قليل من حبيب مفارق))(۱)، وفی هذه الروايه لا نجد أسديه ولا

فزاريه، بل نجد واحده حنفيه والأخرى مجهوله!

وأكثر ما يدفع إلى الشک والريبه فی تلک الأقوال عن الكثره أن أهل الحديث

والمؤرخين من أتباع الفصيل السياسی هم من رواها وإليهم تنتهی، وهم من أوردها

وأنفرد بذكرها كما فعل المدائنی! فالمدائنی هو بطل روايات الزواج، جاء بها من غير أن

يسندها إلى من سبقه، وعنه اخذ المؤرخون بما فيهم ابن أبی الحديد المعتزلی الذی ضمن

شرح النهج الكثير من أقواله. فمن هو المدائنی، وما درجه وثاقته؟

المدائنی

المدائنی (۱۳۵- ۲۲۵ /۷۵۲/ ۸۴۰م) هو: علی بن محمد بن عبد الله بن أبی سيف

أبی الحسن، مولى عبد الرحمن بن سمره القرشی، وهو بصری سكن المدائن، طيسفون

من مؤرخی القرن الثانی وكانت ولادته فی أوائل العصر العباسی، عاش نحو تسعين

۱- البدایه والنهایه،إسماعیل بن عمر بن کثیر القرشی الدمشقی، ص ۱۹۸

عاماً، هاجر من المدائن إلى بغداد، ومات فيها. كان أحد المتكلمين؛ وتتلمذ فى بغداد على يد أبى محمد، إسحاق بن إبراهيم الموصلى، الذى كان أحد علماء عصره باللغه والموسيقى والغناء، وله فى ذلك تصانيف كثيره، فكان إذا زاره صاحبه المدائنى أكرمه وتحفى به وأحسن تقديره، حتى أن المدائنى لما وافته المنيه كان فى بيت صاحبه الموصلى(١).

وجاء فى المكتبه الشامله: ((أخبرنا عمر بن محمد بن سيف إجازه، وحدثنا أحمد بن عبد الله الدورى الوراق عنه، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدى، قال: حدثنى أحمد بن زهير بن حرب، قال: كان أبى، ويحيى بن معين، ومصعب الزبيرى يجلسون بالعشيات على باب مصعب، قال: فمر عشيه من العشيات رجل على حمار فاره، وبزه حسنه، فسلم، وخص بمسائله يحيى بن معين، فقال له يحيى: إلى أين يا أبا الحسن؟ فقال: إلى هذا الكريم الذى يملأ كمى من أعلاه إلى أسفله دنانير ودراهم، فقال: ومن هو يا أبا الحسن؟ فقال: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلى، قال: فلما ولى، قال: يحيى بن معين: ثقه، ثقه، ثقه. قال: فسألت أبى، فقلت: من هذا الرجل؟ قال: المدائنى))(٢)

ويكفى دليلاً على واقع حال المدائنى؛ وصفهم له بتلقى الأموال الطائله من مكاسب الغناء والطرب التى جمعها الموصل، وهى من أموال السحت الحرام، بما يمكنه من ركوب الحمير الفارهه ولبس الملابس الحسنه. بل يكفى قوله لهم: إنه ذاهب إلى من

١- على بن محمد المدائنى (ت٢٢٨) ودوره فى كتابه التاريخ، رساله من متطلبات درجه الماجستير تقدم بها الطالب عماد عزام جوابره إلى قسم التاريخ بكليه الدراسات العليا فى جامعه النجاح الوطنيه فى نابلس، فلسطن عام ١٤٢١ هجريه ٢٠٠١ ميلاديه

٢- موقع المكتبه الشامله، الرابط: http://shamela.ws/indox.php/author/١٨٩٣

يملأ كميه بالفضه والذهب دليلا على حبه لنمال دون الاهتمام بمصدره.

يقول (أيلرلنغ ليدوك بيترسن) عن أصل ومذهب المدائنى: ((إن المدائنى كان مولى لبطن من بطون عبد شمس بن عبد مناف التى تنتمى وترجع إلى مدينه البصره، وهى عباره عن تفرع من الأمويين))(١) ويقول عن منهجه فى الكتابه: ((ويمثل المدائنى مرحله متقدمه فى صياغه وتشكيل الروايه التاريخيه وإنه قد اختار ماده كتابه من الكثير من المصادر التى يصعب الحصول على أى مسح مصدرى لمادته بصوره مباشره وواضحه))(٢) ويتحدث عن مصدر معلوماته، فيقول:((إن افتقار ونقص التجانس فى مصادره يظهر من الحقيقه إنه اعتمد جنباً إلى جنب على مثل هؤلاء العلماء البصريين أمثال العثمانى يزيد بن عياض بن جعدبه (المتوفى سنه ٧٧٥-٧٧٦) وأبى بكر الهذيلى الذى بالكاد يكون ثقه، وجويريه بن أسماء (المتوفى ٧٨٩-٧٩٠)، وسحيم بن حفص بن اليقظان (المتوفى ٨٠٥-٨٠٦م)، وبطريقه مماثله اعتمد الموالى للأمويين مسلمه بن محارب (المتوفى تقريباً ٧٦٥-٧٨٥م)، والموالى للأمويين أيضا عبد الله بن مبارك (المتوفى ٧٩٧م))(٣)

عن حفيد السياميين المدائنى أخذ ابن عساكر والمقدسى وابن سعد والسيوطى وآخرون غيرهم قصص كثره الزوجات بالرغم من معرفتهم بحقيقه عدد زوجات الإمام عليه السلام، ومعرفتهم بأن عددهن أقل كثيراً حتى من عامه الناس، لا ملوكهم وأمرائهم وتجارهم وأغنيائهم! والأغرب أن بعضهم أخذ بتلك الروايات ولم ينتبه إلى الدس والتشويه الموجود فيها! فتنوعت أقوال المؤرخين فى عدد زوجاته، ولكنهم يشكل عام

١- على ومعاويه، فى الروايه العربيه المبكره، أيلرلنغ ليدوك بيترسن،ترجمه عبد الجبار الناجى، مكتبه دار المجتبى، النجف، العراق، ٢٠٠٩، ص ١٧۶

٢- المصدر نفسه، ص ١٧٧

٣- المصدر نفسه، ص١٧٧- ١٧٨

ساروا على وقع الطبل السياسيين.

ص :۴۰۵

واللافت للنظر أن السياسيين لم يأتوا بقصص حب النساء وينسبوها إلى الإمام الحسن عليه السلام بالشكل الذى أوردته الروايات جزافاً، وإنما كان عملهم مقصوداً أريد من خلاله القول: إن الامام الحسن عليه السلام باع الخلافه وباع الأمه المسلمه وتاجر بآلام المسلمين بسبب حبه للمال وجشعه وطمعه (حاشاه) وهوبالتالى لم يكن أهلا لقياده الآمه المسلمه، وأن معاويه كان أجدر منه بهذه المهمه الصعبه التى تحتاج أول ما تحتاج إلى التضحيه الكبيره.! ويأتى حراكهم هذا مكملاً لكل حركاتهم السياسيه الأخرى التى أرادوا من خلالها تشويه صورته، بالإدعاء بأنه لم يكن محترماً عند نسائه، وانه كان يستميل قلوب النساء بالمال العظيم الذى يبذله لهن؛ لا بشخصه وأخلاقه؛ بمعنى أن نساءه لم يحببنه لأنه الحسن؛ بل لأنه كان كريما معهن جيود عليهن بمال المسلمين فهو (حاشاه) بنظرهم (مبذار متلاف) يتفق على ملذاته وملاهيه من خزائن بيت المال العام الذى كان على بن أبى طالب عليه السلام أنزه مخلوق فى الكون مسؤولاً عنه.

وقد أخذ المستشرق (رونلدسن) هذه الروايات عنهم ونقلها إلى العالم، فقال: ((وقد برهن (أى الحسن عليه السلام) على كثيره تبذيره بأن خص كل امرأه من نسائه بمال كثير، فنرى كيف بذرت أموال طائله خلال خلافه على عليه السلام، بالزمن الذى كانت الخلافه نفسها شديده الافتقار))(١) ومع أن هذا القول يخالف كل ما ورد عن تعامل الإمام على عليه السلام مع المال إلا أن هناك من صدق بآراء المستشرقين وآمن بها.!

...

١- عقائد الشيعه، الشيخ المظفر، ص ٨٩-٩٠

والأشد نكايه من ذلك قولهم بأنه كان يشترى بمال المسلمين جوارى بالجمله

ليهديهن بالجمله أيضاً إلى عشيقاته وطليقاته وزوجاته الجدد، قال فى ذلك أبو بكر

الخرائطى ى كتاب (مكارم الأخلاق): ((حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثنا القواريرى،

حدثنا عبد الأعلى، عن هشام، عن محمد بن سرين قال: تزوج الحسن بن علس امرأه،

فبعث إليها بمائه جاريه، مع كل جاريه ألف درهم))(۱)

هذه الأقوال الباطله الشانه تدعونا للحديث قليلاً عن علاقه أئمه أهل البيت عليهم السلام

بالمال العام والخاص، لأن السياسيين أرادوا من خلال تلك الروايات أن يظهروا بيت

على بن أبى طالب وبيت ابنه الحسن عليه السلام من بعده بيوتاً مليئه بالجوارى؛ حتى أن هداياهم

لا يقل عددها عن المئه فى كل مره، بالرغم من أن الشعب كان فقيراً جائعاً! فهل يصدق

هذا الهراء بربكم؟ هل يصدق أن يتعرف صاحب الكلمه الخالده ((لوكان الفقر رجلا

لقتلته)) بمثل هذا التصرف المشين؟ أليس هو على بن أبى طالب عليه السلام صاحب الكلمات

الخالده، كما فى قوله: ((أتأمروننى أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليهم، والله لا

أطور به ما سمر سمير، وما أم نجم فى الماء نجماً، ولوكان المال لى لسويت بينهم،

فكيف وإنما المال مال الله؟)) وقد أوردت فى موضوع العصبيه روايه الثقفى التى جاء

فيها: إن طائفه من أصحاب على عليه السلام مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال،

وفصل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالى والعجم ومن تخاف خلافه من

الناس وفراره؟ قال: وإنما قالوا له ذلك، للذى كان معاويه يصنع بمن أتاه، فقال لهم

۱- مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل بن شاكر السامرى الخرائطى المتوفى عام ۳۲۷، تحقيق ودراسه الدكتور عبد الله بن بجاش بن ثابت الحميرى، طبعه مكتبه الرشد، ۲۰۰۶م، والبدايه والنهايه ج۱۱ ص۱۹۷ ، تاريخ

دمشق وابن عساكر: ج١٣،ص٢٤٩

على عليه السلام: ((أتأمروننى أن أطلب النصر بالجور، والله لا أفعل ما طلعت شمس، وما لاح

فى الماء نجم، والله لو كان مالهم لى لواسيت بينهم، فكيف وإنما هى أموالهم؟

قال: ثم أزم طويلا ساكتا ثم قال: من كان له مال فإياه والفاد فإن إعطاء المال فى

غير حقه تبذير وإسراف))(۱) وفى قوله الآخر: ألا وإن إعطاء المال فى غير حقه تبذير

وإسراف، وهويرفع صاحبه فى الدنيا، ويفعه فى الآخره، ويكرمه فى الناس، ويهينه

عند الله)). أليس هو على بن أبى طالبه عليه السلام الذى أعسر فخرج إلى السوق ليبع سيفه

الذى حمى الإسلام ونبيه، وهو ينادى: ((من يشترى منى هذا السيف، فو الذى فلق

الحبه، لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه و آله، ولو كان عندى ثمن إزار

لما بعته))؟ أليس هو على عليه السلام الذى امتعض كثيراً من فعله ابن عباس الذى أخذ مال

البصره وذهب إلى مكه، حيث ينقل الشيخ على الاحرارى عن الكشى قصه أخذ عبد

الله بن عباس ما فى بيت مال المسلمين فى البصره وذهابه إلى مكه، فكتب على عليه السلام إليه

رساله جاء فيها: ((فوالله لو أن حسناً وحسيناً فعلا مثل الذى فعلت لما كانت لهما

عندى فى ذلك هواده ولا لواحد منهما عندى فيه رخصه حتى آخذ الحق وأزيح الجور

عن مظلومها))(۲) فلم يرد عليه ابن عباس ولو بكلمه تثبت أن الحسن عليه السلام كان يأخذ

مال المسلمين ليتزوج به. أليس هو على بن أبى طالب عليه السلام الذى كوى يد أخيه عقيل

لمجرد أنه طلب فوق استحقاقه؟ أليس هو على بن أبى طالب عليه السلام الذى جاء بوصيته

للإمام الحسن عليه السلام وهو يجاهد بنفسه بعد أن طعنه المجرم المرادى: ((الله الله فى الجهاد

بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم فى سبيل الله)) لا فى سبيل الزواج والمتع واشتهاء الطعام،

بل فى سبيل الله وحده.

۱- الغارات، إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفى المتوفى سنه ۲۸۳ ، ج ۱ ص ۴۶
۲- كشف الالتباس فى معرفه أحوال ابن عباس، الشيخ على الأحرارى، ص ۳۲

لقد ذكر أكثر من واحد ممن عايشوا علياً عليه السلام فی زمن الخلفاء الذين سبقوه وفی زمن خلافته، أنهم لم يجدوا عنده رغبه باكتناز المال أو جمعه كما فعل السياسيون وأعوانهم، قال سفيان: إن عليا لم يبن آجره على آجره، ولا لبنه على لبنه، ولا قصبه على قصبه، وإن كان ليؤتی بحبوبه من المدينه فی جواب))(۱) وبعد استشهاده قام الإمام الحسن عليه السلام خطير ومما قاله: ((والله ما ترک صفراء ولا بيضاء، إلا ثمانمائه أو سبعمائه درهم أرصدها لجاريه))(۲)

لقد كان المنهج العلوی بالتعامل مع المال منهجاً لأئمه أهل البيت عليهم السلام: أجمعهم، بل وللفقه، الشيعی، حيث جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:((المال أربعهآلاف، واثنا عشر ألف درهم كنز، ولم يجتمع عشرون ألفاً من حلال،وصاحب الثلاثين ألفا هالک، وليس من شيعتنا من يملک مئه ألف درهم))(۳) وبالتالی يتبين أن مقابل ثقافه التخزين والتكديس السياسيه، كان حمله سياسه الشريعه مجرد فقراء معدمين لا يملكون شيئاً سواء فی حياتهم العامه أم عند توليهم حكم المسلمين. ومن موجبات الحديث عن السياسيين وعن المال أنهم أرادوه داعماً للتهم التی اتهموا بها الحسن عليه السلام وهی كثيره، منها قولهم: إن الحسن عليه السلام تنازل عن الخلافه طمعا بمال معاويه!

من هذه الإلماحات أجد فعلًا أن السياسيين أجادوا فی اختيار الروايات التی تحدثوا فيها عن علاقه الحسن عليه السلام بالمال العام فی خلافه أبيه، وأجادوا توظيف تلک الأقوال ليثبتوا من خلالها أن معاويه أيضا كان كريماً مع الحسن عليه السلام المبذر، حيث ادعت رواياتهم أن الإمام الحسن عليه السلام كان كلًا على معاويه يطمع بعطاياه لكی ينفقها ببذخ فاحش على

۱- الكامل فی التأريخ، مجلد۳مص ۳۴۹

٢- المصدر نفسه، الكامل

٣- ينظر: تحف العقول

متعه، والغريب أنهم لم يفطنوا إلى التناقض فى أحاديثهم؛ فقالوا فى النقل السابق: أنه أرسل إلى الجاريه التى تزوج بها مائه جاريه مع كل واحده منهن ألف درهم بمعنى أنه أرسل لها فضلاً عن المائه جاريه مائه ألف درهم؛ ويتبين من نقول أخر أن هذه المائه ألف التى يتحدثون عنها هى كل ما كان عليه عطائه السنوى الذى كان يحصل عليه من معاويه، فهل يعقل أن يهب لجاريه واحده كل عطائه السنوى ومئه جاريه يمثل امتلاكهن ثروه عظيمه لمجرد قول تافه؟ وكيف تزوج بعدها العشرات فى العام نفسه؟ وكيف كان يعيش ويتفق على زوجاته وأبنائه!؟

ودعماً للروايات ولتمرير الافراءات الباطله جاؤوا بروايات أخر أرادوا من خلالها تأكيد حاجه الحسن عليه السلام لما فى يد معاويه من مال، وتأكيد واضح أن مال معاويه هو مال الله! كما فى الروايه التى أخرجها البيهقى وابن عساكر عن طريق أبى المنذر هشام بن محمد عن أبيه قال: ((أضاق(۱) الحسن بن على، وكان عطاؤه فى كل سنه مائه ألف فحبسها عنه معاويه فى إحدى الذين، فأضاق إضاقه شديده فقال: فدعوت بدواه لأكتب إلى معاويه لأذكره نفسى، ثم أمسكت فرأيت رسول الله فى المنام فقال: كيف أتت يا حسن؟ فقلت: بخير يا أبت، وشكوت إليه تأخر المال عنى، فقال: أدعوت بدواه لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك؟ فقلت: نعم يا رسول الله، فكيف أصنع؟ فقال:قل: اللهم أقذف فى قلبى رجاءك وأقطع رجائى عمن سواك. قال: فو الله ما ألححت به أسبوعا حتى بعث إلى معاويه بألف ألف وخمسمائه ألف))(۲)

والظاهر أن ابن كثير انتبه إلى التناقض الموجود فى هذه الروايه فأخرجها بأسلوب آخر يصحح ما وقع فيه صانعها من خلط، فقال: ولما نزل لمعاويه عن الخلافه من ورعه

١- أضاق : أعسر - نزلت به ضائقه ماليه

٢- تاريخ السيوطى ص ١٩٣

صیانه لدماء المسلمین، کان له علی معاویه فی کل عام جائزه، وکان یفد إلیه، فربما أجازه

بأربعمائه ألف درهم، وراتبه فی کل سنه مائه ألف، فانقطع سنه عن الذهاب، وجاء

وقت الجائزه، فاحتاج الحسن إلیها - وکان من أکرم الناس - فأراد أن یکتب إلی معاویه

لیبعث بها إلیه، فلما نام تلک اللیله رأی رسول الله صلی الله علیه و آله فی المنام، فقال له: یا بنی، أتکتب

إلی مخلوق بحاجتک؟؛ وعلمه دعاء یدعو به، فترک الحسن ما کان هم به من الکتابه،

فذکره معاویه وافتقده، وقال: ابعثوا إلیه بمائتی ألف، فلعل له ضروره فی ترکه القدوم

علینا. فحملت إلیه من غیر سؤال))(۱)

فهل کان الحسن علیه السلام غیر ملتفت إلی صیانه وجهه لیطلب المال من معاویه؟ ألم یرد

فی الروایات أنه: جاء رجل أنصاری یسأل الحسین حاجه فقال الحسین علیه السلام: یا أخا

الأنصار صن وجهک عن بذله المأله وأرفع حاجتک فی رقعه فإنی آت فیها ما سارک

إن ثاء الله؟ فکتب: یا أبا عبد الله إن لفلان علی خمسمائه دینار وقد ألح علی، فکلمه

ینتظرنی إلی میسره، فلما قرأ الحسین الرقعه دخل إلی منزله فأخرج صره فیها ألف دینار

وقال له: أما الخمسمائه فأقض بها ذمتک، وأما خمسمائه فأستعن بها علی دهرک:

لا ترفع حاجتک إلا إلی أحد ثلاثه: إلی ذی دین أو مروءه أو حسب))(۲)فهل کان

الحسن علیه السلام غافلًا یعرفه أخوه الحسین وهما رضعا واکتسبا معارفهما من مصدر

واحد؟ إذن کیف یطلب من معاویه ومعاویه لیس أحد الثلاثه المذکورین؟

ألیس هو الحسن بن عده الذی قال ابن أبی الحدید المعتزلی عن علاقته علیه السلام

بالمال:((روی محمد بن حبیب فی أمالیه أن الحسن علیه السلام حج خمس عشره حجه ماشیاً

۱- البدایه و النهایه،بن کثیر، ص ۱۹۴،ج۱۳

٢- أهل البيت وبيت المال، السيد محسن النوري الموسوي، منشورات حسين التميمي، دار المتقين، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٧١

تقاد الجنائب معه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله عز وجل ثلاث مرات حتى أنه كان يعطى نعلاً ويمسک نعلاً ويعطى خفاً وبمسک خفاً))(۱) ثم جاء السياسيون ليقولوا: إن الحسن عليه السلام اصطلح مع معاويه على أن يأخذ ما فى بيت المال الذى بالكوفه، فوفى له معاويه بذلک، فإذا فيه خمسه آلاف ألف، وقيل: سبعه آلاف ألف.(۲) وعلى أن يكون خراج البصره(وقيل: دارابجرد) له فى كل عام، فامتنع أهل تلک الناحيه عن أداء الخراج إليه، فعوضه معاويه عن ذلک سته آلاف ألف درهم فى كل عام، فلم يزل يتناولها مع ما له فى كل عام فى وفادته من الجوائز والتحف والهدايا، إلى أن توفى(۳)

وبناءً عليه تجد فى منظومتهم الحديثيه مجموعه كبيره من الأحاديث السياسيه الموضوعه التى أرادوا من خلالها إظهار الإمام الحسن عليه السلام بمظهر الطماع الجشع المحب للمال (حاشاه الله) لمجرد أنه شرط ضمن شروط الصلح شرطاً مالياً؛ ظنوه بدافع الطمع، بل وظفوه ليدل على الطمع، ولكنک إذا رجعت إلى المؤلفات التى تناولت الصلح وشروطه تعرف سبب هذا التحريف والدس الكبيرين، وتجد السبب الحقيقى الذى دفع الإمام الحسن عليه السلام إلى وضع الشرط المالى ضمن شروط الصلح، ولاسيما أنه عليه السلام يعرف أن معاويه سوف يحرم العلويين وأشياعهم من الموارد الماليه إيغالاً فى إيذائهم، حيث يتبين لكل منصف أن الإمام عليه السلام طلب المال من خراج (دار أبجرد) مثلا تعويضاً لشيعته المتضررين من أعمال معاويه الإرهابيه وليس لنفسه لكى يعرفه على ملذاته كما يدعون. وهذا يعنى أن عمال معاويه هم الذين سيقومون باستحصال خراج تلک

۱- شرح نهم البلاغه، مجلده، ج۱۶ ، ص ۴

۲- لا أدرى كيف قيض لهم معرفه مقدار عدد الملايين الموجوده فى بيت مال الكوفه بهذه الدقه،ثم يعجزون عن تحديد السنه

التی مات فیها الحسن علیه السلام!

۳- البدایه والنهایه،إسماعیل بن عمر بن کثر القرشی الدمشقی، ص ۲۰۴،ج۱۳

المنطقه ثم يخرج منه معاويه ما اتفقا عليه فيرسله إلى الإمام الحسن عليه السلام الذى كان يأمل أن يتسلمه ليوزعه على المتضررين، لا لكى يأخذه لنفسه شخصياً لكى ترفض (دارأبجرد) أن تدفع له ما طلب، كما تقول رواياتهم. فقد جاء فى موسوعه الامام الحسن عليه السلام: حكى الصدوق عن كتاب الفروق بين الأباطيل والحقوق تأليف محمد بن بحر الشيبانى عن أبى بكر محمد بن الحسن بن إسحاق بن خزيمه النيسابورى، حدثنا أبو طالب زيد بن اجزم، حدثنا أبو داود، حدثنا القاسم بن فضيل، حدثنا يوسف بن مازن الراسبى، قال: بايع الحسن بن على معاويه على: أن لا يسميه أمير المؤمنين. ولا يقيم عنده شهاده. وأن لا يتعقب على شيعه شيئاً ويؤمنهم ولا يتعرض لأحد منهم بسوء. ويوصل إلى كل ذى حق منهم حقه. وأن يفرق فى أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دارابجرد من بلاد فارس))(١)

ومن محاسن المصادفات أن تجد الله سبحانه يدفع أحياناً بعض المتعصبين ليظهروا الحقيقه بالرغم من مواقفهم الدفاعيه عن السياسيين، فالصلابى الذى شرق وغرب ودس أنواع الدسائس، وحاول تمرير طبخات السياسيين القدماء وتوهين فكر مدرسه أهل البيت عليهم السلام قال: ((وذكر الطبرى بروايه عوانه بن الحكم أن أهل البصره حالوا بين الحسن وبين خراج دارأبجرد، وقالوا: فيئنا، والمعلوم أن جبايه الخراج من مهام الدوله ولا علاقه مباشره بين الحسن وأهل البصره فى هذا الجانب، ولكن الروايه أشارت إلى أن خراج دارابجرد لم يكن فى الأموال التى صيرت إلى الحسن.... وأما الروايات التى تشير بأن يجرى معاويه للحسن كل عام مليون درهم وأن يحمل إلى الحسين مليونى درهم فى كل عام ويفضل بنى هاشم فى العطاء والصلات على بنى عبد شمس، وكأن الحسن

(١) موسوعه الحسن الرابط:

http://www.mezan.net/mawsouat/hassan/solh.html

ص :۴۱۳

باع الخلافه لمعاويه؛ فهذه الروايات وما قيل حولها من تحليل وتفسير لا تقبل ولا يعتمد

عليها))(۱)

ولكن الصلابى عاد ففتق ما رتقه من قبل واتهم الحسن عليه السلام والطالبيين بأنهم مجرد

سراق لمال المسلمين ولاسيما عند تأكيده أهميه الجانب المالى الذى عده من أهم شروط

الصلح، فأورده ثانياً بعد طلب الحسن عليه السلام فى الشرط الأول –العمل بكتاب الله وسته

رسوله– فقال مستندأ إلى حديث البخارى المشبوه: ((فالحسن يتحدث عن أموال سبق

وأصابها هو و غيره من بنى عبد المطلب، يريد الحسن أن لا يطالبهم معاويها))(۲) وكأن

الحسن والطالبيين كانوا مجرد لصوص سطوا على مال المسلمين وسرقوه، وان الحسن

محاول استغلال حاجه معاويه للصلح لكى يضغط عليه ليعفو عنهم!، فيا لفاجعه الأمه

بهذا التاريخ!

وقالوا: إن الحسن عليه السلام على جليل قدره وعظيم منزلته كان يكتب إلى معاويه أو يفد

عليه فى الشام ليستجدى منه الأموال ليتزوج بها، وأن معاويه كان ينتهز حاجه الإمام إلى

المال فيذله بالقول أو الفعل. والهدف من قولهم إن الحسن كان يأخذ المال من معاويه هو

التمويه على الناس للإيحاء زوراً بأن الإمام اعترف بشرعيه خلافه معاويه، وقد أوردوا

حديثاً كاذباً عن أهل البيت عليهم السلام أرادوا القول من خلاله أن الحسنين عليهم السلام كانا يقبلان

أعطيات معاويه وأن الأخير كان رؤوفاً رحيما بهما معظماً لهما، وكأنه لم يحاربهم ويقتلهم

ويشردهم، والحديث أوردوه عن جعفر بن محمد عن أبيه: أن الحسن والحسين رحمه الله عليها.

كانا يقبلان جوائز معاويه)) وعليه قالوا: وهذا دليل على تعظيم معاويه لأهل بيت النبوه

ص: ۴۱۴

۱– سيره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، الصلابى، ص ۳۲۴

٢- المصدر السابق، ص ٣٢٤

وإكرامه إياهم، وأن منافسته لهم الظاهره كانت عن اجتهاد له فيها أجر، إن شاء الله (١)

بالتأكيد هناك أكثر من كاتب وباحث من أتبع الفصيل السياسى أرادوا الإيحاء

للأمه بأن علاقه الحسن والحسين عليهم السلام بمعاويه كانت فى منتهى الود والمحبه والوئام

والتفاهم ببب المال لا غير؛ لأنهم كانوا يحبون المال ولا مصدر للحصول عليه إلا

عن طريق خزائن معاويه؛ وذلك لكى تختلط الأوراق وتضيع الحقيقه، فيعتقد السذج

والبسطاء بأن أخبار الخلاف التى تملأ بطون كتب التاريخ لا أصل لها على أرض

الواقع؛ وإنما وضعها المتأخرون، ومن هؤلاء المدعين على محمد الصلابى الذى قال:

((وجاءت بعض الروايات بسند حسن بأن معاويه كان دائم الوصل للحسين ويسارع

فى تلبيه مطالبه وحاجاته وكان يغدق عليه العطاء))(٢) وقال مره أخرى: ((ويبدو أن

صلات الحسين بمعاويه كانت طيبه واستمرت العلاقات بين الطرفين تتسم بكل

احترام وتقدير))(٣) وأرى أن هذا القول مخالف لكل حقائق التاريخ، جاء به السياسيون

ليشوهوا سيره الإمام الحسن عليه السلام وليدلسوا على الناس ويخدعوهم. فمن غير المعقول أن

يطلب الحسن المال من معاويه وغير معاويه من أجل متع عنده منها ألوان وأشكال

لا تحصى كما يدعون، كل ذلك لأجل أن يقع نساءه بالموافقه على الطلاق لكى يتزوج

غيرهن، حتى أنهم قالوا أنه كان يتحايل عليهن ليوقع بهن؛ قال فى ذلك أبوجعفر (محمد

١- الشريعه، أبوبكر محمد بن الحسين الآجرى (ت ٣٦٠)، تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجى، دار الوطن، الرياض: ١٤١٨- ١٩٩٧، ج١، ص١٩٦٣وشرح أصول اعتقاد أهل السنه والجماعه من الكتاب والسنه وإجماع الصحابه والتابعين من بعدهم،أبوالقاسم هبه الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى (ت٤١٨)، ط٤، تحقيق: د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدى، دار طيبه، الرياض، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م، المجلد٢، حديث ٢٧٨٢

٢- سيره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين، على محمد الصلابى،ص ٣٥٢

٣- المصدر السابق، على محمد الصلابى ص ٣٥٢

بن حبيب): وكان الحسن إذا أراد أن يطلق امرأه جلس إليها فقال: أيسرك أن أهب لك

كذا؟ فتقول له: ما شئت، أو: نعم، فيقول: هو لک، فإذا قام أرسل إليها بالطلاق وبما

سمى لها)(۱)

ومن يبحث فی بطون كتب التاريخ يجد ثوابت كثيره تمنع أن يتزل الحسنان عليهم السلام إلى

هذا المستوى، وهناك الكثير من الروايات التی يدين السياسيون بها أنفسهم ويفضحون

جهلهم، فهم بعد أن أوردوا عدداً لا بأس به من الروايات التی تقول أن الحسن

والحسين عليهم السلام كانا يقفان على باب معاويه يستعطفانه ليجود عليهما ببعض المال، جاء من

فضح كل تلك الروايات بروايه لم ترد فی كتب مدرستنا ولدينا عليها مؤشرات خطيره

جدا، ولكننا سنوردها للإفاده مما جاء فی أواخرها، وهو قول رسول الله صلى الله عليه و آله: ((دعم ما لم

تقم على باب سده أو أميراً تسأله)) جاءت هذه الروايه عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه و آله،

قال: ((إن رسول الله دعا لأهله فذكر عليا وفاطمه وغيرهما. فقلت: يا رسول الله أنا من

أهل البيت؟ قال: نعم ما لم تقم على باب سده(۲) أو أميراً تسأله))(۳)

وأعتقد أن مؤاخذاتنا على الروايه واضحه وهی قول ثوبان: (فقلت: يا رسول

الله أنا من أهل البيت؟ قال: نعم) لأن هناك عشرات الأحاديث التی تحصر أهل

البيت عليهم السلام بالخمسه أصحاب الكساء، دون غيرهم من الناس، ومنها على سبيل المثال

ما أورده الشيخ موسى عن أم سلمه أنها قالت: ((بينما رسول الله فی بيتی إذ قالت الخادم:

۱- شرح النهج، المعتزلی، مجلد ۴، ج۱۶

۲- السده: كالظله التی تقام على الباب لتقی الباب المطر، وقيل هی الباب نفسه، وقيل هی الساحه بين يديه

۳- حليم آل البيت الحسن بن علی، الشيخ موسى محمد علی، ط۲،عالم الكتب، بيروت، ۱۴۰۵ ه‍ـ ۱۹۸۴م، ص۲۷-۲۸

إن علياً وفاطمه بالده، فقال لها: قومی فتنحی لی عن أهل بیتی؟ قالت: فقمت

فتنحیت فی البیت قویباً))(۱) فکیف یکون ثوبان من أهل البیت ولا تکون أم المؤمنین أم

سلمه منهم؟ ولاسیما وأن الحاکم أورد الحدیث فی مستدرکه مع قول رسول الله الذی

خص وحدد فیه أهل البیت:((اللهم هؤلاء أهل بیتی وخاصتی، اللهم أذهب عنهم

الرجس وطهرهم تطهیراً))(۲) وفی لفظ أبی یعلی أن النبی وضع یدیه فی الکساء فقال:

اللهم إن هؤلآء آل محمد))(۳) وعن شداد بن عبد الله أبی عمار قال: ((دخلت علی واثله

بن الأسقع وعنده قوم فذکروا علیاً علیه السلام، فلما قاموا قال: ألا أخبرکم بما رأیت من رسول

الله؟ قلت: بل. قال: أتیت فاطمه. أسألها عن علی، قالت: توجه إلی رسول الله

ومعه حسن وحسین، فجلت أنتظره حتی جاء رسول الله ومعه حسن وحسین وأخذ

کل واحد منهما بید، حتی دخل فأدنی علیا وفاطمه وأجلس حسناً وحسیناً کل واحد

منهما علی فخذه ثم لف علیهم ثوبه أو کساءه ثم تلا هذه الآیه: ((انما یرید الله لیذهب عنکم الرجس اهل البیت و یطهرکم تطهیراً)) وقال: ((اللهم هؤلاء أهل بیتی وأهل

بیتی أحق))(۴)

نعم کان الإمام الحسن علیه السلام کریماً جواداً بالحق والعدل والإنصاف دون حاجه إلی

وسخ معاویه، والکتب والمؤلفات التی تحدثت عن کرمه کثیره منها علی سبیل المثال لا

الحصر: المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخی، وفیه شواهد علی کرم الإمام الحسن علیه السلام،

وکذلک هناک روایات عن کرمه فی کتب کثیره أخر(۵). وقد استغل السیاسیون هذه الخله

ص: ۴۱۷

۱- حلیم آل البیت، حلیم آل البیت الحسن بن علی، ص ۵۱

۲- المصدر نفسه، حلیم آل البیت الحسن بن علی

۳- المصدر نفسه، حلیم آل البیت الحسن بن علی

۴- المصدر نفسه، حليم آل البيت الحسن بن على، ص ۲۷

۵- أعيان الشيعه، تحقيق السيد حسن الأمين قدس سره ابن المصنف، طبعه دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، سنه ۱۴۰۶ ه ۱۹۸۶م ۴ / ۸۹ ۹۰، تاريخ ابن كثير ۸ / ۳۸، والطبقات الكبرى للشعرانى ۱ / ۲۳، ودائره المعارف للبستانى ۷ / ۳۹ وفى إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالى، تقديم بدوى طبانه، تصوير مكتبه كرياطه فوترا - سماراغ — إندونيسيا، كتاب الكترونى، المكتبه الوقفيه، ۳ / ۱۷۳، والكامل للمبرد ۲ / ۱۳، وخصال الصدوق ۱۳۰ / ۱۳۱ ومناقب ابن شهرآشوب ۲ / ۲۳ وغيرها

الكريمه فى أخلاقه وحولوها إلى منفذ للطعن فجعلوا من الكرم إسرافاً من أجل المتعه الشخصيه عن طريق الزواج غير المعقول، ثم ادعوا أن الإمام عليه السلام مع كل الإسراف والتبذير، كان لا يقيم مع المرأه التى يتزوجها أكثر من أيام معدودات، لأنه كما يدعون يعرف أن خزائن العراق العلوى والشام السفيانى عامره بالذهب والفضه وبيوتات الكوفه عامره بجميلات النساء! ومن تحسن بعينه منهن تستحق الجزاء الأوفى، فيمد لها بالمده ويسمح لها بالبقاء معه أكثر من غيرها، وقد ذكروا:((إنه نام مع امرأته خوله بنت منظور الفزارى، وقيل: هند بنت سهيل فوق أجار(١)، فعمدت المرأه فربطت رجله بخمارها إلى خلخالها، فلما استيقظ قال لها: ما هذا؟ فقالت: خفت أن تقوم من وسن النوم فتسقط، فأكون أشأم سخله على العرب. فأعجبه ذلك منها، واستمر بها سبعه أيام بعد ذلك)) يا للهول، سبعه أيام طوال معها، لأنها قالت بحقه كلمه كبيرهوعظيمه.. إذن كم كان يبقى مع الخرساء منهن؟!

لقد صاغوا قصص التبذير المزعومه لتبدو وكأنها من سمات كرمه الكبير، ولذا قالوا: ((وقد كان من الكرم على جانب عظيم. قال محمد بن سيرين: ربما أجاز الحسن بن على الرجل الواحد بمائه ألف. وقال سعيد بن عبد العزيز: سمع الحسن بن على إلى جانبه رجلًا يدعو الله أن يملكه عشره آلاف درهم، فقام إلى منزله فبعث بها إليه. وذكروا أن الحسن رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمه، ويطعم كلباً هناك لقمه، فقال له: ما

١- الأجار: السطح بدون ساتر

حملک علی هذا؟! فقال: إنی أستحی منه أن آکل ولا أطعمه. فقال له الحسن: لا تبرح من مکانک حتی آتیک . فذهب إلی سیده، فاشتراه واشتری الحائط الذی هو فیه، فأعتقه وملکه الحائط، فقال الغلام: یا مولای، قد وهبت الحائط للذی وهبتنی له))(۱) ولکی تنطلی لعبتهم علی السذج من الناس ادعوا بأن الإمام علی علیه السلام کان کثیر الانزعاج من تبذیر ولده الحسن.!

۱- البدایه والنهایه، ص: ۱۹۶،ج۱۳

انزعاج الإمام علی علیه السلام

مصطلح أهل البیت یشمل النبی صلی الله علیه و آله و علی وفاطمه والحسن والحسین علیهم السلام، وهم الخمسه أهل الکساء، ثم یمتد لیشمل التسعه المعصومین من ذریه الحسین علیهم السلام، بدلاله قوله صلی الله علیه و آله: ((اللهم هؤلاء أهل بیتی وخاصتی)). ولقد قامت علاقه فریده بین أهل الکساء ولاسیما منهم الذین تجایلوا بعضهم مع بعض تختلف کلیاً عن أی نوع آخر من العلاقات فی المجتمع الإسلامی، ولأننا نتحدث فی هذا البحث عن الإمام الحسن علیه السلام سیکون حدیثنا منصباً علی علاقته االمعصومین الأربعه ومنها علاقته بجده النبی صلی الله علیه و آله، ولقد أوردت فی البحث عشرات الأحادیث التی تتکلم عن هذه العلاقه، ولکنی سأورد فی هذا المبحث حدیثاً أخرجه الطوسی فی (الثاقب فی المناقب) عن الإمام الباقر علیه السلام عن آبائه علیهم السلام عن حذیفه بن الیمان قال: ((بینا رسول الله صلی الله علیه و آله علی جبل أحد فی جماعه من المهاجرین والأنصار إذ أقبل الحسن بن علی علیه السلام یمشی علی هدوء و وقار، فنظر إلیه رسول الله، فرمقه من کان معه، فقال له بلال: یا رسول الله ما تری أحداً بأحد؟ فقال: إن جبرائیل یهدیه ومیکائیل یسدده، وهو ولدی والطاهر من نفسی، وضلع من أضلاعی، هذا سبطی وقره عینی بأبی هو. وقام وقمنا معه وهو یقول: أنت تفاحتی وأنت حبیبی وبهجه قلبی، وأخذ بیده فمشی معه))(۱)

وهذا الفکره یترجمها حدیث آخر بنفس المضمون الفرید یؤکد أن الحسن علیه السلام ثمره

۱- فی رحاب الإمام الحسن المجتبی، قم الثقافه والإعلام، الشؤون الفکریه والثقافیه فی العتبه الکاظمیه المقـدسه، ۱۴۳۳ ، ص۱۱ عن الثاقب فی المناقب، ابن حمزه الطوسی، ص ۳۱۶- ۳۱۹

فؤاد النبی صلی الله علیه و آله، عن أنس بن مالک قال: ((دخل الحسن علی النبی صلی الله علیه و آله فأردت أن أمیطه عنه، فقال صلی الله علیه و آله: ویحک یا أنس، دع ابنی، وثمره فؤادی، فإن من آذی هذا آذانی، ومن آذانی فقد آذی الله))(۱) وحدیث آخر عن ابن عباس قال: ((اتحد الحسن والحسین عند رسول الله صلی الله علیه و آله فجعل یقول: ((هی یا حسن، خذ یا حسین. فقالت فاطمه: تعین الکبیر علی الصغیر؟ فقال: إن جبرائیل یقول خذ یا حسن))(۲) وحدیث آخر عن أبی سعید الخدری:((إن رسول الله دخل علی ابنته فاطمه وابناها إلی جانبها وعلی نائم فاستسقی الحسن فأتی ناقه لهم تحلب فحلب منها ثم جاء به فنازعه الحسین أن یشرب قبله حتی بکی، فقال: یشرب أخوک ثم تشرب، فقالت فاطمه: کأنه آثر عندک منه؟ قال: ما هو بآثر عتدی مته وإنهما عندی بمنزله واحده، وإنک وهما وهذا المضطجع معی فی مکان واحد یوم القیامه))(۳) وحدیث آخر من طریق عبد الرحمن بن مسعود عن أبی هریره، قال: ((خرج علینا رسول الله صلی الله علیه و آله ومعه الحسن والحسین هذا علی عاتقه وهذا علی عاتقه وهو یلثم هذا مره وهذا مره حتی انتهی إلینا فقال: من أحبهما ففد أحبنی ومن أبغضهما ففد أبغضنی))(۴)

وکانت نظره الإمام علی لولده الحسن علیهم السلام من المصدر والمنبع نفسه فمن کلام له لابنه الحسن علیه السلام فی وصیه طویله: ((ووجدتک بعضی، بل وجدتک کلی حتی کأن شیئاً لو أصابک أصابنی، وکأن الموت لو أتاک أتانی، فعنانی من أمرک ما یعنینی من أمر نفسی))(۵) بل إن الإمام علی علیه السلام کان یبجل الحسنین لأنه کان یراهما أبناء رسول الله صلی الله علیه و آله،

(۱) .

(۲) .

(۳) .

(۴) .

(۵) ...

۱- الصواعق المحرقه، ابن حجر، ص۱۴۲

۲- حلیم آل البیت الحسن بن علی، الشیخ موسی محمد علی، ص ۲۴

۳- المصدر نفسه، ص ۲۴

۴- المصدر نفسه، ص ۲۵

۵- فی رحاب الإمام الحسن المجتبی، قم الثقافه والإعلام، ۱۴۳۳ هـ، ص ۱۶

ففی صفین لما رأی جمیل جهاد محمد بن الحنفیه، قال: ((أشهد أنک ابنی حقاً، فقیل له: یا

أمیر المؤمنین الحسن والحسین أیضا ابناک؟ فقال: هما ابنا رسول الله))(۱)

إن إیراد هذا الکم من الأحادیث یأتی للتقدیم إلی ما نسبوه إلی الإمام علی علیه السلام بأنه

کان کثیر الانزعاج من ابنه الحسن علیه السلام الذی وصفه بکل تلک الأوصاف الجمیله الرائعه،

غیر ملتفتین إلی التعارض الکبیر بین الفهمین والواقعین والحقیقتین. وأجد حقاً أنه لیس

من الیسیر جمع کل الافتراءات التی وجهت للإمام الحسن علیه السلام بفعل أو بقول فهی من

الکثره بمکان أنها ملأت بطون الکتب؛ فأشکل بعضها علی الناس وشتت فکرهم

فاعتقدوا بصحه بعضها بالرغم من بیان و وضوح بطلانها وکذبها. ولکی نعرف طرائق

هذا الدس السیاسی أورد فی أدناه نقولاً مختلفه لتکون مدخل إلی لب وصلب الموضوع

وأترک لکم مقارنتها مع قول الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله: ((إن جبرائیل یهدیه ومیکائیل یسدده،

وهو ولدی والطاهر من نفسی، وضلع من أضلاعی، هذا سبطی وقره عینی بأبی هو))

وقول الإمام علی: ((ووجدتک بعضی، بل وجدتک کلی))

• النقل الأول: أورده ابن سعد فی طبقاته: ((إن علیا مر علی قوم قد اجتمعوا علی

رجل، فقال: من هذا؟ قالوا: الحسن. قال: طحن إبل لم تعود طحناً، إن لکل

قوم صداداً وإن ,صدادنا الحسن))(۲)

ولکی نعرف معنی هذا القول الشطط المنسوب إلی سید البلاغه الإمام علی علیه السلام،

یجب أن نعرف معنی صفه (صداد) التی قالوا أنه وصف بها ابنه الحسن علیه السلام الذی هو

بعضه بل کله، فمعرفه معناها تبرئ علیاً وحسناً علیهم السلام، وتتهم من جاء بها بکل مساوئ

...

١- ينظر: أبناء الزهراء أبناء الرسول، الشيخ رضا الأستادى، بركزيده، قم، إيران، ١٣٨٨ هـ،ص١٧
٢- الطبقات الكبرى اسم الناقص، ابن سعد، ج١ ،ص٢٧٧-٢٧٨

التاريخ، فالصداد فى المعجم الرائد: دابه صغيره من جنس الجرذان، والصداد: سام ابرص.(۱)وفى تاج العروس: الصداد: الحيه، ودويبه من جنس الجرذان، أو سام أبرص، وقيل الوزغ.(۲)

فهل يعقل أن يصف الإمام على عليه السلام ولده وحبيب قلبه الذى سبق وأن قال له: ((أنت بعضى بل كلى)) يمثل هذا الوصف؟ وكيف يبيح المسلم لنفسه أن يرتكب مثل هذا الحمق والجرم الحقير فيتهم الإمام الحسن عليه السلام ويصفه بهذا الوصف على لساف الإمام على عليه السلام؟ كم من سوء ارتكبه من أوجد هذا القول السخيف؟ وماذا سيقول لله تعالى غداً؟ وأرى والله أن مجرد وجود هذا الحديث فى تاريخنا المستباح يصبغه بسواد لا يدانيه سواد الكون كله، ويؤكد أن السياسيين الذين باعوا دينهم بدنيا زائله كانوا على استعداد لارتكاب أخس الجرائم وأحقرها لكى ينفسوا عن حقدهم الدفين على أهل البيت الكرام، ولذا تراهم يضعون مثل هذه الأقوال السخيفه ليتهموا الإمام على عليه السلام بأنه لم يكن يثق بقدرات ابنه الحسن عليه السلام، وأنه كان يغتابه من وراء ظهره ويشنع به، وهذا مناقض وخالف لما نعرفه عن خلق الإمام على عليه السلام ويتعارض بشده مع الثقه التى أولاها الإمام على لابنه الحسن عليه السلام فى الأقل خلال الحروب التى وقعت فى خلافته حيث كاف الحسن عليه السلام أحد أهم قواده العسكريين، وقد كلفه أكثر من مره ليحشد له الأمه ويحثهم على الإسهام فى القتال، وكان الناطق الرسمى باسم أبيه. وفى أخبار حرب الجمل أن الإمام على عليه السلام حينما توجه إلى ذى قار ونزلها، أرسل الحسن عليه السلام إلى الكوفه مع عمار بن ياسر، وزيد بن صوحان، وقيس بن سعد يستنفروا أهلها لمساعدته على طلحه

۱– الرائد معجم لغوى عصرى، جبران مسعود، دار العلم للملايين، سنه النشر: ۱۹۹۲

٢- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدى، الناشر: طبعه الكويت، ص ٢٠٨٦ فصل الصاد المهمله مع الدال

والزبير. وتأتی أهمیه هذا العمل من أن الإمام علیه السلام کان قد أرسل قبل ذلک وفداً من کبار

قواده وزعماء جیشه، ففشلوا فی مهمتهم، حیث اعترضهم أبو موسی الأشعری، ولم

یستجیب لطلب الإمام علی علیه السلام. لکن مع وصول الإمام الحسن علیه السلام استجاب الناس

لندائه وخرج معه إلی البصره اثنا عشر ألفاً.

• النقل الثانی: وروی أیضاً عن المسیب بن نجبه قال: ((سمعت علیاً یقول: ألا

أحدثکم عنی وعن أهل بیتی؟ أما عبد الله بن جعفر فصاحب لهو، وأما

الحسن بن علی فصاحب جفنه وخوان فتی من فتیان قریش، لو قد التقت

حلقتا البطان لم یغن فی الحرب عنکم شیئاً، وأما أنا وحسین فنحن منکم

وأنتم منا))(۱)

وحلقتا البطان لغه، کما فی معجم المعانی: والتقت حلقتا البطان: کنایه عن اشتداد

الأمر. وفی الموسوعه الثقافیه: یضرب فی الحادثه إذا بلغت النهایه. وفی العجم الوسیط:

یقال: فلان عریض البطان: رخی البال. والجمع: أبطنه، وبطن. وفی المعجم الرائد:

البطان: حزام یجعل تحت بطن الجمل أو الفرس. وفی معجم اللغه العربیه المعاصر:

البطان: جمع أبطنه: نطاق، حزام یشد علی البطن.

وفی کتاب الجلیس الصافی: قال:، أوس بن حجر: ((و ازدحمت حلقتا البطان بأقوام

وطارت نفوسهم جزعاً، ویقولون: التقت حلقتا البطان والحقب، ومنه: اشدد بمثنی

حقب حقواها ویقال حقب البعیر إذا صار الحزام فی الحقب))(۲)

۱- ینظر:ابن سعد، الطبقات الکبری القسم الناقص ج۱ ، ص۲۹۷، شرح نهج البلاغه- ابن ابی حدید، م۴ ، ج۱۶ ،ص ۱۱

۲- الجلیس الصالح الکافی والأنیس الناصح الشافی، أبو الفرج المعافی بن زکریا بن یحیی الجریری النهروانی (ت ۳۹۰)، تحقیق

عبد الكريم سامى الجندى، دار الكتب العلميه، بيروت — لبنان، ۱۴۲۶ - ۲۰۰۵م...

ومعنى هذا أنهم أرادوا القول: إن الإمام على عليه السلام وصف ابنه الإمام الحسن عليه السلام

بأنه لا يغنى فى الحرب شيئاً، ولا ينفع إذا تأزمت الأمور، وهذا مخالف لاجماع المؤرخين

الذين أكدوا أن الحسن عليه السلام كان حبيب على عليه السلام، وانه اشترك فى حرب الجمل إلى جنب

أبيه، وحمل رايته وانتصر بها على الناكثين، وفى صفين جمع المهمتين سويه حيث حمل

الرايه وخاض الحرب، فضلا عن قيامه بتعبئه المسلمين للجهاد، وبذل جهده لإحباط

مؤامره التحكيم، والاحتجاج على المنادين به.

لقد شارك الإمام الحسن عليه السلام فى جميع الحروب التى شنها السياسيون ضد الإمام

على عليه السلام، وفى تحكيم صفين، ويوم النهروان، وكان يبرز إلى ساحه القتال كلما اقتضى

الأمر، بل كان يندفع و يتسرع إلى الحرب، قاتل فى معركه صفين كما قاتل من قبل فى

معركه الجمل، ولقد أفادت بعض الروايات أن الإمام على كان يمنع الحسنين عليهم السلام

من النزول إلى ساحه القتال خشيه أن ينقطع نسل رسول الله صلیالله علیه و آله، كما فى قوله لأصحابه:

((املكوا عنى هذا الغلام لا يهدنى، فإننى أنفس بهذين يعنى الحسن والحسين على

الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله))(١)

• النقل الثالث: روى ابن عساكر وغيره: ((إن الحسين قال للحسن: أعيذك أن

كذب علياً فى قبره وتصدق معاويه، فقال الحسن: والله ما أردت أمراً قط إلا

حالفتنى إلى غيره))(٢)

وهى روايه لحالقه للعقل والنقل ومتعارضه مع ما نقله المؤرخون عن العلاقه المتينه

١- نهج البلاغه: من كلام له عليه السلام فى بعض أيام صفين، وقد رأى ابنه الحسن يتسرع إلى الحرب. باب خطب أمير المؤمنين: ٢٠٧

۲- تاریخ دمشق، ابن عساکر، ج ۱۲، ص ۲۶۷

القائمه على الاحترام المتبادل بين الحسنين عليهم السلام.

هكذا عمل السياسيون بجد لتحطيم سياج القلعه الحسنيه، وبهذا الأسلوب

التافه والدس الرخيص حاربوا ذكره العطر، ولكن أنى لهم أن يقنعوا بهذه الأقوال

الباطله الفاشله إلا من هو هابط إلى مستواهم الدنيء؟ فضلا عن ذلك سرد فى البحث

أنموذجات أخر من هذه الأقوال السخيفه، سوف نوردها فى محلها، وهدفنا من إيرادها

التوضيح أن ما أراده السياسيون من كل الافتراءات والأكاذيب السياسيه هو تشويه

نقاء صوره الإمام الحسن عليه السلام والإحياء للأمه بأن الإمام على عليه السلام كان غير راض عنه،

والمؤسف أنهم نجحوا فى ذلك بعض النجاح، فى الأقل مع قومهم، ومن يؤمن بحديثهم.

الزواج السياسى

إن السياسيين الدنيويين لم يكفهم التطاول على هذا الطود الشامخ والقمه الباسقه والمناضل الصلب؛ فادعوا زوراً وبهتاناً إن سلوكه فى التبذير وكثره الزواج والطلاق أغضب علياً عليه السلام، الذى ادعوا انه لم تكن له سيطره على نزوات ولده الحسن؛ فاتجه إلى أهل الكوفه تخاطباً وراجياً يطالبهم بعدم تزويج الحسن عليه السلام كما فى قول السيوطى: ((وقد كان على يقول لأهل الكوفه: لا تزوجوه فإنه مطلاق. فيقولون: والله يا أمير المؤمنين لو خطب إلينا كل يوم لزوجناه منا من شاء، ابتغاء فى صهر رسول الله))(۱) والمنكر أنهم يعزون سبب انزعاج الإمام على عليه السلام إلى دافع سياسى بحت لا علاقه له بالجانب التربوى والأخلاقى، يعزونه إلى خوفه من انفراط عقد تحالفاته مع القبائل؛ وليس من تكرار حالات الزواج الشانه وغير المعقوله لولده، وهذا ما أكده ابن سعد فى روايته التى قال فيها: إن الإمام على كان تخاف أن تثور عليه القبائل بسبب تطليق الحسن لبناتهم، بمعنى أنه كان منزعجاً من كثره زواج الحسن خوفا من العداء السياسى الذى ممكن أن يقع بينه وبين القبائل العربيه لا أكثر؛ فروى فى طبقاته روايه منسوبه إلى على عليه السلام تدعى أنه قال: ((مازال الحسن يتزوج ويطلق حتى خشيت أن يكون يورثنا عداوه فى القبائل))(۲)

ولأهميه الحديث عن الزواج السياسى بنظر السياسيين وحدهم أقول: لا تخفى العلاقه الوثيقه بين السياسه ومصطلح الزواج السياسى، فالمصطلح بالرغم من تأخر

۱- تاريخ الخلفاء، السيوطى، ص ۱۹۱

۲- الطبقات الكبرى القسم الناقص ابن سعد، ج ۱/ص ۳۰۱

صیاغته نابع أساساً من عمق الفکر السیاسی القدیم، ودالاً علیه ومتأثراً به، وهو بالتالی

احد مصادیق التلاعب السیاسی التاریخی حتی فی حقبه العصر الجاهل.

ویقصد بمصطلح الزواج السیاسی أو المصاهره السیاسیه: تلک الزیجات التی

تقف وراءها المصلحه السیاسیه المتبادله (مثل محاوله أرباب السلطه حصر الامتیازات

السیاسیه فیما بینهم، أو الرغبه فی الوصول إلی تقلد المناصب الإداریه أو السیاسیه أو

العسکریه أو محاوله الاستیلاء علی السلطه أو بهدف کسب ود بعض الدول المجاوره)(۱)

ولذا نجد للأسف الشدید أن هناک بعض الکتاب والباحثین والمؤرخین اتهموا النبی

الأکرم صلی الله علیه و آله بتهمه عقد الزیجات السیاسیه بالرغم مما ینطوی علیه هذا السلوک الشائن

من مکر وخداع واحتیال؛ ربما لأنهم عجزوا عن تفسیر حالات الزواج المتکرر للنبی

من بعض النساء دون غیرهن مثل زواجه بریحانه بنت عمرو بن خنافه القرظیه فی غزوه

بنی قریظه، وزواجه بجویریه بنت الحارث فی غزوه بنی المصطلق، وزواجه بصفیه بنت

حیی فی غزوه خیبر، ولا أدری إن کانوا قد عدوا زواجه بعائشه زواجاً سیاسیاً أیضا بعد

أن قالوا: إنه تزوجها فی المدینه المنوره وهی لما تتجاوز الست سنین من عمرها بعد، بینما

کان عمره الشریف أکثر من خمسه وخمسین عاماً.

وبناء علیه أری أنه لیس غریباً علی هؤلاء، وهم السیاسیون المحنکون الذین

یربطون کل تصرف یبدر من کبیر علی أنه سلوک سیاسی أو أنه جاء بدوافع سیاسیه،

أن یظهروا علیاً وکأنه من صنفهم، یتأثر مثلهم بالسیاسه ویتنازل لضغوطاتها کما

یفعلون، فیطعن بکبیر أولاده وخلیفته الحسن علیه السلام بحجه أن تکرار طلاق الحسن لنساء

القبائل العربیه سوف یخلق خلافاً سیاسیاً بین أهالی المطلقات والخلیفه!

١- الزواج السياسي في عصر المماليك ٦٤٨- ٩٢٣ ، الدكتور فاضل جابر ضاحي والدكتور ثامر نعمان مصطاف،ط٢، دار رند للطباعه والنشر، دمشق، ٢٠١٠، ص ٩

وبالتالى يتبين وبشكل واضح مما أورده ابن سعد وغيره فى النصوص السابقه أن عقول أعداء الإمام الحسن عليه السلام كانت محصوره فى اطر سياسيه خالصه، وان كل سلوكهم وتفكرهم كان محصوراً فى السياسه وحدها، بما لم يدع مجالاً للدين أو للقيم والأخلاق والصدق والنزاهه أن تجد مكاناً فى تلك العقول. وأن السياسيين نجحوا فى التأثير فى المؤرخين فجعلوهم يكتبون ما يريدونه. ومع أنه من المفروض بالمؤرخين الذين جاؤوا بعد هؤلاء أن يمتحنوا النصوص قبل نقلها، إلا أن امتداد أثر الدفع السياسى بدا ظاهراً حتى على المتأخرين منهم؛ حيث نجد السيوطى يأخذ بقول ابن سعد (حتى خشيت أن يكون يورثنا عداوه فى القبائل) ولا يكتفى به، وإنما يضيف إليه اسم القبيله التى ينتسب إليها من ادعوا أنه رد على الإمام على عليه السلام حيث تبين حسب السيوطى أنه من قبيله همدان، بالرغم من أن ابن سعد لم يورد هذا الاسم، ولكن السيوطى قال بملء فيه: ((وأخرج ابن سعد عن جعفر بن محمد قال: قال على: يا أهل الكوفه لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق، فقال رجل من همدان: والله لنزوجنه، فما رضى أمسك، وما كره طلق))(۱)

أى أنهم ادعوا بأن أهل الكوفه لم يسمعوا نصيحه أمرهم على عليه السلام بل وتحدوه بأنهم سيبقون يزوجون الحسن عليه السلام بناتهم ليلهو معهن ويستأنس بجمالهن؛ (كل ذاك ابتغاء فى صهر رسول الله) كما تقول الروايه، وما يستنتج من هذه الروايه الموضوعه أن الحسن عليه السلام كان كثير الزواج كثير الطلاق فى الكوفه التى عاش فيها ثلاث سنوات مفعمه بالمؤامرات والحروب والسفر والجهاد، وهذا وحده دليل كافى لنفى هذه التهمه وتفويض هذه الروايه من جذورها.

١- السيوطى، تاريخ الخلفاء، ص ١٩١

وبسبب هذه الروايه وأخواتها من الموضوعات تحولت قصص زواج الإمام الحسن عليه السلام إلى موارد شائبه ينهل منها المحب ظناً منه أنه يخدم قضيه الحسن، ويلغ فيها المبغض ظنا منه أنه يسيء إليه، فلا المحب وفاه حقه ولا الشانئ أطفأ نوره، وكلاهما أساء إليه من حيث يدرى أو لا يدرى، ففى تتمه القصه المختلقه عن رد الهمدانى على أمير المؤمنين على عليه السلام، ادعوا أن رد الهمدانى المنمق أسعد علياً فنسى أنه قسيم الجنه والنار بالنص، فارتجل قائلا:

ولو كنت بواباً على باب جنه لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وفى هذا تعارض مع ما صح عن النبى صلى الله عليه و آله أن علياً قسيم الجنه والنار، وأظن أن المادح أغفل ذلك فأورد بيت الشعر ظناً منه أنه يمدح علياً وحسنا عليه السلام وهمدان! أما اختيار السياسيين لرجل من همدان لينسبوا إليه اعتراضه على قول على عليه السلام وهو القول الذى انطلى حتى على بعض رجال مدرستنا، فإنه بكل تأكيد لم يأت جزافاً ولم يأت من فراغ، بما يؤكد للمره الألف أن السياسيين كانوا بارعين فى صنعتهم، إذ جاء اختيارهم للهمدانى تبعاً لما يعرفونه عن العلاقه المتينه بين قبيله همدان وأهل البيت عليه السلام فبعد أن انتشرت إشاعه مقتل قيس بن سعد فى صفوف جيش الحسن الذى كان مرابطاً فى المدائن؛ وخروج الخوارج والمدسوسين عليه وانتهابهم ركبه؛ بادر الإمام الحسن عليه السلام لطلب الدعم من أقرب الناس إليه، وكانت همدان إحدى العشيرتين اللتين طلبهما دون باقى الناس، فقال: ((ادعوا لى ربيعه وهمدان، فدعوا له، فأطافوا به، ودفعوا الناس عنه، ومعهم شوب من غيرهم))(۱) ومن هنا أخذ السياسيون قصه معارضه همدان للإمام على عليه السلام وتأييد الإمام الحسن عليه السلام؛ و وضعوها بهذا المضمون الفج التافه.

١- مقاتل الطالبيين ص ٧٣-٧٠

فضلا عن ذلک بینت قصصهم الموضوعه أن الحسن علیه السلام کان یختار من کل عشیره

عربیه امرأه لیتزوجها، وکأنه یرید أن ینشئ جامعه العشائر والقبائل العربیه، أو أنه

یرید إفساد الود بین أبیه والقبائل العربیه کلها، کما مر فی حدیثنا عن الزواج السیاسی،

فمنقریه، وکلبیه، وثقفیه، وعلقمیه، وسبیعیه وشیبانیه، وتیمیه، وخثعمیه، وقرشیه،

وکندیه، وقضاعیه، وفزازیه، وقیسیه، وتمیمیه، وأنصاریه، وبجلیه، وهمدانیه، وفارسیه،

ومن قبائل أخر نجهل أسماءها، لأن المؤرخین یجهلونها لیس لقصور فی الفهم والتذکر،

وإنما لأنها لم تکن موجوده علی أرض الواقع أصلاً، ولذا لم یشیروا إلیها فی أحادیثهم.

وأسأل هنا: إذا ما کان الهمدانی قد تحدی علیا علیه السلام ولم یأخذ بمنعه تزویج الحسن علیه السلام

لأن همدان تحب أهل البیت، هل یعقل أن رجال جمیع القبائل العربیه کانوا علی القول

نفسه فلم یأخذوا برأی علی وزوجوا بناتهم الحسن بن علی علیه السلام بالرغم من علمهم انه

سیطلقهن بعد یوم أو أکثر، وبالرغم من أن فیهم من لم یکن یهوی أهل البیت علیهم السلام و مثل

قوم الأشعث والخوارج وغیرهم؟

واقعا أنا لا أدری کیف تستقیم مثل هذه الروایات الفجه مع روایات قویه أخر

تؤکد أن الإمام علیاً علیه السلام هو الذی خطب لأبنائه الحسن والحسین علیهم السلام نساءً اختارهن

وزوجهن لهما ومنهن (شاهربانو) بنت کسری التی زوجها للإمام الحسین علیه السلام کما یروی

البلاذری، وبنات امریء القیس اللواتی خطبهن للحسن والحسین علیهم السلام؛ حیث خطب

علی علیه السلام بناته لولدیه الحسن والحسین فقال أمریء القیس: ((قد أنکحتک یا علی المحیاه

ابنتی وأنکحتک یا حسن سلمی، وأنکحتک یا حسین الرباب، بناتی))(۱)

والنکایه الأعظم أن تجد بعض الروایات تصفه بالمذواق والتی تعنی: سریع

١- ينظر: زوجات الأئمه المعصومين، الشيخ ماجد ناصر الزبيدى،دار المحجه البيضاء، بيروت،١٤٢٨٢٠٠٧م، ص١٣٣

النكاح سريع الطلاق، وتعنى لغه: الملول لما هو فيه، يريد تذوق غيره، وفى الحديث:إن الله يبغض الذواقين والذواقات))(۱) وفى مكارم الأخلاق: إن الله يلعن كل ذواق

من الرجال، وكل ذواقه من النساء))(۲)ولذا أرى أن الذين اختاروا صفه (مذواق)

ليلصقوها بالامام الحسن عليه السلام ليسوا من الجهال ولا من قليلى العلم؛ وإنما هم من

المطلعين على الحديث والسنه ولهم باع طويل فى علومها وأسرارها، فالكلمه جاءت

لصيقه بموضوعه الزواج والطلاق العبثى، دون غيرهما، وبات كل من يسمع بها يذهب

تفكيره إلى الزواج والطلاق العبثى لأن هناك قصص كثيره من التى تناولت الصفه

بالشرح باعتبار أنها وردت فى حديث نبوى ينهى عن العبث فى الزواج والطلاق بهدف

المتعه والتذوق. وقد ورد الحديث بصيغ عديده منها:

((إن الله يلعن كل ذواق من الرجال، وكل ذواقه من النساء))

((لا أحب الذواقين من الرجال، ولا الذواقات من النساء))

((تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات))(۳)

وفى تفسير الطبرى فى تأويل قويه تعالى: ((متعا))(قيل: قد روى عن رسول

الله صلى الله عليه و آله أنه قال: إن الله لايحب الذواقين ولا الذواقات))(۴) ومثله فى البحر الزخار(۵)

۱- المعجم الوسيط، مجمع اللغه العربيه،باب الذال، ج ۱ ص ۳۴۷

۲- مكارم الأخلاق، رضى الدين أبى نصر الحسن بن الفضل الطبرسى، ص ۱۹۷

۳- المقاصد الحسنه فيما اشتهر على الألسنه، شمس الدين أبى الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوى(المتوفى: ۹۰۲)، المحقق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربى - بيروت، ۱۴۰۵ هـ -۱۹۸۵م

۴- جامع البيان عن تأويل آى القرآن، الطبرى، تفسير الآيه ۲۳۶ من سوره البقره

۵- المسند (المعلل الكبير)، للحافظ أبى بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى البزار(ت ۲۹۲ ج۸، ص۲۱-۲۲)، والطبرانى فى الكبير ج ۲۰، ص۱۶۷ وفى الأوسط ج۱۷،ص ۱۵۰

وورد الحديث بطرق أخر فی ثلاثه مواضع من کتاب الجامع الصغير وهی کالآتی:

((إن الله تعالی لا يحب الذواقين ولا الذواقات))

((تزوجوا ولا تطلقوا فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات))

((لا تطلقوا النساء إلا من ريه فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات))

و ورد فی مجمع الزوائد للهيثمی: عن أبی موسی أن النبی صلی الله عليه و آله قال: ((لا تطلق النساء

إلا من ريبه إن الله تبارک وتعالی لا يحب الذواقين ولا الذواقات))(۱)

وجاء فی مصنف ابن أبی شيبه: حدثنا أبو بکر، قال: حدثنا محمد بن فضيل، عن

ليث، عن شهر بن حوشب، قال: ((تزوج رجل وامرأه علی عهد النبی صلی الله عليه و آله فطلقها، فقال

له النبی: طلقتها؟ قال: نعم! قال: من بأس؟ قال: لا يا رسول الله!

ثم تزوج أخری، ثم طلقها، فقال له رسول الله صلی الله عليه و آله: طلقتها؟ قال: نعم! قال: من

بأس؟ قال: لا يا رسول الله!

ثم تزوج أخری ثم طلقها فقال له رسول الله صلی الله عليه و آله: أطلقتها؟ قال: نعم! قال: من

بأس؟ قال: لا يا رسول الله.!

فقال رسول الله صلی الله عليه و آله فی الثالثه: إن الله لا يحب کل ذواق من الرجال ولا کل ذواقه

من النساء))(۲)

۱- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علی بن أبی بکر الهيثمی، دار الفکر، بروت - ۱۴۱۲ هـ

۲- المصنف فی الأحاديث والآثار المعروف بمصنف ابن أبی شيبه،عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبی شيبه العبسی أبوبکر(ت ۲۳۵)، تحقيق محمد عوامه، دار القبله - مؤسسه علوم القرآن، الرياض، ۱۴۲۷ هـ -۲۰۰۶م،ج ۴، ص۱۷۲

فأين هذا المعنى من أحاديث النبى عن الحسن بأنه صلى الله عليه و آله كان يحب ابنه الحسن عليه السلام، وأن الحسن عليه السلام سيد شباب أهل الجنه، وأنه إمام قام أو قعد وغيرها؟ هل يتساوق معنى كلمه مذواق وحديث النبى صلى الله عليه و آله عن المذواق مع ما يدعون أن علياً عليه السلام قاله بحق ولده؟ وأى ظلم هو ظلم ذوى القربى لتجد مثل هذه الروايات فى كتبنا المعتبره؟

وأما صفه المطلاق فلا تقل سوء عن غيرها، إذ كيف يستقيم هذا المعنى مع أقوال الرسول الأكرم فى الطلاق والمطلاق، وما من كتاب حديث من كتب المدرستين إلا وتجد فيه أبواباً كثيره لأحاديث كراهه الطلاق، وعلى سبيل المثال لا الحصر تجد البخارى قد خص الطلاق فى صحيحه بكتاب ضم تسعه وتسعين حديثاً(١) وتجد فى فروع الكافى كتاب الطلاق متضمناً عشرات الأبواب التى تضم عشرات الأحاديث، على مدى الصفحات من ١٢١١ ولغايه .١٣٠، وهو عدد كبير من الصفحات التى تخصص لموضوع واحد.(٢) فكيف لا يلتفت الإمام الحسن عليه السلام إلى سنه جده وهو المسؤول عن إيصالها إلى الناس، فيعمل بخلافها، فيتزوج ويطلق حباً للمتعه لا أكثر حتى قالوا أن عدد زوجاته فاق التسعمائه؟ وكيف يعقل أن لا يلتفت علماؤنا إلى هذا التناقض فيوردون مثل هذه الأحاديث التى تطعن بإمام معصوم؟

الغريب أنى وجدت فى البحار قصه أخرى فيها تأكيد آخر على صفه المطلاق، وفيها: ((خطب الحسن بن على إلى عبد الرحمن بن الحارث ابنته، فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه، فقال: والله ما على وجه الأرض من يمنى عليها أعز على منك، ولكن تعلم أن ابنتى بضعه منى وأنت مطلاق، فأخاف أن تطلقها، و إن فعلت خشيت أن يتغير

١- ينظر: صحيح البخارى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٤٢٢ ٢٠٠١م، ص ٩٦٥_٩٨١

٢- ينظر: فروع الكافي،ج٦، دار المرتضى،بيروت، ١٤٢٨ه_ ٢٠٠٧م

قلبی علیک لأنک بضعه من رسول الله، فإن شرطت أن لا نطلقها زوجتک! فسکت

الحسن وقام وخرج، فسمع منه یقول: ما أراد عبد الرحمن إلا أن یجعل ابنته طوقا فی

عنقی))(۱)وفی هذه الروایه التی أوردها العلامه المجلسی اتهام صریح للإمام الحسن علیه السلام،

بل وإقرار خطی بأنه مطلاق! ولا أدری علی من نعتب، علی السیاسیین الذین حاربوا

الإمام الحسن علیه السلام ودسوا فی سیرته کل تلک الروایات، أم علی محبیه الذین فاتهم مکر

السیاسیین، فأخذوا بأقوالهم وروایاتهم دون امتحان!

وبسبب هذه الروایات السقیمه وغیرها وصلت الجرأه ببعض المدعین إلی أن

یدعوا: إن الإمام الحسن علیه السلام کان یطلق أربع نساء دفعه واحده ویتزوج أربع نساء دفعه

واحده، کما فی کتاب قوت القلوب لأبی طالب المکی: ((وکان الحسن ربما عقد له أربعه

وربما طلق أربعه))(۲)

إن هذه الصفه التی تدل علی الرغبه فی التذوق والتمتع هی من صفات السیاسیین

والخلفاء الدنیویین، أخذها أتباعهم عنهم وألصقوها بسیره الإمام الحسن علیه السلام تشویهاً

ودساً وتدلیساً وکذباً، فقصه تطلیق الأربع التی تخالف نصوص الشریعه أشتهر بها

السیاسیون، ومنهم المغیره بن شعبه الذی أقر قانون سب الإمام علی علیه السلام فی الکوفه،

وشجع الناس علیه وعاقب من عصیه، حیث((کان للمغیره بن شعبه أربع نساء، فأقامهن

بین یدیه صفان وقال: انتن حسان الأخلاق ناعمات الأرداف طویلات الأعناق، اذهبن

فانتن طلاق))(۳) أما مدرستنا الفقهیه الشیعیه التی أسسها علی والحسن علیهم السلام من بعده

فلها مبان معروفه فی الطلاق عامه وطلاق صاحب الزوجات الأربع خاصه، وفی

۱- بحارالأنوار، ج۴۴،ص ۱۷۱

٢- قوت القلوب، أبى طالب المكى، ج١،ص ٢۴۶
٣- سير أعلام النبلاء، الذهبى،ج ٣،ص٣١

الحديث عن جميل بن دراج، عن زراره بن أعين، ومحمد بن مسلم، عن أبی عبد الله رضی الله عنه

قال: ((إذا جمع الرجل أربعاً؛ فطلق إحداهن، فلا یتزوج الخامسه حتی تنقضی عده

المرأه التی طلق لا یجمع الرجل ماءه فی خمس))(۱)

وعن محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد، عن علی بن الحکم، عن علی بن أبی حمزه،

قال: ((سألت أبا إبراهیم علیه السلام عن الرجل یکون له أربع نسوه فیطلق إحداهن أیتزوج

مکانها أخری؟ قال: ال، تنقضی عدتها))(۲)

طیب، إذا کانت القبائل کهمدان وغیرها تهتم کل هذا الاهتمام بمصاهره رسول

الله صلیالله علیه و آله؛ فلماذا لم یعلنوا أسماء ذریه بناتهم اللواتی تزوجهن الإمام الحسن علیه السلام؟ لماذا بقی

أمر تلک الذریه سراً دفیناً، واکتفوا بعده أسماء لا تتناسب مطلقاً مع عدد الزوجات

المزعوم؟!.

والأغرب أنهم جاءوا بهذا الزیف والبهتان وهم یعرفون قبل غیرهم أن الحسن علیه السلام

أقام فی الکوفه مع أبیه ثلاث سنین فقط قضاها بحروب امتدت من البصره إلی الشام إلی

النهروان، فأین وجد الوقت لمثل هذا اللهو والعبث؟ ثم أیعقل أن یتقل الإمام المعصوم

علی بن الحسین أو الإمام المعصوم جعفر بن محمد علیهم السلام هکذا روایه تجرح بعمهم

الحسن؟

إن قصص هذه الزیجات الخرافیه وأسالیب الطعن السیاسیه وجهان مهمان لعمله

واحده؛ ولذا یجب مناقشتهما بعمق وعلمیه لکی تتضح الصوره الحقیقیه لحیاه الإمام

...

۱- فروع الکافی، ج ۵،ص ۱۰۶۸، باب الذی عنده أربع نسوه فیطلق واحده ویتزوج قبل انقضاء عدتها، حدیث رقم ۱

٢- فروع الكافى، ج ٥،ص ١٠٦٨، باب الذى عنده أربع نسوه فيطلق واحده ويتزوج قبل انقضاء عدتها، حديث رقم ٢

الحسن عليه السلام المجتمعيه. أما قصص الزيجات فقد جاء عنها فى التعليقه الأولى من كتاب الإمام الحسن القائد والاسوه للشيخ حسين سليمان قوله: ((لقد تحدث المؤرخون عن زوجات الحسن عليه السلام وأكثروا ومال أكثرهم إلى المبالغه فى تعدادهن مبالغه لا تعتمد على أساس معقول، فقال بعضهم أن عددهن يتراوح بين الستين والسبعين، وقال البعض الآخر بأنه تزوج بأكثر من مائتين وخمسين امرأه وعلى قول آخر تسعمائه امرأه؛ وأن أباه علياً عليه السلام كان يتضجر من ذلك، و وقف بعضهم منه موقفاً يتسم بالاعتدال والتجرد فقال: بأن تعدد الزوجات كان شائعاً ومألوفاً بين المسلمين، ولم يكن أكثر زواجاً من غيره، وقل من مات من أعيان المسلمين عن أقل من أربع زوجات، أما روايه السبعين والتسعين وغيرها من الروايات التى تصفه بأنه مطلاق وأن والده كان يقول: لا تزوجوا ولدى الحسن فإنه مطلاق فلا مصدر لها إلا المدائنى وأمثاله من الكذبه كما يبدو من أسانيدها. والمدائنى والواقدى وغيرهما من المؤرخين القدامى قد كتبوا التاريخ فى ظل الحكومات التى كانت تناهض أهل البيت عليهم السلام وتعمل بكل ما لديها من الوسائل على تشويه واقعهم وانتقاما منهم، ولم يكن حكام الدوله العباسيه بأقل سوءاً وتعصباً من أسلافهم الأمويين، فقد شاركوهم فى وضع الأحاديث التى تسيء إلى العلويين، وكانوا يحقدون على الحسنيين بصوره خاصه، لأن أكثر الثائرين على الظلم كانوا من أولاد الحسن وأحفاده))(١)

إن المدائنى الذى تاجر بموضوع كثره الزواج والطلاق، والذى قال كما ينقل عنه

١- ينظر: الإمام الحسن القائد والأسوه، للشيخ حسين سليمان، كتاب ألكترونى، مكتبه الحسن العقائديه، قم التعليقات، التعليقه الأولى. http://www.aqaed.com/ahlulbait/boooks/i-hassan-gh/indexs.htm

المعتزلی فی شرح نهج البلاغه: ((وکان الحسن کثیر التزوج))(۱) وقال مره ثانیه: ((أحصی زوجات الحسن بن علی فکن سبعین امرأه))(۲)لم یحص من هذه الکثره المزعومه سوی (۱۰) زوجات فقط، کما فی قوله: ((تزوج خوله بتت منظور بن ریان الفزاریه.. وتزوج أم إسحاق بنت طلحه بن عبید الله.. وتزوج أم بشر بنت أبی مسعود الأنصاری.. وتزوج جعده بنت الأشعث بن قیس.. وتزوج هند بنت عبد الرحمن بن ابی بکر.. وتزوج امرأه من کلب.. وتزوج امرأه من بنات عمار بن أهیم المنقری.. وامرأه من ثقیف.. وامرأه من بنات علقمه بن زراره.. وامرأه من بنی شیبان))(۳) فأین هن باقی النسوه؟ ولماذا عجز عن ذکر اسماً واحداً آخر؟...

ص :۴۳۹

۱- شرح نهج البلاغه مجلد ۴ ج ۱۶ ص ۸
۲- شرح النهج
۳- مصدر النفسه شرح النهج

الأصل التاريخى لروايات الزواج الخرافى

على ما يبدو، ومن دون شك، أن الذين ألصقوا تهمه كثره الزواج والطلاق بالإمام الحسن عليه السلام هم السياسيون كما أسلفنا، وعنهم أخذ بعض وليس كل المؤرخين قصصهم، ونقلوها دونما فحص أو تمحيص كما فعل (أبو الحسن على بن عبد الله البصرى) المعروف بالمدائنى، وهو من المعاصرين للحكم العباسى، ومن المتهمين بالكذب فى الحديث، وصاحب روايه سبعين زوجه. وهو مع قوله ذاك لم يحص للإمام عليه السلام سوى عشر نساء لا غير وعددهن بأسمائهن فى كتابه، فأين ذهب باقى النسوه؟ ولماذا لم يذكرهن؟

فضلا عن ذلك هناك (مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجى) الشافعى المصرى وهو صاحب روايه التسعين زوجه وقد أوردها مرسله فى كتابه (نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى الأطهار)(١) ولم ينسبها لأحد، والشيخ (أبو طالب محمد بن على بن عطيه الحارثى) المكى صاحب كتاب (قوت القلوب فى معامله المحبوب)(٢) صاحب روايه المائتين وخمسين زوجه، وروايه الثلاثمائه زوجه، وكذلك (جلال الدين السيوطى)(٣) صاحب روايه البعين زوجه وغيرهم. وعن هؤلاء أخذ المؤرخون والكتاب من

١- نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار صلى الله عليه و آله، الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجى الشافعى، الدار العالميه، بيروت

٢- قوت القلوب فى معامله المحبوب ووصف طريق المويد إلى مقام التوحيد، محمد بن على بن عطيه الحارثى، أبو طالب المكى (المتولى: ٣٨۶) تحقيق الدكتور عاصم إبراهيم الكيالى، ط٢، دار الكتب العلميه، بيروت لبنان، ١۴٢۶ - ٢٠٠۵م

٣- تاريخ الخلفاء، السيوطى

المدرستين الفقهيتين تلك القصص، فأخذها عنهم المستشرقون، وذاعت بين الناس

فصدقوها!

أما المؤرخون الآخرون فقد خلت مؤلفاتهم من قصص الزواج ولم يرد فيها

ذكر، فلم يردها ابن قتيبه الدينورى ۲۱۳- ۲۷۶ هـ، ولا محمد بن جرير الطبرى ۲۲۴-

۳۱۰هـ، ولا أبو الفرج الآصبهانى ۲۸۴-۳۵۶ هـ، ولا أحمد بن إسحاق اليعقوبى المتوفى

سنه ۲۹۲هـ، ولا على بن الحسين المسعودى ۳۴۶هـ، ولا على بن الكرم الشيبانى

المعروف بابن الآثير ۵۵۵- ۶۳۰هـ، ولا أحمد بن حجر الهيتمى ۸۸۹- ۹۷۴هـ. لم يرد

أحد من هؤلاء المؤرخين ولو حديثاً واحدا عن خرافه الزواج، فمن أين جاءت؟ ولماذا

انتشرت بهذا الشكل الواسع؟ أليس هو الحقد الآعمى الذى دفع الخلف ليخلدوا

تفاهات السلف؟ ليأتى جلال الدين السيوطى المتوفى سن ۹۱۱هـ ليعلن هذه الخرافه

للملأ ويدعى بأن الحسن عليه السلام تزوج بعدد كبير من النساء خلال عمره القصير؟

وأما أساليب الطعن التى فضحت السر وبينت سبب وضع هذه القصص الخبيثه

فقد أورد الشيخ (حسين سليمان) بعضاً منها مثل: ولما قبض المنصور على عبد الله بن

الحسن والد الحسنيين الثائرين(۱) على الظلم والجور خطب فى حشد كبير من الناس

ونال من على بن أبى طالب عليه السلام ومن الإمام الحسن عليه السلام وجميع الطالبين، وكان مما قاله:

إن ولد أبى طالب تركناهم والذى لا إله غيره والخلافه، ولم نتعرض لهم لا بقليل

ولا كثير، فقام فيها على بن أبى طالب فما أفلح وحكم الحكمين، فاختلفت عليه الأمه

وافترقت الكلمه، ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه، وقام من بعده الحسن

بن على عليه السلام فو الله ما كان برجل، لقد عرضت عليه الأموال فقبلها، ودس إليه معاويه أنى

١- طبعا اولاد عبد الله هم الذين ثاروا وأخذ بجريرتهم، فهو لم يكن ثائراً

جاعلك ولى عهدى فخلعه وانسلخ له مما كان فيه وسلمه إليه، وأقبل على النساء يتزوج

اليوم واحده ويطلق غداً أخرى، فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه))(١)

المؤسف أن بعض الكتاب والمؤلفين من مدرستنا أخذوا هذه القصص على علاتها

وعدوها بقضها وقضيضها من فضائل الإمام الحسن عليه السلام ومن مفاخره وباتوا يتناقلونها

حتى بدت من المسلمات التى لا شى فيها غير مدركين الأثر السيئ الذى تتركه على

عقيدتنا وأئمتنا، وقد اعتبر الآخرون ذلك اعترافاً ضمنياً بصحه روايات الزواج باعتبار

أننا اعترفنا بها وأوردناها فى مؤلفاتنا، ومن هؤلاء وهؤلاء أخذ المستشرقون تلك

الروايات ووظفوها للدس للإسلام ورسالته؛ وهو ما دفع أحد المستشرقين للقول:

((ويعترف الشيعه أنفسهم أنه كان للحسن ستون زوجه وعدد كبير من السرايا أو اللواتى

تمتع بهن، وقد ذكر أن عددهن كان بين الثلاثمائه والتسعمائه))(٢)

وفى ضوء ومضمون هذه الروايات وأمثالها كتب المستشرق (لامنس) عن

الحسن عليه السلام قائلًا: ((ويلوح أن الصفات الجوهريه التى كان يتصف بها الحسن هى الميل

إلى الشهوات والافتقار إلى النشاط والذكاء...ولما تجاوز الشباب وقد أنفق خير سنى

شبابه فى الزواج والطلاق، فأحصى له حوالى المائه زيجه عداً، وألصقت به هذه الأخلاق

السائبه لقب المطلاق، و أوقعت علياً فى خصومات عنيفه، وأثبت الحسن كذلك أنه

مبذر كثير السرف فقد اختص كلا من زوجاته بمسكن ذى خدم وحشم وهكذا نرى

كيف كان يبعثر المال أيام خلافه على التى اشد عليها الفقر... ولم يكن الحسن على وفاق

١- الإمام الحسن القائد والأسوه للشيخ حسين سليمان سليمان، كتاب ألكترونى، مكتبه الحسن العقائديه:
http://www.aqaed.com/ahlulbait/books/i-hassan-gh/indexs.htm

٢- عقيده الشيعه، رونلدسن، مصدر سابق، ص ٩٠

مع الحسين))(١)

ينضوى نص (لامنس) على تجن كبير وتطاول كثير قد يستغرب البعض صدوره عن مستشرق غربى؛ باعتبار أن المستشرقين محايدون كما هو معروف بين العامه، وقد آن للناس معرفه حقيقه المستشرقين؛ فالموضوعيون منهم قله قليله، أما الغالبيه العظمى فهم أصحاب مشاريع تخريبيه هدفها الأول محاربه الإسلام وتدمير تاريخه، ولنأخذ (لامنس) هذا أنموذجاً؛ ونقرأ ما قاله عنه (عبد الرحمن بدوى) فى (موسوعه المستشرقين)، قال الدكتور بدوى: ((مستشرق بلجيكى، وراهب يسوعى شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهه فى البحث والأمانه فى نقل النصوص وفهمها ويعد نموذجاً سيئاً جداً للباحثين فى الإسلام من بين المستشرقين. ولد فى مدينه خنث (Gent) وبالفرنسيه (Gand) فى بلجيكا فى أول يوليو سنه ١٨٦٢م. وجاء إلى بيروت فى صباه، وتعلم فى الكليه اليسوعيه ببيروت. وبدأ حياه الرهبنه فى سنه ١٨٧٨ م، فأمضى المرحله الأولى فى دير لليسوعيين فى قريه غزير (فى جبل لبنان)، طوال عامين. ثم قضى خمسه أعوام فى دراسه الخطابه واللغات. وفى ١٨٨٦ صار معلماً فى الكليه اليسوعيه ببيروت. وسافر إلى انجلتره، وإلى لوفان. و وصل إلى فيينا فى ١٨٩٦م وعاد إلى بيروت ١٨٩٧م، حيث عين معلماً للتاريخ والجغرافيه فى كليه اليسوعيين، ولما أسس (معهد الدروس الشرقيه) ضمن كليه اليسوعيين فى ١٩٠٧م، صار فيه أستاذاً للتاريخ الإسلامى. ولما توفى لويس شيخو فى ١٩٢٧ م، خلفه لامنس على إداره مجله المشرق، وهى مجله فصليه

١- دائره المعارف الإسلاميه، مجموعه مستشرقين، ج/ ٤٠١ ٤٠٢. تم إصدارها على طبعتين، الأولى بين ١٩١٣ و ١٩٣٨، والثانيه ما بين ١٩٥٤ و ٢٠٠٥، ويتم إصدارها من قبل شركه بريل الهولنديه. وقد ظهرت هذه الموسوعه بأكثر من لغه، أما بالنسبه للعربيه

فقد تم تعريب بعض أجزائها وتنقيحها وصدرت فى مصر فى الستينات وأعيد طبعها بالشارقه عام ١٩٩٨. ج ١، ص ٤٠١_ ٤٠٢

تصدر عن اليسوعيين في بيروت. ولهم مجله دينيه شعبيه تبشيريه أخرى تدعى (البشير)، وقد تولى لامنس إدارتها مرتين قبل ذلك بزمان طويل: مره فى ١٨٩٤م، ومره أخرى من ١٩٠٠م إلى ١٩٠٣م. وكان لامنس يكتب فى هاتين المجلتين مقالات كثيره، يكتبها بالفرنسيه، ثم يتولى غيره ترجمتها إلى العربيه، وتنشر باللغه العربيه.

وتوفى لامنس فى ٢٣ أبريل ١٩٣٧م. وإنتاج لامنس يدور حول موضوعين رئيسين: (أ) السيره النبويه (ب) بدايه الخلافه الأمويه. وله إلى جانب ذلك كتب ودراسات حول موضوعات متفرقه فى العقيده الإسلاميه وتاريخ سوريه وآثارها))(١)

وجاء فى الموسوعه الحره (ويكبيديا): ((هنرى لامنس اليسوعى (١٨٦٢-١٩٣٧) من علماء الرهبان اليسوعيين، تخصص فى تاريخ الشرق الأدنى وحضاره أهله، وأتقن اللغه العربيه. ويعد من أشد المستشرقين تعصباً على الفكر العربى الإسلامى، وقد بالغ فى التعصب على الإسلام حتى أعلن المنصفون شكهم فى أمانته العلميه وقالوا: إنه لا ينسى عواطفه فيما يكتب عن النبى والإسلام، وقد عرف بتهكمه على النصوص العربيه كما وصف إرهاقه للنصوص وتحميلها أكثرمما تحتمل، فإذا وجد فى الإسلام موضعًا للفضل ذهب بنسبته إلى مصدر غير إسلامى)) وكفى بهذين المصدرين فضحاً لدس ودجل هذا المستشرق الذى تطاول على الإمام الحسن عليه السلام بسبب كرهه للإسلام(٢) ونتيجه تأثره بما نقله السياسيون المسلمون عن الإمام الحسن عليه السلام من مثالب مصطنعه منحوله، فتناقلتها من بعدهم ألسن الكتاب والمؤرخين، فضلاً عن تأثره بمن سبقه من المستشرقين ومنهم لامنس، استعار المستشرق (رونلدسن) من الأخير

١- ينظر: موسوعه المستشرقين، لدكتور عبد الرحمن بدوى، لامنس ١٩٩٢

٢- الموسوعه الحره ويكبيديا

قوله ((فإن الأخبار تدل على أن الحسن كانت تنقصه القوه المعنويه والشجاعه والضبط النفسى، والقابليه العقليه لقياده شعبه بنجاح))(۱) استعار ذلک لیؤکد من خلاله أن الحسن عليه السلام بسبب (شهوته) للنساء أهمل بناء جوانب شخصيته الأخر ومنها القياديه والعلميه! واستناداً إلى دائره المعارف نفسها، قال: ((وقد قدرت دائره المعارف الإسلاميه شخصيته مختصراً بأن الشهوات النفسيه ونقص النشاط والذكاء هما الصفتان الأساسيتان لأخلاقه.... وقد قضى زهره شبابه فى الزواج والطلاق حتى بلغ عدد من تزوجهن المئه وسمى بالمطلاق))(۲) وهو ما كان السياسيون العرب يبغونه من وراء تلک القصص الخرافيه التى نشروها بين الناس، ونسبوها إلى سيره الإمام الحسن عليه السلام العطره.

إن مجرد نجاح السياسيين بتحويل موضوعه الزواج من أمر اعتيادى فاش بينهم يمارسونه بأعداد وأنواع وأجناس مختلفه، ومن طبع تطبع به المجتمع العربى فى جاهليته أولا ثم فى عصور الفتح الإسلامى فى عشرينات القرن الهجرى الأول ثانياً، إنما يؤکد أن السياسيين العرب الذين تسلطوا على مقاليد حكم الأمه إنما نجحوا فى مسعاهم بفضل حنكتهم السياسيه، وهم فى مثل هذه الحال قادرون على تلوين المعتقد الإسلامى بالألوان التى يرغبونها ويدفعون الناس إلى التصديق والعمل بها وربما لهذا السبب نجد هناک إلى اليوم من لا يرضى الانتقاص من أولئک السياسيين، أو أن يمتدح أحد ما أعدائهم. وإلا لماذا يضخم السياسيون عدد زوجات الإمام فى وقت يملک كل واحد منهم أضعاف عدد ما تزوج به الإمام؟ لماذا وافقتهم الأمه فعابت على الحسن عليه السلام كثره زيجاته المزعومه، فى الوقت الذى تمتدح فيه كثره انتقاء الخلفاء والأمراء للإماء والجوارى والقيان والغلمان، وتعدهم فحولاً و رجالاً فى غايه التميز؟

۱- عقیده الشیعه، دوایت م. رونلدسن، مؤسسه المفید، بیروت، ۱۹۹۰، ص ۸۹
۲- عقیده الشیعه، رونلدسن، ص۸۹

وهكذا تتضح الصوره، ويعرف السبب الذى دفعهم لاتهام الحسن عليه السلام بهذه التهمه الفريه، فمن يبحث فى كتب التأريخ لا يجد مبرراً لاتهاماتهم الكاذبه إلا بهدف التسقيط السياسى بكل ما تبيحه السياسه من كذب ودجل حتى من دون أن يحسبوا للإسلام حساباً، بما يصيبه من أذى على يد الأعداء الذين يستخدمون تلك النقول لطعنه وتوهينه، ولاسيما إن غالبيه المستشرقين الذين أخذوا تلك الروايات هم من رجال الديانات الأغر التى يتنافس معها الإسلام؛ وقد قال نجيب عقيقى: ((ظهر الاستشراق أول ما ظهر بالرهبان، وقد اشتهر منهم (جربر) الراهب الفرنسى، قصد الأندلس طلباً للعلم، ثم أرتحل إلى روما وانتخب حبر سنه ٩٩٩))(١)

ص :۴۴۶

١- المستشرقون، بحث فى الاستشراق لدى جميع الأمم، نجيب عقيقى، دار المعارف، مصر، (د.ت) ص ١٩

مع الكثره يسوء الاختيار

يبدو مما ورد فى الكتاب العزيز من آيات بينات أن هناك مفاضله بين الثيبات والأبكار

من النساء، حيث يقدم الخطاب القرآنى الأبكار على الثيبات كما فى قوله تعالى: (لم يطمئهن إنس قبلهم و لا جان)(۱) وهى الآيه التى قال صاحب تفسير (الميزان) المرحوم

محمد حسين الطباطبائى فى معناها: ((الطمث الافتضاض والنكاح بالتدميه، والمعنى:

لم يمسسهن بالنكاح إنس ولا جان قبل أزواجهن))(۲) وقال القرطبى فى معناها: ((أى

لم يمسسهن على ما تقدم قبل))(۳) وقال ابن كثر: ((لم يطمئهن إنس قبلهم و لا جان)):

أى بل هن أبكار عرب أتراب لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن))(۴) وقال

الطبرى: ((يقول تعالى ذكره: لم يمسهن بنكاح فيدميهن إنس قبلهم ولاجان))(۵)

ولغه، قال الراغب الأصفهانى فى شرح معنى الطمث: ((الطمث: دم الحيض

والافتضاض، والطامث: الحائض، وطمث المرأه: إذا أفتضها، ومنه استعير: ما طمث

هذه الروضه أحد قبلنا، وما طمث الناقه حبل))(۶)

معنى هذا أن المؤمنين موعودون فى الجنه بنساء شابات جميلات أبكار، وهو ما كانت

۱- الرحمن،الآیه ۷۴

۲- الميزان، تفسير سوره الرحمن، الآیه ۷۴

۳- تفسير القرطبى، سوره الرحمن، الآیه ۷۴

۴- تفسير ابن كثير، سوره الرحمن

۵- تفسير الطبرى، سوره الرحمن

۶- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب، ص ۵۲۴

تشتهيه أنفسهم فی الدنيا، فهم فی حياتهم كانوا يفضلون الأبكار على الثيبات، ولكنهم

لا يهملون الثيب، فإذا عز عليهم وجود البكر يلجأون إليهن. وفی البخاری وغيره

تمنی النبی صلی الله عليه و آله علی جابر عندما تزوج ثيباً لو كانت زوجته بكراً يداعبها وتداعبه، قال:

((حدثنا أبو النعمان حدثنا هشيم حدثنا سيار عن الشعبی عن جابر بن عبد الله قال: قفلنا

مع النبی صلی الله عليه و آله من غزوه فتعجلت علی بعير لی قطوف فلحقنی راكب من خلفی فنخس

بعيری بعنزه كانت معه، فانطلق بعيری كأجود ما أنت راء من الإبل فإذا النبی صلی الله عليه و آله،

فقال: ما يعجلك؟ قلت: كنت حديث عهد بعرس. قال: أبكراً أم ثيباً؟ قلت: ثيباً قال:

فهلا جاريه تلاعبها وتلاعبك؟ قال: فلما ذهبنا لندخل؛ قال: أمهلوا حتی تدخلوا ليلاً،

أی: عشاء لكی تمتشط الشعثه وتستحد المغيبه))(۱) وفی الحاشيه رقم: ۱ قال ابن حجر فی

الشرح: ((قوله (فهلا جاريه) أی فهلا تزوجت؟ وفی روايه يعقوب الدورقی عن هشام

بإسناد حديث الباب: (هلا بكراً) وهو معنی روايه محارب المذكوره فی الباب بلفظ

(العذاری) وهو جمع عذراء بالمد))(۲)

لكن تقديم الخطاب القرآنی الثيبات على الأبكار فی قوله تعالی: (عسی ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمت مومنت قنتت تئبت عبدت سئحت ثيبت و أبكاراً) أشكل علی البعض مما دفع المفسرين للجوء إلی التعليل والتأويل، فقالوا:

((هناك من قال: قدم الثيب لان خديجه وهی أولی زوجاته صلی الله عليه و آله كانت كذلك أو لأن الثيب

أكثر نضجاً... وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الخطاب كان موجهاً لزوجات النبی صلی الله عليه و آله،

(۱) فتح الباری شرح صحيح البخاری، أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، دارالريان للتراث،

سنه النشر: ۱۴۰۷ / ۱۹۸۶ م، باب تزوج الثيبات، حديث ۴۷۹۱

ص :۴۴۹

۱- فتح الباری باب تزويج الثيبات، حديث ۴۷۹۱

٢- سوره التحريم، الآيه ۵

يصبح المعنى: أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، ثيبات (مثلكن) وأبكارا الخلاصه: التقديم لا يعنى دائماً تفضيل المقدم على المقدم عليه))(١) وقال آخرون: ((قد يقال فى الآيه انتقال من الأدنى إلى الأعلى، كأنه قال يبدله ثيبات مثلكن وأبكاراً، وهذا كما تقول إن لم تشتره بدرهم فغيرك يشتريه بدرهم وبدرهمين، وكذلك الانتقال من الأدنى إلى الأعلى مناسب فى الإبدال بمن هو خير فى صفه مخصوصه مذكوره كما هو ظاهر، بخلاف ما لو قدم الأعلى وختم بالأدنى المقارب للمبدل منه فهذا لايشعر بالخيريه كسابقه. وهذا الانتقال فى ختام صفاتهن مناسب لما بدأ به فى أولها من انتقال فقال: مسلمات مؤمنات))(٢) وقال الشنقيطى: ((وفى تقديم الثيبات على الأبكار هنا فى معرض التخيير ما يشعر بأولويتهن، مع أن الحديث:((هلا بكراً تداعبك وتداعبها))، ونساء الجنه لم طمثهن إنس قبلهم ولا جان، ففيه أولويه الأبكار، وقد أجاب المفسرون بأن هذا للتنويع فقط، وأن الثيبات فى الدنيا والأبكار فى الجنه كمريم ابنه عمران، والذى يظهر والله تعالى أعلم، أنه لما كان فى مقام الانتصار لرسول الله صلى الله عليه و آله وتنبيههن على ما يليق بمقامه عندهن ذكر من الصفات العاليه ديناً وخلقاً، وقدم الثيبات، ليبين أن الخيريه فيهن بحسب العشره ومحاسن الأخلاق))(٣) ولم يقل الطبرى بشأنها أكثر من: ((ثيبات: وهن اللواتى قد افترعن وذهبت عذرتهن وأبكاراً وهن اللواتى لم يجامعن، ولم يفترعن))(٤)ولم يقل القرطبى أكثر من: ((أى منهن ثيب ومنهن بكر. وقيل: إنما سميت الثيب ثيباً لأنها راجعه إلى زوجها إن أقام

١- الجمعيه الدوليه للمترجمين و اللغويين العرب الرابط: http://www.wata.cc/forums/showthead.php? - ٦٨٢٣٧

٢- شبكه (الربانين) العلميه الرابط: http://www.alrabanyon.com/vb/showthead.php?t=٨٤٧٤

٣- أضواء البيان فى أيضاح القرآن محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكى الشنقيطى دارالفكر :هـ_ ١٤١٥/م ١٩٩٥

۴- تفسیر الطبری سوره التحریم الآیه ۵

معها، أو إلى غيره إن فارقها. وقيل: لأنها ثابت إلى بيت أبويها. وهذا أصح، لأنه ليس كل ثيب تعود إلى زوج. وأما البكر فهى العذراء، سميت بكراً لأنها على أول حالتها التى خلقت بها. وقال الكلبى: أراد بالثيب مثل آسيه امرأه فرعون، وبالبكر مثل مريم ابنه عمران. قلت: وهذا إنما يمشى على قول من قال: إن التبديل وعد من الله لنبيه لو طلقهن فى الدنيا زوجه فى الآخرهخيراً منهن))(١)

أردت مما تقدم الوصول إلى محصلتين:

الأولى: أن الكثره التى يتهمون الإمام الحسن عليه السلام بها دفعته بالتأكيد إلى عدم التوقى فى الاختيار؛ لأنه من غير المعقول أن تكون زيجاته وهى بتلك الكثره التى يصفونها قد حدثت مع أبكار فقط، بل كان الغالب عليها الزواج بالثيبات، لأنهن أقرب منالاً و أيسر تحصيلا، وفى مثل حال الإمام الحسن عليه السلام التى يقولون عنها أنه كان يتزوج بالساعات لا بالأيام، لا يمكن أن يحصل على البكر إلا بشق الأنفس وقد يتأخر كثيراً بسبب البحث عن بكر. وبالتالى يريدون القول أنه عليه السلام كان يتزوج لمجرد المتعه المؤقته بحيث لا يفرق بين البكر والثيب، وهذا برأيهم مما يعيبه وينتقص منه. ومن ثم الإدعاء بأن الكثره نفسها هى التى أوقعته فى زيجات غريبه وهو ما يظهره حديث المؤرخين عن زيجات الإمام الحسن عليه السلام الذى فاق كل حديث عن كل سيرته ومنجزه الفكرى والعقدى والإنسانى والجهادى والإصلاحى.

الثانيه: أن حب نسائه له، هذا إذا ما كان حديثهم عن الحب صحيحاً، لا يأتى من كونه الحسن بن على عليه السلام ربيب البيت النبوى الأشرف؛ وإنما لأنه كان كريماً معهن بلا حدود. وهى نقطه جديره بالتفنيد والتكذيب لأنهم جاءوا بها ليدعموا تهمتهم له بأنه كان مبذراً كبيراً.

۱- تفسير القرطبى للآيه

حب نسائه له

ولکی تصبح تلک القصص مقنعه جاءوا بقصه سانده لها تتحدث عن تعلق نسائه به بالرغم من کونهن لا یقضین معه إلا أیاماً معدودات، بل ساعات لا أکثر، ففی تاریخ السیوطی تقول روایه عجیبه: ((وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن حسن قال: کان حسن رجلا کثیر نکاح النساء، وکن قلما یحظین عنده، وکان قل امرأه تزوجها إلا أحبته وصبت إلیه))(۱) ونقل ابن کثیر مثلها ولکن عن علی بن الحسین علیه السلام هذه المره،قال: ((قال الواقدی: حدثنی علی بن عمر، عن أبیه، عن علی بن الحسین قال: کان الحسن بن علی مطلاقاً للنساء، وکان لا یفارق امرأه إلا وهی تحبه))(۲) وقال ابن کثیر أیضاً: ((قال الواقدی: حدثنی عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن حسن قال: کان الحسن بن علی کثیر نکاح النساء، وکان قل ما یحظین عنده، وکان قل امرأه یتزوجها إلا أحبته وصبت به))(۳)

ثم نقل السیوطی هذه الحکایه الخرافیه مضیفاً إلیها جمله(و أحصن تسعین امرأه) بقوله: وأخرج ابن سعد عن علی بن الحسین، قال: کان الحسن مطلاقاً للنساء وکان لا یفارق امرأه إلا وهی تحبه، وأحصن تسعین امرأه))(۴)

ولکنهم کثیراً ما کانوا یتسوق ما یخلقونه من حدیث خرافه عن قصص زواج

۱- تاریخ السیوطی ص ۱۹۱
۲- البدایه و النهایه ج ۸ ابن کثیر ص ۱۹۸
۳- البدایه و النهایه ج ۸ ص ۲۰۸
۴- تاریخ السیوطی ص ۱۹۱

الإمام علیه السلام، فیأتون بالمتناقض من دون أن یشعروا بذلک، فکم من روایه بینوا من خلالها

أن مطلقات الحسن علیه السلام لم یکن یحببنه کما ادعوا من قبل، ومنها فی الأقل روایه أخرجها

ابن سعد فی طبقاته، وأخری أوردها المعتزلی فی شرح النهج فی حدیثهما عن زواج الإمام

الحسن علیه السلام بهند بنت سهیل بن عمرو(۱) قالوا: إنها کانت متزوجه من عبد الرحمن

بن عتاب بن أسید(۲) فطلقها، فتزوجها عبد الله بن عامر بن کریز فطلقها، وتزوجها

الحسن من بعده فطلقها، وروی أبو الحسن المدائنی أنها: ((کانت تقول: سیدهم الحسن،

و أسخاهم ابن عامر، وأحبهم إلی عبد الرحمن بن عتاب))(۳)

بمعنی أنها لم تقل: إن الحسن أحبهم إلی نفسها؛ لیتأکد صحه ادعائهم؛ بل فضلت

عبد الرحمن علیه فی العشق، وقالت: (وأحبهم إفی عبد الرحمن بن عتاب) فکیف تستقیم

الأمور؟!...

۱- سهیل بنعمرو هذا هوالمفارض القرشی الصلب القاسی یوم صلح الحدیبیه

۲- أبو عبد الرحمن هذا هو : عتاب بن أسید الذی عینه النبی صلی الله علیه و آله والیا علی مکه یوم أفتتحها و وصله خبر مسیر هوازن لملاقته فخرج من مکه متوجهاً إلیهم.

۳- شرح نهج البلاغه مجلد ۴ ؛ج ۱۶ ؛ص ۵ و أخرجها ابن سعد فی طبقاته؛ الطبقه الخامسه من الصحابه ج ۱ ص ۳۰۳

معرفه دقائق الأمور

لم يقتصر حديث السياسيين وأتباعهم عن كثره الزواج والطلاق فحسب، بل تشعب

نزولاً إلى دقائق الأحداث، ودقيق علاقته بزوجاته، فمن حديث عن خوله الفزاريه التى

نام معها على سطح المنزل غير المستور والتى ادعوا أنها ربطت خمارها برجله خشيه أن يقوم

من وسن فيسقط، إلى حديث عن هند بنت جندل بن سهيل بن عمرو التى تسابق للفوز

بها مع يزيد بن معاويه بالرغم من كونها كانت متزوجه بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد،

ثم بعبد الله بن عامر بن كريز من بعده، وهى التى طلقها الأخير بخدعه من معاويه الذى

أرسل أبا هريره ليخطبها لابنه يزيد، فزعموا أن الحسن عليه السلام لقيه على الطريق، وسأله:

أين تريد؟ فقال: أخطب هنداً ليزيد بن معاويه! فقال له: فاذكرنى عندها، فاختارته

وتزوجت به(۱)

۱- شرح النهج ؛م ۴؛ ج۱۶ ؛ص۵ ؛هنا أور لفت نظركم الكريم إلى واحده من القصص الخرافيه التاريخيه الشائعه و هى قصه أرينب بنت إسحاق زوجه عبد الله بن سلام ؛و مخلصها أن يزيد بن معاويه عشقها فأمره أبوه بكتمان أمره ؛ثم أرسل بلى زوجها؛ و كان قد استعمله على العراق ؛ أن اقدم الأمر حظك فيه الكامل؛ فقدم و طلب معاويه من أبى هريره و أبى الدرداء أن يخبراه أنه يريد أن ينكحها ابنته؛ و أنه كان قد وعدها أن يجعل لها فى نفسها شورى. و كان معاويه قد أوصاها أن تظهر رغبتها فى هذا الامر و أنه لا يمنعها منه إلا أن تحت أرينب؛ و لنها لا تتزوجه إلا إذا فارقها ؛فأخبره الرجلان بذلك ففرح و اشهدهما على الطلاق زوجته؛ و لكن أرينب رفضت الزواج به بحجه أنها وجدته غير ملائم. فلما انقضت عده أرينب وجه معاويه أبا الدرداء أن يلقاه؛ فاخبره بما وجهه به معاويه ؛ فطلب منه الحسين أن يخطب عليه و على يزيد ؛و لتختر من اختاره الله لها؛ و أن يعطيها من المهر مثل ما بذل لها معاويه عن ابيه؛ ففعل أبو الدرداء ذلك. و طلب منها أن تختار ؛فاستشارته بذلك فاختار لها الحسين ؛فتزوجها؛و ساق أليها مهراً عظيماً.و يستحيل عقلاً أن تتطابقهذه القصص الخرافيه مع قصه الامام الحسن عليه السلام مع هند بنت جندل بما يؤكد و يثبت أنهما من وضع السياسيين جاءوا بهما لتشويه سيره الحسن و الحسين عليهم السلام.

إلى حديث عن عائشه الخثعميه التى شمتت بموت على عليه السلام فطلقها الحسن ثم نسى شماتتها وبكى بعد أن وصله قولها: (متاع قليل من حبيب مفارق) كما زعموا، إلى حديث عن الزواج بامرأه شيبانيه من الخوارج، ثم طلقها وقال: ((إنى اكره أن أضم إلى نحرى جمره من جمر جهنم)). إلى جعده بنت الأشعث بن قيس الكندى التى تقول الأخبار إنه كان يعلم أنها سوف تسقيه سماً يموت بسببه. إلى حديث عن حفصه بنت عبد الرحمن بن أبى بكر التى تزوجها بالرغم من علمه أن المنذر بن الزبير كان يهواها، والتى طلقها بعد أن أخره المنذر بحديث سوء ملفق عنها. وعن حفصه هذه سأورد روايتين مهمتين:

الروايه الأولى: ذكرها ابن سعد فى طبقاته بخصوص حفصه بنت عبد الرحمن، لكى نفضح تلك السياسه الرعناء التى انتهجها أعداء أهل البيت عليهم السلام والتى وصل شرارها حتى إلى بعض من يحبونهم ويقدسونهم فأجج النار فى ثيابهم؛ وقصه حفصه التى أوردها ابن سعد فى الطبقات جاءت بأسلوب آخر أراد من خلاله القول: إن عين الحسن ما كانت تشبع من رؤيه النساء الجميلات فهو مع زواجه بتسعمائه زوجه كما يدعون كان يعشق حتى مطلقاته المحصنات ذوات الأزواج، وكان يتحين الفرص ويتحايل على الناس لرؤيتهن والحديث معهن ومغازلتهن أيضا، فيا لعار امه تستهين بابن نتت نبيها بذا الشكل المهين، ويا لعار التاريخ الذى ينقل مثل هذه الروايات الحقيره.

تقول روايه ابن سعد: ((عن سحيم بن حفص الأنصارى، عن عيسى بن أبى هارون

المزنی، قال: تزوج الحسن بن علی حفصه بنت عبد الرحمن بن أبی بکر(۱) وکان المنذر بن

الزبیر هویها، فأبلغ الحسن عنها فطلقها الحسن، فخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه، وقال:

شهرنی. فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب، فتزوجها، فرقی إلیه المنذر أیضا شیئا

فطلقها، ثم خطبها المنذر فقیل لها: تزوجیه فیعلم الناس أنه کان یعضهک، فتزوجته،

فعلم الناس أنه کذب علیها))

وإلی هنا تبدو القصه بالرغم من غرابتها وتفاهتها مقبوله نوعا ما کقصه من نسج

الخیال الجامح؛ باعتبارأن الطلاق والزواج کان میسوراً للجمع، وقدترک مطلقه

فلا تخطب، ولکنهم أبوا أن یقفوا عند هذا الحد، فأوغلوا فی الحقد، فجاءوا بشیء إدّ،

وهو قولهم بأن طلیقها الحسن اتفق مع طلیقها الآخر عاصم وذهبا للتحدث معها بإذن

زوجها، وأنها بادلت عاصم نظرات الإعجاب والعشق أمام زوجها، وأهملت الحسن

الذی کان یهواها بالرغم من کونها متزوجه؛ فلم تحدثه، ولم تنظر إلیه، فأغضبه ذلک

بسبب الغیره: یقول هذا القسم من الروایه: فقال الحسن لعاصم بن عمر: انطلق

بنا حتی نستأذن المنذر فندخل علیها، فدخلا، فکانت إلی عاصم أکثر نظراً منها علی

الحسن، وکانت إلیه ابسط فی الحدیث، فقال الحسن للمنذر: خذ بیدها فأخذ بیدها،

وقام الحسن وعاصم فخرجا. وکان الحسن علیه السلام یهواها وإنما طلقها لما رقا إلیه المنذرا))

والروایه فی هنا المقطع تدعی بأن الحسن علیه السلام کان لما یزل یحبها ویعشقها بالرغم من

کونها صاحبه بعل وفی عصمه رجل.!

ومع کل هذا التطاول والقبح لم یسکتوا ولم یتوقفوا بل جاءوا باتهام آخر أشد

۱- لاحذ هنا ان حفصه هذه هی حفیده الخلیفه ابی بکر و عمها محمد ابن ابی بکر صاحب امیر المومنین علی. وعمتها عائشه

زوجه النبی. و مع ذلک لا یتحرجون عن الحـدیث عنها بهذا الشـکل المهین و کأنها بغی من بغایا التاریخ کل ذلک لکی یطعنوا باالامام الحسن علیه السلام

وأقسى من سابقه، حيث نسبوا إلى الإمام الحسن أنه بسبب عشقه لها وميله إليها؛ ما كان يصبر على فراقها؛ فكان يصطحب ابن أخيها إلى بيتها لكى يغازلها عسى أن تلين عريكتها وتطاوعه على المنكر، أو تطلب الطلاق من زوجها لتعود له! فقالوا: فقال الحسن يوما لابن عتيق وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، وحفصه عمته: هل لك فى العقيق؟(۱) قال: نعم، فخرجا فمرا على منزل حفصه، فدخل إليها الحسن فتحدثا طويلا ثم خرج. ثم قال الحسن مره أخرى لابن ابى عتيق: هل لك فى العقيق؟ فقال: يا ابن أم، ألا تقول: هل لك فى حفصه؟))(۲) أى أن لعبه الحسن لم تنطلى على ابن عتيق.!

الروايه الثانيه: أوردها الشيخ موسى محمد على فى كتابه (حليم آل البيت الحسن بن على) عن عائشه الخثعميه التى قالوا أن الحسن عليه السلام كان يعشقها بجنون، ولكن بسبب شماتتها بموت الإمام على طلقها ثلاثا بجلسه واحده وندم ندماً شديداً، لأنه لا يتمكن من إرجاعها إلا بعد أن تتزوج شخصا غيره! وبالتأكيد هناك عشرات الأسباب التى دعتهم إلى اتهام الحسن بهذه التهمه السمجه، ولقد وجدت أن بعضهم أراد من وراء هذه التهمه فضلا عن الإساءه إلى الإمام الحسن، تمرير قاعده فقهيه استنبطها علماؤهم، واختلفوا بشأنها فيما بينهم؛ تماما مثل القواعد الفقهيه التى مرورها بواسطه حديث ((ابنى هذا سيد)).

وكما هم مختلفون بشأن هذه القاعده، نختلف نحن معهم كذلك بشأنها، وأقصد بها قاعده الطلاق بالثلاث اختلافا كليا، فالمعروف أن المذهب الشيعى الذى أخذ قوانين وأسس تعبده من أهل البيت الأئمه المعصومين عليهم السلام لا يعمل بقاعده (الطلقات الثلاث فى جلسه واحده أو بلفظ واحد) كأن يقول لها: طلقتك ثلاثا، أو أنت طالق

١- العقيق أحد و ديان المدينه كان بيت حفصه قريبا منه

٢- طبقات ابن سعد. الطبقه الخامسه من الصحابه. ج١. ص٣٠٧

بالثلاث؛ وإن حدثت يعدها طلقه واحده، ولنا فى ذلك مباحث كثيره، ولكنهم أغفلوها

وجاءوا بقصه تظهر الإمام الحسن عليه السلام وكأنه لم يكن يعرف هذه القاعده، أو أن القاعده

جاءت بعد موته؛ فهى مستحدثه مبتدعه مردوده بزعمهم! وقد قالوا فى هذه القصه

التى ربطوها بموضع كثره زواج الحسن عليه السلام: ((وكانت عائشه الخثعميه عنده، فلما

قتل على، قالت له: لتهنك الخلافه، فقال: لقتل على تظهرين الشماته؟ اذهبى فأنت

طالق ثلاثا، فتلفعت بثيابها وقعدت حتى انقضت عدتها فبعث إليها ببقيه بقيت لها من

صداقها وعشره آلاف صدقه، فلما جاءها الرسول قالت: متاع قليل من حبيب مفارق،

فلما بلغه قولها بكى ثم قال: لولا أنى سمعت جدى، أو قال: لولا أن أبى حدثنى أنه

سمع جدى يقول: أيما رجل طلق امرأته ثلاثاً عند الإقراء أو ثلاثه مبهمه لم تحل له

حتى تنكح زوجاً غيره لراجعتها))(١)

إن فقه المدرسه الشيعيه مستقى ومأخوذ عن طريق أهل البيت عليهم السلام! وفق قاعده

سلسله السند الذهبيه، ومن يؤمن يمثل هذه الأقوال يقطع السلسله، وهو ما كان يسعى

إليه السياسيون فى حراكهم كله.

وإتماما للفائده أقول: إن رفض العمل بقاعده التطليق بالثلاث لا تنفرد به مدرستنا؛

فالمدارس الإسلاميه الأخر اختلفت قيام بينها بشأنه، فقال الشافعى وأبو ثور وابن حزم

وجماعه من أهل الظاهر بمشروعيته وجوازه، مستدلين بقوله تعالى:((وللمطلقات نتاع بالمعروف)) وقوله:((لاجناح عليكم ان طلقتم النساء)) باعتبار أنه لم يقيد الطلاق فيهما

بعدد معين فيصح أن يكون واحده أو اثنتين أو ثلاثا.

وقال جمهور الفقهاء: أنه غير مشروع، مستدلين بقوله تعالى: ((الطلاق مرّتان)) أى

١- ينظر: حليم آل البيت الحسن بن على. الشيخ موسى محمد على. ص٨٢-٨٣

مره بعد مره، لا فی تکرار القول، وإنما فی أصل العمل وفق الشروط الشرعیه، ولا من

خلال التلاعب باللفظ، واستشهدوا بما رواه محمود بن لبید: أن رسول الله صلی الله علیه واله أخبر عن

رجل طلق امرأته ثلاث تطلیقات جمیعا، فقام صلی الله علیه واله ! غضبان، فقال: ((أیلعب بکتاب الله

عز وجل وأنا بین أظهرکم؟)) (۱)

وقال جمهور الشیعه الامامیه وبعض أهل الظاهر وأبو عبیده: لا یقع به شیء(۲)

وفی مسلم أن ابن عباس قال: ((کان الطلاق علی عهد رسول الله و ابی بکر وسنتین

من خلافه عمر طلاق الثلاث واحده، فقال عمر: إن الناس قد استعجلوا فی أمر کان

لهم فیه أناه، فلو أمضیناه علیهم، فأمضاه علیهم))(۳)

وقال ابن قیم الجوزیه: ((وکل صحابی من لدن خلافه الصدیق إلی ثلاث سنین من

خلافه عمر کان علی أن الثلاث بواحده... ولهذا ادعی بعض أهل العلم أن هذا إجماع

قدیم.. بل لم یزل فیها من یفتی به قرنا بعد قرن إلی یومنا هذا))(۴)

وروی أحمد عن ابن عباس أنه قال: ((طلق رکانه بن عبد یزید امرأته ثلاثاً فی مجلس

واحد فحزن علیها حزنا شدیداً سأله رسول الله صلی الله علیه واله !: کیف طلقتها؟ قال: طلقتها ثلاثا،

قال: فی مجلس واحد؟ قال: نعم، قال: فإنما تلک واحده؛ فأرجعها إن شئت، قال:

فرجعتها))(۵)...

فهل یعقل ان یأخذ الحسن علیه السلام بامبتدع من الاحکام و الاقوال و یترک سنه رسول

۱- ینظر: الفرقه بین الزوجین و ما یتعلق بها من عده و نسب. علی حسب الله. ص ۳۰

۲- المصدر نفسه. ص۳۵

۳- المصدر نفسه. ص۳۴

۴- المصدر نفسه. ص۳۹-۴۰

٥- المصدر نفسه. ص ٤٠

الله صلى الله عليه وآله ! الصحيحه، أم أنه كان يجهل حدود الشريعه ولا يعرف الأحكام لكى يوقع نفسه وهما فى مثل هذا الحرج؟

فضلاً عن ذلك ورد ى الروايه أيضا قولهم: ((فتلفعت بثيابها وقعدت حتى انقضت عدتها) أى أنها بقيت معه فى البيت، وهذا مخالف لأحكام الشريعه، لأن هناك فى الفقه قواعد للمعتده، تختلف فى المعتده من طلاق رجعى عنها فى المعتده من طلاق بائن، عن المعتده من وفاه. والمعتده من طلاق رجعى هى وحدها التى مجوز شرعا أن يبقيها الرجل فى بيت الزوجيه، أما المعتده من طلاق بائن، فقال بعضهم: لا سكنى لها ولا نفقه ولو كانت حاملًا. فكيف تكون زوجته بائنا، ويبقيها فى بيت الزوجيه؟

إن قصص الزواج التى أوجدها السياسيون كانت إحدى أدوات الحرب الإعلاميه ضد الإمام الحسن.، ولقد نجحت فى تشويه حقائق التاريخ؛ وأظهرت وجها لا يمكن أن يوصف به ابن رسول الله وشبيهه وسيد شباب أهل الجنه والمعصوم، وبالرغم من سوئها وضعفها ومخالفه مضامينها لمنهج الإمامه المعصومه، مع كل تلك الدسائس نجحت للأسف بالتسلل إلى عقول الناس؛ بما فيهم بعض رجال مدرستنا حتى حازت رضاهم. ومن خلال متابعتى للكتب القديمه والحديثه التى تناولت قصص زواج الإمام الحسن عليه السلام لم أعثر عند أى واحد منهم على ما ثثبت صحه تلك الروايات، ولاسيما وأنهم جميعاً عجزوا عن تعداد أكثر من سبع عشره زوجه، فهل يعقل أنهم لم يتذكروا سوى أسماء هؤلاء النسوه فقط، ولماذا لم يتمكنوا من ذكر أكثر من هذا العدد حتى ولوبقليل، علماً أن هناك من أحصى تسعا أو عشر زوجات فقط. وبالمناسبه وجدت الحديث عن سبع عشره زوجه قد ورد ضمن كتاب من كتب مدرستنا يتحدث عن زوجات الأئمه

المعصومين عليهم السلام وليس فى كتب المدارس الأخر وتلك من المفارقات الغريبه(١)

خلاصه ما أريد قوله: يطالبنا بعضهم أحيانا بأن ننسى مصائب التاريخ وأحزانه وأوجاعه ومآسيه وننشغل بالحاضر، وتلك وربى مصيبه ما دونها مصيبه؛ لأن كل ما نعيشه اليوم فى حاضرنا المفعم بالمنغصات وثقافه الكراهيه والإقصاء، إنما هو وليد حقب التاريخ. ومن لا يفهم تاريخه لا يمكن أن يفهم حاضره، فالماضى ركيزه الحاضر وأساسه، خذ مثلا العداء الفاشى بين بعض المسلمين المتطرفين والفكر الشيعى الذى وصل الى درجه تكفير الشيعه وإخراجهم من مله الإسلام، وابحث عن أسبابه ستجدها جميعها سباباً سياسيه مصبوغه بصبغه دينيه مليئه بإسقاطات الماضى والنزاعات التى دارت فيه، ولا تجد سبباً سياسيا أو دينيا من مواليد الأيام الحاضره، وإن صدف عثورك على ما يبدو جديداً، فلا تنخدع به لأنك سوف تفاجأ بروابطه الروحيه والعقديه والسياسيه مع الماضى.

إن دراسه الماضى بعقليه الحاضر تعد بنجاح ما كان أسلافنا قادرين عليه ولا يتمكنون من الوصول إليه، ولنأخذ مثلا تلك التهم العظيمه التى اتهموا بها الإمام الحسن عليه السلام، ولاسيما منها تهمه المزواج المطلاق النزق؛ ونحللها بعقليه إنسان القرن الحادى والعشرين، ماذا سنجد فيها؟

ولد الإمام الحسن عليه السلام فى السنه الثالثه للهجره وأصبح مستعدا للزواج فى سن الرابعه عشر وهى مرحله الاحتلام، فماذا واجهه فى هذه المرحله؟ أولا: مات جده النبى صلى الله عليه واله فترك عنده فراغا لا يمكن أن يشغله احد من الناس، ثم بعد ثلاثه أشهر ماتت

١- ينظر، كتاب زوجات الأئمه المعصومين،الشيخ ماجد ناصر الزبيدى، دار المحجه البيضاء، بيروت، ١۴٢٨ ٢٠٠٧م، ص

أمه الزهراء عليها السلام فجددت أحزانه، وخلالها أغتصب حق أبيه بالخلافه، فانعزل عن

المجتمع وجلس يجمع القرآن ويكتب له الشروح، ثم لما بغ السادسه عشر بعد سنتين

و أشهر تجددت الأحزان بعد أن نص الخليفه أبو بكر على عمر ليكون خليفه من بعده،

وفى هذ٥ المرحله كان مثل والده بعيداً عن الأحداث، حتى انه لم يثبت اشراكه فى الفتوح

ولا توجد إشاره إلى ذلك. وبقيت الحال على ما هى عليه حتى بلغ الخامسه والعشرين

من العمر، فإن كان قد تزوج فى هذه المراحل، وهذا ما حدث بالفعل، ولاسيما وأن

والده زوج أخاه الحسين عليه السلام بابنه كسرى فى أواخر خلافه عمر، وبما انه الابن الأكبر

فمن المؤكد انه كان متزوجا، ولكن من غير المتوقع أن يكون زواجاً مقرطاً بالمره، لأنه

لا يتناسب مع الظرفين الزمانى والمكانى للإمام ولا الحاله النفسيه التى كان عليها. وفى

السابعه والعشرين من عمره أصيب بانتكاسه أخرى يوم خذل أصحاب شورى السته

والده بلعبه (سيره الشيخين) فتجددت الأحزان على مدى عشر سنين أو أكثر مشحونه

بالأحداث الجسام، بما لا يسمح له باللهو.

وبعد مقتل عثمان اختارت الأمه عليا عليه السلام للخلافه، ولكن السياسيين الذين

كانوا يحلمون بالحصول على الملك اعدوا له مفاجأت لا تحصى لكى يفشلوا مشروعه؛

فكانت الهجره من المدينه إلى الكوفه، ثم تلتها حروب الجمل وصفين والنهروان التى

كان الحسن عليه السلام. فيها مقاتلا وقائدآ ومفاوضا وسفيرآ بما شغله عن متابعه حياته العامه

والالتفات إلى الحياه و متعاها. وخممت هذه المرحله بمقتل الإمام على، والحسن عليهما السلام حينها كان لما يزل فى أواخر العقد الثالث أو بدايه العقد الرابع من عمره، فأستقبلها

بنفس ملؤها الألم والحسره على ما آل إليه أمر الأمه.

وفوق هذا وذاك اختارته الأمه خليفه وقائداً فلم يمضى سوى ثمانيه أيام فى الحكم..

حتى وصلت إليه أنباء مسير جيش الشام لاجتياح عاصمته وقتله، فانشغل بالمراسلات وتجميع الجند والتخطيط لتجنيب الأمه مصائب جديده بعد الذى عانته على مدى أربعين عاما، ولم تمض من الشهر السادس من خلافته إلا أيام معدودات حتى عقد الصلح مع معاويه وجلس فى بيته خيطط للعوده إلى المدينه وهو ما حدث بالفعل بعد مده يسيره.

وكان فى المدينه ملازما لقبر جده النبى صلى الله عليه وآله ومسجده، فإذا صل الغداه فى مسجد النبى صلى الله عليه وآله جلس فى مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، فيجلس إليه ساده الناس يسألون عن أمور دينهم ويتحدثون بين يديه. وفى هذه المرحله جاءه وفد الكوفه يطلبون منه نقض العهد و الرجوع إلى الحرب بعد أن أخل معاويه شروطه، فردهم ردا جميلاً، وقال لهم: ((ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاويه حياً فإن يهلك معاويه ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمه على رشدنا والمعونه على أمرنا وان لا يكلنا إلى أنفسنا فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون))(١) وفيها أيضا كانت مؤامره معاويه ويزيد وجعده فى انتظاره. فسقوه السم، وعاش عليلا لمده أربعين يوماً، ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى.

هذه خلاصه حياه الإمام الحسن بعجاله، وإن كان قد نجح خلالها بحج بيت الله الحرام أكثر من عشرين مره سيراً على الأقدام، والزواج ببعض النسوه، فتلك وربى من الأمور التى تثبت صلابته و شده عزيمته، ولكن يستحيل مع حياه مفعمه بالمشاغل والمشاكل بهذا الشكل الغريب أن ينجح الإنسان مهما كانت مقدرته الجسديه والماديه بالزواج بأكثر من الحد المعقول. ...

١- ينظر: صلح الحسن، راضى آل ياسين، ص٣٠٢

الغريب أن بعضهم حاول تبرير تهمه كثره الزوجات ليس بنفيها وتنزيهه منها،

وإنما باعتبار انها لا غبار عليها، لكونها من عادات تلك العصور أو كما يقول أبو علم:

((أما عن تعدد الزوجات وقد صال فيها و جال بعض الجهال، وقد نسوا أن زمن الإمام

غير زماننا ومعاييره غير معاييرنا، فقد كان تعدد الزوجات فى أيام الإمام الحسن عليه السلام

مستحسنا لربط العصبيات والإكثار من الذرارى المقاتلين، ولئن كان التعدد مستحباً،

لغير أهل البيت فقد كان لهم مستحبا لأن سلاله النبى! صلى الله عليه وآله أمان ورحمه لأهل الأرض

وزواجه الكثير دليل عظمته الروحيه فى الناس)).(۱)ولكن مع اعتراضه على الكثره بدا أبو علم مثل غيره عاجزاً عن معرفه العدد

الحقيقى لزوجات الإمام الحسن عليه السلام؛ فاختار رقما قريبا من الكثره بعيدا عن حقيقه

واقع الحال، فقال فى حديثه عن عدد زوجات الإمام: ((وقد كان مجموع ما تزوجه خمس

عشر وهو رقم لا يمت إلى الكثره المزعومه بصله))(۲) هكذا أحصى أبو علم عدد اللواتى

تزوجهن الإمام الحسن عليه السلام وهو رقم حتى وإن كان مألوفا فى ذلك العصر بالنسبه لكثير

من عامه الناس و فقرائهم إلا أنه غير مألوف لثائر مثل الحسن عليه السلام أعد نفسه للقيام

بعمل يتساوق مع منزلته الدينيه والاجتماعيه، ولذا تجد الرواه يتخبطون كالغريق فى

سردهم للقصص الخرافيه التى تتحدث عن زواج الحسن عليه السلام أما على محمد الصلابى

فنقل عن مصادر التاريخ: ((وقد ذكر المؤرخون أن من زوجاته، خوله الفزازيه، وجعده

بنت الأشعث، وعائشه الخثعميه، وأم إسحاق بنت طلحه بنت عبيد الله التميمى، وأم

بشير بنتمسعود الأنصارى، وهند بنت عبد الرحمن بن ابى بكر، وأم عبد الله وهى

بنت الشليل بن عبد الله أخو جرير البجلى وامرأه من بنى ثقيف وامرأه من بنى عمرو بن

۱- أهل البيت، الحسن بن على،توفيق أبو علم، ط۳، دار المعارف، القاهره، مصر، ص۹

٢- المصدر نفسه، ص ٧٠

أهيم المنقرى، وامرأه من بنى شيبان من آل همام بن مره. وربما تجاوز هذا العدد بقليل،

وهو كما ترى لا يمت إلى الكثره المزعومه بصله، بعرف ذلك العصر. وأما ما رواه رواه

الأثر، فى كونه تزوج سبعين، وفى بعض الروايات تسعين، وبعض آخر مائتين وخمسين،

والبعض الآخر ثلاثمائه، وروى غير هذا، إلا أنه من الشذوذ بمكان، وهذه الكثره

المزعومه موضوعه))(۱) ولهذا السبب قال الصلابى: ((إن الروايات التاريخيه التى تشير

إلى الأعداد الخياليه فى زواج الحسن بن على عليه السلام لا تثبت من حيث الإسناد، وبالتالى

لا تصلح للاعتماد عليها نظرآ للشبه والطعون التى حامت حولها))(۲)وتلحظ فى هذا

الاقتباس أن الصلابى استهله بالقول: (وقد ذكر المؤرخون أن من زوجاته) مستخدما

(من) التبعيضيه ليثبت بأن الأسماء التى سيذكرها بعد هذا القول لا تمثل جميع نساء

الحسن عليه السلام بل هى جزء وبعض من أسماء زوجاته الكثيرات.!

وفى موضوع ذى صله بتهمه كثره الزوجات جاء حديثهم عن عدد أولاد الإمام

الحسن عليه السلام الذين رزقه الله بهم بسبب العدد الكبير من تلك الزوجات!.

ص :۴۶۵

۱- سيره أمير المؤمنين الحسن بن على بن أبى طالب، الدكتور على محمد الصلابى،ط۸، دار المعرفه،بيروت، لبنان ۱۴۳۰ هجريه ۲۰۰۹م، ص ۲۳-۲۴.

۲- المصدر نفسه، ص ۲۶

أولاد الإمام الحسن عليه السلام

من حيث تناول أخبار هذا الافتراء نجد تنوعا فی الروایات التی أوردت أخبارا عن علاقه الحسن علیه السلام بالنساء وهی روایات أزكمت الأنوف برائحتها الطائفیه السیاسیه المقیته فقیل: إنه تزوج (٧٠) أو (٩٠) أو (.١٠) أو (.٢٠) أو (.٣٠) أو (.٩٠) امرأه حره، وملك (١۶٠) جاریه، بل كان یهدی لمطلقته التی یحبها مائه جاریه بمعنی أن عدد جواریه یفوق كثیراً العدد الذی ذكروه، كل ذلك فی جزء یسیر من السبعه وأربعین عاما وهو مجمل عمره الشریف. ولكنهم لم یلتفتوا إلی ناحیه مهمه أخری، لا أعرف سبب إغفالهم لها فی بدایه، لكنی وجدتهم ینتبهون إلیها كالملسوع فی حراكهم السیاسیه مع الإمام الكاظم علیه السلام؛ الذی أتهم هو الآخر بنفس الاتهام الباطل، وأقصد بذلك إدعاءهم بأن الإمام الحسن علیه السلام خلف (١۵) ولداً ما بین ذكر وأنثی فقط، فجعلوا للإمام الكاظم (۵٠) أو (۶٠) ولدا لكی لا یقعوا فی المطب الخطر نفسه.(١)

وأؤكد للمره الألف إن موضوع كثره الزوجات أدخل إلی سیره الإمام الحسن علیه السلام بدافع سیاسی بحت، بید أنهم لم یحسنوا سباكته بشكل معقول كما فعلوا فی جوانب سیاستهم الأخر ((وكل ابن أنثی خطاء))، وكانت نقطه ضعف هذا الإدعاء عدد الأولاد الناتج من كل تلك الزیجات بكل أنواعها، فلیس من المعقول أن یرزق من یتزوج بتسعمائه أو بثلاثمائه أو حتی بمائه أو بخمسین أو بعشرین حره وبأكثر من ضعفهن إماءً

١- ینظر: كتابنا ((خرافه كثره زوجات الإمام الكاظم علیه السلام)) الذی فندنا فیه مزاعمهم وكشفنا تدلیسهم

بخمسه عشر ولدا و بنتاً فقط! كيف و هناك من رزق من امرأه واحده بأكثر من هذا العدد؟ صحيح أنهم اتهموه بأنه كان يعاشر زوجاته لأيام معدودات ثم يطلقهن، ولكن هل من المعقول أنه كان لا يأتيه اولاد من تلك النساء؟!

لماذا لا يكون نصف عدد المطلقات أو أكثر أو أقل قد علق بهن حمل منه؟ وأين ذهب هؤلاء الأولاد؟ هل تخلى عنهم الإمام وتركهم لمصيرهم المجهول، وهم من نسب العتره الطاهره المطهره؟ ولماذا لا نجد لهم ذكراً، ولم يذكرهم أحد من المؤرخين؟ ثم ألم يقولوا أن القبائل كانت تحب أن يتزوج الحسن عليه السلام من نسائهم حبا بمصاهره أهل البيت عليهم السلام ليفخروا بذلك على باقى القبائل، فلماذا سكت هؤلاء عن التفاخر بأولاد الحسن عليه السلام من بناتهم، ولم يوردوا لهم ذكرا؟ لماذا تجد المؤرخين بكامل العجز والقصور عن الوصول إلى الحقيقه، وتجدهم بالرغم من كثره حديثهم عن الزواج، لم ينجحوا إلا فى إحصاء عدد محدود من أولاده؟، وحتى الأرقام الهزيله التى أوردوها تختلف من قول إلى آخر، ولكنها تدور على مدار ضيق جدا بين الثانيه والسته عشر فقط، فهل يعقل ذلك لكى يقول اليعقوبى: ((و كان للحسن من الولد ثمانيه ذكور)) (۱) أو ليقول أبو إسحاق السعدى الجوزجانى: ((خلف الحسن بن على بن أبى طالب حسن بن حسن وعبد الله بن حسن وعمرو بن حسن وزيد بن حسن وإبراهيم بن حسن)).(۲)

وقد يبدو رقم (۱۵) الذى اختير ليكون مدار الحديث عن ذريه الحسن تافها جدا نسبه إلى عدد ما تزوج به الإمام من النساء، ولا يمكن مقارنته بالأرقام (۶۰- ۷۰- ۱۰۰- ۲۰۰. ۳۰۰. ۹۰) التى اختاروها عدداً لزوجاته.

ص: ۴۶۷

۱- تاریخ الیعقوبی، ج۲، ص ۱۵۸.

٢- الدولابی، مصدر سابق، ح ١١٥ ،ص ٧٢، وقال فی الهامش: صحیح من قول الجوزجانی

الملفت أن بعض علماء مدرستنا أوردوا ما يقارب تلك الأرقام، ولكنهم لم يعلقوا عليها، حيث تجد فى موسوعه الحسن قولهم: ((له من الأولاد سته عشر ولداً ذكراً وأنثى))(۱) وتجد الشيخ المفيد يقول: .((أولاد الحسن بن على خمسه عشر ولدا ذكرا و أنثى وهم: زيد بن الحسن و أختاه أم الحسن وأم الحسن أمهم أم بشير بنت ابى مسعود عقبه بن عمرو بن ثعلبه الخزرجيه، والحسن بن الحسن أمه خوله بنت منظور الفزاريه، وعمرو و أخواه القاسم و عبد الله بن الحسن أمهم أم ولد، وعبد الرحمن بن الحسن أمه أم ولد، والحسين بن الحسن الملقب بالأثرم وأخوه طلحه بن الحسن وأختهما فاطمه بنت الحسن أمهم أم اسحق بنت طلحه بن عبد الله التيمى، وأم عبد الله وفاطمه و أم سلمه ورقيه بنات الحسن عليه السلام لأمهات شتى))(۲) وكان المفروض بهم أن يبحثوا عن أسماء أمهاتهم لكى ينفوا التهمه عن الحسن.

فضلا عن ذلك أجد السياسين وضعوا قومهم فى ورطه كبيره حينما تكلموا عن زواج الإمام المتكرر بأعداد خياليه وأرقام قياسيه من النساء، ثم سكتوا عن ذريته من هذه الأعداد، فاختلف هؤلاء فى عدد أولاده و احتاروا، بحثا عن تعليلات لعدم التوازن هذا، فقد روى: أنهم اثنا عشر، ثمانيه ذكور و أربع إناث، وقيل سته عرش الذكور أحد عرش والإناث خمسه، وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل.

ثم لما تبينوا الورطه التى أوقعوا أنفسهم فيها كان الأمر قد خرج من بين أيديهم ولم تعد لهم قدره إجراء التصحيح، فلجأوا إلى حيله أخرى ادعوا فيها أن جميع أولاد الإمام الحسن عليه السلام على كثرتهم كانوا مصابين بالعقم فلم يخلفوا، إلا الحسن المثنى، أو الحسن

۱- موسوعه الحسن: www.mezan.net/mawsouat/hassan/awlad.html

٢- الإرشاد، الشخ المفيد،ج٢ ص ٢٠.

وزيد، وهو ما فضحهم؛ لأنهم أرادوا بهذه الكذبه أن يقنعوا أتباعهم بأن قله ذريه

الحسن عليه السلام تأتى من كون أولاده على كثرتهم لم يخلفوا فانقطع ذكرهم! والظاهر أن هذا

العمل السياسى انطلت؛ حيلته علينا أيضا ففى كتاب كشف الغمه، قال الأربلى: كان

الحسن عليه السلام له من الأولاد عدد لم يكن لكلهم عقب بل كان العقب لأثنين منهم)).(۱)

إن ورثه المشروع السياسى، مع الورطه الكبيره التى وضعهم آباؤهم وأشياخهم

فيها؛ صاروا يبحثون عن منافذ تعينهم فى إدامه روح التشتت عند الناس، لكى لا

يلتفتوا إلى تلك التناقضات، فأخذوا يأتون ببدع و منكرات هدفها دفع الناس للتشكيك

بالعقائد التشريعيه لمدرستنا، كما فى قول الكاتب فواز الفواز: لماذا أولاد و أحفاد الإمام

الحسين معصومين وأولاد وأحفاد الإمام الحسن وهو الابن البكر للخليفه الرابع والإمام

غير معصومين؟ هل هنالك أفضليه للإمام الحسين على أخيه الكبير الإمام الحسن؟ هل

المعصوميه حصرا بأولاد وأحفاد الحسين ولماذا؟ من الذى أجاز أن تكون المعصوميه

بأولاد الإمام الحسين فحسب؟ ... كيف نرفع قيمه أولاد الابن الصغير ونقلل من قيمه

أولاد الابن الاكبر؟ هل كان أولاد وأحفاد الحسن لا يستحقون هذه المعصوميه، ولماذا؟

هل الفكره كلها مرتبطه بزواج الإمام الحسين بحفيده كسرى شهربانو أو شاه زنان؟

لو كانت حفيده كسرى زوجه الحسن بدلا من زواجها من الحسين هل نشهد الفكره

بالمعكوس، أى هل سيصبح أولاد الحسن معصومين وأولاد الحسين غير معصومين؟

هل لأن بعض أولاد الإمام الحسن أسمائهم عمر وأبوبكر وبذا لا يستحقون أن يدخلوا

تحت خيمه المعصوميه؟ هل نتزوج من الفارسيات حتى نحمى جلودنا من نار جهنم؟

أفتونا مأجورين))(۲) ولا يخفى على اللبيب القصد من هذه المهاترات الكلاميه الفارغه

١- كشف الغمه فى معرفه الائمه، قال أبو الحسن على بن عيسى بن ابى الفتح الاربلى

٢- موقع كتابات، فواز الفواز، مقال بعنوان (لماذا أولاد الإمام الحسـين معصومون وأولاد الإمام الحسن غير معصومين؟) رشه يوم السبت، ٢٧ تشرين الأول، ٢٠١٢ فى الرابط www.kitabat.com ...

التی ترتبط بالشرع السیاسی القدیم.

کلمه أخیره، إن کثره عدد الأولاد کان فاشیا عند المسلمین لا فی صدر الإسلام

وحده، بل وحتی فی العصور المتأخره ولا زال إلی یومنا الراهن، لا فرق بین فقر وغنی،

ویقال: إن ذلک نابع من حث رسول الله صلی الله علیه وآله للمسلمین علی الإنجاب، کما فی قوله:

.تناسلوا تکاثروا فإنی مباه بکم الأمم)) وحدیث .تزوجوا الودود الولود؛ فإنی مکابر

بکم الأمم یوم القیامه)). وقد بلغ عدد أولاد عمر بن الخطاب (۱۱) ولدا، وأولاد عثمان

(۱۵) ولدا، والزبر بن العوام (۲۴) ولدا، وعبدالرحمن بن عوف (۱۸) ولدا، وطلحه

بن عبیدالله (۱۰) لدیه عشره أولاد، وعتبه بن أبی لهب (۱۲) ولدا، والحارث بن نوفل

(۱۵) ولدا. بل إن رئیس وزراء ووزیر خارجیه قطر الحالی، الشیخ حمد بن جاسم بن

جبر آل ثانی یملک (۱۵) ولدا، وهو بالتأکید لم یتزوج نساء کثیرات، وقد قال النویری

عن سلیمان بن عبد الملک: ((وقیل: إنه کان له من الأولاد الذکور أربعه عشر)) [1] لذا لا

عجب أن یکون للإمام الحسن علیه السلام خمسه عشر أو عشرین ابنا من عدد معقول من النساء،

لکن العجب العجاب أن یدعی المدعون بأنه رزق هذا العدد من تسعمائه زوجه.!

إن کل ما تقدم من حدیث عن الزواج والأولاد جیء به لیکون داعما لجهدهم

الحربی الأول لتقویض التجربه الحسنیه من کل جوانبها، ویأتی الثبات الحسنی بالشکل

الذی هو علیه لیخلد ذکره و تموت ذکراهم، ولیثبت بأن کل سعیهم ذهب هباء لأنه زبد

لعبت به ریح الزمان.

۱- نهایه الأرب فی فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشی التیمی البکری، شهاب الدین التویری (المتوفی: ۷۳۳)، دار الکتب والوثائق القومیه، القاهره، ۱۴۲۳ ج۲۱،ص۳۵۴.

الفصل الثانی صدق الائمه و کذب السیاسیین

اشاره

ص: ۴۷۱

صِدقْ الأئمه وكَذِبِ السياسيين

إن القواعد العامه للدين وللأخلاق ثابته لا تتغير، فالكذب هو الكذب، والصدق هو الصدق، والخيانه لا يمكن لها أن تلبس لباس الطهر، والعفه لا تشبه التهتك فى أى زمان ومكان، وأقرب المدارس الفقهيه إلى روح العقيده هى المدرسه التى تلتزم بالمبادئ على حقيقتها وتعرف أوجه الحكم الفقهى الثابته التى لا تقبل التأويل، وعليه نجد مثلا أن الكذب فى الفقه الشيعى تنطبق عليه الأحكام الخمسه بحسب منظور الحكم، فهو حرام ومباح ومكروه ومستحب وواجب. وهو عندنا فى الغالب من الكبائر؛ ومن القبائح العقليه التى يجب اجتنابها ابتداء. أما فى فقه المدارس الأخر فهو بعنوانه الأوّلى من الصغائر ويتحول إلى كبيره بعنوانه الثانوى. وهو عند كل المسلمبن واحد من ثلاث خصال تجعل المرء منافقا؛ ذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله ((ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)) وقد جمع السياسيون الدنيويون هذه الخصال ثلاثها وأجادوها؛ فحدثوا وكذبوا، ووعدوا واخلفوا، وائتمنوا فخانوا الأمانه. كذبوا فى حياتهم وفى الأعم الأغلب من أقوالهم، ويجد المدقق الحصيف أن الكذب السياسى هو الذى وضع قواعد تعامل المدارس الأخر مع الكذب عامه، لدرجه أنهم أجازوه للأنبياء كما فى البخارى وغيره عن كذبات النبى إبراهيم الثلاث مثلا(١) بمعنى أن السياسه أدخلت الكذب ضمن

١- صحيح البخارى، كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى ((و اتخذ الله ابراهيم خليلا)) النساء ١٢۵، حديث رقم ٣٣۵٨،أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (١٩۴- ٢۵۶ ه) دار إحياء التراث العبرى، بيروت، ٢٠٠١، ص۵٩٧

المسوغات العامه بعد أن حولته إلى واقع ؛ ومنه تسلل إلى الفقه والعقائد ولونها بألوان

سياسيه.

وفى الوقت الذى نجدهم فيه يجوزون الكذب والخدع فى الحرب لتضليل العدو

استنادا إلى حديث (الحرب خدعه) الذى رواه البخارى، إلا أنهم أوجبوا أن لا يكون

الكذب أو الخدع منضوياً على نقض عهد أو إخلال بأمان. ومع ذلك ضرب معاويه

بهذا الاستثناء المهم عرض الحائط ونقض عهده مع الحسن عليه السلام دون أن يعيبه أحد.

ومعنى هذا إن السياسيين لم يستسيغوا الكتب السياسى فحسب، وإنما كذبوا

لتزييف التاريخ ومصادره حقوق الآخرين حتى فى الأولويه والسبق الإيمانى، لدرجه

أنهم صاروا يتهمون الناسى بالتأخر عن قافله الإسلام وينسبون السبق إلى أنفسهم، وما

هم إلا طلقاء من نسل الطلقاء، ناسين أن الناس تعرف تمام المعرفه بأنهم هم من منع

الناس من دخول الدين، وفى الروايات: ((دخل حويطب بن عبد العزى على مروان بن

الحكم وهو على المدينه. فقال مروان: ما سنك؟ فأخبره، وكان قد بلغ المئه والعشرين،

فقال له مروان: تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث؟ يشير إلى انه لم يسلم

إلا بعد فتح مكه!فقال حويطب: الله المستعان. لقد هممت بالإسلام غير مره، كل ذلك

يعوقنى أبوك عنه وينهانى ويقول: تضع شرفك وتدع دين آبائك لدين محدث وتصير

تابعاً!؟ فسكت مروان))(١)

ولقد عشنا فى زمن أثبت لنا أن سياسه الكذب الموروثه ما زالت ناشطه عند

أحفادهم فاعله فى ثقافتهم، مؤثره فى سياستهم، متحكمه فى قراراتهم، لم تهن ولم

١- المستطرف الجديد، حكايات من التراث،هادى العلوى، ط٢، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكيه فى العالم العربى، دمشق،

ص ١٢-١٣

تضعف بتعاقب الدهور، وهم على نهج أسلافهم يعتقدون من الناحيه الشرعيه عدم جواز الانتخابات البرلمانيه وعدم جواز المشاركه السياسيه والعمل الحزبى فى الحركات التى اندلعت فى الوطن العربى بمسمى (الربيع العربى)، ومن هؤلاء التيار السلفى فى مصر الذى بقى مصرا على أنه مجرد مدرسه يقتصر نشاطها على طلب العلم الشرعى وتصحيح العقيده والتمسک بالکتاب والسنه والابتعاد عن العمل السياسى، ولکنهم ما إن سقطت الحکومه حتى زاحموا أصحاب الحق ومن تحمل ثقل الثوره وانتزعوا مکاسبها رغماً عن الجميع، وکأن التأريخ يعيد نفسه!

هذه المقدره على التلون الحربائى غيرت قناعات الآمه وعقائد الأفراد وزرعت الازدواجيه فى سلوک المسلمين بعد أن أفسدهم الأمراء و العلماء الفاسدون، ينسب إلى النبى صلى الله عليه و آله قوله: ((صنفان من أمتى إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس: الأمراء والعلماء)) فعاشوا فى ظاهرهم خلاف ما فى بواطنهم يسرقون ويزنون ويشربون الخمر ثم فى ساعات الصحوريبکون ندماً من تلک الآثام و لکنهم لا ينتهون عنها، قالت فاطمه بنت الحسن: ((دخل علينا العامه الفسطاط بعد مقتل الحسين وأنا جاريه صغيره وفى رجلى خلخالان من ذهب فجعل رجل يفض الخلخالين من رجلى وهويبکى. فقلت ما يبکيک يا عدو الله؟ قال: کيف لآ ابکى وأنا أسلب ابنه رسول الله! فقلت: فلا تسلبنى. قال: أخاف أن يجىء غيرى فيأخذه!))(1)

إن السياسين بعد أن تمکنوا من السيطره على مقاليد أمور الأمه خدعوا أنفسهم وخدعوا الناس معهم، خدعوا أنفسهم يوم ظنوا أنفسهم أسياد البشر فى جاهليتهم وإسلامهم تبعا لحديث أخرجوه عن أبى هريره: ((قيل للنبى: من أکرم الناس؟ قال:

١- لمستطرف الجديد، ص ١٥

...

أكرمهم اتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فأكرم الناس يوسف نبی الله ابن نبی الله ابن نبی الله ابن خليل الله. قالوا ليس عن هذا نسألک. قال: فعن معادن العرب تسألونی؟ قالوا: نعم. قال: فخيارکم فی الجاهليه خيارکم فی الإسلام))(۱) وخدعوا الناس بعد أن أغوتهم الدنيا بنعيمها، أخرج ابن الأثير فی تاريخه عن عمار بن ياسر قوله فی وصی الأمويين: ((ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرؤوها وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه من دنياهم، فخدعوا أتباعهم أن قالوا إمامنا قتل مظلوماً ليكونوا بذلک جبابره وملوكاً)). أما من لم ينخدع منهم فجعلوا السيف حكما بينهم وبينه فأذعن بالتهديد والوعيد، ففی مجلس شامی عرض معاويه بيعه يزيد ابنه ولياً للعهد فكثر الأخذ والرد وأنقسم الناس بين مؤيد ومعارض، فقام رجل وخطب قائلا: ((أمير المؤمنين هذا، وأشار إلی معاويه. فإن مات فهذا، وأشار إلی يزيد. فمن أبی فهذا، وأشار إلی سيفه. فقال معاويه: أجلس فأنت سيد الخطباء)).

ومع كل حركه يأتون بها كان الكذب والتعليل الأجوف دواءً يداوون به غضب الناس الذين يستهجنون أعمالهم، روی الطبری فی تاريخه أن معاويه أراد فی سنه خمسين من الهجره نقل منبر رسول الله صلی الله عليه و آله من المدينه إلی الشام ليفرغ مهبط الوحی من معناه القدسی عند الناس،((قال محمد بن عمر: وفی هذه السنه أمر معاويه بمنبر رسول الله أن يحمل إلی الشام، فكسفت الشمس حتی ربيت النجوم باديه يومئذ، فأعظم الناس ذلک فقال: لم أرد حمله إنما خفت أن يكون قد أرض(۲)فتظرت إليه، ثم كساه يومئذ))(۳)

۱- صحيح البخاری ص ۲۴۲ ج۲ كتاب بدء الخلق، باب أم كنتم شهداء،دار الفكر بيروت بغداد ۱۹۸۶

٢- أرض: أى أصابته الأرضه

٣- تاريخ الطبرى، مصدر سابق،ج٣، ص ٩٦٩

إن خلفاء وأمراء يسوسون الناس بهذه الأخلاق ويعلمونهم تلك القيم لا يمكن

إلا أن يحرفوا المجتمع عن مسيره الإسلامی الصحيح ويدخلوه فی متاهات الانحطاط

الخلقی، وبالتالی ليس من المستغرب أن تصدر عنهم أسوأ أنواع ردود الفعل، وخير

دليل علی ذلك أن معاويه أخلف ما تعاهد عليه مع الإمام الحسن عليه السلام، واعرف بذلك

صراحه بقوله:((إنی منيت الحسن وأعطيته أشياء جعلتها تحت قدمی، لا أفی بشیء منها

له))(۱) وكفی بذلك دليلًا علی شده الانحراف.

وخلفاء وأمراء يتهم بعضهم بعضاً بالكذب وخيانه الأمانه ثم يتهمون وكلاءهم

ويتهمهم الوكلاء بالخيانه يعيشون أدنی مراحل الانحطاط الخلقی، ففی العقد الفريد:

((تعقب عبد الملك بن مروان ضيعه له فی الغوطه أيام معاويه فأنكر منها شيئاً، فقال

لوكيله: ويحك إنی لأظنك تخوننی؟ فقال الوكيل: أفتظن ذلك ولا تستيقنه؟ فقال

مروان: وتفعله؟ قال الوكيل: نعم والله إنی لأخونك، وإنك لتخون أمير المؤمنين، وإن

أمير المؤمنين ليخون الله، فلعن الله شر الثلاثه)) هذه هی المعادلات الحاكمه لسلوك

وسياسه وعقيده السياسيين الدنيويين الذين ما كان يهمهم قتل ابنی بنت رسول الله صلی الله عليه و آله.

ما دام ذلك يحفظ لهم عز دنياهم، ومع هؤلاء كان مقدراً للإمام الحسن عليه السلام أن يتعامل.

أما المعادله الحاكمه فی حركه أئمه أهل البيت المعصومين عليهم السلام فتنطلق من مزيد

محاولات تقويض قدرات السياسه العربيه وتأثيراتها علی المجتمع وفق رؤی المنهجيه

الإسلاميه وسياستها؛ فهم عليه السلام لم يلتفتوا إلی مزايا وقدرات السياسه الدنيويه وما

يمكن أن توفره من معطيات ومزايا حركيه سريعه ومتلونه ومشحونه بالكذب والخداع

والدجل والظلم؛ ولذا أحجموا عن التعامل معها وأصروا علی العمل وفق رؤيتهم

١- إرشاد الشيخ المفيد مصدر سابق ج ٢ ص ١٢

الدینیه المحضه، وقد بدأ نشاط هذه الممارسه فی خلافه الإمام علی علیه السلام، وهنا تحدیداً بانت ملامح انشقاق المجتمع الاسلامی إلی شقین: الأول عقائدی دینی بقیاده الإمام المعصوم، والثانی سیاسی دنیوی بقیاده السیاسیین، وهذا هو الاختلاف الحقیقی بین التنصیب الربانی وما سواه، ثم لما أیقنت الناس، أو بدأت توقن بأن هناک خطوطاً تقود حیاه الإسلام بعضها إسلامی ثابت والآخر بعید عن الإسلام کلیاً، ولکنه یتمظهر بواقع إنسانی إسلامی؛ کان لابد للسیاسه دفاعاً عن نفسها أن توجد خطوطاً متوازیه تتخذها درع حمایه، ولم یکن لدیها أکبر من حقیقه التنصیب الإلهی للتشکیک فی صحته من خلال إسقاط مساوئها علی نقائه لیبدو للناس وکأنه بنفس السوء الذی عند السیاسیین بل أسوأ، فأظهروا تعلقهم بما یعرف بنظریه الحق الإلهی واستعاضوا بها عن التنصیب الربانی عسی أن ینجح ذلک فی رفع بعض أطراف نظره الناس السیئه عنهم.

ص :۴۷۹

نظريه الحق الإلهى

فى حديثه عن الإسلام والسلطه الدينيه قال محمد عماره: ((وفى فترات من تاريخ حضارتنا الإسلاميه تسربت عناصر من هذه النظريه (يقصد نظريه الحق الإلهى) إلى قطاع محدود من الفكر السياسى، ودعا إليها نفر قليل من مفكرى الإسلام هم أئمه الشيعه، كما تسربت عناصر من هذه النظريه إلى عقول عديد من المستبدين والحكام والسلاطين، فأعاقت تطور الأمه وأثقلت عقلها بالقيود ودفعتها دفعا إلى مرحله الجمود والتخلف التى شملت عالم الإسلام وكبلته وأثخنته بالجراح لعده قرون))(١)

إن التنصل الذى يريد الدكتور عماره تمريره يعد من التداعيات الخطره لمناهج السياسه الدنيويه التى طالما سعت إلى التنصل من القبائح وعصب الأمر برأس أئمه الشيعه، بالرغم من كونهم لم يقيموا دوله الإسلام حتى فى عصر خلافه على عليه السلام؛ بعد أن انبرى السياسيون الدنيويون وجردوهم من صلاحياتهم سواء بشن الحروب كما حدث مع على والحسن عليهم السلام أو بالقتل الثأرى كما مع الحسين عليه السلام أو بالحجر والسجن والمطارده والقتل كما حدث مع الثمانيه الباقين، ولو كانت لهم سلطه على المهدى المنتظر عجل الله تعالى فرجه لألحقوه بآبائه. ولقد وقع الباحث عماره فى خلط كبير فتحدث بخلاف ما قدم حينما أراد التوسع فى شرح مقاصد كلامه، فأخذ ما اتصف به السياسيون الحكام الذين قادوا الأمه منذ الصلح مع الحسن عليه السلام وإلى بدايات القرن العشرين بعد سقوط الدوله

١- الدوله الإسلاميه بين العلمانيه والسلطه الدينيه، الدكتور محمد عماره، ١۴٠٩- ١٩٨٨، دار الشروق، القاهره، ص ١٠-١١

الثمانيه وادعاه جزافاً لأئمه أهل البيت عليهم السلام، فقال: ولقد كانت الدعوه إلى السلطه الدينيه وصبغ نظم الحكم وسلطات الحاكم بصبغه الدين وتوحيد السلطتين: الدينيه والزمنيه فى سلطه واحده.. كانت الدعوه إلى هذا اللون فى السلطه فكراً و تطبيقاً تتطلق أحياناً من متطلق التبرير لمظالم السلطه البشريه القائمه ومحاوله تأييد الجور وتأييده عن طريق الزعم يأن سلطان هذه السلطه وسلطانها إنما هى ذات طبيعه دينيه، فالصله بينها وبين السماء، و وكالتها عن الله، فحسابها أمامه و إليه، وليس للأمه دخل أو مدخل فى كل هذه الأمور)(۱)

إن تبرئه السياسيين الدنيويين من جريمه إذلال الأمه بنظريه الحق الإلهى واتهام أئمه أهل البيت عليهم السلام بأنهم أصحاب هذه النظريه، واتهام التشيع بأنه موجد هذه النظريه، يدفعنا إلى الحديث عنها لكى يفضح العلم والعقل المدعين ويبرئ الطاهرين من محاولات تلويث نقاء سيرتهم العطره الطاهره. ولما كان مصطلح (نظريه الحق الإلهى) غير معروف آنذاك فإن أفعال السياسيين كانت توحى بأنهم يريدون إسباغه على أئمه أهل البيت عليهم السلام بمعناه العام، وهو المعنى التاريخى لكل نظريه من النظريات الفكريه المعاصره، فالمتفق عليه أن أغلب النظريات الفكريه المعاصره كانت معروفه يشكل أو بآخر فى الأزمنه القديمه، ولكنها تفتقر إلى التسميه والتقنين؛ فجاء المفكرون والعلماء المعاصرون و وضعوا لها أسماء ونسبوها إلى أنفسهم، ثم بدأ بعضهم ولاسيما أحفاد السياسيين منهم بإجراء المقارنات والمقاربات بين القديم والجديد ليثبتوا صحه منهجيتهم، أو ليخدعوا الناس.

ولذا تجد فى أقوال المفكرين المعاصرين فلتات كبيره تنحو بك إلى معرفه حقيقه

١- المصدر نفسه، الدوله الإسلاميه

مغيبه لا يريدون التصريح fi بحكم خضوعهم للولاء الطائفى، ولكنها تتفلت منهم عنوه وتعلن عن نفسها صراحه ووضوحا مهما ألبست من ثياب لاخفاء الملامح، مثال ذلك نجد للدكتور محمد عماره قولا مفاده: ((إن مرد الكثير من نقاط الضعف والسلبيات والمظالم التى يعانى منها المسلمون اليوم هو سلب السلطه الحقيقيه والسلطان الفعلى من جماهير المسلمين سواء أكان ذلك لحساب استعمار قديم أو آخر جديد. وسيان كان المستبد دون هذه الجماهير بالسلطه والسلطان غريبا عنها أم يتزيا بزيها ويتحدث لغتها ويؤدى مثلها شعائر دينها، أو حتى يؤمها فى أداء شعائر هذا الدين الحنيف))(١)

وهى حقيقه يعرفها المسلمون كلهم ولكن الدكتور لم يصرح بل موه بإدعائه أن السلطه سلبت من الجماهير المسلمه. وإلا ممن يا ترى سلبت السلطه والسلطان الفعل؟ ولماذا هذا التعتيم؟ هل هو حقا كما أراد الباحث أن يقول أى أنها سلبت من (جماهير المسلمين)؟ ومتى كان للجماهير صوتا مسموعا عبر التاريخ البشرى كله لكى يكون لجماهير المسلمين الأوائل صوتا مسموعا وسطوه سلطانيه وهم الذين لم يتمتعوا بحريه الإسلام التى أطلقت أصواتهم عاليه إلا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وفى عصره؛ ثم سلب منهم هذا الحق وصودرت حريتهم لتتم قيادتهم على هوى حكام رسموا لهم خرائط طريقهم وأمروهم بالسير عليها بعد أن أجبروهم على الايمان باءنهم يحكمون ويقادون بموجب نظريه الحق الالهى، إن الباحث استخدم نفس الأسلوب التمويهى الذى استخدمه السياسيون الدنيويون باستخدامه مصطلح (جماهير المسلمين) الذى هو ترجمه حرفيه لما يعرف ب (السياده الشعبيه) ويعود تاريخ هذه الفكره إلى عهد الفيلسوف أرسطو، وتعد الشعب هو صاحب السياده. وهى إحدى نظريات النظم السياسيه مثلها مثل نظريه الحق الالهى ونظريه العقد الاجتماعى وغيرها٠ ولماذا لا نجد إشارات صرحيه

۱- الدوله الاسلامیه بین العلمانیه والسلطه الدینیه، الدکتور، ص ۱۲ .

لمن يدعون بأنهم مفوضون بقياده الأمه على أنهم هم الحكام الشرعيون وهم من سلبت

منهم السلطه لتتحول إلى هوس دنيوى لا علاقه له بالدين؟

ثم لماذا نجد السلطويين الدنيويين يهتمون كثيرا بالحق الإلهى ويعتبرون أنفسهم

مخولين من الله للتحكم بمصير الأمه وهو ما لم يدعيه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله ولا أحد من أئمه

أهل البيت الكرام؟ هل تجد فى شريعه الإسلام إشاره ولو بسيطه إلى الحق الإلهى؟ بل

هل تجد فى سلوك النبى والولاه الذين عينهم على الأقاليم ما ينبئك بأنهم مارسوا أو كانوا

يمارسون نوعا من أنواع هذه النظريه حتى ولو بأبسط صورها؟ نعم هناك روايات يبدو

تفسير معناها قريبا من مفهوم نظريه الحق الإلهى، ولكن محورها لم يكن أكثر من اجتهاد

شخصى كما فى قصه عبد الله بن حذافه السهمى، ففى صحيحى مسلم والبخارى من

حديث سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ((نزل قوله تعالى: ((يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى))(۱) فى عبد الله بن حذافه السهمى، بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله فى سريه)).

وفيهما أيضا من حديث الأعمش، عن سعيد بن عبيده، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن

على عليه السلام قال: ((استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله رجلا من الأنصار على سريه، بعثهم وأمرهم أن

يسمعوا له ويطيعوا، قال: فأغضبوه فى شيء، فقال: اجمعوا لى حطبأ، فجمعوا، فقال:

أوقدوا ناراً، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله أن يسمعوا لى وتطيعوا؟ قالوا:

بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله

من النار، فسكن غضبه وطفئت النار، فلما قدموا على رسول الله ذكروا ذلك له، فقال:

لودخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعه فى المعروف))(۲)

۱- سوره النساء: ۵۹

۲- زاد المعاد فی هـدی خیر العباد، الإمام شـمس الدین عبد الله ابن القیم الجوزیه، مؤسـسه الرساله، سـنه النشـر: ۱۴۱۸ / ۱۹۹۸، فصل فی سریه عبد الله بن حذافه السهمی، ص ۳۲۵.

وأعتقد أن الدكتور محمد عماره جاء بهذه الفريه دون دليل بعد أن خلط بينها وبين

ما يعرف بنظام الحكم المدنى أو الحكومه المدنيه، وهى نظام تقيمه الجماعه يستند إلى

قيمها ويرتكز على إرادتها ويستمر برغبتها، ويظل محافظا على اسمه مهما كانت القوانين

التى يحكم بها سواء كانت دينيه بموجب نص مقدس أو فكريه.(۱) وهذا ما لم يتحقق

فى الأقل فى جغرافيتنا العربيه والإسلاميه لا قديما ولا حديثا، و على كل حال أجد أن

الحاكم بموجب هذا النظام حتى و إن كان يعمل بالشريعه المقدسه و يحكم بنصوصها إلا

انه غير معصوم ولا مقدس، ولذا لا يأمن من الخطأ.

ثم ألا يتفق الدكتور عماره معنا على أن الخلافه الإسلاميه بشكلها الذى عرفت به

كانت خلافه بطرائق تنصيب مختلفه ومتنوعه لا تعتمد على منهج واحد بعينه، كانت

خلافه بأربعه طرق فى أولها، ثم ملكيه وراثيه بالنص فى آخرها، لم تنظم بحديث أو قرآن

ولا يوجد نص ربانى أو نبوى فيه مجرد إشاره بسيطه إليها بأشكالها تلك؟ والنظام نفسه

كان نظام حكم مدنى سياسى اتخذ الجانب الدينى منهجا للقوانين فى الأقل مع تسمى

الخلفاء باسم (خليفه الرسول) أو (خليفه الله فى أرضه) وهى مصطلحات إذا لم تكن

قد جىء بها بوحى من نظريه الحق الإلهى فإنها وضعت قواعد تلك النظريه وشجعت

الحكام اللاحقين على العمل بها بالرغم من حسن النوايا الذى جاء بها.

وأجد أن نظام الاستخلاف السياسى الذى بدأ العمل به بعد وفاه النبى صلى الله عليه وآله بكل صيغه المعروفه هو الذى زرع بنور الفتنه والفرقه فى الإسلام بدءاً من زحزحه

الخلافه عن على عليه السلام فى مؤتمر السقيفه مما دفعه ليكون فى جانب المعارضه، وصولا إلى

كل الجبهات الأخر التى فتحها النظام أو أسس القواعد التى تعتمد عليها فى انفتاحها

١- ينظر: الخلافه الإسلاميه، محمد سعيد العشماوى، مصدر سابق، ص ١٧ .

لتصبح فى القرن الرابع الهجرى (۳۳۴ هجريه/ ۹۳۵ ميلاديه) مجموعه كبيره من الجبهات المتعارضه التى استقلت بشكل أو بآخر عن الأصل؛ فكانت فارس و الرى وأصبهان والجبل بيد بنى بويه، وكرمان بيد محمد بن إلياس، والموصل وديار بكر وديار ربيعه وديار مضر بيد بنى حمدان، ومصر والشام بيد محمد بن طغج الأخشيدى، والمغرب وشمال أفريقيا بيد الفاطميين، والأندلس بيد ملوك الطوائف وخراسان بيد نصر بن احمد الساسانى، والاهواز و واسط والبصره بيد البريديين، واليمامه والبحرين بيد طاهر القرمطى، وطبرستان وجرجان بيد الديلم، وبغداد بيد الخليفه(۱)

ولكى نبرئ السابقين من المسلمين العقائديين من مغبه حملهم وزر إدخال نظريه الحق الإلهى إلى المجتمح المسلم، أؤكد أنها أدخلت إلى الإسلام على يد السياسى معاويه أول خليفه أموى بعد أن سلب السلطه من أهلها الفعليين بعد صلح وقتل الإمام الحسن عليه السلام، فأذل الناس، ولذا قال عمر بن بشر الهمدانى: ((قلت لأبى إسحاق: متى ذلّ الناس؟ قال: حين مات الحسن وادّعى زياد، وقيل حجر بن عدى))(۲) ويجد من يتابع منهجيه حكم الخلفاء الأمويين أنهم أول من سلب سلطه العدل الربانى والتصيب الربانى، وحكموا بموجب سلطه الحق الإلهى مستخدمين الدين كواجهه تخنيع للأمه؛ فمعاويه بن أبى سفيان (۲۰ ق ه‍ ۶۰ ه‍ / ۶۰۳- ۶۸۰م) كان يصرح علنا أن مال دوله الإسلام ومال الشعب المسلم هو مال الله، وهذه كلمه حق ولكن أريد بها باطل يوم حرفت عن مقصدها عندما ادعى لنفسه الحق بالتصرف فى هذا المال منعا و منحا حسب الرغبه، لماذا؟ لأنه حسب زعمه القاصر خليفه الله فى الأرض وممثل الحق الإلهى؛ حيث قال: ((الأرض لله وأنا خليفه الله فما أخذت فلى وما تركته للناس فبالفضل منى)).

١- ينظر: الخلافه الإسلاميه، محمد سعيد عشماوى، مصدر سابق، ص ٢٦.

٢- مقاتل الطالبيين، أبى الفرج الاصفهانى، ص ٨٣.

ويتماهى هذا القول مع قول سعيد بن العاص: ((إنما السواد بستان قريش)) وهذه هي الترجمه الحقيقيه لنظريه الحق الإلهي. ولذا ترى أتباع العقيده والمؤمنين حقا بما جاء به الرسول لا يرضون بمثل هذه الآراء المتطرفه ويعترضون بشده عليها، فقد وجد معاويه من يرد عليه ويقول: ((كلا إن هذا مال الله ومال الناس وبإرادنم يتصرفون به))(١)

كانت نظريه الحق الإلهي معروفه قبل الإسلام، وغالبا كان معمولا بها في الامبراطوريات الفارسيه والرومانيه والصينيه والمصريه؛ حيث كان الملوك يستعبدون الناس باعتبار أن الله أو (الإله) يختار من يشاء لممارسه السلطه، وهو الذي اختارهم للحكم ومنه يستمدون سلطتهم، أو يزعم الملوك بأنهم من سلاله عرقيه أسمى من سلاله العنصر البشري أو من سلاله (الآلهه). هذه النظريه تعد من أقدم النظريات، وتعتبر الله أو (الإله) المصدر الحقيقي سلطه الأرضيه، فيترتب على كون الحاكم يستمد سلطته من مصدر علوي إن يسمو على غيره من البشر، وتسمو إرادته على إراده المحكومين، وغلا بعضهم فادعى الإلوهيه، ومن تنازل منهم ادعى أنه من نسل الآلهه. ولذا كانوا يرون أن ما تقدمه لهم الأمم والشعوب من الخدمه والولاء والخضوع المذل والتضحيه ليس إلا واجبا مقدسا يقومون به تجاه العرش والسلطان.

هذه النظريه بدأت بالاندثار في العصور الأوربيه الوسطى بعد أن اشتد النزاع بين الكنيسه وملوك أوروبا، وظهرت البروتستانتيه على يد (مارتن لوثر) سنه ١٥٢٠م.

ولكنها لم تمت؛ فالأباطره طالما أدعوا أن لهم حق حكم الناس وفق مشيئتهم وهواهم، ((و ظلت عروش أوروبا تتوارثها سلالات وعائلات معينه لايجرؤ أحد أن ينافسهم ولا يستسيغ إنسان أن يسأل لماذا يحكم هؤلاء؟ وبماذا يحكمون؟، فالرعاع كلهم مقتنعون تماماً بأنهم يستمدون حكمهم من الله مباشره! وظهر فلاسفه وباحثون برروا هذا الاستبداد

۱- الفتنه الکبری، طه حسین، طبعه القاهره، ۱۹۷۰، ج ۲، ص ۲۳۴- ۲۳۵.

والعبوديه وفلسفوها فى قوالب متعدده؛ فجاء (هوبز) ليتملق ملوك عصره مطالبا بأن لهم الحق فى سلطه مطلقه يستطيعون بها تتفيذ العقد الموهوم، وكذلك كان (جان بودان) (١٥٩٦) و(جروتس) (١٦٤٥) من المدافعين عن الحكم المطلق، ويعلل (بودان) ذلك بأن الحكم غير المطلق معرض للثورات والفتن وصرع الأحزاب، وينكر نظريه العقد المجتمع؛ لأنها تمنح الفرد الشعور بالمشاركه فى تكوين الدوله. أما (جروتس) فيدافع عن الاستبداديه بذريعه أنها أفضل السبل لتطبيق القانون الطبيعى، وإن الناس إذ قد ارتضوا هذا النوع من الحكم، فليس من حقهم أبداً أن يراجعوا عنه))(١)

أما فى المجتمع العربى الذى كانت الطبقيه فيه تمثل نوعا من نظريه الحق الإلهى الفطريه ولاسيما قبل عصر البعثه، فإن الإسلام حينما جاء أعاد الأمور إلى نصابها ورد العبوديه كلها لله وحده، وفرض على الحكام تبعات ومسؤوليات تناسب مركزهم فى الأمه، فرأى الناس فى معظم أنحاء المعموره ولاه المسلمين يرعون مصالحهم، وينهضون بأعباء المسؤوليه كامله فى الوقت الذى لا يتميزون فيه عن الأمه بكبير فرق. وبقيت النظريه تتحكم بشعوب العالم الأخر، أما الشام التى حكمها معاويه واليا لعشرين عاما وخليفه لعشرين عاما جغرافيا، سبب قربها من أرض الروم ونظمهم فى الحكم وهم أشهر من طبق نظريه الحق الإلهى، جعل السياسيين العرب الشاميين على إطلاع تام على النظريه و سبل تطبيقها، ولذا ما إن ضرب معاويه الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام عرض الحائط حتى أعلنها صراحه وبدون مواربه بأنه يحكم باسم الله وله من الحق على الناس مثل ما لله سبحانه. وبذلك يكون معاويه هو مؤسس نظريه الحق الإلهى فى المجتمع الإسلامى، هذه النظريه التى ألحقت بالدين ضرراً بالغا بتمسحها به وانتسابها اللفظى إليه وادعاء طواغيتها أنهم يستمدون سلطتهم من تفويض الله لهم، إذ

۱- ينظر: علمانيه الحكم، الشيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالى، الفصل الأول

نجم عن ذلک رد فعل عنیف ضد الدین من قبل من یسمون دعاه الحریه الذین وجدوا

فی هذ٥ الدعوه فرصه لمهاجمه الدین متذرعین بأنه یبارک الطغیان ویقدس الدکتاتوریه.

والحق الذی لا مریه فیه أن الحکام الذین مارسوا الطغیان متسترین بهذه الدعوه هم أبعد

ما یکونون عن تنفیذ القانون الإلهی، أی الحکم بما أنزل الله، فوق أنهم لا یستطیعون

بل یعجزون عن إقامه الدلیل علی أن الله منحهم الحق فی التسلط علی الأمم وإذلال

الشعوب باسمه. وواخ التاریخ یؤکد أن العدل الربانی والطغیان البشری نقیضان لا

یجتمعان، وأن الذین کانوا یحکمون بما أنزل الله فعلا ویستندون فی سلطتهم إلی الوحی

الإلهی حقیقه، هم أعظم حکام البشریه عدلا وإنصافا وأشدهم رحمه وتواضعا، وأنهم

بفضل ذلک حققوا فی دنیا الواقع ما کان الفلاسفه یحلمون به فی الخیال، وعکس ذلک

تماما کان الحکام الطغاه الذین یتبجحون بنظریه الحق الإلهی، فهم یمثلون أسوأ النماذج

للجبروت والاستبداد(۱)

ومع کل ما سببته هذه النظریه من تخریب للإسلام وأهله نجد للأسف أن هناک

من یحاول التقلیل من تأثیرها أو اتهام الآخرین بالرضوخ لسطوتها وتبرئه أسیاده منها؛

دفاعا عن الذین جاءوا بها وحکموا الأمه المسلمه بسلطانها حیث قال الدکتور محمد

عماره بهذا الصدد: ((فنحن نجد فی مقابل تلک الفلسفه وتطبیقاتها وهی لم تبلغ فی تاریخنا،

والحمد لله، بعض ما بلغته فی تاریخ غیرنا من الأمم، نجد المواقف الفکریه الشجاعه

التی رفضت تلک الفلسفه))(۲) ولکنه رفض التصریح باسم الجهه أو الأشخاص الذین

عارضوها وکیف کانت معارضتهم لها؛ لأنهم بالتأکید من أئمه الشیعه، ولذا تراه یلجأ

إلی التمویه فیعود للحدیث عن السلطه الدینیه التی هی بکل المقاییس أفضل وأشرف

١- ينظر: علمانيه الحكم، الشيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الخوالى، الفصل الأول.

٢- الدوله الإسلاميه، ص ٢٠

من نظريه الحق الإلهى، ليتهم مذهب التشيع و أئمته بأنهم الوحيدون الذين طبقوها فى

الدوله الإسلاميه ولو فى الجانب الفكرى؛ حيث قال: لقد كان فكر السلطه الدينيه

وكذلك تطبيقاتها فى حضارتنا العربيه الإسلاميه النقطه السوداء التى مثلت الشذوذ

الذى يثبت قاعده(لأفق الإسلام) لهذا الفكر وإنكار الأمه وعامه مفكريها لتطبيقاته.

فظلت هذه الدعوى، فى سماء حضارتنا وتاريخنا، سحابه صيف لم تتجد فى مؤسسات

ولم يجتمع حولها جهور ولم يقم لها باستثناء الشيعه مذهب فى إطار مذاهب الإسلاميين.

وإنما وقفت عند هذه الشبهات)).(۱)

وهو يموه هنا على نظريه الحق الإلهى بنظريه السلطه الدينيه، ويخلط بينهما لغايات

معروفه(۲) أراد من خلالها القول بأن أئمه الشيعه هم أول من ادخل نظريه الحق الإلهى

إلى الحضاره الإسلاميه بقوله: ونحن إذا ذهبنا نبحث عن الملابسات التى صاحبت

دخول فكره(السلطه الدينيه) ونظريه(الحكم بالحق الإلهى) إلى تراث الإسلام الفكرى

على يد الشيعه فى النصف الثانى من القرن الهجرى الأول، وجدنا تلك الملابسات))(۳)

أى انه يتهم الإمام عليا و الإمام الحسن عليهما السلام اللذين حكما فى النصف الأول من القرن

الهجرى الأول بأنهما حكما بموجب هذه النظريه، مع علمه أن هذه النظريه دخلت إلى

الفكر الإسلامى على يد الأمويين فى أواخر النصف الأول من ذلك القرن وتحديدا بعد

۱- الدوله الإسلاميه، ص ۲۱

۲- كما فى كتابه (الدوله الإسلاميه بين العلمانيه والسلطه الدينيه) الذى أصدرته دار الثقافه الجديده، وهى كتب تتماهى مع ما يدور فى الغرب من حديث عن السلطه الدينيه، وفيه شبه من كتاب ((مادلين اولرايت)) (الجبروت والجبار تأملات فى السلطه والدين والشؤون الدوليه) الذى كتب مقدمته الرئيس الأمريكى بيل كلينتون، وترجمه إلى العربيه عمر الايوبى، ونشرته الدار العربيه للعلوم ناشرون، عام ۲۰۰۷.

۳- الدوله الإسلاميه، ص۲۲

صلح الإمام الحسن علیه السلام واستیلاء معاویه علی الحکم. أما أئمه النصف الثانی من القرن الأول فهم الحسین وعلی بن الحسین و محمد الباقر علیهم السلام. الذین أبعدوا عن الحکم کلیا وکانوا تحت عسف و جور الحکام الامویین، فمن أین لهم أن یسوسوا الناس بموجب هذه النظریه؟ وتری تحیز الدکتور عماره واضحا من خلال سعیه لتبرئه الذین قاموا حقا بالحکم بموجب النظریه ولصقها بأئمه التشیع الذین لم تتح لهم فرصه الحکم، بینما نجد باحثین آخرین یعترفون بما لم یتحدث عنه، ولکنهم یقعون فی الخطأ نفسه حینما یتهمون أئمه الشیعه، کما فی قول الدکتور صبری محمد خلیل: ((فی إطار الفکر السیاسی الإسلامی نجد مذهب یقارب مذهب الکهنوتیه،ویتمثل فی مذهب الاستخلاف الخاص، والقائم علی أن الحاکم یتفرد دون الجماعه بالاستخلاف عن الله فی الأرض، وهو مذهب قال به بعض الخلفاء الأمویین والعباسیین، وقال به الشیعه فی حق ألائمه من أحفاد علی علیه السلام (۱) لقد علل الدکتور صبری وقوع التشیع بهذا الخطأ باعتبار إن: ((وجه الخطأ فی هذا المذهب هو ان الاستخلاف الخاص قصور علی الأنبیاء،وبختم النبوه و بوفاه الرسول صلی الله علیه وآله انتهی هنا النوع من أنواع الاستخلاف، والقول بهذا المذهب یعنی المساواه بین الحاکم والنبی فی الدرجه))(۲)، وهنا قصور فی البحث، لأن الباحث لو تعمق فی البحث لوجد أن الفقه الشیعی یثبت وجود نصوص نبویه علی الاستخلاف.

إن الدکتور محمد عماره وفی محاولته تجاوز اتهامه لأئمه التشیع ادّعی بأنها وجدت عند العلویین: ((کرفض لسلطه البشر الظالمه، وتتعلق بالمطلب الرامی والداعی إلی

۱- البحث الموسوم (مفهوم السلطه الدینیه فی الفکر السیاسی المقارن) الدکتور صبری محمد خلیل أستاذ الفلسفه جامعه الخرطوم، مدونه الکاتب، الرابط drsabrikhalil.word...

٢- المصدر نفسه، مفهوم السلطه

استبدال هذه السلطه الإلهيه العادله بالسلطه البشريه الظالمه))(١)، وهذا وربى منتهى التحيز البعيد عن العقلانيه. وفيه دلاله على أن النهج السياسى التعليلى الأول لا زال مستخدماً بنفس القوه ونفس الآسلوب. علما بأن هناك كثيراً من الباحثين الذين أدانوا مثل هذه التحليلات القاصره مثل الدكتور صبرى محمد خليل أستاذ الفلسفه بجامعه الخرطوم الذى قال عن هذا الرأى الذى أسماه بالمذهب الكهنوتى: ((يستند إلى تصور معين لطبيعه العلاقه بين السلطتين الدينيه والسياسيه يجعل العلاقه بينهما علاقه تطابق وخلط، ويتمثل فى نظريتى الحكم بالحق الإلهى والعنايه الإلهيه.هذا التصور مرفوض إسلاميا، لأنه يودى إلى تحويل المطلق عن قيود الزمان والمكان (الدين) إلى محدود بالزمان والمكان نسبى فيهما (الدوله أو السلطه)، أو العكس أى تحويل ما هو محدود بالزمان والمكان نسبى فيهما (الدوله) إلى مطلق، أى إضفاء قدسيه الدين و اطلاقيته على البشر واجتهاداتهم المحدوده بالزمان والمكان، وهو ما رفضه الإسلام حين ميز بين التشريع الذى جعله حقا لله والاجتهاد الذى جعله حقا للناس. ومضمون هذا المذهب هو إسناد السلطه الدينيه والسياسيه إلى فرد أو فئه، ينفرد أو تنفرد بها دون الجماعه (رجال الدين). وهو مذهب مرفوض فى الإسلام))(٢)

واتماما لما بدأه الدكتور عماره حاول التعلل بركن الإمامه فى الفقه الشيعى والانتقاص منه كما هو ديدنهم على مر التاريخ، متهما الفكر الشيعى بأنه جاء بركن الإمامه من مخترعاته تطبيقا لنظريه الحق، الإلهى وليس من تعاليم الإسلام ونصوص

١- الدوله الإسلاميه، ص٢٣

٢- البحث الموسوم (مفهوم السلطه الدينيه فى الفكر السياسى المقارن) الدكتور صبرى محمد خليل أستاذ الفلسفه بجامعه

الخرطوم، مدونه الكاتب، الرابط.drsabrikhalil.wordpress.com

الشريعه وكما يتبين من قوله: ((إن جعل النظام السياسى وقمه السلطه فى المجتمع ركنا من أركان الدين وشأنا من شؤون السماء قد أدى إلى عزل البشر وإبعاد الأمه عن أن تكون هى المصدر الأصل والأساسى للسلطه والسلطان))(١) وهو بذلك يختزل كل أقوال المدارس الإسلاميه المختلفه بشأن الإمامه بمجرد كلمات جوفاء، بعيده عن الواقع، وفيها امتهان للعقيده الإسلاميه.

الغريب أن أبناء وأحفاد الفصيل السياسى يبدون متفقين على منهج التشكيك هذا، وكل منهم يطرحه للنقاش من وجهه نظره الخاصه، ولكنهم جميعا يبغون الوصول إلى هدف واحد، فقد قال الدكتور: ((يعتقد الشيعه أن على بن ابى طالب وذريته من بعده هم أصحاب الحق الشرعى فى حكم الدوله الإسلاميه ويرون أن بنى أميه قد انتزعوا الخلافه من أصحاب الحق فيها، ولذلك لم يعترفوا بحكمهم وولوا عل أنفسهم أئمه من ذريه على و آمنوا أن الواجب يملى عليهم أن يعملوا جاهدين ليجمعوا لهؤلاء بين الخلافه التى تمثل السلطه الزمنيه والإمامه التى تمثل السلطه الدينيه الروحيه))(٢) وهى الآراء السقيمه التى أخذ بها المستشرقون وأعادوا صياغتها وطرحها إلى التداول فألحقت الضرر بالإسلام الحقيقى وانتصرت للسياسيين، وعلى سبيل المثال تجد فى القسم الخامس من كتاب (العقيده والشريعه فى الإسلام) للمستشرق (أجناس جولد تسيهر) -وهو قسم مخصص للحديث عن الفرق فى الإسلام— قول المؤلف: ((فالخليفه فى الإسلام السنى تعقد له البيعه لتنفيذ أحكام الشريعه الإسلاميه لكى ترتكز فى شخصه واجبات الجماعه الإسلاميه... ومجمل القول أن الخليفه يجتمع فى شخصه السلطه القضائيه

١- الدولهالإسلاميه ٠

٢- الدوله الفاطميه، قيامها ببلاد الغرب وانتقالها إلى مصـرإلى نهايه القرن الرابع الهجرى،الدكتور عبد الله محمد جمال الدين،دار الثقافه والنشر والتوزيع، القاهره، مصر، ١٤١١١٩٩١م، ص٣٨.

والإداريه والعسكريه فى الدوله.. وليست له صفه أخرى سوى أنه خليفه لسلفه وقد

تقلده بواسطه بشريه... فالخليفه عند أهل السنه ليست له سلطه روحيه لها حق الهدايه

والإرشاد))(١)

إن هذا القول بعيد عن الحقيقه كليا ولاسيما فيما يخص الخلافه الأولى أو ما يعرف

باسم (الخلافه الراشده)، حيث لا ترى مدرسه الخلفاء فى سنه الخلفاء الراشدين امتدادا

لسنه النبى، وإنما تراها مكمله تفرض الهدايه والإرشاد وهى مفعمه بالسلطه الروحيه

تماما كما كانت السنه النبويه، الخلفاء أنفسهم كانوا يبحثون عن اسم له علاقه بهذه

السلطه وبهذه المهمه، فتسمى الخليفه الأول أبو بكر باسم (خليفه رسول الله) وأراد

الخليفه الثانى عمر تسميه نفسه (خليفه رسول الله) واستخدم المصطلح مده يسيره ثم

ألغى بسبب التعقيد لا أكثر. كذلك التسميه بحد ذاتها فيها دلالات أكيده على هذا

المنهج، أى منهج الاستمراريه التى تمنح الخليفه سلطه روحيه لها حق الهدايه والإرشاد،

فأنظر إلى ما أخرجه ابن سعد فى طبقاته: ((قال صالح بن كيسان: وأخبرت عن عبد

الرزاق قال: أخبرنا معمر أخبرنى صالح بن كيسان قال: اجتمعت أنا والزهرى ونحن

نطلب العلم فقلنا نكتب السنن، قال: وكتبنا ما جاء عن النبى صلى الله عليه وآله قال: ثم قال: نكتب ما

جاء عن الصحابه فإنه سنه! قال: قلت: إنه ليس بسنه فلا نكتبه، قال: فكتب ولم أكتب

فأنجح وضيعت...! كما ولهم فى ذلك حديث يقول: (عليكم بسنتى وسنه الخلفاء

الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)))(٢)

وتجد فى تاريخ بغداد: ((قال أبومعاويه: دخلت على هارون -يعنى (أمير المؤمنين)-

---

١- العقيـده والشـريعه فى الإسـلام، للمستشـرق أجناس جولد تسـيهر، نقله إلى العربيه محمد يوسف موسـى وآخرون، دار الرائد

العربی، بیروت، ۱۹۴۶ ،ص ۱۸۲ ۰

۲- طبقات ابن سعد، ج۲، ص ۳۸۸.

فقال لی: یا أبا معاویه هممت أنه من ثبت خلافه علی فعلت به وفعلت به، فسکت،

فقال لی: تکلم، تکلم! قال: قلت: إن أذنت لی تکلمت. قال: تکلم. فقلت: یا أمیر

المؤمنین، قالت تیم: منا خلیفه رسول الله صلی الله علیه وآله ، وقالت عدی: منا خلیفه خلیفه رسول

الله صلی الله علیه وآله ، وقالت بنو أمیه: منا خلیفه الخلفاء، فأین حظکم یا بنی هاشم من الخلافه، والله

ما حظکم فیها إلا ابن طالب! فقال: والله یا أبا معاویه، لا یبلغنی أن أحدا لم یثبت

خلافه علی، إلا فعلت به کذا وکذا))(۱) وفی مسند أحمد: ((قیل لأبی بکر یا خلیفه الله،

فقال: أنا خلیفه رسول الله صلی الله علیه وآله ، وأنا راض به، وأنا راض به، وأنا راض)).(۲)

وفی شرح نهج البلاغه: ((قال رجل لعمر یا خلیفه الله، قال: خالف الله بک، قال:

جعلنی الله فداک! قال: إذن یهینک الله)).(۳) بل وهناک من سمی الخلیفه عثمان بعد وفاته

باسم خلیفه الله! فقد قال شاعرهم، ونسبوه إلی لیلی الآخیلیه کما فی الطبرانی الکبیر،

ومجمع الزائد:

أبعد عثمان ترجو الخیر أمتهقد کان أفضل من یمشی علی ساق

خلیفه الله أعطاهم وخولهممن کان من ذهب حلو و أوراق(۴)

هذه الثقافه ترجها الحجاج بن یوسف الثقفی وخالد بن عبد الله القسری ولاه

بنی أمیه علی الاقالیم، قال الجاحظ: ((خطب الحجاج بالکوفه، فذکر الذین یزورون قبر

رسول الله صلی الله علیه وآله بالمدینه، فقال: تبا لهم، إنما یطوفون بأعواد، ورمه بالیه! هلا طافوا بقصر

أمیر المؤمنین عبد الملک؟! ألا یعلمون أن خلیفه المرء خیر من رسوله؟.

۱- تاریخ بغداد، الخطیب البغدادی، ج۲، ص ۳۰۱.

۲- مسند أحمد، ج ۱ ، ص ۱۰و۱۱ ۰

۳- شرح نهج البلاغه ج۱۲ ، ص۹۴

۴- الطبرانی الکبری،ج ۱ ، ص۸۶، ومجمع الزائد، ج۹، ص۹۹.

وعليه قال المبرد: إن ذلك مما كفرت به الفقهاء الحجاج. وأنه إنما قال ذلك والناس يطوفون بالقبر. وهذه القضيه معروفه ومشهوره. وكتب الحجاج إلى عبد الملك: إن خليفه الرجل فى أهله أكرم عليه من رسوله إليهم، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزله من المرسلين)). (۱) وقد ادعى الحجاج أن خبر السماء لم ينقطع عن الخليفه الأموى(۲) وكان الحجاج يرى ان عبد الملك بن مروان معصوم!(۳) بل كان يرى نفسه: أنه لا يعمل إلا بوحى من السماء، وذلك حينما أخبروه أن أم أيمن تبكى لانقطاع الوحى بموت رسول الله صلى الله عليه وآله (۴)

وقال خالد بن عبد الله القسرى، وذكر النبى صلى الله عليه وآله : ((أيما أكرم رسول الرجل فى حاجته أو خليفته فى أهله! يعرض أن هشاما خير من النبى صلى الله عليه وآله)). (۵) وقال أيضاً: ((والله لأمير المؤمنين أكرم على الله من أنبيائه)). (۶) وزعم خالد أيضا: ((أن عبد الله بن صيفى سأل هشاما، فقال: يا أمير المؤمنين أخليفتك فى أهلك أحب إليك وآثر عندك أم رسولك؟ قال هشام: بل خليفتى فى أهلى ٠ قال: فأنت خليفه الله فى أرضه وخلقه، ومحمد رسول الله (مر) إليهم؟ فأنت أكرم على الله منه. فلم ينكر هذه المقاله من عبد الله بن صيفى وهى تضارع الكفر)). (۷)

۱- العقد الفريد ج۲، ص۴۵۳ وجه،ص۱۵ وص۲۵، البدايه والنهايه ج۱۹، ص۱۳۱، وتهذيب تاريخ دمشق ج۴، ص۷۲.
۲- ينظر:تهذيب تاريخ دمشق، ج۴، ص۷۲ .
۳- ينظر: العقد الفريد، ج۵ ، ص۵۲ .
۴- ينظر: تهذيب تاريخ دمشق،ج۴،ص ۷۳، والإمام الصادق والمذاهب الأربعه،ج۱،
۵- الأغانى، أبى الفرج الأصفهانى، ج۱۹ ،ص ۶۰.
۶- ينظر: الأغانى،ج۱۹ ، ص ۶۰، وتهذيب تاريخ دمشق، جه ، ص۸۲ .
۷- الأخبار الطوال، الدينورى، مصدر سابق، ص ۳۴۶.

وربما لهذا السبب يرى الأستاذ إدريس الحسينى انطواء عباره: (الخلفاء الراشدون)

على معنيين اثتين: أحدهما لغوى، والثانى، اصطلاحى. أما لغوياً، فإن عباره: (الخلفاء

الراشدون): إذا فككنا تركيبها، ونظرنا لغويا فى المفردتين المكونتين لها، نجد بأن:

خلفاء، خليفه من الخلافه.. وهى لغه تعنى النيابه.. وخليفه الرجل، من يقوم مقامه..

وفى القرآن. ((ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء))،((فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب))،((و اذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح))،((ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون))،((و اذ قال ربك للملائكه انى جاعل فى الارض خليفه))،((ياداود انا جعلناك خليفه فى الارض))

أما

فى المصطلح: فإن الخلفاء جمع خليفه مشتقه عن مصدر خلافه.. وهى النيابه، والقيام

مقام الرسول صلى الله عليه وآله بعد وفاته، وتمثل كل مهماته، كحمل الناس على الطاعات وتنفيذ

حكم الشريعه.(۱)

ومنه يتضح الخلط الذى وقع به المستشرق (تسيهر) ولاسيما أنه نسب كل ما تقدم

إلى الشيعه وحدهم، كما فى قوله: ((وعلى نقيض ذلك إمام الشيعه، فهو بفضل الصفات

الشخصيه التى أودعها الله تعالى فيه، يعتبره الشيعه هادى المسلمين وفقيههم ووارث

رساله النبى، فيأمر ويعلم باسم الله... وليس للإمام فحسب، صفه الرئاسه للسلطه

الحاكمه المقبوله لدى الله، وإنما يرفعه فوق المستوى البشرى العادى صفات هى فوق

البشريه))(۲)، ويتضح أكثر وأكثر تأثير النهج السياسى على الباحثين المعاصرين، فالذين

قاموا بترجمه كتاب (تسيهر) إلى العربيه وعلقوا عليه وهم كل من محمد يوسف موسى،

۱- الخلافه المغتصبه أزمه تاريخ أم أزمه مؤرخ؟) للأستاذ إدريس الحسينى، كتاب الكترونى،مركز الأبحاث العقائديه www.aqaed.com!

٢-العقيده والشريعه، أجناس جولد تسيهر، ص ١٨٢-١٨٣

المدرس بكليه أصول الدين بالجامع الأزهر، وعبد الرزاق عبد الحق المدرس بكليه الشريعه بالجامع الأزهر وعلى حسن عبد القادر الدكتور فى العلوم الإسلاميه ومدير المركز الثقافى الإسلامى فى لندن، قالوا فى تعليقهم على قول (تسهير): ((ولم ترغب الخلافه العباسيه فى أن تتخلف عن الشيعه فى الآخذ بهذه النظريه، فكانت ترحب عن طيب خاطر بأن يطلق عليها لقب (ميراث النبوه)... ولكن هذه الآسماء والصفات لا تخرج فى دلالتها على أن الخلافه ميراث شرعى للسلطه النبويه على اعتبار أن العباسيين ينتمون إلى آل البيت))(١) وهم بقولهم هذا يريدون تبرئه الآخرين واتهام التشبع بأنه يؤمن ويعمل بنظريه الحق الإلهى، أما ما بدر من الحكام بما يبدو وكأنه تطبيق لهذه النظريه فذلك مرده إلى تأثرهم بالفكر الشيعى لا أكثر! وهذا ما يرفضه (دوايت م. رونلدسن) الذى يرى فى كتابه (عقيده الشيعه) أن الخلفاء الراشدين الثلاثه جاءوا إلى الحكم بموجب نظريه الحق الإلهى، فقال: من المحتمل جدا أن فكره الحق الإلهى التى تقضى بأن يعين كل إمام خلفه لم تبتعد بوضوح فى أول الآمر من الآراء الأخر بالخلافه. فإن عاده القبائل العربيه أن يختاروا من يلى السابق فى الأهميه بمجتمعهم ولا شك أن هذا المبدأ هو الذى تقرر بموجبه اختيار أو تعيين الخلفاء الثلاثه الأول ابى بكر وعمر وعثمان، ويمكن أيضا اعتبار أن عليا جاء إلى الخلافه فى الزمن الذى قدمته الظروف إلى الصف الأول دون أن يكون لذلك أيه علاقه مع الإرث أو التخصيص))(٢) ولكنه عاد وتماهى مع سلفه فأتهم أئمه الشيعه بأنهم حكموا بموجب نظريه الحق الإلهى، فقال: وجاءت تعاليم ابن سبأ ودعوته فى أن عليا بكونه وصى النبى صلى الله عليه وآله . انتقل إليه النور الإلهى أو الروح الإلهى التى

١- المصدر نفسه. حواشى القسم الخامس. ص٣٣٢-٣٣١

٢- عقيدهالشيعه. الدكتور دوايت م .رونلدسن تعريب ع.م. موسسه المفيد. بيروت ١۴۴٠. ه ١٩٩٠م. ص ٨٣

يتمكن من توريثه من شاء))(۱)...

إن أغلب المستشرقين بما فيهم من أسهم فی تحرير (دائره المعارف الإسلاميه) عملوا بجد لترسيخ فكره وجود وتأصل نظريه الحق الالهی عند الشيعه، ومنهم الذين أسهموا فی كتابه هذ٥ الموسوعه مثل: الفرنسی لويس ماسينيون (۱۹۶۲۰۱۸۸۳)، الانكليزی رينولد ألين نيكلس (۱۹۴۵-۱۸۶۸)، دافيد صموئيل مرجليوث (۱۹۴۰-۱۸۵۸) إجناس كولد تسيهر (۱۹۲۱-۱۸۵۰)، الانكليزی أ.ج. أربری، الألمانی كارل بروكلمان (۱۹۵۶-۱۸۶۸) الهولندی كريستيان ستوک هرجروينيه (۱۹۳۶-۱۸۵۷) الفرنسی جودفروا ديمومبين (۱۹۵۷-۱۸۶۲)، الانكليزی توماس ووكر ررنولد (۱۹۳۰-۱۸۶۴)، رينيه باميه (۱۹۲۴-۱۸۵۵) الفرنسی إيفارست ليفی بروفنسال (۱۹۵۵۰۱۸۹۴) السويدی كارل فلهلم سترستين (۱۹۵۳-۱۸۶۶)، الإيطالی جورجيوليفی دلافيدا (۱۹۶۷-۱۸۸۶) الألمانی كارل فلرس (۱۹۰۹-۱۸۵۷) الدنماركی فرانتس بوهل (۱۹۳۲-۱۸۵۰)

ومن يتابع تواريخ ميلاد هؤلاء المستشرقين يجد تقاربا غريبا بما يؤكد أنهم أبناء جيل كتب لهم أن يجندوا للقيام بعمل ضد الإسلام عامه وضد التشيع خاصه، فمن المستحيل أن تنحصر تواريخ ولاداتهم فی المده ۱۸۵۰ إلی ۱۸۶۸ مصادفه. ولقد نجح بعض هؤلاء فی الترويج لفكره أن أئمه أهل البيت عليهم السلام يتم تنصيبهم بموجب نظريه الحق الإلهی، ويحكمون بموجبها بالرغم من أنهم لم يمارسوا الحكم، مع علم هؤلاء المستشرقين الأكيد بأن الحكام السياسيين هم الذين مارسوا الحكم باسم الله، وما من قرار اتخذوه أو حكم أصدروه إلا بوحی من هذه النظريه.

١- عقيده الشيعه. مصدر سابق. ص٨٣

التنصيب الإلهی

أقل ما یمکن أن توصف به الآراء التی تتهم أئمه الشیعه بأنهم حکموا بموجب نظریه الحق الإلهی هو السقم والخواء، أو فی الأقل الخلط المتعمد المقصود؛ فنحن نعرف کما یعرف غیرنا أن هناک اختلافا کبیرا جدا بین نظریه (التنصیب الإلهی) الشرعیه ونظریه (الحق الإلهی) الشرکیه، والفرق بین الاثنین کالفرق بین السماء والأرض. ووفق نظریه التنصیب الإلهی الشرعیه تری مدرستنا بأن تصیب الإمام مکمل لتنصیب النبی، وفق قاعده (اللطف) التی توجب أن یبعث الخالق اللطیف بعباده رسله لهدایه البشر و أداء الرساله الإصلاحیه، فنحن نعتقد أن النبوه لطف إلهی ونعتقد: إن النبوه وظیفه إلهیه وسفاره ربانیه یجعلها الله تعالی لمن ینتجبه ویختاره من عباده الصالحین وأولیائه الکاملین فی إنسانیتهم))(۱) ونعتقد کذلک أن الإمامه لطف إلهی أیضا، ونعتقد: إنها کالنبوه لطف من الله تعالی، فلابد أن یکون فی کل عصر إمام هاد یخلف النبی فی وظائفه من هدایه البشر وإرشادهم إلی ما فیه الصلاح والسعاده فی النشأتین، وله ما للنبی من الولایه العامه علی الناس لتدبیر شؤونهم ومصالحهم)).(۲)

وعلیه نعتقد أن الإمامه أصل من أصول الدین، لا یتم الإیمان إلا بالاعتقاد بها، ولا یجوز فیها تقلید الآباء والأهل والمربین مهما عظموا وکبروا، بل یجب النظر فیها

۱- عقائد الإمامیه،الشیخ محمد رضا المظفر،ط ۲، مرکز الأبحاث العقائدیه، النجف الاشرف،۱۴۲۴ هجریه، ص ۴۷.

۲- عقائد الإمامیه، المظفر، ص ۷۳- ۷۴.

...

كما يجب النظر فى التوحيد والنبوه))(۱) وقد أخرج محمد بن يعقوب الكلينى ((عن على

بن إبراهيم؛ عن أبيه؛ عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليمانى وعمر بن اذينه؛

عن أبان؛ عن سليم بن قيس الهلالى؛ قال: شهدت أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه

الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام و محمدا وجميع ولده و رؤساء شيعته و أهل

بيته؛ ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال له: يا بنى، أمرنى رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصى

إليك و أدفع إليك كتبى وسلاحى كما أوصى إلى و دفع إلى كتبه وسلاحه، وأمرنى أن

آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين؛ ثم أقبل على ابنه الحسين عليه السلام

فقال: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك هذا؛ ثم أخذ بيد على بن الحسين؛

وقال: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك محمد ابن على؛ واقرأه من رسول

الله ومنى السلام)).

هذا هو القانون الإسلامى الذى نص عليه القرآن والسنه؛ فام ذنبنا إذا ما رفض

الآخرون أن يعتقدوا بما جاء به الإسلام فاخترعوا نظرياتهم الخاصه التى لم تستقر على

منهج محدد؛ وإنما فتحت الباب للتعيين والنص والشورى والغلبه بالسيف؛ فهم يرون

أن الخلافه والإمامه بالغلبه كما فى خلافه عبد الملك بن مروان؟ وهل يتهم من يتبع منهج

الإسلام ويمتدح من يشذ عنه لمجرد أن السياسه تريد ذلك؟

إن الاتهامات الفارغه الباطله التى يتهمنا بها الآخرون من أحفاد السياسيين

العرب الأوائل تأتى مكمله لمنهج الإسقاط الذى اتبعه السياسيون القدماء بإسقاط

جرائمهم على الأبرياء والتبرؤ منها(۲)؛ وهو قول مخالف للحقيقه ومجاف لواقع الخلفاء

١- عقائد الاماميه؛ الظفر؛ ص ٧٣.

٢- الإسقاط: آليه نفسيه شائعه يعزو الشخص بوساطتها أو عن طريقها للاخرين أحاسيس وعواطف ومشاعر يكبتها بداخله. وهو حيله دفاعيه ينسب فيها الفرد عيوبه ورغباته المحرمه والعدوانيه أو الجنسيه إلى الآخرين حتى يبرئ نفسه. يقول عالم النفس ((سيجموند فرويد)) مؤسس علم التحليل النفسى: (يشير الإسقاط أولا إلى حيله لا شعوريه من حيل دفاع الأنا وبمقتضاها ينسب الشخص إلى غيره ميولا و أفكارا مستمده من خبرته الذاتيه يرفض الاعتراف بها لما تسببه من ألم وما تثيره من مشاعر الذنب،فالإسقاط بهذه المثابه وسيله للكبت إى اسلوب لاستبعاد العناصر النفسيه المؤلمه عن حيز الشعور... إن العناصر التى يتناولها الإسقاط يدركها الشخص ثانيه بوصفها موضوعات خارجيه منقطعه الصله بالخبره الذاتيه الصادره عنها أصلا، فالإدراك الداخلى يلغى ويصل مضمونه إلى الشعور عوضا عنه فى شكل إدراك صادر عن الخارج بعد أن يكون قد لحقه بعض التشويه) ويرى علماء النفس: أن الأفراد الذين يستخدمون الإسقاط هم أشخاص على درجه السرعه فى ملاحظه وتجسيم السمات الشخصيه التى يرغبونها فى الآخرين ولا يعترفون بوجودها فى أنفسهم،ويظن كثير من الناس أن هذه الاسراتيجيه أو ((الحيله الدفاعيه)) تقلل من القلق الناتج من مواجهه سمات شخصيه مهدده، وتظهر هنا مره أخرى آليه القمع أو الكبت. وجد علماء النفس أن الأفراد العدوانيين الذين لا يدركون مدى شرههم الجنسى مثلا أو عدوانيتهم يلاحظون ذلك فى الآخرين. إن آليه الإسقاط هى آليه نفسيه لا شعوريه بحته وهى عمليه هجوم لاشعورى يحمى الفرد بها نفسه بإلصاق عيوبه ونقائصه ورغباته المحرمه أو المستهجنه بالآخرين، كما أنها عمليه لوم الآخرين على ما فشل هو فيه بسبب ما يضعونه أمامه من عقبات وما يوقعونه فيه من زلات أو أخطاء،فيقول الشخص فى لاشعوره: أنا اكره شخص ما ولكنى أقول هو يكرهنى، هنا أريد أن اخفف من إثمى ومشاعرى الدفينه تجاه ذلك الشخص ويقول علماء النفس: إذا ما قارنا الإسقاط بالتيرير، وكلاهما حيل دفاعيه يلجأ إليها الفرد، فأننا نجد أن الإسقاط عمليه دفاع ضد الآخرين فى الخارج، أما التيرير فهو عمليه كذب على النفس. ويضيف علماء النفس أن الإسقاط إذا كان قائما على شعور عنيف بالذنب أدى إلى حاله اضطراب البرانويا أو ما يصاحبه من هذيان وهلوسه. ويرى عالم النفس ((فرويد)): (ان الإسقاط حيله نفسيه ينسب فيها الشخص سماته الذاتيه وعواطفه وميوله لموضوعات بيئته من أشخاص وأشياء... فالإسقاط لا يقصر على كونه حيله دفاعيه وإنما يفهم بالمعنى الواسع للفظه.) ويرى المتخصصون بأن الإسقاط واحد من مكونات ميكانيزم الدفاع فى منظومه الحيل الدفاعيه، التى يستخدمها الإنسان بهدف خفض القلق والتوتر عن طريق إنكار الواقع وتشوهه وتزيفه. فعجز الفرد عن مواجهه مشكلاته بصراحه يدفعه إلى أساليب من التكيف يقصد بها تخفيف حده التوتر الناتج عن الإحباط. وأسباب استخدام الفرد للحيل الدفاعيه (اللاشعوريه) يأتى لتجنب حالات القلق وما يصاحبه من شعور بالإثم.

أنفسهم؛ وهم الذين ملؤوا الدنيا سلبا وسطوا وعنفا وبغيا وفسقا. وكم كان عمر بن عبد العزيز منصفا فى قوله الذى نقله عنه ابن الأثير فى تاريخه: ((استعرض عمر بن عبد العزيز الوضع فى أيام الوليد بن عبد الملك فقال: الحجاج فى العراق والوليد فى الشام وقره بمصر وعثمان بالمدينه وخالد بمكه.. اللهم قد امتلأت الدنياجورا و ظلما)).(۱)

فهل لحكم السياسيون وفق نظره الإسلام؟ وهل ينطبق عليهم ولو مجرد فصل صغير واحد من فصول نظريه التنصيب الإلهى، لكى تبرا ساحتهم من الظلم بالرغم من كل الأقوال التاريخيه التى قيلت عنهم، ويتهم من اتبع شريعه الإسلام بالشذوذ؟

ومن الذى أبعد البشر عن طريق الهدايه، محمد صلى الله عليه وآله والأئمه المعصومون عليهم السلام من ولده، أم السياسيون الدنيويون الذين لوثوا فطره الدين وحرفوا شريعته فطعن بنزاهتهم من هو من جلدتهم، واتهمهم بالظلم من استلم الحكم بعدهم؛ كما فعل الخليفه الأموى عمر بن عبد العزيز فهو مع اعتزازه بأمويته لمجرد أن رفض سيره الحكام الأمويين واتهمهم بالظلم وأعاد فدک إلى بتى فاطمه عليه السلام قام الأمويون بسمه وقتله كما هى عادتهم فى التخلص من أعدائهم، وفى حجاجه مع الخوارج قالوا له: ((رأيناک خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم، فإن كنت على هدى وهم على ضلاله فألعنهم وابرأ منهم)) (۲)

وكان هذا الخليفه الأموى المعتز بأمويته يردد دائما: ((أهلكنى أمر يزيد، وخصمت فيه، فأستغفر الله،.)) فخاف بنو أميه أن يخرج ما بأيديهم وأن يخلع يزيد من ولايه العهد،

ص:۵۰۳

۱- لقد استشهد الكاتب المصرى المثير للجدل سيد القمنى بذا القول فى مقالته المعنونه (هل كان تاريخنا ماضيا سعيدا؟) التى نشرتها مجله روز اليوسف الصادره يوم الخميس ۹ حزيران ۲۰۱۰.

۲- نهايه الأرب فى فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشى التيمى البكرى، شهاب الدين النويرى، ج۲۱، ص ۳۶۰....

فوضعوا على عمر من سقاه سما. فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاثا حتى مرض ومات.(۱)

لقد بقيت نظريه الحق الإلهى منهجا للحكام السياسيين على مدى الدهر، وقد أثبت الخلفاء العباسيون الذين تسلقوا سلم السلطه بعنوان (الرضا من آل محمد) بعد أن حاربوا وطاردوا وسجنوا وقتلوا آل محمد (عليهم الصلاه والسلام) أنهم نسخه طبق الأصل من الأمويين وقد حكموا تحت ظلال النظريه وباسمها؛ وهذا ما صرح به المنصور العباسى (۹۵– ۱۵۸ ۷۱۴. ۷۷۵م) فی واحده من خطبه المشهوره بقوله: ((أيها الناس لقد أصبحنا لكم قاده وعنكم ذاده، نحكمكم بحق الله الذى أولانا وسلطانه الذى أعطانا... وإنما أنا سلطان الله فى أرضه، وحارسه فى ماله... جعلنى عليه قفلا إن شاء أن يفتحى لإعطائكم وإن شاء أن يقفلنى))(۲) فضلا عن الألقاب التى اختاروها لأنفسهم مثل (الحاكم بأمر الله) وغيرها من الكنى المنتزعه من نظريه الحق الإلهى والتى تدل على التكبر والتجرب والعلو على البشر الآخرين. وهنا يكاد التكبر أن يكون مقرونا بنظريه الحق الإلهى وبعيدآ كل البعد عن التنصيب الربانى.

۱- نهایه الأرب فی فنون الأدب، ص ۳۶۳،ج ۲۱.

۲- الإسلام وأصول الحكم، على عبد الرزاق، بيروت، ۱۹۷۲، ص ۱۱۵.

الكِبرْ

الكبر

لم نسمع أو نقرأ كلمه واحده حتى من أعدى أعداء أئمه أهل البيت عليهم السلام تدعى أن الأئمه المعصومين تكبروا على أتباعهم أو هددوهم ومنعوهم عن إبداء الرأى، والتاريخ يروى لنا قصصا تثبت بأنهم لم يمنعوا عدوهم من إبداء رأيه، وفى نهج البلاغه ((شتم رجل من الخوارج عليا عليه السلام فهم أصحابه بمعاقبته فقال لهم: مه!إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب))

والإمام الحسن عليه السلام مر بالوقف ذاته وتصرف بالسلوك ذاته يوم تعرض للسب من رجل شامى، فتبسم فى وجهه. وهى واقعه شاهده على سلوك الإمام الحسن عليه السلام فى الحياه العامه وطريقه تعامله مع الأحداث الطارئه بما ينسجم مع السلوك الإسلامى السوى فى أعلى صوره، وهى درجه لا يبلغها إلا من وضع فى مركزه الذى هو فيه بتنصيب ربانى. القصه أخرجها الخوارزمى فقال: قال رجل من أهل الشام: قدمت المدينه بعد صفين فرأيت وجلا حضرنا فسألت عنه فقيل: الحسن بن على فحسدت عليا أن يكون له ابن مثله فقلت له: أنت ابن ابى طالب؟ قال: أنا ابنه، فقلت له: بك وبأبيك فشتمته وشتمت أباه وهو لا يرد شيئا فلما فرغت أقبل على، وقال: أظنك غريبا ولعل لك حاجه فلو استعنت بنا لأعناك ولو سألتنا لأعطيناك ولو استرشدتنا أرشدناك ولو استحملتنا حملناك. قال الشامى: فوليت عنه وما على الأرض أحد أحب إلى منه فما فكرت بعد ذلك فيام صنع وفيام صنعت إلا صاغرت إلى نفسى))(١)

١- موسوعه الإمام الحسن www.mezan.net

وأخرجها ابن شهر آشوب: ((ومن حلمه ما روى المبرد، وابن عائشه أن شاميا رآه راكبا فجعل يلعنه والحسن لا يرد فلما فرغ أقبل الحسن فسلم عليه وضحك، فقال: أيها الشيخ أظنك غريبا، ولعلك شبهت؛ فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعا أشبعناك، وإن كنت عريانا كسوناك، وإن كنت محتاجا أغنيناك، وإن كنت طريدا آويناك، وإن كان لك حاجه قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأن لنا موضعا رحبا وجاها عريضا ومالا كثيرا . فليا سمع الرجل كلامه، بكى ثم قال: أشهد أنك خليفه الله فى أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلى، والآن أنت أحب خلق الله إلى وحول رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقدا لمحبتهم)).(۱)

وأخرجها الإربلى: ((روى ابن عائشه قال: دخل رجل من أهل الشام المدينه فرأى رجلا راكبا بغله حسنه، قال: لم أر أحسن منه، فمال قلبى إليه فسألت عنه؟ فقيل لى: أنه الحسن ابن على بن ابى طالب، فامتلأ قلبى غيظا وحنقا وحسدا أن يكون لعلى ولد مثله فقمت إليه فقلت: أنت ابن على بن ابى طالب؟ فقال: أنا ابنه، فقلت: أنت ابن من، ومن، ومن؟ وجعلت اثتمه وأنال منه ومن أبيه، وهو ساكت حتى استحييت منه فلما انقض كلامى، ضحك وقال: أحسبك غريبا شاميا؟ فقلت: أجل، فقال: فمل معى إن احتجت إلى منزل أنزلناك، وإلى مال أرفدناك وإلى حاجه عاونا ك، فاستحييت منه وعجبت من كرم أخلاقه فانصرفت وقد صرت أحبه ما لا أحب أحدا غيره))(۲)

فضلا عن ذلک كان الأئمه المعصومون ميحثون أتباعهم على نبذ التكبر فى تعاملهم

۱- الموسوعه الإمام الحسن

۲- الموسوعه الإمام الحسن

مع الآخر صديقا كان أم عدوا وفى عهده إلى مالك الأشتر رحمه الله قال الإمام على عليه السلام:

وإياك والإعجاب بنفسك والثقه بما يعجبك منها وحب الإطراء فإن ذلك من أوثق

فرص الشيطان فى نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين))(١)

إن سلوك الإمام الحسن عليه السلام مع من تطاول عليه جهلا يعد ترجمه حقيقيه لنظريه

التنصيب الالهى، أما نظريه الحق الالهى فإنها طبعت الذين اتخذوها قاعده بطباع الكبر

والخيلاء، وقد نقل الطبرى عن الوليد بن عبد الملك أنه خطب يوم استخلافه مهددا:

((أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه)) فمن

أين تنبع مثل هذه الأقوال إذا لم تكن نابعه من نظريه الحق الإلهى؟

لذا نجد إن مفهوم الإمره فى الدين وفى منهج أهل البيت عليهم السلام يختلف عن مفهومه

فى السياسه؛ فالسياسه تبحث عن البهرجه الدنيويه وبالتالى تحتاج إلى ما يمنحها قداسه

تبحث عنها فوجدوا ضالتهم فى نظريه الحق الإلهى معينا، وفى الكبر سبيلا. أما السياسه

فى الدين فتبحث عن تطبيق منهاج الشريعه وتمثل الشريعه وقدسيتها حينما يضع المصلح

نفسه موضع من يحتاج إلى الإصلاح والنصيحه.

لقد كان الخلفاء الأمويون مدججين بالحرس المدجج بالسلاح وإذا خرجوا

خرجت معهم الألوف تحرسهم أو تنتظر فتات خبزهم، وفى قصورهم الفارهه لا يمكن

لأحد أن يصل إليهم؛ وقد أورد اليعقوبى نبذه عمن سن و أسس هذا المنهج الاستعلائى

فى الإسلام، بقوله: وكان معاويه أول من أقام الحرس و الشرط والبوابين فى الإسلام

وأرخى الستور واستكتب النصارى ومشى بين يديه بالحراب وأخذ الزكاه من الأعطيه

وجلس على السرير والناس تحته، وبنى و شيد البناء، وسخر الناس ولم يسخر أحد قبله

۱- فلسفه الدوله فی الفکر السیاسی الشیعی، الدکتور الشیخ محمد شقیر، مصدر سابق،ص۸۸

واستصفى أموال الناس فأخذها لنفسه)).(۱)

بينما يحدثنا التاريخ عن سيد سياسه الدين الإمام على عليه السلام أنه كان قد ركب دابه لحاجه فتبعه رجل يمشى خلفه، فالتفت إليه وقال له: ((ارجع فإن مشى مثلك مع مثلى فتنه للمتبوع ومذله للتابع)) وعند سفر الإمام الحسن عليه السلام لأداء فريضه الحج وهى حاله تكررت أكثر من خمس وعشرين مره، كان الحجج يهابونه وينزلون عن رواحلهم احتراما له ويسيرون معه على الأقدام؛ لأنه كان يحج سائرا، حتى اضطر إلى أن يجانب الطريق العام المؤدى إلى مكه لعدم إحراجهم.

أما لماذا هذا السلوك العلوى؟ فلان كلام على عليه السلام أوضح الهدف، فقد صح عنه قوله فى إحدى حكمه العظيمه: ((قلوب الرعيه خزائن راعيها فما أودعها من عدل أو جور وجده فيها)) وقد صح فى أصول الكافى عن الصادق عليه السلام قوله: ((إن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه)) بمعنى: من أحب أن يمشى الرجال خلفه. وفى طريقه إلى صفين. لقى الإمام على عليه السلام دهاقين الأنبار، فترجلوا له واشتدوا بين يديه فسألهم: ((ما هذا الذى صنعتموه))؟ قالوا: خلق منا نعظم به أمراءنا. فقال: ((والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم وإنكم لتشقون به على أنفسكم فى دنياكم وتشقون به فى آخرتكم)).

وقال الامام على عليه السلام: داتقوا الله فى عباده وبلاده فإنكم مؤولون حتى عن البقاع والبهائم))، وكان الإمام على عليه السلام يرى أن (من ملك استبد) ولذا قال وكرر: ((إن الله فرض على أئمه العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفه الناس حتى يتسع على الفقير فقره))

كذلك كان الإمام الحسن عليه السلام يفضل أن يكتب له أهل الحاجه حاجتهم فى ورقه، سئل عن ذلك فأجابهم انه لا يريد للسائلين أن يريقوا ماء وجههم، ليحفظ كرامتهم.

۱- تاریخ الیعقوبی، ج۲،ص ۱۶۲.

أما السياسيون أصحاب نظريه الحق الإلهى فكانوا يرون أنفسهم أغنى الأغنياء؛

ولا قانون يفرض سلطته عليهم حتى ولو كان قانوناً إلهياً، وكانوا يبيحون لأنفسهم

ما لا يبيحونه لغيرهم؛ لأنهم يشعرون بأنهم فوق البشر؛ ورد فى (تجارب الأمم) لابن

مسكويه: ((وفيها -أى سنه ٣٢١ هجريه- خرج أمر (القاهر) بتحريم القيان والخمر

وسائر الأنبذه، وقبض على من عرف بالغناء من الرجال والمخانيث والجوارى والمغنيات

فنفى بعضهم إلى البصره وبعضهم إلى الكوفه، وكان القاهر مع ذلك مولعاً بشرب الخمر

ولا يكاد يصحو من السكر ويسمع الغناء ويختار من جوارى القيان من يريد))(١)

وتجد فى تراث أهل البيت عليهم السلام ما نقله الإربلى عن الإمام الحسن عليه السلام :ومن كلامه:

يا بن آدم أعف، عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسم الله سبحانه تكن غنياً،

وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك

به تكن عدلاً، إنه كان بين أيديكم أقوام يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً،

أصبح جمعهم بواراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً.

يا بن آدم إنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فخذ مما فى يديك

لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع)) وكان يتلو بعد هذه الموعظه((وتزودوا

فإن خير الزاد التقوى))(٢)

إن السياسيين سلبوا حريه النايس وحولوهم إلى عبيد؛ لأنهم يرون أنفسهم فوق

البشر، أما أئمه الحق فقد فتحوا عيون الناس وأمروهم أن لا يقدسوا الحكام الجهله؛

لأنهم أصغر مما يبدون عليه. جاء فى (بلاغات النساء): ((تجرأت امرأه من همدان على

١- المستطرف الجديد، ص ١٤

٢- موسوعه الإمام الحسن

معاويه فقال لها: لقد لمظكم ابن أبى طالب الجرأه على السلطان فبطيئاً ما تفطمون))

فى كتابه (الحريه فى الإسلام) يقول الدكتور على عبد الواحد وافى: ((يقصد بالحريه المدنيه فى الإسلام الحاله التى تجعل الشخص أهلاً لإجراء العقود وتحمل الالتزامات وتملك العقار والمنقول والتصرف بما يملك وقد منح الإسلام هذا الحق جميع الأفراد ما عدا الصبى والمجنون والسفيه))(١)، هكذا بكل بساطه حصر مفهوم الحريه المدنيه فى الحدود الدنيا لمتطلبات العيش والحياه وكأن الحياه لا تتجاوز هذه الحدود الضيقه، مع أنه يعود ويقول: ((ويسوى الإسلام كذلك فى هذا الحق بين المسلمين وغير المسلمين فيقرر أن للذميين فى بلد إسلامى أو فى بلد خاضع للمسلمين لهم ما للمسلمين من حقوق مدنيه)). وفى هذا يقول رسول الله: ((من ظلم معاهداً أو انتقص حقه فأنا خصيمه يوم القيامه))(٢) وفى كتابه (الدوله الإسلاميه) يعتقد الدكتور محمد عماره أن: ((فصائل كثيره من الصحوه الإسلاميه اشتبه عليها الأمر فرددت فكراً ومارست سلوكاً (يوهم) أنها من أنصار (السلطه الدينيه) و (الدوله الدينيه) برغم إعلانها تميز الإسلام عن الكهانه الكنسيه فى هذا المقام. وكما كان الخوف والنفور من علمانيه تفصل الدين عن الدوله مع الجمود والتخلف الموروث من أسباب هذه المقولات والممارسات التى أوهمت تبنى هذه الفصائل لمقوله (السلطه الدينيه) و (الدوله الدينيه) كانت هذه الشبهات من الدوافع التى انضمت إلى (الخيار التغريبى) فدفعت (النخبه المتغربه) للاستمساك أكثر فأكثر بالعلمانيه وفصل الدين عن الدوله))(٣) أما المنطق والعقل فيرى أن الحكام من

١- الحريه فى الإسلام،الدكتور على عبد الواحد، دار المعارف، مصر،١٩٦٨، سلسله اقرأ ٣٠٤؛ص ٩

٢- الحريه فى الإسلام، ٣٠٤،ص ١٠

٣- الدوله الإسلاميه بين العلمانيه والسلطه الدينيه، ص ٦

أئمه الجور حكموا بقانون نظريه المؤامره وقانون الحق الإلهی، وأئمه الحق كانوا یرون

غیر ذلک، یرون كما قال الإمام الصادق علیه السلام إنه:((لا دین لمن دان بولایه إمام جائر))،

ومن قانون التنصیب الإلهی ولد التواضع والتأسی والتشبه بفقراء المسلمین وعامتهم،

وقبالته ولد من نظریه الحق الإلهی الكبری والتجبر. وعلیه تری مدرستنا أن التكبر أحد

درجات الإلحاد، فعن حكیم قال: سألت أبا عبد الله علیه السلام عن أدنی الإلحاد، فقال: ((الكبر

أدناه))(١)

إن الكبر: حاله نفسیه تجعل الإنسان یرفع ویتعالی علی الآخرین... وهو من آثار

العجب وتوابعه، والفرق بینهما أن العجب هو الإعجاب بالذات، بینما الكبر هو التعالی

والتعاظم علی الناس(٢) والتكبر علی عباد الله یرجع بحسب نظر أهل المعرفه إلی التكبر

علی الله، وأقبحه التكبر علی العلماء، ویدخل فی هذا التكبر أیضا رفض مجالسه الفقراء

والتقدم فی المجالس والمحافل وفی المشی والسلوک(٣)بل إن مصدر الكبر هو دونیه

النفس وذلتها؛ فمن یجد فی نفسه ذله یعالجها بالتكبر علی عباد الله سبحانه، وقد صح

عن الإمام الصادق علیه السلام، قوله: ((ما من رجل تكبر، أو تجبر، إلا لذله وجدها فی نفسه))

وصح عنه علیه السلام، قوله:((ما من أحد یتیه، إلاّ من ذله یجدها فی نفسه))

إن توهم الإنسان الكمال یدفعه إلی العجب بنفسه بما یحجب كمال الآخرین، فیراهم

أدنی منه منزله فیترفع علیهم، وقد كان الخلفاء یتكبرون علی كل طبقات الشعب؛ فهم

یعتقدون بأنهم یحكمون باسم الله، ولقد أحیوا العصبیه الجاهلیه؛ لأنها تتواءم مع نظریه

الحق الإلهی، أما أئمه العدل فیرون الناس سواسیه، فقد جاء فی أصول الكافی: ((سحر

١- الكبر، معهد الإمام الخمینی للدراسات الإسلامیه، كربلاء المقدسه، العراق،ص ١

٢- ينظر، المصدر نفسه، الكبر

٣- ينظر المصدر نفسه

بعض الناس من نبطى بحضور الإمام جعفر الصادق علیه السلام، فردهم قائلًا: أصل الرجل عقله، وحسبه دینه، وکرمه تقواه، والناس فی آدم مستوون)).

وفی طبقات ابن سعد: زوج علی بن الحسین ابنته من مولاه واعتق جاریه له وتزوجها، فکتب إلیه عبد الملک بن مروان یعیره فلم یلتفت إلیه. لأن مروان عمل بعصبیته التی زرعت الکبر فی نفسه بعیداً عن الدین، والإمام عمل بدینه بعیدا عن العصبیه. وروی ابن شهر آشوب: عن کتاب (الفنون) عن أحمد بن المؤدب، و(نزهه الأبصار) عن ابن مهدی أنه: ((مر الحسن بن علی علی فقراء وقد وضعوا کسیرات علی الأرض وهم قعود یلتقطونها ویأکلونها، فقالوا له: هلم یا بن بنت رسول الله إلی الغداء، قال: فنزل وقال: إن الله لا یحب المتکبرین، وجعل یأکل معهم حتی اکتفوا والزاد علی حاله ببرکته ثم دعاهم إلی ضیافته وأطعمهم وکساهم))(۱)

قال الخوارزمی: ((عن مدرک بن راشد، قال: کنا فی حیطان لابن عباس فجاء الحسن والحسین فطافا بالبستان فقال الحسن: أعندک غداء یا مدرک؟ فقلت له: طعام الغلمان، فجئته بخبز وملح جریش وطاقات بقل، فأکل ثم جیء بطعامه، وکان کثیر الطعام طیبه فقال: یا مدرک اجمع غلمان البستان، فجمعتهم، فأکلوا ولم یأکل، فقلت له فی ذلک فقال: ذاک کان عندی أشهی من هذا ثم توضأ ثم جیء له بدابته فأمسک ابن عباس له بالرکاب وسوی علیه ثم مضی، فقلت لابن عباس: أنت أسن منهما أفتمسک لهما؟ قال یا لکع أما تدری من هذان؟ هذان ابنا رسول الله، أو لیس مما أنعم الله علی أن أمسک لهما وأسوی علیهما؟))(۲)

۱- موسوعه الحسن http://www.mezan.net/mawsouat/hassan/tawado۳.html

٢- الموسوعه، المصدر نفسه

وكان الإمام على عليه السلام يسمى قصر الإماره فى الكوفه قصر (الخبل) فالأماره فى عقيدته: ((لا تساوى شسع نعلى، ما لم أقم بها عدلا وأدخر باطلًا)) وقضى عمراً فى بيت أم هانى الذى استأجره منها بعيداً عن القصر وبذخه، ومن شده تواضع على عليه السلام أنه كان يغضب إذا داس المسلم نمله فى الطريق، ولذا قال محذراً أصحابه: ((إذا رأيت نمله فى الطريق فلا تدسها، وابتغ بذلك وجه الله عسى أن يرحمك كما رحمتها)) وهذا هو نهج الرساله الحق، وعن فى هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: ((انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه أجدر أن لا تزدروا نعمه الله)).

قال السبزوارى: قال الحسن بن على عليه السلام: ((إذ من أخلاق المؤمنين: قوه فى دين، وكرماً فى لين، وحزماً فى علم، وعلماً فى حلم، وتوسعه فى نفقه، وقصداً فى عباده، وتحرجاً فى طمع، وبراً فى استقامه، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، ولا يدعى ما ليس له ولا يجحد حقا هو عليه، ولا يهمز ولا يلمز ولا يبغى، متخشع فى الصلاه، متوسع فى الزكاه، شكور فى الرخاء، صابر عند البلاء، قانع بالذى له، لا يطمح به الغيظ ولا يجمح به الشح، يخالط الناس ليعلم ويسكت ليسلم، يصبر إن بغى عليه ليكون إلهه الذى يجزيه ينتقم له))(١) وقال الإمام الحسن عليه السلام: ((أوسع ما يكون الكريم بالمغفره إذا ضاقت بالمذنب المعذره))(٢)

لقدكان الإمام الحسن عليه السلام من شده تواضعه عفيفاً مطيعاً مؤمناً صابراً محتسباً، وكان أعبد أهل زمانه وأفضلهم، وكان إذا حج حج ماشياً وربما مشى حافياً، وعن ابن عباس أنه قال: ((ما ندمت على شىء فاتنى فى شبابى إلا أنى لم أحج ماشياً، ولقد حج

١- موسوعه الإمام الحسن، مصدر سابق

۲- موسوعه الإمام الحسن

الحسن بن على عليه السلام؛ خمساً وعشرين حجه ماشياً))،(١) ومره أراد الإمام الانصراف من

مكان كان مجلس فيه، فجاءه فقير فرحب به ولاطفه، وقال له: إنك جلست على حين

قيام منا أفتأذن لى بالانصراف؟ فقال الفقير: نعم يا ابن رسول الله.

ويروى بأن الحسن عليه السلام حينما تسلم الخلافه ساوى بين الناس فى العطاء وساوى بين

سيده قرشيه وأمه فى العطاء، فغاظ القرشيه، فقالت: أتساوى فى العطاء بينى وبين هذه

الأمه؟ فرمقها بطرفه، وأخذ بيده قبضه من التراب، وجعل يقلبها ويقول: لم يكن بعض

هذا التراب أفضل من بعضه.

فضلا عن ذلک سن أئمه الجور قانون السب والشتيمه فى الإسلام، لأنهم متكبرون

يرون أنفسهم فوق البشر، فجعلوا من سب على عليه السلام منه تتقربون بها إلى ربهم الذى

يعبدون، وفى حديثه عن بيعه عمر بن عبد العزيز قال النويرى: ((أول ما ابتدأ به عمر بن

عبد العزيز أن ترک سب على بن أبى طالب عليه السلام على المنابر، وكان يسب فى أيام بنى أميه

إلى أن وفى عمر فترک ذلک، وأبدله بقول الله عز وجل:((إن الله يامر بالعدل و الاحسن و ايتآئ ذى القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى يعظكم لعلكم تذكرون))

فحل ذلک عند الناس محلاً حسناً، وأكثروا مدح عمر بسببه، فكان ممن

مدحه كثير عزه بقوله:

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف بريا ولم تتبع مقاله مجرم

تكلمت بالحق المبين وإنما تبين آيات الهدى بالتكلم

فصدقت معروف الذى قلت بالذى فعلت فأضحى راضياً كل مسلم

ألا إنما يكفى الفتى بعد زيغه

١- أهل البيت الحسن بن على توفيق أبو علم ص ٢٢

من الأود البادی ثقاف المقوم))(۱)

یستوقفنی هنا قول النویری: ((فحل ذلک عند الناس محلًا حسناً، وأکثروا مدح عمر بسببه)) فهذا معناه أن الشعب کان مسلوب الإراده، یخالف الشریعه فی سبیل رضا السلطان، وقد شعروا بعد منع الخلیفه السب بنوع من الحریه التی عبروا عنها بالفرح الذی أظهروه.

وکان الخلفاء الدنیویون یأخذون البریء بذنب المجرم خیر مثال علی ذلک: خطب زیاد بن أبیه خطبته البراء فقال فیها: والله لأخذن البریء بالسقیم والمطیع بالعاصی والمقبل بالمدبر. فنهض أبو بلال بن مرداس وقال: أیها الرجل قد سمعت قولک، ولعمری لقد خالفت ما حکم الله فی کتابه إذ یقول((و لا تزر وازره وزر أخری)). معاویه ذاته بعد أن ولغ فی دماء الهاشمیین کف نوعاً ما عن مطارده الباقین منهم بعد مقتل الحسن علیه السلام ولکنه ضیق علیهم عیشهم، لکی یذلهم ویرغم أنوفهم، ولذا تراه یوم حج سنه ۴۴ هجریه أتاه جماعه من بنی هاشم، وکلموه فی أمورهم، فقال: ((أما ترضون یا بنی هاشم أن نقر علیکم دماءکم وقد قتلتم عثمان حتی تقولوا ما تقولون؟ والله لا أنتم أجل دما من کذا وکذا، وأعظم لهم فی القول))(۲)

بینما ترفع أئمه العدل عن سب أعدائهم الحقیقیین المجرمین، وفی شرح نهج البلاغه: ((خرج بعض أصحاب علی علیه السلام یشتمون أهل الشام فمنعهم، وقال: کرهت لکم أن تکونوا لعانین شتامین، تشتمون وتبرأون؛ ولکن لو وصفتم مساوئ أعمالهم، فقلتم من سیرتهم کذا وکذا ومن أعمالهم کذا وکذا کان أصوب)).

۱- نهایه الأرب فی فنون الأدب، ج۲۱،ص ۳۵۸

۲- تاریخ الیعقوبی،ج۲نص۱۵۵

ان العوالم بساستها، فإذا صلحوا صلحت، وإذا فسدوا فسدت، وبالتالى لا

انماً تولى وحكم وتحكم فى أمه الإسلام إمعات زوايا التاريخ معاويه ويزيد وخلفاء بنى

أميه وبنى العباس والسلاجقه والعثمانيون، الذين تولوا ظلم الناس وسلبهم حقوقهم

ففسدوا وأفسدوا:((سأل معاويه الأحنف بن قيس عن الزمان فقال: أنت الزمان، فإن

صلحت صلح، وإن فسدت فس)). و قد جاء فس نهايه الادب للنويرى قول معاويه:

((نحن الزمان فمن رفعناه ارتفع و من ضعناه اتضع ليكون مصداقاً لهذا الرأى. ولذا

ضعف الواع الدينى عند الناس، وهم يرون ما جاهدوا من أجله يضعهم ويرفع

الإمعات لتحكم باسم الإسلام، فالعين حينما تعذب، تعذب معها الأنهار التى تأخذ

ماءهـا منها،قـدم على عمر بن عبـد العزيز رجل من أهل الثغور له سن و عقل فسأله:كيف رأيت اعمالنا؟ فأجاب: يا امير المومنين إذا طايت البين عذبت الانهار.

ص :٥١٧

الفصل الثالث الصلح فی الجزئیه و الکلیه

اشاره

ص: ۵۱۸

بعض ملامح أخلاق الإمام الحسن عليه السلام السياسيه

يقول السيد صدر الدين القبانجي: ((العقيده الإسلاميه في الله، والإنسان، والكون، هي الأصول النظريه العامه التي يعتمد عليها النظام الإسلامي عموماً سواء في المجال السياسي أو غيره))(١) بمعنى أن هذه الأركان الثلاثه هي أسس السياسه الإسلاميه، ومن تمسك بها من السياسيين يبقى في دائره الدين ومن تخلى عنها، بعضاً أو كلًا يغادر الدائره.

والحسن عليه السلام وفق ما وصلنا عنه حصر نفسه في مركز الدائره ولم يفارقه إلا وهو محمول إلى مدفنه في البقيع، والسياسيون أثبتوا واثبت ما جاء عنهم من قصص وأخبار وروايات أنهم فارقوا الدائره حتى قبل أن يتسلطوا على رقاب الناس. وللتمييز بين المنهجين سوف أطلق اسم (المشرقيين) على أتباع المنهج الإسلامي الإمامي واسم (المغربيين) على السياسيين الإسلامويين الدنيويين وأتباعهم اقتباساً مما جاء في نعي الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رحمه الله لما وصله خبر استشهاده؛ والذي قال فيه:((ألا أن مالك بن الحرث قد قضى نحبه و أوفى عهده ولقى ربه، فرحم الله مالكاً.. لو كان جبلًا لكان فنداً ولو كان حجرًا لكان صلداً.. لله مالك، وما مالك، وهل قامت النساء عن مثل مالك، وهل موجود مثل مالك.. أما والله هلاكه قد أعز أهل المغرب وأذل أهل المشرق))(٢)

وفي حديثي عن سياسه المشرقيين أنقل بدءاً قول الإمام الصادق عليه السلام:((ما من

١- المذهب السياسي في الإسلام، صدر الدين القبانجي،ط٢، دار الأضواء،بنوت، ١٩٨٥م ١٤٠٥ ، ص ١٧

٢- البحار، ج ٣٣ ص ٥٩١

شیء إلا وفیه کتاب أو سنه))[(۱)] لأقول: إن سیاسه الدین لها أصول فی الکتاب والسنه،

والصلح واحد من المناهج السیاسیه یختلف عنه فی السیاسه الدینیه عما هو علیه فی

سیاسه الغربیین؛ فالصلح فی منهج الإسلام والإمامه المعصومه حق مقدم علی الحرب

وقد اخذ الأئمه علیهم السلام ذلک من قوله تعالی:((و إن جنحوا للسلم فاجنح لها)) و لذا تراهم

یتأخرون عن الحرب، إلا إذا ما فرضت علیهم، ویتقدمون إلی الصلح ما دام ذلک ممکناً

ومتاحاً، وفی عهده إلی مالک الأشتر رحمه الله قال سید المتکلمین الإمام علی علیه السلام: ((ولا تدفعن

صلحاً دعاک إلیه عدوک ولله فیه رضی، فإن فی الصلح دعه لجنودک وراحه لهمومک

وأمناً لبلادک))[(۲)]

وفی کتاب الله قوله تعالی: ((لا خیر فی کثیر من نجواهم إلا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلح بین الناس و من یفعل ذلک ابتغاء مرضات لله فسوف نوتیه أجراً عظیماً))[(۳)]وهی الآیه التی قال القرطبی فی تفسیرها: ((لو إصلح بین الناس و من یفعل ذلک ابتغاء مرضات الله فسوف نوتیه أجراً عظیماً)):عام فی الدماء والأموال

والأعراض، وفی کل شیء یقع التداعی والاختلاف فیه بین المسلمین، وفی کل کلام

یراد به وجه الله تعالی. وفی الخبر: (کلام ابن آدم کله علیه لا له، إلا ما کان من أمر

بمعروف، أو نهی عن منکر، أو ذکر الله تعالی). فأما من طلب الریاء والترؤس فلا ینال

الثواب... وعن أنس بن مالک أنه قال: من أصلح بین اثنین أعطاه الله بکل کلمه عتق

رقبه. وقال النبی صلی الله علیه و آله لأبی أیوب: ألا أدلک علی صدقه یحبها الله ورسوله، تصلح بین

۱- الکافی، الکلینی، مج۱ ص ۹۵

۲- نظر:فلسفه الدوله فی الفکر السیاسی الشیعی، ولایه الفقیه أنموذجاً، الدکتور الشیخ محمد شقیر، دار الهادی، بروت، ۲۰۰۲، ص ۸۷

۳- سوره النساء ۱۱۴

أناس إذا تفاسدوا، وتقرب بينهم إذا تباعدوا. وقال الأوزاعى: ما خطوه أحب إلى الله عز وجل من خطوه فى إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءه من النار. وقال محمد بن المنكدر: تنازع رجلان فى ناحيه المسجد فملت إليهما، فلم أزل بهما حتى اصطلحا، فقال أبو هريره وهو يرانى: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: من أصلح بين اثنين استوجب ثواب شهيد))(۱)

وقال ابن كثير:((قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب حدثنا أبى حدثنا صالح بن كيسان حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن أمه أم كلثوم بنت عقبه أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً. وقالت لم أسمعه يرخص فى شيء مما يقوله الناس إلا فى ثلاث: فى الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأه زوجها. وقال الإمام أحمد: عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: ألا أخبركم بأفضل من درجه الصيام والصلاه والصدقه؟ قالوا بل يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين. قال: وفساد ذات البين هى الحالقه. عن حميد عن أنس أن النبى صلى الله عليه و آله قال لأبى أيوب: ألا أدلك على تجاره؟ قال: بل يا رسول الله. قال: تسعى فى إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا. ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً))(۲)

وعلى هذا الاعتبار اتخذ الإمام الحسن عليه السلام الآيه الكريمه والأحاديث النبويه السانده لها فضلاً عما يحمله من موروث روائى عن جده وأبيه مرشداً، وجعل كل ذلك لب منهجه السياسى فى الصلح خاصه والإصلاح بين الناس عامه ابتغاء مرضاه الله

۱- تفسیر القرطبی، سوره النساء
۲- تفسیر ابن کثیر، سوره النساء

سبحانه وتعالى؛ لأنه كان يرى جميع الطرق لأخر مغلقه أمامه إلا الصلح، فإنه كان الخيار الأمثل والحل الأشمل الذى يضمن الحفاظ على قيم الخير بين العالمين. ولذا أرى ويرى كثير من المنصفين ولاسيما منهم من فهم الجهد الكبير الذى قام به الإمام الحسن عليه السلام أهميه الصلح وعظيم شأنه، بل إن محسن الأراكى يرى أن ((صلح الإمام الحسن يعد بحق من أهم المقاطع التاريخيه بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله))(۱)

ومن المتعارف عليه عند العقلاء أنه لا يمكن لمن لا يريد إرضاء الله تعالى، ومن يعارض الحفاظ على قيم الخير ويطمع بالرئاسه والإمره ويسعى إليها على جبال من الجماجم وآهات الأبرياء، أن يكون داعياً لصلح تحقن به دماء المسلمين وتصان أعراضهم، نعم ممكن له أن يسخر هذه المفرده ومضمونها لتحقيق مكاسب سياسيه دنيويه وفق رؤى مكيافلى فى كتابه (الأمير)، حيث قال بعد حديثه عن الممالك التى يتم احتلالها بمساعده الآخرين أو بمساعده الحظ: ((ولما كان ثمه سبيلان آخران للوصول إلى الإماره.. فمن واجبنا أن لا نمر بهما مر الكرام.. وأحد هذين السبيلين يتلخص فى وصول المرء إلى مرتبه الإماره عن طريق وسائل النذاله والقبح))

ولقد أسهب مكيافلى فى حديثه عن صفات هذا النوع من الأمراء بما يبدو متطابقاً كلياً مع أخلاق معاويه الذى وصل إلى الإماره بالمكر والخداع والنذاله والقبح، فقال: ((ارتقى (أغاتو كليس) الصقلى العرش وهو من أحط الطبقات وأدناها فى بلاده (كما كان معاويه من أحط الطبقات وهم الطلقاء) فقد ولد لأب يعمل فى صناعه الخزف، ونشأ على حياه امتازت ببالغ الشر والفظاعه فى جميع مراحلها، ومع ذلك فقد صاحبت فظاعته حيويه فى العقل والجسم (كما كان معاويه يوصف بالعاقل الداهيه) فتمكن

۱- صلح الإمام الحسن وثوره الإمام الحسين من منظور السنن التاريخيه فی القرآن الکريم،محسن الأراکی،مجمع أهل البيت، النجف الأشرف،۱۴۳۳ هـ، ص ۳۳

بعد انضمامه إلى المتطوعه (كما تمكن معاويه بعد انضمامه إلى الإسلام فى أواخر أيامه) من الارتقاء فى مراتبها حتى وصل إلى درجه قاضى القضاه (كما وصل معاويه إلى درجه الولايه على الشام) وعندما عين فى هذا المنصب قرر أن يصبح أميراً (تماماً كما فعل معاويه فى الشام) وأن يحافظ بالعنف ودون اللجوء إلى الآخرين.. وعلى الرغم من هزيمته أمام القرطاجيين ومحاصرتهم له فى مدينته (كما انهزم معاويه فى صفين أمام جيش الخلافه) تمكن من الدفاع عنها (كما فعل معاويه بالدعوه إلى التحكيم) ثم ترك فيها جزءاً من قواته ليواصلوا الدفاع وغزا بالبقيه ساحل أفريقيه (كما فعل معاويه بغزو العراق أيام خلافه الحسن عليه السلام) وتمكن فى وقت قصير من تحرير سراقوسه وإنقاذها من الحصار وأرغم القرطاجيين بعد أن ألحق بهم ضربات شديده على مصالحته (تماماً كما فعل معاويه مع الإمام الحسن عليه السلام) والاكتفاء بسيطرتهم على أفريقيا.وكل من يدرس صفات هذا الرجل وأعماله يتبين له أن ليس فيها ما يمكن أن يعزى إلى الحظ؛ لأنه لم يصل إلى مرتبه الإماره بتعاطف من أى إنسان، وإنما بارتقائه سلم المتطوعه معرضاً نفسه لألوف المشاق والأخطار، وعندما وصل إليها حافظ عليها بتدابير تنطوى على المشقه والأخطار والشجاعه أيضاً. (تماماً كما فعل معاويه) ولا يمكننا أن نطلق صفه الفضيله على من يقتل مواطنيه ويخون أصدقاءه ويتنكر لعهوده ويتخل عن الرحمه والدين(وهى كلها صفات امتاز بها معاويه)... ومع ذلك فإن فظاعته البربريه وتجرده من الشعور الإنسانى مضافين إلى ما لاحصر له من مظالمه لاتسمح لنا كلها باعتباره واحداً من الرجال المشهورين))(١)

أما أن يهدف المتحذلق الانتهازى إلى تحقيق روح الإسلام عن طريق الصلح،

١- ينظر: تراث الفكر السياسى قبل الأمير وبعده، الدكتور فاروق السعد، ط ٢٤، دار الآفاق الجديده، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٩٦-٩٧

فذلك بعيد ومستحيل. ولكن تبدل الموازين والقيم ساوى للأسف بين الاثنين (المؤمن

العقائدى والدنيوى الانتهازى)، بل وفضل الثانى (معاويه) على الأول (الحسن عليه السلام)،

وهذا من عجائب ما مر على الأمه المسلمه وتاريخها. حدث هذا مع أنك تجد فى أقوال

الطرف الأول (الإمام الحسن عليه السلام) أدله على هذا الشاهد لا تجد مثلها أو قريباً منها فى

الطرف الآخر، منها ما أخرج الدولابى: ((عن جبير بن نفير عن أبيه قال: قدمت المدينه،

فقال الحسن بن على عليه السلام: كانت جماجم العرب بيدى يسالمون من سالمت ويحاربون

من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء المسلمين))(۱)، فهذا الابتغاء الوارد فى

هذا الحديث جيد الإسناد لا تجد له مكاناً عند من حارب الحسن عليه السلام، ثم ادعى أتباعه

من بعد: بأنه كان صاحب فكره الصلح حقناً لدماء المسلمين وحفاظاً على الدين، كيف

وهو الذى كان دائب البحث عن الزعامه على حساب أشلاء المسلمين، حتى أنه أمر

قواده بمهاجه حدود الدوله الإسلاميه، ليزعزع حكم الإمام على عليه السلام فهاجم قوافل

الحجاج، وقتل الأبرياء، ونكل بكل محب لعلى دونما سبب، إلا لكى يضعف الخلافه

فتصل إليه معمده بالدماء وأشلاء الأبرياء؟

لقد وعى قلب الإمام الحسن عليه السلام المنهج التربوى الإسلامى ومنهج الإمامه

المعصومه، بعد أن نهل العلم من جده وأبيه وأمه عليهم السلام وبعد أن أعده جده النبى صلى الله عليه و آله.

لأداء الأدوار السياسيه المعقده، وهذا ما سنتومع فيه بعد قليل، وكان قلبه مقبلاً على

الدين، لأنه أبصر الحقيقه تعلماً من أهله ونكتاً فى القلب. ومن المعروف أن المنهج التربوى الإمامى أهتم كثيراً بموضوع شهوات القلب و ميوله، فجاؤوا من هذا الجانب

تبعاً لما أخبرهم به أبوهم الإمام على فى قوله:((إن للقلوب شهوه وإقبالاً وإدباراً، فاتوها

١- الدولابی، وقال فی الهامش: إسناده جید، حدیث ١١٠ ،ص ٧١

من قبل شهوتها و إقبالها، فإن القلب إذا أكره عمى))(۱)

وهو وأخوه الحسين عليه السلام أورثا المعصومين من أولادهم هذا الفهم، فأذاعوه

بين الناس، كما فى قول الإمام الرضا عليه السلام: ((إن للقلوب إقبالاً و إدباراً و نشاطاً و فتوراً،

فإذا أقبلت بصرت وفهمت، وإذا أدبرت كلت و ملت، فخذوها عند إقبالها و نشاطها

واتركوها عند إدبارها وفتورها))(۲)

ولا يخفى أن الإمام الحسن عليه السلام كان شريكاً لأبيه الإمام على عليه السلام فى الحياه السياسيه،

ومنهجهما السياسى واحد مشترک قائم ومبنى على مبدأ الحلال والحرام حرفياً، وهذا

يختلف عن سياسه أهل الدنيا الذين ما إن يدخلوا معلاک السياسه حتى يعطلوا منظومه

الحلال والحرام، وغالباً المنظومه الأخلاقيه كلها. فقد أخرج الخطيب فى تاريخه عن ابن

عائشه قال: ((أفضى الأمر إلى عبد الملک والمصحف فى حجره يقرأ، فأطبقه وقال: هذا

آخر العهد بک)). والروايه من طريق آخر عن ابن الأعرابى قال:((لما سلم على عبد الملک

بن مروان بالخلافه كان فى حجره مصحف فأطبقه، وقال: هذا فراق بينى وبينک))(۳)،

وقال الذهبى: ((أفضى الأمر إلى عبد الملک والمصحف بين يديه، فأطبقه وقال: هذا آخر

العهد بک))(۴)، وقال الراغب فى المحاضرات:((كان عبد الملک بن مروان يسمى حمامه

المسجد للزومه المسجد الحرام، فلما أتاه الخبر بخلافته كان المصحف فى حجره فوضعه

وقال: هذا فراق بينى وبينک))(۵)، وقال الدميرى: ((والذى لقب عبد الملک بحمامه

۱- شرح نهج البلاغه م ۴ ج ۱۶ ص ۱۱

۲- امنهج التربوى عند اهل البيت السيد سعيد كاظم العذارى دار الامين للطباعه و النشر بيروت ص ۱۰-۱۱

۳- تاريخ البغدادى الخطيب البغدادى ج ۱۰ ص ۳۸۸

۴- سير أعلام الانبياء الذهبى ج ۴ ص ۲۴۸

۵- محاضـرات الادباء و المحاورات الشعراء والبلغاء أبی القاسم الحسین بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانی (المتوفی: ۵۰۲ هـ) شرکه دار الرقم بن أبی الأرقم بیروت؛ ۱۴۲۰ هـ ج ۱ ص ۱۷۲

المسجد عبد الله بن عمر بن الخطاب، وجاءته الخلافه وهو يقرأ فى المصحف فطبقه، وقال سلام عليک هذا فراق بينى وبينک)). وفى السياق نفسه، وتبعاً للمنهج نفسه، يذكر أن الحجاج بن يوسف الثقفى كان يدرس القران للأطفال، وعندما التحق بركب عبد الملك بن مروان قال هو الآخر للقران: ((هذا فراق بينى وبينک))!.

إن سياسه الحسن عليه السلام تختلف فى المنهج والمضمون عن غيرها من السياسات، وهى مبنيه على مبانى الإسلام نفسه، ولذا تراه عليه السلام يعبر عن رؤاه فى السياسه يوم سأله بعض الناس عن رأيه فيها، فقال: ((هى أن تراعى حقوق الله، وحقوق الأحياء وحقوق الأموات؛ فأما حقوق الله فأداء ما طلب والاجتناب عما نهى، وأما حقوق الأحياء فهى أن تقوم بواجبک نحو أخوانک ولا تتأخر عن خدمه أمتک، وأن تخلص لولى الامر ما أخلص لأمته، وأن ترفع عقيرتک فى وجهه إذا حاد عن الطريق السوى، وأما حقوق الموات فهى أن تذكر خيراتهم وتتغاضى عن مساوئهم، فإن لهم رباً يحاسبهم))(۱)

ويعبر عن رأيه فى لخليفه الذى يسوس الناس ويقودهم فهو بنظر الحسن عليه السلام: ((من سار بسيره رسول الله صلى الله عليه و آله وعمل بطاعه الله عز وجل. وليس الخليفه من سار بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا أماً وأباً، وعباد الله خولًا، وماله دولًا، ولكن ذلك أمر ملک أصاب ملكاً، فتمع منه قليلًا، كأن قد انقطع عنه))(۲)

ضمن هذه السياقات الحديه مارس الإمام الحسن عليه السلام السياسه العقائديه وهو مايزال

۱- الحياه السياسيه للإمام الحسن فى عهد الرسول صلى الله عليه و آله والخلفاء الثلاثه بعده، جعفر مرتضى العاملى، ط۴، المركز الإسلامى للدراسات، بيروت،لبنان، ۱۴۳۲ / ۲۰۱۱م، ص ۵

۲- الاحتجاج، ج ۱ ص ۴۱۹ والخرائج والجرائح ص ۲۱۸

طفلا لم يتجاوز الخامسه من عمره الشريف، مارسها على يد جده النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. ومن

بين كل المواقف التى أراد النبى صلى الله عليه و آله من خلالها إظهار قيمه وأهميه الحسن والحسين عليهم السلام

فى الحياه العامه للمسلمين لكى تكون دليلًا لمن فى قيمه مرض على إمامتها الشرعيه هناك

فى أقل تقدير ثلاثه مواقف تؤكد بما لا يقبل الشك أن النبى صلى الله عليه و اله كان يعدهما لدور سياسى

قادم يحتاجان معه إلى هذه القوه الروحيه التى لا يمكن نكرانها أو التحجج لتسقيطها

وإبطال أثرها وهذه المواقف الثلاثه هى على التوالى:

• الموقف الأول: شهادتهما على كتاب ثقيف:

حيث أمر النبى صلى الله عليه و آله بأن يوقعا شاهدين على هذا الكتاب المهم بالرغم من صغر

سنهما، مستثنيا كل الصحابه الذين كانوا يحيطون به يومها. وهذا أزعج كثيراً من الأولين

والآخرين. ومن الآخرين الذين أزعجهم هذا التمايز الالهى كان (محمد خليل هراس)

الذى قال فى تعليقه له على الأموال: ((ولا يجوز القول بأن تلك خصوصيه لهما رحمه الله عليها اذ

لا دليل عليها، ومادام الطفل مميزًا يجب أن تعتبر شهادته، فإنه قد يحتاج إليها))(۱)وكفى

برد السيد العاملى إخراساً لمن يبحث عن التأويل المدعوم بكثير من الحقد والكذب،

كفى به دليلًا ليثبت أن قول الهراس مجاف للحقيقه، فقد قال رداً عليه: ((ألم يجد النبى صلى الله عليه و آله

أحداً من الصحابه يستشهده على ذلك الكتاب الخطير الذى يرتبط بمصير جماعه كثيره

سوى هذين الصبيين؟! وهل كان وحيداً فريداً حينما جاءه وفد ثقيف، وكتب لهم ذلك

الكتاب حتى احتاج إلى استشهاد ولدين صغيرين لم يبلغا الخمس سنوات، إن أدنى

مراجعه للنصوص التاريخيه لتبعد كل البعد هذا الاحتمال الأخير، حيث إنها صريحه فى

أن رسول الله صلى الله عليه و آله قد ضرب لهم(لثقيف) قبه فى المسجد ليسمعوا القرآن، ويروا الناس

١- ينظر: الحياه السياسيه للإمام الحسن، جعفر مرتضى العامل ص ٤٣، عن الأموال، هامش ص ٢٨٠

إذا صلوا وكان خالد بن سعيد بن العاص حاضراً، وكان خالد بن الوليد هو الكاتب، ومع ذلك لم يشهدا على الكتاب))(۱)

• الموقف الثاني: اصطحابهما يوم المباهله

وهو ما قال عنه السيد العاملي: ((إن إخراج الحسنين عليهم السلام في قضيه المباهله لم يكن بالأمر الاعتيادي، أو الاتفاقي.. وإنما كان مرتبطاً بمعان ومداليل هامه، ترتبط ترتبط بشخصيه الحسين عليه السلام نفسها، فقد كانا ذلك المصداق الحقيقي، والمثل الأعلى، والثمره الفضلى التي يعنى الإسلام بالحفاظ عليها، وتقديمها على أنها النموذج الفذ لصناعته الخلاقه، والبالغه أعلى درجات النضج والكمال))(۲)

نعم هناك مناقشه طرحها بعض المحققين، مفادها إن:((الآيه لا تدل على أكثر من أن المطلوب هو إخراج أبناء أصحاب هذه الدعوه الجديده، كما يدل عليه قوله (أبناءنا) ولم يقل (أبنائي)، وليس في الآيه ما يدل على لزوم إخراج ابني صاحب الدعوه نفسه، فكون الحسنان ابنين لبعض أصحاب الدعوه كاف في الصدق)). وقد أجاب السيد العاملي على هذا الرأي بقوله:

الأول: إن الإمام علياً عليه السلام قد استدل بهذه الآيه يوم الشورى على أن الله سبحانه قد جعله نفس النبي صلى الله عليه و آله، وجعل ابنيه ابنيه، ونساءه نساءه. واحتج بها أيضاً الإمام الكاظم عليه السلام على الرشيد، واحتج بها يحيى بن يعمر، وكذلك سعيد بن جبير على الحجاج... فلم يكن استدلالهم بأمر تعبدي بحت، وإنما بظهور الآيه، الذي لم يجد الخصم سبيلاً إلا التسليم به، والخضوع له.

۱- الحياه السياسيه للإمام الحسن،ص ۴۳- ۴۴

٢- المصدر نفسه، ص ٢٠

الثانی: لو کان المراد مطلق أبناء أصحاب الدعوه، لکان المقصود بأنفسنا مطلق

الرجال الذین قبلوا بهذا الدین، ولیس شخص النبی صلی الله علیه و آله فقط.. وعلیه فقد کان الأنسب

أن یقول (ورجالنا ورجالکم) بدل قوله (وأنفسنا)(۱).

• الموقف الثالث: مبایعه النبی صلی الله علیه و آله لهما فی بیعه الرضوان.

قال الشیخ المفید رحمه الله: .بیعه رسول الله لهما، ولم یبایع صبیًا فی ظاهر الحال غیرهما،

ونزول القرآن بإیجاب ثواب الجنه لهام علی عملهما، مع ظاهر الطفولیه فیهم)) وهی البیعه

التی قال عنها الخلیفه المأمون العباسی فی ضمن احتجاجاته علی أهل بیته فیما یتعلق

بالإمام الجواد علیه السلام: ((وبایع الحسن والحسین وهما دون الست سنین، ولم یبایع صبیاً

غیرهما))(۲) وأنا أری أن هذه المواقف الثلاثه جاءت ضمن مخطط الإعداد الحیاتی لهما

لکی یتهیئا لأداء عملهما القیادی.

وقد صح عن رسول الله صلی الله علیه و اله أنه قدم الحسن والحسین علیهم السلام إلی الأمه بمقدمات

ترفعهم وتعرف الأمه بهم وبأثرهم المستقبلی، ومن خلال مجموعه ضخمه من الأحادیث،

منها: ((هذان ابنای وابنا ابنتی، اللهم إنی أحبهما فأحبهما وأحب من یحبهما)) وعن

أنس قال: ((سئل رسول الله صلی الله علیه و آله: أی أهل بیتک أحب إلیک؟ قال: الحسن والحسین))

وقوله صلی الله علیه و آله: ((الحسن والحسین إمامان قاما أم قعدا، وفی موده ذوی القربی،إنه صلی الله علیه و آله قال

للحسین: ((أنت سید ابن سید أخو سید، وأنت إمام ابن إمام أخو إمام، وأنت حجه ابن

حجه أخو حجه، وأنت أبو حجج تسعه، تاسعهم قائمهم))، وفی ینابیع الموده قال صلی الله علیه و آله

عن الإمام الحسن: ((وهو سید شباب أهل الجنه، وحجه الله علی الأمه، أمره أمری،

۱- الحیاه السیاسیه للإمام الحسن، جعفر مرتضی العاملی، ص ۲۵-۲۶

٢- المصدر نفسه، ص ۴۵

وقوله قولی، من تبعه فإنه منی، ومن عصاه فإنه لیس منی))، وقوله: ((انا سلم لمن

سالمتم، وحرب لمن حاربتم))(۱)، وفی نص عن أنس بن مالک قال: ((دخل الحسن علی

النبی صلی الله علیه و آله فأردت أن أمیطه عنه، فقال صلی الله علیه و آله: ویحک یا أنس، دع ابنی، وثمره فؤادی، فإن

من آذی هذا آذانی، ومن آذانی فقد آذی الله))،(۲) وعن أنس قال: ((بینما کان رسول الله صلی الله علیه و آله

راقداً إذ جاء الحسن علیه السلام یدرج حتی قعد علی صدره.. فجئت أمیطه عنه، قال: ویحک

یا انس دع ابنی وثمره فؤادی فإن من آذی هذا فقد آذانی ومن آذانی فقد آذی الله))(۳).

إن الوعی السیاسی المبکر للإمام الحسن علیه السلام من غیر تلک النقاط التی ذکرناها

یترجمه موقفه من الخلیفه أبی بکر، فقد جاء فی الصواعق المحرقه لابن حجر:((أخرج

الدارقطنی أن الحسن جاء لأبی بکر وهو علی منبر رسول الله صلی الله علیه و آله فقال: انزل عن مجلس

ابی. فقال: صدقت والله إنه لمجلس أبیک، ثم أخذه وأجلسه فی حجره وبکی. فقال

علی علیه السلام: اما والله ما کان عن رایی، فقال: صدقت والله ما أتهمک))(۴)، وهذا یعنی

أنه علیه السلام کان واعیاً بما یدور وهو لم یتجاوز الثامنه من عمره الشریف بعد.

السیاسیون من جانبهم استغلوا مبدئیه أخلاق المعصومین علیهم السلام، ونفذوا من

خلالها لیثبتوا لأنفسهم بطوله زائفه قائمه علی الکذب والدجل والدس والحقد وقیم

۱- سنن الترمذی ج ۵ ص ۶۹۹، وسنن ابن ماجه ج ۱ ص ۵۲، وینابیع الموده ص ۱۶۵ عنهما و ص ۲۳۰ و ۲۶۱ و۳۷۰ عن جامع الأصول وغیره وروضه الواعظین ص ۱۵۸، وذخائر العقبی ص ۲۵، ومقتل الحسین للخوارزمی ج ۱ ص ۵

۲- الصواعق المحرقه فی الرد علی أهل البدع والزندقه، احمد بن حجر الهیثمی المکی، مکتبه القاهره، مصر، ص۵

۳- أهل البیت، الحسن بن علی،توفیق أبو علم، مصدر سابق، ص ۳۷

۴- الصواعق المحرقه فی الرد علی أهل البدع والزندقه، مصر، ص ۱۷۷

الجاهليه(١)؛ لأنهم يفجرون ويغدرون والمؤمن لا يغدر ولا يفجر.

فضلًا عن ذلك أرادت السياسه التعامل مع كل من وقف بوجهها و اعترض على

مشاريعها بنفس الآليه والأسلوب والشده المفرطه، وهم لشده حرصهم على دنياهم

اعتبروا أبسط الاعمال تحدياً مصرياً وقفوا بوجهه بحزم وقوه مميته، ولم يلتفتوا يوماً إلى

الصلح بوصفه حلًا مقترحاً من الحلول، وقد اعتبروا تهيؤ الإمام الحسن عليه السلام للدفاع عن

مبادئ الإسلام أكبر تحد واجههم؛ لان انتصار الإمام عليه السلام سيعنى هزيمه كليه لا عوده

لهم معها إلى الساحه؛ لكونها تختلف عن كل الهزائم السابقه، وأن يتقدم الحسن عليه السلام

بطلب الصلح فى هذا الوقت المصيرى بالذات، فذلك يعنى أن الموازين سوف تنقلب

وسيتم ترتيب الاوضاع من جديد وهذه اكبر مفاجأه للجميع ولذا ترى السياسيين

يستغلون الفرصه المتاحه ويوظفونها أجل توظيف، ومن أجواء وتمظهرات المفاجأه

تم النظر إلى الصلح آليه ومضموناً فاستحسنه بعضهم، وشكك فيه بعضهم الآخر.

وفى أحسن الاحوال نظر بعضنا إليه على أنه حفظ الإمامه واستمراريه وجودها فى

الدنيا وحفظ الشيعه من الانقراض، وفى أسوئها نظروا إليه على أنه تخل عن المسؤوليه،

وإذلال للشيعه، ولهذا السبب كثرت الاقوال والاعتراضات والتأويلات والشبهات

حول الصلح آليه ومضموناًا!.

لقد أراد الإمام الحسن عليه السلام من خلال الصلح أن يبدأ بترميم أمه جده صلى الله عليه و آله التى

أصابها الوهن مبكراً؛ بسبب الخلافات والصراعات والحروب البينيه المتكرره، بعد أن

عرف بأن الحرب لا يمكن أن تبنى ما تم تدميره، وإنما تزيده سوءاً ودماراً، وكان يراهن

١- بعد أن سار الحسن إلى المدينه: قال المدائنى: فقال معاويه يومئذ للوليد بن عقبه بن أبى معيط بعد شخوص الحسن عليه

السـلام: يا أبا وهب هل مت؟ قال: نعم وشـمرت، قال المـدائنى: أراد معاويه قول الوليـد بن عقبه يحرضه على الطلب بدم عثمان.

ينظر شرح النهج، م ۴ ،ج۱۶ ،ص ۶

على شروط الصلح، فهى بنظره سلاح ذو حدين إذا التزم بها معاويه أفلسته وعرته وفضحته، وإذا لم يلتزم بها تفلسه وتعريه وتفضحه أيضاً، وهو ما حدث فعلاً، وصدق حدس الإمام عليه السلام. وعليه تجد أبناء وأحفاد الفصيل السياسى يجاهدون لتغيير هذه الوقائع والحقائق بشتى السبل، فأحدثوا فى قواعد الفقه شرخاً، وخرجوا على قواعدها العامه والخاصه، ومنها مخالفتهم لما نص عليه الإسلام من وجوب احترام العقود.

أفردت الأعم الأغلب من کتب الحدیث وکتب الفقه أبواباً للحدیث عن (الشروط) ووجوب الوفاء بها، لأن الوفاء بالشروط من أسس دین الإسلام، والإخلال بها یؤدی إلی الإخلال بحقیقه ارتباط المسلم بعقیدته. ولذا کان رسول الله صلی الله علیه و آله یبایع کل من یأتیه لیؤمن بشروط، عن جریر بن عبد الله رضی الله عنه قال: ((بایعت رسول الله صلی الله علیه و آله علی إقام الصلاه، وإیتاع الزکاه، والنصح لکل مسلم))(۱)وفی حدیث آخر: ((فاشترط علی))(۲) وکان شرط البیعه مقدساً حتی قیل أن معاویه جثا علی رکبتیه أمام قیس بن سعد وضرب یده بیده لکی یعقد البیعه معه ویلزمه بها فلا یعد قادراً علی نکثها.

وکان أهل البیت علیه السلام یلتزمون بعهودهم مهما تغیرت الأحوال ویحثون أتباعهم علی الالتزام بها، وفی الطبری: ((حدثنی محمد بن عماره الأسدی قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الأصبهانی، قال: حدثنا المسعودی عن ناجیه عن أبیه، قال: کنا قیاماً علی باب القصر إذ خرج علی علینا فلما رأیناه تنحینا عن وجهه هیبه له، فلما جاز صرنا خلفه، فبینا هو کذلک إذ نادی رجل: یا غوثا بالله، فإذا رجلان یقتتلان فلکز صدر هذا وصدر هذا، ثم قال لهما: تنحیا، فقال احدهما: یا أمیر المؤمنین، إن هذا اشتری منی شاه وقد شرطت علیه ألا یعطینی مغموزاً ولا محذفاً، فأعطانی درهما مغموزا فرددته علیه فلطمنی. فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صدق یا أمیر المؤمنین، قال: فأعطه شرطه، ثم

۱- صحیح البخاری، کتاب الشروط، حدیث ۲۷۱۵، ص ۴۸۱

۲- البخاری، حدیث ۲۷۱۴، ص ۴۸۱

قال للاطم: اجلس وقال للمظلوم: اقتص، فقال: أو عفو يا أمير المؤمنين؟ قال: ذاك إليك،فلما جاز الرجل قال على:يا معشر المسلمين، خذوه، قال: فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضربه خمس عشره دره،ثم قال:هذا نكال لما انتهكت حرمته))(۱)

وفى عهد الإمام على عليه السلام إلى مالك الأشتر رحمه الله: ((وإن عقدت بينك وبين عدوك عقده أو ألبسته منك ذمه فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانه واجعل نفسك جنه دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود))(۲).

فضلا عن ذلك أجمعت المدارس الإسلاميه على وجوب الوفاء بالشروط الجائزه شرعاً والامتناع عن الارتباط بشروط لا تجيزها الشريعه، والشروط أنواع عده، منها:

شروط الصحه: هى التى يتوقف عليها صحه الفعل شرعاً، كشرط الطهاره للصلاه.

وشروط الوجوب: وهى التى يتوقف عليها وجوب العباده على المكلف، كاشتراط الإسلام والحريه.

وهناك شروطا عامه، وأخر خاصه، ويسيره وصعبه، ومن الشروط للمسلم ولمن يريد أن يسلم قول شهاده (لا إله إلا الله محمد رسول الله). وفى حديث السلسله الذهبيه:

((لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يرحل عنها إلى المأمون اجتمع إليه أصحاب الحديث، فقالوا: يا بن رسول الله صلى الله عليه و آله، يرحل عنها ولا تحدثنا بحديث فنستفيده

۱- الطبرى، م ۳، حوادث سنه أربعين للهجره، ص ۹۴۱

۲- فلسفه الدوله فى الفكر السياسى الشيعى، الدكتور الشيخ محمد شقير، ص ۸۸.۸۷

منك! وقد كان قعد فى العماريه فأطلع رأسه وقال: سمعت أبى موسى بن جعفر يقول: سمعت أبى جعفر بن محمد يقول: سمعت أبى محمد. بن على يقول: سمعت أبى على بن الحسين يقول: سمعت أبى الحسين بن على يقول: سمعت أبى أمير المؤمنين على بن أبى طالب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله عز و جل يقول: لا إله إلأ الله حصنى، فمن دخل حصنى أمن من عذابى. فلما مرت الراحله نادانا: بشرطها وشروطها، وأنا من شروطها)).

إن التعامل مع الآخر أيا كان نوعه يحتاج غالبا إلى التشارط دفعا للإيهام وتوضيحا للحدود والاستحقاقات، سلما و حربا، وعلى هذا تطبع المسلمون. وهناک شروط فى البيع و فى المعامله وعند عقد النكاح والطلاق وفى المزارعه والولاء والقرض والوقف. والشروط كما هى واجبه الوفاء فى السلم والحياه العامه فهى واجبه الوفاء فى الحرب كذلک، والوجوب هنا كأى وجوب آخر يوقع تقصيرا شرعيا على من يخل به ويضعه تحت المساءله الشرعيه والأخلاقيه والقانونيه، وقد أجمع المسلمون على أن رسول الله صلى الله عليه وآله ما أعطى شرطا وأخل به.

وكان الإمام الحسن عليه السلام التلميذ النجيب لوالده الإمام عليه السلام على تلميذ رسول الله صلى الله عليه وآله الأنجب و بالتالى ما كان ليخل بشرط أعطاه لغيره؛ مهما كانت الآثار المترتبه عليه، وهذا واضح فى حياه الأئمه المعصومين أجمعهم، كما أن خلافه واضح فى أخلاق وسياسه من عاداهم. ووفق هذا الاعتبار لا نستغرب إذا ما التزم الإمام الحسن عليه السلام بشروط الصلح مع معاويه ونستغرب أشد الاستغراب لو أن معاويه لم يخالف الشروط التى اتفقوا عليها.

فضلا عن ذلک نجد الدلائل كلها تشير إلى أن من حارب الإمام الحسن عليه السلام ومن...

ثم وقع على وثيقه الصلح معه كان كاذبا فى دعواه، وأما الحسن فى موقفه من الصلح فقد

كان صادقا والتزم حرفيا بما اتفق عليه مع معاويه، فكان مصداقا لما جاء فى البخارى:

((عن صالح عن أبى شهاب أن حميد بن عبد الرحمن أخبره: أن أمه أم كلثوم بنت عقبه

أخبرته: أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس ، فينمى

خيرا او يقول خيرا))(١).

ص :۵۳۷

١- صحيح البخارى، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذى يصلح بين الناس، حديث ٢۶٩٢، ص ۴٧۶،طبعه دار إحياء التراث، ٢٠٠١.

ما اشتبه عليهم

معنى هذا أننا يجب أن نعرف بدايه أن الإمام الحسن عليه السلام كان على إدراك كامل بأن الذهب و الإمامه المعصومه يقفان أمام أكبر تحد ممكن أن يواجهه أى فكر فى الكون، كان مدركا أن السيف ينتظر ما بقى من شيعه أبيه ممن نجوا من محرقه الحروب ودسائس المكر والغيله لكى يتم القضاء كليا على فكر التحدى والثبات، ولذا قال لحجر بن عدى الذى عاتبه على الصلح: إنما صالحت بقيا على شيعتنا خاصه من القتل))،(۱)

هكذا كان الإمام الحسن عليه السلام مدركا لما ينتظر المذهب على وجه التحديد، والدين على وجه العموم فى المنازله العظيمه المرتقبه، فكان أمام خيارين: إما القبول بالمصالحه على مضض، أو الفناء الكلى للإمامه و المذهب وللدين الحقيقى، ولقد كان الإمام الحسن عليه السلام وربى على يقين كامل بما يصنع؛ لأن الأيام أثبتت فيما بعد أن المتربصين بالمذهب والإمامه لا يريدون تحجيم دورهما فى الحياه وعزلهما عن الناس فحسب، وإنما كانوا يبغون فناءهما من الوجود كليا؛ بدلاله أنهم مع كثير جيشهم و قدرتهم على أسر الإمام الحسين عليه السلام ومن كان معه من أصحابه النجباء يوم كربلاء، لجأوا إلى القوه المفرطه وقتلوه و قتلوا كل من يعتقدون بأنه ممكن أن يترك أثرا ولو بسيطا فى الحياه.

إن مقتل الإمام الحسين عليه السلام بتلك الطريقه الشنيعه جاء ليثبت بأن الإمام الحسن عليه السلام ومن معه من شيعته بما فيهم الحسين كانوا سيتعرضون إلى نفس المصير لو لم يوافق على الصلح، مع فارق أن مقتل الحسن عليه السلام ومن معه كان سيعرض المذهب إلى الفناء الكلى،

ص: ۵۳۸

۱- الأخبار الطوال، الدينورى، ص ۲۲۰

لأن الحسين عليه السلام كان معه فى تلك المنازله وكان معرضا للقتل أيضا، فضحى الحسن عليه السلام بنفسه لأنه كان على يقين بأنه سوف يقتل بعد الصلح لكى يبقى على الحسينوعلى الشيعه وهم الذين أوكل الله لهم حفظ الإمامه المعصومه ومذهبها. أما مقتل الإمام الحسين عليه السلام فقد أسهم فى تقويه وتمتين وجود المذهب الذى استودعه إياه أخوه الإمام الحسن عليه السلام.

وهنا قد يقول قائل: ولكن التشيع لم يمت بموت الحسين بل ازداد تألقا، بمعنى أن التشيع ماكان ليموت بموت الإمام الحسن لو أنه قاتل و مات شهيدا فى أرض المعركه؟ والجواب على ذلك بسيط جدا، والسبب: ان موت الحسن عليه السلام كان يوجب على الحسين إذا ما نجا من القتل أن يعلن إمامته و يتحمل أعباء المواجهه مع قوه تريد موته كما كانت تريد موت أبيه مع كل ما كان يملكه من قوه ومن مدد، وموت أخيه الذى كان أكثر منه جنداً و أنصارا، وبالتالى سيكون مضطرا لإعلان الحرب فيموت فى أوقات هرج و فتنه دون أن يترك أثرا أو يثير تساؤلا، وبموته ينتهى وجود الإسلام والمذهب ويتلاشى أثره فى الحياه و يتحول إلى فرقه لا تتمكن من قياده نفسها بل تتحول الى امه ممزقه، ثم إن الحسين عليه السلام لم يعلن ثورته فى زمن معاويه و انتظر عشرين سنه من سنه أربعين وحتى سنه ستين هجريه لكى يعلن ثورته فى الوقت الذى أراده الله، وهذا دليل على أن زمن حراكه كان مؤجلا إلى حين، أما لو قاتل الحسن عليه السلام و قتل ونجا الحسين عليه السلام وتولى الخلافه من بعده مباشره، فإنه ما كان ليؤخر ثورته سنين حدثت فيها أنواع مختلفه من الابتداع والتحريف والخروج على قيم السماء، فضلا عما آلت إليه الخلافه الأمويه بعد موت معاويه، فجاءت ثورته لتصحح ذلك الاعوجاج، ولذا خلدت فى ضمائر٠ الناس. وقباله هذا الرأى أرى أنه لو قيض للحسين عليه السلام أن يكون هو بطل الصلح لما

كنا سنعفيه مما حملناه على عاتق الإمام الحسن عليه السلام من أقوال وما أثرناه على الصلح من...

شبهات. وهى الشبهات التى ياتى بها عاده أتباع فصيل السياسيين القدماء تحديدا نصره لمعتقداتهم التى ورثوها عن آبائهم.

نعم هناك من يقول بأن صلح الحسن عليه السلام. جاء لدرء الفتنه التى سببها سعى معاويه للملك، وقبالتهم هناك من يقول بأن الصلح بحد ذاته قدم الملك إلى معاويه على طبق من ذهب وبقانون شرعى يتمثل بتنازل الخليفه الشرعى عن حقه فى الحكم لأحد الخارجين عليه، بمعنى أن لحسن عليه السلام بالصلح الذى عقده مع معاويه لم يمنع الأخير من الحصول على الملك بل قدمه له سهلا يسيرا، وكان الأجدر به أن يقاتل كما قاتل أبوه وأخوه من قبل و اخوه من بعده.

إن هؤلاء لا يعرفون تدرج مهما الإمامه المعصومه تبعا لمستجدات الأحداث، ولم يستوعبوا تاريخهم الحقيقى، وفاتهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حامل رساله الله إلى البشر كافه وادع وصالح وحارب حسب الظروف، وما أوجبه عليه الله سبحانه، ومن يقرأ كتب السيره النبويه يجد أنه صلى الله عليه وآله قاد غزوات عديده إما لأجل عقد صلح مع هذا الطرف أو ذاك و إما لموادعه هذا الطرف أو ذاك، وإما لمقاتله هذا الطرف أو ذاك. ومن أشهر مواقفه السلميه كان صلح الحديبيه مع مشركى قريش الذى عارضه وأعترض عليه بعض الصحابه الذين كانوا معه، وفيهم من كان حاد التصرف مع النبى صلى الله عليه وآله واتهمه بالتهاون مثلما اتهموا حفيده الحسن عليه السلام فيما بعد.

إن ما دفع النبى صلى الله عليه وآله إلى عقد مثل هذا الصلح الذى أوقع فتنه بين المسلمين أنفسهم أنه صلى الله عليه وآله كان يرى فى الصلح انتصارا لا يمكن للحرب أن تحققه ولذا قبل بشروط كفار قريش لما كان يراه من مصلحه للمسلمين فى هذا الوقت من زمن البعثه. ولكننا نجده فى مواقف أخر لا يقبل إلا بالحرب ويرفض أى بادره لعقد الصلح، لأنه كان يرى أن

الحرب فى هذا الموقف تحديدا وليس الصلح هو ما ينتصر به الإسلام. وقد ثبت أن الإمام الحسن عليه السلام نظر إلى الأمور من حوله بنفس المنظار النبوى، وأدرك أن مصلحه الأمه والدين والمذهب تكمن فى الصلح لا فى الحرب. فهل يعنى ذلك أن النبى صلى الله عليه وآله ناقض نفه باتخاذه قرار الصلح فى موطن ما و قرار الحرب فى موطن آخر، أم أن علينا السكوت عن مناقشه ما لا يمكن أن نعرف أسراره من أى سلوك و تصرف يصدر عن المعصوم؟

لقد أراد الله سبحانه لصلح الحديبيه بالذات أن يكون شاهدآ على الصلح الذى سيضطر الإمام الحسن عليه السلام لعقده مع أولاد وأحفاد أولئك الذين صالحهم النبى صلى الله عليه وآله . والموقف الذى بدر من بعض اصحابه يشابه المواقف التى بدرت من بعض أصحاب الإمام الحسن عليه السلام. حتى الحرج الكبير والألم والحسره الذى خلفه صلح الحسن عليه السلام كانت منه شواهد كثيره فى صلح الحديبيه، وما أكبر من أن يرى رسول الله المسلمين المكيين يأتونه ليلوذوا بجنابه فيضطر إلى إعادتهم إلى أهلهم المشركين التزاما بشروط الصلح؟

(حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرنى عروه بن الزبير: أنه سمع مروان و المسور بن مخرمه رضى الله عنهما يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبى أنه لا يأتيك منا أحد و إن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه. فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا منه وأبى سهيل إلا ذلك، فكاتبه النبى على ذلك، فرد يومئذ أبا جتدل إلى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال إلا رده فى تلك المده و إن كان مسلما .وجاءت المؤمنات المهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبه بن ابى معيط ممن خرج إلى رسول الله

يومئذ وهی عاتق فجاء أهلها يسألون النبی أن يرجعهاإليهم، فلم يرجعها....))(۱)

لنتابع قصه ابی جندل هذا الذی كانت قريش تسومه سوء العذاب؛ لأنه أسلم

فصادروا حريته وقيدوه بالأغلال والسلاسل، فلما جلس النبی صلی الله عليه وآله للصلح معهم فی

الحديبيه أفلت من قيوده ولجأ إلی النبی صلی الله عليه وآله طالبا العون فرده النبی صلی الله عليه وآله إليهم!، وأبو

جندل هو ابن سهيل بن عمرو الذی كان يفاوض النبی! علی الصلح. ((أسلم قديما

بمكه، فحسبه أبوه و أوثقه فی الحديد، ومنعه الهجره، فلما نزل رسول الله الحديبيه وأتاه

سهيل بن عمرو فقاضاه علی ما قاضاه عليه، أقبل أبو جندل يرسف فی قيوده فرده

رسول الله إلی أبيه، لأن الصلح كان بينهم. ثم أفلت بعد ذلك بزمن فلحق بأبی بصير

وهو بالعيص وقد اجتمعتا إليه جماعه من المسلمين وكانوا كلما مرت بهم عير قريش

اعترضوها فقتلوا من قدروا عليه منهم و أخذوا ما قدروا عليه من متاعهم فلم يزل أبو

جندل مع ابی بصير حتی مات أبو بصير، فقدم أبو جندل ومن كان معه من المسلمين

بالمدينه علی عهد رسول الله فلم يزل يغزو معه و يجاهد بعده فی سبيل الله حتی مات

بالشام فی طاعون عمواس سنه ثمانی عشره فی خلافه عمر بن الخطاب))(۲)، ولكی أثبت

بأن الله تعالی أراد لصلح الحديبيه أن يكون شاهدا علی صلح الإمام الحسن عليه السلام سوف

أورد قصه الحديبيه كما ترويها الروايات وكتب التاريخ.

كانت قريش قد آلت علی نفسها منذ هاجر الرسول صلی الله عليه وآله والمسلمون معه إلی المدينه

أن يصدوهم عن المسجد الحرام وأن يحولوا بينهم وبين سائر العرب، وقد كاد العام

السادس الهجری أن ينتهی ولم ير المهاجرون مكه، وكان رسول الله صلی الله عليه وآله قد رأی فی المنام

۱- صحيح البخاری، ص ۱۱۶، ج۲ كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط فی الإسلام والأحكام والمبايعه.

٢- ينظر: المستدرك، ص ٣١١ت٣١٢، ج٣، حديث ٥٢٠٩\٨٠٧.

أنه وأصحابه سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون وأخبر الصحابه بتلك الرؤيا فازدادوا يقينا بأن النصر قريب و أكيد، وفضل النبى صلى الله عليه وآله الذهاب فى ذى القعده وهو من الأشهر الحرم حتى لا تتوجس قريش منه خيفه وتصده عن مكه، وكان عدد المسلمين معه ألفا وأربعمائه على أرجح الروايات خرجوا فى ثياب الإحرام البيض وساقوا معهم الهدى وأحرموا بالعمره ليعلم الناس أنه خرج زائرا للبيت معظما له، وحتى لا تفكر قريش فى صده عن مكه، وكانوا عزلا من السلاح إلا ما يحمله كل مسافر وهو سيف فى قرابه.

فلما بلغوا ذا الحليفه ميقات أهل المدينه قلد الرسول الهدى، لكن قريشا بمجرد علمها أن المسلمين يقصدون مكه أخذت فى الاستعداد للحرب ولم يصدقوا أن هدف الرسول الحج وعقدوا النيه على صد النبى صلى الله عليه وآله عن مكه، وفى(عسفان) على بعد يومين من مكه لقيه بشر بن سفيان الكعبى فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا، فقال صلى الله عليه وآله : ((يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لوخلوا بينى و بين سائر العرب فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وآخرين و إن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوه فما تظن قريش، فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفه- أى صفحه العنق)).

وكان أول من جاءه بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعه،ثم تكررت الوفود بينهما فبعثت قريش رسولا أخر هو مكرز بن حفص، ومن بعده جاء الحليس بن علقمه، ثم عروه بن مسعود الثقفى سيد أهل الطائف، فكلمه الرسول بنحو مما كلم به أصحابه واخبره أنه لم يأت يريد حربا، وإنما يريدأن يزور البيت كما يزوره غيره فلايلقى صادا

ولا رادا .وهنا كانت بيعه الرضوان تحت الشجره و فيها بايع الرسول أصحابه على أن لا

يبرحوا مكانهم حتى يقاتلوا المشركين دون أن يفروا.

وعندها سارعت قريش، فبعثت سهيل بن عمرو ليعقد صلحا ولم يكن يعنيها فى هذا الصلح إلا أن يرجع المسلمون هذا العام على أن يعودوا بعد، إذا شاءوا وذلك إبقاء على مكانه قريش فى العرب فلما رأى الرسول مبعوث قريش قال: ((قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل)) وتقدم سهيل بن عمرو إلى النبى صلى الله عليه وآله فتكلما وتناقشا وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح، وقبل الرسول شروط الصلح ولم يستشرهم فى هذه الشروط ولم يرق هذا الاتفاق فى أعين بعض اصحابه واعتقدوا أن الرسول صلى الله عليه وآله سلم لقريش بكل مطالبهم، وكان أشدهم نقدا له عمر بن الخطاب فقد ذهب إلى ابى بكر، فقال: يا أبا بكر أليس برسول الله؟ قال: بل. فقال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بل. قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال عمر: فعلام نعطى الدنيه فى ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر الزم غرزه]الزم أمره[فإنى شهد أنه رسول الله. قالعمر: وأنا شهد أنه رسول الله.

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وأعاد عليه نفس الحوار والاعتراض. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى)).

وكان الإمام على عليه السلام هوكاتب شروط الصلح، دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله ليكتب شروط الصلح، فقال: ((اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم. فقال رسول الله: اكتب باسمك اللهم فكتبها. ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو. فاعترض سهيل وقال: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب اسمك و اسم ابيك. فقال رسول الله: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو: اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر ستين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى

محمدا من قریش بغیر إذن ولیه رده علیهم ومن جاء قریشا ممن مع محمد لم یردوه

علیه و أن بیننا عیبه مکفوفه(۱) وإنه لا إسلال ولا إغلال(۲) وأنه من أحب أن یدخل

فی عقد محمد و عهده دخل فیه، ومن أحب أن یدخل فی عقد قریش وعهدهم دخل

فیه. وأنک ترجع عنا عامک هذا فلا تدخل علینا مکه، وأنه إذا کان عام قابل خرجنا

عنک فدخلتها بأصحابک فأقمت بها ثلاثا معک سلاح الراکب: السیوف فی القرب

لا تدخلها بغیرها

وبینما رسول الله صلی الله علیه وآله یکتب الکتاب مع سهیل بن عمرو إذ جاءه أبو جندل بن

سهیل بن عمرو یرسف فی الحدید ویرید الالتحاق بالمسلمین. فلما رأی سهیل ابنه قام

إلیه فضرب وجهه وأخذ بتلابیبه ثم قال: یا محمد قد لجت(تمت) القضیه بینی وبینک

قبل أن یأتیک هذا. قال: ((صدقت)). فجعل یجذب ابنه جذبا شدیدا فی جفاء لیرده إلی

قریش وأبو جندل یصرخ بأعلی صوته: یا معشر المسلمین أأرد إلی المشرکین یفتنونی فی

دینی؟ فقال رسول الله: ((یا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لک ولمن معک

من المستضعفین فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بیننا وبین القوم صلحا وأعطیناهم علی

ذلک وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم)). (۳)

فلما فرغ رسول الله صلی الله علیه وآله من الکتاب أشهد علی الصلح فریقا من الجانبین وقد جاءت

قصه أبی جندل هذا فزادت آلام المسلمین وضاعفت أحزانهم، ودخل علی المسلمین

من ذلک أمر عظیم حتی کادوا یهلکون. وبعد أن انتهی الرسول صلی الله علیه وآله من أمر الصلح،

۱- عیبه مکفوفه أی: صدور منطویه علی ما فیها.

۲- الإسلال: السرقه الخفیه والاغلال: من الغل أی الخیانه.

٣- لاحظ هنا أن الإمام الحسن عليه السلام التزم حرفيا بشروط الصلح، ولكن معاويه وضعها تحت قدمه وتنصل عنها كلها فغدر.

قال لأصحابه: ((قوموا فانحروا واحلقوا رؤوسكم ليتحللوا من عمرتهم ويعودوا إلى المدينه))، فتباطؤوا حتى قال ذلك ثلاث مرات، فدخل خيمته وذكر لأم سلمه ما لقى من الناس وأشارت عليه أن يخرج دون أن يكلم أحدا منهم ثم ينحر بدنه ويحلق رأسه، فلما رأى المسلمون ما صنع النبى صلى الله عليه وآله قاموا عجلين ينحرون هديهم ويحلقون، حتى كاد بعضهم يقبل الآخر لفرط الغم، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه عائدين إلى المدينه وفى طريق عودتهم نزلت سوره الفتح.

الاختلاف بين الوقعتين (الصلحين) أن الأولى كان فيها رسول الله صلى الله عليه وآله والوحى ينزل عليه، فيتعقل من غضب من الصحابه ويذعن لأمر الله ورسوله مرغما، ويزداد يقينا من آمن منهم بأن الرسول صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى ولا يقوم بعمل إلا بأمر الله، أما الوقعه الثانيه فكان فيها الإمام الحسن عليه السلام المحاصر من أعدائه وأصحابه والمكبل بهجمات السياسيين المتلاحقه، ولذا نجدهم فى الأولى بعد أن نزلت عليهم سوره الفتح يذعنون كليا لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أما فى الثانيه فكانت أباطيل الأعداء ودسهم وخداعهم هى التى تنزل على جيش الإمام وأتباعه فيزدادون تباعدا عنه واختلافا فيما بينهم.

لقد كان لنا فى صلح الحديبيه وشروطه المجحفه دروس لم نستوعبها، ولو كنا قد استوعبناها ما كان بعضنا ليلوم الإمام الحسن عليه السلام على صلحه مع معاويه، علما أن الشروط التى شرطها الإمام الحسن عليه السلام على معاويه كانت فى مصلحه الإسلام، على خلاف شروط صلح الحديبيه التى صبت فى صالح قريش غالبا، لكن المدهش فى الأمر أن قريش الشركه وفت بشروطها حينا من الدهر، أما معاويه المسلم فلم يف بشرط منها وتنصل عنها بعد سويعات من الاتفاق عليها!.

وبالرغم من كل شىء لنا فى موافقه رسول الله صلى الله عليه وآله على الصلح بالرغم من الشروط

القاسیه التی وضعها کفار قریش، درس أوضحه ما حصل بعد حین من اعتراض علی

قرار الحسن علیه السلام؛ لأن صحابه رسول الله صلی الله علیه وآله وأصحاب الإمام الحسن علیه السلام والناس عامه

لا یعلمون أین تکمن المصلحه الحقیقیه، کما یعلمها الرسول صلی الله علیه وآله أو الامام المعصومه علیه السلام

فرأوا فی الصلح إذلالا.

وأری أن الأسباب نفسها التی دعت الإمام علی علیه السلام إلی قبول التحکیم فی صفین

بعد أن رفع الشامیون المصاحف علی رؤوس الرماح والأسنه فأصبح القرآن فی موضع

الامتحان العسیر وأصبح الإمام علی أمام علیه السلام اختبار محیر(۱)، إما أن یثبت فیه شده

احترامه لقدسیه کلام الله تعالی أو یظهر بمظهر غیر المبالی تجاه القرآن، هی ذاتها التی

دفعت الإمام الحسن علیه السلام الذی وقع فی نفس الحیره إلی قبول الصلح و هو یری الإسلام

والوجود الشیعی أمام أکبر تحد، فهو إما أن یجازف بالوجودین ویعرضهما علی الأغلب

إلی التدمیر الکبیر فیقاتل إلی النهایه، أو یبقی علی الاثنین، فیصالح ویجمل أوزار الصلح

کما حمل أبوه أوزار التحکیم. وکم هو وزر کبیر لدرجه أنه أدی إلی مقتل الإمام علی علیه السلام،

ومن بعد أدی إلی سم وقتل الإمام الحسن علیه السلام!.

وإذا ما قیض لمعاویه وجود عمرو بن العاص و ابی موسی الاشعری یوم صفین

لینقذاه بمؤامره التحکیم من ورطته الکبیره، فإنه یوم الحسن علیه السلام؛ کان بحمایه تلک

الوجوه ودعمها أیضا؛ ومع وجودها کان یشعر بالورطه نفسها، وبما هو أکبر منها

۱- فی روایه نصر بن مزاحم عن صفین أن جیش الخلافه کاد أن یهزم جیش الشام، فباتوا لیلتهم یترقبون الصباح الحاسم حتی أن معاویه قال لعمرو بن العاص: یا عمرو إنما هی اللیله حتی یغدو علی علینا بالفصل؛ فما تری؟ وکانت خطه عمرو المحکمه هی الخدیعه الکری والامتحان الخطر، فقال لمعاویه: إلق إلی القوم أمرا إن قبلوه اختلفوا وإن ردوه اختلفوا، أدعهم إلی کتاب الله حکما فیما بینک وبینهم فإنک بالغ به حاجتک فی القوم وإنی لم أزل أؤخر هذا الأمر لوقت حاجتک إلیه.

بدلاله أنه قدم الی الامام الحسن علیه السلام صحیفه بیضاء ممهوره بختمه لیملی علیه شروطه التی یجب، حیث جاء فی الطبری:

((أن اشترط فی هذه الصحیفه التی ختمت أسفلها ما شئت، فهولک)).(۱)

ص :۵۴۸

۱- تاریخ الطبری. المجلد۳. احداث سنه اربعین للهجره

وفق السیاق التنویری ذاته جاء صلح الإمام الحسن علیه السلام لیحقق للإسلام ما حققه

صلح الحدیبیه؛ ولذا تراه یقول حینما لامه بعض المسلمین علی بیعته لمعاویه: ((ویحکم ما

تدرون ما عملت، والله للذی عملت لشیعتی خیر مما طلعت علیه الشمس أو غربت،

ألا تعلمون أنی إمامکم ومفترض الطاعه علیکم، و أحد سیدی شباب أهل الجنه بنص

من رسول الله صلی الله علیه وآله علیّ؟ قالوا: بل. قال: أما علمتم أن الخضر لما خرق السفینه وأقام

الجدار وقتل الغلام کان ذلک سخطا لموسی بن عمران علیه السلام إذ خفی علیه وجه الحکمه

فی ذلک، وکان عند الله تعالی ذکره حکمه و صوابا؟)).

نبع اللوم من شعور بعض صحابته أنه أذلهم بالصلح حسب ظاهر ما بدا لهم،

ولذا تجد هناک روایات کثیره تحدثت عن مفهوم الإذلال وفق رؤاها الفکریه ومقدرتها

العقلیه و قوه إیمانها و یقینها بالقرار الذی یتخذه الإمام المعصوم، وقد تخبطت کتب

الحدیث عند نقلها لواقعه الصلح والاعتراض، و حدث فیها خلط کثر عند حدیثها

عن ما رآه البعض إذلالا أوقعه الحسن علیه السلام بالأمه، سواء من حیث أصحاب تلک الآراء

والأقوال أو الأماکن التی قیلت فیها، ورد الإمام الحسن علیه السلام علی من تفوه بها. وانقل

هنا علی سبیل التوضیح بعض الروایات التاریخیه التی تحدثت عن حوارات وقعت بین

الإمام الحسن علیه السلام وصحابته لتکون شاهدا علی ذلک، وقبل ذکر الروایات أورد روایه

مستقبلیه سمعها الإمام الحسن علیه السلام عن أبیه علیه السلام، وهی قوله علیه السلام لأصحابه: ((أما أنه

سیظهر علیکم بعدی رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، یاکل ما یجد، ویطلب ما

لا يجد، فأقتلوه ولن تقتلوه، الا أنه سيأمركم بسبی والبراءه منی، فأما السب فسبونی،

فإنه لی زکاه ولکم نجاه، وأما البراءه فلا تتبرؤا منی، فإنی ولدت علی الفطره، وسبقت

إلی الإیمان والهجره))(۱)، فهذه الروایه تذکر نهایه فصول قصه الحسن علیه السلام مع معاویه بما

لا یحتاج إلی توضیح أکثر، ولذا رواها الإمام الحسن علیه السلام فی المدینه لمن لامه علی الصلح.

أما الروایات، فهی:

نقل القاری فی (المشکاه) عن أبی العریف قال: ((کنا فی مقدمه الحسن بن علی علیهما السلام؛

اثنا عشر ألفا مستمیتین حرصا علی قتال أهل الشام، فلما جاءنا صلح الحسن علیه السلام کأنما

کسرت ظهورنا من الغیظ والحزن، فلما جاء الحسن علیه السلام الکوفه أتاه شیخ منا یکنی أبا

عمرو سفیان بن أبی لیلی فقال: السلام علیک یا مذل المؤمنین. قال: لا تقل یا أبا عمرو،

فإنی لم أذل المؤمنین، ولکن کرهت أن أقتلهم فی طلب الملک))(۲).

أصل هذه الروایه أخرجه المعتزلی فی النهج، عن المدائنی، قال: ((ودخل علیه سفیان

بن أبی لیل النهدی فقال: السلام علیک یا مذل المؤمنین! فقال الحسن: اجلس یرحمک

الله إن رسول الله صلی الله علیه وآله رفع له ملک بنی أمیه فنظر إلیهم یعلون منبره واحدا فواحد، فشق

علیه فانزل الله تعالی فی ذلک قرآنا، قال: ((و ما جعلنا الرءیا التی أریناک الا فتنه للناس و الشجره الملعونه فی القرآن)) وسمعت أبی علیا رحمه الله یقول: سیلی أمر هذه الأمه رجل

واسع البلعوم کبیر البطن فسألته من هو؟ فقال: معاویه. وقال لی: إن القرآن قد نطق

بملک بنی أمیه ومدتهم قال تعالی: ((لیلهالقدر خیر من ألف شهر)) قال أبی: هذا ملک

ص :۵۵۱

۱- أنساب الأشراف، البلاذری، ج۲، ص ۳۲، والغارات، الثقفی، ج۲، ص ۸۴، والمناقب، ابن شهر آشوب، ج۲، ص ۱۰۷، وینابیع الموده، القندوزی، ج ۱ ، ص ۲۰۶.۲۰۰.

۲- مرقاه المفاتیح شرح مشکاه المصابیح،علی بن سلطان محمد القاری، دار الفکر،سنه النشر: ۱۴۲۲ / ۲۰۰۲م، ص ۳۹۷۰،

حديث رقم ۶۱۴۴.

بنی أمیه))(۱)، فکانت روایه المدائنی هی الأساس الذی بنیت علیه کل الروایات المشابهه

الأخر، حیث تعددت أسماء القائلین ومناسبات القول، وتبعا لها تعددت ردود الإمام

الحسن علیه السلام علی کل منها، بما یؤکد أن غالب هذه الروایات إما مدسوس أو موضوع

لا أصل له ولا یعتد به، أو أن أقوال اللوم القاسی أضیفت إلیها وما هی من أصلها.

فالروایه الأولی ذکرت اسم (سفیان بن ابی لیلی النهدی) وهناک روایه نقلها الدینوری

فی الأخبار الطوال ذکرت اسم حجر بن عدی، وفیها أن الإمام الحسن علیه السلام قال لحجر

بن عدی الذی عاتبه علی الصلح: ((إنما صالحت بقیا علی شیعتنا خاصه من القتل))(۲)،

وهناک روایه ثالثه لا تذکر اسما بعینه وتکتفی بالتعمیم والتهویل، بما یبدو وکأن

جمیع أصحاب الإمام الحسن علیه السلام کانوا یعدون الصلح إذلالا، والروایه فی فتح الباری

للعسقلانی: ((أخرج ابن ابی خیثمه من طریق عبد الله بن شوذب قال: لما قتل علی سار

الحسن بن علی فی أهل العراق ومعاویه فی أهل الشام فالتقوا، فکره الحسن القتال وبایع

معاویه علی أن یجعل العهد حسن من بعده فکان أصحاب الحسن یقولون له: یا عار

المؤمنین، فیقول العار خیر من النار))(۳).

لقد أورد غیر واحد من المؤرخین والرواه ما قالوا بأنه رد فعل عکسی لأصحاب

الإمام الحسن علیه السلام علی الصلح باعتبار أن الصلح هزیمه واضحه أمام الأعداء. وقد

یکون هذا الأمر صحیحا فی بعض جوانبه، ولکن تم تهویله وتعظیمه فوق ما کان

علیه، فالناس تختلف مشاربهم ومحدودیه عقولهم، فضلا عن ذلک کان جیش الإمام

۱- نهج البلاغه، م۴ ،ج۱۶ ، ص ۶ .

۲- الأخبار الطوال، الدینوری، ص ۲۲۰ .

۳- فتح الباری شـرح صـحیح البخاری،أحمد بن علی بن حجر العسـقلانی، دار الریان للتراث، سنه النشر: ۱۴۰۷ / ۱۹۸۶م، حاشیه ص ۷۰.

الحسن عليه السلام يفتقد التوافق المطلوب لاجتماع الرأى بسبب تكويناته الجمعيه حيث الأثر السالب لوجود الخوارج و بعض القبائل فى صفوفه، ولكن رد الفعل لم يكن بالشكل الذى صوره المؤرخون ولاسيما مسأله التطاول على الإمام الحسن من قبل أصحابه.

وحتى لو آمنا جدلا بصحه موضوع التطاول، فمن المؤكد أنه لم يصدر عن أصحاب الإمام الخلص، ولم يكن بالشكل الذى وصفه السياسيون، وإنما صدر عن قله من عامه الناس، وهم من المندسين فى جيشه من أتبع عدوه، الذين كانوا من الكثره لدرجه أنهم كانوا أحد أسباب تخنيع الناس وثنيهم عن خوض الحرب، وهو الأمر الذى تقره السياسه الدنيويه وتعمل بموجبه على مر التاريخ.

يتضح مما تقدم أن القرار الخطير الذى اتحذه الإمام الحسن عليه السلام. وهوخليفه المسلمين الشرعى بعقد الصلح والهدنه مع معاويه الساعى للإمره و المقاتل طلبا لها؛ كان محطه ومثابه أراد الإمام عليه السلام من خلالها أن يخطط للمستقبل، ليس من خلال القيام بتحرك عسكرى جديد أو بشن حمله إعلاميه ضد عدوه، وإنما اعتمادا على خزين المستقبليه الذى يملكه والذى صور له الوقائع بكل تفاصيلها، نزولا إلى أصغر الجزئيات وأدق النتائج.

لقد أدرك الإمام الحسن عليه السلام أن المحيطين به ليسوا بوزن من كان يحيط بأبيه الإمام على عليه السلام، وقواته العسكريه ليست بقوه جنود أبيه، وعدوه المترصد أقوى كثيرا مما كان عليه فى زمن أبيه بعدما انضوى تحت لوائه المئات من الوجوه التى كانت تقاتله بالأمس القريب، وتأثير العقيده فى نفوس الأمه صار أضعف درجات مما كانت عليه فى زمن أبيه، فضلا عن كونه كان مطلعا على بنود التخطيط الإلهى، ملزما بتنفيذ ما أوكل إليه منها فى حدود مسؤوليته الشرعيه. ومع كل هذا التعقيد والتشابك كان قراره بالرغم من وقعه على النفوس قرارا صائبا وحلا مناسبا لتداعيات الوضعيه المعقده التى وجد فيها

نفسه وشيعته المخلصين.

وفوق هذا وذاک کان الحسن علیه السلام مأمورا بالصلح موعودا بالإصلاح علی لسان جده، فالأحادیث الکثیره التی وردت فی هذا البحث أثبتت أنه علیه السلام سمع الوعد من جده مباشره و بدون واسطه و لأکثر من مره، وهذا لا یمنع أن یکون الإمام علی علیه السلام قد کرر علیه أقوال النبی صلی الله علیه وآله وأخبره بما تضمره له الأمه وما سیمر علیه من أحداث، ولذا کان دوره المقدس محددا بهذا الواجب ینتهی مع انتهاء مهمته ولیس ابعد منها، مهما اختلفت الظروف وتعددت الأسباب، وفی هذا رد علی من یری أن الحسن علیه السلام کان یجب أن یقاتل ببقایا جنده کما سیفعل أخوه الحسین بعد حین. فمن یعرف حدود الإمامه المعصومه علی أصولها یدرک عن یقین أن الأئمه المعصومین علیه السلام یتحدون فی الهدف ویختلفون فی التطبیق، ولهذا السبب أجاب الإمام أبو عبد الله علیه السلام من سأله إن کان هو الإمام المهدی المنتظر، کما فی حدیث أبی خدیجه، بقوله: ((کلنا قائم بأمر الله، واحد بعد واحد حتی یجیء صاحب السیف، فإذا جاء صاحب السیف جاء بأمر غیر الذی کان))(۱).

إن شروط البیعه التی وضعها الإمام الحسن علیه السلام لمن أراد أن یبایعه علی الخلافه تثبت أنه کان مکلفا بواجبین أحدهما حربی والآخر سلمی و لکل منهما حدوده ووجباته، فقد اشترط علی الذین بایعوه علی کتاب الله و سنه رسوله: ((إنکم مطیعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت))(۲)، وفی روایات کثیره أن أول من بایع الإمام الحسن علیه السلام کان قیس بن سعد، وقال له: ((ابسط یدک أبایعک علی کتاب الله و سنه نبیه وقتال المحلین، فقال الحسن: علی کتاب الله وسنه رسوله، فإنهما یأتیان علی کل

١- أصول الكافى،ج ١، ص ٥٣٦ / ٢،والإرشاد،ج ٢،ص ٣٨۴.

٢- ابن الأثير: الكامل،ج٣ ص ٣٥٠-٣٥١. والطبرى،ج٣،ص ٩۴١.

شرط، فبايعه الناس))،(۱) وفى الإمامه والسياسه قال الدينورى: ((وذكروا أنه لما قتل على بن ابى طالب، ثار الناس إلى الحسن بن على بالبيعه، فلما بايعوه قال لهم: تبايعون لى على السمع والطاعه، وتحاربون من حاربت، وتسالمون من سالمت))(۲).

۱- ابن الأثير: الكامل،ج۳ص.۳٥.

۲- الإمامه والسياسه، ابن قتيبه الدينورى، ج۱ ، ص ۱۸۳-۱۸۴.

ما بال المعاصرين

إن كان موضوع العتب المر قد حدث فعلا يومذاك، بالرغم من كوننا لا نؤمن بوقوعه بالشكل الذى وصل إلينا، فما بال المعاصرين يقعون فى نفس الخطأ ويعيدون أحداث التاريخ المشوه مع ما حباهم الله به من تقدم وتنوير وثوره معلومات و يسر فى الوصول إلى التحليل والاستنباط؟ إن حقيقه هذا التعارض الكبير بين الموقفين موجوده اليوم على أرض الواقع، ولا يمكن إنكارها بعدما وجدت طريقها إلى النشر.

خلاصه القول: إن هناك موقفين متطرفين وقفتهما الأمه مع عمل صدر عن إمام معصوم قام أم قعد، وهما الموقفان اللذان بقيا ملازمين لكل سلوكياتنا وتعاملنا مع ذكرى مناسبات الأئمه عليهم السلام حيث ترانا منشغلين كليا بأحداث بعينها، وناسين أو متهاونين مع أحداث أخر، وهذا تناقض يجب التخلص منه، لأن بقاءه واستمراره يخل بمنظومه الإمامه فى فكر مدرستنا ويفتح الباب أمام من يريد الطعن بعقيدتنا. وأرى أن المأخذ الوحيد الذى يأخذوه على الإمام الحسن عليه السلام أنه هادن ما قاتل وصالح ما حارب، فبات الصلح بالرغم من عظيم أهميته وكبير أثره سبه تنسب إلى الإمام المعصوم، فما من باحث فى سيره الإمام الحسن عليه السلام إلا و توسع فى الحديث عن الصلح واعتنى به وبأخباره وكأنه المحطه الوحيده فى حياه البسط الشهيد، وقد قال توفيق أبو علم: ولقد عتيت أشد العنايه بموضوع صلح الإمام الحسن مع معاويه لأنه باعتقادى موضع هام يستحق البحث والعنايه))،(۱) وأنا أرى أيضا أن موضوع الصلح مهم يستحق البحث

۱- اهل البیت. الحسن ابن علی توفیق ابو علم. ص ۱۱

والعنايه، ولكن يجب على الباحثين المخلصين أن لا يختزلوا حياه الإمام الحسن عليه السلام وجهاده ومدرسته الفكريه فى اصلح وحده ويغفلوا كل تلك الجوانب المشرقه الأخر، تماما كما تجد الثقل الأكبر الذى ألقى على سيره السبط الحسين عليه السلام انصب على الثوره وحدها، مع إغفال شبه كامل لمراحل حياته الأخر بما فيها عرش سنوات من الجهاد قبل الثوره. فلمإذا هذه التخصصيه المستهجنه التى تحرم المتابع من علم كثير يحتاج إلى الإلمام به؟ فكم من واحد منا يعرف العمل النضالى للإمام الحسين متن مراحل طفولته ولغايه تحركه إلى مكه لإعلان الثوره، مع أن دوره حتى فى وجود أبيه وأخيه الحسن عليه السلام كان مؤثرا وفاعلا، وبعد استشهاد أخيه الحسن عليه السلام كان أكثر أثرا وفاعليه لدرجه أن معاويه كان يخشاه و أعد العده لقتله متى توفرت الأسباب التى لا يهيج معها الشارع الإسلامى؟.

وما من شك أن علماء مدرستنا متفقون على أن الإمام المعصوم يولد و هو مكلف بالإمامه سواء مع وجود إمام قائد أو عدم وجوده، فالإمام على عليه السلام كان مسلما ومؤمنا وإماما فى حياته الأولى قبل إعلان إسلامه على الملأ، وبعد إعلان إسلامه مارس الإمامه فى زمن بعثه النبى صلى الله عليه وآله ومارسها فى زمن الخلفاء الذين سبقوه ومارسها فى عصر خلافته. والإمام الحسن عليه السلام السبط ولد فى زمن إمامه جده النبى الأكرم صلى الله عليه وآله و والده الإمام على عليه السلام فكان إماما معصوما حتى مع وجودهما، والإمام الحسينولد فى زمن إمامه جده وأبيه وأخيه الحسن فكان إماما معصوما. ومعنى هذا أننا ملزمون بمتابعه حياه كل منهم منن لحظات عمره الأولى وإلى تاريخ استشهاده بنفس الأهميه والحرص والتدقيق والحماس والاندفاع؛ لأن أى تحيز مهما كان بسيطا يلحق بالعقيده ضررا ليس من السهل علاجه، ويمنح الآخرين فرصه الطعن بعقيدتنا واتهامنا بما ليس فينا،

والأئمه المعصومون علیهم السلام سواء فی عصر إمامتهم الکلیه أو فیما یسبقه من أزمان عملوا

ص: ۵۵۷

جميعهم على شحذ وتجديد الفكر الدينى وإصلاحه من عطلاته بعد أن أيقنوا أن الحكام والسياسيين الدينيين يعملون عل تمييع هذا الفكر وتنويبه لإعاده ترتيبه وفق مناهجهم ومصالحهم، وهم بالرغم من مطاردتم والتضييق عليهم نجحوا فى مسعاهم وخلقوا حركه أحيت الدين ليس عند أتباعهم فحسب بل وعند معارضيهم أيضا، لأن هؤلاء رأوا أن من واجبهم التصدى لتنامى الفكر الشيعى بفكر يستطع الثبات أمامه، وهذا ما لم ينجح به المتأخرون بالرغم من كل الإمكانيات التى وفرت لهم. فلقد وجدت على أرضنا اعتبارا من أواخر القرن التاسع عشر مجموعات تهدف إلى الإصلاح الدينى بعد أن قام الاستعمار الغربى بنشر الفساد فى كل مفاصل الحياه واتخذت لها خطوطا ومناهج، فاتجهت إحداها كما يقول الدكتور (محمد البهى) إلى التعبئه الروحيه والإصلاح الدينى قادتها مجله (المنار) بعد وفاه الشيخ المعتدل محمد عبده وتولى أحد أتباع المدرسه السلفيه وهو أحمد أمين رئاستها. واتجهت الثانيه إلى تعبئه الحماس القومى.(١) وسار الاتجاهان بتواز إلى هدف واحد ولكنهما عجزا كليا عن تحقيق أبسط فقرات مشروعيهما بالرغم من جسامه التضحيات الماديه والمعنويه والبشريه، إذ كان كافيا أن تنقلب تركيا التى كانت تقود الإسلام باسم الخلافه الإسلاميه إلى دوله علمانيه فى عام ١٩٢٤ بمجرد سقوط الإمبراطوريه التى حكمت العالم الإسلامى وسرقت خيراته باسم الإسلام لتخسر هذه المشاريع حاضنتها ومركز دعمها، وأعتقد أن الغربيين أحسوا بهذه الهزيمه التى تجعلهم فى مواجهه الموقف الشيعى المتأزم والصارم فعملوا جاهدين على خلق اتجاهات دينيه جديده مدعومه بثروه النفط عسى أن تقف أمام المد الشيعى، وقد نجحوا فى تحجيم قدره الحراك الشيعى بعد أن توفرت لهم وسائل الدعم المادى والفكرى والإعلامى، ولكن ذلك مهما امتدت آثاره لا يمكن أن يوقف مسير قافله التشيع أو يعرقل منهجها.

۱- الفكر الإسلامی الحدیث وصلته بالاستعمار الغربی، الدكتور محمد البهی،ط ۴، مكتبه وهبه، القاهره.طبع لأول مره عام ۱۹۵۷ م، ص ۰۱۷۵

وأنا أرى أن للسياسيين الإسلاميين دورا كبيرا فى هذا المخطط وهم الذين بحثوا فيه عن نصره تعوضهم هزائمهم غير ملتفتين إلى تغيير نظره الناس البسطاء إلى الله سبحانه!.

لقد صور السياسيون القدماء ومن ورث فكرهم من المسلمين المعاصرين (الله) سبحانه وتعالى على انه (إله) رعب وخوف وقسوه بعد أن نشروا الرعب والخوف فى قلوب المسلمين باسمه وباسم دينه من خلال أطروحتهم الغبيه التى أظهرت الحرب كآليه وحيده لحل النزاعات بين البشر، وجاء المستشرقون بعد ردح من الزمان ليحيوا موات هذه الفكره فى قلوب المسلمين لكى ينفروهم من الدين ويلجئونهم إلى الغرب يبحثون فيه عن حريتهم، يقول المستشرق (نيكلسون) بذا الصدد: ((يبدأ القرآن بفكره ((االله الصمد)) الإله القادر الذى تجرد من المشاعر والميول البشريه وهو سيد عباده لا والد أبنائه والقاضى الذين ينزل بالآثمين عدلا رادعا ويبسط رحمته على من يتقون غضبه.. إنه إله خوف أكثر منه إله حب)).(١)

بالمقابل كان سعى الإمام المعصوم منصبا على تغيير الصوره النمطيه التى رسمها السياسيون للرب سواء فى زمن الإمامه المعصومه أم فى العصور اللاحقه، وكان صلح الإمام الحسن عليه السلام واحده من التجارب الناجحه فى تغيير نمطيه صوره (الرب المرعب العنيف) فى عقول المسلمين، فالصلح جاء ليثبت لمن فى قلبه مرض، أن الله الرحمن الرحيم اللطيف بعباده الذى يحبهم ويحبونه، إله حب سرمدى، وقد نشأ محبوه على هذه الصفه الرائعه فعز عليهم سفك دم إنسان حتى ولوكان هذا الإنسان متغطرسا متجبرا متكبرا طاغيه، فضحوا بالخلافه وبأرواحهم من أجل ذلك الهدف، وهو هدف سام، وفى الروايات: ((دخل رجل على الحسن بن على عليه السلام بالمدينه وفى يده صحيفه فقال له

١- الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، الدكتور محمد البهى، مصدر سابق، ص١٩٥.

...

الرجل: ما هذا؟ قال: هذا كتاب معاويه يتوعد فيه على أمر كذا، فقال الرجل: لقد

كنت على النصف، فما فعلت؟ فقال له الحسن: أجل ولكنى خشيت أن يأتى يوم القيامه

سبعون ألفا أو ثمانون ألفا تشخب أوداجهم دماكلهم يستعدى الله فيم أهرق دمه))(۱)،

فما الضير إذا ما اتخذ الإمام الحسن عليه السلام موقفا يحقن تلك الدماء ولاسيما وأن العقيده

نصت على تحبيذ هذا الموقف فقهيا؟.

ص: ۵۶۰

۱- شرح النهج،م۴،ج۱۶ ، ص۷.

الجانب الفقهى للصلح

يبدو الصلح من حيث مبانى العقيده وفقهها صوره واضحه الملامح لقواعد فقهيه إسلاميه أجمعت الأمه الإسلاميه على التعبد بها واختلفت فى تطبيق بنودها على أرض الواقع، وهى ما تعرف بقواعد (درء الحدود بالشبهات) و (درء المفسده) و(لا ضرر ولا ضرار)-

تاريخيا لم يكن موضوع الصلح فى كليته بين أى مجموعتين إسلاميتين يقع بينها نزاع دموى وقتال ليأخذ مداه الذى وصل إليه لولا ما خطط له السياسيون العرب بدءاً من معركه الجمل و وصولاً إلى قيام الجيش الأموى بغزو دار الخلافه الإسلاميه بقياده معاويه لمحاربه الإمام الحسن عليه السلام و وقوع الصلح بين الإمام ومعاويه، فهذه الأحداث الدمويه المروعه هى التى أعطت الموضوع مداه الرحب. وربما لهذا السبب دون غيره تجد جميع كتب الحديث قد خصت الصلح إما بكتاب أو بباب منفرد، وخصوا صلح الحسن عليه السلام بباب لوحده باعتبار أن النبى صلى الله عليه و آله قال: ((ابنى هذا سيد)). نعم وردت فى القرآن الكريم آيات تأمر عقلاء المسلمين بالإصلاح بين الفئات التى تتقاتل، وهذا من علم الله سبحانه، ولكن تفسيرها جاء من وحى الصلح ودار حواليه وفى رحاب أجوائه دفاعاً عن موقف السياسيين أكثر منه دفاعاً عن الدين أو إطراء للحسن عليه السلام، و لنأخذ على سبيل المثال آيه (و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الاخرى فقتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل و أقسطوا إن

الله يحب المقسطين)(۱) لنضعها على طاوله البحث وندرسها ببساطه من حيث سبب

النزول، والتفسير، والتشريع وصولاً إلى حقيقه هذا الاهتمام بصلح الإمام الحسن عليه السلام

بذات.

الآيه من حيث سبب النزول:

فی تفسير الطبرسی: ((قوله :(و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) نزل فی الأوس

والخزرج وقع بينهما قتال بالسعف والنعال، عن سعيد بن جبير. وقيل نزل فی رهط عبد

الله بن أبی سلول من الخزرج ورهط عبد الله بن رواحه من الأوس وسببه أن النبی صلى الله عليه و آله

وقف على عبد الله بن أبی، فراث حمار رسول الله صلى الله عليه و آله فأمسک عبد الله أنفه وقال: إليک

عنی، فقال عبد الله بن رواحه: لحمار رسول الله أطيب رحياً منک ومن أبيک فغضب

قومه وأعان ابن رواحه قومه وكان بينهما ضرب بالحديد والأيدی والنعال))(۲)، وأخرج

البخاری ومسلم وغيرهما عن أنس قال: ((قيل للنبی صلى الله عليه و آله: لو أتيت عبد الله بن أبی،

فانطلق إليه وركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون وهی أرض سبخه، فما انطلق إليه

قال: إليک عنی، والله لقد آذانی ريح حمارک، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول

الله أطيب رحياً منک، فغضب لعبد الله رجال من قومه، فغضب لكل منهما أصحابه،

فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدی والنعال، فنزلت الآيه))(۳).

إلى هنا تبدو كتب <أسباب النزول) غير مهتمه بما حدث من نزاع وما وقع من

ص :۵۶۳

۱- سوره الحجرات، الآيه۹

۲- مجمع البيان فی تفسير القرآن، الطبرسی، لسوره الحجرات، الآيات ۶-۱۰

۳- البخاری، كتاب الصلح، باب ما جاء فی الإصلاح بين الناس، حديث ۲۶۹۱، ص ۴۷۶ ، بخاری طبعه دار إحياء التراث العربی، ۲۰۰۱، وأورده الواحدی النيسابوری فی حديثه عن أسباب نزول سوره الحجرات، ص ۲۲۶- ۲۲۷،أسباب النزول، أبی الحسن

علی بن أحمد الواحدی النیسابوری، تحقیق عبد الله المنشاوی، دار صلاح الدین، القاهره، ۲۰۰۱

صلح بین المتنازعین بعد عصر البعثه، ولکن وجود قاعده (العبره فی عموم اللفظ لا

فی خصوص السبب) و وقوع الصلح بین طائفتین من المسلمین علی أرض الواقع،

فضلاً عن سعی السیاسیین لاستغلال الصلح للحصول علی الشرعیه التی یحتاجونها

لیحکموا الأمه باسم الدین، جعل المفسرین یخصون الآیه بصلح الإمام الحسن علیه السلام،

وینسون الحدیث عن واقعه عصر البعثه تلک.

الآیه من حیث التفسیر:

قال ابن کثیر فی معرض تفسیر هذه الآیات: ((یقول تعالی آمراً بالإصلاح بین

لفئتین الباغیتین بعضهم علی بعض (و إن طائفتان من المؤمنین اقتتلوا فأصلحوا بینهما) فسماهم مؤمنین مع الاقتتال و بهذا استدل البخاری وغیره علی أنه لا یخرج عن

الایمان بالمعصیه وإن عظمت، لا کما یقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزله ونحوهم،

وهکذا ثبت فی صحیح البخاری من حدیث الحسن (البصری) عن أبی بکره رضی الله عنه قال:

إن رسول الله صلی الله علیه و آله خطب یوماً ومعه علی المنبر الحسن بن علی علیه السلام فجعل ینظر إلیه مره

وإلی الناس مره أخری، ویقول: إن ابنی هذا سید ولعل الله تعالی أن یصلح به بین فئتین

عظیمتین من المسلمین. فکان کما قال صلی الله علیه و آله أصلح الله تعالی به بین أهل الشام وأهل

العراق بعد الحروب الطویله والوقعات المهوله))(۱).

ولا أدری کیف فات ابن کثیر الانتباه إلی الفرق الکبیر بین المؤمنین والمسلمین،

لیعد ابن أبی سلول المنافق الذی تقاتل أنصاره مع المؤمنین الأنصار من المؤمنین، إلا إذا

ما کان یروم التأکید علی أن البغاه الذین حاربوا الإمامین علی والحسن علیهم السلام مؤمنون!؟

وربما لهذا السبب تجد فی مدرستنا قولاً مختلفاً بالکامل عن هذا القول ففی (مجمع البیان

١- تفسير ابن كثير، سوره الحجرات، الآيه ٩و١٠

فى تفسير القرآن) قال الطبرسى فى تفسير: ((و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)) أى فريقان من المؤمنين قاتل أحدهما صاحبه ((فاصلحوا بينهما))حتى يصطلحا ولا دلاله فى هذا على أنهما إذا اقتتلا بقيا على الايمان ويطلق عليهما هذا الإسلام، لا يمتنع أن تفسق إحدى الطائفتين أو تفسقاً جميعاً ((فإن بغت إحداهما على الاخرى))بأن تطلب ما لا يجوز لها وتقاتل الأخرى ظالمه لها معتديه عليها ((فقتلوا التى تبغى)) لأنها هى الظالمه المتعديه دون الأخرى ((حتى تفىء إلى أمر الله)) أى حتى ترجع إلى طاعه الله وتترك قتال الطائفه المؤمنه ((فان فآءت)) أى رجعت وتابت وأقلعت وأنبت إلى طاعه الله...((فأصلحوا بينهما)) أى: بينها وبين الطائفه التى هى على الإيمان ((بالعدل))أى: بالقسط حتى يكونوا سواء لا يكون من إحداهما على الأخرى جور ولا شطط فيما يتعلق بالضمانات من الأروش ((و أقسطوا)) أى اعدلوا ((إن الله يحب المقسطين)) العادلين الذين يعدلون فيما يكون قولاً وفعلًا))(١)

وقد يكون الشوكانى ممن انتبهوا إلى تهافت ما جاء به بن كثير، ولذا أكد فى تفسيره على كلمه (المسلمين) ولم يورد ذكراً لكلمه (المؤمنين) التى تعلق بها بعض المفسرين لدوافع سياسيه بحته، حيث قال الشوكانى فى تفسيره: ((والمعنى أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين فعل المسلمين أن يسعوا بالصلح بينهم ويدعوهم إلى حكم الله، فإن حصل بعد ذلك التعدى من إحدى الطائفتين على الأخرى ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفه الباغيه حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلك الطائفه الباغيه عن بغيها وأجابت الدعوه إلى كتاب الله وحكمه، فعل المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين فى الحكم ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله. ويأخذوا على يد

١- مجمع البيان فی تفسير القرآن، الطبرسی، لسوره الحجرات، الآيات ۶-١٠

الطائفه الظالمه حتى تخرج من الظلم وتؤدى ما يجب عليها للأخرى))(۱)، المهم أن تفسير

الآيات بهذا الشكل كان سبباً لولاده قواعد فقهيه شرعيه يتعبد بها الناس إلى الآن!.

الآيه من حيث التشريع:

متى يصبح قتال المسلم للمسلم محرماً، ومتى يجوز؟ أسئله أرادت الآيه الشريفه

عرض أجوبتها أمام المسلمين ليعرفوا أحكامها. قباله ذلك هناك فى أكثر من واقعه

ومقام تحذيرات صدرت عن رسول الله للمسلمين تنهاهم أن يتقاتلوا فيما بينهم أو

أن يسب أحدهم الآخر، قال عبد الله: ((قال النبى صلى الله عليه و آله: سباب المسلم فوق وقتاله

كفر)).(۲)وهذا يعنى أن الآيه الأولى جاءت من حيث الظاهر على سبيل الاحتمال، وجاء

الحديث الشريف ليقول بأنه حتى مع هذا الاحتمال يجب على المسلم أن لا يسب المسلم

الآخر ولا يقاتله لأن قتاله كفر، ولكن هناك من حول الاحتمال إلى تأكيد ثم تجاوز

الحديث ومضمونه فسب وحارب!.

لقد حذر رسول الله صلى الله عليه و آله أمته من أن يرجعوا بعده كفاراً فيشن بعضهم الحرب

الدمويه على الخلافه الشرعيه طمعاً فى الدنيا، جاء عن واقد عن أبيه عن ابن عمر: أنه

سمع النبى يقول: الا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض))(۳)، وفى روايه

أخرى أنه ذكرهم بهذا الحديث فى حجه الوداع، ((عن جرير قال: قال لى رسول الله فى

حجه الودع: استنصت الناس، ثم قال: لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب

۱- فتح القدير الجامع بين فنى الروايه والدرايه من علم التفسير، الإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميره، دار الوفاء، ۱۴۱۵ ۱۹۹۴م، ۵ مجلدات.

۲- البخارى، كتاب الفتن، باب لا ترجعوا بعدى كفاراً)) دار إحياء التراث العربى، بيروت، ۲۰۰۱، ص۱۲۵۲، حديث ۷۰۷۶

۳- المصدر نفسه، حديث ۷۰۷۷

بعض))(١). بل ووردت عن رسول الله صلى الله عليه و آله نصوص تحرم على المسلم أن يستعمل السلاح

ضد المسلم حتى لو كان الآخر معتدياً. لكن فى حالات ضيقه أخر جوز النبى صلى الله عليه و آله قتال

المسلم للمسلم فى مواطن حددها وحالات بينها، منها دفاعاً عن الإسلام والمسلمين

إذا ما بغى عليهم من قبل البغاه، ومنها دفاعاً عن دمه وماله وعرضه إذا ما اعتدى عليه

مسلم آخر. ولكنه صلى الله عليه و آله فى الحالتين حذر الأمه من الفتن وأمرهم باعتزالها، قال رسول

الله صلى الله عليه و آله:((إنها ستكون فتنه القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى والماشى

خيرمن الساعى، قال: افرأيت إن دخل على بيتى فبسط إلى يده ليقتلنى؟ فقال: كن

كابن آدم. و تلا ((لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لاقتلك إنى أخاف الله رب العالمين)). وجاء فى حديث آخر عن أبى ذر: إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال له:((يا

ابا ذر ارايت إن قتل الناس بعضهم بعضاً، يعنى حتى تفرق حجاره الزيت من الدماء،

كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: اقعد فى بيتك واغلق عليك بابك. قال: فإن

لم يردعك شعاع السيف؛ فالق طرف ردائك على وجهك كى يبوء بإثمه وإثمك)).

لقد وعد رسول الله صلى الله عليه و آله المسلمين بالفتن التى تتربص بهم من خلال بيوتهم عن

الزهرى عن عروه عن أسامه بن زيد قال: أشرف النبى على أطم من آطام المدينه، فقال:

اترون ما ارى؟ قالوا: لا، قال: فإنى لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر))(٢)،

وكان رسول الله صلى الله عليه و آله يعلم بالفتن التى تنتظر المسلمين والحروب التى تصل إلى درجه

تعريض الأمه للهلاك على يد القرده الذين سينزون على منبره الشريف، ومع ذلك أمر

المسلمين فى الفتنه أن يقطعوا أوتار قسيهم، وأن يضربوا حد سيفهم بالحجاره، فتعطيل

أسلحتهم خير من أن يستعملوها لقتال بعضهم. لكن فهم هذه المصفوفه الأخلاقيه

١- المصدر نفسه، حديث ٧٠٨٠
٢- البخاري، ص ١٢٥٠، حديث ٧٠٦٠

...

الفقهیه الدقیقه یحتاج إلی عقل معصوم کعقل الإمام الحسن بن علی علیه السلام الذی شاءت

الإراده الإلهیه أن تضعه کما وضعت أباه فی قلب عصر الفتن. وقد أثبت الإمام الحسن علیه السلام

بأنه الراعی المسؤول عن تطبیق المنهج الربانی فی الحرب والسلم، فأثبت للأمه مشروعیه

قتال الإمام والخلیفه الشرعی لمن یبغی علی المسلمین حتی ولو کان الأخیر مسلماً، ثم

اثبت لهم مشروعیه الصلح حفظاً لبیضه الإسلام وحفاظاً علی العقیده.

ص :۵۶۸

مشروعیه الصلح والحرب فی الإسلام

فی منظومه الفقه الإسلامی هناک تشریع یأمر بالحرب بدون اعتداء ((وقتلوأ فی سبیل الله الذین یقتلونکم و لا تعتدوآ))(١)وقد اختلفت أقوال المفسرین فی هذه لآیه ولاسیما فی حدیثهم عن الطرف الآخر من معادله القتال؛ فقال الطبری فی تفسیر الآیه: ((اختلف أهل التأویل فی تأویل هذه الآیه، فقال بعضهم: هذه الآیه هی أول آیه نزلت فی أمر المسلمین بقتال أهل الشرک. وقالوا: أمر فیها المسلمین بقتال من قاتلهم من المشرکین، والکف عمن کف عنهم، ثم نسخت بـ(برآءه). وقال آخرون: بل ذلک أمر من الله تعالی ذکره للمسلمین بقتال الکفار لم ینسخ، وإنما الاعتداء الذی نهاهم الله عنه هو نهیه عن قتل النساء والذراری. قالوا: والنهی عن قتلهم ثابت حکمه الیوم. قالوا: فلا شیء نسخ من حکم هذه الآیه. فتأویل الآیه: وقاتلوا أیها المؤمنون فی سبیل الله... وأمرهم (تعالی ذکره)بقتال من کان منه قتال، من مقاتله أهل الکفر دون من لم یکن منه قتال من نسائهم وذرارتهم))(٢).

وقال ابن کثیر: (قال أبوجعفر الرازی عن الربیع بن أنس عن أبی العالیه، قال: هذه أول آیه نزلت فی القتال بالمدینه، فلما نزلت کان رسول الله صلی الله علیه و آله یقاتل من قاتله ویکف عمن کف عنه، حتی نزلت سوره براءه. وکذا قال عبد الرحمن بن زید بن أسلم حتی:

١- سوره البقره، الآیه ١٩٠

٢- ینظر: تفسیر الطبری

قال هذه منسوخه بقوله: ((فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم))(١).

إلا أن ذلک لا يمنع أن يکون قتال المسلم الذی يتآمر علی الإسلام ويکيد له قتالاً

فی سبيل الله، کما قاتل عليها المسلمين الذی قاتلوه من الناکثين والبغاه القاسطين

والمارقين، وکما قاتل الإمام الحسن عليه السلام البغاه. وأقف هنا لأذکر بواقعه تاريخيه حدثت

بعد موت رسول الله صلی الله عليه و آله مباشره وهی أن المؤرخين والباحثين أطلقوا علی من اعترض

علی بيعه أبی بکر اسم (المرتدين) سواء کانوا من المرتدين حقاً، أم من مانعی الزکاه

بسبب عدم اقتناعهم بالبيعه، أم من الذين کانوا يرون بأن النبی صلی الله عليه و آله نص علی خليفته

وعينه، بينما نجدهم يسمون من خرج علی علی والحسن عليهم السلام بالمسلمين المؤمنين، وهذه

مفارقه سياسيه أکثر منها عقائديه!.

وفی المنظومه الفقهيه تشريع آخر يأمر بالصلح، مره فی حال جنوح المعتدی إلی

السلم، کما فی قوله تعالی:((و إن جنحوا للسلم فاجنح لها))(٢). ولهذا السبب نجد هناک

من يجاهد ليظهر معاويه وکأنه المبادر إلی الصلح جنوحاً منه إلی السلم کما سيمر علينا

لاحقا، وليس من أجل توظيف الصلح لتحقيق مکاسب سياسيه! ومره أخری باعتبار

الصلح خيراً من الحرب، ولاسيما بين المسلمين أنفسهم، کما فی قوله تعالی: ((و الصلح خير))(٣) والقائد المسلم ملزم بتطبيق رؤيه الشريعه ليعرف متی تجب الحرب ومتی

يجب الصلح، فإن کانت الحرب هی التی تحقق الأفضل باعتبار أن الصلح مستحيل

وجب خوض الحرب حتی النهايه، فإما نصر وإما شهاده، أما إذا کان بالإمکان أن

يتحقق بالصلح فيجب عدم خوض الحرب، بل السعی وراء الصلح بکل السبل المتاحه

١- ينظر: تفسير ابن کثير

٢- الأنفال: ٦١

٣- النساء: ١٢٨

والطرق المتيسره.

و وفق هذه القاعده خاض الإمام الحسن عليه السلام حربه ضد أهل البغى كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه و آله لأن قتال الباغين واجب على الكفايه كقتال الكفار كما يرى الشهيد الثاني،(۱) وكما يقول المحقق الحلى: ((والفرار فى حربهم كالفرار فى حرب المشركين))، كما يرى المحقق الحلى(۲) ومع ذلک يرى المحقق الحلى أن الصلح والمهادنه وما يعرف بالمعاقده على ترک الحرب: ((جائز إذا تضمن مصلحه للمسلمين إما لقلتهم عن المقاومه، ولما يحصل به الاستظهار، أو لرجاء الدخول فى الإسلام مع التربص))(۳)، وفى السياق نفسه يرى الشهيد الثانى أيضاً أن المعاقده جائزه: ((وقد تجب مع حاجه المسلمين إليها وقد تباح لمجرد المصلحه التى لا تبلغ حد الحاجه، ولو انتفت(المصلحه) انتفت الصحه))(۴).

ومنه تتضح الصوره الحقيقيه والأسباب الحقيقيه التى دفعت الإمام الحسن عليه السلام للاستعداد للحرب ابتداء ثم طلب الصلح أو الموافقه عليه فيما بعد، ولاسيما بعد أن دخلت الأمه فى أولى مراحل (حكم الصبيان) التى وعدهم رسول الله صلى الله عليه و آله بأنهم بالغوها، ولا محيص عنها لأنها من مراحل المشروع الإلهى العظيم.

فى هذه المرحله كان فى ذاكره الإمام الحسن عليه السلام أكثر من حديث يصف المرحله وصفاً بالغ الدقه والتحديد، سواء من حيث الحديث عن واسع البلعوم الذى سيلى حكم الأمه أو الحديث عن الأغيلمه الذين سينزون على منبر رسول الله صلى الله عليه و آله كما القرده تنزو، أو الحديث عن الشجره الملعونه فى القرآن التى ستمد أغصانها المحمله بقرون الشياطين لتظلل الأمه بسوئها، فضلاً عن تخميناته الخاصه للمرحله والأنصار.

۱- الروضه البهيه فى شرح اللمعه الدمشقيه، دار الهادى، الشهيد الثانى: ج۳ ص۶۶۸

٢- شراح الإسلام، المحقق الحلى،ج٢ دار الزهراء ص٣٨۶

٣- المصدر نفسه، ج٢ ص٣٧٩

۴- الروضه البهيه، الشهيد الثانى، ص۶۵۴

الفصل الرابع الأغيلمه الشجره الخبيثه

اشاره

ص :573

حديث الأغيلمه

لو قيض للنفر القليل من أتباع الإمام الحسن عليه السلام الدين لاموه على الصلح، ولمن جاء بعدهم من الأتباع والأعداء، والباحثين والمؤرخين والمهتمين، لو قيض لهم جميعاً معرفه المعنى الحقيقى لحديث الأغيلمه القرشيين الذين حتما ويجب ولابد أن ينزوا على منبر رسول الله صلى الله عليه و آله، لا يمكن أن يردعهم رادع، أو يمنعهم مانع، أو يقف بوجههم سد، أو يحول بينهم وبينه شيء ما كانوا ليلوموا الإمام الحسن عليه السلام على ما فعل أو يغفلوا عن ذكره وتمجيد سرته وعمله وجهاده، فسيطره الأغيلمه على رقاب الأمه وعد إلهى جعله الله فتنه للناس واختباراً، ولم تكن للحسن عليه السلام أو أى شخص آخر قدره تغيير هذه الحتميه؛ لأنها من مراحل تدرج المشروع الإلهى الكونى.

ولطالما استوقفنى هذا الحديث الذى تتفق المدارس الإسلاميه جميعهاً على صحته والذى قاله رسول الله صلى الله عليه و آله ليكون الميزان المعيارى بين الحق والباطل، بين من يفهم أصول العقيده ومن لا يفقه منها شيئاً، بين المخلصين المنتجبين الطاهرين المعصومين الذى أطلعهم الله سبحانه على بعض أسرار الكون وبين أعدائهم الدين لم يكونوا يفقهون فى الحياه سوى أمر واحد هو الحصول على مركز الصداره حتى ولو على أنقاض الإسلام؛ للترفه بمتع الحياه الزائله، ولو كان هؤلاء يفقهون قيد أنمله من الفقه، ولو كانت تربطهم بالعقيده مجرد قطعه واهنه واهيه من خيط عنكبوت لكانوا عرفوا أهميه الوعد المستقبلى الذى أشار إليه الرسول صلى الله عليه و آله فى حديثه، فامتنعوا عن محاربه أهل الحق وأهل الذكر واكتفوا بما هم عليه، ولكن طمعهم و جهلهم و حبهم للدنيا أعمى عيونهم

وقلوبهم عن فهم معنى الحديث الكريم فدفعتهم رغباتهم الجامحه وشهواتهم الرامحه

ليحققوا للأمه ما تخوف منه الرسول صلى الله عليه وآله وأنزعج، من خلال السير في درب تملؤه

الدماء والآلام والأوجاع والمؤامرات والخداع، وهذا وحده يكفي دليلًا على سقوط

مشاريعهم الدينيه والسياسيه والحياتيه مهما كان عدد المؤمنين بها، ويكفي دليلًا على

خسران من يتبعهم في نهجهم ويتخلى عن منهج رسول الله صلى الله عليه وآله .

أما الإمام الحسن عليه السلام المؤتمن على الشروع الرسالي فكان على يقين كامل وتام بأن

وعد الله نافذ لا راد له، وأن الفتنه التي أثارها معاويه مكمله لفتنته الأولى التي سبق

وأن أثارها مع الإمام علي عليه السلام، وفيها هلاك الأمه شاء أم أبى؛ فقد سمع من جده صلى الله عليه وآله

وأبيه عليه السلام أنهم (الأغيلمه) الذين سيهلكون الأمه، وهو الحديث الذي أخرجه البخاري

((حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد قال: أخبرني جدي قال: كنت

جالسا مع ابي هريره في مسجد النبي بالمدينه ومعنا مروان، قال أبو هريره: سمعت

الصادق الصدوق يقول: هلكه أمتي على يدي أغيلمه من قريش فقال مروان: لعنه الله

عليهم غلمه. فقال أبوهريره: لو شئت أن أقول: بني فلان وبني فلان لفعلت، فكنت

أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام فإذا رآهم غلماناً أحداثا قال لنا: عسى

هؤلاء أن يكونوا منهم، قلنا: أنت اعلم))(١).

ويعني هذا أن الإمام الحسن عليه السلام كان مدركاً تمام الإدراك أن معاويه يجب أن ينتصر

ويحكم ويمهد الطريق لغلمان أميه لينزوا على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو كخليفه لرسول

الله وإمام معصوم مأمور بأن يسير وفق سنن المشروع الإلهي التي سبق وأن اطلع على

كامل تفاصيلها وخطواتها عن طريق جده صلى الله عليه وآله وأبيه عليه السلام، فمن غير المعقول، بل من

١- البخاري، كتاب الفتن، في باب ((هلاك أمتي على يدي أغيلمه سفهاء)) ، حديث ٧٠٥٨.

المستبعد كليا أن يكون الإمام الحسن عليه السلام بعيداً عما كان يرويه والده لهم بشكل خاص

وللأمه بشكل عام عن الأحداث المستقبليه وما ينتظرهم فى قادم الزمان، وهى مرويات

شغل بها على عليه السلام الناس، وأقام الدنيا ولم يقعدها؛ لانه قرأ لهم ماضيهم وحاضرهم

ومستقبلهم، وفى الاختصاص عن الأصبغ بن نباته قال: ((لما جلس أمير المؤمنين فى

الخلافه وبايعه الناس، خرج إلى المسجد متعمماً بعمامه رسول الله لابساً برده رسول

الله منتعلاً نعل رسول الله متقلدا سيف رسول الله، فصعد المنبر، فجلس عليه متكئا،

ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه، ثم قال: يا معشر الناس سلونى قبل أن

تفقدونى، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقنى رسول الله، فاسألونى

فإن عندى علم الأولين والآخرين... فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟ لولا آيه فى

كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامه، وهى

آيه((يمحوا الله ما يشاء و ما يثبت و عنده ام الكتاب))(١).

ولم يكن الإمام الحسن عليه السلام وحده مطلعا على هذا السر، فالأمه كلها بما فيها

السياسيون كانوا على علم بتدرج الأحداث وتصاعدها ولو يشكل عام بعيداً عن

الخصوصيات والتخصيص،إذ لم يكن فى الأمه من يجرؤ على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله فى

حديثه عن الماضى أو الحاضر أو المستقبل، وقد أثبتت لهم التجارب أن كل ما قاله عن

تاريخهم القريب تحقق بما فى ذلك مقتل على عليه السلام على يد أشقى الأشقياء، وعليه لابد من

تحقق نزو الغلمان على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقياده الأمه باسمه، وهو الأمر الذى لا يمكن

أن يتحقق إلا باستيلاء معاويه على الحكم؛ لأن الغلمان هم أبناء وأحفاد معاويه. ولهذا

السبب وغيره تشعبت طرق حديث (الأغيلمه) وتنوع رواته وتلونت صيغه بما يدل

١- الاختصاص، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى الملقب بالشيخ المعيد،مؤسسه التاريخ العربى، بيروت، ١۴٣٠ ه ٢٠٠٩م، ص ٢٠۵.

دلاله أكيده على كبير تأثير السياسيين على السنه النبويه ولاسيما منها ما يخص أخبارهم وأعمالهم، فقد أعادوا ترتيبه وتبويبه مرات عديده لهدف واحد و هو الدفاع عن أنفسهم وتبيان أحقيتهم بالخلافه والملك بالرغم مما وصفهم النبى صلى الله عليه وآله به من سيء العمل والخلق، وتعنى هذه الأحقيه برأيهم القاصر خطل رأى من حاربهم وقاتلهم سواء أكان من حاربهم سيد الناس عليا عليه السلام عليه، أم ولديه الحسن والحسين عليهما السلام، ما دامت هذه الأحاديث تدعى أن النبى صلى الله عليه وآله أمتدحهم ووصف أيام حكمهم بأيام (رحمه) كما سيرد فى طرق الحديث بعد تحريفه.

والغريب أن كثيرا من المؤلفات التاريخيه والمهتمه بالسنه والحديث نقلت هذه الروايات ووثقت رواتها ومدحتهم، ففى كتاب (النهايه فى الفتن والملاحم) لابن كثير أحاديث تصب فى المعنى نفسه أو قريبا منه، انقلها لا لاعتماد صحتها وواقعيتها وصدقها بسبب المغالطات الموجوده فيها، وإنما بوصفها مثالا على تمكن السياسيين من تشويه السنه النبويه، وبعض تلك الروايات لا يمكن تصديقه أو الأخذ به بسبب معارضته للروايات الصحيحه المتواتره المتفق عليها.

وأول تلك الروايات وأكثرها أهميه هو الحديث الصحيح الذى نوه عن (الأغيلمه) الذين يكون هلاك الأمه على يدهم والذى تعرض للتحريف الكبر. وقد ورد هذا الحديث فى الأعم الأغلب من كتب الحديث، وأنا أورده هنا عن ابن كثير الذى أورد الروايات المحرفه معه، قال: ((قال أحمد: حدثنا روح، حدثنا أبو أميه هم وابن يحيى بن سعيد بن العاص، أخبرنى جدى سعيد بن عمرو بن سعيد عن ابى هريره قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((هلكه أمى على يدى غلمه)) فقال مروان: وما معنا فى الحلقه أحد قبل أن يلى شيئا: فلعنه الله عليهم غلمه. قال: وأنا والله لوشئت أن أقول بنى فلان وبنى

فلان لفعلت. قال: فكنت أخرج مع ابى إلى بنى مروان بعد ما ملكوا فإذا هم يبايعون الصبيان ومنهم من يبايع له وهو فى حزامه، فقلت: هل عسى أصحابكم هؤلاء أن يكونوا الذين سمعت أبا هريره قال لنا عنهم: إن هذه الملوك يشبه بعضها بعضاً))(١).

وقد جاهد السياسيون فى إعاده رسم هذه الصوره التى رسمها الحديث بالرغم من وضوحها الكبير الذى لا يخفى على لبيب، أعادوا رسمها من خلال أحاديث نبويه أخفوا معالمها وأحاديث موضوعه نبوها إلى النبى صلى الله عليه وآله تضع حقبه حكمهم فى خانه الرحمه الإلهيه، بل وجعلوها فى مصاف حقبه البعثه المشرفه، وما منعهم مانع من أن يجعلوها قباله حكم الخلفاء من بعد رسول الله، كل ذلك ليقولوا للأمه أنهم ليسوا معنيين بذا الحديث، والمعنى به من يأتى بعدهم! ولقد أورد ابن الأثير رواياتهم فى مصاف ذلك الحديث الصحيح، وللأسف، ومنها:

قال أبو داود الطيالسى: ((حدثنا جرير بن حازم، عن ليث، عن عبد الرحمن بن سابط، عن ابى ثعلبه الخشنى، عن ابى عبيده بن الجراح ومعاذ بن جبل، عن النبى صلى الله عليه وآله قال: إن الله بدأ هذا الأمر نبوه ورحمه وسيكون خلافه ورحمه وسيكون عزا وحرمه وسيكون ملكا عضوضا وفسادا فى الامه يستحلون به الفرح والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون أبدا حتى يلقوا الله عز وجل)).(٢) وكأن الرواه وابن الأثير ومن لف لفهم يريدون القول أن مده حكم السياسيين الذين حاربوا عليا وحسنا وحسينا. كانت (عزا وحرمه) ثم نسبوا الملك العضوض والإفساد فى الأمه إلى من جاء بعدهم أى العباسيين وكأنهم مبرئون من هذه الأعمال الخسيسه!.

١- كتاب النهايه فى الفتن والملاحم لابن كثير، كتاب الكترونى، ص ٧.

٢- المصدر نفسه.

ومثله عن معاذ بن جبل؛ قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه و اله : ثلاثون نبوه، وثلاثون ملك وجبروت، وما وراء ذلك لا خير فيه. رواه الطبرانى فى الأوسط. قال الهيثمى: وفيه مطر بن العلاء الرملى، ولم أعرفه، وبقيه رجاله ثقات)). (۱) وأقف هنا لأجرى عمليه حسابيه بسيطه عن الأرقام التى وردت فى هذا الحديث. يقول الحديث: ((ثلاثون نبوه)) بينما المعروف بأن النبوه فى طوريها المكى والمدنى كانت ثلاثه وعشرون عاما فقط، ومعنى هذا أنهم أضافوا كامل خلافه ابى بكر وجزءا من خلافه عمر إلى عصر النبوه وهذا شىء غريب جدا. ويقول الحديث: ((وثلاثون ملك وجبروت)) وهذا يشمل باقى حقبه خلافه عمر وكامل خلافه عثمان وخلافه الإمام على ثم خلافه الإمام الحسن عليهما السلام وكامل خلافه معاويه الذى توفى فى دمشق عن ۷۸ سنه وكانت وفاته فى رجب سنه ۶۰ هجريه وهى تمام مجموع الحقبتين اللتين نوه عنهما الحديث! فهل يعقل ذلك؟ هل يعقل أن تكون حقب حكم ما بعد البعثه بمستوى حقبه حكم البعثه، وهل يعقل أن تكون حقبه حكم معاويه بموازاه حقبه حكم على عليه السلام؟.

وروى البيهقى من حديث عبد الله بن الحارث بن محمد بن حاطب الجمحى، عن سهل بن أبى صالح، عن أبيه، عن ابى هريرهقال: ((قال رسول الله صلى الله عليه و اله يكون بعد الأنبياء خلفاء يعملون بكتاب الله ويعدلون فى عباد الله، ثم يكون من بعد الخلفاء ملوك يأخذون بالثأر ويقتلون الرجال ويصطفون الأموال فمغير بيده ومغير بلسانه ومغير بقلبه وليس وراء ذلك من الإيمان شىء)). (۲) وفى صحيح مسلم من حديث ابى رافع، ((عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله: ما كان نبى إلا كان له حواريون يهدون

۱- إتحاف الجماعه بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعه، الشيخ حمود بن عبد الله التويجرى، الرياض،۱۳۹۴، باب ما جاء

فی الخلافه والملک العضوض والجبریه، ج- ۱ ص- ۲۱۲
۲- النهایه فی الفتن والملاحم لابن کثیر، ص ۷.

بهديه ويستنون بسنته. ثم يكون من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويعملون ما ينكرون)).(1)

وحتى مع منظومه التشويش السياسى وضعوا قوانين غايه فى الدقه وادخلوها إلى منظومه الفقه تأمر من ينتبه من عقلاء المسلمين إلى التزوير الحاصل بالكف والامتناع عن قتالهم بل و وجوب الطاعه لهم والوفاء ببيعتهم باعتبار أن الله هو من سيحاسبهم على أعمالهم، وفى صحيح البخارى من حديث شعبه عن فرات الفرار عن ابى حازم، عن ابى هريره، عن النبى صلى الله عليه و آله قال: كانت بنوإسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وإنه لا نبى بعدى وإنه سيكون خلفاء كثيرون. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: فوا ببيعه الاول فالاول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم))(2).

كما أن هناك كتبا, سلفيه تناولت هذه الأحاديث بالروايه والشرح والتوسع فى البحث بغيه ترسيخ القناعات السياسيه القديمه نفسها، ومنها كتاب (إتحاف الجامعه بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعه) باب ما جاء فى الخلافه والملك العضوض والجبريه، والكتاب للشيخ السلفى حمود بن عبد الله التويجرى.

جاء أول هذه الأحاديث لتخنيع الناس ومنعهم عن الاعتراض أو الثوره، وفيه:

عن ابى هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله سيكون بعدى خلفاء يعملون بما يعلمون، ويفعلون ما يؤمرون، وسيكون من بعدهم خلفاء يعملون بما لا يعلمون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن أنكر برئ، ومن أمسك سلم، ولكن من رضى وتابع. رواه ابن حبان فى صحيحه))(3).

1- المصدر نفسه، النهايه، ص8.

٢- المصدر نفسه، ص ٧-٨.

٣- إتحـاف الجـامعه بمـا جـاء فى الفتن والملاحم وأشـراط الساعه، باب ما جاء فى الخلافه والملك العضوض والجبريه، الشـيخ حمود بن عبد الله التويجرى، ج١ ،ص ٢١٤.

ثم جاء الحديث الآخر الذى يلزم الناس بطاعه الملوك المتجبرين: ((عن ابى هريره عن رسول الله صلى الله عليه و آله : أنه قال: كانت بنوإسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبى خلفه نبى، وإنه لا نبى بعدى، وإنه سيكون خلفاء فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: فوا ببيعه الأول فالأول، وأعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم. رواه: الإمام أحمد، والشيخان، وابن ماجه))(۱).

وهناك أحاديث أخر أخذت جانب الحياد النسبى مع ما فيها من خلاف لما هو مشهور عند المسلمين، وهى تروى تاريخا عاما بتسلسل الأحداث من النبوه إلى الخلافه إلى الملكيه، الحديث الأول يروى تفصيلا محايدا للنظره النبويه المستقبليه وفيه: عن حبيب بن سالم، قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: كنا قعودا فى المسجد، وكان بشير رجلا يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبه الخشنى فقال: يا بشير ابن سعد! أتحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه و آله فى الأمراء؟ وكان حذيفه قاعدا مع بشير، فقال حذيفه: أنا أحفظ خطبته. فجلس أبو ثعلبه، فقال حذيفه: قال رسول الله:

تكون النبوه فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافه على منهاج النبوه، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريه، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافه على منهاج النبوه، ثم سكت. قال حبيب: فلما قام عمر بن عبد العزيز، وكان يزيد بن النعمان بن بشير فى صحابته، فكتبت إليه بهذا الحديث أذكره إياه، فقلت: إنى لأرجو أن يكون أمير المؤمنين (يعنى: عمر) بعد الملك العاض والجبريه، فأدخل كتابى على عمر بن

١- إتحاف الجماعه بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعه،ج ١ ،ص٢١٤.

عبد العزيز، فسر به وأعجبه. رواه: الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسى، والبزار، والطبرانى

فى الأوسط))(۱).

وعن أبى ثعلبه رضى الله عنه، قال: ((لقيت رسول الله صلى الله عليه و آله، فقلت: يا رسول الله! ادفعنى إلى

رجل حسن التعليم. فدفعنى إل ز عبيده بن الجراح، ثم قال: قد دفعتک إلى رجل

يحسن تعليمک وأدبک، فأتيت أبا عبيده، وهو وبشير بن سعد أبو النعمان بن بشير

يتحدثان، فلما رأيانى سكتا، فقلت: يا أبا عبيده! والله ما هكذا أوصاک رسول الله صلى الله عليه و آله!

فقال: إنک جئت ونحن نتحدث حديثا سمعناه من رسول الله صلى الله عليه و آله، فاجلس حتى

نحدثک. فقال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله: إن فيكم النبوه، ثم تكون خلافه على منهاج النبوه،

ثم تكون ملكًا وجبريه. رواه أبو نعيم فى المعرفه)).(۲)

ومع هذا وذاک فلتت أحاديث نصت صراحه على نوع وصفه الحكم الذى

سيقود الامه المسلمه بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام، وهى أحاديث حددت صراحه

نوع الانحراف الذى سيقع بعد الصلح، و وسمته بأنه حكم (أعفر) أى ترابى أو معفر

بالتراب دلاله على الانحطاط الكامل، وهى أحاديث جىء بها للإشاره إلى حكم

العباسيين تحديداً باعتبار أن حكم الامويين المنحرف، وكما قالوا فى رواياتهم، يدخل فى

باب (ملک ورحمه) الذى يجىء بعد باب (نبوه ورحمه) ومنها، ((عن مكحول عن أبى ثعلبه

الخشنى رضى الله عنه عن أبى عبيده بن الجراح قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: أول دينكم نبوه ورحمه،

ثم ملک ورحمه، ثم ملک أعفر، ثم ملک وجبروت يستحل فيها الخمر والحرير. رواه

الدارمى فى سننه)). ولكنهم فى فصلهم عصر الخلافه عن عصر النبوه وعصر حكم

الامويين أضاعوا على أنفسهم فرصه الإفاده من هذا الحديث فوقعوا فى بئرهم الذى

١- المصدر نفسه، إتحاف الجماعه، ج١، ص٢١٠
٢- المصدرنفسه،ج١، ص٢١٠

حفروه. ومثله حديث آخر ((عن عبد الرحمن بن سابط عن أبى ثعلبه الخشنى رضى الله عنه. عن أبى عبيده بن الجراح ومعاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى قال: إن الله عز وجل بدأ هذا الأمر نبوه ورحمه، وكائناً خلافه ورحمه، وكائنًا ملكًا عضوضاً، وكائناً عتواً وجبريه وفساداً فى الأرض، يستحلون الفروج والخمور والحرير، وينصرون على ذلك، ويرزقون أبداً حتى يلقوا الله. رواه: أبو داود الطيالسى، والطبرانى)). قال الهيثمى: ((وفيه ليث بن أبى سليم، وهو ثقه، ولكنه مدلس، وبقيه رجاله ثقات))(١) وقريباً منه، ((عن أبى الطفيل: أنه سمع حذيفه رضى الله عنه يقول: يا أيها الناس! ألا تسألونى؛ فإن الناس كانوا يسألون رسول الله! عن الخير وكنت أسأله عن الشر؟ أفلا تسألون عن ميت الأحياء؟ فقال: إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه و آله، فدعا الناس من الضلاله إلى الهدى، ومن الكفر إلى الايمان، فاستجاب له من استجاب، فحيى بالحق من كان ميتاً، ومات بالباطل من كان حياً، ثم ذهبت النبوه، فكانت الخلافه على منهاج النبوه، ثم يكون ملكاً عضوضاً، فمن الناس من ينكر بقلبه ويده ولسانه، والحق استكمل، ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافاً يده، وشعبه من الحق ترك، ومنهم من ينكر بقلبه كافا يده ولسانه، وشعبتين من الحق ترك، ومنهم من لا ينكر بقلبه ولسانه؛ فذلك ميت الأحياء)). رواه أبو نعيم فى (الحليه)(٢)

هذا التخبط الكبير كان الدافع وراء منظومه الحديث المتحيز التى أوجدوها فيما بعد، والتى نمت أكبر مع سقوط الدوله الأمويه وقيام حكومه بنى العباس التى تزيدها سوءاً وظلماً، والملاحظ أن الأحاديث من هذا النوع تنسب عاده إلى كبار الصحابه ومن هو معروف ومشهور منهم، ومنها ((عن ابن عباسه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: أول هذا الأمر نبوه ورحمه، ثم يكون خلافه ورحمه، ثم يكون ملكاً ورحمه، ثم يكون إماره ورحمه، ثم يتكادمون عليها تكادم الحمير، فعليكم بالجهاد، وإن أفضل جهادكم

۱- إتحاف الجماعه بما جاء فی الفتن والملاحم وأشراط الساعه،ج ۱ ،ص ۲۱۰

۲- المصدرنفسه،ج۱، ص۲۱۳

الرباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان. رواه الطبراى. قال الهيثمى: ورجاله ثقات)).(۱)

ومنها ((عن ابى هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يكون بعد الأنبياء خلفاء يعملون بكتاب الله ويعدلون فى عباد الله، ثم يكون من بعد الخلفاء ملوك يأخذون بالثأر ويقتلون الرجال ويصطفون الأموال؛ فمغير بيده، ومغير بلسانه، ومغير بقلبه، وليس وراء ذلک من الإيمان شيء.رواه البيهقى))(۲).

وفى حديث آخر يساوى بين الخلفاء والأمراء والملوك: عن قيس بن جابر الصدفى عن أبيه عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سيكون من بعدى خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك، ومن بعد الملوك جبابره، ثم يخرج من أهل بيتى يملأ الأرخى عدال كما ملئت جورا، ثم يؤمر القحطانى، فوالذى بعثنى بالحق ما هو دونه)).(۳)

ومثله ((عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه: أن عمر بن الخطاب كان يقول: إن الله بدأ هذا الأمر حين بدأ بنبوه ورحمه، ثم يعود إلى خلافه ورحمه، ثم يعود إلى سلطان ورحمه، ثم يعود ملكا ورحمه، ثم يعود جبريه يتكادمون تكادم الحمير. أيها الناس! عليكم بالغزو و الجهاد ماكان حلوا خضرا قبل أن يكون مرا عسرا، ويكون ثماما قبل أن يكون رماماً أو يكون حطاماً؛ فإذا شاطت المغازى، وأكلت الغنائم، واستحل الحرام، فعليكم بالرباط، فإنه خير جهادكم. رواه: نعيم بن حماد فى الفتن، والحاكم فى مستدركه))،(۴)

وعن عمر أيضا: ((أنه قال: أول هذه الأمه نبوه، ثم خلافه ورحمه، ثم ملك ورحمه، ثم ملک وجبريه، فإذا كان ذلک فبطن الأرض يومئذ خير من ظهرها. رواه نعيم بن حماد

۱- إتحاف الجماعه بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعه ص ۲۱۲.

٢- المصدر نفسه،ج١،ص ٢١٤.

٣- المصدر نفسه،ج١، ص ٢١٢

٤- المصدر نفسه، إتحاف الجامعه ٠

فی الفتن)).(۱)

ولذا تری الإمام الحسن علیه السلام الذی کان مؤمنا تمام الإیمان بصحه حدیث الأغیلمه

ووجوب نزوهم علی منبر رسول الله بالیوم والساعه والدقیقه یستغل الفرص لیبین

للأمه أنه لم یفعل ما فعل بأمر منه؛ وإنما فعله بأمر الله تعالی، وقد قیض الله لواحد من

أکبر المدعین علی أهل البیت علیهم السلام: لیخرج حدیثا یثبت ذلک، وهو أبو الحسن المدائنی،

الذی قال عن الحسن علیه السلام : ((ودخل علیه سفیان بن ابی لیلی النهدی فقال: السلام علیک

یا مذل المؤمنین! فقال الحسن: أجلس یرحمک الله إن رسول الله صلی الله علیه وآله رفع له ملک بنی

أمیه فنظر إلیهم یعلون منبره واحدا فواحدا، فشق علیه ذلک فأنزل الله تعالی فی ذلک

قرآنا قال له:((وما جعلنا الرءیا التی أریناک الا فتنه للناس والشجره الملعونه فی القرآن))

وسمعت أبی علیا رحمه الله یقول: سیلی أمر هذه الأمه رجل واسع البلعوم کبیر البطن،

فسألته من هو؟ فقال: معاویه، وقال لی: إن القرآن قد نطق بملک بنی أمیه ومدتهم، قال

تعالی: ((لیله القدر خیر من الف شهر))، قال أبی: هذه ملک بنی أمیه، قال المدائنی: فلما

کان عام الصلح أقام الحسن بالکوفه أیاما ثم تجهز للشخوص إلی المدینه فدخل علیه

المسیب بن نجیه الفزاری وظبیان بن عماره التیمی لیودعاه، فقال الحسن: الحمد لله

الغالب علی أمره لو أجمع الخلق جمیعا علی أن یکون ما هوکائن ما استطاعوا))(۲).

وهو أوجز وأوضح تشخیص للحاله بما لا یحتاج إلی مزید شرح، ولکن دعما للموضوع

لا بأس من الحدیث عن رکن آخر من أرکان هذه المستقبلیه وأقصد أحادیث رسول

الله صلی الله علیه وآله عن الشجره الملعونه فی القرآن.

۱- المصدر نفسه، إتحاف الجامعه ۰

۲- شرح نهج البلاغه، مجلد۴، ج۱۶ ، ص ۶

الشجره الملعونه فى القرآن

يجرنا الحديث عن حكم غلمان بنى أميه إلى الحديث عن الشجره الملعونه فى القرآن

فى قوله تعالى:((و اذ قلنا لک ان ربک احاط بالناس وما جعلنا الرءيا التى ارىناک الا فتنه للناس و الشجره الملعونه فى القرا» و نخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا))(۱)

ومعرفه رأى

المفسرين، فيها، وهو رأى مقارب ومطابق لکل ما قلناه فى الجزء الأول من الكتاب

عن المحاولات المستميته لحرف الحقائق وإخفاء الدور التخريبى للسياسيين العرب،

وهى محاولات اشترک بتنفيذها مجموعه كبيره من السياسيين والإفتائيين والمؤرخين

والمفسرين. فالمعروف والثابت أن (الشجره الملعونه) جاءت إشاره إلى شجره النسب

الأموى، ولعن القرآن لها يثبت بما لا يقبل التأويل أو الشک أنهم كانوا محاربين للخط

الإسلامى العام، وما تفريطهم بعلى بن أبى طالب ثم بالحسن بن على ثم بالحسين عليه السلام ٠

وباقى العلويين والطالبيين إلا دليلا على ذلک، ولكن الجهد السياسى والجهد الداعم له

غطيا على هذه الحقائق فى تفسيرهم للشجره الملعونه التى كانت من أسباب قبول الإمام

الحسن عليه السلام الصلح مدعين أنها شجره الزقوم التى فى نار جهنم وغيرها من الأقوال،

نستمع إلى أقوالهم التى سنفندها بقول السيد الطباطبائى (رحمه الله) فى تفسير الميزان، فهو

قول فصل قوض کل الاقوال.

قال الطبرى: ((وقوله:((وما جعلنا الرءيا التى ارىناک الا فتنه للناس)) اختلف أهل

التأويل فى ذلک، فقال بعضهم: هو رؤيا عين، وهى ما رأى النبى صلى الله عليه وآله لما أسرى به من

۱- سوره الإسراء، الآيه ۶۰ .

مکه إلی بیت المقدس. وقال آخرون: هی رؤیاه التی رأی أنه یدخل مکه. وأما قوله:

((و الشجره الملعونه فی القرآن)) فإن أهل التأویل اختلفوا فیها. فقال بعضهم: هی

شجره الزقوم. وقال آخرون: هی الکشوث. عن مولی بنی هاشم حدثه، أن عبد الله بن

الحارث بن نوفل، أرسله إلی ابن عباس، یسأله عن الشجره الملعونه فی القرآن؟ قال: هی

هذه الشجره التی تلوی علی الشجره، وتجعل فی الماء، یعنی الکشوشی))،(۱) ولم یتطرق

الطبری لا من قریب ولا من بعید إلی علاقه الأمویین بالآیه، وسکت سکوتا مطبقا فلم

ینبس ببنت شفه! .

وقال السعدی فی تفسیره: ((والشجره الملعونه التی ذکرت فی القرآن وهی: شجره

الزقوم، التی تنبت فی أصل الجحیم))(۲).

وقال السیوطی فی کتابه ((مفحمات الأقران فی مبهمات القرآن): ((و الشجره الملعونه فی القران)) قال ابن عباس: هی شجره الزقوم)).(۳)

وقال القرطبی: ((فی قوله تعالی: ((والشجرهالملعونه فی القران)) ثلاثه أقوال:

الأول: هی شجره الزقوم و الثانی: عن ابن عباس قال: الرؤیا التی فی هذه الآیه هی

رؤیا رسول الله صلی الله علیه وآله أنه یدخل مکه فی سته الحدیبیه، فرد فافتتن المسلمون لذلک، فنزلت

الآیه، فلما کان العام المقبل دخلها، وأنزل الله تعالی: ((لقد صدق الله رسوله الرءیا بالحق)) (۴))). وفی هذا التأویل ضعف، لأن السوره مکیه وتلک الرؤیا کانت بالمدینه.

۱- تفسیر الطبری للایه ۶۰ من سوره الاسراء

۲- تفسیر السعدی للایه ۶۰ من سوره الاسراء

۳- مفحمات الاقران فی مبهمات القران. جلال الدین السیوطی(۹۱۱-۸۴۹ه. علق علیه محمد ابراهیم سلیم. مکتبه القران للطلع و النشر و التوزیع. القاهرت۱۹۸۷

۴- سوره الفتح الایه۲۷

والثالث: إنه عليه السلام رأى فى المنام بنى مروان ينزون على منبره نزو القرده، فساءه ذلك فقيل:

إنما هى الدنيا أعطوها، فسرى عنه، وما كان له بمكه منبر ولكنه مجوز أن يرى بمكه

رؤيا المنبر بالمدينه. وهذا التأويل الثالث قاله أيضا سهل بن سعد رضى الله عنه . قال سهل: إنما

هذه الرؤيا هى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يرى بنى أميه ينزون على منبره نزو القرده، فاغتم

لذلك، وما استجمع ضاحكا من يومئذ حتى مات. فنزلت الآيه غيره أن ذلك من

تملكهم وصعودهم يجعلها الله فتنه للناس وامتحانا. وقرأ الحسن بن على فى خطبته فى

شأن بيعته لمعاويه: ((و إن أدرى لعله فتنه لكم ومتاع إلى حين))،(١) قال ابن عطيه: وفى

هذا التأويل نظر، ولا يدخل فى هذه الرؤيا عثمان ولا عمر بن عبد العزيز ولا معاويه.(٢)

وفضلا عما تقدم أورد القرطبى قول ابن عباس: ((هذه الشجره بنو أميه، وأن

النبى صلى الله عليه وآله نفى الحكم). ولكنه لم يقتنع لا بهذا ولا بما سبقه، فقال: (وهذا قول ضعيف

محدث والسوره مكيه، فيبعد هذا التأويل، إلا أن تكون هذه الآيه مدنيه، ولم يثبت ذلك.

وقد قالت عائشه لمروان: لعن الله أباك وأنت فى صلبه، فأنت بعض من لعنه الله. ثم

قال: ((و الشجره الملعونه فى القرآن)) ولم يجر فى القرآن لعن هذه الشجره، ولكن الله لعن

الكفار وهم آكلوها. والمعنى: والشجره الملعونه فى القرآن آكلوها. ويمكن أن يكون

هذا على قول العرب لكل طعام مكروه ضار: ملعون،)). ولكى يثبت صحه رأيه قال

ثانيه: ((وقال ابن عباس: الشجره الملعونه هى هذه الشجره التى تلتوى على الشجر

فتقتله، يعنى الكشوث))(٣) غير آبه إلى ما تضمنه قول ابن عباس من تمثيل وتشبيه لبنى

أميه والتفافهم على الأصل كما تلتف الشجره المتطفله على الشجر الأصيل.

١- سوره الأنبياء: ١١١

٢- ينظر: القرطبى، تفسير الآيه ٦٠ من سوره الإسراء

٣- المصدر نفسه، تفسير القرطبى.

واشترک ابن کثیر مع القرطبی فی الرأی فقال: ((و أما الشجره الملعونه فهی شجره

الزقوم لما أخبرهم رسول الله صلی الله علیه وآله أنه رأی الجنه والنار ورأی شجره الزقوم فکذبوا

بذلک)) وقال أیضا: ((وقیل المراد بالشجره الملعونه بنو أمیه، وهو غریب ضعیف. وقال

ابن جریر حدثت عن محمد بن الحسن بن زباله حدثنا عبد المهیمن بن عباس بن سهل

بن سعید حدثنی ابی عن جدی قال: رأی رسول الله صلی الله علیه وآله بنی فلان ینزون علی منبره نزو

القرود فساءه ذلک فما استجمع ضاحکا حتی مات قال وأنزل الله فی ذلک ((و ما جعلنا الرءیا التی اریناک الا فتنه للناس))،وهذا السند ضعیف جدا، فإن محمد بن الحسن بن

زباله متروک و شیخه أیضا ضعیف بالکلیه، ولهذا اختار ابن جریر أن المراد بذلک لیله

الإسراء وأن الشجره الملعونه هی شجره الزقوم، قال لإجماع الحجه من أهل التأویل علی

ذلک أی فی الرؤیا و الشجره وقوله (ونخوفهم) أی الکفار بالوعید والعذاب والنکال

((فما یزیدهم الا طغیانا کبیرا)) أی تمادیاً فیما هم فیه من الکفر والضلال وذلک من

خذلان الله لهم)).(۱)

أما السید الطباطبائی فقال فی المیزان ردا علی تلک الأقوال: ولا یدری ما هذه

الشجره الملعونه فی القرآن التی جعلها فتنه للناس، ولا توجد فی القرآن شجره یذکرها

الله ثم یلعنها، نعم ذکر سبحانه شجره الزقوم و وصفها بأنها فتنه کما فی قوله((ام شجره الزقوم۶۲ انا جعلناها فتنه للظالمین)) (۲) لکنه سبحانه لم یلعنها فی شیء من المواضع التی

ذکرها، ولو کان مجرد کونها شجره تخرج فی أصل الجحیم وسببا من أسباب عذاب

الظالمین موجبا للعنها لکانت النار وکل ما أعد الله فیها للعذاب ملعونه ولکانت

ملائکه العذاب وهم الذین قال تعالی فیهم: ((و ما جعلنا اصحاب النار الا ملائکه و ما جعلنا

١- تفسير ابن كثير، الآيه ٦٠، سوره الإسراء.

٢- الصافات - ٦٣.

عدتهم الا فتنه للذين كفروا))(۱) ملعونين، وقد أثنى الله عليهم ذاک الثناء البالغ فی قوله:

((عليها ملائكه غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يومرون))(۲) وقد عد

سبحانه أيدى المؤمنين من أسباب عذاب الكفار؛ إذ قال: ((قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم))(۳) وليست بملعونه. وبهذا يتأيد أنه لم يكن المراد بالآيه الكشف عن

قناع الفقرتين و إيضاح قصه الرؤيا والشجره الملعونه فی القرآن المجعولتين فتنه للناس؛

بل إنما أريدت الإشاره إلى إجالهما والتذکير بما يقضيانه بحکم السياق.

نعم ربما يلوح السياق إلى بعض شأن الأمرين: الرؤيا والشجره الملعونه فإن الآيات

السابقه کانت تصف الناس أن أخراهم کأولاهم وذيلهم کصدرهم فی عدم الاعتناء

بآيات الله سبحانه وتکذيبها، وأن المجتمعات الإنسانيه ذائقون عذاب الله قريه بعد قريه

وجيلا بعد جيل بإهلاک أو بعذاب مخوف دون ذلک.

وبذلک يظهر أن الرؤيا والشجره المشار إليهما فی الآيه أمران سيظهران على الناس أو

هما ظاهران يفتتن بهما الناس فيشيع بهما فيهم الفساد ويتعرق فيهم الطغيان والاستکبار

وذيل الآيه:((ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا)) يشير إلى ذلک.

أضف إلى ذلک أنه تعالى وصف هذه الشجره التی ذکرها بأنها ملعونه فی القرآن،

وبذلک يظهر أن القرآن مشتمل على لعنها وأن لعنها بين اللعنات الموجوده فی القرآن

کما هو ظاهر قوله: ((و الشجره الملعونه فی القران)) وقد لعن فی القرآن إبليس ولعن فيه

اليهود ولعن فيه المشرکون ولعن فيه المنافقون ولعن فيه أناس بعناوين أخر کالذين

يموتون وهم کفار والذين يکتمون ما أنزل الله والذين يؤذون الله ورسوله إلى غير

۱- المدثر: ۳۱.

۲- التحریم: ۶.

۳- التوبه: ۱۴.

ذلک. وقد جعل الموصوف بهذه اللعنه شجره، و الشجره کما تطلق علی ذی الساق من

النبات کذلک تستعمل فی الأصل الذی تطلع منه و تنشأ علیه فرع بالنسب أو بالاتباع

علی أصل اعتقادی، قال فی لسان العرب: ویقال: فلان من شجره مبارکه أی من أصل

مبارک. وقد ورد ذلک فی لسانهکثیرا کقوله: ((أنا وعلی من شجره واحده،، ومن

هذا الباب قوله فی حدیث العباس: عم الرجل صنو أبیه.

وبالتأمل فی ذلک یتضح للباحث المتدبر أن هذه الشجره الملعونه قوم من هؤلاء

الملعونین فی کلامه لهم صفه الشجره فی النشوء والنمو وتفرع الفرع علی أصل له

حظ من البقاء والاثار وهم فتنه تفتتن بها هذه الأمه، ولیس یصلح لهذه الصفه إلا

طوائف ثلاث من المعدودین وهم أهل الکتاب والمشرکون والمنافقون ولبثهم فی الناس

وبقاؤهم علی الولاء إما بالتناسل والتوالد وإما بطلوع عقیده فاسده ثم اتباعها علی

الولاء من خلف بعد سلف. ولم یظهر من المشرکین وأهل الکتاب فی زمن الرسول قبل

الهجره وبعدها قوم بهذا النعت، وقد آمن الله الناس من شرهم مستقلین بذلک بمثل

قوله النازل فی أواخر عهد النبی صلی الله علیه وآله : ((الیوم یئس الذین کفروا من دینکم فلا تخشوهم و اخشون)) (۱).

فالذی یهدی إلیه الإمعان فی البحث أن المراد بالشجره الملعونه قوم من المنافقین

المتظاهرین بالإسلام یتعرقون بین المسلمین إما بالنسل و إما بالعقیده والملک هم

فتنه للناس، ولا ینبغی أن یرتاب فی أن فی سیاق الآیه تلویحا بالارتباط بین الفقرتین

أعنی قوله: ((و ما جعلنا الرءیا التی اریناک الا فته للناس و الشجره الملعوه)) وخاصه بعد

الإمعان فی تقدم قوله: ((و اذ قلنا لک ان ربک احاط بالناس)) وتذییل الفقرات جمیعا

۱– المائده: ۳.

بقوله:((و نخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا)) فإن ارتباط الفقرات بعضها ببعض ظاهر فى أن الآيه بصدد الإشاره إلى أمر واحد هو سبحانه محيط به ولا ينفع فيه عظه وتخويف إلا زياده فى الطغيان. ويستفاد من ذلک أن الشأن هو أن الله سبحانه أرى نبيه صلى الله عليه وآله ؛ فى الرؤيا هذه الشجره الملعونه وبعض أعمالهم فى الإسلام ثم بين لرسوله أن ذلک فتنه.

وقوله: ((وما جعلنا الرءيا التى اريناك الا فتنه للناس و الشجره الملعونه فى القران))

محصل معناه على ما تقدم أنه لم نجعل الشجره الملعونه فى القرآن التى تعرفها بتعريفنا، وما أريناک فى المنام من أمرهم إلا فتنه للناس و امتحانا و بلاء نمتحنهم ونبلوهم به وقد أحطنا بهم. والمراد بالتخويف إما التخويف بالموعظه والبيان أو بالآيات المخوفه التى هى دون الآيات المهلكه المبيده.

ويؤيد جميع ما تقدم ما ورد من طرق أهل السنه واتفقت عليه أحاديث أئمه أهل البيت عليهم السلام أن المراد بالرؤيا فى الآيه هى رؤيا رآها النبى صلى الله عليه وآله فى بنى أميه والشجره شجرتهم. وقد ذكر جميع من المفسرين استنادا إلى ما نقل عن ابن عباس أن المراد بالرؤيا التى أراها الله نبيه هو الامراء، و المراد بالشجره الملعونه فى القرآن شجره الزقوم. ثم لما ورد عليهم أن الرؤيا على ما صرح به أهل اللغه: هى ما يراه النائم فى منامه والامراء كان فى اليقظه اعتذروا عنه تاره بأن الرؤيا كالرؤيه مصدر رأى ولا اختصاص لها بالمنام، وتاره بأن الرؤيا ما يراه الإنسان بالليل سواء فيه النوم واليقظه، وتاره بأنها مشاكله لتسميه المشركين له رؤيا، وتاره بأنه جار على زعمهم كما سموا أصنامهم آلهه فقد روى أن بعضهم قال للنبى صلى الله عليه وآله لما قص عليهم إسراءه لعله شيء رأيته فى منامک فسماه الله رؤيا على زعمهم كما قال فى الأصنام (آلهتهم)، وتاره بأنه سمى رؤيا تشبيها له بالمنام لما فيها

من العجائب أو لوقوعه ليلا أو لسرعته. وقد أجاب عن ذلك بعضهم، أن الإسراء كان فی المنام كما روی عن عائشه ومعاويه. ولما ورد عليهم أيضا أن لا معنی لتسميه الزقوم شجره ملعونه ولا ذنب للشجره اعتذروا عنه تاره بأن المراد من لعنها لعن طاعميها علی نحو المجاز فی الإسناد للدلاله علی المبالغه فی لعنهم كما قيل وتاره بأن اللعنه بمعنی البعد وهی فی أبعد مكان من الرحمه لكونها تنبت فی أصل الجحيم، وتاره بأنها جعلت ملعونه، لأن طلعها يشبه رؤوس الشياطين والشياطين ملعونون؛ وتاره بأن العرب تسمی كل غذاء مكروه ضار ملعونا.

أما ما ذكروه فی معنی الرؤيا فما قيل: إن الرؤيا مصدر مرادف للرؤيه أو إنها بمعنی الرؤيه ليلا يرده عدم الثبوت لغه ولم يستندوا فی ذلك إلی شیء من كلامهم من نظم أو نشر إلا إلی مجرد الدعوی. وأما قولهم: إن ذلك مشاكله لتسميه المشركين الإسراء رؤيا أو جری علی زعمهم أنه رؤيا، فيجب تنزيه كلامه سبحانه من ذلك البته فما هی القرينه الداله علی هذه العنايه و أنه ليس فيه اعراف بكونها رؤيا حقيقه؟ ولم يطلق تعالی علی أصنامهم (آلهه) و(شركاء) وإنما أطلق (آلهتهم) و(شركائهم) فاضافها إليهم والإضافه نعمت القرينه علی عدم التسليم، ونظير الكلام جار فی اعتذارهم بأنه من تشبيه الإسراء بالرؤيا فالاستعاره كسائر المجازات لا تصح إلا مع قرينه، ولو كانت هناك قرينه لم يستدل كل من قال بكون الإسراء مناميا بوقوع لفظه الرؤيا فی الآيه بناء علی كون الآيه ناظره إلی الإسراء.

و أما قول القائل: ((إن الإسراء كان فی المنام فقد اتضح بطلانه فی أول السوره فی تفسير آيه الإسراء)).(١)

ص :٥٩٥

۱- المیزان فی تفسیر القرآن.

قتال الحسن عليه السلام للبغاه مكمل لقتال على عليه السلام لهم

إن بغى معاويه لم ينقطع فهو فضلا عن خروجه على الخليفه الشرعى على عليه السلام ومحاربته فى صفين، خرج على الخليفه الشرعى الحسن بن على عليه السلام وقاد جيوشه ليحاربه، ومعروف أن الأمه بايعت الحسن خليفه، واعترف جميع المسلمين المنصفين بهذه البيعه، أما معاويه فكان مجرد وال آبق عاص، وهو بخروجه على الخليفه الشرعى فى الحالتين خالف كل القواعد حتى تلك التى وضعها علماء مدرسته حيث جاء عن ابن تيميه قوله: ((المشهور فى مذهب أهل السنه أنهم لا يرون الخروج على الأئمه وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم... لأن الفساد فى القتال والفتنه أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنه، فيدفع أعظم الفسادين بالتزام الأدنى، ولا نكاد نعرف طائفه خرجت على ذى سلطان إلا كان فى خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذى أزالت))(١).

ولكن السياسيين أرادوا لمنظومه الحديث الموضوع أن تعمل عوضا عن منظومه السنه النبويه وأن تقوم بشرعنه كثير من الأحداث والأعمال المخالفه للإسلام التى وقعت منذ اللحظات الأولى لوفاه رسول الله صلى الله عليه وآله فصاعدا، ومع أنها اصطدمت بمنظومه أخرى أجمع المسلمون على صحتها ولم يختلفوا فى مضمونها، إلا أن ذلك لم يشفع للحق عند غالبيه المؤرخين ليأخذ مجراه، ولم يلن قلوبهم فأوغلوا فى الدس والتشويه وضمنوا تاريخنا كثيرا من التحريف والتحيز الذى شوه صورته.

ص: ٥٩٦

١- منهاج السنه النبويه، عبد الحليم بن تيميه، ج ٢، ص ٠٧٨

ونجد فی منظومه الأحادیث الصحیحه روایات تتحدث عن قتال الإمام علی علیه السلام للبغاه، ثم نجد فی التاریخ قصصا عن هذا القتال الذی کان الضلع الثانی من أضلاع المثلث العدوانی: (الناکثون) و (الباغون) و (المارقون) ولما کان الذین یحملون صفه (الباغون) هم أنفسهم الذین قاتلوا الإمام الحسن علیه السلام للاسباب نفسها التی قاتلوا من أجلها علیاً علیه السلام، فإن صفه البغی بقیت لصیقه بهم لم تفارقهم ولم یفارقوها. وقد أورد السیوطی فی تاریخه قولا فیه دلاله عظیمه علی بغی معاویه وخروجه علی الخلفاء الشرعیین بالرغم مما فیه من دس، جاء فیه: ا(خرج معاویه علی علی کما تقدم، وتسمی بالخلافه، ثم خرج علی الحسن))(۱)، أما الدس الموجود فی الحدیث فهو قوله: ((وتسمی بالخلافه)) إذ المشهور بین المؤرخین أن معاویه بویع من قبل الشامیین بعد الصلح ولیس قبله.

وقد کان فی مخطط الإمام الحسن علیه السلام أن یرد علی خطر معاویه بعد أن یکمل بناء إداره دولته، ولکن معاویه استبق الأمور فهو ما إن سمع بمقتل الإمام علی علیه السلام حتی جمع جیشه و سار نحو الکوفه لیفرض علیها سیطرته، وهو ما اتفق علیه المؤرخون ومنهم الیعقوبی، الذی قال فی تاریخه: ((وأقبل معاویه لما انتهی إلیه الخبر بقتل علی، فسار إلی الموصل بعد قتل علی بثمانیه عشر یوما))(۲) وذلک لیفاجئ الإمام الحسن علیه السلام قبل أن یکمل استعداداته؛ لأنه کان علی یقین بأن الحسن علیه السلام یحمل مشروع علی علیه السلام الذی یرفض أن یکون معاویه مجرد وال علی إقلیم بل خلیفه للمسلمین. وقد لعبت السیاسه لعبتها ابتداء من هذه المرحله بالتحدید حیث کثرت الأقاویل والدسائس والتحریف.

۱- تاریخ السیوطی. ص۱۹۶

۲- تاريخ اليعقوبى. ج۲. ص ۱۴۹. ج۲

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وصف معاويه و جنده بالفئه الباغيه(١)، فى مجموعه من الأحاديث سواء منها تلك التى أخبر بها الإمام على عليه السلام بمن سيقاتله فى قابل الأيام أو تلك التى أخبر بها أن عمارا تقتله الفئه الباغيه، فقتل عمار فى حرب صفين، وعلى عليه السلام هو الخليفه الشرعى المنتخب من قبل جماهير المسلمين بما يعنى أن من قاتله هم الموصوفون بالبغى. ولكن أحفاد الفصيل السياسى لم يأبهوا للحديث الصحيح واستندوا إلى أحاديث موضوعه لكى ينفون صفه البغى عن أجدادهم، ولأنهم كانوا على يقين أن كل ما جاءوا به من تصحيف وتحريف وتدليس لا يمكن أن يقع العقلاء؛ فتراهم بعد التأويل يخرجون بمحصله لا أصل لها فى الشريعه، قالوا من خلالها: ((إن البغى كما أنه لا ينافى وصف الايمان، فكذلك قد يكون الباغى صاحب حق))، وأنقل لكم نص قولهم: ((كذلك يجب ألا ينسى المستدل بحديث عمار أن يستدل بحديث: ((إن ابنى سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين*، وهذا الحديث من دلائل نبوته صلى الله عليه وآله حيث أخبر عما سيكون على يدى الحسن بن على من الإصلاح بين المؤمنين وهذا قد تحقق وشهد عليه التاريخ عندما اصطلح الحسن عليه السلام ومعاويه وتنازل الحسن عليه السلام طواعيه عن الخلافه لمعاويه... وما كان الحسن عليه السلام ليتنازل لمعاويه لو ظن أن معاويه خال من وصف الايمان كما تدعى الرافضه وأذنابهم؛ لأن تسليم أمور المسلمين للدعاه إلى النار والمنافقين الكفار

١- بالمناسبه هناك من يرى فى لفظه (البغى) مدحا أكثر منه ذما باعتبار أن البغى لا يخرج من الإيمان ولذا يقولون: (فإن ذكرت البغى فلا تنس الايمان، والبغى لم يكن صفه معاويه وحده بل صفه عائشه وطلحه والزبير ومعاويه وعمرو بن العاص وغيرهم من أكابر الصحابه وهى أيضا صفه زيد بن على بن الحسين فى خروجه على هشام، وهذه من زلات الأكابر المغفوره لما لها من تأويل، فهذه فرقه مؤمنه باغيه على إمامها يغفر الله لها لسابقتها وحسن بلائها فى الإسلام، وأما معاده معاويه وحده من بنين سائر هؤلاء فلا المنطق يؤيدها ولا قواعد الشريعه. ينظر الرابط www. ahlalsonnah

الفجار من أعظم الذنوب بل من الكفر، ومن المحال أن يستحق الحسن المدح والثناء والسياده من أجل كفر، ومن المحال أن يتنازل عن ولايه أمور المسلمين لعدو داعيه إلى النار، فإن من يولى دعاه النار يكون هو أيضا داعيه إلى النار بالتسبب كما لا يخفى... أن البغي كما أنه لا ينافي وصف الايمان فكذلك قد يكون الباغى صاحب حق)).(۱)

وهذا الرأى المتحيز بعيد عن الحقيقه ومخالف للمنقول؛ لأن معنى البغى فى فقه مدرستنا والمدارس الاخر واضح وجلى ولا يحتاج إلى كثير جهد لكى يفهم؛ فقد فسر السيد الطبابطبائى فى الميزان البغى على أنه: ((الظلم والتعدى بغير حق. والفيء الرجوع، والمراد بأمر الله ما أمر به الله، والمعنى: فإن تعدت إحدى الطائفتين على الأخرى بغير حق فقاتلوا الطائفه المتعديه حتى ترجع إلى ما أمر به الله وتنقاد لحكمه)).(۲)

ونقل القرطبى فى تفسيره عن القاضى ابى بكر بن العربى قوله: ((فتقرر عند علماء المسلمين وثبت بدليل الدين أن عليا عليه السلام كان إماما، وأن كل من خرج عليه باغ وأن قتاله واجب حتى يفيء إلى الحق وينقاد إلى الصلح))(۳).

وقال القاضى أبو بكر بن العربى عن هذه الآيه بالذات: ((هذه الآيه أصل فى قتال المسلمين، والعمده فى حرب المتأولين، وعليها عول الصحابه، وإليها لجأ الأعيان من أهل المله، وإياها عنى النبى صلى الله عليه وآله بقوله: ((تقتل عمارا الفئه الباغيه)). وقوله. فى شأن الخوارج: .يخرجون على خير فرقه أو على حين فرقه))، والروايه الأولى أصح؛ لقوله.: تقتلهم أولى الطائفتين إلى الحق)). وكان الذى قتلهم على بن أبى طالب

۱- أهل السنه، الرابط www. ahlalsonnah

۲- تفسير الميزان، الحجرات ۹.

٣- تفسير القرطبى الآيه ٩ سوره الحجرات.

ومن كان معه))(١).

وقد أجمعت المذاهب على شرعيه قتال الخليفه الشرعى للبغاه، بل و قصر بعضهم هذا الحق على الخليفه الشرعى دون سواه، وفى تفسيرهم لسوره الحجرات أوضحوا أبعاد هذا الحكم بشكل دقيق؛ فبعد أن قال الطبرى فى تفسير الآيه التاسعه من سوره الحجرات: ((يقول تعالى ذكره: وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل)) عاد ليقول: ((وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل عن على، عن ابن عباس: فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغ، فحق على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقروا بحكم الله. وفى حديث آخر: حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ولا يقاتل الفئه الباغيه إلا الإمام))(٢).

أما القرطبى فإنه قدم للموضع بقوله: ((قال العلماء: لا تخلو الفئتان من المسلمين فى اقتتالهما، إما أن يقتتلا على سبيل البغى منهما جميعا أو لا. فإن كان الأول فالواجب فى ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافه والموادعه. فإن لم يتحاجزا ولم يصطلحا وأقامتا على البغى صير إلى مقاتلتهما. وأما إن كان الثانى وهو أن تكون إحداهما باغيه على الأخرى، فالواجب أن تقاقل فئه البغى إلى أن تكف و تتوب، فإن فعلت أصلح بينها و بين المبغى عليها بالقسط والعدل. فإن التحم القتال بينهما لشبهه دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقه، فالواجب إزاله الشبهه بالحجه النيره والبراهين القاطعه على مراشد الحق. فإن ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكله ما هديتا إليه ونصحتا به من

١- تفسير القرطبی الآیه ٩ سوره الحجرات
٢- تفسير الطبری، سوره الحجرات، الآیه ٩

اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين. والله أعلم)) (١)؛

والقرطبى بهذه المقدمه جعل المسؤوليه مفتوحه لا يتحملها شخص ما بعينه، من

خلال قوله: ((وقوله تعالى: ((فقاتلوا التى تبغى)) أمر بالقتال. وهو فرض على الكفايه إذا

قام به البعض سقط عن الباقين...وفى هذه الآيه دليل على وجوب قتال الفئه الباغيه

المعلوم بغيها على الإمام أو على أحد من المسلمين))، ثم عاد وقال: إذا خرجت على

الإمام العدل خارجه باغيه ولا حجه لها، قاتلهم الإمام بالمسلمين كافه أو من فيه كفايه،

ويدعوهم قبل ذلك إلى الطاعه والدخول فى الجامعه، فإن أبوا من الرجوع والصلح

قوتلوا))، وهدف القرطبى من المقدمه وما تلاها القول: إن معاويه ليس باغ وغير

مشمول بقول إذا خرجت على الإمام العدل خارجه باغيه ولا حجه لها؛ لأنه كان

صاحب حجه شرعيه وهى المطالبه بالثأر لعثمان!)).

بل حتى أتباع المذهب الإباضى وهم الخوارج يرون جواز مقاتله البغاه، فهم كما

يقول (قشار بالحاج): لا يستحلون دماء المسلمين ولا أخذ شيء من أموالهم... فمال

المسلم ودمه حرام إلا من استثناه الشرع فى إباحه دمه وهم البغاه فى قوله تعالى: ((فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امر الله)) وهم من خرج على الإمام

العدل الذى اختاره المسلمون عن شورى))(٢).

ومع هذا وذاك تجد السياسيين العرب يتفننون فى طمس كل الحقائق ويتجاهلون

أمر الله بقتال الفئه الباغيه لمجرد أنهم يريدون أن يخذلوا الإمام علياً عليه السلام فى حربه للبغاه.

ثم يتحدثون بأن الإمام الحسن عليه السلام هو الذى سار إلى قتال معاويه؛ وبالتالى لم يكن معاويه

١- تفسير القرطبى، سوره الحجرات، الآيه ٩ .

٢- اللمعه المضـيئه فى تاريخ الإباضـيه، بالحاج بن عدون قشار، ط٢، مكتبه الضامرى، السـيب، سلطنه عمان، ١٤١١ ١٩٩٠م، ص ١٤.

باغيا على الإمام الحسن عليه السلام لأنه بمسيره كان يريد الدفاع عن نفسه! ومن يسير إلى قتال الآخر هو الباغى بشرعهم.

لقد وظف السياسيون مقتل الخليفه عثمان على يد الثوار واستثمروه لتحويله من حدث سياسى دينى إلى ثأر عشائرى دينى، عشائرى بالنسبه لهم وللقبائل التى ترتبط معهم بولاء وعهد، ودينى لمن تابعهم من القبائل والعشائر الاخر والمسلمين الآخرين، فاختزن عربيهم وأعجميهم هذا الثأر فى ذاكرته ليشعر أن له ثأرا ينبغى المطالبه به ويجب سداده. ثم لما جاءت صفين التى أشعل نارها البغاه كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وبسبب الأعداد الكبيره من القتل والجرحى فيها تجدد الثأر، فأضافت صفين حقوقا أخر للثأر؛ فصار الثأر ثأرين مسيطر عليهما، يستثيرهما السياسيون متى شاءوا ويخمدونهما متى رغبوا، ولذا ترى مفرده الثأر تخمد قليلابعد التحكيم دون أن تنطفئ فإذا ما قتل الإمام على عليه السلام بيد أثقاها أو كما يصفه معاويه فى رسالته إلى عماله: (رجلا من عباده) و نصب الحسن خليفه مسلمين من بعده استفزها السياسيون وأوقدوا نارها من جديد فاستعرت وتأججت وذر الشيطان قرنه ليوقد بنارها فتنه فى عالم المسلمين لخوض المعركه التى تقرر المصير.

كان حكم وحكومه الإمام الحسن عليه السلام فى مرحله التأجيج والتصعيد هذه لما يزل عودا طريا غضا لينا غير متكامل البناء ولا ملموم الأطراف ولا متناسق الصوره، لا يملك مقومات مجابهه البغى والغيله والغدر والمكر، وكانت حكومه وحكم السياسيين الغربيين كيانا متكاملا مترابطا مبنيا على مبدأ المعامله والمتاجره ليس بالقيم وحدها، بل حتى بالنفس الإنسانى والوجودى، فانشغل الامام الحسن عليه السلام فى ترميم بيت الخلافه وأنشغل البغاه فى تجميع قواهم لينقضوا على آخر معاقل قوى الإسلام المحمدى، ولم...

يأخذ الأمر من معاويه أكثر من رساله بخط واحد و نمط واحد، وكأنها كتاب رسمى من الكتب التى تصدرها الدوائر الحكوميه اليوم بعده نسخ، أو ما يعرف بالإعمام، وتعطى منها(نسخه إلى/....) تذهب كل منها إلى جهه ما لتوصل الكتاب إلى جميع المعنيين بمحتواه، وكانت رساله معاويه:

((بسم الله الرحمن الرحيم

من معاويه أمير المؤمنين إلى..... وذكر أسماءهم

ومن قبله من المسلمين

سلام عليكم

فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو.

أما بعد:

فالحمد لله الذى كفاكم مئونه عدوكم وقتله خليفتكم، إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلى بن أبى طالب رجلا من عباده، فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم، فأقبلوا إلى حين يأتيكم كتابى هذا بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغى والعدوان))(۱).

وتلحظ هنا أن معاويه يتهم الإمام عليا و خليفته الإمام الحسنبأنهما باغيان، ويصف نفسه بالنقى المؤمن المؤتمن، ورسالته إلى عماله ليست أقل الأدله على ذلك.

لكن قباله رماله معاويه هذه هناك رماله أخر هى عباره عن خطبه ألقاها الحسن عليه السلام.

۱- شرح نهج البلاغه، م۴،ج۱۶،ص ۱۳-۱۴.

بأتباعه دليلها لا يصمد بالوقوف أمامه أى دليل فى الكون، فرساله معاويه أثارت نخوه

الجاهليه ودعت إلى الثأر القبلى الموروث، أما رساله الإمام الحسن عليه السلام فقد جاء فيها:

بعد الحمد والثناء

أما بعد:

فإن الله كتب الجهاد على خلفه وسماه كرها، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين:

((و اصبروا ان الله مع الصابرين)) فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على

ما تكرهون، إنه بلغتى أن معاويه بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه، فتحرك لذلك.

فأخرجوا (رحمكم الله) إلى معسكركم بالتخيله، حتى ننظر وتنظروا ونرى وتروا))(١).

ومنه يتضح من هو مؤمن ومن هو باغ.

إن المؤرخين فى حديثهم عن سير الحسن عليه السلام إلى قتال معاويه أسهبوا فى القول

وأكثروا فى التأويل، ولم يرسوا على قرار واحد، واجد أن هذا التلون والتنوع لم يقع

مصادفه، بل كان مقصودا و موظفا و مستثمرا.

١- شرح نهج البلاغه،م۴ ،ج۱۶ ،ص ۱۴ .

جيش الإمام الحسن عليه السلام

إذا ما كان معاويه قد نجا بحياته فى تجربه صفين بخدعه سياسيه، فإنه فضلا عن عقده الخوف التى خرج بها (١) لم يكن واثقا من انطلاء خدعه أخرى مثل خدعه رفع المصاحف مره ثانيه، ولاسيما وأنه كان يرى من خلال المراسلات مع الحسن عليه السلام أنه يجابه فتى صارما حازما مصرا على تقويم الاعوجاج، فأراد أن يتخلص من الورطه الجديده بعيدا عن ساحات الحرب فعمل فى ثلاثه محاور:

المحور الأول: قام بجمع آلاف مؤلفه من الجند يرهب بهم قلوبا يريد خداعها واستمالتها إلى جانبه لكى يبدو أمام الناس وكأن جيشه لا يقهر ومن الأجدى لهم والأجدر بهم أن ينجوا بأرواحهم وحربوا إلى جانبه أو يتركوا القتال، وبعد أن تحقق له بعض ذلك بدأ بالخدعه الأخرى.

ص :٦٠٧

١- قال المسعودى فى مروج الذهب: ((وذكر أن معاويه بن أب؛ سفيان تنازع إليه عمرو بن عثمان بن عفان وأسامه بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وآله فى أرض، فقال عمرو لأسامه: كأنك تنكرنى، فقال أسامه: ما يسرنى نسبك بولائى، فقام مروان بن الحكم فجلس إلى جانب عمروبن عثمان، وقام الحسن فجلس إلى جانب أسامه، فقام سعيد بن العاص فجلس إلى جانب مروان، فقام الحسين فجلس إلى جانب الحسن، وقام عبد الله بن عامر فجلس إلى جانب سعيد، فقام عبد الله بن جعفر فجلس إلى جانب الحسين، وقام عبد الرحمن بن الحكم فجلس إلى جانب ابن عامر، فقام عبد الله بن العباس فجلس إلى جانب ابن جعفر، فلما رأى ذلك معاويه قال: لا ـ تعجلوا، أنا كنت شاهدا إذا أقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله أسامه، فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين، وأقبل الأمويون عليه فقالوا: ألا كنت أصلحت بيننا قال: دعونى فوا لله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين إلا لبس على عقلى وهى صوره تنبئك بالرعب العظيم الذى زرعته صفين فى قلب معاويه)).

المحور الثانى: قرر إفراغ بيت المال الشامى بكل ما فيه وهو أكثر من كثير؛ من أجل أن يستميل إليه قلوب الطماعين من جانب ويحدث الضجه المفتعله فى معسكر الحسن عليه السلام من جانب آخر، ولقد نجح فى المشروعين؛ نجح فى إماله قلوب العشرات من شيوخ القبائل والقاده والمتنفذين والوجهاء الغربيين ممن كانوا مع الحسن عليه السلام إلى جانبه فاعتزلوا الحرب تباعا وتخلوا عن المسير ويمم بعضهم صوب الشام يعلن البيعه ويستلم الثمن، فضلا عمن كان موجودا فى العسكر من المغرضين والجهلاء والمصلحيين والسياسيين؛ موعودا بالمال الوفير إن هو نجح فى قتل الحسن عليه السلام أو فى إشاره الفتنه فى معسكره أو تحريض الجند على قتله، وثالثه الأثافى كان وجود الخوارج ضمن قوات الحسن عليه السلام وهم الذين يضمرون الحقد له ولمعاويه وكانوا يعتقدون أن مقاتله معاويه من خلال جيش الحسن عليه السلام تضعفهما سويه، فما إن رأوا الكفه تميل إلى جانب معاويه حتى غادر بعضهم ليجد له مكانا فى صفوف جند الشام؛ لكى يضعف كفه جيش الحسن، وعسى أن يهدم ما يقدر على هدمه هناك عند معاويه، وبقى القسم الآخر فى معسكر الحسن عليه السلام ينتظر الفرصه للفتك به كما فتكوا بابيه من قبل، فمن غادر منهم أضعف معنويات جيش الحسن، ومن بقى شاغب و نافق فأحدث فتنه فى صفوف الجيش.

المحور الثالث: دفع الحرب قدر المستطاع وإجبار الحسن عليه السلام على قبول الصلح؛ لكى لا يتورط بقتل ابنى رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليه السلام، فتثور عليه الأمه وترفض منحه الشرعيه، وهى لما تزل حانقه عليه بسبب قتاله لعلى عليه السلام.

إن المده التى قضاها معاويه فى إعداد الغربيين (جيشه وشعبه) لمثل هذه المنازله كانت كافيه جدا لتنظيمهم وترتيبهم، على خلاف الشرقيين الذين فرض جذب...

العاصمه والقها عليهم أن يعيشوا مع أصناف وأجناس وطبائع وأفكار حتى وإن بدت متعايشه، فإنها بالتأكيد لم تكن متجانسه ولا متفاهمه. وقد أعد معاويه جيشه الجرار من ذاك الشعب المترف المستقر، وكان على الحسن عليه السلام أن يعد جيشا من هذا الشعب القلق المضطرب غير المتجانس، وهو الذى ابتلى بشعب متنوع متنافر متكاره غير متجانس، كان فيه المخلص الشريف، واللص الشريد، والحاقد، والكاره، والمصلحى، والنفعى والجاسوس، ومن باع دينه بدنانير قليله، ومن يسعى إلى متع الحياه و بهجتها بعيدا عن رقابه أهل البيت عليهم السلام، ولقد نقل الشيخ آل ياسين وصف صعصعه بن صوحان العبدى للكوفه وذكره للأجلاف الذين كانوا فيها فى عصر الإمام الحسن عليه السلام، بقوله:

((قبه الإسلام وذروه الكلام، ومصان ذوى الأعلام، إلا أن بها أجلافا تمنع ذوى الطاعه وتخرجهم عن الجماعه، وتلك أخلاق ذوى الهيئه والقاعه)).(١)

وحقا كان المجتمع الكوفى خليطا غير متجانس من الناس الذين تختلف مشاربهم ورؤاهم وحتى عقائدهم، فهناك:

. الشيعه المخلصون الذين كانوا قد نذروا أرواحهم للموت فى سبيل إمامهم الحسن عليه السلام وعقيدتهم الحقه.

وهناك المسلمون الحقيقيون، وأهل البصائر يلهبون حماس الشعب ويحرضونهم لقتال أهل البغى بشتى أساليب الاستنهاض.

• وهناك الأمويون وهم من أبناء الأسر البارزه كعمر بن سعد وقيس بن الاشعث وعمر بن حريث وأبو برده بن موسى الأشعرى وحجار بن ابجر

ص :٦٠٩

١- صلح الحسن، الشيخ آل ياسين، ص ٦١، عن البلاذرى فى فتوح البلدان والبرقى فى تاريخ الكوفه والحموى فى المعجم.

وعمر بن الحجاج وإسماعيل وإسحاق ابنى طلحه بن عبيد الله وغيرهم، وهم

الذين وعدوا معاويه باغتيال الإمام أو تسليمه له أسيرا؛ وكتبوا إليه واستحثوه

على المسير نحوهم(١).

وفضلا عن هؤلاء كان فيها ((الاءشعث بن قيس و المنذر بن الزبير و إسحاق بن

طلحه وحجر بن عمرو و يزيد بن الحارث بن رويم وشبث بن ربعى وعروه بن قيس

ومحمد بن عمير وعبد الله بن مسلم بن سعيد وأسماء بن خارجه والقعقاع بن الشور

الذهلى و شمر بن ذى الجوشن الضبابى))(٢)، وكلهم كانوا متعاونين مع معاويه داعمين

له، موهنين أتباع الحسن عليه السلام؛ لأنهم إما كانوا ينتمون إلى الشرع السياسى، أو يكرهون

البيت العلوى، أو يطمعون بهبات معاويه بعد أن وعدهم بالمال الوفير، اخرج الشيخ

الصدوق (رحمه الله): ((و بعث معاويه لكل من عمر بن حريث، والاشعث بن قيس، وحجار

بن ابجر عينا من عيونه يمنى كل واحد منهم بقياده جند من جنوده، أو تزويج إحدى

بناته، أو بمائه ألف درهم إن هم قتلوا الإمام الحسن عليه السلام))(٣).

• وهناك من أنصار معاويه الآخرين من هم من أهل الكوفه وباقى الأمصار

الذين أفسدتهم هداياه ووعوده.

• وهناك الهمج الرعاع الذين ينعقون خلف كل ناعق، تتقاذفهم الأهواء

وتحركهم الأقوال، وتقعد بهم الأفعال.

• وهناك الخوارج القشريون والحروريه، الذين كانوا يكيدون للحسن عليه السلام

١- الإرشاد، الشيخ المفيد، ص ١٧٠.

٢- ينظر: صلح الحسن، آل ياسين، ص ٨٨

۳- علل الشرایع، الشیخ الصدوق، ص ۸۴.

ويعيقون مشروعه النهضوى، وهم حزب له تأثير كبير على الشارع، وقاده كبار متفانون فى سبيل عقيدتهم منهم عبد الله بن وهب الراسبى، شبث بن ربعى، عبدالله بن الكواء، الاشعث بن قيس، شمر بن ذى الجوشن. ويكفى دليلا على وحشيه هؤلاء وبغضهم لآل البيت عليهم السلام أن أغلبهم اشتركوا فى قتل الحسين عليه السلام فى معركه الطف الخالده.

•وهناك من يثبط الناس عن الجهاد، وهم الجبناء الرعاديد.

• وهناك جواسيس معاويه يبثون الدعايات ويشوشون الأفكار.

• وهناك الحمراء وهم مجموعه أعجميه متقلبه الولاء ضعيفه الدين.

وهؤلاء جميعا لم يكن انخراطهم فى جيش الإمام عليه السلام بأقل خطرا من بقائهم فى الكوفه، ولذا تراه حينما خرج بجيشه من الكوفه متجها إلى المدائن كانت عينه ترنو إليها وتنظر إليهم وهو ينتظر منهم الغدره والفجره، بعد أن تمكنوا من التأثير على الناس ومنعوهم من الالتحاق بالجيش.

فضلا عن ذلك ابتلى الإمام الحسن عليه السلام بجيش لا يقل تلونا عن شعبه الملون الهجين، فقد قسم المؤرخون جيشه إلى أقسام و أغفلوا أقساما أخر لم ينتبهوا لوجودها، ومجموع ما ذكروه، وما أضفته أنا إلى إحصائهم بلغ تسعه أقسام، هى:

• الأول: الهاشميون الطالبيون من عتره رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيهم الحسين والعباس عليهما السلام.

• الثانى: الشيعه المخلصون الذين اتبعوه لأداء واجبهم الدينى و إنجاز مهمتهم الإنسانيه، وهم قله قليله ممن بقى من أنصار على عليه السلام....

• الثالث: مسلمون يرون أن القتال مع الخليفه الشرعی واجب دینی لا یجوز

التأخر عنه، حتی ولو لم یکونوا من المؤیدین لمنهج لخلیفه الشرعی.

• الرابع: سرایا ومجامیع الخوارج الذین کانوا یریدون محاربه معاویه عن طریق

الحسن علیه السلام ومحاربه الحسن علیه السلام عن طریق معاویه.

• الخامس: أصحاب الفتن والمطامع، الذین یبتغون من الحرب مغنما لدنیاهم،

تماما کما کان بعض الأعراب یخرجون فی غزوات عصر البعثه طلبا للمغنم.

• السادس: شکاکون لم یعرفوا حقیقه الأمر من هذه الحرب، فجاؤوا إلیه

یلتمسون الحجه ویطلبون البینه.

• السابع: أصحاب العصبیه، الذین اتبعوا رؤساء قبائلهم عصبیه لا أکثر مع أن

الرؤساء لم یکونوا أکیس منهم. ولذا وصفهم الشیخ المفید بأنهم (لا یرجعون

إلی دین).

• الثامن: الخلایا النائمه التی زرعها معاویه فی الکوفه أبان حکم الإمام علی علیه السلام

علی أن یتحرکوا ساعه یشاء لأداء ما یشاء مقابل مغریات دنیویه کثیره،

وهؤلاء لیسو من الوجوه المعروفه والبارزه فی المجتمع، ولکنهم یمتازون

بالدهاء ویحملون روحا إجرامیه لا یردعها رادع.

• التاسع: الحمراء، وهم من الأعاجم وقیل أنهم من الفرس تحدیدا، ومن أبناء

السبایا الفارسیات اللائی أخذن فی عین التمر وجلولاء، زاد عددهم علی

عشرین ألفا، وکانوا أجناد من غلب، اشرکوا علی رأس ثلاثه عقود فی ثلاث

وقعات کبیره، اشرکوا فی بدایه العقد الرابع سنه (۴۱) هجریه إلی جانب

معاويه ضد الإمام الحسن عليه السلام مع أنهم كانوا ظاهرا من أنصاره أو فی الأقل من

أبناء شعبه، وفی بدایه العقد الخامس سنه (۵۱) هجریه أصبحوا شرطه زیاد

ابن أبیه ویده الضاربه، وفی بدایه العقد السادس سنه (۶۱) هجریه کانوا من

المرجفین بالحسین علیه السلام، ولقد ثبت تاریخیا أنهم کانوا أقسی علی التشیع من کل

أعدائه العرب.

ولقد أوجز الشیخ المفید (رحمه الله) حاله جیش الإمام بعده کلمات قال فیها: ((صف

معه أخلاط من الناس بعضهم شیعه له ولأبیه علیهما السلام، وبعضهم محکمه یؤثرون قتال

معاویه بکل حیله، وبعضهم أصحاب فتن و طمع فی الغنائم، وبعضهم شکاک،

وبعضهم أصحاب عصبیه اتبعوا قبائلهم لا یرجعون إلی دین))(۱)، کما ویری السید محمد

علی الحلو أن الإمام الحسن علیه السلام کان: ((أمام جیش مثقل ممزق.. مثقل بتبعات الماضی

الذی خلقه أمر التحکیم لیؤسس فکره الخوارج بکل ضجیجها وعجیجها... ومحکوم

بما للقبائلیه شأن من الانصیاع علی نخوه العصبیه))(۲).

أما السیاسیون وأتباعهم التاریخیون فقد عملوا جاهدین علی إخفاء هذه الحقائق

وجاءوا بما یخالف الواقع لمجرد أن البخاری أورد حدیثا عن کثره جیش الحسن علیه السلام،

ولذا تجد الدکتور الصلابی مثلا یتعلل بحجج واهیه لتأویل روایه البخاری عن خوف

معاویه من الدماء الریئه التی ستسفک إذا تحارب جیشه مع جیش الحسن علیه السلام، الذی

وصفوه من حیث الکثره بالجبال کما فی قول: ((إن ما ورد فی روایه البخاری من وصف

لجیش الحسن یفید قوه جیش الحسن وتماسکه، مما یعنی أن جیش العراق قابل جیش

۱- الإرشاد، الشیخ المفید، ج۲، ص ۱۰.

۲- الحسن بن علی رجل الحرب واللام، السید محمد علی الحلو،مؤسسه السبطین العالمیه، ۱۴۲۶ ، ص۹۱.

الشام وهو فى أحسن حالاته الماديه والمعنويه))(۱)، وهذا مخالف لكل الأقوال والغايه منه معروفه.

وبهذه المواصفات الشعبيه والعسكريه كان مطلوبا من الحسن عليه السلام مقاتله واحد من أقوى الجيوش فى عصره من حيث التنظيم والتدريب والإعداد والإنفاق والاعتقاد الأيديولوجى أيضا. ونخلص منه بنتيجه واضحه وهى أن ذروه و قمه التكتل الشرقى كانت مؤمنه مخلصه وفيه قادره متمكنه مندفعه بعقل لتمارس دورها الإلهى المرسوم، ولكنها كانت تشكو ضعف القاعده، فالقاعده كانت ضعيفه متهاونه مفككه منكفئه رخوه، وأجل وصف وجدته لحال الذروه والقاعده هو قول السيد محمد باقر الصدر(رحمه الله): ((لم يكن الشك فى الكبرى، بل العيب فى الصغرى))(۲)، وهؤلاء هم الذين كتب عنهم التاريخ أنهم شعب الإمام الحسن عليه السلام. وجيش الذى أراد أن يواجه به طغيان معاويه! وما أدراك ما التاريخ ومن كتب التاريخ.

فمما لا ريب فيه أن التاريخ صنيعه الأقوياء، وكثر من تناقضه صنيعه السياسيين، وما وصل إلينا بعضا من هذا ومن ذاك، مضافا إليه ما ابتدعته الأقلام المأجوره أو المدفوعه بطائفيه وولاء، ولذا نجد فيه تهافتا وتباينا وخلطا غريبا. وأنا من خلال بحثى عن أقوال و آراء المؤرخين فى الصلح وجدتهم عرضا يتحدثون عن أرقام جيش الإمام الحسن عليه السلام يشكل غريب ففيهم من قال: إنه اثنا عشر ألفا، وهناك من قال: هو أربعون ألفا وقد تحدث بعضهم عن مئه ألف، وبات حجم الجيش محصورا بين رقمى اثنا عشر ألفا ومئه ألف، هذا التباين الرقمى يبدو مقصودا من عده جوانب، مع أن هناك من

۱- سيره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، ص۲۹۷.

۲- أئمه أهل البیت ودورهم فی تحصـین الرساله الإسـلامیه، الإمام الشـهید السید محمد باقر الصدر، العارف للمطبوعات، بروت، ۱۴۲۹ ۲۰۰۸م، ص ۲۲۹....

يرى أن ((جيش الإمام الحسن عليه السلام بأبجمعه ربما لم يكن يزيد على العشرين ألفا))(١)، وقد استند السياسيون إلى التباين الرقمى ليدعوا أن الحسن عليه السلام جمع جيشا أسطوريا قباله جيش الشام الأسطورى فخاف معاويه هلاك الأمه وسعى إلى الصلح بكل الوسائل بما فيها رشوه الامام الحسن عليه السلام بملايين الدنانير ليقبل! وقد فات هؤلاء أن معاويه كان مدركا لأهميه الجيش القوى والكثير، وكان يعده عصب دولته المرتقبه، يقول الدكتور عبدالله جمال الدين فى كتابه الدوله الفاطميه: ((الجيوش عصب الأمم، وساعدها المتين وأداتها القويه بها تحقق الدول غاياتها وتصل إلى أهدافها ومقاصدها وتؤكد وجودها وتحمى كيانها، وبدون جيش قوى تعتبر الدوله بنيانا متداعيا و كيانا هزيلا متهاويا، وبمقدار ما تملك من قوى عسكريه وما توفره لنفسها من عدد وعتاد حربى، بمقدار ما تفرض هيبتها على الآخرين))(٢) فعمل منذ الأيام الأولى التى تسلم بها إداره الشام بعد موت واليها يزيد بن أبى سفيان على بناء جيش جرار وتسليحه بأحدث الأسلحه المتاحه وتقويته وتغذيته وتدريبه بحجه أن هذا الجيش يقف قباله جيش الإمبراطوريه الرومانيه، وكان الصرف على هذا الجيش المدلل يتم من الخزينه المركزيه بهذا العذر بالذات، فضلا عن كامل واردات الشام التى تبرعت بها الحكومه المركزيه إليه بحجه انه يرابط فى وجه جيش الروم، حتى تحول قائده إلى كسرى العرب وتحول جيشه إلى جيش إمبراطورى جرار!.

فماإ موقف الإمام الحسن من الجيش وكيف تعاملت السياسه الدنيويه مع قصه

١- عاشوراء بين الصلح الحسنى والكيد السفيانى، السيد جعفر مرتضى العاملى، كتاب ألكترونى، مكتبه العقائد، مركز الأبحاث العقائديه، عن أغاليط المؤرخين، لمحمد أبو اليسر عابدين، ط سنه ١٣٩١ دمشق، سوريا.

٢- الـدوله الفـاطميه، قيامهـا ببلاـد المغرب وانتقالهـا إلى مصــرإلى نهـايه القرن الرابـع الهجرى،الـدكتور عبـد الله محمـد جمـال الدين،دار الثقافه والنشر والتوزيع، القاهره، مصر، ١٤١١ ١٩٩١م، ص٣.

جيش الحسن عليه السلام؟ قبل الإجابه على هذا السؤال أود أن أبين أن الإمام الحسن عليه السلام ورث جيشا متعبا منهكا خاض بعض أفراده حروب الإسلام كلها منذ أوائل طور البعثه المدنى وإلى استشهاد الإمام على عليه السلام، وخاض جله تحت رايه الإمام على عليه السلام ثلاث حروب مريره كلها مع مسلمين، وليس مع أعدا؛ مشركين أو كفار أو غزاه أجانب، فخلق ذلك كله نوعا من النكوص والروح العبثيه الطاغيه على الروح الجهاديه، فضلا عن خزينه أنهكتها الحروب، ومدينه تصطرع فى باحاتها الأفكار والولاءات وتتحكم بسلوكها الحزازات والحساسيات، و عدو خبر السياسه وخبرته حتى قيل إنه أدهى العرب فى المكر والحيله والكذب والخدع، وكان بالتالى من الصعب على الحسن عليه السلام أن يخلق جيشا بنفس مستوى جيش الشام المنظم أو حتى قريبا منه، فضلا عن نجاح معاويه وأجرائه وجواسيسه وأعداء الخط العلوى فى تثبيط عزائم الناس ومنعهم من الخروج مع الحسن عليه السلام، حيث كان مقدرا للحسن عليه السلام وفق الإحصاءات أن يحشد أكثر من ثلثمائه ألف مقاتل، وكان الجيش المقدر على الكوفه وحدها تسعين ألفا أو مائه ألف، والجيش المقدر على البصره ثمانين ألفا، وهؤلاء هم أهل العطاء فى المصرين، أعنى الجنود الذين يتقاضون الرواتب من خزينه الدوله. وفى المصرين العسكريين الكوفه والبصره مثل هؤلاء عدد من أتباعهم ومواليهم ومن متطوعه الجهاد غالبا. فهؤلاء زهاء ثلثمائه وخمسين ألفا وهى مقاتله العراق عدا جيوش فارس واليمن والحجاز(١)، ولكنه لم ينجح فى حشد ولو جزءا صغيرا من هذه المجاميع الهجينه زياده عما كان معه، فخذلوا الإمامه الذى دعاهم إلى الجهاد مما أغضب عدى بن حاتم الطائى فخاطبهم: ((أنا ابن حاتم، سبحان الله ما أقبح هذا المقام لا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم، أين خطباء مضر الذين ألسنتهم كالمخاريق فى الدعه فإذا جد الجد فرواغون كالثعالب أما تخافون

۱- ینظر: صلح الحسن، آل یاسین، ص ۹۰ وتاریخ الیعقوبی، ج۲،ص ۱۶۲.

مقت الله؟)).(۱)

هنا أود أن أبين أن كثيرا من المصادر التاريخيه أشارت إلى أن الإمام على عليه السلام كان

فى أواخر أيامه يعد العده لغزو معاويه، وأنه جمع جيشا يتراوح عدده بين الأربعين

والخمسين ألفا، ولكنه قتل قبل أن يحركه، فانحل وتفرق الجند ولم يبق منهم سوى اثنى

عشر ألفا دفعهم الإمام الحسنعليه السلام للتصدى و عرقله جيش الشام الذى وصل بقياده

معاويه إلى (مسكن) وسار الإمام بمن معه زائدا أربعه آلاف من أهل الكوفه قد يكونون

من الذين تفرقوا عن الجيش الذى أعاده الإمام على عليه السلام ، فعادوا مع الإمام الحسن عليه السلام .

ولقد خلق تخلف الجند و تخلى بعضهم عن البيعه إشكالا كبيرا لم يلتفت إليه المؤرخون

بالرغم من تكرره أكثر من مره، فلطالما تخلف بعضهم عن غزوات النبى صلى الله عليه وآله، وكثيرا ما

تخلفوا عن على عليه السلام، ومن المؤكد أنهم تخلفوا عن نصره الحسن عليه السلام؛ لأنهم تخلفوا بعد

ذلك عن أخيه الحسين وسفيره مسلم بن عقيل عليهما السلام، وحتى بعد هذا التاريخ حينما ثار

سليمان بن صرد الخزاعى وأصحابه سنه خمس وستين للهجره كان قد بايعه ثمانيه عشر

ألف مقاتل، ثم لم يخضر منهم إلا ثلاثه آلاف وتخلف الباقون.

المهم أن السياسيين استغلوا الإحصائيات الأولى واغفلوا هذه ليبنوا على تلك

نتائج توهم الناس بكبر عدد جيش الإمام عليه السلام لغايات سوف تتبين لاحقا، وتبعا لهم

وعنهم أخذ المؤرخون والرواه روايات وقصصا تتحدث عن أرقام خياليه، قالوا بأن

الحسن جمعهم ليقاتلوا معه، ومن أقوالهم فى جيش الأربعين ألفا الذى تفرق عند موت

الإمام على عليه السلام قول القارى: ((وكان الحسن عليه السلام يومئذ أحق الناس بهذا الأمر فدعاه

ورعه و شفقته على أمه جده إلى ترك الملك والدنيا رغبه فيما عند الله، ولم يكن ذلك لقله

١- شرح النهج، م٤،ج١٦،ص ١٤.

ولا ذله، فقد بايعه على الموت أربعون ألفا))(۱)، ومثله فى ذخائر العقبى: ((قال أبو عمرو:

لما قتل على بن ابى طالب بايع الحسن أكثر من أربعين ألفا، كلهم قد بايع أباه قبله على

الموت)). بل أن ابن الأثير أنكر كليا أن يكون قد تخلف أحد عن الجيش الذى جمعه الإمام

على عليه السلام وقال إنهم بمجموعهم بايعوا الإمام الحسن عليه السلام وساروا معه، كما فى قوله: كان

أمير المؤمنين على قد بايعه أربعون ألفا... فلما قتل وبايع الناس ولده الحسن بلغه مسير

معاويه فى أهل الشام فتجهز هو و الجيش الذين كانوا بايعوا عليا و سار عن الكوفه))(۲).

بل حتى ابن ابى الحديد قال فى شرح النهج: ((وسار الحسن فى عسكر عظيم وعده

سنه حتى نزل دير عبد الرحمن... ثم دعا عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب فقال له:

يا بن عم إنى باعث إليک اثنى عشر ألفا من فرسان العرب وقراء مضر))(۳)، وأرى أن ابن

ابى الحديد بالغ كثيرا؛ لأن جيش الحسن عليه السلام حتى مع الاثنى عشر ألفا الذين أرسلهم مع

عبيد الله بن عباس و قيس بن سعد لم يكن جيشا عظيما.

وأورد اليعقوبى رد زياد بن عبيد عامل على عليه السلام على فارس، على تهديد معاويه

ليستشهد به على الكثره، قائلا: وكان زياد بن عبيد عامل على بن ابى طالب على فارس،

فلما صار الأمر إلى معاويه كتب إليه يتوعده ويتهدده، فقام زياد خطيبا، فقال: إن ابن

آكله الأكباد وكهف النفاق وبقيه الأحزاب كتب يتوعدنى ويتهددنى، وبينى وبينه ابنا

بنت رسول الله فى تسعين ألفا))(۴)، وكما يتبين من الروايه أن زيادا كان حينها فى فارس

۱- مرقاه المفاتيح شرح مشكاه المصابيح،على بن سلطان محمد القارى، دار الفكر،سنه النشر: ۱۴۲۲ / ۲۰۰۲م تسعه أجزاء، ص ۳۹۷۰، حديث رقم ۶۱۴۴.

۲- الكامل فى التاريخ، ص۳۰۳،ج۳، أحداث سنه إحدى وأربعين

۳- شرح نهج البلاغه، م۴ ،ج۱۶ ،ص۱۴.

۴- تاريخ اليعقوبى،ج ۲،ص ۱۵۲.

بعيدا عن الإمام الحسن عليه السلام، وقد يكون الرقم الذى وصله خاطئا أو مبالغا فيه، أو أنه استخدم أسلوب المبالغه للتهويل والتخويف.

وفى الامامه والسياسه بالغ ابن قتيبه الدينورى أكثر عند نقله المحادثه التى تمت فى مجلس ضم الإمام الحسن عليه السلام وسليمان بن صرد الخزاعى، بقوله: ((فجلس سليمان فقال: أما بعد فإن تعجبنا لا ينقضى من بيعتك معاويه و معک مئه ألف من أهل العراق))(۱)، مع أن هناک أكثر من مصدر نذكر أن ابن صرد كان يومها بعيدا عن الإمام الحسن عليه السلام لأكثر من عامين، والروايه نفسها تبين أن هذا الحديث وقع بعد الصلح بزمن غير معروف، وليس قبله.

من المهم أيضا للحقيقه والتاريخ أن نعرف أن جيش الإمام الحسن عليه السلام قاده وجندا تعرضوا خلال مده التمحيص إلى ضغوطات ماديه ونفسيه أجبرت بعضهم، حتى الموتور منهم مثل عبيد الله بن عباس الذى قتل الأمويون ولديه، أجبرتهم على التخلى عن الامام الحسن وخذلانه والالتحاق بمعاويه، فانكشف ظهر الإمام وبانت ملامح هزيمه كان يمكن أن تؤدى إلى مجزره حقيقيه لا تهللک المسلمين وحدهم بل وتهللک الإسلام فكرا وعقيده، وتحول الإسلام المحمدى إلى إسلام أموى يؤمن به الناس كافه.

وكما اختلفوا فى عدد جيش الإمام لغايات معروفه اختلفوا كذلک، وللغايات نفسها فى من بدأ المسير أولا لمقاتله الآخر.

۱– الامامه والسياسه. ابن قتيبه. ج ۱. ص ۱۸۵ ت ۱۸۶

من البادئ بالمسير إلى الحرب؟

ما أريد التنويه عنه أنه بين الرده والاعتراض بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله ولدت مناطق الخرق الكبرى التي أوهنت جانب الإسلام وأضعفت قدرات المسلمين، ولاسيما بعد أن سل السيف المسلم لمقابله ومقاتله السيف المسلم في ميادين الوغى بعد أن كان السيفان متحدان دفاعا عن الإسلام، ثم لما جاءت (الجمل) رسخت فكره السيفين المسلمين المتناحرين في عقول المسلمين، وظهور شعور بأن الإسلام الواحد صار إسلامين اثنين؛ واحد عقديا والآخر سياسيا دينيا، ثم هبطت (صفين) من أوكار الشر لتعلن انتهاء مرحله الإسلام الواحد كليا و تثبت وجوها جديده للإسلام تبدو في ظاهرها متصله وفي حقيقتها منفصله كليا، فأصبح الإسلامان ثلاثه إسلامات: إسلام عقيدى، وإسلام سياسى دينى، وإسلام سياسى بحت.

في هذه المرحله كان هم الدينيين الأكبر رتق الخرق الخطير وترميم ما انهار وما آل إلى السقوط، وكان هم السياسيين استغلال ظاهر التوافق لتقويه جانبهم وتوهين الجانب الآخر، ولاسيما وأنهم يحملون في خزائنهم من متع الحياه ومباهج الدنيا ما لا يوجد مثله عند الجانب الآخر، فضلا عن شوق النفوس حتى سلمه منها إلى سماع رنين الذهب وتحسس ملمسه والتمتع بالنظر إليه. ولقد فعل المال فعله حتى طغى صوته على صوت العقيده، فتحول كثر من المسلمين إلى مجرد دمى تسير باتجاه مصدر رنينه أملا بالحصول على حصه بدل أن يسيروا نحو صوت المؤذن عسى أن يحصلوا على مغفره، أو صوت وقع السيوف عسى أن يحصلوا على كرم الشهاده، وجراء ذلك وقع التحكيم، و طبر

رأس الإمام على عليه السلام فاستشهد. وقد أعدت هذه المؤامره لتقتل الإمام عليه السلام من ساعته فلا تتاح له فرصه تعيين خليفه، ولكن بقاءه حيا وتبليغه الوصيه لأبنائه وتعيينه خليفه رسميا شرعيا من بعده هو الإمام الحسن عليه السلام؛ خلط الأوراق عليهم وصاروا أمام وضع جديد يجب أن يعدوا له عدته ولا يستهينوا به.

وحينها عرف السياسيون بأنهم حققوا نجاحا مرحليا مما يعنى أن أمامهم مهمه أخرى يجب انجازها للوصول إلى الهدف، ولإتمام المرحله الأهم، بادروا إلى المساجد والبيوت يوزعون الهبات الجزيله بدل أن ينتظروا قدوم الآخرين لطلبها منهم.

و وصلت هذه الهبات إلى أقرب أصحاب قاده الإمام الحسن عليه السلام فلوثت فطرتهم وهبطت هممهم، فمن لم يخرج ليسىء منهم تقاعس عن النصره أو عن اعتراض المسيئين الذين أصبحوا يصولون ويجولون دون أن يردعهم رادع، باستثناء محاولات خرج فيها أنصار الخلافه بمجاميع صغيره غير نظاميه وإنما تطوعيه لمطاردتهم كان ضررها أكثر من نفعها، لأن المسيئين أثاروا الفوضى بتخطيط سليم جدا، بحيث أنها لم تكن فوض عبثيه بل كانت فوضى خلاقه مدروسه لا يجيد فعلها غير الأذكياء من السياسيين، ولاسيما وأن حركه مفسده جديده كانت تخرج مباشره فى مكان آخر بعد تلك التى هربت مما يضطر المجاهدين للمسير إليهم حتى وصلوا إلى درجه الانهاك قبل أن يخوضوا حربهم المقدسه، فى وقت كانت فيه قوات الجانب الآخر مرتاحه وجبهتهم الداخليه متماسكه، وبناء عليه كانوا على استعداد لخوض الحرب، بينما كان جند الخلافه يتعللون بالأعذار لكى لا يشركوا فى الجهاد.

ومنه يتضح أن جيش الإمام الحسن عليه السلام حتى لوكان مكونا من مليون جندى فإنه لم يكن مستعدا للقتال بالمره، ثم إن ما تقدم ثثبت بما لا يقبل الشك أن تعداد جيشه لم يزد

على العشرين ألفا فى أحسن الأحوال، بل ربما كان معه فى المدائن بضعه آلاف فضلا عن

أقل من اثنى عشر ألفا ساروا مع عبيد الله بن عباس وقيس بن سعد.

إن معاويه بحنكته السياسيه وكثير حيلته وتجربته السياسيه أراد مباغته الإمام

الحسن عليه السلام قبل أن تستقيم له الأمور ويقوى؛ فتحرك بجيشه نحو العراق بعد أيام

معدودات من بيعه الناس للحسن عليه السلام خليفه، وكان قد دس قبل ذلك من يبث

الإشاعات والأكاذيب فى عاصمه الإسلام الكوفه و باقى الديار التى بايعت الحسن عليه السلام

مثل البصره والحجاز واليمن و فارس و سائر المناطق التى كانت تدين لأبيه بالولاء

والبيعه، لترهيب الناس وتخويفهم وإبعادهم عن الإمام و تخليهم عنه، وقد تنبه الإمام

الحسن عليه السلام إلى هذا الأمر وألقى القبض على بعض المندسين، فأرسل إلى معاويه رساله

جاء فيها: ((أما بعد. فإنك دسست إلى الرجال كأنك تحب اللقاء؛ لا أشك فى ذلك

فتوقعه إن شاء الله)).(١)

الإمام عليه السلام من جانبه كان يرى نفسه وارثا للمشروع العلوى فى محاربه البغاه

وإحقاق الحق وتوحيد أمه الإسلام التى شقها معاويه بطمعه وجشعه، وكان على يقين

كامل أن معاويه لن يستجيب لطلبه ويدخل فى طاعته، ولكنه كان يريد ترتيب أوضاعه

أولا قبل أن يتوجه إلى حرب مصيريه تحدد معالم الإسلام كله، ومعاويه أدرك ذلك، بل

وأدرك أن الحسن عليه السلام إذا ما قامت له الأمور واستقامت الرعيه ولاسيما منهم من يغلى

قلبه ودمه حقدا عليه، لأنه كان المخطط والداعم لقتل الإمام على عليه السلام فمن المحتمل

أن ينتصر وتذبح أحلامه إلى الأبد، ولذا استعجل الأمور و حشد الحشود وقادها نحو

الكوفه؛ ولاسيما وانه كان يرى نفسه أصلح من الحسن عليه السلام فى قياده الأمه، كما جاء فى

١- مقاتل الطالبيين.ص٣٣.

جوابه على واحده من الرسائل التى بعثها الحسن عليه السلام إليه (۱) وفيها يخاطب الحسن بقوله:

((فلو علمت أنك اضبط منى للرعيه وأحوط على هذه الأمه و أحسن سياسه وأقوى على

جمع الاموال وأكيد للعدو لاجبتک إلى ما دعوتنى إليه ورأيتك لذلك أهلا؛ ولكنى قد

علمت أنى أطول منك ولايه وأقدم منك بهذه الأمه تجربه وأكبر منك سنا فأنت أحق أن

تجيبنى إلى هذه المنزله التى سألتنى؛ فادخل فى طاعتى ولك الأمر من بعدى))(۲).

ولذا أقول: إننا حينما نناقش مسأله من الأسبق فى المسير إلى الحرب: الحسن عليه السلام

أم معاويه؛ لا نريد أن نتهم معاويه بأنه البادئ فى الحرب رجما فى الغيب؛ لأن حرب

معاويه لم تنطفئ نارها منذ أن بايعت الأمه عليا عليه السلام خليفه للمسلمين إلى أن مات سنه

ستين وقبر فى الشام، وقد أبقى جنده على أهبه الاستعداد وكامل العده تحسبا لما قد

يحدث فيباغته. نحن نناقش ذلك لنثبت أن السياسيين نجحوا فى التأثير على مخطط

الإمام الحسن عليه السلام ولم يتركوا له فرصه ترتيب الأوضاع فدفعوه إلى الموافقه على الصلح.

أما الخلط الذى بثوه فى بطون كتب التاريخ، فالغايه منه التهويش والتشويش، ويدخل

هدفا فى باب الفعل السياسى المقصود، ويأتى غايه فى التقليل من قيمه الإمام الحسن عليه السلام

وإظهاره بمظهر من لا يجيد التخطيط فيسير بعدد محدود من الجند المنهكين لقتال جيش

عرمرم يفوق عديده المائه وثلاثين ألفا!.

وبعد أن أحدث السياسيون الخلط والفوضى الخلاقه التى كانوا يأملون أن تفعل

فعلها جاء المؤرخون فأفاضوا فى حديثهم عمن بدا المسير أولا لملاقاه الآخر؛ لأن لبدء

۱- يؤكد معاويه هنا على نقاط مهمه جدا منها مسأله السن التى تكلمنا عنها فى حديثنا عن تلاعبهم بتواريخ ولاده الإمام، ومنها الإشاره إلى أحد بنود الصلح التى وضعها الحسن عليه السلاء وهى أن يخلفه على قياده الأمه.

٢- شرح نهج البلاغه، ابن أبی الحدید، م۴ ،ج۱۶ ۰

المسير بزعمهم علاقه بالبغى، أى أنهم كانوا يوحون بأن من يبدأ المسير أولا لقتال صاحبه يبغى عليه، ويكون هو الباغى، وفئته هم الفئه الباغيه بعرفهم وحدود فهمهم.

وأراهم فى غفله تامه عن إدراك فقه السيره النبويه ومسير الرسول صلى الله عليه وآله لقتال الكفار بما فيهم أجدادهم، ولكنه صلى الله عليه وآله لم يكن يباغت أعداءه كما لم يكن يبدأهم بقتال، وفى كتاب لله تعالى: ((فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله))(۱) ومع ذلك كان آل البيت عليهم السلام لا يبدؤون أحدا بقتال حتى وإن خرجوا للحرب واستعدوا لها؛ فعل ذلك على عليه السلام مع أهل الجمل وصفين والخوارج والقصه معروفه، وفعله الحسن عليه السلام مع جند معاويه فى وصيته إلى عبيد الله بن عباس و فعله الحسين عليه السلام فى الطف.

فضلا عن ذلك نجد فى تاريخنا خلافا حول البادئ فى الحرب، وهى واحده من مجموعه إشكاليات تتحدث عن الحرب بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاويه، ومن كان البادئ فيها. ومنطقيا أجد أن الإمام الحسن عليه السلام كان يرى أن واجبه الشرعى تجاه الدين والأمه يدعوه إلى قتال الفئه الباغيه التى شقت الأمه، وأنه كان فى طور الإعداد لهذا العمل بعد أن قدم له بمجموعه رسائل ليلقى من خلالها الحجه، بعثها إلى معاويه يطالبه فيها بالدخول فى طاعته سواء قبل تحركه نحو العراق أو أثناء وجوده فى معسكر مسكن، ومعاويه بحنكته السياسيه و شده مكره ودهائه بادر إلى التحرك نحو العراق فى الأيام الأولى لبيعه الحسن عليه السلام؛ لكى يقطع عليه طريق التهيؤ للحرب و يحصره فى زاويه ضيقه، ولكن أحفاد الفصيل السياسى لا يعرفون بهذه الحقيقه ويضعون اللوم على الحسن عليه السلام معتبرين أنه البادئ فى التحرك والدعوه إلى الحرب كما فى قول الصلابى: ((خرج معاويه من الشام وتوجه إلى العراق بعد أن وصل خبر خروج الحسن من الكوفه إلى المدائن بجيوشه))، معتمدا على ما جاء فى طبقات ابن سعد وفيها: ((وقد تأخر خروج معاويه

۱- سوره الحجرات، الآیه ۹ .

وكان ذلك بعد سماعه لخروج الحسن بجيوشه))(۱)، وهذا مناف لما أجمع عليه المؤرخون.

والملحوظ أن هؤلاء المؤرخين هم الذين نشروا الخلاف حول حقيقه التقاء

الجيشين.

۱- سيره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، ص۲۹۲.

إلتقاء الجيشين

ومثل اختلافهم فی من بدأ المسیر أولا، اختلفوا فی موضوع التقاء الجیشین، وهناک فی الأقل أربعه آراء حول هذا الموضوع:

فمنهم من قال: إن الطرفین لم یلتقیا مطلقا ولم تکن هناک نیه حقیقیه للحرب، ومن هؤلاء ابن قتیبه الذی، قال فی الإمامه والسیاسه فی حدیثه عن الحسن علیه السلام: ((فلما تمت البیعه له، واخذ عهودهم ومواثیقهم علی ذلک، کاتب معاویه، فأتاه فخلا به، فأصطلح معه علی أن لمعاویه الإمامه ما کان ما فإذا مات فالأمر للحسن))(۱)، هکذا بعیدا عن تجییش الجیوش والمسیر إلی الحرب، وبعیدا عن کل تلک الروایات التی أتعبت أعصاب وعقول المسلمین علی مر التاریخ، وعلی منهج (العواصم من القواصم) أنکر ابن قتیبه کل الأخبار لیعلن بأن الحسن علیه السلام وغریمه معاویه حلا الإشکال بینهما سلما و دون حرب! ولا أدری لماذا قبل الحسن علیه السلام بدایه البیعه إذا ما کان راغبا بالتخلی عنها لا للحسین مثلا أو لأخیه محمد بن الحنفیه أو لأی واحد من أصحاب أبیه؛ وإنما لأشد أعدائه وأعداء البیت الهاشمی معاویه بن ابی سفیان! کذلک قال القاری: ((فلما التقی الجمعان بمنزل من أرض الکوفه و أرسل إلیه معاویه فی الصلح أجاب علی شروط منها أن یکون له الأمر بعده)).(۲)

۱- الامامه والسیاسه، ، ج۱،ص۱۸۴.

۲- عون المعبود،محمد شمس الحق العظیم آبادی، دار الفکر، سنه النشر: ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۵م، ص ۳۲۸، حدیث ۴۶۶۲، باب ما یدل علی ترک الکلام فی الفتنه .

ومنهم فريق ثان نقل أخبارا مموهه لم يجدد من خلالها طرفا بعينه لينسب إليه البدء بالمسير. فمنهم من ادعى بأن الإمام الحسن عليه السلام هو البادئ بالمسير، ومنهم من قال أن معاويه هو البادئ بالمسير، ومنهم من قال إنهما سارا معا وسويه! والهدف من القول إن الطرفين سارا سويه لملاقاه أحدهما الآخر، أريد منه رفع تهمه البغى عن معاويه، مع إدعائهم أن الإمام الحسن عليه السلام هو البادئ بالعدوان طالما أنهم قدموه على معاويه فى حديثهم عن المسير. ففى الإصابه: قال ابن ابى خيثمه: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ضمره، عن ابن شؤذب قال: لما قتل على سار الحسن فى أهل العراق ومعاويه فى أهل الشام))(۱)، وفى الطبرى: بايع الناس الحسن بن على عليه السلام بالخلافه، ثم خرج بالناس حتى نزل المدائن... وأقبل معاويه فى أهل الشام حتى نزل سكن))(۲)، ومثله قول العظيم آبادى: فإنه لما قتل على عليه السلام عنه بايعه أكثر من أربعين ألفا فبقى خليفه بالعراق وما وراءها من خراسان سته شهر وأياما ثم سار إلى معاويه فى أهل الحجاز وسار إليه معاويه فى أهل الشام))، وكذلك قول القارى: ثم سار إلى معاويه وسار معاويه إليه))(۳)، وقول العسقلانى فى فتح البارى: وقال ابن بطال: ذكر أهل العلم بالأخبار أن عليا لما قتل سار معاويه يريد العراق وسار الحسن يريد الشام))(۴).

ومنهم فريق ثالث قال: إن الحسن هو البادئ، ومن هؤلاء العسقلانى بقوله:

((وأخرج ابن سعد من طريق مجالد، عن الشعبى وغيره، قال: بايع أهل العراق بعد

۱- الإصابه،ابن حجر، المجلد الأول، ترجمه الحسن بن على، ص ۳۷۶.

۲- تاريخ الطبرى،ج۳،ص ۹۴۱.

۳- مرقاه المفاتيح شرح مشكاه المصابيح،على بن سلطان محمد القارى، ص ۳۹۷۰، حديث رقم ۶۱۴۴، دار الفكر،سنه النشر: ۱۴۲۲ / ۲۰۰۲م تسعه أجزاء

۴- فتح الباری شرح صحیح البخاری،أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، دار الریان للتراث، سنه النشر: ۱۴۰۷ / ۱۹۸۶م ثلاثه عشر جزء

على الحسن بن على، فسار إلى أهل الشام وفى مقدمته قيس بن سعد))(١)، وكأن الرجل يجهل أن قوات معاويه كانت حينها على مشارف العراق فخرج الإمام للتصدى لها.!

واليعقوبى بقوله: .وأقام الحسن بن على بعد أبيه شهرين، وقيل أربعه أشهر، ووجه بعبيد الله بن عباس فى اثنى عشر ألفا لقتال معاويه)).(٢)

والعسقلانى فى الفتح بقوله: ((لما سار الحسن بن على رضى الله عنه؛ إلى معاويه بالكتائب قال عمرو بن العاص لمعاويه أرى كتيبه لا تولى حتى تدبر أخراها))(٣)

إن الذين ادعوا بأن الإمام الحسن عليه السلام هو البادئ فى المسير لا تقل غايتهم (عنتا) عن سابقتها، وهدفها معروف، لأنها أرادت إظهار معاويه بمظهر المدافع ٠

بل وفى مدرسه أهل البيت عليهم السلام أيضا هناك من يرى بأن الحسن عليه السلام ؛ هو الذى سار أولا لقتال معاويه، مع أنه مثل غيره يعلم تمام العلم بأن مبايعه الإمام الحسن عليه السلام بالخلافه فى الكوفه هى التى أزعجت معاويه، فبادر إلى وضع الخطط لمواجهه الموقف و جمع الجيش وسار به إلى الحرب، ولم يكن الحسن عليه السلام مستعدا بعد للمواجهه. ومن أقوالهم فى ذلك: ((لما عزم الإمام الحسن بن على عليه السلام على حرب معاويه خرج من الكوفه إلى معسكر النخيله وخلف مكانه المغيره بن نوفل بن حارث بن عبد المطلب، وأمره أن يحث الناس على الخروج والالتحاق به فى المعسكر. فخرج الناس أفواجا إليه عليه السلام وسار من النخيله إلى دير عبد الرحمن فمكث هناك ثلاثه أيام كى يتم الجيش، فصاروا أربعين ألفا بين فارس وراجل فبعث عبيد الله بن عباس وقيس بن سعد فى اثنى

١- الإصابه، ترجمه الحسن بن على، ص ٣٧٦،المجلد الأول

٢- تاريخ اليعقوبى، ص ١٤٩-

۳- فتح الباری شرح صحیح البخاری،أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، دار الریان للتراث، سنه النشر: ۱۴۰۷ / ۱۹۸۶م، ج۱۳،ص ۶۶-۶۷...

عشر ألف رجل من دير عبد الرحمن إلى حرب معاويه، فقال عليه السلام: عبيد الله أميركم فإن أصيب فقيس بن سعد على الناس، وأمر عبيد الله أن يشاور قيسا وسعيدا)). وخرج عليه السلام من هناك وتوجه إلى الساباط فی المدائن، فأراد امتحان واختبار أصحابه وإنجاء كفرهم ونفاقهم وعدم وفائهم، فجمع الناس و حمد الله و أثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنی والله لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغيته ولا مريدا له بسوء ولا غائله، ألا و ان ما تكرهون فی الجماعه خيرلكم مماتحبون فی الفرقه. ألا و إنی ناظرلكم خيرا من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمری ولا تردوا علیّ رأيی، غفر الله لی ولكم وأرشدنی وإياكم لما فيه المحبه والرضا))(۱)، ولا أدری كيف تتهمون الحسن عليه السلام بذلك مع أنه كان فی موقف يتوجب معه أن يستميل قلوب جنده بما فيهم من يشك بولائه له و إخلاصه فی الجهاد، ولم يكن بحاجه لاختبارهم.

ومنهم فريق رابع أكد أن معاويه هو الذی كان البادئ بالمسير، وهؤلاء أصناف الأول: ناقل للحقيقه، والثانی: شامت متفاخر مدفوع بالعصبيه، والثالث: سمع فنقل دون بحث، كما فی قول السيوطی: ((ولی الحسن عليه السلام الخلافه بعد قتل أبيه بمبايعه أهل الكوفه فأقام فيها سته أشهر وأياما، ثم سار إليه معاويه))(۲).

وفی مقاتل الطالبيين قال أبو الفرج الاصبهانی: ((فاجتمعت العساكر إلى معاويه بن أبی سفيان، وسار قاصدا إلى العراق وبلغ الحسن خبر سيره، وأنه بلغ جسر منبج فتحرك لذلك))(۳).

۱- موقع الشيرازی www.alshirazi.net

۲- تاریخ الخلفاء، ص ۱۹۱.
۳- مقاتلا لطالبیین،ص۶۹.

وفى شرح النهج قال المعتزلى متحدثا عن معاويه: ((وأقبل إلى العراق فى ستين ألفا واستخلف على الشام الضحاك بن قيس الفهرى، والحسن مقيم بالكوفه لم يشخص حتى بلغه أن معاويه قد عبر جسر منبج فوجه حجر بن عدى يأمر العمال بالاحتراس ويذب الناس، فسارعوا فعقد لقيس بن سعد بن عباده على اثنى عشر ألفا فنزل دير عبد الرحمن واستخلف على الكوفه المغيره بن نوفل بن الحرث))(١)، ومعنى هذا أن الإمام الحسن عليه السلام لم يتحرك إلا بعد أن أصبح فى مرمى نيران جيش الشام الذى جاءه غازيا محاربا.

كذلك تجد فى مدرستنا أن هناك من يرى بأن معاويه هو الذى بدأ المسير، كما فى قول الشيخ فلاح العابدى: ((فلما سمع الإمام الحسن عليه السلام بان معاويه بلغ بجيشه إلى جسر منبج و هو بلد قديم بينه وبين حلب يومان(٢) أمر الإمام بعض أصحابه أن ينادوا لصلاه الجامعه، وبعد أن احتشد الناس خرج وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: انه بلغنى أن معاويه بلغه إنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك، اخرجوا رحمكم الله معسكركم فى النخيله))(٣).

ومنهم فريق خامس تخبط فجاء بقولين احدهما نذكر فيه أن الحسن هو الذى سار إلى معاويه أولا، والثانى يقول فيه أن معاويه هو الذى سار إلى الإمام الحسن عليه السلام، ومن أقوالهم: أن الحسن سار إلى معاويه بجيش عظيم فخاف معاويه على الإسلام و طلب الصلح مقابل دفع المال الكثير جدا فوافق الحسن عليه السلام! بينما نجد فى بطون كتب التاريخ المعتبره أن معاويه هو الذى سار بجيش له أول وليس له آخر لمقابله جيش الخلافه.

١- شرح نهج البلاغه، م٤ج١٦ ص ١٠ .

٢- معجم البلدان،ج ٨ ،ص ١٦٩.

٣- مجله الفرات www.alkadhum.org

والغريب أن البخارى نفسه روج لهذا التنوع فى حديثين أخرجهما عن الصلح؛ قال فى أحدهما: ((لما سار الحسن)) أى أن الحسن هو الذى سار إلى قتال معاويه، وفى الثانى: ((استقبل والله الحسن بن على معاويه بكتائب)) بمعنى أن معاويه سار إليه فأستقبله ولم يكن هو البادئ بالمسير(١).

وتجد فى هذا الخبر فذلكه سياسيه تخبط فيها العسقلانى فى هوامشه على البخارى وخالف حتى نفسه وهى كثيره جدا منها إدعاؤه بأن الإمام عليه السلام عزل قيس بن سعد بن عباده و عين ابن عباس الذى اشترط لنفسه مثلما ((اشترط الحسن عليه السلام، فقد أخرج(٢)

الحاشيه رقم: ١ حاشيه العسقلانى على الحديث: قوله: ((لما سار الحسن بن على إلى معاويه بالكتائب))، فى روايه عبد الله بن محمد عن سفيان فى كتاب الصلح: ((استقبل والله الحسن بن على معاويه بكتائب أمثال الجبال. وقوله ((أمثال الجبال)) أى لا يرى لها طرف لكثرتها كما لا يرى من قابل الجبل طرفه)) ولكنه أراد أن يبعد تمه التحيز والكذب عن نفسه، لأنه يعرف كما يعرف غيره أن جيش الإمام الحسن لم يكن بالعدد الذى يتحدث عنه، فأضطر إلى أن يستثنى ويقول معللا: ((و يحتمل أن يريد شده البأس)) أى ليس الكثره العدديه، بل القوه والشكيمه، وهو حتى فى هذه جافى الحقيقه، لأن جيش الحسن كان أضعف بعشرات المرات من جيش الإمام على عليه السلام، ومن جيش معاويه.

ثم أكمل العسقلانى حديثه بالقول: وأخرج الطبرى بسند صحيح عن يونس بن يزيد عن الزهرى قال: ((جعل على على مقدمه أهل العراق قيس بن سعد بن عباده وكانوا أربعين ألفا بايعوه على الموت، فقتل على فبايعوا الحسن بن على بالخلافه، وكان لا

١- ينظر: البخارى حديث٢٧٠٤ . ص٤٧٨و حديث٧١٠٩ ص ١٢٥٦

۲- البخاری. باب قول النبی صلی الله علیه وآله للحسن بن علی((ان ابنی هذا لسید ولعل الله ان یصلح به بین فئتین من المسلمین)) حدیث ۶۶۹۲

يحب القتال، ولكن كان يريد أن يشترط على معاويه لنفسه، فعرف أن قيس بن سعد لا

يطاوعه على الصلح فنزعه وأمر عبد الله بن عباس فاشترط لنفسه كما اشرط الحسن)).(١)

حيث نجد فى هذا القول كذبا كثيرا، منه:

• الأول: تحدث فيه عن عظمه جيش الإمام الحسن عليه السلام للتهويل والمبالغه فى

قوله: ((استقبل والله الحسن بن على معاويه بكتائب أمثال الجبال))

• الثانى: قوله أن الحسن كان لا يحب القتال: ((فبايعوا الحسن بن على بالخلافه،

وكان لا يحب القتال)) حتى ولوكان فى سبيل إعلاء كلمه الله.

• الثالث: أن الإمام عليه السلام كان يريد من معاويه أن يرحمه ويمنحه الأمان، ولكنه

كان يراوغ للحصول على مزيد من المنافع (حاشاه)، بقوله: ولكن كان يريد

أن يشترط على معاويه لنفسه)).

• الرابع: أنه عزل قيس بن سعد عن الإمره، فقال: ((فعرف أن قيس بن سعد لا

يطاوعه على الصلح فنزعه و أمر عبد الله بن عباس فاشترط لنفسه كما اشترط

الحسن))(٢)، بينما المعروف أن قيس رحمه الله بقى مقاتلا و مجاهدا إلى جنب إمامه

وقائده الأعلى حتى اللحظات الأخيره، والمعروف كذلك أن عبد الله بن

عباس لم يشترك فى الحرب، وقد خلط العسقلانى بينه وبين أخيه عبيد الله. ولنا

مع هذا الحديث وقفه أخرى.

١- حاشيه ص ٦٨، فتح البارى شرح صحيح بخارى، احمد بن على بن حجر العسقلانى،دار الريان للتراث، سنه النشر:م١٩٨٦\١٤٠٧ه ثلاثه عشر جزء

٢- حاشيه ص ٦٨، فتح البارى شرح صحيح بخارى، احمد بن على بن حجر العسقلانى،دار الريان للتراث، سنه النشر:م١٩٨٦\١٤٠٧ه ثلاثه عشر جزء

أما المؤكد تأريخيا فإن معاويه هو الذى جمع أكثر من ستين وقيل ثمانين وقيل مئه ألف وقيل مائه وثلاثين ألف مقاتل على اختلاف الروايات و سار بهم نحو الكوفه لمحاربه الإمام الحسن عليه السلام خليفه المسلمين الشرعى، بعد أن علم بمقتل على عليه السلام ومبايعه الناس للحسن عليه السلام، ولقد كانت أنباء جيش الشام الجرار القادم إلى الحرب تذاع فى الكوفه والبصره وسائر البلاد، مع كثير من المبالغه والتهويل، وكان الجميع يعلم أن حربا و شيكه تنتظرهم. وهو ما دفع الإمام الحسن عليه السلام للكتابه إلى معاويه يطالبه بالدخول فى بيعته، فأرسل إليه كتابا، جاء فيه: ((وإما حملنى إلى الكتابه إليک، الأعذار فيما بينى وبين الله عز وجل فى أمرک، ولک فى ذلک إن فعلته الحظ الجسيم، والصلاح للمسلمين، فدع التمادى فى الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى، فإنک تعلم أنى أحق بهذا الأمر منک عند الله، وعند كل أواب حفيظ، ومن له قلب منيب، و اتق الله ودع البغى، واحقن دماء المسلمين. فوالله ما لک خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به، وادخل فى السلم والطاعه، ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحق به منک، ليطفئ الله النائره بذلک، ويجمع الكلمه، ويصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلا التمادى فى غيک، سرت إليک بالمسلمين فحاكمتک، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين))(١)، ثم يعد عده مراسلات وتأكد مسير معاويه نحو الكوفه بعث الإمام الحسن عليه السلام بأول سريه لتشكل مقدمه جيش فى طور البناء عسى أن تنجح فى مشاغله العدو إلى أن يتهيأ باقى الجيش، وهذا بحد ذاته يؤكد أن معاويه باغت الحسن عليه السلام، وكانت السريه تحت أمره عبيد الله بن عباس وكتب إليه الحسن: ((يا بن العم، إنى باعث إليک اثنى عشر ألفا من فرسان العرب وقراء مضر، الرجل منهم يريد الكتيبه، فسر بهم، وألن لهم جانبک، وابط لهم وجهک، وافرش لهم جناحک،

۱- مرکز آل البیت للمعلومات، محمد امین نجف، عن شرح نهج البلاغه۳۴\۱۶

وأدنهم من مجالسک، فإنهم بقيه ثقات أمير المؤمنين. وسر بهم على شط الفرات، ثم امض حتى تسير بمسكن، ثم امض حش تتقبل بهم معاويه، فإن أنت لقيته فاحبسه حتى آتيک، فإنی على أثرک و شيکا، وليكن خبرک عتدی كل يوم، وشاور هذين - يعنى قيس بن سعد، وسعيد بن قيس -، فإذا لقيت معاويه فلا تقاتله حتى يقاتلك، فإن فعل فقاتله، وإن أصبت فقيس بن سعد، فإن أصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس))(۱)، ثم سار بنفسه بعد أيام حتى بلغ مظلم ساباط التى كانت قريبه من المدائن حتى قبل أن يكمل إعداد قواته وتهيئتها وتنظيمها، وما كان ذاک إلا لكى لا يفسحوا له مجال تنظيم صفوف جيشه وأوليات منهجه السياسى.

نعم نجد فی النقول المعتبره كثيرا من النصوص التى تبين أن أصحاب الإمام الحسن عليه السلام الخلص ومن بايعه من الهاشميين كانوا يريدونه أن يبدأ بالمسير لمقاتله البغاه ساعه توليه الخلافه، ولكنه كان يريد ترتيب أولياته قبل كل شیء ولاسيما وأنه يعلم بنتائج هذا النزع وما ستؤول إليه الأمور، كما كان يعرف قوه جيشه ومدى إخلاصهم له، وفی الأخبار أن جاريه بن قدامه السعدی وعبد الله بن عباس طلبا من الإمام المسير لقتال معاويه، أما جاريه فقال عنه الثقفی: ((وأقبل جاريه حتى دخل على الحسن بن على فضرب على يده فبايعه وعزاه وقال: ما مجلسک؟ (سر يرحمک الله) سر بنا إلى عدوک قبل أن يسار إليک؟ فقال: لو كان الناس كلهم مثلك سرت بهم ولم يحمل على الرأی شطرهم أو عشرهم)). (۲)

وأما ابن عباس، فقال عنه ابن أعثم: وإذا بكتاب عبد الله بن عباس قد ورد عليه

۱- الغدير، الامينی،ج۲،ص۸۳

۲- الغارات، ابراهیم ابن محمد بن سعید بن هلال المعروف بابن هلال الثقفی، تحقیق عبد الزهره الحسینی، دار الاضواء بیروت، ۱۴۰۷ه ۱۹۸۷م،ص ۴۴۳

من البصره و إذا فيه: لعبد الله الحسن أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس. أما بعد يا ابن رسول الله فإن المسلمين ولوک أمرهم بعد أبيک ، وقد أنكروا أمر قعودک عن معاويه وطلبک لحقک، فشمر للحرب وجاهد عدوک، ودار أصحابک وول أهل البيوتات والشرف ما تريد من الأعمال، فإنک تشترى بذلک قلوبهم، واقتد بما جاء عن أئمه العدل من تأليف القلوب و الإصلاح بين الناس، واعلم أن الحرب خدعه ولک فى ذلک سعه ما كنت محاربا ما لم تنتقص مسلما حقا هو له، وقد علمت أن أباک عليا إنما رغب الناس عنه و صاروا إلى معاويه، لأنه واسى بينهم فى الفىء وسوى بينهم فى العطاء، فثقل ذلک عليهم، واعلم بأنک إنما تحارب من قد حارب الله و رسوله حتى أظهره الله أمره، فنام أسلموا و وحدوا الرب، ومحق الله الشرک وأعز الدين، أظهروا الإيمان وقرأوا القرآن وهم بآياته مستهزؤن وقاموا إلى الصلاه وهم كسالى، وأدوا الفرائض وهم لها- كارهون، فلما رأوا أنه لا يغزو فى هذا الدين إلا الأنبياء الأبرار والعلماء الأخيار وسموا أنفسهم لاسيما الصالحين، ليظن بهم المسلمون خيرا، وهم عن آيات الله معرضون. وقد منيت أبا محمد بأولئک القوم وأبنائهم وأشباههم، والله ما زادهم طول العمر إلا غيا، ولا زادهم فى ذلک لأهل الدين إلا غشاء فجاهدهم رحمک الله، ولا ترض منهم بالدنيه، فإن أباک عليا لم يجب إلى الحكومه فى حقه حتى غلب على أمره فأجاب وهو يعلم أنه أولى بالأمر، إن حكم القوم بالعدل، فلما حكم بالهوى رجع إلى ما كان عليه، وعزم على حرب القوم حتى وافاه أجله، فمضى إلى ربه(رحمه الله)، فانظر رحمک الله أبا محمد ولا تخرجن من حق أنت أولى به من غيرک وإن أتاک دون ذلک. والسلام عليک ورحمه الله وبركاته)) (۱)

ومثله رأى جندب الذى قال عنه ابن ابى الحديد: قال جندب: فلما أتيت الحسن

ص :۶۳۶

۱- موسوعه الحسنwww.mezan.net

بكتاب معاويه قلت له: إن الرجل سائر إليك فابدأ بالمسير حتى تقاتله فى أرضه وبلاده وعمله، فأما أن تقدر أنه ينقاد لك فلا والله حتى يرى منا أعظم من يوم صفين، فقال: أفعل، ثم قعد عن مشورتى))(١).

هل التقى الجيشان فعلاً؟

ومثلما اختلفوا فى قوه وعديد جيش الإمام الحسن عليه السلام وفى من بدأ المسير أولا إلى الحرب، اختلفوا كذلك فيما إذا التقى الجيشان أم لم يلتقيا. ولقد كافح معاويه منذ البدايه بمراره لكى لا يلتقى جيشه بجيش يقوده الحسن عليه السلام، فلقد كان مرعوبا من اللقاء، ولذا سخر كل ملكته فى المكيده والخدع والمكر والترغيب والترهيب، لكى يوقف الحسن عليه السلام فى مكانه فى المدائن ويعمل على تحطيم آلته الحربيه وقواته العسكريه هناك من غير مواجهه فعليه، كان يرى فيها إذا ما تحققت هزيمه ما دونها وقوف ونهايه إلى أبد الآبدين ٠

ومع أن الوقائع التاريخيه أثبتت أن جيش الخلافه بقياده الإمام الحسن عليه السلام لم يلتق بجيش معاويه مطلقا، وأن قوات تابعه للحسن عليه السلام كانت بقياده قيس بن سعد هى التى تناوشت مع جيش معاويه فى (مسكن)، إلا أن غالب المؤرخين ولاسيما أتبع الفصيل السياسى يأبون الاعتراف بهذه الحقيقه ويؤكدون دائما على أنهما التقيا، بل إن اغلب من شرح حديث (ابنى هذا سيد) أكد حدوث اللقاء بين الجيشين، ويأتى هذا دليلا دامعا على أن السياسيين نجحوا فى زرع الفوضى فى تاريخنا، وأن المؤرخين نقلوا تلك الفوضى بعضا عن بعض دونما فحص أو تمحيص أو دراسه وتحليل، فأصبحت مرجعا يرجع إليه من يأتى بعدهم ظنا منه أنها الحقيقه.!...

١- شرح نهج البلاغه، م٤\ج١٦\ص١٣

ومن الذين أكدوا لقاء الإمام مع معاويه فى أرض المعركه، كان القارى بقوله: ((ثم سار إلى معاويه وسار معاويه إليه، فلما تراءى الجمعان بموضع يقال له (يسكن) بناحيه الأنبار من أرض السواد))(١) حيث لم يكتف القارى بتصحيف اسم المنطقه من (مسكن) إلى (يسكن) بل أكد أن الحسن عليه السلام هو الذى بدأ المسير، وأنه لقى معاويه فيها!.

ومثله قول العظيم آبادي: ((فإنه لما قتل على بايعه أكثر من أربعين ألفا فبقى خليفه بالعراق وما وراءها من خراسان سته أشهر و أياما، ثم سار إلى معاويه فى أهل الحجاز وسار إليه معاويه فى أهل الشام، فلما التقى الجمعان بمنزل من أرض الكوفه))(٢).

وقول العسقلانى: ((لما سار الحسن بن على رضى الله عنه إلى معاويه بالكتائب قال عمرو بن العاص لمعاويه أرى كتيبه لا تولى حتى تدبر أخراها))(٣)، وفى فتح البارى أيضا: وقال ابن بطال: ذكر أهل العلم بالأخبار أن عليا لما قتل سار معاويه يريد العراق وسار الحسن يريد الشام فالتقيا بمنزل من أرض الكوفه، فنظر الحسن إلى كثره من معه فنادى: يا معاويه إنى اخترت ما عند الله)) فرد العسقلانى على هذا الخبر بقوله: ((إن الحسن ومعاويه لم يتلاقيا بالعسكرين حتى يمكن أن يتخاطبا وإنما تراسلا، فيحمل قوله: فنادى يا معاويه على المراسله، ويجمع بأن الحسن راسل معاويه بذلك سرا فراسله معاويه جهرا))(۴)، لاحظ هنا أن العسقلانى الذى أنكر أن يكون الحسن عليه السلام قد لقى معاويه يحاول الدس من طرف خفى لكى يبدو الإمام الحسن هو (الجبان) الذى يكاتب (سرا) يتوسل الصلح بينما لايخاف معاويه شيئا ويكاتبه جهرا!.

ولكنه عاد وقال: ((وأخرج ابن ابى خيثمه من طريق عبد الله بن شوذب قال: لما قتل...

١- مرقاه المفاتيح شرح مشكاه المصابيح.ص ٣٩٧٠. حديث رقم۶۱۴۴

۲- عون المعبود. ص۳۲۸.حدیث۴۶۶۲. باب ما یدل علی ترک الکلام فی الفتنه
۳- فتح الباری شرح صحیح البخاری. ج۱۳. ص۶۶-۶۷
۴- فتح الباری شرح صحیح البخاری. ج۱۳. ص۲۰۵

على سار الحسن بن على فى أهل العراق ومعاويه فى أهل الشام فالتقوا)).(۱)

وقال أبو بكر بن ابى الدنيا: ((حدثنا العباس بن هشام، عن أبيه قال: لما قتل على

بايع الناس الحسن بن على فوليها سبعه أشهر وأحد عشر يوما. وقال غير عباس: بايع

الحسن أهل الكوفه، وبايع أهل الشام معاويه بإيلياء بعد قتل على، وبويع بيعه العامه

ببيت المقدس يوم الجمعه من آخر سنه أربعين، ثم لقى الحسن معاويه بمسكن - من

سواد الكوفه - فى سنه إحدى وأربعين، فاصطلحا وبايع الحسن معاويه)).(۲)

وبناء على هذه المعلومات المتباينه المتضاربه، قال الصلابى مؤكدا حدوث اللقاء:

.تبادل الرسل بين الحسن ومعاويه و وقوع الصلح بينهما(رضوان الله عليهما) فقد سجل

الإمام البخارى فى صحيحه تلك اللحظات الحرجه من تاريخ الأمه المسلمه حين التقى

الجمعان، جمع أهل الشام وجمع أهل العراق)).(۳)

غايه هذا التخبط المشبوه تبدو سياسيه الصنع كليا، وقد خلقوها ليشيعوا من

خلالها وهما آخر مبنيا على مبدأ تشويش فكر المتلقى بالإدعاء مره أن الإمام هو الذى

طلب الصلح ومره أن معاويه هو الذى طلب الصلح حرصا منه على الأمه والدين!

وهؤلاء هم الذين صوروا مبادره الصلح على أنها ولدت فى ميدان المعركه شبها بمؤامره

رفع المصاحف فى صفين؛ ليقولوا لأتباعهم أنهم نجحوا فى استغفالنا مرات ومرات!

وفعلا يقودنا هذا التخبط إلى البحث عمن كان المبادر إلى الصلح لأنه من المستحيل أن

ينحصر التلاعب فى جوانب محدده دون غيرها ولابد وان يمتد ليغطى كافه متعلقات

الحدث لكى تتكامل اللعبه السياسيه بتكاثر الحديث الموهوم عنها....

۱- فتح البارى شرح البخارى. ج۱۳. ص ۷۰

۲- المصدر نفسه

۳- سیره امیرالمومنین خامس الخلفاء الراشدین. الصلابی. ص۲۹۳

مَنْ بادر إلى الصُلح أولا؟

سؤال فی غایه الأهمیه، لا تقل أهمیه الجواب عنه عن الصلح ذاته ولاسیما وأن هناک من تلاعب بهذه المعلومه المهمه بالرغم من وجود إشارات نبویه إلی أن الإمام الحسن علیه السلام هو الذی سوف یبادر إل صنع الصلح متی ما وجد الصلح أنفع للدین والدنیا وأهلها لأنه مطلع علی سیر الأحداث بدقائقها، وهو أدری الناس بمصلحه الناس. ولیس من قبیل المصادفه أن یتفق العنوان الذی اخترته لهذا المبحث مع عنوان اختاره الصلابی لنفس الموضوع کنت قد عثرت علیه وأنا أجمع ماده هذا المبحث بعد أن اخترت هذا العنوان، فتأکد لی أن الحدیث عن هذا الموضوع طالما شغل الفکر نظرا لعلاقته بمجمل الحراک السیاسی والدینی لتلک الحقبه، ولکن الصلابی وعلی منهج ابن العربی فی العواصم من القواصم حسم الأمر وادعی: ((إن الرغبه فی الصلح کانت موجوده لدی الطرفین، فقد سعی الحسن إلی الصلح وخطط له منذ اللحظات الأولی لمبایعته، ثم جاء معاویه فأکمل ما بدأه الحسن فکان عمل کل واحد منهما مکملا للآخر(رضوان الله علیهم أجمعین)).(۱)

وما من کاتب فی سیره الإمام الحسن ولاسیما من کتب فی موضع الصلح إلا وأکد عن یقین بأن معاویه هو صاحب فکره الصلح والبادئ به(۲)، وهذا إن کان صحیحا من

ص: ۶۴۱

۱- سیره أمیر المؤمنین وخامس الخلفاء الراشدین،صه۲۹۰

۲- حتی الشیخ مرتضی آل یاسین ذهب إلی هذا المذهب وقال: ((وما کان بدعا من محاولات معاویه فیما یهدف إلیه أن یبتدر هو إلی طلب الصلح فیعطی الحسن کل شرط لیأخذ علیه شرطا واحدا هو الملک)) ینظر: صلح الحسن،ص ۲۲۳

حيث التطبيق فإنه مجاف للحقيقه من حيث التنظير، وبمعنى أوضح إن كان صحيحا بوصفه واقعه فإنه ليس صحيحا بوصفه فكرا ومبدأ وعقيده، فاصلح لم يكن فی أی يوم آخر ضمن أولويات معاويه الذی كان يقدم الحرب خيارا أوحدا، فإذا مالت الريح عليه وانهزم فی حربه، يقدم الصلح مشروعا بديلا أو خطه للإنقاذ والطوارئ كما فعل يوم رفع المصاحف فی صفين. ومعاويه هو معاويه سواء فی صفين أو فی مواجهه الإمام الحسن عليه السلام التی كان يری فيها صفينا أخری قد لا ينجو منها.

ولأن السياسيين كانوا قد شخصوا ميزه الحرص علی الدين والعقيده فی منظومه تفكير الحسن عليه السلام، فالظاهر أنهم كانوا قد دفعوه عنوه إلی الصلح ليس حبا فی بقائه حيا وإنما لكی لا يتحملوا أعباء حرب قد تطول فيتذكر الناس صفين ولاسيما أن ذكراها لما تزل طريه فی فكرهم، ولكی لا تغضب الأمه عليهم؛ لأن قتل الحسن عليه السلام فی ساحه الحرب ممكن أن يقلب الموازين ويثير حماسه الناس كما حدث بعد ذلك مع الحسين عليه السلام يوم ثار التوابون وغيرهم انتقاما لمقتله، أما قتله غيله فال يمكن إثباته للجميع ويمكن أن يمر دون أن ينتبه إليه احد من الناس. ولذا بادر معاويه إلی ترغيب الإمام عليه السلام بالصلح فی وقت كان الإمام يری الصلح مع معاويه فی تلك المرحله بالذات أمرا لا عز فيه ولا منفعه ولا إنصاف كما جاء فی خطبته التی ألقاها علی جنده فی المدائن وقال فيها بصريح العباره: ((ألا وإن معاويه دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفه)) قال هذا بعد أن وصله كتاب معاويه مهددا ومتوعدا: وان أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتنی وفيت لك بما وعدت وأجريت لك ما شرطت... ثم الخلافه لك من بعدی))(١).

عمل السياسيين هذا ينم عن مقدره سياسيه هائله، حيث بدا معاويه بالترويج

۱- شرح نهج البلاغه، م۴ ،ج۱۶ ،ص ۱۳

لموضوعه الصلح حتى قبل أن تشتد الأزمه بين الحسن عليه السلام وبينه بدليل أنه بعث برساله

إلى عبيد الله بن عباس قائد مقدمه جيش الحسن عليه السلام الذى كان مرابطا فى (مسكن) يخبره

فيها أن الحسن عليه السلام وقع الصلح معه وفيها: ((إن الحسن قد راسلنى فى الصلح وهو مسلم

الأمر لى فإن دخلت فى طاعتى كنت متبوعا وإلا دخلت وأنت تابع، وجعل فيها ألف

ألف درهم))(١) مما دفع عبيد الله إلى الهرب ليلا إلى جانب معاويه فأوهى ذلك عزيمه

جند الامام عليه السلام.

إن نجاح السياسيين فى كسب عبيد الله فتح لهم الباب واسعا لكسب الآخرين

من قاده جند الإمام بنفس الطريقه والأسلوب فتزعزع نظام جند الإمام وبات بين

خيارين إما القتال إلى النهايه والتسبب بقتل الآلاف من الشيعه و غيرهم من المسلمين

وإما القبول بالصلح وحقن الدماء حتى ولو نهب تراثه. وعجيب كيف يتسنى للتاريخ

أن يعيد نفسه، فبالأمس القريب وقف على بن طالب عليه السلام الموقف ذاته تتنازعه القوى

ذاتها، فصورها لنا بقوله: ((فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتئى بين

أن أصول بيد. جذاء أو أصبر على طخيه عمياء، يهرم فيها الكبير و يشيب فيها الصغير

و يكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرايت ان الصبر على هاتا احجى ، فصبرت، وفى

العين قذى وفى الحلق ,شجا، أرى تراثى نهبا))(٢).

إن عبيد الله بن عباس وجد من يدافع عنه ليس لأنه رفض خوض الحرب، بل لأنه

خان الإمام الحسن عليه السلام وهرب إلى جانب معاويه، ومنهم الطبرى الذى ادعى مره أن ابن

عباس إنما كان هو البادئ بالكتابه إلى معاويه بعد أن علم أن الحسن عليه السلام يريد الصلح،

وأن معاويه أرسل له عامر فى خيل عظيمه فخرج إليهم عبد الله ليلا حتى لحق بهم ونزل

١- المصدر نفسه، م ۴ ،ج۱۶ ،ص ۴۲
٢- المصدر نفسه....

وترك جنده (١) وأدعى مره ثانيه أن ابن عباس كان هو المبادر بطلب الصلح، فقال: ((فلما علم عبيد الله بن عباس بالذى يريد الحسن عليه السلام أن يأخذه لنفسه كتب إلى معاويه يسأله الأمان ويشترط لنفسه على الأموال التى أصابها فشرط له معاويه ذلك)).(٢)

بل وهناك من أوغل فى دفاعه عن عبيد الله لدرجه انه نفى أن يكون عبيد الله مع جيش الحسن عليه السلام، كما فى قول الصلابى: ((والحقيقه التاريخيه تقول: أن قائد الجيش كان الحسن بن على عليه السلام، وان قائد مقدمته كان قيس بن سعد ولا ذكر لعبد الله بن عباس أو أخيه عبيد الله فى هذا الجانب إلا فى الروايات الضعيفه والتى لا يقوم لها دليل))(٣) وهذا استغفال للعقل المسلم وتشويه لتاريخ يحمل جينات التشوه فى كيانه لكى تضيع الحقائق فلا يعرفها الناس، وإلا فإن الكثير من المؤرخين ذكروا اشتراك عبيد الله فى قياده الجيش، ويأتى قول الصلابى ليؤكد من خلاله صحه إلتقاء القائدين فى الحرب.

أما المخلص التقى قيس بن سعد فلأنه بقى ثابتا إلى جانب الامام عليه السلام لذا تحدثوا عن خلاف و همى وقع بين الامام الحسن عليه السلام وبينه لكى ينالوا منه، وعن هذه القصه يقول الطبرى: ((وكان الحسن لا يرى القتال ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاويه ثم يدخل فى الجماعه • وعرف الحسن عليه السلام أن قيس بن سعد لا يوافقه على رأيه فنزعه وأمر عبيد الله بن عباس))(٤) متجاهلا أن قيس هو الذى جمع الجند الذين فرقتهم هزيمه عبيد الله، فقاتل بهم.

إن من يعرف الامام الحسن عليه السلام على حقيقته يدرك أنه كان يمثل خط الرساله

١- ينظر: الطبرى، الجلد٣، ص٩٤٣.

٢- المصدر نفسه، المجلد ٣، ص ٩٤١.

۳- سیره امیر المؤمنین، الصلابی، مصدر سابق، ص ۳۲۴.
۴- تاریخ الطبری، الجلد۳، ص۹۴۱.

ومنهجها، ومن مبادئ الرساله حقن الدماء البريئه والسعی للحفاظ علی وحده الأمه،

وبالتالی تمکن السیاسیون من تشخیص هذه المیزات فی منظومه أخلاقه فسعوا إلی الإفاده

منها لانقاذ أنفسهم وتحقیق أطماعهم من خلال التأکید علی وجوب وقوع الصلح بین

الطرفین، والسیاسیون هم الذین ضخموا دور معاویه فیها وأظهروه وکأنه هو الذی

حث لامام الحسن علیه السلام علی الصلح حقنا لدماء الآمه.

ص :۶۴۵

قصه البخاری الملفقه

لهذا الإدعاء الغریب قصه یوردها البخاری یؤکد فیها أن معاویه هو صاحب الحق

وهو الذی عرض الصلح علی الإمام حقنا لدماء المسلمین باعتبار انه المسؤول عن

مصلحه المسلمین بحکم کونه (الخلیفه الشرعی) بالرغم من کونه باغیا علی الحسن علیه السلام

وعلی أبیه وخارج علی الخلیفه الشرعی. حیث جاء فی البخاری: ((حدثنا عبد الله بن

محمد، حدثنا سفیان، عن أبی موسی قال: سمعت الحسن (البصری) یقول: استقبل

والله الحسن بن علی معاویه بکتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إنی لأری

کتائب لا تولی حتی تقتل أقرانها، فقال معاویه: (وکان والله خیر الرجلین): إن قتل

هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لی بأمور الناس، من لی بنسائهم، من لی بضیعتهم؟

فبعث إلیه رجلین من قریش من بنی عبد شمس: عبد الرحمن بن سمره[(۱)] وعبد الله بن

عامر بن کریز[(۲)]فقال: اذهبا إلی هذا الرجل، فأعرضا علیه، وقولا له واطلبا إلیه، فأتیاه

فدخلا علیه فتکلما، وقالا له، فطلبا إلیه، فقال الحسن بن علی: إنا بنو عبد المطلب قد

أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمه قد عاشت فی دمائها. قالا: فإنه یعرض علیک کذا

۱- أحد الطلقاء،ینظر الإصابه ص۱۱۶۳ج۲رقم ۵۱۳۵.

۲- قالوا: ولد علی عهد النبی صلی الله علیه وآله بمکه بعد الهجره بأربع سنین، فلما کان عام القضاء سنه سبع وقدم رسول الله مکه معتمرا حمل إلیه ابن عامر وهو ابن ثلاث سنین، فحنکه فتلمظ وتثاءب، فتفل رسول الله فی فیه فجعل یبتلع ریق النبی وقال النبی: ((هذا ابن السلمیه؟)) قالوا: نعم، قال: ((هذا ابننا وهو أشبهکم بنا.! ولا أدری إذا ما کان ذلک الشبه المزعوم هو الذی جعله من أصحاب معاویه الخلص المنحرفین عن أهل البیت علیهم السلام!.

وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لى بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئا إلا قالا: نحن لك به، فصالحه))(١).

وفى هذا الحديث صور البخارى والعسقلانى جيش الإمام الحسن عليه السلام بأنه كتائب أمثال الجبال جاهزه للحرب، لكن معاويه (الحريص) فكر ى حفظ دماء المسلمين (لتقواه وتدينه وحرصه على الإسلام)، فأرسل زعيمين من طلقاء بنى أميه إلى الامام الحسن عليه السلام يعطياه ما يريد قباله الصلح، فوجداه يريد المال ولا شىء غير المال، فأعطياه الملايين وتم الصلح! هكذا وبكل بساطه!.

لقد سوق البخارى فى هذا الحديث الصوره التى أراد بها الأمويون إظهار الحسن عليه السلام بصوره الرجل المهزوز المستعد لبيع عقيدته وقيمه ودينه مقابل المال الذى قالوا أنه كان يحتاج إليه ليدفعه مهرا للنساء اللواتى يريد الزواج بهن!، وهى الصوره التى قال عنها العسقلانى: فقال معاويه: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه (أى ما شاء من المال) وقولا له: (أى فى حقن دماء المسلمين بالصلح) واطلبا إليه (أى أطلبا منه خلع نفسه من الخلافه وتسليم الأمر لمعاويه) وابذلا له فى مقابل ذلك ما شاء))(٢)

وبعيدا عن أى تبريرات أخرى أقول: إن ما أورده الطبرى يتعارض كليا مع هذا القول، فالطبرى يقول إن الحسن عليه السلام هو الذى طلب من معاويه أن يصطلحا، كما فى قوله: ((فلما رأى الحسن عليه السلام؛ تفرق الأمر عنه بعث إلى معاويه يطلب الصلح))(٣) وأما ما أورده العظيم آبادى فجاء مؤيدا لرأى العسقلانى، حيث قال: ((فلما التقى الجمعان

۱- البخاری،کتاب الصلح، باب قول النبی للحسن بن علی ابنی هذا سید، حدیث رقم ۲۷۰۴، ص۴۷۸.۴۷۹.

۲- فتح الباری، ابن حجر،ج ۱۳،ص ۵۵.

٣- تاريخ الطبرى، المجلد ٣، ص٩٤٢.

بمنزل من أرض الكوفه وأرسل إليه معاويه فى الصلح أجاب على شروط منها أن يكون له الأمر بعده، وأن يكون له من المال ما يكفيه فى كل عام))(۱).

كما صور البخارى معاويه من أحرص الناس على الدين وأهله، ولو كان وجود مثل هذا الموقف محتملا مجرد احتمال فى منظومه أخلاق معاويه لكان الأجدر به أن لا يقود جند الشام لمحاربه الخلفيه الشرعى المنتخب مع كل ما كان يمثله ذلك التحرك العسكرى الكبير من خطر على الأمه والدين. كما أثبتت الروايات التاريخيه أن جيش الإمام على فى صفين كان أضعاف جيش الإمام الحسن عليه السلام بل وحتى قاده جيش الامام اصعاف، وباقى الجند بما فيهم الصحابه الأبرار يختلفون كثيرا عن وشل وثماله الجيش الباقى مع الحسن وبالتالى كانت الأخطار المرتبه على نشوب الحرب بين الجيشين؛ جيش الخلافه العلويه والجيش الأموى أشد خطرا بمئات المرات من خطر وقوع الحرب بين معاويه والحسن عليه السلام؛ فلماذا قام بفعلته تلك ابتداء؟ ولماذا لم يسلم الأمر إلى الإمام على عليه السلام الخليفه الشرعى بعد أن رأى عظم جيش الخلافه، وكثير جيشه الذى جاء به من الشام، لو كان حقا يملك مثل هذا الحرص المزعوم؟ أين كان فى حرب صفين التى جمع فيها أكثر من (۱۳۰) ألف مقاتل و وضعهم أمام جيش الخلافه البالغ تعداده أكثر من (۱۳۵) ألف مقاتل كما تقول الروايات، وفى روايه: ((وكان على عليه السلام يوم صفين على بغله رسول الله المسماه بدلدل، فحمل بها فى تسعين ألفا وقيل مائه وعشرين ألف وعشره آلاف))(۲)وفى روايه غيرها: ((عن زكريا بن عيسى عن ابن شهاب أن محمد بن عمرو بن

۱- عون المعبود،محمد شمس الحق العظيم آبادى، دار الفكر، سنه النشر: ۱۴۱۰ / ۱۹۹۰م، أربعه عشر جزء، ص ۳۲۸، حديث ۴۶۶۲، باب ما يدل على ترك الكلام فى الفتنه.

٢- أعلام النصر المبين ص٩٤.

العاص شهد القتال يوم صفين فى خمسه وثلاثين ومائه ألف))(۱).

أين كان فى هذه الحرب التى دامت أشهرا متواصله وأشهرا أخرى متفرقه حيث

بدأت فى الأول من صفر ۳۷هجريه، وسقط فيها على ما روى بين (۷۰-۱۱۰) ألف قتيل

و تركت من الجرحى والمعوقين ما يفوق هذا العدد بكثير؟ لماذا يغفل هذا العدد العظيم

من قتل المسلمين ويلتفت إلى ما يمكن أن يقع منهم صريعا بحربه مع الحسن عليه السلام؟ وفى

حديثه عن أيام صفين قال الكلبى: ((قال ابن ديزيل: وقتل فى ثلاثه أيام من أيام البيض:

ثلاث عشره وأربع عشره وخمس عشره ثلاثه وسبعون ألفا من الفريقين)) (۲) وفى قول

آخر: ((فقتل فيها من أصحاب الإمام على عليه السلام خمسه وعشرون ألفا، ومن أصحاب

معاويه خمسه وأربعون ألفا على اختلاف فى ذلك)) (۳)

وفى روايه شاميه: ((كان أهل الشام ستين ألفا فقتل منهم عشرون ألفا وكان أهل

العراق مائه وعشرين ألفا فقتل منهم أربعون ألفا))(۴).

أقف هنا لأورد حديثا للصلابى أراد من خلاله التدليس على أخبار صفين لكى

يثبت صحه و صدق حرص معاويه على الأمه ودماء المسلمين، وذلك لكى يدعم

الأقوال التى تدعى أن حرصه هو الذى دفعه إلى طلب الصلح مع الحسن عليه السلام، قال

الدكتور الصلابى: ((تضاربت أقوال العلماء فى عدد القتل فذكر ابن ابى خيثمه أن القتلى

فى صفين بلغ عددهم سبعين ألفا، من أهل العراق خمسه وعشرون ألفا، ومن أهل الشام

خمسه وأربعون ألف مقاتل. كما ذكر ابن القيم أن عدد القتل فى صفين بلغ سبعون ألفا

۱- المصدر نفسه، ص ۶۴ ۰

۲- أعلام النصر المبين فى المفاضله بين أهلى صفين، ص ۵۳ ۰

٣- المصدر نفسه، أعلام النصر المبين فى المفاضله بين أهل صفين، ص٥٩ ٠

٤- المصدرنفسه، ص ٦١٠

أو أكثر، ولا شك أن هذه الأرقام غير دقيقه بل أرقام خياليه، فالقتال الحقيقى والصدام الجماعى استمر ثلاثه أيام مع وقف القتال بالليل إلا مساء الجمعه فيكون مجموع القتال نحو ثلاثين ساعه، ومهما كان القتال عنيفاً، فلن يفوق شده القادسيه التى كان عدد الشهداء فيها ثمانيه آلاف وخمسمائه وبالتالى يصعب التصديق عقلاً أن نقبل تلك الروايات))(١)

وأول تدليس لهذا الرجل، إدعاؤه أن معركه صفين دامت ثلاثه أيام فقط، حيث أخذ أقوال بعض المؤرخين عن أيامها الثلاثه الأخره و أوهم الناس أنها كل أيام المعركه وأهمل باقى أيامها، ففى هذه الأيام الثلاثه وحدها دون غيرها اشتدت الحرب، كما ذكر ابن سعد والبلاذرى وغيرهم، حيث قال ابن سعد: ((وكان القتال الشديد ثلاثه أيام ولياليهن،آخرهن ليله الهرير))(٢) وقال البلاذرى: وقال الواقدى فى إسناده: كان القتال الشديد بصفين ثلاثه أيام ولياليهن،آخرهن ليله الهرير))(٣) وربما كان هذا التدليس هو الدافع وراء تضخيم بعض الباحثين لعدد أيام صفين كرد فعل، كما فى قول الشيخ محمد اليعقوبى: ((إن معركه صفين التى استمرت حوالى سنه ونصف كانت تشهد فرات هدنه وإيقاف للقتال))(٤).

والتدليس الثانى أن الدكتور الصلابى خالف أقوال علمائهم ومؤرخيهم الذين اتفقوا على أن قتل صفين كانوا أكثر من سبعين ألفا: خمسه وأربعون ألفاً من أهل الشام

١- ينظر: معاويه بن أبى سفيان شخصيته وعصره، الدوله السفيانيه، ص ١٢٧
٢- ينظر: طبقات ابن سعد، ج٣، ص ٢٦١
٣- ينظر: أنساب الآشراف ص٣١٨
٤- موقع الشيخ محمد اليعقوبى، الرابط www.yaqoobi.com/arabic/artc/٢۴۴٥/news/index.html

وخمسه وعشرون ألفاً من أهل العراق، فقد قدر محمد بن سيرين عدد القتل فی هذه المعرکه بنحو سبعین ألف رجل. کان منهم خمس وأربعین ألف شخص من جیش الشام، أی کان نصف الجیش قد فنی، فما استطاعوا عدهم إلا بالقصب، وضعوا علی کل إنسان قصبه، ثم عدو القصب(۱) وفی فتح الباری عن لیله الهریر وهی آخر لیالی صفین قبل التحکیم، قال العسقلانی: ((وقتل بین الفریقین تلک اللیله عده آلاف وأصبحوا وقد أشرف علی وأصحابه علی النصر))(۲).

وذکر بعض الرواه أن مده إقامه الجیشین فی صفین مئه وعشره أیام، وأن الوقائع کانت تسعین وقعه، ولکن الشیخ علی الکورانی عد ذلک مبالغه فقال: ((ذلک مبالغه، فهو لا یستقیم إلا بأن یقصدوا مجموع سفرهم من أول مقدمه الجیش التی أرسلها علی علیه السلام. والظاهر أن الحرب استمرت الثانی عشر یوماً فقط، من یوم الأربعاء أول شهر صفر سنه ۳۷، إلی لیله الهریر لیله الجمعه الثانی عشر من صفر، وفی صبیحتها رفع معاویه المصاحف داعیاً إلی وقف القتال وتحکیم حکمین))(۳) وأجد أن الشیخ الکورانی هون من أمر صفین کثیراً، فهناک عشرات النقول التی أثبتت طول مدتها، وکثره القتلی فیها، وقد أوردنا من قبل قصه بناء معاویه قصراً فی المیدان، وبناء الإمام علی مسجداً طینیاً لأداء الصلاه، کما أن ابن الجوزی قال فی منتظمه: إن علیاً علیه السلام طلب أثناء الحرب هدنه

۱- الذهبی فی تاریخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدین (ص۵۴۵)، و معجم البلدان (۴۱۴/۳ - ۴۱۵)، و مصنف ابن أبی شیبه (۲۹۵/۱۵) بإسناد حسن من مرسل ابن سیرین، و هو من أصح المراسیل. وتاریخ خلیفه (ص۱۹۴) مختصراً.

۲- ینظر: فتح الباری، العقلانی، ج۱۱ ، ص۱۰۴

۳- ینظر: موقع الشیخ الکورانی، الرابط http://www.alameli.net/books/index

لمده شهر بعد أن رأى كثره القتل))(١)

وفى العوده إلى أصل موضوعنا أقول: إن من كان مع على فى جيشه أعظم أن يهابوا

من غيرهم وهم الصحابه الكرام من البدريين وأصحاب بيعه الشجره وباقى الصحابه

والتابعين بما لم يكن مع الحسن عليه السلام مثلهم أو قريبا منهم، فماذا لم يتهيب معاويه من

هؤلاء وتهيب ممن كانوا مع الحسن عليه السلام؟ ((قال ذو النسبين: وقتل من أصحاب على عليه السلام

خمسه وعشرون بدرياً... من أهل بدر سبعون رجلاً، وشهد معه ممن بايع تحت الشجره

سبع مائه رجل فيمن لا يحصى من أصحاب رسول الله ومن خيار التابعين، ومع على

رايات كانت مع رسول الله يقاتل بها أعداء الله))(٢).

ثم هل يعقل أن معاويه كان يبحث عن حقن الدماء وهو الذى قال فى خطبته

فى الكوفه بعد أن دخلها: ((يا أهل الكوفه أترون أنى قاتلتكم على الصلاه والزكاه

والحج؟ وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون)) وأين ذهب الحرص لما أمر قواده

الذين أرسلهم يجوبون الأقاليم بأمر مفاده: .فاقتل كل من لقيته ممن ليس هو على مثل

رأيك...))(٣)

واقعا يستحق حديث البخارى وشرح العسقلانى وقفه طويله بسبب التناقضات

الوارده فيه، ولأنه تناول أكثر من جانب من جوانب الصراع والصلح بدءاً من حديثهم

عن عظم جيش الحسن عليه السلام، و وصفه بأنه جيش له أول وليس له آخر، وهى الأرقام

المدعومه بشهادات الزور ومنها قول صالح بن أحمد: ((سمعت أبى يقول: بايع الحسن

١- ينظر: منتظم لابن الجوزى، ج ٥، ص١١٧ -١١٨

٢- المصدر نفسه، المنتظم، ص ٦٧-٦٨

٣- المصدر نفسه، أعلام النصر المبين

تسعون ألفا، فزهد فی الخلافه وصالح معاویه، ولم یسفک فی أیامه محجمه من دم))(۱)

وصولا إلی التحدث عن التقاء الجیشن، وثمن الصلح؛ قال ابن أبی خیثمه: ((حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ضمره، عن ابن شوذب قال: لما قتل علی سار الحسن فی أهل العراق، وسار معاویه فی أهل الشام فالتقوا، فکره الحسن القتال، وبایع معاویه علی أن یجعل العهد للحسنمن بعده. قال: فکان أصحاب الحسن یقولون: یا عار المؤمنین. قال: فیقول لهم: العار خیر من النار. وقال أبو بکر بن أبی الدنیا: حدثنا العباس بن هشام، عن أبیه قال: لما قیل علی بایع الناس الحسن بن علی فولیها سبعه شهر وأحد علی یوما. وقال غیر عباس: بایع الحسن أهل الکوفه، وبایع أهل الشام معاویه بإیلیاء بعد قتل علی، وبویع بیعه العامه ببیت المقدس یوم الجمعه من آخر سنه أربعین، ثم لقی الحسن معاویه بمسکن – من سواد الکوفه – فی سنه إحدی وأربعین، فاصطلحا وبایع الحسن معاویه. وقال غیره: کان صلحهما ودخول معاویه الکوفه فی ربیع الأول من سنه إحدی وأربعین))(۲)

فی الفقره الثانیه من الحدیث قالوا عن الحسن علیه السلام: بأنه کان مسالما یکره الحرب ولا یمیل إلی القتال وسفک الدم، وهذا مخالف لما أوردوه عنه بأنه شارک فی الفتوح، ومخالف لما ثبت عنه علیه السلام انه اشترک فی جمیع حروب أبیه وأبل فیها بلاءً حسناً. فالحسن علیه السلام لم یصالح لأنه یکره کل أنواع الحروب بما فیها الحروب العقائدیه بطبیعته، وإنما صالح بقیاً علی الدین والمذهب. والفهم الخاطئ فضلا عن الدس السیاسی والتحریف الممجوج هو الذی دفعهم إلی الحدیث عن حب الحسن علیه السلام لنفسه وتفضیلها علی جمیع أصحابه وشعبه، بدلیل أن شروط وثیقه الصلح نصت علی: ((إن الناس آمنون حیث کانوا من

١- الفتح للعسقلانى ج ١٣ ص ٢٠٤
٢- فتح البارى العسقلانى ص ٢٠٥

أرض الله تعالى فى شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم وعلى أن أصحاب ر وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا وعلى معاويه بذلك عهد الله وميثاقه وعلى أن لا يبغى للحسن بن على ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله غائله سوء سراً وجهراً ولا يخيف أحداً منهم فى أفق من الآفاق شهد عليه بذلك فلان وفلان وكفى بالله شهيداً))(۱)

وفى الفقره الثالثه ادعوا أن الحسن عليه السلام الذى وصفوه بالأنانى كان يريد أن يكاتب معاويه ليعطيه الأمان لنفسه دون أصحابه، وهذا ما تكذبه وثيقه الصلح التى طلب فيها عدم مطارده الشيعه.

وتحدثوا فى الفقره الرابعه عن خلاف بين الحسن عليه السلام وقيس بن سعد، وهذا كذب محض حيث أجمع المؤرخون على أن يدس بن سعد بن عباده (رحمهما الله) كان يقاتل بجبهه حددها له الإمام الحسن عليه السلام، وأن معاويه حاول الوقيعه بينه وبين الإمام بالادعاء فى جيش الحسن بأن قيس سالم معاويه والإدعاء عند قيس بأن الإمام صالح معاويه كما فى قول اليعفوض وكان معاويه يدس إلى عسكر الحسن من يتحدث أن قيس بن سعد قد صالح معاويه وصار إليه! ويوجه إلى عسكر قيس من تتحدث أن الحسن قد صالح معاويه وأجابه))(۲) بالمناسبه أنواع دس معاويه كثيره لا تحصى منها ما قال عنه الشيخ المفيد: ((فلما بلغ معاويه بن أبى سفيان وفاه أمير المؤمنين وبيعه الناس ابنه الحسن دس رجلًا من حمير إلى الكوفه، ورجلًا من بنى القين إلى البصره ليكتبا إليه بالأخبار، ويفسدا على الحسن عليه السلام الأمور. فعرف ذلك الحسن فأمر باستخراج الحميرى من عند

۱- موسوعه الحسن الرابط .http://www.mezan.net/mawsouat/hassan/sohl.html

۲- تأریخ الیعقوبی،جزء۲ن ص ۲۱۴

لحام بالكوفه فأخرج و أمر بضرب عنقه وكتب إلى البصره، باستخراج القينى من بنى سليم، فاخرج و ضربت عنقه، وكتب الحسن إلى معاويه: أما بعد، فإنك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء وما أوشك ذلك، فتوقعه إن شاء الله، وبلغنى أنك شمت بما لا يشمت به ذو حجى))(۱).

أما تكمله الشرح فالمهم فيه أن العسقلانى نفسه عاد ليشكك بمضمون الحديث وليوقع نفسه فى تناقض كبير، فقال: وأخرج الطبرى والطبرانى من طريق إسماعيل بن راشد قال: ((بعث الحسن قيس بن سعد على مقدمته فى اثنى عشر ألفا، يعنى من الأربعين(۲) فسار قيس إلى جهه الشام وكان معاويه لما بلغه قتل على خرج فى عساكر من الشام(۳) وخرج الحسن بن على مدافعا حتى نزل المدائن، فوصل معاويه إلى مسكن. ويال ابن بطال: ذكر أهل العلم بالأخبار أن عليا لما قتل سار معاويه يريد العراق و سار الحسن يريد الشام فالتقيا بمنزل من أرض الكوفه، فنظر الحسن إلى كثره من معه فنادى: ((يا معاويه إنى اخترت ما عند الله، فإن يكن هذا الأمر لك فلا ينبغى لى أن أنازعك فيه وإن يكن لى فقد تركته لك فكبر)) أصحاب معاويه. وقال المغيره عند ذلك: أشهد أنى سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول: ((إن ابنى هذا سيد))، الحديث وقال فى آخره: فجزاك الله عن المسلمين خيرا. وبالرغم من التهافت الذى جاء به ابن بطال الذى نقل عن (أهل العلم) الذين لا نعرفهم بأن الحسن عليه السلام التقى بمعاويه فى ساحه الحرب فى الكوفه،

۱- موسوعه الحسن www.mezan.net
۲- أنظر كيف وقع فى حرج بسبب اختلاف أرقام جيش قيس الذى قال انه أربعون ألفا ثم أصبح بقدره قادر اثنا عشر ألفا مدعيا أن هؤلاء من الاربعين ألفا، أما أين ذهب الثمانيه و عشرون ألفا فلا يلتفت إليه.
۳- وفى هذا تأكيد تام بأن معاويه يريد الحرب ويريد الخلافه ولذا جهز أو حرك جيشه الجاهز المجهز ليستغل فرصه غياب

الخليفه الشرعی عن الساحه.

...

وبأن الحسن علیه السلام نادی معاویه یطلب الصلح، وبأن الحسن علیه السلام لم یکن یعرف إن کان

أمر الخلافه قد خصه الله به بصفته الخلیفه الشرعی الذی بایعه المسلمون أم أن الأمر

لمعاویه وهو الخلیفه الشرعی الذی لا یجب علی الإمام الحسن مقاتلته ومنازعته، وبأن

الحسن علیه السلام تنازل عن طیب خاطر عن حقه فی الخلافه إلی معاویه دون شروط وبأن

الحسن علیه السلام دعا لمعاویه بالخیر بالرغم ما بینهما من خلاف تاریخی. بالرغم من کل ذلک

لم تنجح مساعیهم وخابت آمالهم.

مؤامره الخطبه

أشار العسقلانى فى مجرى شرحه لحديث البخارى إلى حادثه مهمه جدا وقعت فى الكوفه بعد أن دخلها معاويه الذى وقف عند (النخيله) قبل أن يدخل الكوفه ليضع شروط الصلح تحت قدمه، فمعاويه اعترف بتوجهه السياسى الصرف حتى قبل أن يجف حبر وثيقه الصلح وقبل أن يدخل الكوفه، لكنه فى النخيله أفصح عما فى مكنونه يوم خطب الناس، وقال: إنى ما قاتلتكم لتصوموا أو لتحجوا وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطيت الحسن شروطا كلها تحت قدمى))(۱) فاستفز بذلك الإمام الحسن عليه السلام وأغضبه، ثم حاول مع صنوه عمرو بن العاص استغلال غضب الإمام بإجباره على التكلم أمام الناس، فمعاويه و بحث و دس من عمرو بن العاص طلب من الحسن عليه السلام أن يتكلم أمام الناس ليحرجه، فالمسلم بصحته أن بطل التحكيم السياسى العتيد عمرو بن العاص كان قد أعد للصلح مفاجأته، كما أعد للهزيمه فى صفين مفاجأه التحكيم، قال الطبرى: ((وكان عمرو بن العاص حين اجتمعوا بالكوفه قد كلم معاويه وأمره أن يأمر الحسن أن يقوم و يخطب الناس فكره ذلك معاويه، وقال: ما تريد إلى أن يخطب الناس؟ فقال عمرو: لكنى أريد أن يبدو عيه للناس، فلم يزل عمرو بمعاويه حتى أطاعه، فخرج معاويه فخطب الناس، ثم أمر رجلا فنادى الحسن بن على فقال: قم يا حسن فكلم الناس، فتشهد فى بديهه أمر لم يرو فيه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإن الله قد هداكم بأولنا و حقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مده و الدنيا دول، وإن الله تعالى

۱- اهل البيت، الحسن بن على، توفيق ابو علم ص۱۲

قال لنبيه:((و ان ادری لعله فتنه لکم ومتاع الی حین)) فلما قالها قال معاویه: إجلس فلم

یزل ضرما علی عمرو، وقال: هذا من رأیک))(۱) لقد أراد معاویه برفضه لشروط الصلح

استفزاز الإمام و إغضابه، وأراد عمرو بن العاص إجباره علی صعود المنبر و إلقاء خطبه

فی الخاصه و العامه وهو بحاله الغضب تلک عسی أن یتفوه بما یغضب معاویه فیستحل

قتله دون أن یلومه احد باعتبار أن الحسن علیه السلام هدده أو تطاول علیه أمام الجماهیر الغفیره

التی کانت حاضره، وهو لیس بملام بقتله!.

أما العسقلانی فإنه کعادته حرف الکلام عن مواضعه فقال فی الشرح أن معاویه

هو الذی طلب من الحسن أن یخطب، وأن الحسن امتدح معاویه فی خطابه، فقال:

((والمحفوظ أن کلام الحسن الأخیر إنما وقع بعد الصلح والاجتماع کما أخرجه سعید بن

منصور والبیهقی فی (الدلائل) من طریقه ومن طریق غیره بسندهما إلی الشعبی قال: لما

صالح الحسن بن علی معاویه، قال له معاویه قم فتکلم، فقام فحمد الله وأثنی علیه ثم

قال أما بعد؛ فإن أکیس الکیس التقی وإن أعجر العجز الفجور، ألا و إن هذا الأمر الذی

اختلفت فیه أنا ومعاویه حق لامرئ کان أحق به منی، أو حق لی ترکته لإراده إصلاح

المسلمین و حقن دمائهم، وإن أدری لعله فتنه لکم ومتاع إلی حین. ثم استغفر ونزل)).

هنا تعاون ابن کثیر و العسقلانی لتشویه هذه الواقعه، فابن کثیر عجز عن إنکار

دور عمرو الذی تحدث عنه الطبری، ولکنه أخفی اسم المحرض، فقال: ((قال محمد بن

سعد، عن هوذه بن خلیفه، عن عوف، عن محمد بن سیرین قال: لما دخل معاویه الکوفه

وبایعه الحسن بن علی علیه السلام، قال أصحاب معاویه لمعاویه: مر الحسن بن علی أن یخطب،

فإنه حدیث السن عیی، فلعله یتلعثم فیتضع فی قلوب الناس. فأمره، فقام فاختطب،

۱- الطبری،المجلد۳،ص۹۴۳.

خطبته: أيها الناس، والله لو ابتغيتم بين جابلق وجابرس رجلا جده نبى

أخى لم تجدوه، وإنا قد أعطينا بيعتنا لمعاويه، ورأينا أن حقن دماء المسلمين

خير من إهراقها، والله ما أدرى لعله فتنه لكم ومتاع إلى حين. وأشار إلى معاويه،

فغضب من ذلك وقال: ما أردت من هذه؟ قال: أردت منها ما أراد الله منها. فصعد

معاويه وخطب بعده. وقد رواه غير واحد و قدمنا أن معاويه عتب عل أصحابه))(١).

اما أحفاد الفصيل السى^ليا٠^^^اولوا طمس سق كب

والتغطيه عل فعل السياسيين وكيدهم، وترئه عمرو بن العاص من الدسيسه والكيد

والتآمر، فضلا عن تبييض صوره معاويه وإظهاره بمظهر الرحيم بالحسنها، فقال

الشيغ مئ اائم١٠كمس^^^^^ه من الحسص^^^^^^^^^^^^٠جوع الناس ويعلمهم

إلى الحسنبكل أدب ولطف وألممس منه أن خيطب! هكذا أراد الشغ لملمه تلك

المؤامره،فيا عجبا لشده مكرهم وعظيم كنهبم!.

ولم يكتف العسقلانيوأحغى١لسياسيين من بعده هبذا التضليل فلجأ العسقلانى

. متفرقه لكى لا يفتضح

أمره، فقال مره: ومن طريق عوانه بن الحكم نحوه، وزاد وكان الحن صالح معاويه

عل أن يجعل له ما فى بيت مال الكوفه، وأن يكون له خراج دار أبجرد)).

وقال ثانيه: <(وذكر محمد بن قدامه فى ((كتاب الخراج)) بند قوى إلى أى بصى^

الحن بن عل يقول فى خطبته عند معاويه: إنى اشرطت عل معاويه

والنهايه، ج١٣ ،ص ٢٠٥.

مصدر سابق، ص ١٨٧...

الخلافه بعده)).

وقال ثالثه: ((وأخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح إلى الزهرى قال: كاتب الحسن بن على معاويه واشترط لنفسه فوصلت الصحيفه لمعاويه وقد أرسل إلى الحسن يسأله الصلح ومع الرسول صحيفه بيضاء مختوم على أسفلها وكتب إليه أن اشترط ما شئت فهو لك، فاشترط الحسن أضعاف ما كان سأل أولا، فلما التقيا وبايعه الحسن سأله أن يعطيه ما اشترط فى السجل الذى ختم معاويه فى أسفله؛ فتمسك معاويه إلا ما كان الحسن سأله أولا، واحتج بأنه أجاب سؤاله أول ما وقف عليه فاختلفا فى ذلك فلم ينفذ للحسن من الشرطين شىء)). وسنتكلم عن الشروط لاحقا.

ص :٦٦٢

الفصل الخامس المدارس الفقهيه و موضوع الصلح

اشاره

ص :۶۶۴

المدارس الفقهیه وموضوع الصُلح

تباینت الآراء والرؤی حول الصلح بکلیته وجزئیته لیس فی المدرسه الفقهیه الواحده، بل فی کل مدارس الفقه، فمقابل العمومیه وشبه الانغلاق الشیعی نجد فی الجانب الآخر انفتاحا علی الصلح بکلیته وتوسعا فی جزئیاته وبناء قواعد فقهیه قائمه علی نتائج ما وصلهم عن الصلح من أحادیث أسست لمشروع فقهی غایه فی التعقید والتنوع، ومن الجزئیات التی أشبعوها بحثا و شیدوا علی نتائج بحوثهم التی استخلصوها منها قواعد فقهیه کان حدیث (ابنی هذا سید) وهو حدیث قلق غیر مستقر، مشکوک فی صحته، ومع ذلک تکاد لا تجد کتاب حدیث من الصحاح إلی السنن إلی المسانید إلا وقد خصه بالشرح و التعلیل والتحلیل و التأویل وبشکل مطول موسع، تبعا للصیغ المختلفه له ولاسیما نهایاته التی ورد فی بعضها (فئتین عظیمتین) وفی بعضها (فئتین مسلمتین) وفی بعضها الآخر (فئتین مسلمتین عظیمتین) بل وفی بعضها (فئتین مؤمنتین)، ومن صیغه:

• ((إن ابنی هذا سید یصلح الله علی یدیه فئتین عظیمتین،))

أورده بهذه الصیغه الترمذی فی سننه عن الحسن (البصری) عنابی بکره قال:

((صعد رسول الله صلی الله علیه و آله المنبر فقال: وأورد الحدیث ثم قال: هذا حدیث حسن صحیح.(۱)

۱- سنن الترمذی، محمد بن عیسی بن سوره الترمذی، دار الکتب العلمیه، بیروت، حدیث رقم ۳۷۷۳.

كما أورده الأخوذى فى التحفه: حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن عبد الله

الأنصارى حدثنا الأشعث هو ابن عبد الملك عن الحسن عن ابى بكره و أورد الحديث))(۱)

• حديث ((إن ابنى هذا سيد و لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين

عظيمتين)).

أورده بهذه الصيغه كل من النسائى عن أبى موسى إسرائيل بن موسى قال: ((سمعت

الحسن يقول: سمعت أبا بكره يقول: لقد رأيت رسول الله صل الله عليه واله على المنبر والحسن معه

وهو يقبل على الناس مره وعليه مره ويقول)) ثم أكمل الحديث(۲).

• حديث ((إن ابنى هذا سيد و إنى أرجو أن يصلح الله به بين فئتين من امتى)).

أورده أبو داود فى سننه، بنفس السند، وقال: ((فى حديث حماد ولعل الله أن يصلح

به بين فئتين من المسلمين عظيمتين))(۳)

• حديث ((إن ابنى هذا لسيد إن يعش يصلح بين طائفتين من المسلمين))

أورده الإمام أحمد فى مسنده وكره خمس مرات حديث رقم ۱۹۹۶۰ حدثنا:

عبد الرزاق، أخبرنا: معمر، أخبرنى: من سمع الحسن يحدث عن أبى بكره، قال: ((كان

النبى صل الله عليه واله يحدثنا يوما والحسن بن على فى حجره فيقبل على أصحابه فيحدثهم ثم يقبل على

الحسن فيقبله، ثم قال: إن ابنى هذا لسيد إن يعش يصلح بين طائفتين من المسلمين))،

۱- تحفه الأحوذى، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، دار الكتب العلميه، ص ۱۸۹، حديث ۳۷۷۳.

۲- سنن النسائى، أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بجر النسائى، مكتب المطبوعات الإسلاميه، سنه النشر: ۱۴۱۴ / ۱۹۹۴م حديث رقم ۱۴۱۰.

۳- سنن ابى داود، سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى، المكتبه العصريه،باب ما يدل على ترك الكلام فى الفتنه حديث ۴۶۶۲.

وحديث رقم ۱۹۹۳۵ حدثنا: هاشم حدثنا: المبارک حدثنا: الحسن حدثنا: أبو بکره

قال: ((کان رسول الله صلی الله علیه وآله یصلی بالناس وکان الحسن بن علی رضی الله عنه یثب علی ظهره إذا

سجد، ففعل ذلک غیر مره، فقالوا له: والله إنک لتفعل بهذا شیئا ما رأیناک تفعله بأحد؟

قال المبارک: فذکر شیئا ثم قال: إن ابنی هذا سید و سیصلح الله تبارک وتعالی به بین

فئتین من المسلمین، فقال الحسن فوالله والله بعد أن ولی لم یهرق فی خلافته ملء محجمه

من دم)). وحدیث رقم ۱۹۹۸۶ حدثنا مؤمل، حدثنا حماد بن زید، حدثنا علی بن زید،

عن الحسن، عن أبی بکره قال: ((بینا رسول الله صلی الله علیه وآله ذات یوم یخطب إذ جاء الحسن بن

علی فصعد إلیه المنبر فضمه النبی صلی الله علیه وآله إلیه ومسح علی رأسه و قال: ابنی هذا سید ولعل

الله أن یصلح علی یدیه بین فئتین عظیمتین من المسلمین.. وحدیث رقم ۱۹۹۹۴

حدثنا عفان، حدثنا مبارک بن فضاله، عن الحسن أخبرنی أبو بکره: ((أن رسول الله صلی الله علیه وآله

کان یصلی فإذا سجد وثب الحسن علی ظهره وعلی عنقه فیرفع رسول الله صلی الله علیه وآله رفعا رفیقا

لئلا یصرع قال: فعل ذلک غیرمره، فد قضی صلاته قالوا: یا رسول الله رأیناک صنعت

بالحسن شیئا ما رأیناک صنعته؟ قال: إنه ریحانتی من الدنیا وإن ابنی هذا سید وعسی

الله تبارک وتعالی أن یصلح به بین فئتین من المسلمین)). وحدیث رقم ۱۹۸۷۹ حدثنا

سفیان، عن أبی موسی ویقال له إسرائیل، قال:((سمعت الحسن قال: سمعت أبا بکره،

وقال: سفیان مره عن أبی بکره رأیت رسول الله صلی الله علیه وآله علی المنبر وحسن علیه السلام معه وهویقبل

علی الناس مره وعلیه مره ویقول: إن ابنی هذا سید ولعل الله تبارک وتعالی أن یصلح

به بین فئتین من المسلمین))(۱).

وورد فی مصنف عبد الرزاق عن أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال: ((أخبرنی من

١-المسند، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، دار إحياء التراث العربى،سنه النشر: ١٤١٤ ١٩٩٣م، ص٣٨

سمع الحسن يحدث عن ابی بکره قال: کان النبی صلی الله علیه وآله یحدثنا یوما والحسن بن علی فی حجره، فیقبل علی أصحابه، فیحدثهم ثم یقبل علی الحسن فیقبله ثم قال: ابنی هذا سید، إن یعش یصلح بین طائفتین من المسلمین)).(۱)

وورد فی عون المعبود، باب ما یدل علی ترک الکلام فی الفتنه: حدثنا مسدد و مسلم بن إبراهیم قال: حدثنا حماد عن علی بن زید عن الحسن عن ابی بکره، وحدثنا محمد بن المثنی عن محمد بن عبد الله الأنصاری قال: حدثنی الأشعث عن الحسن عن ابی بکره قال: ((قال رسول الله صلی الله علیه وآله للحسن بن علی: إن ابنی هذا سید و إنی أرجو أن یصلح الله به بین فئتین من أمتی. وقال فی حدیث حماد و لعل الله أن یصلح به بین فئتین من المسلمین عظیمتین)).

وورد فی شرح السیوطی لسنن النسائی أخبرنا: محمد بن منصور قال: حدثنا سفیان قال: حدثنا أبو موسی إسرائیل بن موسی قال: سمعت الحسن یقول: سمعت أبا بکره یقول: ((لقد رأیت رسول الله صلی الله علیه وآله علی المنبر والحسن معه وهو یقبل علی الناس مره وعلیه مره ویقول: إن ابنی هذا سید ولعل الله أن یصلح به بین فئتین من المسلمین عظیمتین)).(۲)

• حدیث ((إن ابنی هذا سید، وإن الله سیصلح به بین فئتین من المسلمین))

ورد فی البحر الزخار: حدثنا أحمد بن منصور الرمادی، قال: حدثنا أبو داود، عن أبی فضاله، وهو مبارک بن فضاله، عن الحسن، قال حدثنی أبو بکره رضی الله عنه أن رسول

۱- مصنف عبد الرزاق،أبو بکر عبد الرزاق بن همام الصنعانی، المکتب الإسلامی، سنه النشر: ۱۴۰۳ / ۱۹۸۳م، حدیث رقم ۲۰۹۸۱

۲- شرح السیوطی لسنن النسائی،جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر السیوطی، دار البشائر الإسلامیه، سنه النشر: ۱۴۰۶ / ۱۹۸۶ م، حدیث رقم ۱۴۱۰.

الله صلی الله علیه وآله ، قال فی الحسن بن علی: ((إن ابنی هذا سید، وإن الله سیصلح به بین فئتین من

المسلمین)).(١)

• حدیث ((إن ابنی هذا سید عسی أن یصلح الله به بین فئتین من المسلمین)).

ورد فی البحر الزخار: حدثنا أحمد بن منصور، قال: حدثنا أبو الولید، قال: حدثنا

مبارک بن فضاله، عن الحسن، قال: حدثنی أبو بکره رضی الله عنه قال: ((کان النبی صلی الله علیه وآله یصلی بنا

فکان الحسن بن علی یجئ وهو صغیر کما سجد النبی صلی الله علیه وآله وثب علی رقبته وظهره فیرفع

النبی رأسه رفعا رفیقا حتی یضعه قالوا: یا رسول الله، إنک لتصنع بذا الصبی شیئا ما

رأیناک تصنعه، قال: إنه ریحانتی من الدنیا إن ابنی هذا سید علی أن یصلح الله به بین

فئتین من المسلمین))(٢).

وورد فی مرقاه المفاتیح عن أبی بکره رضی الله عنه قال: ((رأیت رسول الله صلی الله علیه وآله علی المنبر

والحسن بن علی إلی جنبه وهو یقبل علی الناس مره وعلیه مره، ویقول: إن ابنی هذا

سید، ولعل الله أن یصلح به بین فئتین عظیمتین من المسلمین))(٣).

وورد فی المعجم الصغیر للطبرانی حدثنا لؤلؤ الرومی مولی أحمد بن طولون

البغدادی، حدثنا الربیع بن سلیمان، حدثنا عبد الرحمن بن شیبه الجدی، حدثنا هشیم

عن یونس بن عبید، ومنصور بن زاذان، عن الحسن، عن أبی بکره قال: ((رأیت رسول

١- البحر الزخار المعروف بمسند البزار،أبو بکر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتکی البزار، ص ١١٠، الجزء التاسع، حدیث رقم ٣۶۵۶.

٢- البحر الزخار المعروف بمسند البزار،أبو بکر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتکی البزار، ص ١١٠، الجزء التاسع، حدیث رقم ٣۶۵٧.

٣- مرقاه المفاتیح شرح مشکاه المصابیح،علی بن سلطان محمد القاری، دار الفکر،سنه النشر: ١۴٢٢ / ٢٠٠٢م، ص ٣٩٧٠، حدیث رقم ۶١۴۴.

الله صلى الله علیه وآله علی المنبر و معه الحسن بن علی وهو یقول: إن ابنی هذا سید، وإن الله عز وجل

سیصلح علی یدیه بین فئتین عظیمتین من المسلمین))(۱).

کما ورد فی المعجم الأوسط: حدثنا أحمد قال: حدثنا الفیض بن وثیق الثقفی قال:

حدثنا أبو زهیر عبد الرحمن بن مغراء عن الأعمش عن ابی سفیان عن جابر قال: ((قال

رسول الله صلى الله علیه وآله فی الحسن بن علی: إن ابنی هذا سید، ولیصلحن الله به بین فئتین من

المسلمین عظیمتین)). (۲)

وفی البخاری عن أبی بکره رضی الله عنه ((إن النبی صلى الله علیه وآله قال: إن ابنی هذا سید، وإن الله یصلح

به بین فئتین عظیمتین من المسلمین)).(۳)

وورد فی حلیه أبی نعیم: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا یوسف القاضی،

حدثنا أبو الولید الطیالسی، حدثنا مبارک بن فضاله، حدثنا الحسن، حدثنی أبو بکره،

قال: ((کان النبی صلى الله علیه وآله یصلی بنا فیجیء الحسن وهو ساجد، صبی صغیر، حتی یصیر علی

ظهره أو رقبته فیرفعه رفعا رفیقا، فلما صلى صلاته، قالوا: یا رسول الله إنک لتصنع بهذا

الصبی شیئا لا تصنعه بأحد، فقال: إن هذا ریحانتی، وإن ابنی هذا سید، وعسى الله أن

یصلح به بین فئتین من المسلمین)) (۴).

۱- المعجم الصغیر،أبو القاسم سلیمان بن أحمد بن أیوب اللخمی الطبران، دار الفکر،سنه النشر: ۱۴۱۸ / ۱۹۹۷م، ص ۲۷۱، حدیث ۷۳۴، باب اللام.

۲- المعجم الأوسط، أبو القاسم سلیمان بن أحمد المعروف(الطبران)،مکتبه المعارف، سنه النشر: ۱۴۰۵ / ۱۹۸۵م، ج ۲، ص ۴۸۲، حدیث ۱۸۳۱.

۳- منهاج السنه النبویه فی نقض کلام الشیعه القدریه،أبو العباس تقی الدین أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیه،مکتبه ابن تیمیه، سنه النشر: ۱۴۰۶ / ۱۹۸۶ م، ج ۸، ص۱۴۴_ ۱۴۵.

۴- حلیه الأولیاء وطبقات الأصفیاء،الإمام الحافظ أبو نعیم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانی،

ص ۳۵، حدیث ۱۳۲ .

وورد فی فتح الباری للعسقلانی فی باب مناقب الحسن والحسین: حدثنا صدقه

حدثنا ابن عیینه حدثنا أبو موسی عن الحسن سمع أبا بکره، قال: ((سمعت النبی صلی الله علیه وآله

علی المنبر والحسن إلی جنبه ینظر إلی الناس مره وإلیه مره ویقول: ابنی هذا سید ولعل

الله أن یصلح به بین فئتین من المسلمین))(۱).

کما ورد فی فتح الباری فی (باب قول النبی صلی الله علیه وآله للحسن بن علی إن ابنی هذا لسید

ولعل الله أن یصلح به بین فئتین من المسلمین)، حدیث ۶۶۹۲، صلی الله علیه وآله ((ابنی هذا سید

ولعل الله أن یصلح به بین فئتین من المسلمین))(۲).

وورد فی البخاری بصیغه ((ابنی هذا سید ولعل الله أن یصلح به بین فئتین من

المسلمین))(۳) کما ورد فی کتاب الصلح من البخاری بصیغه ((ابنی هذا سید ولعل الله

أن یصلح به بین فئتین عظیمتین من المسلمین))(۴) حیث وردت الصفه (عظیمتین) فی

واحد منهما ولم تردفی الثانی. وأخیرا و لیس آخرا أورده ابن تیمیه فی منهاج السنه النبویه.

وفی کل هذه الأحادیث هناک لازمه تصف الفئتین المتحاربتین مره بالعظیمتین

وأخری بالمسلمتین وثالثه بالمؤمنتین، واللازمه الثالثه ترد عرضیا فی حدیثهم وجدلهم

وحجاجهم ومنها ما نشره موقع عقیده أهل السنه: ((وإن ذکرت حدیث عمار فلا تنس

حدیث یصلح الله به بین فئتین من المؤمنین))(۵).

۱- فتح الباری شرح صحیح البخاری،أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، دار الریان للتراث، سنه النشر: ۱۴۰۷ ه / ۱۹۸۶ م، حدیث ۳۵۳۶، ص ۱۲۰، وفی طبعه دار إحیاء التراث العربی برقم ۳۷۴۶، ص۶۶۴ باب مناقب الحسن والحسین رضی الله عنهما.

۲- فتح الباری شرح صحیح البخاری،أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، ج ۱۳، ص ۶۶-۶۷

۳- البخاری، طبعه دار إحیاء التراث العربی برقم ۷۱۰۹، ص ۱۲۵۶.

۴- البخاری، طبعه دار إحیاء الراث العربی برقم ۲۷۰۴، ص ۴۷۸.

۵- موقع (عقیده أهل السنه و الجامعه عبر العصور من السلف والخلف الصالح) تحت عنوان:

أما مضمون الحديث فمره يبدو برجاء وأمل التحقق مع استخدام كلمه (عسى) أو (لعل)، ومره يبدو جازما قاطعا، ومره يبدو احتماليا، وهكذا تنوعت صيغه فكانت خلاصتها: يصلح الله على يديه / ولعل الله أن يصلح به/ وإن الله يصلح به بين فئتين / وإني أرجو أن يصلح الله به / إن يعش يصلح بين طائفتين / وسيصلح الله تبارك وتعالى به بين فئتين / سيصلح به بين فئتين / ولعل الله أن يصلح على يديه / وعسى الله تبارك وتعالى أن يصلح به / ولعل الله تبارك وتعالى أن يصلح به /وليصلحن الله به بين فئتين وهكذا تجد مئات الروايات التي تذكر الحديث بما يبدو وكأنه تكرر أكثر من مره في أكثر من مكان، في إحداها كان النبي صلى الله عليه و آله يخطب فجاءه الحسن عليه السلام، وفي الثانيه كان يصلي وفي الثالثه كان جالسا مع أصحابه، وهكذا،وكلها بالرغم من اختلافها وتباينها وتعدد أماكنها موقوفه على(ابي بكره) وحده من دون مائه وأربعه وعشرين ألف صحابي مات عنهم رسول الله صلى الله عليه و آله . لكن التكرار والتنوع لم يشفع لهذا الحديث بالثبات أمام الجرح والتعديل الذي أثبت ضعفه ووضعه، أو يصمد أمام هجمات السياسيين الذين لم يلتفتوا إلى توهين العلماء له، فأرادوا سلخ هذه الكرامه من الحسن وإلباسها لمعاويه بعد أن وضعوا للحديث صيغ مختلفه تنوعت وتلونت، وتلاعبوا به فشوهوه وأفرغوه من محتواه بالرغم من ضعفه، ولاسيما حينما حاولوا أن يضفوا على معاويه مبادره السبق بطلب الصلح حقنا لدماء المسلمين لكونه بزعمهم أرحم بهم من الحسن عليه السلام بالأمه.

ضمن سياقات التحريف كانت لهم منظومه من الوقائع تجدها متطابقه كليا مع منهجهم القديم. وقد كان الحديث النبوي أحد ميادينهم التي خاضوها دون التفات لما يحدثه تحريف الحديث النبوي من اثر كبير على الإسلام أولا وعلى المحرف نفسه (الأجوبه الأزهريه على الشبه الشيعيه) .

الذى يبوء بغضب الله تبعا لحديث: «من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » وهو

حديث متفق عليه. وكان حديث «وأن الله يصلح به بين فئتين » خير مثال على تلاعبهم

بالسنه، فالحديث جاء بصيغ وطرق مختلفه وكثيره اتفقت غالباً على نوع الفئتين اللتين

سوف يصلح بينهما الإمام الحسن عليه السلام وهما: «فئتين من المسلمين مؤمنتين عظيمتين »

ولا شيء أكثر، وفى مثل هذه الحال قد تكون الفئتان العظيمتان مؤمنتان كلتاهما وقد

تكون واحده مؤمنه والأخرى باغيه معتديه، وقد تكون إحداهما على حق والأخرى

على باطل، وتبقى كل الاحتمالات مفتوحه على هذا النص. أما إذا ما تم تغيير كلمه

واحده منه فإن المعنى ينقلب رأساً على عقب ويتغير كامل مضمون الحديث، بمعنى

أنك لو وضعت كلمه)مؤمنتين(بدل كلمه)عظيمتين(فمعناه انك حكمت بالإيمان

لكلا الطرفين، وهو الأمر المستحيل خروجه من فم النبى صلى الله عليه وآله لأنه يعرف أن إحدى

الفئتين ستكون مؤمنه والأخرى مسلمه باغيه، وفرق كبير بين الإيمان والإسلام(قالت الاعراب ءامنا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا)(١). أما القلق وفقدان الاستقرار اللذان

وصفت بهما الحديث بالرغم من وروده فى اغلب كتب الحديث والتاريخ فهو ناشئ

من كونه كثير التلون، وينتهى سنده إلى شخص واحد هناك شك بصدقه، وإيمان أكيد

بصحه ولائه الأموى القرابى وهو)أبو بكره(وعليه مدار هذا الحديث.

وكما غامر أبو بكره فى روايته لهذا الحديث غامر العسقلانى كثيراً عند شرحه له،

كما ونقل مغامرات قومه وصحبه مع الحديث، فهم الذين أضافوا له جملا وكلمات لم

يفطن إليها من وضعه، لها من الدلالات ما يوهن مركزيه الحديث ومقصده الأول،

فكلمات مثل:)ولعل الله أن يصلح به(و)وإنى لأرجو أن يصلح الله به(و)سيد يصلح

الله به(و)يصلح الله على يديه(و)أرجو أن يصلح الله به(و)إن يعش يصلح بين

١- الحجرات ١

طائفتين) و (و سيصلح الله تبارک وتعالی به بين فئتين)و(وعسی الله تبارک وتعالی أن يصلح به بين فئتين) إنما جیء بها للتأثير علی عقليه المتلقی فلا يكاد يركز علی جوهر الموضوع بقدر انشغاله بفرعيات لا تسمن ولا تغنی من جوع. وعن قولهم (لعل الله)

قال العسقلانی: «قوله: (ولعل الله أن يصلح به) كذا استعمل (لعل) استعمال عسی لاشتراكهما فی الرجاء »(۱) إذن هی مجرد أمنيه تمناها النبی صلی الله عليه و آله لولده الحسن عليه السلام لا أكثر، فهل يعقل ذلک؟

ومن هذا الحديث وشرح العسقلانی لمحتواه كوَّنوا منظومه فقهيه طويله عريضه بما يؤكد بأن السياسيين العرب كانوا متمكنين من صنعتهم السياسيه وهو ما جعلهم يؤثرون بشكل مباشر علی عقل الأمه وعقل أتباعهم ومريدهم وأعوانهم لدرجه أنهم حرَّفوا مقاصد رسول الله صلی الله عليه و آله الذی امتدح بالصلح الإمام الحسن عليه السلام فجعلوا من موضوع الصلح كرامه لمعاويه وهزيمه للإمام الحسن عليه السلام الذی يدَّعون بأنه باع الخلافه الشرعيه مقابل مال قليل، لا يسمن ولا يغنی من جوع. ثم قاموا باستنباط الأحكام الفقهيه من تفرعات هذا الحديث وجعلوا الأمه تتعبد بمحتواها! وهی أحكام شرعيه وقواعد فقهيه جاءت لترسيخ ما أرادته السياسه وما حققته علی أرض الواقع، ومنها:

- القاعده الأولی: (المفضول والفاضل) فی الخلافه:

حيث استنتجوا من خلال الحديث: أن الخلافه تصح للمفضول مع وجود الفاضل، ليس للتأكيد طبعاً علی أن الإمام الحسن الذی تنازل عن الخلافه كان هو (الفاضل)ولا معاويه الذی توج حاكما كان (مفضولا)، بل لأن هناک بين المسلمين من هو أفضل من الحسن عليه السلام ومن معاويه وأجدر بالخلافه منهما حسب زعمهم مثل سعد بن أبی وقاص

۱- فتح الباری، الجزء ۱۳،ص ۷۱

وسعید بن زید باعتبار أنهما اشترکا فی معرکه بدر!، حیث قال العسقلانی: ((وفیه ولایه المفضول الخلافه مع وجود الأفضل لأن الحسن ومعاویه ولی کل منهما الخلافه وسعد بن أبی وقاص وسعید بن زید فی الحیاه وهما بدریان))(۱).

وهی القاعده التی عللها الباقلانی بقوله: «وأما ما یدل علی جواز العقد للمفضول وترک الأفضل لخوف الفتنه والتهارج فهو أن الإمام إنما ینصب لدفع العدو وحمایه البیضه وسد الخلل وإقامه الحدود واستخراج الحقوق فإذا خیف بإقامه أفضلهم الهرج والفساد والتغالب وترک الطاعه واختلاف السیوف وتعطیل الأحکام والحقوق وطمع عدو المسلمین فی اهتضامهم وتوهین أمرهم صار ذلک عذراً واضحاً فی العدول عن الفاضل إلی المفضول »))(۲) أما ما کانوا یبغونه من مجمل هذه الأقوال ومن القاعده الفقهیه نفسها فمعروفه أصوله ودوافعه.

- القاعده الثانیه: جواز تنازل الخلیفه لمن یتمرد علیه ویحاربه حقنا للدماء:

حیث قال: «الحسن بن علی ترک الملک لا لقله ولا لذله ولا لعله بل لرغبته فیما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمین، فراعی أمر الدین ومصلحه الأمه »(۳)

- القاعده الثالثه: رأفه الشخص ترشحه للخلافه:

ومعاویه بزعمهم أحق من الحسن علیه السلام بالخلافه لأنه رؤوف بالناس أکثر من الحسن علیه السلام، حیث قال الباقلانی: «وفیه فضیله الإصلاح بین الناس ولاسیما فی حقن

۱- المصدر نفسه، العسقلانی، ص ۷۲

۲- تمهید الأوائل فی تلخیص الدلائل، القاضی أبو بکر محمد بن طیب الباقلانی، تحقیق الشیخ عماد الدین أحمد حیدر، مؤسسه الکتاب الثقافیه، ۱۴۰۷ ه / ۱۹۸۷ م، ص ۴۷۵

۳- العسقلانی، المصدر نفسه، ص ۷۲

دماء المسلمین، ودلاله علی رأفه معاویه بالرعیه، وشفقته علی المسلمین، وقوه نظره فی تدبیر الملک، ونظره فی العواقب » ولیس الباقلانی وحده من یری فی معاویه کل تلک الرأفه والرحمه والحنان، فهم جمیعا یشترکون فی هذا القول، فالدکتور علی محمد الصلابی یقول فی مقدمه کتابه: «وَوَضَّحْتُ صفات معاویه والتی من أهمها: العلم والفقه والحلم والعفو والدهاء والحیله وعقلیته الفذه وقدرته علی الاستیعاب وتواضعه وورعه وبکاؤه من خشیه الله »(۱)

- القاعده الرابعه: جواز تنازل الخلیفه مقابل الحصول علی المال الکثیر، أی بیع الخلافه:

حیث قال: «قاله ابن التین، وفیه جواز خلع الخلیفه نفسه إذا رأی فی ذلک صلاحا للمسلمین والنزول عن الوظائف الدینیه والدنیویه بالمال وجواز أخذ المال علی ذلک وإعطائه بعد استیفاء شرائطه » ویعنی هذا حسب رأی العسقلانی أن الإمام الحسن علیه السلام تنازل عن الإمامتین الدینیه والدنیویه إلی معاویه مقابل المال فحسب، وهذا بالضبط ما کان معاویه یبحث عنه وهو أن یعده الناس إماما دینیا وهو شیء کبیر فی کل المقاییس.

وربما لهذا السبب ولکی یبینوا قیمه الخلافه التی تنازل عنها الحسنعلیه السلام قالوا أن معاویه وهبه خمسمائه ملیون درهم، کما فی قول سفیان: «فصالح الحسن علی شروط ووثائق، وحمل معاویه إلی الحسن مالاً عظیماً یقال خمس مائه ألف ألف درهم »(۲)

بالمناسبه رأیناهم کیف تحدثوا عن أزمه بین الإمام الحسن علیه السلام وقیس بن سعد،

۱- معاویه بن أبی سفیان شخصیته وعصره، علی محمد الصلابی، ط ۶، دار المعرفه، بیروت، ۱۴۳۲ ه_۲۰۱۱ م، ص ۸

۲- المستدرک، ج ۳ ص ۱۹۱

ثم جاءوا بما يبدو وكأنهم يفضلون قيس على الحسن لأن قيس لم يطلب المال كما فعل الحسن، والروايه لابن الأثير يتحدث فيها عن صلح قيس بن سعد مع معاويه بعد أن صالح الحسن: «فلما بعث إليه معاويه ذلك السجل اشترط قيس له ولشيعه على الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل فى سجله ذلك مالاً »(۱) وكم هم واهمون أولئك الذين وضعوا هذه القاعده وأدخلوها إلى أصل عقيدتهم، دون أن ينتبهوا إلى أنها تتعارض مع القواعد التى سبقتها، فقد يكون المتنازل له)المنزول له(غير رؤوف ولا رحيم فيظلم الناس، وقد يكون سبباً فى الفتنه والتهارج لأنه لا فاضل ولا مفضول، وقد يكون عاجزا عن حمايه أرض الإسلام!.

- القاعده الخامسه: وجوب أن يكون لكل من الباذل والمبذول له سبب فى الولايه يستند إليه:

حيث قال: «وجواز أخذ المال على ذلك وإعطائه بعد استيفاء شرائطه بأن يكون المنزول له أولى من النازل وأن يكون المبذول من مال الباذل. فإن كان فى ولايه عامه وكان المبذول من بيت المال اشترط أن تكون المصلحه فى ذلك عامه، أشار إلى ذلك ابن بطال، قال: يشترط أن يكون لكل من الباذل والمبذول له سبب فى الولايه يستند إليه، وعقد من الأمور يعول عليه .»

- القاعده السادسه: فى دلالات معنى)سيد(: وهى قاعده تستحق التوسع فى الحديث عنها.

نحن نعرف أن السياسيين ومدرسه الإسلام الأموى نجحوا سويه فى تغيير معنى ألفاظ الكثير من المصطلحات الإسلاميه و لَمحّوا الكلمات أكثر من طاقتها ليفرغوها من

١- الكامل، ج ١٣ ، ص ٣٥

معناها القدسی ویلبسوها معنا دنیویا باهت الملامح بفعل التدلیس کما فعلوا مع کلمه

(مولی)مثلا فی حدیث)من کنت مولاه(وهو حدیث متواتر، ولقد أعملوا فکرهم مع

کلمه أخری وردت فی حدیث مشکوک بصحته سنداً ومتناً، موقوف علی)أبی بکره(هو

حدیث)ابنی هذا سید(، والکلمه المقصوده هی کلمه (سید). وقبل الحدیث عن دلاله

کلمه (سید) التی تعرضت إلی التلاعب الکبیر تماما مثل کلمه)مولی(أبغی الحدیث

أولا عن سیره شخص وجدنا أن الحدیث الذی وردت فیه هذه الکلمه موقوفاً علیه،

وعنه أخذ الرواه ونقلوا، وکتب المدونون ونشروا، وهو الصحابی أبو بکره.

أبو بکره رجل منحرف عن خط الإمامه المعصومه. ویکفی دلیلًا علی انحرافه أنه

کان یخنع الناس ویمنعهم من نصره الإمام علی علیه السلام:« وکان أبو بکره لما قدم علی علیه السلام

البصره لقی الحسن بن أبی الحسن (البصری) وهو متوجه نحو علی فقال: إلی أین؟

قال: إلی علی، قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه و آله یقول: ستکون بعدی فتنه النائم فیها خیر من

القاعد، والقاعد فیها خیر من القائم. فلزمت بیتی... فلما کان بعد ذلک لقیت جاریه بن

عبد الله وأبا سعید فقالا: أین کنت أمس؟ فحدثتهما بما قال أبو بکره، فقالا: لعن الله أبا

بکره، أساء سمعاً فأساء إجابه، إنما قال النبی صلی الله علیه و آله لأبی موسی: تکون بعدی فتنه أنت فیها

نائم خیر منک قاعد، وأنت فیها قاعد خیر منک ساع »(۱)، بمعنی أن النبی صلی الله علیه و آله شَخّصَ

ضلوع أبی موسی بالفتن التی ستقع، فحذره ونصحه عسی أن یردعه،والحدیث موجه

إلیه تحدیداً لا إلی غیره، کحاله فردیه بحته لأن النبی صلی الله علیه و آله عرف انه سیخوض فی الفتنه.

صحیح أن هناک قاعده فقهیه معروفه تقول: (العبره فی عموم اللفظ لا فی خصوص

السبب) ولکنها لا تنطبق علی هذه الحاله الخاصه بأبی موسی الأشعری بدلاله أن جاریه

بن عبید الله وأبا سعید لعنا أبا بکره الذی خلط فی الحدیث وعممه.

۱- الغارات، ص ۴۵۱ ۴۵۲

البخاری بطریقته المعهوده فی التلاعب بالأحادیث لأسباب سیاسیه أخرج هذا

الحدیث عن الحسن البصری، قال: «خرجت بسلاحی لیالی الفتنه فاستقبلنی أبو بکره

فقال: أین ترید؟ قلت: أرید نصره ابن عم رسول الله، قال: قال رسول الله: إذا تواجه

المسلمان بسیفیهما فکلاهما من أهل النار، قیل فهذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه

أراد قتل صاحبه »(۱)

وأبو بکره بطل هذه الروایه هو: نفیع بن الحارث بن کلده. قال المزی فی تهذیب

الکمال: «نفیع بن الحارث بن کلده بن عمرو بن علاج بن أبی سلمه، واسمه عبد العزی،

ویقال: ابن عبد العزی بن غیره بن عوف بن قسی، وهو ثقیف، أبو بکره الثقفی، وقیل:

اسمه مسروح، و قیل: نفیع بن مسروح. و قیل: کان أبوه عبدا للحارث بن کلده الثقفی

فاستلحقه الحارث، وهو أخو زیاد لأمه، وکانت أمهما سمیه أمه للحارث بن کلده،

وإنما قیل له أبو بکره لأنه تدلی إلی النبی صلی الله علیه و آله ببکره من حصن الطائف، فکنی أبا بکره

وأعتقه رسول الله یومئذ، وکان نادی منادی رسول الله یومئذ: أن من نزل إلیه من عبید

أهل الطائف فهو حر. وقال یعقوب بن سفیان: أبو بکره نفیع بن الحارث، ونفیع، نافع،

وزیاد هم بنو سمیه وهم إخوه»(۲)

وفی سیر أعلام النبلاء: «أبو بکره الثقفی الطائفی مولی النبی صلی الله علیه و آله. اسمه نفیع بن

الحارث، وقیل: نفیع بن مسروح. تدلی فی حصار الطائف ببکره، وفر إلی النبی وأسلم

علی یده، وأعلمه أنه عبد، فأعتقه. ووفد علی معاویه، وأمه سمیه، فهو أخو زیاد بن أبیه

۱- البخاری، کتاب الفتن، باب إذا التقی المسلمان بسیفیهما، ص ۱۲۵۲ - ۱۲۵۳ ، حدیث . ۷۰۸۳

۲- تهذیب الکمال فی أسماء الرجال

لامه »(۱)

وقال ابن عساكر: «أبو بكره بن الحارث بن كلده بن عمرو. وقيل: كان عبداً

للحارث بن كلده، فاستلحقه، وسميه: هى مولاه الحارث، وكان أبو بكره ينكر أنه ولد

الحارث ويقول: أنا أبو بكره مولى رسول الله، فإن أبى الناس إلا أن ينسبونى، فأنا نفيع

بن مسروح.. وقال ابن سعد: مات أبو بكره فى خلافه معاويه بن أبى سفيان بالبصره »(۲)

وتتفق مصادر التاريخ على أنه الأخ غير الشقيق لزياد بن أبيه من أمه، وفضلا عما

أوردناه نجد هناك فى استيعاب ابن عبد البر قوله: «أبو بكره أخو زياد لأمه... سكن

البصره ومات بها سنه إحدى وخمسين »(۳)

وقال الثقفى فى الغارات: لما بلغ زياداً قدوم عبد الله بن عامر أميراً (على فارس)

أقبل إلى قلعه بفارس فنزلها وهى اليوم تدعى قلعه زياد، ووثب بسر على بنى زياد، عبد

الله، وسالم، ومحمد، فأوقفهم، فخرج عمهم أبو بكره من البصره حتى قدم على معاويه،

فقال معاويه: ما جاء بأبى بكره إلا أمر أخيه زياد وبعد حديث طويل مع معاويه رضى

الأخير وسامحه فطلب منه أبو بكره الكتابه لبسر بن أرطأه ليطلق سراح أبناء زياد، قال

لمعاويه: «فأكتب إلى بسر فليخل سبيل بنى أخى فإنه قد حبسهم، فكتب إليه: أما بعد

فإن أبا بكره أتانى وألتمس لأخيه الأمان على ما أحدث والصلح على ما فى يديه، فخل

سبيل بنى أخيه حين يقدم عليك، والسلام »(۴).

۱- سير أعلام النبلاء، الذهبى، ج ۳، ص ۵ – ۱

۲- ينظر: دراسه لمستبصر إماراتى بعنوان «نقض الحديث الموضوع ابنى هذا سيد » نشرها فى موقع شبكه الكافى العقائديه، الرابط، http://alkafi.net/vb/showthread.php?p=۱۶۸۷

۳- الاستيعاب فى معرفه الأصحاب، ج ۳، ص ۵

۴- الغارات، ص ۴۴۵-۴۴۷

وفی عوده إلی نقاش کلمه)سید(فی حدیث)ابنی هذا سید(أقول: إن تلک الکلمه تسببت فی إحداث لغط وجدل کبیرین، ولاسیما وأنها بدت میزاناً معیاریاً فضائلیاً بین طرفی النزاع التاریخی أهل البیت من جانب والسیاسیین ورجالهم من جانب آخر، وأخذت هذه الکلمه مدیات لا تقل عن المدی الذی وصلته کلمه)مولی(فی تفسیراتهم وتعلیلاتهم وحججهم، وتلحظ أیضا أنهم بالرغم من ذلک وکما فعلوا مع شقیقتها کلمه مولی اعترفوا ضمناً بالمعنی الحقیقی لها بعد أن أغلقت أمامهم الأبواب کلها ولم یشفع لهم التأویل.

المعنی اللغوی لکلمه: (سید) فی المعجم الوسیط: «السَّیِّدُ: المالکُ. والسَّیِّدُ المَلِکُ. والسَّیِّدُ المو ذو العبید والخدمِ. والسَّیِّدُ المُتَوَ للجماعه الکثیره. والسَّیِّدُ کلُّ من افتُضرتْ طاعتهُ. والسَّیِّدُ لقبُ تشریف یخاطب به الأشراف من نسْل الرسول. وسیِّدُ کل شیء: أشرفُه وأرفعُه. یقال: القرآن سیِّدُ الکلامِ. والجمع: ساده، وسیائدُ»(۱)

وفی لسان العرب، «سید: الکلام نتلوه وقیل فی قوله عز وجل وسیداً وحصوراً. السید الذی یفوق فی الخیر قال ابن الأَنباری: إِن قال قائل: کیف سمی الله عز وجل یحیی سیداً وحصوراً والسید هو الله إِذ کان مالک الخلق أَجمعین ولا مالک لهم سواه؟ قیل له لم یُرِد بالسید ههنا المالک وإِنما أَراد الرئیسَ والإِمامَ فی الخیر کما تقول العرب فلان سیدنا أَی رئیسنا والذی نعظمه. وسادَ قومَه یَسُودُهم سیادَهً وسُوْدَداً وسَیْدُودَهً فهو سیِّدٌ. وتقول سَوَّدَ قومه وهو أَسودُ من فلان أَی أَجلُّ منه قال الفراء یقال هذا سَیِّدُ قومِه الیوم فإِذا أَخبرت أَنه عن قلیل یکون سیدَهم قلت هو سائدُ قومِه عن قلیل وسید. وأَساد الرجلُ وأَسْوَدَ بمعنی أَی وَلَدَ غلاماً سیداً »(۲)

١- المعجم الوسيط

٢- ينظر: لسان العرب، حرف السين، ماده سود

وفی مفردات الراغب: «والسید: المتولی للسواد، أی: الجماعه الکثیره، وینسب

إلی ذلک فیقال: سید القوم.. ویقال: ساد القوم یسودهم، ولما کان من شرط المتولی

للجماعه أن یکون مهذب النفس قیل لکل من کان فاضلا فی نفسه: سید، وعل ذلک

قوله: (و سیداً و حصوراً)(۱) وقوله: (و ألفیا سیدها)(۲) فسمی الزوج سیدا لسیاسه

زوجته، وقوله:(ربنآ إنا أطعنا سادتنا)(۳) أی ولاتنا وسائسینا »(۴)

ومع ذلک، ولکی یمسخوا معنی الکلمه ویربطوا معناها بالصلح وبحراکهم

السیاسی، قالوا: «والسؤدد یدل علی رئاسه مع انتفاع فإذا فقد الانتفاع فقدت السیاده »(۵)

ومعنی هذا أن الحسن علیه السلام بتنازله فقد هذا المرکز وفقد السیاده معه! وقالوا: «وفیه أن

السیاده لا تختص بالأفضل، بل هو الرئیس علی القوم والجمع ساده، وهو مشتق من

السؤدد وقیل من السواد لکونه یرأس علی السواد العظیم من الناس أی الأشخاص

الکثیره. وقال المهلب: الحدیث دال علی أن السیاده إنما یستحقها من ینتفع به الناس،

لکونه علق السیاده بالإصلاح »(۶)

ولمثل هذا ذهب القاری فی مرقاه المفاتیح بقوله: «أصله سیود قلبت الواو یاء

وأدغمت. قیل: وهو من لا یغلبه غضبه، وقیل: الذی یفوق فی الخیر، والأول ألیق بما

بعده الآتی، والأظهر الثانی لأنه إنما یطلق حقیقه علی من جمع السیاده نسباً وحسباً وعلماً

۱- آل عمران ۳۹

۲- یوسف ۲۵

۳- الأحزاب ۶

۴- مفردات ألفاظ القرآن، ص ۴۳۲ ماده سود

۵- فتح الباری شرح صحیح البخاری، ۱۹۸۶ م باب قول النبی صلی الله علیه و آله للحسن بن علی رضی الله عنهما ابنی هذا سید ولعل الله أن یصلح به بین فئتین عظیمتین

۶- فتح الباری شرح صحیح البخاری، أحمد بن علی بن حجر العسقلانی

وعملاً (ولعل الله): أتى بصيغه الرجاء إيماء إلى عدم وجوب شيء على المولى، فالمعنى

أرجو منه سبحانه (أن يصلح به)، أي: بسببه (بين فئتين عظيمتين من المسلمين). قال

التوربشتي: كفى به شرفاً وفضلاً فلا أسود ممن سماه رسول الله سيداً »(۱)

وعليه خرجوا بنتيجه وقاعده فقهيه مفادها: (إن السياده لا تختص بالأفضل، بل

هو الرئيس على القوم) ليقولوا من خلالها: وبما أن الحسن عليه السلام تنازل واعتزل الرئاسه

فلم يعد قادراً على نفع الناس ولم يعد رئيساً وخليفه؛ فإن معاويه الرئيس والخليفه هو

السيد لأنه من ينفع الناس والقادر على الإصلاح! وفعلاً جاءوا بحديث يثبت هذا

المعنى الهزيل في (شرح أصول اعتقاد أهل السنه) فضلوا فيه معاويه على عمر وقالوا انه

كان اسود من عمر كما في حديثهم: «حدثنا عبيد الله بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن علي

بن العلاء قال: زياد بن أيوب، قال: حدثنا أبو سفيان الحميدي قال: حدثنا العوام بن

حوشب، عن جبله بن سحيم قال: قال ابن عمر: ما رأيت رجلا بعد رسول الله صلى الله عليه و آله كان

أسود من معاويه. فقال له رجل: ولا عمر؟ فقال: عمر كان خيراً منه، وكان هو أسود

منه(۲) » أي أن عمر كان خيراً من معاويه، ولكن معاويه كان أسود من عمر، واترك لكم

حل الإشكال!.

ومع أنهم يعدون عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين بعد أن تجاوزوا

الإمام الحسن عليه السلام، إلا أنهم مع ذلك يُسَودون عليه معاويه بل ويعتبرون تراب حافر

فرس معاويه أفضل منه، كما في قولهم: «سُئل عبد الله بن المبارك: عمر بن عبد العزيز

۱- مرقاه المفاتيح شرح مشكاه المصابيح،علي بن سلطان محمد القاري، ص ۳۹۷۰ ، حديث رقم ۶
۲- شرح أصول اعتقاد أهل السنه والجماعه، الجزء الثامن، ص ۱۵۲۹ ۱۵۳۰ حديث رقم ۲۷۸۱

أفضل أم معاويه؟ فقال غبارُ دخل فى أنف فرس معاويه حين قاتل مع رسول الله صلى الله عليه و آله أفضل من كذا عمر بن عبد العزيز »(۱) وبالمحصله والتعويض يكون معاويه أسود من عمر!.

ومن هذه القاعده استنتجوا صفات الخليفه المفترض التى يمنع فقدانها ترشيحه للمنصب إلا بأسباب، والتى بزعمهم لم تكن موجوده عند الإمام الحسن عليه السلام، غير مدركين أن الإمام الحسن عليه السلام أرفع وأجل قدرا من أن تكون فيه بعض تلك الصفات التى أوردها والتى تدل على القسوه والظلم، حيث يقول الباقلانى: «فإن قال قائل: فخبرونا ما صفه الإمام المعقود له عندكم؟ قيل لهم: يجب أن يكون على أوصاف: منها أن يكون قرشيا من الصميم ومنها أن يكون من العلم بمنزله من يصلح أن يكون قاضيا من قضاه المسلمين ومنها أن يكون ذا بصيره بأمر الحرب وتدبير الجيوش والسرايا وسد الثغور وحمايه البيضه وحفظ الأمن والانتقام من ظالمها والأخذ لمظلومها وما يتعلق به من مصالحها ومنها أن يكون ممن لا تلحقه رقه أو هواده فى إقامه الحدود ولا جزع لضرب الرقاب والأبشار ومنها أن يكون من أمثلهم فى العلم وسائر هذه البواب التى يمكن التفاضل فيها إلا أن يمنع عارض من إقامه الأفضل فيسوغ نصب المفضول وليس من صفاته أن يكون معصوماً ولا عالماً بالغيب ولا أفرس الأمه وأشجعهن ولا أن يكون من بنى هاشم فقط دون غيرهم من قبائل قريش »(۲)

ولكى لا نجانب الحقيقه نلزم الباقلانى بما ألزم به نفسه، فهو يقول: «فإن قالوا: فما تقولون إذا كانت الأمه مفرقه على مذاهب مختلفه وآراء متضاده... قيل لهم فكلهم ولاه هذا الأمر فأيهم سبق بالعقد لرجل تمت بيعته ولزمت طاعته وصار المخالف عليه باغياً،

١- موقع حقيقه الأخوان المسلمين http://www.anti-ikhwan.com/?p=٧٥

٢- تمهيد الأوائل، الباقلانى، ص ۴

يجب حربه »(۱) بمعنى أن نظريه المفضول والفاضل لا يمكن تطبيقها مع وجود بيعه شرعيه لخليفه مسلم بايعته الأمه ورضيت به، ومن لا يرضى ويعترض على هذه البيعه ويخرج على الخليفه يجب على الأمه مقاتلته لا أن تصنع له الأعذار لكى تشرعن حكمه.

وأنا حينما قلت: أن الإمام الحسن عليه السلام أرفع وأجل قدراً من أن تكون فيه بعض تلك الصفات، إنما عنيت أن ما وضعته مدرستنا للخليفه الشرعى من شروط يختلف بعضها كلياً عن شروط مدرسه الخلفاء ويختلف القسم الآخر جزئياً، ونلتقى معهم فى أقسام أخرى، والحقيقه أن أول ما يجب معرفته فى هذا الباب أن المصطلح المستخدم فى مدرستنا هو (الإمامه) وليس (الخلافه) الشائع فى المدارس الأخرى، ومن الممكن توضيح بعض الاختلافات باختصار مثل:

وجوب العدل بمعناه الأوسع بينما تعتقد مدرسه الخلفاء بأن أقل ما يجب فى الخليفه من هذه الخصله أن يكون ممن يجوز قبول شهادته.

والنسب المعول عليه عندنا أن يكون الإمام هاشمياً قرشياً من آل الرسول صلى الله عليه و آله تحديداً، وعندهم مختلف بشأنه.

والعصمه بمعنى استحاله ارتكاب الإمام لأى من الرذائل صغيرها وكبيرها، وما ظهر منها وما بطن، وهم لا يشترطون ذلك.

والعلم والأعلميه حيث ترى مدرستنا أن الإمام ليس مجرد رجل سياسه وحرب، بل هو الحافظ للشرع بعد النبى صلى الله عليه و آله والمبين للناس أحكام الدين والكاشف لأسراره، ولذا ينبغى أن يكون علمه منسجماً مع هذه المهمه العظيمه. وعندهم أقل ما يكفيه منه أن يبلغ فيه مبلغ المجتهدين بالحلال والحرام.

١- المصدر السابق، ص ٤٧

ونعتقد أن الإمام ينبغى أن يكون أفضل أهل زمانه فى صفات الكمال من شجاعه، وكرم، وعفه، وصدق، وعدل، وتدبير، وعقل، وحكمه، وخلق. ولا يشترطون هم فى الخليفه أو الإمام أن يكون أفضل أهل زمانه.

والبلوغ الذى ترى مدرستنا انه ليس شرطاً ما دام الإمام مسدداً بالعلم المكتسب والعلم اللدنى، بينما يوجبونه هم مع أنهم خالفوه غالبا. ولقد أجاد الشيخ آل ياسين وصف هذا الاختلاف بيننا وبين الآخرين بقوله: «وخفى عليهم أن الإمامه فى الإسلام دين كالنبوه نفسها، ويجوز فيها ما يجوز فى النبوه، ولا يجوز عليها ما لا يجوز على النبوه فى عظمتها. فما شأن الاجتهاد بالسن فى مقابل النص على التعيين.. وما شأن الملاحظات السياسيه فى مقابل كلمات الله وتصريحات نبيه صلى الله عليه و آله. وكانت سن على يوم وفاه الرسول صلى الله عليه و آله سن عيسى بن مريم يوم رفعه الله، أفيجوز لعيسى أن ينتهى بقصارى نبوته فى الأرض إلى هذه السن ولا يجوز لعلى أن يبتدئ خلافته فى ثلاث وثلاثين »(۱)

ومما نلتقى فيه معهم: الذكوره، والعقل، والشجاعه، والحريه، العداله، سلامه الحواس والاغضاء والإسلام، وهذه المؤهلات تخص الأئمه الاثنى عشر من أهل البيت عليه السلام المنصوص على خلافتهم، وأما فى عصر غيبه الإمام الثانى عشر المهدى المنتظر عليه السلام، فلا يشترط توفر العصمه فيمن ينوب عنه وهم الفقهاء العدول.

أقف هنا قليلا لأقول من أجل التوضيح لا أكثر: إن قولنا بالإمامه وقول غيرنا بالخلافه مبنى على حقيقه إسلاميه عرفناها وجهلها غيرنا من المسلمين؛ وذلك أننا نرى الدين ليس عقيده يتعبد بها الإنسان فحسب وإنما هو نظام سياسى شامل مبنى على أسس من ترابط الجانبين العبادى والحياتى ترابطاً مصيرياً شاملاً كاملاً، مثله أحسن تمثيل قولٍ

١- صلح الحسن، الشيخ آل ياسين، ص ۴۰-۴۱

الإمام على علیه السلام:«اعمل لدنیاک کأنک تعیش أبدا واعمل لآخرتک کأنک تموت غدا »

بینما رأی الآخرون بسبب ما تعرضوا له من حیره منبعها طرائق التعیین المختلفه الأولی

التی لم تتطابق، أن الدین شیء والسیاسه شیء آخر، الدین للتعبد والسیاسه لقیاده الحیاه

المدنیه ولذا یمکن للخلیفه أن یکون بمستوی یزید الفاسق مثلاً أو خلفاء بنی العباس

المشهورین بالتحلل الأخلاقی.

والغریب أن المفکرین الغربیین انتبهوا إلی هذا الترابط بما لم ینتبه إلیه المسلمون

وقد نقل الشیخ باقر شریف القرشی رحمهالله بعض أقوالهم الداله علی هذا الفهم مثل

قول الدکتور (شاخت):«إن الإسلام یعنی أکثر من دین، إنه یمثل نظریات قانونیه

وسیاسیه وجمله القول إنه نظام کامل من الثقافه یشمل الدین والدوله معاً » وقول

العلامه (جیب):«إن الإسلام لم یکن مجرد عقائد دینیه فردیه، وإنما استوجب إقامه

مجتمع مستقل له أسلوبه المعین فی الحکم وله قوانینه وأنظمته الخاصه » وقول (لورافیتشا

فالیری):«إن الناس لتتلهف إلی دین یتفق وحاجاتهم الدنیویه ولا یکون قاصراً علی

إرضاء مشاعرهم وإحساساتهم ویریدون أن یکون هذا الدین وسیله لأمنهم وسعادتهم

فی الدنیا والآخره، ولیس هناک من دین تتوفر فیه هذه المزایا کلها بشکل رائع سوی دین

الإسلام، إنه لیس مجرد دین فحسب بل إن فیه حیاه للناس لأنه یعلمهم کیف یحسنون

التفکیر والکلام ویحضهم علی فعل الخیر وصالح الأعمال »(۱)

والخلاصه: یتبین ظاهراً أن فهم المسلمین الأوائل لکلمه (سید) یختلف جذریا

عما أراد السیاسیون للناس أن یفهموه من معناها، والحدیث الذی أورده الحاکم فی

المستدرک یفضح مقدار التلاعب الذی قام به الإفتائیون من وعاظ السلاطین لأجل

١- ينظر: نظام الإسلام السياسى، ص ٢٣

أن يشوهوا الحقائق أمام الناس ويصرفوا أذهانهم عن معانيها الحقيقيه. فالسياده التى قصدها رسول الله صلى الله عليه و آله فى مواضع أخرى ليس من بينها حديث «ابنى هذا سيد »، سياده ثابته غير قابله للنزع تبعاً لمستجدات الأحداث وغير قابله للتغيير أو للتنازل أو الهبه للغير وهذا لا يأتى من دواخل الفكر الشيعى فقط، وإنما هناك دلائل كثيره عليه فى مدرسه الخلفاء ومنها حديث أبى هريره: «عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى قال: كنا مع أبى هريره فجاء الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام علينا فسلم فرددنا عليه السلام ولم يعلم أبو هريره فقلنا له: يا أبا هريره هذا الحسن بن على قد سلم علينا، فلحقه وقال: وعليك السلام يا سيدى. ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: إنه سيد »(۱)، ليس لأن النبى صلى الله عليه و آله قال: ابنى هذا سيد وإنما لأنه صلى الله عليه و آله وصف الحسن بصفه (سيد) فى أكثر من حديث نبوى منها «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنه » أى هى مرتبه خاصه بالحسن بأمر النبى صلى الله عليه و آلهصلى الله عليه وآله

إن معنى السياده فى معتقدنا يجىء موازياً لمعنى الولايه والإمامه، أى أنها ركن من أركان الدين، ونحن نرى أن كلمه (سيد) لا تطلق جزافاً، وليست كلمه عابره لا أهميه لها. وعندما تطلق على أحد ما يستحقها يراد بها أنه جامع للشرائط ولصفات كريمه فى ذاته وصفاته وأفعاله وبره وخيره وأخلاقه وشمائله وسيرته وسلوكه وفعله، وفيه كل صفات الكمال وما يبين أنه يسود على غيره ويعلو عليه بعلمه وحلمه وبره وصبره وشجاعته. ولاسيما من كان حميد الخصال كريم الفضائل، ولا تطلق على كل رئيس إلا مجازا، فضلا عن أن رسول الله صلى الله عليه و آله حدد السياده باثنى عشر قرشيا وسماهم بالاسم.

- القاعده السابعه: وفيه إطلاق الابن على ابن البنت.

١- المستدرك، ج ٣، ص ١٨

(وقد انعقد الإجماع على أن امرأه الجد والد الأم محرمه على ابن بنته، وأن امرأه ابن البنت محرمه على جده، وإن اختلفوا فى التوارث) ولكن السياسيين غيروا هذا المفهوم وأوحوا للناس سواء فى زمن الأمويين أو العباسيين بأن موروثهم القبلى الجاهلى لا يسمى ابن البنت ابناً ولا يعترف ببنوته! ولذا قالوا فى أمثالهم: (ابن أبنك؛ ابنک وابن ابنتک لا) .

• القاعده الثامنه: صحه رأى من قعد عن القتال مع معاويه وعلى عليه السلام شرعا:

إذ قال: «واستدل به على تصويب رأى من قعد عن القتال مع معاويه وعلى وإن كان على أحق بالخلافه وأقرب إلى الحق، وهو قول سعد بن أبى وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمه وسائر من اعتزل تلك الحروب » وهى القاعده التى أخذ بها ابن تيميه فى فقهه وقال: «وسائر الأحاديث الصحيحه تدل على أن القعود عن القتال والإمساك عن الفتنه كان أحب إلى الله ورسوله. وهذا قول أئمه السنه وأكثر أئمه الإسلام. وهذا ظاهر فى الاعتبار، فإن محبه الله ورسوله للعمل بظهور ثمرته، فما كان أنفع للمسلمين فى دينهم ودنياهم كان أحب إلى الله ورسوله. وقد دل الواقع على أن رأى الحسن كان أنفع للمسلمين; لما ظهر من العاقبه فى هذا وفى هذا »(۱)

وتدلك هذه القاعده على نوع الحراك السياسى وكيف غير المفاهيم والقيم والشرائع.

• القاعده التاسعه: تصويب من قاتل مع على عليه السلام. ولكن الفريقين مأجورون وفق قاعده: (اجتهد فأخطأ):

قال: «وذهب جمهور أهل السنه إلى تصويب من قاتل مع على لامتثال قوله تعالى: (و إن طآئفتان من المؤمنين اقتتلوا)الآيه، ففيها الأمر بقتال الفئه الباغيه، وقد ثبت أن

۱- منهاج السنه، ج ۸، ص ۱۴۵ ۱۴

من قاتل علياً عليه السلام كانوا بغاه، وهؤلاء مع هذا التصويب متفقون على أنه لا يذم واحداً من هؤلاء بل يقولون اجتهدوا فأخطأوا، وذهبت طائفه قليله من أهل السنه – وهو قول كثير من المعتزله – إلى أن كُلًا من الطائفتين مصيب، و طائفه اخرى إلى أن المصيب طائفه لا بعينها »(١). وتجدهم فى هذه القاعده البائسه يتخبطون فلا هم يعترفون بالحقيقه ويقرون بأن من كان مع على عليه السلام كان على صواب، ولا هم يقرون بخطأ من حارب علياً وقاتله، وقتل آلاف المسلمين ظلماً وبهتاناً.

- القاعده العاشره: عدم خروج الفريقين المتقاتلين من المله:

قال: «فى الحديث دليل على أن واحدا من الفريقين لم يخرج بما كان منه فى تلك الفتنه من قول أو فعل عن مله الإسلام، لأن النبى صلى الله عليه و آله جعلهم كلهم مسلمين مع كون إحدى الطائفتين مصيبه والأخرى مخطئه، وهكذا سبيل كل متأول فيما يتعاطاه من رأى ومذهب إذا كان له فيما تناوله شبهه، وإن كان مخطئا فى ذلك، ومن هذا اتفقوا على قبول شهاده أهل البغى ونفوذ قضاء قاضيهم، واختار السلف ترك الكلام فى الفتنه الأولى، وقالوا: تلك دماء طهر الله عنها أيدينا فلا نلوث به ألسنتنا »(٢) وهذا جزء من ثقافه التأويل التى بثها السياسيون.

- القاعده الحاديه عشره: ما فعله الحسن عليه السلام أفضل عند الله مما فعله الحسين عليه السلام

قال: «وكان ما فعله الحسن عليه السلام أفضل عند الله مما فعله الحسين، فإنه وأخاه سيدا شباب أهل الجنه، فقتل الحسين شهيداً مظلوماً، وصار الناس فى قتله ثلاثه أحزاب:

حزب يرون أنه قتل بحق، ويحتجون بما فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه و اله أنه قال: من جاءكم

١- ينظر: فتح البارى، ج ١٣ ، ص ٦٦ – ٦٨

۲- مرقاه المفاتیح، ص ۳۹۷۰ ، حدیث رقم ۶۱۴

وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق بين جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائناً من

كان.. قالوا: وهو جاء والناس على رجل واحد، فأراد أن يفرق جماعتهم. وحزب يرون

أن الذين قاتلوه كفار، بل يرون أن من لم يعتقد إمامته كافر. والحزب الثالث – وهم أهل

السنه والجماعه – يرون أنه قتل مظلوماً شهيداً »(١)

ولك أن تندهش من مقدره السياسيين فى التأثير على الشارع الإسلامى بهذه

الدرجه العاليه لدرجه أنهم تمكنوا من استغفال العقل المسلم وإحداث شغب كلامى

حول كلمه وردت فى حديث مشكوك بصحته واقنعوا الناس، بل وشغلوهم بهذه

الفوضى عن متابعه أمور الدين والدنيا الأكبر شأنا. وهم يبغون من وراء هذه القاعده

تسقيط المشروع الحسينى بعد أن اعتقدوا أنهم سقطوا المشروع الحسنى!.

وفى العوده إلى أصل الموضوع، أقول: إن السياسيين العرب نجحوا بالتأثير على

جيش الإمام الحسن عليه السلامعليه السلام

سواء بمباغتته بالمسير والوصول إلى جسر منبج أو بالشائعات التى نشروها بين

الناس أو بالترغيب والرشا العظيمه التى دفعوها إلى وجوه جيشه أو بالتهديد الذى

أرسلوه وأوصلوه إلى من لم يطعهم أو يتنازل لهم. كل ذلك والحسن عليه السلام كان لما يزل

مشغولاً بترتيب بيت حكومته الجديده وهو لا يملك سوى بعض الأصحاب المخلصين

الذين يعينونه على ترتيب الأوضاع الداخليه، فلما فاجأه معاويه بجيشه العظيم الجرّار

أصبح أمام خيارين: إما الاستسلام المهين، أو خوض حرب خاسره وغير متكافئه،

وبالرغم من صعوبه التحديد اختار أن يقاتل الباغين والتصدى لهم، ولكنه بعد أن

نزل بقواته المدائن وبعد أن طعنه احد أتباع معاويه المدسوسين بين جنده، ولاذ بعض

۱- منهاج السنه، ج ۸، ص ۱۴۷

من کان فی صفوف جیشه بمعاویه طمعاً بالدنیا، وجد ظهره مکشوفا فوبخ المتخاذلین

لأنهم لم یعینوه فی حربه ووافق علی الصلح، قال ابن أبی الحدید: «و أرسل عبد الله بن

الحارث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب... إلی معاویه یسأله المسالمه واشترط علیه

العمل بکتاب الله وسنه نبیه وأن لا یبایع لأحد من بعده»(۱)

۱- شرح نهج البلاغه، م ۴ ج ۱۶ ص ۸

ترابط منهج الإمامه المعصومه وفهم الحسن علیه السلام للُصلح

مما لا شک فیه أن الإمامه المعصومه التی هی من لطف الله بعباده حلقات مترابطه ذات هدف واحد ومهام مختلفه ولا یمکن التقلیل من مهمه أحد الأئمه حبا بمهمه الآخر، یعنی لا یجوز تفضیل احدهم علیهم نتیجه فعل کبیر قام به. وجل ما مأمور به الإنسان هو أن یعرف إمام زمانه ویتمسک به، فقد صح عن أبی جعفر علیه السلام قوله: «من مات ولیس له إمام فمیتته میته جاهلیه، ومن مات وهو عارف لإمامه لم یضره، تقدم هذا الأمر أو تأخر، ومن مات وهو عارف لإمامه کان کمن هو مع القائم فی فسطاطه »(۱) ومن یتمسک بإمام زمانه علیه أن یتمسک بصحه إمامته وصحه إمامه المعصومین السابقین واللاحقین، عن محمد بن سلیم قال: قلت لأبی عبد الله :«رجل قال لی: اعرِفِ الآخر من الأئمه ولا یضرک أن تعرف الأول، فقال: لعن الله هذا؛ فإنی أبغضه ولا أعرفه، وهل عُرف الآخر إلا بالأول »(۲)

وعن صفوان عن ابن مُشکان قال: «سألت الشیخ عن الأئمه، قال: من أنکر واحدا من الأحیاء فقد أنکر الأموات »(۳)، وعن ابن أبی یعفور قال: «سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول: ثلاثه لا ینظر الله إلیهم یوم القیامه ولا یزکیهم ولهم عذاب الیم: من ادعی إمامه

۱- أصول الکافی، ج ۱، ص ۲۷۸ ، حدیث رقم ۵، باب أنه من عرف إمامه لم یضره تقدم هذا الأمر أو تأخر

۲- المصدر نفسه،ج ۱،ص ۲۷۹ ، حدیث ۷، باب من ادعی الإمامه ولیس لها بأهل

۳- المصدر نفسه، ص ۲۸۰ ،حدیث ۸

من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أن لهما فى الإسلام نصيبا »(۱)

والذى أريده من هذه المقدمه الإشاره والتأكيد على عظم تقصير من ينسى إمامه

الحسن علیه السلام أو يتهاون بحقها وحقوقها فلا يكاد يذكره إلا نادراً بحجه انه صالح معاويه

وتنازل عن الخلافه، خلافا لما قام به الحسين علیه السلام الذى حارب واستشهد، فلولا رسول

الله صلی الله علیه و آله ما عرف على علیه السلام، ولولا على ما عرف الحسن علیه السلام، ولولا الحسن ما عرف

الحسين علیه السلامعلیه السلام

وعلى الأمه أن تفهم عظمه الصلح الذى عقده الإمام الحسن علیه السلام على وجهه لا

كما يتصورونه، فقد كان الإمام الحسن علیه السلام مدركا وجوب الصلح فضلا عما يملكه من

معلومات عن هذا الوجوب الذى تجوزه الشريعه ولذا تراه يحتج بهذا الفهم فيما احتج

به على صاحبه أبى سعيد الذى سأله: «يا ابن رسول الله لم هادنت معاويه وصالحته وقد

علمت أن الحق لك دونه وأن معاويه ضال باغ؟ فأجابه: يا أبا سعيد ألست حجه الله

تعالى على خلقه وإماماً عليهم بعد أبى؟ قال: بلى قال: ألست الذى قال رسول الله لى

ولأخى الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قال: بلى قال: فأنا إمام لو قمت وأنا إمام

لو قعدت، يا أبا سعيد عله مصالحتى لمعاويه عله مصالحه رسول الله لبنى ضمره

وبنى أشجع ولأهل مكه حين انصرف من الحديبيه أولئك كفار بالتنزيل ومعاويه

وأصحابه كفار بالتأويل »(۲)

هنا أذكر بأن رسول الله فى أكثر من مناسبه وعد عليا بأنه سيقاتل على تأويل القرآن

كما قاتل هو على تنزيله؛ ولعدم وجود فاصل زمنى أو نوعى بين مشروع قتال الإمام

۱- المصدر نفسه، ص ۲۸۰ ،حدیث ۱۲

٢- صلح الحسن، ص ٢

علی علیه السلام للبغاه ومشروع قتال الإمام الحسن علیه السلام لهم دفاعا عن القرآن فمن الیقین أن

الإمام الحسن علیه السلام مشمول بهذه النبوءه الصادقه، علی أن قتاله لهم هو استمرار لقتال أبیه

لهم وأنه یقاتل أیضا علی التأویل کما قاتل جده علی التنزیل.

لقد أدرک الحسن علیه السلام کل تلک الأقوال التی قالها جده النبی عن الصلح(۱)، وللرواه

أحادیث کثیره عن نبوغ الإمام الحسن علیه السلام الباکر، «فقد ملک بمقتضی میراثه من الذکاء

وسمو الإدراک ما لا یملکه غیره، فکان لا یمر علیه شیء إلا حفظه، وکان یحضر مجلس

جده صلی الله علیه و آله فیحفظ الوحی فینطلق إلی أمه فیلقیه علیها فتحدث به الإمام علیا فیتعجب

ویقول: من أین لک هذا؟ فتقول: من ولدک الحسن »(۲)

کما ورد فی الأخبار أن أمه فاطمه علیها السلام کانت تعلمه ما تتلقاه من أبیها وأن الإمام

علی علیه السلام کان ینصح الحسن إذا حضر ویکتب له إذا غاب، وبذلک تکاملت شخصیته

علی ید أعظم المعلمین فی الکون.

وقد حفظ الإمام الحسن علیه السلام عن جده الکثیر من الأحادیث التی أخرجها أهل

کتب الحدیث عنه مع انه لم یتجاوز الثامنه من عمره الشریف حینما مات جده النبی صلی الله علیه و آلهصلی الله علیه وآله

بمعنی أن الإمام الحسن علیه السلام لم یکن قلیل علم لکی یتخبط بتصرفاته فیأتی بما یندم علیه

حاضرا أو مستقبلا، أو یخالف الشریعه وقوانین الدین، فلقد کان ملما بکل تلک العلوم

۱- هناک الکثیر من الدلائل علی أن الحسن سمع من جده کمًا لا بأس به من الأحادیث، وفی المستدرک:)عن أبی الحوراء، عن الحسن بن علی قال: علمنی رسول الله صلی الله علیه وآله هؤلاء الکلمات فی الوتر: أللهم اهدنا فیمن أهدیت، وعافنا فیمن عافیت، وتولنا فیمن تولیت، وبارک لنا فیما اعطیت، وقنا شر ما قضیت، إنک تقضی ولا یقضی علیک، إنه لا یذل من والیت، تبارکت ربنا وتعالیت(حدیث المستدرک ج ۳، ص ۱۸۸ ، ۳۹۹ / ۴۸

۲- أهل البیت، الحسن بن علی،توفیق أبو علم، ص ۴۰

وعلمه هو الذی دفعه إلی عقد الصلح، فکان صلحه فی تأثیره وأثره کحرب الإمام الحسین علیه السلام فی تأثیرها.

والذین إدَّعَوا أن معاویه هو صاحب فکره الصلح وأن الإمام الحسن علیه السلام کان یرید المغامره بالإسلام وبالتشیع بخوض حرب خاسره، إنما أرادوا تبیان فضیله مصنوعه لمعاویه، کما فی مرقاه المفاتیح: «عَلِمَ (الحسن) أنه لن تغلب إحدی الفئتین حتی یذهب أکثر الأخری، فکتب إلی معاویه یخبره أنه یصیر الأمر إلیه علی أن یشترط علیه أن لا یطلب أحدا من أهل المدینه والحجاز والعراق بشیء مما کان فی أیام أبیه فأجابه معاویه إلا أنه قال: عشره أنفس فلا أُئَمِنَهُم، فراجعه الحسن علیه السلام فیهم، فکتب إلیه یقول: إنی قد آلیت إننی متی ظفرت بقیس بن سعد أن أقطع لسانه ویده، فراجعه الحسن إنی لا أبایعک أبدا وأنت تطلب قیسا أو غیره بتبعه قلت أو کثرت، فبعث إلیه معاویه حینئذ برق أبیض وقال: اکتب ما شئت فیه، فأنا ألتزمه فاصطلحا علی ذلک، واشترط علیه الحسن أن یکون الأمر له من بعده، فالتزم ذلک کله معاویه، واصطلحا علی ذلک »(۱)

فالقاری سرق کرامه الإمام الحسن علیه السلام فی قوله دفاعاً عن الصلح مع معاویه التی مثلها قوله الشریف: «ولکنی خشیت أن تأتی یوم القیامه سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً تشخب أوداجهم دما کلهم تستعدی الله فیم هریق دمه » ونسبها إلی معاویه الذی کان البادئ فی حرب صفین والبادئ فی حرب الإمام الحسن، والذی کان مستعداً لخوض عشرات الحروب الأخری وسفک دم ألوف أخری من المسلمین فی سبیل الحکم.

وقال ابن بطال: «وبأن الحسن نادی معاویه یطلب الصلح » وهذا لم یعجب العسقلانی؛ لیس لکونه مجرد تهافت لأن الإمام ومعاویه لم یلتقیا قبل توقیع الصلح؛

١- مرقاه المفاتيح، ص ٣٩٧٠، حديث رقم ٦١

وإنما لأنه لا يتفق مع ما روج له السياسيون، فقال: «وفی صحه هذا نظر من أوجه:

الأول: أن المحفوظ أن معاويه هو الذی بدأ بطلب الصلح ». إذن برأی العسقلانی أن معاويه طلب الصلح وليس الحسن عليه السلام. ولكنه لم يأت بهذا القول من أجل الحقيقه وإنما جاء به دفاعا عن معاويه، وترسيخ فكره انه مصلح.

ولتأكيد قصه (المصلح ورجل السلام المزعوم) معاويه الذی كان حسب زعمهم بطل الصلح مع الحسن عليه السلام أوردوا قصه ثانيه تقول: إن معاويه طلب الصلح مع قيس بن سعد أيضا، حيث قال العسقلانی: وأخرج عبد الرزاق فی مصنفه عن معمر عن الزهری قال: «وكان قيس بن سعد بن عباده علی مقدمه الحسن بن علی، فأرسل إليه معاويه سجلا قد ختم فی أسفله فقال: اكتب فيه ما تريد فهو لك، فقال له عمرو بن العاص: بل نقاتله، فقال معاويه وكان خير الرجلين -: علی رسلك يا أبا عبد الله، لا تخلص إلی قتل هؤلاء حتی يقتل عددهم من أهل الشام، فما خير الحياه بعد ذلك؟ وإنی والله لا أقاتل حتی لا أجد من القتال بداً »(۱)، وللتأكيد علی أن هذا الحديث مجرد هراء وجدت فيه صوراً مقتبسه حرفياً من قصه أخری، منها:

- إن الحوار بين معاويه وعمرو بن العاص جاء متطابقاً فی الحديثين، وهذا محال.
- إن معاويه هو الذی بادر إلی الصلح فی الحديثين وهذا محال أيضاً.
- وصفهم لمعاويه بأنه (وكان خير الرجلين) فی الحديثين والناس تعرف أن (كِلا الأخوين.... ولكن).
- تحرج معاويه من قتل المسلمين فی الحديثين لدرجه أنه كان يری الموت أطيب من الحياه إذا أسهم فی قتلهم، كما فی قولهم: (فما خير الحياه بعد ذلك) وهذا

۱- فتح البارى شرح صحيح البخارى، ج ۱۳ ، ص ۶۸

مخالف لما عرف عنه من رغبه ملحه فى القضاء على العلويين والخط العلوى بعد أن أمر قواده بتعقبهم فى الآفاق.

• إرسال معاويه صحيفه فارغه ليكتب فيها قيس شروطه كما هى الصحيفه التى أرسلها إلى الإمام الحسن عليه السلام. وقيس ليس الحسن عليه السلام، لا من حيث المنزله ولا من حيث القوه والأتباع.

• قولهم: إن معاويه قال: «وإنى والله لا أقاتل حتى لا أجد من القتال بداً » وهذا خلاف الواقع لأن معاويه الذى لم يقاتل فى سبيل نصره الإسلام أبداً لأنه لم يكن يرى فيه بداً، قاتل من لم يقاتله، قاتل عليا وتسبب بموت أكثر من مئه ألف مسلم فيهم عدد كبير من الصحابه، وقاتل الحسن عليه السلام!.

أما تكمله شرح العسقلانى لحديث البخارى فتأتى لتأكيد جوانب مهمه من سياسه التحريف التى اتبعت فى معالجه سياقات الصلح، حيث قال العسقلانى: «فقال عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمره: نلقاه فنقول له الصلح (أى نشير عليه بالصلح)، وهذا ظاهره أنهما بدَءآ بذلك، والذى تقدم فى كتاب الصلح أن معاويه هو الذى بعثهما فيمكن الجمع بأنهما عرضا أنفسهما فوافقهما ولفظه هناك «فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس عبد الرحمن بن سمره وعبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس، وهو الذى ولاه معاويه البصره بعد الصلح »، فقال معاويه: «اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه » أى ما شاء من المال (وقولا له) أى فى حقن دماء المسلمين بالصلح (واطلبا إليه) أى اطلبا منه خلعه نفسه من الخلافه وتسليم الأمر لمعاويه وابذلا له فى مقابله ذلك ما شاء «قال فقال لهما الحسن بن على عليه السلام: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمه قد عاثت فى دمائها، قالا فإنه يعرض عليك كذا وكذا

ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لى بهذا؟ قالا: نحن لك به فما سألهما شيئا إلا قالا

نحن لك به، فصالحه »(۱)

ثم يأتى ابن بطال ليستخلص من هذا الحديث الموضوع المصنوع ما يثبت بان معاويه

هو الذى أصلح بين الفئتين العظيمتين وليس الحسن عليه السلام، وأن مطالبه الحسن عليه السلام بالمال

الكثير إنما لكى يوزعه على من يرفض الصلح من جنده، فقال: «هذا يدل على أن معاويه

كان هو الراغب فى الصلح وأنه عرض على الحسن عليه السلام المال ورغبه فيه وحثه على رفع

السيف وذكره ما وعده به جده صلى الله عليه و آله من سيادته فى الإصلاح به، فقال له الحسن: إنا

بنو عبد المطلب أصبنا من هذا المال، أى إنا جبلنا على الكرم والتوسعه على أتباعنا

من الأهل والموالى وكنا نتمكن من ذلك بالخلافه حتى صار ذلك لنا عاده(۲) وقوله

إن هذه الأمه أى العسكرين الشامى والعراقى (قد عاثت) أى قتل بعضها بعضا فلا

يكفون عن ذلك إلا بالصفح عما مضى منهم والتآلف بالمال. وأراد الحسن عليه السلام بذلك

كله تسكين الفتنه وتفرقه المال على من لا يرضيه إلا المال، فوافقاه على ما شرط من جميع

ذلك والتزما له من المال فى كل عام والثياب والأقوات ما يحتاج إليه لكل من ذكر.

وقوله: من لى بهذا، أى: من يضمن لى الوفاء من معاويه؟ فقالا: نحن نضمن

لأن معاويه كان فوض لهما ذلك، ويحتمل أن يكون قوله: أصبنا من هذا المال، أى فرقنا

منه فى حياه على وبعده ما رأينا فى ذلك صلاحاً فنبه على ذلك خشيه أن يرجع عليه بما

تصرف فيه .»

أسأل: إذا ما كان هذا الأمر صحيحاً، فلماذا لم يلتزم الرجلان بتعهداتهما والتزاماتهما

۱- فتح البارى- ج ۱۳ ، ص ۶

۲- فتح الباری- ج ۱۳، ص ۶

وهما اللذان ضمنا للحسن عليه السلام أنهما قادران على دفع معاويه ليفى بشروط الصلح ولهما القدره على ذلك؟ .

ويُستثمر التخبط المقصود والمتعمد ليصل إلى مديات تؤكد بأن السياسه لا تستحى من عمل القبيح(١)، ففى كتاب (شرح أصول اعتقاد أهل السنه والجماعه)لأبى القاسم هبه الله ابن الحسن بن منصور الطبرى تأكيد آخر على أن معاويه هو من طلب الصلح، كما فى قولهم: «عن حاتم بن أبى صغيره، عن عمرو بن دينار قال: عَلِمَ معاويه أن الحسن بن على كان أكره الناس للفتنه، فلما توفى على بعث، فأصلح الذى بينه وبينه سرا، وأعطاه معاويه عهدا إن حَدَثَ به حَدَثٌ والحسن حى ليجعلن الأمر إليه. فلما توثق منه قال عبد الله بن جعفر: إنى لجالس عند الحسن إذ ذهبت لأقوم، فقال: يا هناه اجلس. فجلست، فقال: إنى قد رأيت رأيا، وإنى أحب أن تتابعنى عليه. قلت: وما هو؟ قال: قد رأيت أن أغدو إلى المدينه فأنزلها، وأخلى بين معاويه وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنه وسفكت فيها الدماء وقطعت الأرحام وعطلت الحدود والفروج وقطعت السبل. ثم قال: ادعوا لى الحسين. فأ به، فأعاد مثل قوله لأبى جعفر، فقال الحسين: أعيذك بالله أن تُكذب علياً فى قبره وتصدق معاويه. فقال الحسن: والله ما أردت أمراً قط إلا خالفتنى إلى غيره، ولقد هممت أن أقذفك فى بيت وأطينه عليك حتى أقضى من أمرى. فلما رأى الحسين غضبه، قال: أنت أكبر ولد على وخليفته، فرأينا لرأيك تبع، فافعل ما بدا لك. فقام الحسن فخطب فقال: أيها الناس إنى كنت أكره الناس لأول هذا الأمر، وإنى أصبحت لذى حق أديت إليه حقه أحق منى، أو حق حدث فى صلاح أمه محمد، وإن الله قد ولاك يا معاويه هذا الحدث، فخير يعلمه عندك أو شر يعلمه فيك،

۱- قـال علی علیه السـلام : « والله ما معاویه بأدهی منی، ولکنه یغـدر ویفجر، ولولا کراهیه الغـدر، لکنت من أدهی الناس، ولکن کل غدره فجره، وکل فجره کفره، ولکل غادر لواء یعرف به یوم القیامه .»

وإن أدرى لعله فتنه لكم ومتاع إلى حين، ثم نزل »(1) ولا ادرى متى كان معاويه صاحب

حق لكى يعترف له الحسن عليه السلام بحقه، ومتى كان الطليق أحق من ابن رسول الله بالخلافه!

إن هذا الاتجاه المنحرف قام على أسس منحرفه ولكنها دقيقه التخطيط، ويستشف

من تتابع الأحداث أن الإمام الحسن عليه السلام كان قد كلم أصحابه بالصلح بعد أن وصله

خبر مسير معاويه بأهل الشام، وبعد أن رأى تنازل همتهم وضعف روحهم القتاليه

وتحطم معنوياتهم، فقام جواسيس معاويه المتواجدين ضمن صفوف جيش الإمام عليه السلام

بالكتابه إلى معاويه بما دار وحدث، فاستغل معاويه السياسى الداهيه الذى لا يردعه

رادع ما اعتبره ثغره قاتله فى منظومه قوه الحسن عليه السلام العسكريه وقرر إرسال رسالتين

لهذا الجيش شبه المفكك:

الأولى: تفيد بأنه حريص كذلك على الصلح وطالب له كما هو الحسن عليه السلام، وأراد

أن يوهم جيش الحسن بأن ما قاله الحسن عن الصلح صحيح كليا وها هو يصالح حتى

من دون أن يستشيرهم، وضمن التوجه الإعلاميّ المضادّ نفسه «وجه معاويه وفدًا إلى

الحسن بن عليّ يتكوّن من المغيره بن شعبه وعبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن

أم الحكم »(2)، وأتوه وهو بالمدائن نازل فى مضاربه، ثمّ خرجوا من عنده وهم يقولون

ويُسمِعون الناس (يوهمونهم): «إنّ الله حقن بابن رسول الله الدماء، وسكن به الفتنه،

وأجاب إلى الصلح فاضطرب العسكر ولم يشكك الناس فى صدقهم فوثبوا بالحسن

فانتهبوا مضاربه وما فيها، فركب الحسن فرسا ومضى فى مظلم ساباط، وقد كمن

1- شرح أصول اعتقاد أهل السنه والجماعه، ج ۸، ص: ۱۵۳۹ ،حديث ۲۷۹۹ ، سياق ما روى من إماره معاويه وتسليم الحسن بن على الأمر إليه

٢- عبد الرحمن بن عبد الله الثقفى، ينسب إلى أمه أم الحكم أخت معاويه

الجراح بن سنان الأسدى(۱) فجرحه بمعول فى فخذه وقبض على لحيه الجراح ثم لواها

فدق عنقه «(۲)

والثانيه: جاء بها الطبرى فى قوله: «بايع الناس الحسن بن على عليه السلام بالخلافه، ثم

خرج بالناس حتى نزل المدائن... فبينا الحسن عليه السلام فى المدائن إذ نادى مناد فى العسكر:

ألا إن قيس بن سعد قد قتل فانفروا، فنفروا، ونهبوا سرادق الحسن حتى نازعوه بساطاً

كان تحته «(۳)

فهل يعقل أن ينتهب متاع الإمام عليه السلام مرتين فى وقعتين متشابهتين متطابقتين كلياً

خلال أيام معدودات من قبل بعض جنده أم أن الخلط والتخبط هو الذى تلاعب

بوقائع التاريخ فتنوعت الروايات وتعارضت فيما بينها؟ .

إن الذين يدعون أن معاويه هو صاحب فكره الصلح تأثروا كثيراً بمضمون هذه

الروايات، فهم فى قولهم)وأجاب إلى الصلح(أرادوا إخبار الناس بأن معاويه طلب

من الإمام الحسن عليه السلام عقد الصلح والإمام رضى به وأجابه!، وما يؤكد رغبه معاويه

بأن يكون هو بطل الصلح لاعتبارات كثيره جدا يترجمه مضمون هذه الروايه حرفيا،

۱- كل ما وجدته عن هذا الرجل أنه كان يرى رأى الخوارج، وله قبل هذا التاريخ وقائع ذات نفس خارجى منها ما جاء فى قول ابن الأثير: ثم دخلت سنه إحدى وعشرين وكانت وقعه نهاوند:)وثار أهل الكوفه على سعد فى غضون هذا الحال، فشكوه فى كل شىء حتى قالوا: لا يحسن يصلى؛ كان الذى نهض بهذه الشكوى رجل يقال له: الجراح بن سنان الأسدى فى نفر معه، فلما ذهبوا إلى عمر فشكوه، قال لهم عمر: إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم فى هذا الحال عليه، وهو مستعد لقتال أعداء الله، وقد جمعوا لكم، ومع هذا لا يمنعنى أن أنظر فى أمركم.الكامل لابن الأثير، ص ۵،ج ۳، وقعه نهاوند

۲- ينظر:تاريخ اليعقوبى، ج ۲،ص ۱

۳- تاريخ الطبرى، ج ۳، ص ۹۴

فالروايه أشارت إلى أمور غريبه عجيبه تدل كلها على أن السياسيين العرب أجادوا الصنعه ونجحوا فى سلب إراده المسلمين وجردوهم من عقولهم وحولوهم إلى قطيع يقودونه كيفما يشاءون، فمن غير المعقول أن تتمكن كلمه كاذبه خرجت من أفواه الطلقاء من زعزعه جيش كامل ليتحول من النظام إلى الغوغاء لو لم تكن هناك مقدمات كثيره بعضها مادى والآخر معنوى والثالث إعلامى. فالناس الذين كانوا يبحثون عن السلم بعد كل تلك الحروب هم الذين كانوا ينادون من كل جانب: (البقيه البقيه) فهل يعقل أن يتمردوا على قيادتهم المعصومه عند سماعهم خبر موافقه الإمام على الصلح؟.

وما ذاك إلا لكون السياسيين ومن خلال الحروب المتكرره التى شنوها على دوله الإسلام وخلفائها الشرعيين جعلوا الناس يحنون ويتطلعون إلى السلم ويكرهون الحرب وذكرها، فمن غير المعقول أن تدخل أمه فى أربعه حروب متتاليه خلال مده لا تزيد على الأربع سنوات كما هى حروب الجمل وصفين والنهروان ثم الحرب المرتقبه بين جيش الخلافه وجيش الخارجين على القانون، ولا تحن إلى السلم والراحه والتمتع بالحياه. ولقد مررنا فى تاريخنا الحديث بالحاله نفسها يوم قاد السياسيون شعبنا العراقى لمحاربه الأكراد فى شمالى العراق ثم الاشتراك بحربين فى العامين ١٩٦٧ و ١٩٧٣ مع الصهاينه ثم العوده إلى حرب الشمال مع الأكراد ثم الحرب مع إيران وبعدها غزو الكويت وختامها بأم المعارك، وبالتالى أصبح الشعب العراقى بقضه وقضيضه يتطلع إلى سلام دائم ويأمل بأن تنتهى حقبه الحروب. وبالتالى كانت رغبه أصحاب الحسن عليه السلام بالسلم وعدم خوض حرب جديده أمنيه يتمنون تحقيقها ولكنها لا يمكن أن تؤثر فيهم بالشكل الذى تصوره الروايات التاريخيه.

وفوق هذا وذاك كان الحسن عليه السلام موعوداً بالإصلاح كما فى الحديث الذى أخرجه

الكثير من المشتغلين بالحديث النبوى ومنهم الدولابى: «عن أبى ضمره بن عبد الله بن المستورد حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن لبيبه مولى بنى هاشم أن رسول الله أبصر الحسن بن على مقبلا، فقال: أللهم سلمه وسلم منه »(۱)(ولا يوجد ما يثبت ولو من بعيد) أن الرسول دعا لمعاويه بمثل هذه الدعوه.

فصلح الإمام الحسن عليه السلام وعد ربانى كان الحسن عليه السلام أول العارفين به والمنوهين عنه فهو من ضمن خزينه الفكرى عن المستقبليات التى بثها والده فى عقله وقد كان الإمام عليه السلام على يقين تام بأنه ينفذ إراده الله سبحانه وتعالى تطبيقا للنهج الإلهى بتسيير الكون وإدارته وهو فى الصلح كجده صلى الله عليه وآله فى مكه غير مأمور بحرب ومأمور بتأليف القلوب وتوحيد كلمه المسلمين حفاظاً على الإسلام. نعم كان الإمام مأموراً بالحرب وفق البرنامج الإلهى أيضا فلما انتهى مشروع المواجهه الذى أبانت فشله نوعيه جيش الإمام عليه السلام والذى مع كل تلك المعوقات أن أدى دوره الكبير فى الأقل بعدما أبان بان هناك كثيرين كانوا من ضمن المشروع الحسنى، لما انتهى ذلك المشروع حل بدلا منه مشروع المسالمه والصلح فصار لزاماً عليه أن يركن إلى السلم ويوقف المظاهر الحربيه إيذاناً ببدايه مشروع جديد يهيئ لمرحله جديده من الصراع بين الحق والباطل.

أشير هنا إلى أن الإمام على عليه السلام قاتل أصحاب الجمل فى البصره، ومعاويه فى صفين والخوارج فى النهروان بقوات موازيه لقواتهم بل وتتفوق عليها كثيرا كما فى معركه الخوارج، والإمام الحسن عليه السلام قاد جيشاً لا بأس به لمواجهه معاويه الذى سار بقواته وجيشه الجرار لغزو عاصمه الخلافه، فهل يعقل أن يخرج الإمام الحسين عليه السلام بثلاثه وسبعين شخصا فقط ليواجه قوات الوالى الأموى فى الكوفه، وحتى لو فرضنا جدلا أنه

١- الدولابی، ح ١١١ نص ٧١

كان يمكن أن ينتصر على قوات الوالى بسبب تأييد أهل الكوفه له، فهل يتمكن من جمع

قوه يمكنها التصدى لقوات الشام التى ستزحف عليه لتنتقم منه؟ ألا يدلنا هذا على أن

الأئمه المعصومين مأمورون بأداء أدوارهم التى يعرفون نتائجها وكل تفرعاتهم

دون التفات للحسابات الدنيويه؟.

أما السياسيون العرب الذين تحدثنا مطولاً عن منهجهم التحريفى وإخلالهم

بالشروط وتنصلهم عن تحمل المسؤوليه والبحث عمن يعصبون أعمالهم برأسه فقد

تعاملوا مع الصلح وفق رؤاهم السياسيه وعملوا جاهدين على تحسين صورتهم وتشويه

صوره الإمام فى إطار الصلح من خلال تحريف الروايات بالقطع والإضافه ولذا تجد

فى الأحاديث النبويه عن الصلح تبايناً غريباً لا يتساوق مع ما عرف عن النبى صلى الله عليه وآله من

دقه فى اختيار الكلمات وهى من الصفات التى أجمع المسلمون على تمسك النبى صلى الله عليه وآله بها طوال بعثتهز

ص :٧٠٥

لماذا صالَح الحسن عليه السلام؟

سؤال لا يقل فى أهميته عن كل تلك الأسئله التى وردت من قبل، وتأتى أهميته من كون الأسباب الموجبه للصلح تعرضت إلى تلاعب كبير ومشين من قبل السياسيين وأتباعهم بغيه القول أن الإمام الحسن عليه السلام لم يكن واثقاً من أحقيته بالإمامه والخلافه؛ وانه كان يرى معاويه أحق منه بالخلافه وأجدر، ولقد أسهب القوم فى شرح أقوال السياسيين التى وردت بشأن هذه النقطه بالذات كالصلابى الذى تتبع بعض أقوال السياسيين المحرفه ليجعل منها دواعم لهذا التجنى والكذب الكبيرين، فنقل عن الشعبى، بعد أن قال عنه فى الهامش: أنه ثقه، قال: «شهدت الحسن بن على بالنخيله حين صالحه معاويه فقال معاويه:إذا كان ذا فقم فكلم الناس أنك قد سلمت الأمر لى، وربما قال معاويه: أخبر الناس بهذا الأمر الذى تركته لى، فقام فخطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، قال الشعبى: وأنا أسمع، ثم قال)أى الحسن(: فإن أكيس الكيس التقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذى اختلفت فيه أنا ومعاويه، إما كان حقا لى تركته لمعاويه إراده إصلاح هذه الأمه وحقن دمائهم...أو يكون حقا كان لامرئ كان أحق به منى ففعلت ذلك » وهى الروايه الموقوفه على الشعبى(١)

ص: ٧٠٧

١- عامر بن شرحبيل الشعبى: أشترك فى حركه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث مع قراء الكوفه والبصره، ثم هرب مع من بقى من أتباع ابن الأشعث بعد فشل الحركه، فأمر الحجاج أن يؤتى به فجىء به. فأعتذر للحجاج، فقبل، وقال: أنت يا شعبى أحب إلى ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلت ولا شهدت، قد أمنت عندنا يا شعبى. جاء هذا فى وقت أمر فيه الحجاج بقتل أكثر من مائه ألف مسلم ممن اشتركوا بالحركه ومنهم سعيد بن جبير ، وهذا يؤكد ولاء الشعبى للخط السياسى وبعده عن الخط العلوى

أخرجها عنه ابن سعد فی الطبقات وأبو نعیم فی الحلیه والبیهقی فی دلائل النبوه وابن عبد البر فی الاستیعاب.

كما نقل الصلابی عن ابن سعد روایه مشابهه لهذه الروایه، جاء فیها: «فقال الحسن: أیها الناس إنی كنت أكره الناس لأول هذا الحدیث، وأنا أصلحت آخره لذی حق أدیت إلیه حقه أحق به منی، أو حق جدت به لصلاح أمه محمد، وإن الله قد ولاک یا معاویه هذا الحدیث لخیر یعلمه عندک أو لشر یعلمه فیک »(۱)

إن الإمام الحسن علیه السلام صاحب حق شرعی وعرفی، وكان قادراً علی القتال ومقتدرا علی الفوز بالمنازله، لو شاء ذلک بما یملكه من قوی غیبیه خفیه، وانْ یمیل إلی الصلح مع ما لدیه من المزایا فذلک ما لم یستوعبه المسلمون، وقد استغل السیاسیون جهل الناس ببواطن الأمور فخلقوا قصصاً تنتقص من مكانه عدوهم الإمام الحسن علیه السلام وتوهم الناس وتلهیهم عن البحث عن الحقیقه المغیبه. والسیاسیون فی سعیهم العدوانی التخریبی أوجدوا للصلح مخارجَ وقصصاً وروایاتاً تجرده من قیمته الأخلاقیه والدینیه وتضعه فی موضع الجدل السیاسی الذی یبغی خداع الأمه ویدفعها لأن تشكک فی رأی من یدعی بأن خلافه معاویه لم تكن خلافه شرعیه، والتی كما یقولون كانت قد حصلت علی دعم نبوی بوجوب عدم كرهها، كما فی حدیثهم: «حدثنا القاسم بن جعفر قال: حدثنا علی بن إسحاق بن محمد قال: حدثنا علی بن حرب قال: حدثنا ابن أبی سفیان قال: حدثنا هشیم، عن أبی عامر الشعبی قال: قلت للحارث بن حجر: ما حمل الحسن بن علی أن یبایع لمعاویه ویسلم له الأمر؟ قال: إنه سمع من یقول: لا تكرهوا إمره

۱- سیره أمیر المؤمنین خامس الخلفاء الراشدین، الصلابی، ص ۳۰

معاويه»(۱)

فإذا ما كان الحسن عليه السلام قد سمع هذا الحديث، فلماذا قبل البيعه أول مره وكره بيعه

معاويه، بينما المفروض به لو كان ما نقلوه صحيحاً أن لا يكره إمره معاويه ويبايعه

ويتنازل له عن الإمامتين باعتبار انه يحمل توصيه نبويه بوجوب عدم كراهه إمرته!؟.

علماً أن الذين اعتمدوا هذا الحديث المكذوب الموضوع جاءوا بحديث آخر يدعى

بأن الحسن ترک الخلافه تهربا لأنه لم يكن يرغب بأن يبتلى بها، كما في قولهم: «حدثنا

على بن عمر، حدثنا إسماعيل بن محمد قال: حدثنا عباس الدورى قال: حدثنا داود

الطيالسى قال: حدثنا شعبه: أنه أخبرهم عن يزيد بن خمير عن عبد الرحمن بن جبير بن

نفير، عن أبيه قال: قلت للحسن بن على: إن الناس يزعمون أنک تريد الخلافه. فقال:

كانت جماجم العرب بيدى، يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها

التماس رحمه الله، ثم ابتلى بها ناس... »(۲)

وبعدها جاءوا بحديث ثالث تختلف أسبابه عما سبق، قالوا فيه: «حدثنا عبد الله بن

محمد بن أحمد، حدثنا عبد الله بن أحمد بن غياث القاضى، قال: حدثنا يحيى بن جعفر

قال: حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى، قال: حدثنا صدقه بن المثنى، عن رياح بن الحارث

قال: قام الحسن بن على بعد وفاه على ، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم

قال: إن كل ما هو آت قريب، وإن أمر الله واقع وإن كره الناس، وإنى والله ما أحببت

۱-))) شرح أصول اعتقاد أهل السنه والجماعه،أبو القاسم هبه الله ابن الحسن بن منصور الطبرى، ص: ۱۵۳۹ ، حديث ۲۸۰۰ الجزء ۸،حديث ۲۷۹۹ ، سياق ما روى من إماره معاويه وتسليم الحسن بن على الأمر إليه

۲- شرح أصول اعتقاد أهل السنه والجماعه، الطبرى، ص: ۱۵۳۹ ، حديث ۲۷۹۷ الجزء ۸،حديث ۲۷۹۹ ، سياق ما روى من إماره معاويه وتسليم الحسن بن على الأمر إلى

أن ألِيَ من أمر أمه محمد صلى الله عليه وآله مثقال حبه من خردل، تهراق فيه محجمه من دم، قد

علمت ما ينفعنى مما يضرنى، فالحقوا بمطيكم »(۱) ويدفعنا هذا التخبط غير المحمود

للبحث عن الأسباب الحقيقيه التى جعلت الإمام الحسن عليه السلام يفضل الصلح.

لقد قَدّر الإمام الحسن عليه السلام وأجاد، فقد نظر أولاً إلى جنده ومكونات عسكره

فوجدهم ليسوا كما كانوا فى زمن أبيه عليه السلام وجده صلى الله عليه وآله، فلم يخفى مشاعره تجاههم وأعلنها

صريحه واضحه فاستغل السياسيون هذه الصراحه، وأخذوا نتفاً من أقواله وأضافوا

إليها من عندهم دسا ومكراً ونسبوا كل ذلك له على انه قائله. قال الديلمى: من كلام

الحسن بن على لأصحابه بعد وفاه أبيه: «أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام ذله ولا

قله ولكن كنا نقاتلهم بالسلامه والصبر، فشيبت السلامه بالعداوه، والصبر بالجزع،

وكنتم تتوجهون معنا ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم، فكنا

لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا، ثم أصبحتم تعدّون قتيلين: قتيلا بصفين تبكون

عليه، وقتيلا بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباكى فخاذل، وأما الطالب فثائر .»

إلى هنا يبدو الأمر منطقياً بالرغم من أن هناك روايات أخرى نقلت خطبه

الحسن عليه السلام الحقيقيه وفيها إختلاف واضح، ومن أن أحداث الروايه التى إعتمدوها غير

مترابطه؛ لأن الروايه تجمع عشوائياً بين بدايه خلافه الحسن عليه السلام بعد موت أبيه مباشره

وتنقل حديثاً عن جنود خاضوا حرباً لم يحسنوا الصنيع فيها مع أن الجيش الذى كان

بقياده الإمام الحسن عليه السلام لم يلتق بجيش معاويه ولم يخض الحرب، وتنقل حديثاً آخر عن

ساعات ما بعد الصلح وترك القتال! لكن ما جاء بعد ذلك فى الروايه لا يقبله منطق ولا

عقل لأن الروايه تعود إلى الحديث عن مقترح تقدم به معاويه لعقد الصلح، ووقوف

١- المصدر نفسه، ص: ١٥٣٨ ، حديث ٢٧٩٧ الجزء ٨،حديث ٢٧

الحسن عليه السلام لاستشاره جنده فى الأمر! إذ نسب الديلمى إلى الإمام قوله: «وإن معاويه قد دعا إلى أمر ليس فيه عزٌّ ولا نصفه، فإن أردتم الحياه قبلناه منه، وأغضضنا على القذى، وإن أردتم الموت بذلناه فى ذات الله وحاكمناه إلى الله. فنادى القوم بأجمعهم: بل البقيه والحياه .»

ويرى كل منصف أن فى ذاكره الإمام الحسن عليه السلام ومنذ سويعات بيعته الأولى كانت تتردد مقولات رسول الله صلى الله عليه وآله، ولاسيما بعد أن رأى تخاذل القوم عن نصره أبيه، فنوى الصلح إبقاءً على الدين وفضحاً للمخالفين، وهذا خلاف ما زعمه الآخرون بأن معاويه هو صاحب الصلح وكأنهم يريدون القول أن بمعاويه حَقِن الله دماء الأمه. ودليلنا فى ذلك خطبه الإمام الحسن عليه السلام التى قالها فى ساباط مظلم قرب المدائن، ومواقف أصحابه فى الصلح. روى أبو الفرج: «وأخذ الحسن على حمام عمر، حتى أتى دير كعب ثم بكر فنزل ساباط دون القنطره فلما أصبح نادى فى الناس: الصلاه جامعه، فاجتمعوا، وصعد المنبر، فخطبهم، فحمد الله، فقال: الحمد لله كلما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالحق، وائتمنه على الوحى. أما بعد، فوالله إنى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينه ولا مريداً له سوءاً ولا غائله، ألا وإن ما تكرهون فى الجماعه خير لكم مما تحبّون فى الفرقه، ألا وإنى ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمرى، ولا تردّوا على رأيى، غفر الله لى ولكم وأرشدنى وإياكم لما فيه المحبه والرضا.

قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض، وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنه والله يريد أن يصالح معاويه ويسلم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل ثم شدّوا على

فسطاطه فإنتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن

جعال الأزدى وهو خارجى، فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقى جالسا متقلدا السيف بغير

رداء، ثم دعا بفرسه فركبه، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته، ومنعوا منه من

أراده ولاموه وضعفوه لما تكلم به.

فقال: ادعوا لى ربيعه وهمدان، فدعَوا له، فأطافوا به، ودفعوا الناس عنه، ومعهم

شوب من غيرهم، فقام إليه رجل من بنى أسد من بنى نصر بن قعين يقال له الجراح

بن سنان وهو الآخر خارجى، فلما مر فى مظلم ساباط قام إليه فأخذ بلجام بغلته وبيده

معول، فقال: الله أكبر يا حسن، أشركت كما أشرك أبوك من قبل، ثم طعنه فوقعت

الطعنه فى فخذه فشقته حتى بلغت أربيته فسقط الحسن عليه السلام إلى الأرض بعد أن ضرب

الذى طعنه بسيف كان بيده واعتنقه، وخرَا جميعاً إلى الأرض، فوثب عبد الله بن الخطل فنزع المعول من يد جراح بن سنان فخضخضه به، وأكبَ ظبيان ابن عماره عليه، فقطع أنفه ثم أخذوا الأجُر فشدخوا وجهه ورأسه، حتى قتلوه »(۱). ولهذا السبب ورد

توضيح الإمام الصادق عليه السلام كما فى وصيته لأبى جعفر محمد بن النعمان الأحول المعروف

بمؤمن الطاق: «إعلم أنَّ الحسن بن على عليه السلام لما طعن وإختلف الناس عليه سلَّم الأمر

لمعاويه، فسلَّمت عليه الشيعه: عليك السلام يا مذل المؤمنين، فقال عليه السلام: ما أنا بمذلّ

المؤمنين ولكنى معزّ المؤمنين، إنى لما رأيتكم ليس بكم عليهم قوّه سلّمت الأمر

لأبقى أنا وأنتم بين أظهرهم، كما عاب العالم السفينه لتبقى لأصحابها، وكذلك نفسى

وأنتم لنبقى بينهم »(۲).

وما دفع الحسن عليه السلام إلى الصلح فضلًا عما تقدم توضحه المحاوره التى دارت

١- مقاتل الطالبيين، ص ٧٠ - ٧٣

٢- تحف العقول، الحسن بن شعبه الحرانی، الأعلمی، ص ٢٢۴

...

بینه علیه السلام وبین سفیان بن لیل الذی قال للإمام: «أنت والله بأبی أنت وأمی أذللت رقابنا

حین أعطیت هـذا الطاغیه البیعه وسـلَمتَ الأمر إلی اللعین إبن اللعین إبن آکله الأکباد ومعک مائه ألف کلهم دونک، وقـد جمع الله لک أمر الناس!.

فقال: یا سفیان، إنا أهل بیتٍ إذا علمنا الحق تمسکنا به، وإنی سمعت علیاً یقول:

سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: لا تذهب اللیالی والأیام حتی یجتمع أمر هذه الأمه علی

رجل واسع السُّرم، ضخم البلعوم، یأکل ولا یشبع، لا ینظر إلیه، ولا یموت حتی لا

یکون له فی السماء عاذر، ولا فی الأرض عاذر، وإنی عرفت أن الله بالغ أمره »(۱)

وتوضحه کذلک المعلومه التالیه التی تؤکد بأن معاویه کان یعرفها أیضا ویستغلها

للوصول إلی مبتغاه، فمعاویه نفسه کان یعرف السبب تماماً ویعلم أن فی نزاعه مع

الخلفاء الشرعیین تَکْمن مصلحته ویتحقق حلمه تبعاً لحدیث صحیح متفق علیه عن

النبی :« ما إختلفت أمه بعد نبیها إلا ظهر أهل باطلها علی أهل حقها »(۲). ولقد أزَل

الله لسان معاویه فإعترف صراحه بذلک، ثم ندم علیه وعدل عنه کما فی مقاتل الطالبین

حیث خطب معاویه حین بویع له فقال: «ما اختلفت أمه بعد نبیها إلا ظهر أهل باطلها

علی أهل حقها، ثم إنه انتبه، فندم، فقال: إلا هذه الأمه فإنها، وإنها»(۳)

۱- مقاتل الطالبیین، ص ۷

۲- ورد هـذا الحـدیث فی کتب الفریقین: مجمـع الزوائـد ج: ۱ ص: ۱۵۷ کتـاب العلم: بـاب فی)) الاختلاف. المعجم الأوسـط للطبرانی، ج: ۷ ص: ۳۷۰ ، حـدیث رقم ۷۹۵۷ . فیض القـدیر ج: ۵ ص: ۴۱۵ . حلیه الأولیـاء لأـبی نعیم، ج: ۴ ص: ۳۱۳ ، رقم الحدیث: ۲۲ . تـذکره الحفاظ ج: ۱ ص: ۸۷ فی ترجمه الشـعبی. سیر أعلام النبلاء للذهبی، ج: ۴ ص: ۳۱۱ فی ترجمه الشعبی. ذکر من اسمه شعبه ص: ۶۸ . کنز العمال للمتقی الهندی، ج: ۱ ص: ۱۸۳ حدیث: ۹۲۹ . الجامع الصغیر للسیوطی ج: ۲ ص: ۴۸۱ حدیث: ۷۷۹۹ . شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید المعتزلی، ج: ۵ ص: ۱۸۱

٣- مقاتل الطالبين، ص ٧٧

الفصل السادس الصلح و القواعد الفقهيه

اشاره

ص :716

الصُلح والقواعد الفقهيه

يلتقى الصلح مع كثير من القواعد الفقهيه التى تبين أن الإمام الحسن عليه السلام وهو الخليفه المنتخب من قبل الأمه والمنصَّب من قبل الله تعالى رحمةً للناس وهو أولى من غيره فى أنْ يتمسَّك بها ويطبقها مهما كانت النتائج والمواقف، وفى الفقه الإسلامى هناك مجموعه قواعد فقهيه يلتقى معها الصلح منها:

درء الحدود بالشبهات

تم استنباط قاعده (درء الحدود بالشبهات) من مجوعه أحاديث نبويه، منها:

قول رسول الله :« إدرؤوا الحدود بالشبهات، ولا شفاعه ولا كفاله ولا يمين فى الحد ». والحديث الآخر: «إدرؤوا الحدود بالشبهات وأقيلوا الكرام عثراتهم إلا فى حد من حدود الله »(۱)

وقال العلامه محمد تقى المجلسى فى شرح كلمه (الشبهات): «بكل ما اشتبه عليكم حتى فى المسأله إذا كانت مشتبهه لتعارض الأدله أو لعدمها ظاهراً »(۲)، وقال عبد القادر عوده: «الشبهه هى ما يشبه الثابت وليس بثابت، أو هى وجود المبيح صوره مع انعدام حكمه أو حقيقته »(۳)...

۱- ينظر:، فقه الحدود والتعزيرات، السيد عبد الكريم الاردبيلى، ج ۱، ص ۸۶ و ۸۷

۲- المصدر نفسه، ج ۱، ص ۹۱

۳- المصدر نفسه، ج ۱، ص ۹۱ ،

لقد سعى الإمام الحسن عليه السلام إلى درء شبهه العدوان بالسعى إلى الصلح، فلقد أَتهم هو وأبوه وأخوه الحسين عليه السلام بأنهم يسعون إلى فض نزاعاتهم مع المسلم الآخر بالسيف لا بالحِجاج؛ فأراد الحسن عليه السلام أن يستعمل هذه القاعده الفقهيه ليبعد عنه وعنهم تهماً ما أنزل الله بها من سلطان. ومما لا خلاف عليه أن الإمام الحسن عليه السلام رأى فى الحرب مع رجل عنيد متغطرس لا يردعه رادع عن تحقيق مآربه الدنيويه مثل معاويه مفسدةً كبيرةً لأن الحرب مع هذا العناد سوف تطحن المسلمين طحناً وقد يُقتل ويعوق فيها أضعاف ما قتل وعوق فى صفين لأنها كانت تمثل الفرصه الأخيره لمعاويه؛ يخسر بخسارتها كل ما حلم به وقام ببنائه على مدى أكثر من عشرين عاماً بمساعده كل السياسيين، ومعنى ذلك أن الإسلام سوف يخسر خيره شبابه ويصبح عرضه لهجمات الأعداء من دون أن يملك فرصه الدفاع عن نفسه.

نعم كان فى الحرب منفعه لو ضمن الحسن عليه السلام النصر ولو وثق بجنده والمحيطين به على كثرتهم. وهؤلاء كانوا تحت ضغط شديد فمن جهه كانوا يرون أنفسهم ملزمين بإطاعه ولى الأمر الخليفه المنتخب والإمام المعصوم، ومن جهه أخرى لم يكونوا قادرين على استيعاب سياسه الحسن عليه السلام المبدئيه التى تبدو بنظرهم عقيمه قباله سياسه معاويه التى كانت تتحرك فى كافه الاتجاهات. ومن جهه ثالثه كانت أموال معاويه تلمع أمام أعين الطماعين منهم، فضلا عن ذلك كان رؤساء القبائل الذين يشتركون فى الحروب عاده لتحقيق المكاسب لقبائلهم يرون ما عند الإمام الحسن عليه السلام وما يمكن أن يحققه لهم أقل كثيرا مما يعدهم به معاويه. وفى مثل هذه الحال العصيه كان درء المفسده يتصارع مع تحقيق المنفعه، وكان الحسن عليه السلام بين خيارين إما أن يختار المنفعه للدين والأمه من خلال محاوله إزاله معاويه ومشاكله المستمره من طريقهم بواسطه الحرب مهما كانت

نتائجها وتضحياتها، وإما أن يروّض معاويه بالصلح لكى يكف شره عن الطيبين،

ص: ٧١٨

فإختار الصلح درء للمفسده.

أرى عقلًا أن تقديم درء المفسده على جلب المنفعه منحوت أصلًا من قاعدتين

فقهيتين الأولى:(لا ضرر ولا ضرار) والثانيه:(الأصل فى الأشياء الحليه/الإباحه)

وسيكون هذا مدار حديثنا عن الموضوع. كما أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح،

ولا خلاف فى ذلك بين المدارس الفقهيه الإسلاميه.

أما لجنه تأليف القواعد الفقهيه والأصوليه التابعه لمجمع فقه أهل البيت فقد

كانت واضحه فى تعاملها مع القاعده ابتداءً من النص الذى قالوا عنه: «نص القاعده:

دفع المفسده أولى من جلب المنفعه » وصولاً إلى تطرقهم إلى الألفاظ الأخرى للقاعده،

مثل: «إذا دار الأمر بين دفع المفسده وجلب المنفعه كان دفع المفسده أولى من جلب

المنفعه .»

ولتوضيح القاعده قالت اللجنه: «إذا وقع التزاحم بين واجب وحرام بأن يكون

فى فعل مصلحه ملزمه وفى فعل آخر مفسده ملزمه، ولم يتمكن المكلف من امتثالهما فإنه

يقال بترجيح جانب الحرام على جانب الواجب لأن دفع المفسده أولى من جلب المنفعه .»

وتستند مدرستنا فى إقرارها لهذه القاعده على «إن الظاهر من كلمات من تعرض

لهذه القاعده هو وضوحها عند العقل ولذا لم يتعرضوا لمستندها»(۱)

أما الشيخ باقر الإيروانى فيرى: «إن قاعده (دفع المفسده أولى من جلب المصلحه)

هى تامه فى بعض الموارد وليس دائما، فإن المناسب ملاحظه درجه المصلحه ودرجه

۱- كافه الاقتباسات أعلاه مستقاه من كتاب قواعد أصول الفقه على مذهب الإماميه، إعداد لجنه تأليف القواعد الفقهيه والأصوليه التابعه لمجمع فقه أهل البيت،الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه، المجمع العالمى لأهل البيت، طهران، ۱۴۲۳ هـ، ص ۱۷۴

المفسده، فربما تكون المصلحه اكبر بكثير من المفسده، كما لو فرض أن فعل الجهاد أو الصلاه توقف على فعل محرم صغير كاجتياز المغصوب بمقدار شبر، فيلزم فعل الواجب وترجيح المصلحه لا ترك الواجب والتضحيه به لأجل عدم ارتكاب المحرم الصغير، هذا بلحاظ الأمثله الشرعيه. وأما بلحاظ الأمثله العرفيه فمن الواضح أن العاقل يذهب إلى المكان الذى يتضرر فيه بمقدار قليل ما دام يستفيد من ذهابه إليه فوائد كبيره معنويه وماديه »(۱)

ويرى الشيخ الإيروانى: «إن القاعده المذكوره تنفع لو حصل قطع بالأولويه دون ما إذا حصل ظن بها، فإنه ليس بحجه ومن الواضح أن غايه ما يحصل عاده هو الظن بالأولويه دون القطع »(۲)

كذلك يرى المحقق الخوئى بأنه: «على القول بالامتناع ووحده المجمع وجودا وماهيه، فهو إما مشتمل على المصلحه دون المفسده أو المفسده دون المصلحه، فليس فى مورد الاجتماع مفسده ومصلحه ليدور الأمر بين دفع المفسده وجلب المنفعه حتى يقال بأن دفع المفسده أولى من جلب المنفعه »(۳)

وقد أورد الشيخ الكلينى عن عبد الله بن بكير عن زراره عن أبى جعفر عليه السلام قال: «إن سمره بن جندب كان له عذق(۴) فى حائط لرجل من الأنصار، وكان منزل الأنصارى بباب البستان، وكان يمرّ به إلى نخلته ولا يستأذن، فكلّمه الأنصارى أن

۱- كفايه الأصول فى أسلوبها الثانى، الشيخ باقر الإيروانى،مؤسسه إحياء التراث الشيعى، رقم الإصدار ۱۹ ، النجف الأشرف، ۱۴۲۹ هجريه، ج ۳، ص ۵

۲- كفايه الأصول، ص ۶۰

۳- قواعد أصول الفقه على مذهب الإماميه، مصدر سابق، ص ۱۷۶

۴- العذق: هو النخله بحملها

يستأذن إذا جاء، فأبى سمره، فلما تأبّى جاء الأنصارى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فشكا إليه وخبّره الخبر، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وخبّره بقول الأنصارى وما شكا، وقال: إن أردت الدخول فاستأذن. فأبى، فلمّا أبى ساوَمه حتى بلغ به من الثمن ما شاء الله، فأبى أن يبيع ذلک، فقال: لک بها عذق يمدّ لک فى الجنّه، فأبى أن يقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للأنصارى: إذهب فاقلعها وإرمِ بها إليه، فإنه لا ضرر ولا ضرار »(۱)

وفق هذا الفهم للقاعده وأصول اشتقاقها نجد أن كل من اعترض على صلح الحسن عليه السلام كان جاهلاً لمعنى هذه القاعده، إذ لو كانوا على علم بمضمونها لما كانوا قد إعترضوا عليه، ولا إعتبروا الصلح ذُلاًّ، فالإمام المعصوم عليه السلام أدرى بمكمن المفسده والمصلحه من جميع الناس، وهو أولى من غيره بتطبيق قواعد الإسلام شاء الناس أم أبَوا.

أما بعض أتباع مدرسه الخلفاء من الذين تعللوا بحجج واهيه ووصفوا الإمام الحسن عليه السلام بأوصاف دنيويه قالوا بأنها دفعته إلى طلب الصلح؛ فإنهم أكثر جهلاً من أتباع مدرستنا الذين عدو الصلح ذلاً، والدليل أنّ فقه مدرسه الخلفاء هو الآخر أولى قاعده درء المفسده أهميه كبيره ولهم فى ذلک قول نصه: «فإن قاعده: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، من القواعد الفقهيه التى حام حولها كثير من كلام أهل العلم فى كتب الأحكام والقواعد الفقهيه والمقاصد، مما يؤكد على أهميه هذه القاعده ومكانتها بين القواعد الفقهيه »(۲)

ولهم رأى يقول بأن هذه القاعده ثابته من الكتاب والسنه: «لقد نهى الإسلام عن مضره الآخرين، وأصَّل فى ذلک قاعده تندرج تحتها كثير من المسائل العلميه، وهى: درء

ص: ۷۲۱

۱- فروع الكافى،ج ۵، ص ۹۷۱ ، حديث رقم ۲، باب الضرار، طبعه دار المرتضى

٢- ملتقى أهـــل الحـــديث، موضـــوع بعنـــوان: قاعـــده: درء المفاســـد مقـــدم على جلـــب المصالـــح:// http
www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=٢١٢٥٠٤

المفاسد مقدم على جلب المصالح، والأدله على هذه القاعده ثابته بالكتاب والسنه، ولها صور من الواقع الذى نعيشه»(۱)

ويرون كذلك إن: «من المسلمات المعروفه فى الشريعه الإسلاميه أن درء المفسده عن الناس وجلب المصلحه لهم، بكفاله ضرورياتهم وتوفير حاجياتهم وتحسيناتهم من أهم مقاصدها العامه. ولو استقرأنا نصوص القرآن الكريم والسنه النبويه الشريفه وآراء المذاهب الفقهيه وجدنا أن تحقيق مصالح الجماهير الواسعه يأتى فى مقدمه تلك المصالح، حتى غدت هذه القضيه لوضوحها فى النصوص وتواترها فى النقل عن السلف الصالح تشكل قاعده فقهيه عامه، تحسم مسأله تعارض المصالح الخاصه مع المصالح العامه، لصالح العامه دائماً .»

وهناك فيهم من يرى الأمر أوسع مما تقدم، ولاسيما فى حديثه عن معنى القاعده:

«تدل القاعده على أن المفاسد متى ما كانت أكبر من المصالح فإن الواجب دفعها قدر الإمكان، ولا ينظر فى تحقيق المصلحه لكونها مغموره فى المفسده، أما إذا كانت المصلحه أعظم من المفسده فالقول الراجح هو الإتيان بتلك المصلحه لكون المفسده مغموره فى تلك المصلحه، وإن تساوت المفاسد والمصالح وهو أمر يكاد يكون متعذراً فقد اختلف فيه العلماء على ثلاثه أقوال:

القول الأول: دفع المفسده أولى من جلب المصلحه.

القول الثانى: إن جلب المصلحه أولى من دفع المفسده

۱- موقع إسلام ويب، http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContentaudioid=179956

القول الثالث: التوقف أو بالتخ فى كل حاله بِحَسَبِها وما يلابسها»(۱)

ومن أقوالهم فى هذا المعنى: «فإنَّ القاعده الفقهيه تقول: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. والمفسده: هى التى تلحق بمن وقعت عليه الضرر، وهى مرتبطه بقول النبى « :صلى الله عليه وآله لا ضرر ولا ضرار ». والمصلحه: هى التى تجلب المنفعه لمن كانت له هذه المصلحه.

والمعنى العام للقاعده: أنه إذا تعارضت مفسده مع مصلحه فالأولى أن لا ننشغل بالمصلحه، بل الأولى إزاله المفسده؛ لأن إزاله الضرر أولى من جلب المنفعه؛ لأن إزاله المفسده أو درءها فيها منفعتان: المنفعه الأولى: عدم وقوع المفسده. المنفعه الثانيه: تركُ المرء سالماً؛ لأن الضر إذا وقع على الإنسان فإنه يعيقه عن كثير من المصالح التى لا بد أن يتقدم لها. ففيها منفعتان: قطع هذه المفسده التى كانت ستقع، وأيضاً قطع أبواب مفاسد أخرى يمكن أن تجرها هذه المفسده »(۲)

إن مدرسه الخلفاء تعد هذه القاعده «من القواعد الكبرى التى يعتمد عليها الفقهاء فى تقرير الأحكام الشرعيه للحوادث والمسائل المستجده، وأغلب كتب القواعد الفقهيه عبرت عنها بقول: «الضرر يزال »، وعبر عنها الشيخ عبد الرحمن السعدى، والدكتور البورنو، والأستاذ الزرقاء ب «لا ضرر ولا ضرار » وهو ما جعله الآخرون أصلاً لها »(۳)

۱- ملتقى أهـــل الحـــديث، موضـــوع بعنـــوان قاعـــده: درء المفاســـد مقـــدم على جلـــب المصالـــح. http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=۲۱۲۵۰۴

۲- ينظر، موقـــــــع إســـــــلام ويـــــــب = http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page FullContentaudioid=۱۷۹۹۵۶

٣- الوجيز فى إيضاح قواعد الفقه الكليه، الدكتور محمد صدقى بن أحمد البورنو، ط ٥، مؤسسه الرساله،بيروت، ١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٨ م، ص ٧٧ وينظر: ج ٢ ص ٧٧٩ ، المدخل الفقهى العام، مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم للطباعه والنشر والتوزيع السلسله: الفقه الإسلامى فى ثوبه الجديد، ٢٠٠٤

وهم يرون إن «هذه القاعده من أركان الشريعه، وتشهد لها نصوص كثيره من الكتاب والسنه وهى أساس لمنع الفعل الضار وترتيب نتائجه فى التعويض المالى والعقوبه، وهى أيضاً سند لمبدأ الاستصلاح فى جلب المصالح ودرء المفاسد، وهى عده الفقهاء وعمدتهم وميزانهم فى تقرير الأحكام الشرعيه للحوادث »(۱)، ويؤمنون بأن أصلها قوله صلى الله عليه و آليه: « لا ضرر ولا ضرار » وهو حديث أخرجه مالك فى الموطأ عن عمرو بن يحيى عن أبيه مرسلًا. وأخرجه الحاكم فى المستدرک والبيهقى، والدارقطنى من حديث أبى سعيد الخدرى، وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس وعباده بن الصامت.(۲)

ويبنى فقهاء مدرسه الخلفاء على هذه القاعده كثيراً من أبواب الفقه ولاسيما فقه البيوع، منها: الرد بالعيب، وجميع أنواع الخيارات من اختلاف الوصف المشروط والتعزير وإفالس المشترى والحجر بأنواعه، والشفعه؛ لأنها شرعت لدفع ضرر القسمه، والقصاص والحدود و الكفارات، وضمان المتلف والقسمه، ونصب الأئمه والقضاه، ودفع الصائل وقتال المشركين والبغاه، وفسخ النكاح بالعيوب أو الإفساد أو غير ذلک(۳) ويعتقدون بأن(هذه القاعده مستفاده من استثناء القرآن الكريم فى حالات

ص :۷۲۴

۱- ينظر: المدخل الفقهى العام، الأستاذ أحمد الزرقاء ج ۲ص ۸۷۹ . الوجيز فى إيضاح قواعد الفقه الكليه د. محمد صدقى بن أحمد البورنو، ص ۸

۲- الأشباه و النظائر، الشيخ زين العابدين ابن إبراهيم، شرح:احمد بن محمد الحنفى الحموى ابن نجيم المصرى الحنفى، دار الكتب العلميه،بيروت،لبنان، ۱۴۰۰ ه_ ۱۹۸۰ م، ص ۵

۳- الأشباه والنظائر فى قواعد وفروع فقه الشافعيه، جلال الدين عبد الرحمان السيوطى ت ۹۱۱ ،ط ۲، تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبه نزار الباز، مكتبه نزار مصطفى الباز مكه المكرمه — الرياض، ۱۴۱۸ ه_ / ۱۹۹۷ م، ص ۴

الاضطرار الطارئه فی ظروف استثنائیه بقوله تعالی: إلا ما اضطررتم إلیه.(۱)

وهم یرون بأن الضرر لا یُزال بمثله أو بالضرر، ویقولون: «هذه القاعده تعتبر قیداً لقاعده: (الضرر یزال) التی أوجبت إزاله الضرر قبل وقوعه ودفعه بعد وقوعه، فإزاله الضرر لا یجوز أن تکون بإحداث ضرر مثله؛ لأن هذا لیس إزاله، ومن باب أوْلی أن لا یزال الضرر بضرر أعظم منه، فالشرط أن یزال الضرر بلا إضرار بالغیر، فإن أمکن وإلا فبأخف منه. وعلی ذلک لا یجوز لإنسان محتاج إلی دفع الهلاک عن نفسه جوعاً أن یأخذ مال محتاج مثله، کما لا یجوز لمن أُکره علی القتل أن یقتل إذا کان المراد قتله مسلماً بغیر وجه حق. وإذا ظهر فی المبیع عیب قدیم وحدث عند المشتری عیب جدید إمتنع رد المبیع بالعیب القدیم لتضرر البائع بالعیب القدیم إلا أن یرضی »(۲)

کما یرون أن الضرر الأشد یزال بالضرر الأخف باختیار أهون الشرین أو أخف الضررین تبعا لقاعده: «إذا تعارضت مفسدتان روعی أعظمهما ضرراً بارتکاب أخفهما(۳) أی أن الأمر إذا دار بین ضررین أحدهما أشد من الآخر فیتحمل الأخف ولا یرتکب الأشد ». والأصل فی هذه القواعد قولهم: «إن من أُبتلی ببلیتین وهما متساویتان یأخذ بأیتهما شاء، وإن إختلفتا یختر أهونهما؛ لأن مباشره الحرام لا تجوز إلا للضروره، ولا ضروره فی حق الزیاده »(۴)

وکلما سرنا مع قواعدهم الفقهیه نصل إلی حقیقه صلح الحسن علیه السلام بالرغم مما

۱- غمز عیون البصائر وشرح کتاب الأشباه والنظائر، احمد بن محمد الحنفی الحموی،دار الباز، مکه المکرمه، ۱۴۰۵ / ۱۹۸۵ م، ص ۶۷۲ ، والمدخل الفقهی العام: الزرقاء ص ۵

۲- ینظر: الوجیز للدکتور البورنو، ص ۲

۳- أشباه ابن نجیم ص ۹۸

۴– المصدر نفسه، ص ۹۸

تعرض له، فهم بعد تلك القواعد أجازوا قاعده أخرى تقول: «يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام » باعتبار أن هذه القاعده مبنيه على المقاصد الشرعيه فى مصالح العباد. ولكنهم ذهبوا فى تفسيرها بعيداً، فقالوا ب «جواز رمى كفار تترسوا بالأسرى من المسلمين أو صبيانهم أو نسائهم لدفع ضرر زحفهم عن العموم »(1)وهو ما يعرف اليوم فى الفقه السلفى الذى ينتهجه تنظيم (القاعده) بقاعده (الترس) التى استخدمها الإرهابيون فى العراق بقيامهم بتفجيرات أدت إلى قتل عشرات المسلمين بهدف قتل شخص كانوا يترصدونه!.

وفق هذه المفاهيم بمستواها الأسمى قرر الإمام الحسن عليه السلام درء المفسده الكبيره وتفضيل ذلك على المصلحه التى كان يراها صغيره ويراها الآخرون اكبر من أن يتم التنازل عنها. ولكن ألا يعتبر تنازله عن الحرب قعوداً عن الجهاد؟.

إن الحسن عليه السلام بوصفه الإمام المعصوم لابد ان يكون عارفاً بفضل الجهاد على القعود فى الإسلام، وكم جعل الله للمجاهد فى سبيله من فضل وحسنات ودرجات، وقد اخذ الحسن والحسين عن أبيهما أحاديث الجهاد(2)، ونقلوها إلى أبنائهم الذين ما تركوا الجهاد فى يوم ما، ولذا صبغت دماؤهم وجه التاريخ الإسلامى كله، وبالتالى لا يمكن للإمام الحسن عليه السلام أن يترك جهاد معاويه بالبساطه التى يتحدث عنها التاريخ المحرف، وقد ثبت أن الإمام الحسن عليه السلام رأى فى السلم والموادعه جهاداً أكبر يفوق جهاد السيف فركن

ص :726

1- الوجيز للدكتور البورنو، ص 58 . وابن نجيم ص 78 ، المدخل الفقهى العام للزرقا، ص 489.
2- فى فروع الكافى الجزء الخامس كتاب كامل عن الجهاد يقع فى اثنين وثلاثين بابا من ص 773 ولغايه ص 812 ما ترك حديثا ورد عن أهل البيت بشأن الجهاد إلا وذكره، فهل يعقل أن الإمام الحسن لم يلتفت إلى هذا الكم الكبير من الأحاديث؟

...

إلى السلم ليحفظ بيضه الإسلام.

ومن لب قواعد الإسلام الفقهيه انطلق الإمام الحسن عليه السلام ليتنازل مؤقتاً عن الخلافه الدنيويه دون الإمامه الربانيه درءاً للمفاسد الكثيره التى تترتب على إصراره على القتال، ولكن لم يتم التعمق فى فهم هذا المقصد السامى النبيل فأُثيرت الشبهات حول الصلح بعد أن قام بعض الإفتائيين ببناء قواعد فقهيه كثيره على أصل الصلح وعلى الأحاديث التى ورد فيها ذكره ولاسيما منها الأحاديث التى وضعها الطرف المنتصر ليشرعن من خلالها مقاتلته للخليفه الشرعى وجلوسه على كرسى حكم الأمه المسلمه.

ويكاد حديث «ابنى هذا سيد » أن يكون المثال الأكثر وضوحا على هذا التلاعب.

بل هل من تحريف أكبر مما جاء فى خطبه معاويه يوم دخل (النخيله) منتصراً والذى جاء فى كتب التاريخ عنه، ومنهم الشيخ المفيد : «فلما تم الصلح سار معاويه حتى نزل النخيله وهى معسكر الكوفه وكان ذلك يوم جمعه فصلى بالناس وخطبهم. وقال أبو الفرج: انه جمع الناس بالنخيله فخطبهم قبل أن يدخل الكوفه خطبه طويله لم ينقلها أحد من الرواه تامه وجاءت مقطعه فنذكر ما انتهى إلينا منها، فقال: ما إختلفت أمه بعد نبيها إ لا لا ظهر أهل باطلها على أهل حقها ثم إنتبه فإستدرك وقال إ لا لا هذه الأمه فإنها وإنها. قال المفيد وأبو الفرج وقال فى خطبته إنى والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا إنكم لتفعلون ذلك ولكنى قاتلتكم لأتأمرّ عليكم، وقد أعطانى الله ذلك وأنتم كارهون، إلا وانى كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمى لا أفى بشىء منها. وفى روايه أبى الفرج أنه قال إن كل شىء أعطيته الحسن بن على تحت قدمَى هاتين لا أفى به قال أبو الفرج قال شريك فى حديثه هذا: هو التهتك.

وقال المدائنی: خطب معاویه أهل الکوفه فقال: أترانی قاتلتکم علی الصلاه والزکاه

والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكّون وتحجّون ولكننی قاتلتكم لأتأمّر عليكم وعلى

رقابكم وقد آتانی الله ذلك وأنتم كارهون إن كل مال أو دم أصيب فی هذه الفتنه لمطلول

وكل شرط شرطته فتحت قدمَی هاتين(۱) .

ص :۷۲۸

۱- موسوعه الحسن، الرابط http://www.mezan.net/mawsouat/hassan/solh.html

كان مقدراً لنزاع معاويه مع الإمام الحسن عليه السلام أن يقسم الأمه إلى قسمين متناحرين؛

سواء انتصر معاويه فى النزال، أم بقى الأمر كما هو عليه، بما يشبه انقسام الأمه إلى رعايا

يحكمهم منهجان مختلفان فى دولتين واحده فى الكوفه والثانيه فى الشام. أقول هذا

لأن فرص انتصار الحسن عليه السلام عسكرياً فى هذه المنازله كانت منطقياً شبه معدومه، بل

معدومه كلياً والأسباب واضحه معروفه، فما تأثير عشرين أو ثلاثين ألف مقاتل كوفى

غير متجانسين فكريا ولا متوافقين عقديا ولا منهجيا قباله مئه وثلاثين ألف مقاتل

شامى تم إعدادهم إعداداً فكرياً وعقدياً وعسكرياً لمثل هذه المواقف وهذه المنازله على

مدى أكثر من عشرين عاماً فأصبحوا وحده متجانسه وأهدافها محدده واضحه.

ولما كان الأئمه المعصومون يرون أن وحده المجتمع من أهم أسس وركائز

المجتمع المسلم الإنموذجى، فإنهم لا يمكن أن يخالفوا قاعدتهم هذه لأى سبب كان،

نعم كان المفروض بالأمه أن تعرف وتدرك أن أسس الوحده التى يقوم عليها نظام

المجتمع المسلم لا تتحقق إلا من خلال التطبيق الحرفى لقوله تعالى:(وَاعتَصَمُوا بِحَبلٍ الله جَميعاً و لا تَفَرَّقُوا) وتعرف أن حبل الله واضح جلى دلاهم عليه رسول الله ،صلى الله عليه وآله

وأرشدهم إلى معناه بما لا يقبل التأويل إطلاقاً فى قوله: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به

لن تضلوا بعدى أبداً: كتاب الله وعترتى أهل بيتى » ولكن هذا قد لا يكفى أمه غاب

عنها الدفاع عن الحق منذ مؤتمر السقيفه وإلى يوم شورى السته، فأراد الله للأمه أن تمر

بامتحان نزاع معاويه مع الإمام الحسن عليه السلام، وأراد للإمام الحسن عليه السلام أن يتحمل وزر

هذا الامتحان، ومع ثقل ما حمله أن يدعو إلى الوحده كرها للفرقه وحفظاً للدين.

إن الدعوه للوحده الإسلاميه كانت منهج الإمامه المعصومه المقدم على كثير من المناهج الأخرى، وقد تحمل أئمه أهل البيت من اجل هذه القضيه وهذا المبدأ لوماً كثيراً، ولؤماً أكثر، وظلماً بلا حدود! ومع ذلك أصروا على متابعه العمل والسير نحو الهدف المنشود حتى وهم يرون تراثهم نهباً، ومع هذا وذاك يبقى علمهم بالمستقبليه الأكثر تأثيراً فى قراراتهم وذلك أنهم يعرفون الدرب الذى يسيرون عليه وإلى أين سيوصلهم وما نتيجه ذلك؛ فتراهم يقاتلون ويصالحون، ويسكتون ويثورون تبعاً لهذه القواعد المقدسه، وخير دليل على ذلك ما أورده الشيخ محمد اليعقوبى عن كتاب الإمام الحسين عليه السلام إلى رؤساء أخماس البصره الذى جاء فيه: «أما بعد فإن الله إصطفى محمدا صلى الله عليه وآله من خلقه وأكرمه بنبوته وإختاره لرسالته، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلّغ ما أُرسل به، وكُنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه فى الناس، فأستأثر علينا قومنا فرضينا وكرهنا الفرقه وأحببنا العافيه ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحق علينا ممن تولاه »(١)

إن الإنسان العاقل الذى يسعى إلى تحقيق ما ينشدُ اليه سلماً أفضل بكثير مما لو حققه من خلال الحرب، فالحرب كالنار يجب أن تُستخدَم كآخر علاج بعد أن تعجز العلاجات الأخرى عن الحل، بل قد يتم التنازل عن بعض المطالب المهمه فى سبيل عدم خوض الحرب حفاظاً على الأمه والدين؛ وذلك هو منهج الإمامه الذى رسمه الإمام على عليه السلام بتخلِّيه عن محاربه من أغتصب حقه، وقمين بالحسن وهو الابن البار لعلى عليهما السلام أن يكون أكثر الناس تطبيقاً لسياسه والده، وإن كان على عليه السلام قد أوقف مطالبته بحق التنصيب الإلهى على طريق السلم والحجاج والقتال، فإن الحسن عليه السلام أوقف مطالبته بذلك الحق على وثيقه الصلح التى وقعها مع معاويه.

۱- دور الأئمه فی الحیاه السیاسیه، الشیخ محمد الیعقوبی، مؤسسه البدیل، دار المتقین، بیروت، ه_۱۴۳۰ ۲۰۰۹ م، ص ۹۹ ، عن مقتل الحسین للمقرم، ص ۲۰۷

وثيقه الصُلح

من الغريب واللافت للنظر أنهم مع كل تلك الضوضاء التى أثاروها حول الصلح لم يلتفتوا كثيراً إلى ثمره الصلح وإلى مضمون وثيقه الصلح أو شروطه، ولذا تجدهم يتجاوزونها، أو يذكرون بعضا منها ويسكتون عن الآخر، أو يوزعونها على مجمل أقوالهم عن الصلح، وغالباً ما يبترون بعضها أو يبدلون كلمه محل أخرى أو يغيرون الصياغه حتى كادت أن تضيع علينا ويتلاشى أثرها، وبدل ذلك أكدوا على الصحيفه البيضاء التى أرسلها معاويه إلى الإمام الحسن عليه السلام بعد أن وافق على الصلح يبغون من وراء ذلك إظهار معاويه بمظهر الحريص المتسامح المستعد لتقديم كل ما يخطر ولا يخطر على البال من أجل حقن دماء المسلمين ونزع فتيل الحرب، وقد كانت الصحيفه البيضاء أكثر أهميه عندهم من محتواها الذى سطره الإمام الحسن عليه السلام بيده الشريفه.

إنَّ مجرد قول الطبرى: «وكان الحسن لا يرى القتال، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاويه »(۱) يظهر الحسن عليه السلام بمظهر الطمّاع الجَشع الذى أراد أن يستغل الفرص لتحقيق المكاسب الشخصيه وعليه يجب أن تتساوق مطالبه وشروطه مع هذا الجشَع الذى وصفوه به، فيضع من الشروط ما يضمن له الكسب المادى فى كافه المجالات المتاحه، فلماذا يمتنع عن ذلك ويكتفى بعدّه شروط فحسب؟ ولماذا يتجاهلون تلك الشروط؟.

۱- تاریخ الطبری،المجلد ۳،ص ۹۴۱

ومجرد قوله: «وقد أرسل معاويه قبل هذا إلى الحسن بصحيفه بيضاء مختوم على

أسفلها، وكتب إليه: أن اشترط فى هذه الصحيفه التى ختمت أسفلها ما شئت فهو

لك »(۱) يعنى أنّ الفرصه كانت متاحه أمام الحسن عليه السلام ليتعمق فى الطلب، ويتنوع فى

الرغبه، ويتفنن فى الكسب، وهذه كلها لا يمكن أن تجمعها خمسه أو سته شروط بل

تحتاج إلى الكثير من التفصيل والتخصيص فى الأقل لكى يحمى نفسه ويضمن حصوله

على تلك المكاسب، فلماذا يتجاهلونها؟.

بل إن الطبرى نفسه جاء بما يثبت أن الحسن عليه السلام طمع فى سماحه معاويه وتجاوز

على سقف المطالب التى طالب بها أولاً، فأضاف إليها أشياء أخرى، حيث قال عن

الصحيفه: «فلما أتت الحسن اشترط أضعاف الشروط التى سأل معاويه قبل ذلك »(۲)

ومن حقنا أن نسأل الطبرى: إذن لماذا لم تذكرها، لماذا أغفلتها وهى بهذه الكثره التى

تصفها بها؟.

وأكثر ما تعرضت له الشروط من دسٍّ وتشويه جاء من السياسيين أنفسهم ومن

أحفادهم بما فيهم المعاصرون، فالدكتور الصلابى ذكر بعضاً منها، وليس كل شروط

الصلح، ولكنه فنَّد كل فقره أوردها، وكذب الروايات بشأنها.

فعن الشرط الأول الخاص بوجوب عمل معاويه بكتاب الله وسنه رسوله، أضاف

الصلابى مقتبسا من الصواعق المحرقه جمله (وسيره الخلفاء)وهى ليست موجوده فى

النص الأصلى، ثم قال بعد ذلك: «وهذا دليل على توقير الحسن بن على لأبى بكر وعمر

وعثمان وعلى إلى حد جعل من إحدى الشروط على معاويه بن أبى سفيان انه يعمل

۱- الطبرى، المجلد ۳، ص ۹۴۲ - ۹۴۳

٢- المصدر نفسه، ٣، ص ٩٤٣

ویحکم فی الناس بکتاب الله وسنه رسوله وسیره الخلفاء الراشدین»(۱)

والملاحظ أن هناک توجهاً واسعاً نحو هذا الاعتقاد الغریب إذ لیس الصلابی

وحده من تحدث عن فقره (سیره الخلفاء) فهناک کثیرون ومنهم الشیخ موسی صاحب

کتاب (حلیم أهل البیت) الذی أورد هو الآخر هذه الزیاده الغریبه فی الشرط الأول

للصلح، فأورده بنص: «علی أن یعمل فیها بکتاب الله تعالی وسنه رسول الله وسیره

الخلفاء الصالحین ». والزیاده فی النص هی قوله: (وسیره الخلفاء الصالحین) وفی روایه

أخری أوردها تجد الزیاده تنص حرفیاً علی (سیره الخلفاء الراشدین) التی رفض الإمام

علی علیه السلام العمل بها، حیث یقول النص الزائد: «علی أن یعمل فیها بکتاب الله تعالی وسنه

نبیه وسیره الخلفاء الراشدین المهدیین »(۲)

إن مجرد إعطاء معاویه صحیفه بیضاء للحسن لیکتب ما یشاء من الشروط یثبت

أن الحسن ما کان لیحکم نفسه بما رفض أبوه أن یحکم به نفسه من قبل، وأن معاویه ما

کان لیطلب من الحسن علیه السلام إضافه هذه الجمله لأنه کان متلهفا لعقد الصلح أکثر مما هو

مهتماً بشروطه ولاسیما وأنه بیَّت فی خاطره أن یتنکر للشروط متی ما تمکن. إن موافقه

معاویه علی کتابه الحسن علیه السلام لهذه الجمله تضعه أمام مسؤولیه ما کان لیوافق أن یضع

نفسه تحتها، وبالتالی أری أن معاویه لم یکن مستعداً لیربط نفسه بهذا القید حتی ولو أصر

الإمام الحسن علیه السلام علی تضمینه لشروط الصلح.

أما الشرط الثانی المتضمن (أن یکون الحسن خلیفه من بعد معاویه) فقد فنده

الصلابی باقتباس عن فتوح ابن أعثم الذی روی عن الحسن أنه قال: «أما ولایه الأمر

۱- الصلابی، مصدر سابق، ص ۳۲۰

٢- حليم أهل البيت الحسن، الشيخ موسى محمد على، ص ١٨٦

من بعده فما أنا بالراغب فی ذلک ولو أردت هذا الأمر لم أسالمه ». ثم أقتبس من

صواعق ابن حجر الهیثمی مدعیاً أن الحسن طلب أن یکون الأمر شوری بین المسلمین

ولم یخص نفسه، ونص ابن حجر المقتبَس هو: «بل یکون الأمر من بعده شوری بین

المسلمین » ووصل إلی محصله مفادها: «طلب الخلافه بعد معاویه نجد أنها تتنافی مع

أنفه وقوه وکرم الحسن، فکیف یتنازل عن الخلافه حقناً لدماء المسلمین ثم یوافق علی

أن یکون تابعاً وتشرئب عنقه للخلافه » وختم تأویله بالقول: «ومن الملاحظ أن أحداً

من أبناء الصحابه أو الصحابه لم یذکروا خلال بیعه یزید شیئا من ذلک، فلو کان الأمر

کما تذکر الروایات عن ولایه عهد الحسن علیه السلام بعد معاویه لأتخذها الحسین ابن علی علیه السلام

حجه.. ولو کان الحسن علیه السلام أسند إلیه منصب ولایه العهد فی الشروط لکان قریباً بعد

معاویه من إداره الدوله أو تولی إحدی الأقالیم الکبری لا أن یذهب إلی المدینه وینعزل

عن إداره شؤون الحکم .»

أما الشیخ موسی فقد أورد هذا الشرط بصیغتین:

الصیغه الأولی: «لیس لمعاویه أن یعهد لأحد عهداً، بل تکون الخلافه للحسن من

بعده، أو یکون الأمر شوری بین المسلمین .»

الصیغه الثانیه: «ولیس إلی معاویه بن أبی سفیان أن یعهد إلی أحد من بعده عهداً بل

یکون الأمر من بعده شوری بین المسلمین »(۱)

وتجد اختلافا مخزیا فی صیاغه هذا الشرط المحرف کما فی نق الدکتور والشیخ عن

ما هو فی الشرط الحقیقی، فالمعروف أن الحسن علیه السلام طلب فی شرطه أن تکون الخلافه

له من بعد معاویه، فإن أصابه مکروه تکون للحسین علیه السلام؛ ولم یرد موضوع الشوری

١- ينظر: المصدر نفسه، ص ١٨٦

فی صیغه الشروط، ولا فی صیغه الوثیقه کلها. والمضحک أن الشیخ موسی نسی هذا

القول وأورد فی شروط معاویه التی تقابل شروط الحسن والتی سنوردها فی ختام

المبحث اعترافاً فی الشرطین الأول والعاشر منها یخالف ما جاء به من قبل، نص معاویه

فی الشرط الأول الذی أورده الشیخ، علی: «لک الخلافه من بعدی فأنت أولی الناس بها،

ولک بذلک عهد الله ومیثاقه » ونص فی الشرط العاشر منها علی: «الولایه للحسین إن

حدث بنا حدث » وهذه الصیغه تأتی لتأکید شرط الإمام الحسن علیه السلام ورداً علیه واعترافاً

صریحاً من معاویه بموافقته علی ما جاء فی الشرط، فکیف یلزم معاویه نفسه بشرط یقیده

ویلزمه وهو غیر موجود فی شروط الحسن علیه السلام؛ ویترک الشرط الذی ذکروه والذی یتیح

له تعیین من یشاء للخلافه، لو کان الحسن علیه السلام لم یتطرق فی شروطه إلی الخلافه؟

أما عن شرط التوقف عن سب الإمام علی علیه السلام فینقل الصلابی عن شیخه الدکتور

محمد بطاینه قوله الاحتمالی الذی یبدأه ب_ (قد): «فقد لا تکون هذه القضیه بحثت بین

الحسن ومعاویه وقد أتهم الشیعه معاویه علی سب علی ولعنه فوق المنابر، فهذه الدعوه

لا أساس لها من الصحه... ولم یثبت قط فی روایه صحیحه، ولا یعول علی ما جاء

فی کتب الدمیری والیعقوبی وأبی الفرج الأصفهانی، علما بأن التاریخ الصحیح یؤکد

خلاف ما ذکره هؤلاء من إحترام وتقدیر معاویه لأمیر المؤمنین علی وأهل بیته، فحکایه

لعن علی علی منابر بنی أمیه لا تتفق مع منطق الحوادث ولا طبیعه المتخاصمین»(۱)

وقد أورد الشیخ موسی هذا الشرط بتسلسل (۴) ونصه: «أن یترک سب علی وأن

لا یذکره إلا بخیر » ولم یعلق علیه، بما یؤکد وجود الشرط ضمن الشروط.(۲)

ص:۷۳۵

۱- ینظر: الصلابی، مصدر سابق، ص ۳۱۹ – ۳۲۸

٢- سبق وأن تحدثنا باختصار عن موضوع السنه التى أبتدعها معاويه بسب الإمام على عليه السلام

ونظراً لأهميه الشروط التى ذكرها الشيخ موسى ولاسيما وأنه أورد لائحه أخرى

للشروط تحت عنوان (شروط معاويه للصلح) وضعها قباله لائحه شروط الحسن ،عليه السلام

سوف أنقل النص حرفياً إتماماً للفائده.

قال الشيخ موسى: «كتب الإمام الحسن ، وكان ذلك بمسكن » وهذا أول

الوهم فالحسن عليه السلام لم يكن بمسكن، ولم يصل إليها، لأنه كان حينها فى المدائن، والصلح

تم عن طريق المراسله وليس المفاوضات المباشره. المهم أن الشيخ ذكر لائحه الصلح

وشروطه، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه الحسن بن على معاويه بن أبى سفيان، صالحه على أن يسلم إليه

ولايه المسلمين

١ . على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنه رسول الله وسيره الخلفاء

الصالحين.

٢ . ليس لمعاويه أن يعهد لأحد عهداً، بل تكون الخلافه للحسن من بعده، أو

يكون الأمر شورى بين المسلمين. وفى روايه أخرى: « وليس إلى معاويه بن

أبى سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً بل يكون الأمر من بعده شورى

بين المسلمين .»

٣ . الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى فى شامهم وعراقهم وحجازهم

ويمنهم.

۴ . أن يترك سب على وأن لا يذكره إلا بخير.

...

۵. أصحاب علی آمنون علی أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حیث کانوا

فلا یتعرض لأحد منهم بسوء.

۶. أن لا یبتغی للحسن بن علی ولا لأخیه الحسین ولا لأحد من أهل بیت رسول

الله غائله سراً ولا جهراً ولا یخیف أحداً منهم فی أفق من الآفاق.

۷. أن یوصل لکل ذی حق حقه.

۸. أن یوفر للحسن حقاً قدره خمسون ملیون درهم (۵۰ ألف ألف) فی کل سنه.

۹. أن یقضی له جمیع دیونه.

۱۰ . أن لا یطالب أهل الحجاز والعراق بشیء مما کان أیام أبیه.

۱۱ . أن یعطیه ما غفی بیت مال الکوفه وهو خمسه ملایین درهم (خمسه آلاف

ألف).

۱۲ . أن یکون له خراج دارأبجرد بفارس أو کورین من کور البصره.

وعلی معاویه بذلک عهد الله ومیثاقه، وشهد علیها عبد الله بن الحارث وعمرو بن

سلمه وغیرهما، وکفی بالله شهیدا (۱).

أما لائحه شروط معاویه المقابله لشروط الإمام الحسن علیه السلام، فقد نصت علی:

۱. لک الخلافه من بعدی فأنت أولی الناس بها، ولک بذلک عهد الله ومیثاقه.

۲. لک ما فی بیت مال العراق من مال بالغاً ما بلغ، تحمله إلی حیث شئت.

۳. لک خراج أی کور العراق شئت، معونه علی نفقتک یجبیها أمینک ویحملها

۱- حلیم آل البیت الحسن بن علی، الشیخ موسی محمد علی، ص ۱۸۳ - ۱۸۴

إليک کل سنه.

۴. أن لا يستولی عليک بالإساءه ولا أبغيک غائله او مکروها.

۵. لا تقضی ديونک الأمور.

۶. لا تعصی فی أمر أردت فيه طاعه الله.

۷. أن لا يتبع أحد بما مضی بالسب أو القذف.

۸. لا ينال أحداً من أتباع علی بمکروه.

۹. لا يذکر علی إلا بخير.

۱۰ . الولايه للحسين إن حدث بنا حدث.

۱۱ . لک خراج دار الحرب من أرض فارس وخراج أبجرد أيضا.

۱۲ . ولک فی کل سنه خمسون مليون درهم(۱).

إن التلاعب بشروط الصلح وإعاده صياغتها بعيداً عن أصولها يأتی مکملًا لتخريب عمل السياسيين الأوائل ومتساوقاً معه وداعماً لخطه بما يعنی أن الحراک السياسی الأول لا زال فاعلًا ومتحکماً فی علاقه المسلمين مع بعضهم، ولا زالت تأثيراته باديه علی سلوکهم وتعاملهم مع الآخر، ويعنی هذا أن المشاکل والإشکالات التی أثارها الفعل السياسی قديما تثار اليوم بشکل وأسلوب آخر قريباً فی جوهره من الأصل، وهی التی تتسبب فی مشاکل المسلمين فيما بينهم وبينهم وبين الآخر وأتباع الديانات الأخری والحضاره العالميه القائمه، وتوقع الفوضی فی مجتمعاتنا وتنشر ثقافه الکراهيه والحقد.

۱- المصدر نفسه، ص ۱۸۵ - ۱۸۶

معاويه والصُلح

هذا هو معاويه الذى يصفه اليعقوبى بأنه: «جهم الوجه، جاحظ العين، وافر اللحيه، عريض الصدر، عظيم الإليتين، قصير الساقين والفخذين »(۱) تحول بعد الصلح إلى إنسان آخر، لا تحده حدود، ولا توقفه سدود، يبتدع فتخاف الناس أن ترد عليه إبتداعه، ويأتى من يضع الأحاديث على لسان الصحابه ليشرعنوا تلك البدع؛ ففى حاشيته على حديث ابن أبى مليكه قال العسقلانى: «أوتر معاويه بعد العشاء بركعه وعنده مولى لابن عباس فأتى ابن عباس، فقال: دعه فإنه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله قال العسقلانى: «قوله:(باب ذكر معاويه)أى ابن أبى سفيان واسمه صخر ويكنى أيضا أبا حنظله بن حرب بن أميه بن عبد شمس، أسلم قبل الفتح، وأسلم أبواه بعده، وصحب النبى صلى الله عليه وآله وكتب له، وولى إمره دمشق عن عمر بعد موت أخيه يزيد بن أبى سفيان سنه تسع عشره وإستمر عليها بعد ذلك إلى خلافه عثمان، ثم زمان محاربته لعلى وللحسن، ثم إجتمع عليه الناس فى سنه إحدى وأربعين إلى أن مات سنه ستين، فكانت ولايته بين إماره ومحاربه ومملكه أكثر من أربعين سنه متواليه »(۲)

أما كيف تعامل معاويه مع شروط الصلح، فذلك يحتاج إلى فيلق من علماء النفس والأطباء النفسيين لتحليل هذه الشخصيه المركبه المعقده ولاسيما وأنه مهَّد لضرب

۱- تاريخ اليعقوبى،ج ۲،ص ۱۶۶

۲- فتح البارى شرح صحيح البخارى، أحمد بن على بن حجر العسقلانى، مصدر سابق، ص:۱۳۰

شروط الصلح بعرض الحائط وعدم الوفاء بها حتى فى لحظه إرساله الصحيفه البيضاء

إلى الحسن عليه السلام، ولقد حاول المؤرخون الدفاع عنه بحجج واهيه ولكنهم لم ينجحوا فى

إخفاء تنصله عن تلك الشروط، فقالوا فى دفاعهم أن الحسن عليه السلام بعد أن اشترط أضعاف

الشروط التى سأل معاويه قبل ذلك فى الصحيفه المختومه (امسكها عنده) أى لم يرسلها

إلى معاويه ليعرف ما فيها فيوافق أو يرفض، وبالمقابل: «امسک معاويه صحيفه الحسن

التى كتب إليه يسأله ما فيها، فلما التقى معاويه الحسن سأله الحسن أن يعطيه الشروط

التى شرط فى السجل الذى ختم معاويه فى أسفله، فأبى معاويه أن يعطيه ذلک، فقال:

لک ما کنت کتبت إلى أولا تسألنى أن أعطيكه، فإنى قد أعطيتک حين جاءنى كتابک.

فقال الحسن: وأنا قد اشترطت حين جاءنى كتابک وأعطيتنى العهد على الوفاء بما فيه،

فاختلفا فى ذلک، فلم ينفذ للحسن من الشروط شيئا »(۱)، ومع كل هذه الصراحه التى

لا يمكن تأويلها أكثر مما جاء فيها يأتى أحد أحفاد السياسيين ليدعى كذباً بعيداً عن كل

أصول البحث العلمى والمنطق والأخلاق.

أن هذا الأمر لم يقع، وإن معاويه: «التزم العمل ببنوده »(۲)، وهذا كذب مفضوح

ودس رخيص كان ولا زال يتحكم فى مناهج بحث بعض المدارس الإسلاميه.

لم يكن هذا الاختلاف هذا إذاً آخذنا بأقوالهم على علاتها مجرد سوء فهم أو اختلاف

على بعض ما جاء فى الصحيفه؛ لأن مجرد موافقه معاويه على إرسال صحيفه بيضاء

ممهوره بختمه، حتى لو صدقنا قولهم أن الحسن عليه السلام وقعها ولم يرسلها إلى معاويه ليطلع

عليها؛ يعنى انه أعطى الحسن عليه السلام صكا موقعا على بياض جاهزاً للصرف بعد كتابه

المبلغ أياً كان مقداره فيه، وليس من حقه أن يعترض على المبلغ تحت أى ذريعه وأى عذر

١- تاريخ الطبرى، المجلد ٣، ص ٤٤٣

٢- المصدر نفسه، ص ١٨٧

فالقانون لا يحمى المغفلين! فكيف وعشرات كتب التاريخ تثبت أن تبادل وثائق الصلح تم بين الطرفين بعد دمغها من قبل الشهود، وبموجب هذا التبادل تم وقف إطلاق النار وإتمام ما اتفقوا عليه؟

إن تخبطهم يذكرنى بما أورده ابن قتيبه عن الحديث الذى دار بين الإمام الحسن عليه السلام وسليمان بن صرد الخزاعى بعد الصلح والذى ادعوا فيه أن سليمان حينما دخل على الإمام قال: «السلام عليك يا مذل المؤمنين »!ثم تخبطوا فى حقيقه من قال هذه الجمله فقالوا مره أنه سفيان بن أبى ليلى، وقالوا مره أخرى أنه أبو عامر سعيد، وغير ذلك،المهم أن ابن قتيبه يروى من خلال هذا الحوار المزعوم أن سليمان أو أى من الأسماء التى ذكروها قال للحسن عليه السلام معاتبا: «ثم لم تأخذ لنفسك ثقه فى العهد، ولا حظا من القضيه، فلو كنت إذ فعلت ما فعلت وأعطاك ما أعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق كنت كتبت عليه كتاباً بذلك وأشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب أن هذا الأمر لك من بعده كان الأمر علينا أيسر »(١)، أى أن ابن قتيبه ينكر أن تكون هناك صحائف قد تُبودِلت بين الجانبين، ويقتصر على كلام شفهى دار بينهما، والسبب أن ابن قتيبه من الجماعه الذين توهموا أن الحسن عليه السلام ومعاويه التقيا فى أرض المعركه كما يتضح من قوله عن الإمام الحسن عليه السلام: « فلما تمت البيعه له واخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلک كاتب معاويه فأتاه فخلا به فإصطلح معه على أن لمعاويه الإمامه ما كان حياً، فإذا مات فالأمر للحسن»(٢)

أما الحقيقه التى أحجم الرواه والمؤرخون عن التحدث عنها فهى أن السياسيين كانوا يعتبرون الصلح الذى إعتبره الإمام الحسن عليه السلام مرحله لحفظ الدين؛ كانوا يعتبرونه من جانبهم مرحله مؤقته لامتصاص الغضب الشعبى، فإذا نجحوا فى ذلک؛ وهم قد...

۱- الإمامه والسياسه، ابن قتيبه الدينوری، ج ۱، ص ۱۸۶
۲- المصدر نفسه، ج ۱، ص ۱۸۴

نجحوا فعلاً، فإن توظيف الصلح نفسه لقتل الإمام الحسن علیه السلام کان مرحله أخری من مراحل مشروعهم الذرائعی، وقد جاء رفضهم للشروط المدرجه فی الصحیفه لاستفزاز الإمام الحسن علیه السلام عسی أن یرفض الصلح أو أن یخرج منه قول أو یبدر منه فعل فیه تهدید أو وعید لهم، فیتخذوه ذریعه لقتله،وقد تقدم حدیثنا عن مؤامره عمرو بن العاص یوم طلب من معاویه أن یجبر الحسن علیه السلام لإلقاء خطبه فی شعبه وأمته بکل ما یمثله ذلک من حرج لقائد قد یعتقد شعبه إنه إنهزم فی المنازله!.

إن هذا الحراک غیر العقلانی یأتی للدفاع عن السیاسیین الذین لم یلتزموا بالشروط التی أوجب الإسلام علی المسلم أن یلتزم بها، فالإسلام کان صریحاً دقیقاً واضحاً، کما فی قوله تعالی: {یا ایها الذین امنوا أوفوا باالعقود}(۱)، ذلک لأن الصلح قیمه علیا وهو من المفردات المهمه التی أولاها الخطاب القرآنی عنایته فکثر تداولها به، وأستخدمها بمعان جاءت مشتقه من جذرها، وفی الکتاب العزیز الکثیر من الکلمات المرتبطه بالصلح، مثل: صالح، صالحا، الصالحات، الصالحون، صالحین، الصالحین.

وجاء فی مفردات الراغب الأصفهانی: الصلاح ضد الفساد.. وقوبل فی القرآن تاره بالفساد؛ وتاره بالسیئه، والصلح یختص بإزاله النفار بین الناس، یقال منه: اصطلحوا وتصالحوا(۲).

وفی معجم المصطلحات الفقهیه: صُلح: هو إنهاء الخصومه والاتفاق بعد النزاع.

واصطلاحا; عقد الصلح هو عقد للتسالم والتراضی بین شخصین ویکون العمل علی طبق ما اتفقا علیه، وهو لازم علی الطرفین.

۱- سوره المائده،الآیه ۱.

٢- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهانی، ط ۶، ذوی القربی، قم، ۱۴۳۱ ه‍ـ، ص ۴۸۹ ۴۹۰ .

وفی اللغه صُلْحٌ،(ص ل ح): عَقَدَ صُلْحاً بَيْنَهُما وِفَاقاً بَعْدَ خِصَامٍ. إِنهاءُ حَالَهِ

الحرب، وفی مسند أبی داود والترمذی:(الصلح جائز بین المسلمین، إلا صُلحاً أحل

حراماً أو حرّم حلالاً).

والصلح معاقده یتوصل بها إلی الإصلاح بین المختلفین ویتنوع أنواعاً: صلح بین

المسلمین وأهل الحرب، وصلح بین أهل العدل وأهل البغی وصلح بین الزوجین إذا

خیف الشقاق بینهما. وأجمعت الأمه علی جواز الصلح فی هذه الأنواع التی ذکرناها

ولکل واحد منها باب یفرد له، یذکر فیه أحکامه(۱)

والمعاقده تعهد وعهود، ولا یوجد من ینکر أن شروط الصلح کانت عهوداً واجبه

الوفاء بکل ما لکلمه عهد من معنی فی فکر وعقیده الإسلام وقد وضع الإسلام قواعد

للوفاء بالعهود وحدوداً لمن یخلفها، علماً إنه حتی فی الجاهلیه کانت هناک آداب توجب

علیهم حفظ العهود حیث کانت عهود الجوار سائده فی قریش ومثلها عقود السقایه

والحجابه وغیرها وکانوا یرعونها حق رعایتها وحینما جاء الإسلام إمتدح فیهم حسن

صنیعهم مع العهود أما أن یأتی مسلم یُطلق علیه لقب (أمیر المؤمنین) وینقض عهوده

بل ویضعها تحت قدمه فذلک نزول إلی ما دون مستوی الجاهلیه. ویری عدنان النجوی:

«أن کل عهد یبرمه المؤمن فی حیاته یجب أن یکون عهداً نابعاً من عهده مع الله، مرتبطاً

به، ماضیاً معه (۲)

ولما کان معاویه قد تخلی عن عهده للحسن علیه السلام فإنه بذلک یثبت عدم إرتباطه بعهد

۱- المغنی، موفق الدین أبو محمد عبد الله بن قدامه المقدسی الحنبلی، الجزء الثانی عشر، کتاب الصلح.

۲- العهد والبیعه وواقعنا المعاصر،الدکتور عدنان علی رضا النجوی، دار الهدی للطباعه والنشر،الریاض، السعودیه، ۱۴۱۰ ه_

١٩٩٠ م،ص ٥٩.

الله سبحانه لأن «نقض العهود واتخاذ الأيمان بها دخلًا وغدراً هو صوره من صور

السقوط وزله القدم، وصوره كذلک من الصد عن سبيل الله »(۱)ولذا أرى أن المدارس

الإسلاميه التى تجيز قتل الآخر بالرغم من وجود عهود عقديه بينهما يفرضها الاشتراک

بالعقيده إنما وضع أسسه الفقهيه عمل معاويه تجاه صلحه مع الحسن عليه السلام وهو لوحده

يحمل كل الأوزار التى تترتب على ذلک تبعاً لقوله صلى الله عليه و آله : « من سن سنه حسنه.... » لكننا

نسأل: وماذا بعد أن رفض معاويه الشروط، وتآمر لقتل الإمام؟

كان من المفروض، بل من الطبيعى تبعاً للأعراف الدينيه والمجتمعيه المتداوله

أن يقوم الإمام الحسن عليه السلام هو الآخر بالتخلى عن تلک الشروط ما دام الطرف الثانى

قد أخل بها وهذا متداول حتى فى عصرنا الراهن فى الاتفاقيات الدوليه بل وحتى فى

الأعراف العشائريه، ولكن الإمام عليه السلام بقى مصراً على التمسک بها لأنه يعرف أن أعمال

معاويه كانت بهدف استفزازه ودفعه عنوه لكى يعلن عن رفضه الصلح فيقوم بأمر

قواته بقتله والتخلص منه، وينفذ ما منعه الحسن عليه السلام عن تنفيذه فى المره الأولى.

أما بعيداً عن الروايات المسيسه فإن الوقائع كلها تثبت أن معاويه حرق الشروط

كلها دفعه واحده، فلم يعمل بكتاب الله وسنّه نبيّه و(سيره الخلفاء الصالحين) كما

نصت الماده الأولى المحوره. ولم يلتزم بشرط أن يكون الأمر من بعده للحسن ثم للحسين عليهما السلام فجعل الولايه لابنه يزيد من بعده. ولم يتوقف عن سب الإمام على عليه السلام

تبعاً للشرط الثالث بل أصر على سب على وإبنه الحسن عليه السلام. ولم يعطِ الحسن عليه السلام خراج

أبجرد كما نص البند الرابع مدعياً أن أهلها منعوه وهو لا يمكن أن يضغط عليهم. ولم

يلتزم بخامس الشروط الخاص بأمان شيعه على عليه السلام ومحبيه فبدأ بمطاردتهم والقصاص

١- المصدر نفسه، ص ٣

منهم وقَتْلُ حجر بن عدی وجماعته خیر شاهد علی ذلک.

بل إن المؤرخین یجمعون علی أن معاویه ألقی فی النخیله قبل أن یدخل الکوفه خطبه طویله، کما فی روایه المعتزلی: «وسار معاویه حتی نزل النخیله وجمع الناس بها فخطبهم قبل أن یدخل الکوفه خطبه طویله لم ینقلها أحد من الرواه تامه وجاءت متقطعه فی الحدیث وسنذکر ما إنتهی منها إلینا »(۱) ، فلماذا لم یذکروا منها سوی مقاطع صغیره؟ ولماذا تم إخفاء غالبها؟ ألا یأتی ذلک لأسباب لا تحتاج إلی کثیر عناء لکی تُعرف وأنها بطولها کانت علی غرار ما رواه الاعمش بن عمرو بن مره عن سعید بن سوید قال: صلی بنا معاویه بالنخیله الجمعه ثم خطبنا فقال: «والله إنی ما قاتلتکم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزکُوا، إنکم لتفعلون ذلک، وإنما قاتلتکم لأتأمر علیکم، وقد أعطانی الله ذلک وأنتم کارهون »، وعلی غرار: «ألا إن کل شیء أعطیته الحسن بن علی تحت قدمی هاتین، لا أفی به (۲).

ص :۷۴۵

۱- شرح النهج،م ۴،ج ۱۶ ،ص ۱۶

۲- المصدر نفسه

الحسن علیه السلام بعد الصُلح

منذ (۴۱) هجریه ولغایه ۴۹ أو ۵۰ أو ۵۱ هجریه علی اختلاف الروایات یقبع

فی الظل والعتمه عقد زمنی من الصراع المریر، عقد عاشه الإمام الحسن علیه السلام بین نارین

مستعرتین، نار الحزن علی دین جده صلی الله علیه وآله الذی یراه یتهاوی تحت ضربات السیاسیین،

ونار الحزن وهو یری نظاماً ودوله تمر فی مرحله التأسیس المضطربه الحساسه فتسحق

فی طریقها آثار البناء النبوی العلوی، وفضلا عن هذه وتلک کانت قیود الصلح وأوامر

الوفاء بالعهد تُحَجم حراکه وتجعله یحسب للکلمه ألف حساب قبل أن یتفوه بها، ولذا

وجد الإمام الحسن علیه السلام نفسه فی وضع خطیر، إما أن یتحمل ما یوجه إلیه من نقد لاذع

وکلام جارح من قبل الأصدقاء والأعداء ویسکت، وإما أن یجاهد دون أن یخرج علی

تعهداته وإلتزاماته، فإختار المواجهه الناعمه لتکون طریقه لرد هجماتهم والتصدی

لتخریبهم. فی هذه المرحله الحساسه الحاسمه التی یصفها بعض أحفاد الفصیل السیاسی

بأنها کانت مرحله وذّ ووئام بین الحسن علیه السلام والسیاسیین الدنیویین. فی وقت یعرف

القاصی والدانی أن سهام الحقد کانت تنطلق باتجاه الحسن علیه السلام من کل جانب. وفی الحالتین

کان علیه أن یوضِّح منهجه والأسباب التی دفعته إلی الصلح والعوده إلی مدینه جده .صلی الله علیه وآله

کانت کتب معاویه تأتیه بالتهدید والوعید فیتصدی لها ولمن یلومه علی موقفه من

معاویه، روی المدائنی عن إبراهیم بن محمد عن زید بن أسلم قال: «دخل رجل علی

الحسن بالمدینه وفی یده صحیفه فقال له الرجل: ما هذا؟ قال: هذا کتاب معاویه یتوعد

فیه علی أمر کذا، فقال الرجل: لقد کنت علی النصف فما فعلت؟ فقال له الحسن: أجل

ولکنی خشیت أن تأتی یوم القیامه سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً تشخب أوداجهم دماً

کلهم تستعدی الله فیم هریق دمه (۱)

وکان أتباع معاویه یسبون الإمام علی علیه السلام علناً وعلی مسمع منه لإغاظته، فکان

یتصدی لهم بإباء کبیر، قال المدائنی: وروی أبو الطفیل، قال: «قال الحسن لمولی له

أتعرف معاویه بن خدیج؟ قال: نعم، قال: إذا رأیته فأعلمنی، فرآه خارجاً من دار عمرو

بن حریث، فقال: هو هذا، فدعاه، فقال له: أنت الشاتم علیاً عند ابن آکله الأکباد دائماً،

والله لئن وردت الحوض، ولن ترده، لترینه مشمراً عن ساقیه، حاسراً عن ذراعیه یذود

عنه المنافقین (۲)

وکان یفضح ممارساتهم ویوضح لهم خاتمه أمرهم بسبب تولیهم معاویه وخذلانهم

الدین، قال أبو الحسن (المدائنی): «حدثنا سلیمان بن أیوب عن الأسود بن قیس العبدی

أن الحسن علیه السلام قال لقی یوما حبیب بن مسلمه فقال له: یا حبیب رب مسیر لک فی غیر

طاعه الله! فقال: أما مسیری إلی أبیک فلیس من ذلک؟ قال: بلی والله ولکنک أطعت

معاویه علی دنیا قلیله زائله، فلئن قام بک فی دنیاک؛ لقد قعد بک فی آخرتک، ولو کنت

إذ فعلت شراً وقلت خیراً کان ذلک کما قال الله عز وجل:((خلطوا عملا صالحا و ءاخر سیِـئا)) ولکنک کما قال سبحانه: ((کلا بل ران قلوبهم ما کانوا یکسبون))(۳)

وکان یتابع شیعته ویدافع عنهم ویحمیهم من بطش السیاسیین وأعوانهم، قال أبو

الحسن (المدائنی): «طلب زیاد رجلاً من أصحاب الحسن ممن کان فی کتاب الأمان،

فکتب إلیه الحسن: من الحسن بن علی إلی زیاد، أما بعد، فقد علمت ما کنا أخذنا من

۱- المصدر نفسه، م ۴،ح ۱۶ ، ص ۷

٢- المصدر نفسه، المعتزلي.

٣- المصدر نفسه، م ٤،ح ١۶ ، ص ٧.

الأمان لأصحابنا، وقد ذكر لی فلان أنک تعرضت له فأحب أن لا تعرض له إلا بخیر، والسلام)(۱) وهذا مغایر لما ادعاه الصلابی الذی یری أن الهاشمیین کانوا فی المدینه محل إجلال وتکریم واحترام من معاویه (۲)

وکان علیه أن یتصدی ویُقوِّمُ ویرشد وعاظ السلاطین، والمتفیقهین، ومن نصبوا أنفسهم فی موضع الإفتاء والتفسیر، ومن سمع من الرسول صلی الله علیه وآله فوعی کُلًا أو جزءاً، ومن لم یعِ شیئاً، وکِلا الأنموذجین کانا یکلمان الناس ویعلمانهم الدین ولاسیما الدین المخلوط بآراء السیاسیین، ویستنبطون الأحکام الفقهیه من هذا الخلط. فالمدینه یوم عاد إلیها الإمام الحسن علیه السلام کانت تعج بخلیط هجین من الناس بما فیهم صحابه رسول الله صلی الله علیه وآله والتابعین، حیث کان فیها عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وأبو سعید الخدری وجابر بن عبد الله الأنصاری وأبو هریره وکثیرون غیرهم، وکان لکل منهم طریقته فی التعامل مع الأحداث ومعطیاتها حتی کثرت الرؤی والآراء، وکان الفکر الحسنی هو بیضه القبان المطلوب منها أن توازن بین الأطروحات.

أذکر هنا أن کل ما وقع فی معسکر الإمام الحسن علیه السلام فی المدائن بما فیه الطعنه التی وجهها له الخارجی جراح بن سنان کان من تدبیر وتخطیط معاویه، وفی حدیثه عن المراسلات قبل الصلح بین الإمام ومعاویه ذکر ابن أبی الحدید أن معاویه کتب للحسن مهدداً: «أما بعد فإن الله یفعل فی عباده ما یشاء لا معقب لحکمه وهو سریع الحساب فأحذر أن تکون منیتک علی أیدی رعاع من الناس »(۳). ومعاویه لا یعلم الغیب ولا یملک شیئا من العلم اللدنی ولیس بالمتنبیء أو العالم بالأبراج والنجوم وحساب الفلک

۱- المصدر نفسه، م ۴،ح ۱۶ ، ص ۷.

٢- ينظر سيره أمير المؤمنين، الصلابى، ص ٣٥٠
٣- شرح نهج البلاغه، م ٤، ج ١٦ ، ص ١٣ .

ليعرف أن هناك رعاعاً سوف يحاولون قتل الحسن عليه السلام لو لم يكن هو من دبر تلك المكائد،

وهو بعد سلسله الجرائم الوحشيه التى إرتكبها والتى صبر عليها الإمام الحسن عليه السلام قرر

التخلص منه؛ فدس له السم وقتله بنفس الطريقه والخديعه التى إستعملها مع مالك

الأشتر (رضوان الله تعالى عليه) لتصدق مقولته القميئه: «إن لله جنوداً من عسل » فقال

الإمام الحسن عليه السلام وقد حضرته الوفاه: «لقد حاقت شربته، وبلغ أمنيته، والله ما وفَّى بما

وعد، ولا صدَّق فيما قال (۱)

وسواء كان معاويه قد طلب الصلح خدعه أو أن الإمام الحسن عليه السلام قد طلبه تنفيذاً

لوصيه جده فى الإصلاح بين الفئتين فإن الأمه هى الملامه أولاً وأخراً لأنها لم ترعى أهل

بيت النبوه بما أمر به جدهم صلى الله عليه وآله، ولم يتمسكوا بهم، وإنما تمسكوا بالسياسيين الدنيويين

الذى أخرجوهم من الدين وأدخلوهم الدنيا، «عن عبد الله بن الحسن المثنى عن أبيه

الحسن السبط عليه السلام قال: خطبنا جدى المصطفى صلى الله عليه وآله يوماً فقال بعد أن حمد الله تعالى

وأثنى عليه: معاشر الناس إنى أدعى فأجيب، وإنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله

وعترتى أهل بيتى إن تمسكتم بهما لن تضلوا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض

فتعلموا منهم ولا تعلِّموهم فإنهم أعلم منكم ولا تخلوا الأرض ولو خلت لساخت

أو لإنشاخت بأهلها، ثم قال: اللهم إنك لا تُخلى الأرض من حجهٍ على خلقك لئلا

تبطل حجتك ولا تضل أولياءك بعد إذ هديتهم، أولئك الأقلون عددا والأعظمون قدراً

عند الله عز وجل، ولقد دعوت الله تبارك وتعالى أن يجعل العلم والحكمه فى عقبى

وعقب عقبى وفى زرعى وزرع زرعى إلى يوم القيامه فاستجب لى (۲)

۱- تذكره الخواص: ۲۳، وتاريخ ابن عساكر: ۴ / ۲۲۶، وحليه الأولياء: ۲ / ۳۸، وصفوه الصفوه: ۱ / ۳۲۰.

٢- أهل البيت، الحسن بن على،توفيق أبو علم، ط ٣، دار المعارف، القاهره، مصر، ص ١٤ .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكرر على أسماع الأمه: «أللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً « » أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم»« اللهم أحب من أحبهم وابغض من ابغضهم ووال من والاهم وعاد من عاداهم وأعن من أعانهم وأجعلهم مطهرين من دنس معصومين من كل ذنب » فكم واحد من الأمه تمسك بهذه الوصايا؟ وكم واحد أخلص لرسول الله وأتبع أمره؟ أنا لا أريد الإدعاء بأن لا أحد تمسك بهذه الدعوات لأن هناك من خلص الصحابه والتابعين من تمسك حرفياً بكل قول تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن هؤلاء كانوا قله قليله لأن السياسيين حرفوا الناس عن الطريق القويم وأثَّروا على عقولهم، وربما لهذا السبب كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ما استقبل الحسن أو الحسين عليهما السلام يبكى لكى ترسخ الوقائع فى قلوب المسلمين ولا يعلوا عليها فى قلوبهم رنين الدنانير.

لقد أقبل الحسن عليه السلام على جده صلى الله عليه وآله فناداه: «إلى إلى يا بنى فأدناه وأجلسه على فخذه وبدأ يذكر الأمه بما سيمر عليه فقال: أما الحسن فإنه إبنى وولدى منِّى وقره عينى وضياء قلبى وثمره فؤادى وهو سيد شباب أهل الجنه وحجه الله على الأمه، أمره أمرى وقوله قولى، فمن تبعه فإنه منى ومن عصاه فليس منى وإنى لمّا نظرت إليه تذكرت ما يجرى عليه من الذل بعدى » وأنا واقعاً متى ما قرأت هذا النص الغريب أقف عند جمل منه بعينها ومنها قوله صلى الله عليه و آله : « وهو سيد شباب أهل الجنه »« وحجه الله على الأمه » فهى تأكيد دامغ لا يقبل التأويل على أن من رفض حجيه الحسن عليه السلام إنما رفض حجيه رسول الله صلى الله عليه وآله وعصاه وخرج عن طوعه وخالف أمره. وقوله: «أمره أمرى وقوله قولى » التى تعنى أن من وضع أمره قباله أمر الحسن عليه السلام إنما جاء بتحد للنبوه بقدسيتها ووضع أمره قبالتها تحديا لها. وقوله: «فمن تبعه فإنه منى ومن عصاه فليس منى » التى تعنى أن الذين تبعوا السياسيين وأطاعوهم وخالفوا الحسن عليه السلام وعصوه فإنهم أخرجوا أنفسهم من طاعه

رسول الله صلی الله علیه وآله ودخلوا فی طاعه الشیطان، فماذا بعد ذلک؟ ماذا یحتاج المعترض أکثر من

ص: ۷۵۱

هذه الحقائق لكى يعرف موضع قدمه قبل أن تزل به إلى الهاويه؟

وجاء عن عائشه أن النبى صلى الله عليه وآله كان يأخذ حسناً فيضمه إليه ثم يقول: «اللهم إن هذا ابنى وأنا أحبه وأحب من يحبه »(۱)، فهل أن من حاربه وظلمه وآذاه وسلبه حقه يحبه ويحب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وهل أن من قاتله ووضع شروط الصلح تحت قدمه وآذاه ينجو بفعلته اللئيمه هذه، وهو الذى آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وآذى الله سبحانه؟ بل هل أن من نسىَّ الدور الريادى الكبير للإمام الحسن عليه السلام فإتهمه بأنه أخلد بصلحه إلى الدِعه وآثر العافيه والراحه، وفّاه حقه؟

رحم الله سماحه السيد المجاهد عبد الحسين شرف الدين الذى قال فى مقدمته لكتاب صلح الحسن للشيخ راضى آل ياسين: «ومن الغريب بقاء الناس فى عشواء غماء من هذا الصلح إلى يومهم هذا (۲)

لقد أدرك الإمام الحسن عليه السلام أن وضع الكوفه والأمصار التى بايعته لا يقوى على تجهيز جيش له قدره الوقوف بوجه الجيش الشامى الجرار، وشعر بالخطر مع تضاؤل المسافه بين جيش الشام والكوفه ولذا لجأ إلى خطه محكمه أراد من خلالها تأخير هجوم معاويه إلى أن يتمكن من تجميع قواته فلجأ إلى المراسلات التى تنوعت معانيها ومضامينها بين التهديد والوعيد إلى الدعوه للإصلاح وحقن الدماء وتوحيد السيوف الإسلاميه باتجاه واحد، أى أنه استدرج معاويه من خلال تلك الرسائل ليتمهل بالهجوم على الكوفه، فلما اعترضت جهده مواقف الخذلان التى بدا عليها جنده وشعبه المثخن بالجراح وذكريات المعارك الدمويه آلى على نفسه أن لا يكون السبب فى سفكك دماء ليسَ

۱- المصدر نفسه، ص ۳۶.

٢- صلح الحسن، الشيخ راضى آل ياسين،شركه الأعلمى للمطبوعات، بيروت، ١٤٣١ ه‍ــ٢٠١٠ م، ص ٥.

من ورائها طائل، فوافق على الصلح الذى عرضه عليه معاويه، فصان بذلک الدين ودماء المؤمنين.

أما الوجه الذى تجرأ وقاتل حبيب الله ورسوله، وهو معاويه بن أبى سفيان بن حرب فقد حاول فى سعيه لشرعنه وجوده على رأس هرم السلطه أن يخلق منظومه حديثيه وينسبها لرسول الله صلى الله عليه وآله تمتدحه وتطعن بالآخر، فأوجد جيشا من الوضاعين الذين باعوا آخرتهم بدنياهم؛ رضوا أن يضعوا له مئات الأحاديث التى وصل الأمر ببعضها أنها طعنت بصحابه آخرين مثل أبى بكر وعمر كما فى حديثهم «حدثنا محمد بن الحسين الفارسى قال: حدثنا محمد بن بكار السكسكى قال: حدثنا أبو القاسم يزيد بن محمد بن عبد الصمد قال: حدثنا محمد بن شعيب بن شابور قال: حدثنا مروان بن جناح، عن يونس بن ميسره بن حلبس الحبلانى، عن عبد الله بن بشر: أن رسول الله صلى الله عليه وآله استشار أبا بكر وعمر فى شیء، فقالا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله: ادع لى معاويه. قال: فغضب أبو بكر وعمر فقالا: أما كان فى رسول الله ورجلين من قريش ما يجدون أمر رسول الله؟ فقال رسول الله: ادع لى معاويه. فلما جاءه وقف بين يديه، فقال: حملوه أمركم ؛ فإنه قوى أمين (۱)

ويأتى هذا بعد أن دعا له النبى صلى الله عليه وآله كما يزعمون بالعلم والوقايه من النار، ففى المصدر نفسه: «حدثنا الحسين بن عمر، حدثنا إسماعيل بن محمد، حدثنا الحسن بن عرفه، حدثنا قتيبه بن سعيد، عن ليث بن سعد، عن معاويه بن صالح، عن يونس بن سيف، عن الحارث بن زياد صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله: دعا لمعاويه، فقال: اللهم علمه

۱- شرح أصول اعتقاد أهل السنه والجماعه، مصدر سابق، ج ۸، ص: ۱۵۲۵ ، حديث رقم ۲۷۷۶

الكتاب والحساب، وقه العذاب (۱)

وفی حدیث آخر قالوا أن النبی دعا له لیجعله الله هادیاً للأمه: «حدثنا علی بن

عمر، حدثنا إسماعیل بن محمد، حدثنا عباس بن محمد، حدثنا أبو مسهر، حدثنا سعید،

عن ربیعه بن یزید، عن عبد الرحمن بن أبی عمیره المزنی قال سعید: وکان من أصحاب

النبی، عن النبی، قال فی معاویه: اللهم اجعله هادیاً مهتدیاً، وأهده وأهد به (۲)

وفی حدیث آخر یبشره بأنه من أهل الجنه بعد أن تعذر إدخال اسمه ضمن قائمه

(العشره المبشرین) لأسباب خاصه! بل وإنه یتزاحم مع رسول الله صلی الله علیه وآله علی باب الدخول

إلی الجنه کفرسی رهان أو کالسبابه والوسطی، وقد یسبق الرسول صلی الله علیه وآله لأن الحدیث لم

یذکر من سبق منهما!: «حدثنا علی بن عمر قال: حدثنا إسماعیل بن محمد قال: حدثنا

عباس بن محمد قال: حدثنا عبد العزیز بن یحیی المروزی، سکن الدجیل قال: حدثنا

إسماعیل بن عیاش الحمصی، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دینار، عن عبد الله بن عمر

قال: قال رسول الله: یدخل علیکم من هذا الباب رجل من أهل الجنه، فدخل معاویه،

ثم قال من الغد، ودخل معاویه، ثم قال من الغد مثل ذلک فدخل معاویه، فقال رجل:

یا رسول الله هذا هو؟ قال: هذا هو. ثم قال رسول الله: أنت منی یا معاویه وأنا منک،

أنت تزاحمنی علی باب الجنه کهاتین السبابه والوسطی قال: وجمعهما (۳)

بل وجاؤوا بحدیث ادعوا فیه أن النبی صلی الله علیه وآله وعده بالخلافه وقال له إذا ولیت فإتق الله

وأعدل!: «حدثنا محمد بن أحمد بن سهل قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال:حدثنا

بشر بن موسی قال: حدثنا أحمد بن محمد الأزرقی قال: حدثنا عمرو بن یحیی، عن جده

۱- المصدر نفسه، ص ۱۵۲۷ ، حدیث ۲۷۷۷ ،

٢- المصدر نفسه، ص ١٥٢٧ ،حديث ٢٧٧٨

٣- المصدر نفسه، ص ١٥٢٧ ،حديث ٢٧٧٩

قال: كانت إدواه(١) يحملها أبو هريره يوضئ بها رسول الله فأخذ معاويه إدواه مثلها،

وكان يتبع بها رسول الله فنظر إليه النبى، وقال: إن وليت أمراً فإتق الله واعدل (٢)

ونسبوا إلى معاويه حديثا يدعى فيه بأنه لن يخرج من الدنيا إلا بعد أن يبتلى بالخلافه،

كما فى قوله الذى أخرجه له جماعه شرح أصول اعتقاد أهل السنه: «قال معاويه: قد

عرفت أنى لا أفارق الدنيا حتى أبتلى؛ لقول رسول الله: إن وليت أمرا فاتق الله واعدل(٣)

ولا أدرى من ضربه على يده لكى يبتلى نفسه بالخلافه؟ أليس هو الذى حارب

علياً عليه السلام ودس له من يقتله غدراً كل ذلك طمعاً بها؟ أليس هو من حارب الحسن عليه السلام

ودس له من يسقيه السم ختلاً طمعاً بها؟ أليس هو من أوصى ولده يزيد بقتل كل من لا

يبايعه على الخلافه حتى ولو كان الحسين ابن النبى صلى الله عليه وآله؟ أليس هو من قال لأهل الكوفه:

بل قاتلتكم لأتأمر عليكم؟ أليس هو الداهيه الماكر الذى إستخدم كل إنحطاط السياسه

وغدرها لكى يستولى على خلافه المسلمين؟

ومع إنتهاء حقبه وضع الحديث جاءت حقبه وضع المقال ونشره، وكما كان

الحديث مدفوع الثمن بالدينار الذهب أصبح المقال مدفوع الثمن بدولار البترول، وإذا

ما كان هناك من يصدق بالأقوال التافهه المكذوبه المنسوبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويأخذ بها

ويعتمدها مصدراً للتوثيق لا يصعب عليه أن يأخذ بما يأتى فى المقالات التافهه.

أليسوا هم من أرادوا تلميع الصوره المشوهه للدهاء الذى وصف به معاويه،

والذى قلنا من قبل أنه مصطلح استخدم بدلاً عن مصطلح السياسه، حيث حاول وعاظ

١- هكذا بالأصل والصحيح إداوه: وهى إناء صغير من جلد يتخذ إناء.

٢- المصدر نفسه، شرح أصول الإعتقاد، ص ١٥٢٥ حديث ٢٧٧٣ .

٣- المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٥٢٥ ، حديث ٢٧٧٤ .

السلاطين إضفاء لمسه من الشرف على سياسه الدهاء والمكر فحولوها من (الخديعه والتآمر) إلى (الأناه والحلم) حيث جاء عنهم قولهم: «حدثنا عبد الرحمن بن عمر، حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا محمد بن الصلت قال: حدثنا النضر بن إسماعيل البجلى، عن مجالد، عن الشعبى قال: الدهاه أربعه: معاويه للأناه والحلم، وعمرو للداهيه والحرب، والمغيره للمعضلات الشدائد، وزياد على الصغير والكبير (١)

وإلى الذين يعتقدون بأن الله تعالى يحب معاويه ولذا فقهه فى الدين ووفقه للفوز بالخلافه وأعانه للانتصار على أعظم شخصيتين فى التاريخ؛ الإمام على وولده الحسن عليهما السلام أكتفى بإيراد رأى المرحوم سيد قطب (٢) بمعاويه وإنتصاره المزعوم، قال سيد قطب: «إن معاويه وزميله عمرو بن العاص لم يغلبا علياً لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس، وأَخْبَرُ منهُ بالتصرف النافع فى الظرف المناسب، ولكن لأنهما طليقان فى إستخدام كل سلاح، وهو مُقيد بأخلاقه فى اختيار وسائل الصراع. وحين يركن معاويه وزميله إلى الكذب والغش والخديعه والنفاق والرشوه وشراء الذمم لا يملك على أن يتد إلى هذا الدرك الأسفل. فلا عجب إذ ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح.على أن غلبه معاويه على على، كانت لأسباب أكبر من الرجلين: كانت غلبه جيل على جيل، وعصر على عصر، وإتجاه على إتجاه. كان مدُّ الروح الإسلامى العالى قد أخذ ينحسر. وإرتد الكثيرون من العرب إلى المنحدر الذى رفعهم منهُ الإسلام، بينما بقى على فى القمه لا يتبع هذا الانحسار، ولا يرضى بأن يجرفهُ التيار. من هنا كانت هزيمته، وهى

١- المصدر نفسه، ص: ١٥٣۴ ، الجزء ٨حديث رقم ٢٧٩٠ .

٢- سيد قطب رجل دين مصرى هو الذى أسس تنظيم الأخوان المسلمين فى مصر فى خمسينات القرن الماضى

هزيمه أشرف من كل انتصار (١)

لقد ذكر سيد قطب جزء صغيراً من الحقيقه الكبيره، فماذا كان مصيره، وكيف جوبه؟ وكيف نظر إليه المعاصرون من أحفاد السياسيين القدماء؟ ولماذا وصل بهم الأمر إلى تكفيره؟ إن من يبغى التجديد والتصحيح يجابه بهجمات شرسه لإجباره إما على الرجوع عن آرائهِ، أو السكوت وعدم التكلم، ولذا كانت الهجمه التى جوبه بها سيد قطب شديده لدرجه أنهم اتهموه بأنه يسب الصحابه ويتطاول على الجيل الأول، بل ويسب الأنبياء، وأول من تبنى تكفيره هم الإفتائيون من أبناء الفصيل السياسى بالذات، ومن هؤلاء (عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ) المفتى العام للمملكه العربيه السعوديه يرد على كلام سيد قطب فى (الصحابيين)معاويه وعمرو بن العاص بقوله: «هذا كلام باطنى خبيث أو يهودى لَعين ما يتكلم بهذا مسلم. عمرو بن العاص شهد له النبى بالجنه ومعاويه من فضلاء الصحابه وهم رضى الله لهم الدين وأهل وتقوى وصلاح لا يشك مسلم فيهم ولا فعلوا شيئا يعاب عليهم وكل ما قاله أولئك فمجرد فريه وكذب وتضليل وعياذاً بالله عنوان نفاق ممن قاله » وبعد هذه الهجمات الشديده سكت سيد قطب وسبح مع التيار لا ضده.

وفى مناسبه أخرى كتب محمد حامد الأحمرى موضوعا عن ما سمى بالربيع العربى قال فيه: «وهذه الثورات هى تحرير من العبوديه للحاكم المستبد، وإنقاذ للإنسان العربى الذى تردى فى ظلمات الاستبداد عقوداً طويله، حتى كاد ينسى كرامته وحريته، إن هذا التحرر استعاده لقيم الحريه والاختيار فى الإسلام، تلك التى غابت منذ أن أجبر معاويه العرب على حكم يزيد، فحرموا بعدها قروناً متطاوله من المشاركه فى اختيار

۱- کتب وشخصیات، سیّد قطب،طبعه دار الشروق، القاهره، صفحه ۲۴۲ ۲۴۳

الحاكم » فثارت ثائرتهم وجن جنونهم، فكفروه وفسقوه وأباحوا دمه، ونعتوه بواطىء النعوت مثل: قزم، زائغ، ضال، الدعى، الصعلوك، المرتزق، الخبيث، ولقد وردت هذه النعوت كلها فى مقال واحد كتب ضده، ولك أن تتخيل النعوت الأخرى التى نعت بها الرجل لمجرد أنه قال: «منذ أن أجبر معاويه العرب على حكم يزيد » وهى حقيقه تاريخيه يعرفونها قبل غيرهم!

إن المقال المذكور نشر فى جريده العرب القطريه وجاء فيه: «كيف لقزم يتهجم على الجبل الأشم والطود العظيم الذى ضرب به المثل فقال المسلمون عنه: وفاء بغدر خير من غدر بغدر، يا للعجب أن يأتى زائغ ضال ليرمى نجم العوالى معاويه، الذى استنارت بحلمه الأرض وتعطرت المجالس بذكره الجميل. يا لمهزله الدعى الأحمرى، صعلوك مرتزق يرفع عقيرته ويتبجح ليطول السحاب أو يزحزح الجبال. يا من تتناول بين الفينه والفينه فى أطروحاتك وتلميحاتك الخبيثه عظيم من عظماء التاريخ ألا وهو سيدنا معاويه بن أبى سفيان معاويه وما أدراك ما معاويه؟ أحد دهاه العرب وسادتها فى الجاهليه والإسلام، فاتح عظيم وقائد سياسى محنك فصيح اللسان شجاع كريم شهم حليم من أعظم خلفاء المسلمين فى التاريخ »(١). ولك أن تتخيل الحاله النفسيه التى يمر بها الكاتب وهو يقرأ مثل هذا التهديد والوعيد، ولاسيما فى زمن الكواتم والمفخخات.

القضيه التاريخيه بكل تأكيد ليست كما يريد تدليسها أحفاد السياسيين الأولين، ولا إجتهاد فيها، ولا أجر لمن خرج عن طاعه الشرعيه والشريعه، بل كانت ثأرا سياسيا تعود بداياته إلى أيام البعثه الأولى، يوم نزع الإسلام هيبه العرب الجاهليين ومرغ أنوف العصاه منهم بالتراب، وإستمرت تتجدد مع كل واقعه فى ذلك التاريخ فكانت كل

١- جريده العرب القطريه، الأحد ١٢ / ٦ / ١٤٣٢ هـ، ١٥ / ٥ / ٢٠١١ م، الدوحه عبدالله العذبه إياد الدليمى

حروبهم التی شُنت ضد الإسلام بسببها وطلباً للثأر البدوی القدیم وذحل الجاهلیه اللئیم، ثم جاءت حروبهم مع علی علیه السلام طلباً للثأر ذاته، وبعدها جاءت حربهم مع الحسن علیه السلام فلما صالحهم فرحوا لأنهم أخذوا بثأرهم من أهل البیت .

ولقد اعترف السیاسیون أنفسهم بأنها معرکه ثأر لا معرکه عقیده أو جهاد، وأن فوزهم الظاهری فیها هو الذی أعاد لهم أمجاد جاهلیتهم التی جردهم الإسلام منها، فأسمع إلی قول السیاسی ابن کریز عن هذا الثأر، کما نقل الثقفی فی الغارات: «فلما بایعه الحسن تفرغ معاویه لاستعمال العمال، فبعث المغیره بن شعبه علی الکوفه... وبعث عتبه بن أبی سفیان علی البصره، فقام إلیه عبد الله بن عامر(۱) وقال: یا أمیر المؤمنین إن عثمان هلک وأنا عامل البصره عزلنی علی فجعلت مالی ودائع عند الناس، فإن أنت لم تولنی البصره ذهب مالی الذی فی أیدی الناس، فولاه عند ذلک البصره، فخرج إلیها، وسرح معه معاویه بسر بن أرطأه فی جیش؛ فأقبل حتی دخل البصره فصعد المنبر فقال: الحمد لله الذی أصلح أمر الأمه وجمع الکلمه وأدرک لنا بثأرنا وکفانا مؤنه عدونا... ثم إن بسراً صعد درجتین من المنبر ثم نادی بأعلی صوته: ألا إن ذمه الله بریئه ممن لم یخرج فیبایع، ألا إن الله طلب بدم عثمان؛ فقتل قاتلیه ورد الأمر إلی أهله(۲)

فهل أن أمر الإسلام یعود إلی الطلقاء فنزعه أهل البیت منهم تحدیاً لأمر الله

۱- عبد الله بن عامر بن کریز بن ربیعه بن حبیب بن عبد شمس یکنی أبا عبد الرحمن ابن خال عثمان بن عفان، ولاه البصره بعد عزله لأبی موسی الأشعری وضم إلیه بلاد فارس وهو ابن خمس وعشرین سنه وبقی علیها إلی ان قتل عثمان فسار بما عنده من الأموال إلی مکه فوافی طلحه والزبیر ورجع بهم فشهد معهم وقعه الجمل ولم یحضر صفین ثم إنضم إلی معاویه فولاه البصره وبقی علیها ثلاث سنین ثم عزله فنزل المدینه ومات سنه سبع أو ثمان وخمسین. ینظر: الإصابه، ابن حجر، حرف العین.

۲- الغارات، الثقفی، ص ۴۴۴ ۴۴۵ .

فأعاده الله إليهم، لكى يدعى بسر مثل هذا الإدعاء الأجوف، أم ماذا؟ وهل أن علياً عليه السلام

هو من قتل عثمان لكى يطلبوا ثأرهم لعثمان منه ومن بنيه؟ وبأى حق يطلبون ثأراً من

خليفتين شرعيين اختارتهما الأمه؟ ولماذا كرهوا علياً عليه السلام كل هذا الكره؛ فكفروه؛ وهو

أول القوم إسلاماً، وأعظمهم إيماناً، وأقربهم إلى رسول الله ؟صلى الله عليه وآله

فضلًا عما تكشفه هذه الروايه التى وضعت النقاط على الحروف يتبين أن طلب

ثأرهم الجاهلى كان عميقاً فى كرهه لعلى عليه السلام ولكل ما يمت لعلى عليه السلام بصله، ويكفى دليلًا

أن أحد قواد معاويه المقربون منه وهو بسر بن أرطأه الذى دخل البصره مع ابن كريز

بعد مقتل على عليه السلام قام على المنبر فذكر علياً عليه السلام فقال: «أنشدكم بالله أتعلمون أن علياً كان

كافراً منافقاً؟ فسكت الناس. فرد عليهم القول؛ وقال: ألا ترون أناشدكم؟ (۱)

ولم يكتف بسر بن أرطأه بتوجيه هذا الاتهام إلى رجل الإسلام الخالد وإنما قام

بأفعال شنيعه مروعه ضد أتباع على عليه السلام ومحبيه وشيعته والسائرين على نهجه: «قال:

وأقبل بسر يتتبع كل من كان له بلاء مع على عليه السلام أو كان من أصحابه وكل من أبطأ عن

البيعه، فأقبل يحرق دورهم ويخربها، وينهب أموالهم (۲)

إن الترضى والترحم على معاويه جاء من تمسك بعض المدارس الإسلاميه بحديث

منسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بسر بن سعيد،عن ابى قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله يقول صلى الله عليه وآله

يقول«اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران و اذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر »(۳) وتجد المنافذ التى فتحها لهم هذا

۱– المصدر نفسه، ص ۴۴۷ ۴۴۸ .

۲– المصدر نفسه، ص ۴۴۹ .

۳– صحیح البخاری کتاب الاعتصام بالکتاب والسنه، باب اجر الحاکم إذا إجتهد فاصاب أو اخطا، ص ۲۶۸ ،ج ۴، دار الفکر

بيروت بغداد.

الحديث واسعه يمر من خلالها الجمل والفيل والزرافه والحصان وحتى البغل والحمار وما هو أصغر أو اكبر.

وبناءً عليه عدّوا معاويه فى صفين مجتهداً أخطأ وله أجر لأن الله عادل لا يمكن أن يحرمه من الأجر حتى ولو تسبب بمقتل أكثر من مئه ألف مسلم موحد. ولكنك تجدهم يعدون الحسن بن على عليه السلام الخليفه الشرعى الذى كان يدافع عن الشرعيه والعقيده قباله تلك الهجمه مجتهدا أخطأ وله أجر واحد تماماً مثل أجر معاويه فى صفين. وبين هذا وذاك لا يعدون الحسين عليه السلام مجتهداً سواء أكان مخطئاً أم مصيباً؛ فلا أجر له، لأنه خرج على خليفه لا يملك ذره من الشرعيه، فأى تحيز كبير هذا؟

إن هذا التمايز الغريب جعلهم يعدون من أمتنع عن دفع الزكاه لحكومه الخليفه أبى بكر مرتداً كافراً، بينما يعدون من خرج على الخليفه على عليه السلام وحاربه طمعاً فى الدنيا، صحابياً عدلاً ومن المبشرين بالجنه. وجعلهم يعدون من سب أحداً من الصحابه مهما كانت منزلته كافراً زنديقاً متآمراً على الإسلام يستوجب التعزير فإن لم يمتنع يقتل، أما من يمتنع عن سب صحابى جليل كما فعل حجر بن عدى (رحمه الله) الذى امتنع عن سب الإمام على عليه السلام فمصيره الذبح؛ لأنه بنظرهم متأول عاص مخالف للجماعه يستحق القتل صبرا.

هذا التمايز المتحيز إستمر إلى اليوم بما يؤكد أن المنهج السياسى القديم لا زال فاعلاً ومؤثراً ومتحكماً بعقول عدد كبير من المسلمين، فعندما دخلت المعارضه العراقيه إلى البلد أثناء وبعد الاحتلال الأمريكى حكم عليهم أحفاد السياسيين بالكفر وكفروا تبعاً لذلك جميع الشيعه، وإعتبروهم من الخارجين من المله باعتبار أنهم استعانوا بالأجنبى الكافر للخلاص من الطاغيه، ولكنهم لا بأس أن يستعينوا بالكافر الأجنبى نفسه

لتحرير الكويت من الغزو الصدامى، ولا بأس أن تمر بوارج أمريكا الحربيه من قناه السويس وتنطلق طائراتها الحربيه من القواعد الخليجيه لقصف العراق بتبريك من الأخوان المسلمين، ولا بأس أن تتخذ القياده المركزيه الأمريكيه للحرب على العراق من قاعده (السيليه) القطريه مقراً متقدماً لها، ولا بأس أن يستعينوا بعد ذلك التاريخ بالأجنبى الكافر نفسه لقتل الرئيس الليبى معمر القذافى وتخريب ليبيا، ولا بأس أن يستعينوا به لقتل الرئيس السورى بشار الأسد. ولا بأس أن يستعينوا به لتدمير حزب الله فى لبنان. ومع ذلك يتهمون العراقيين الشرفاء بأنهم عملاء وأذناب للمحتل الأمريكى ويجب قتالهم وقتلهم بكل الطرق الممكنه فإستقدموا الإنتحاريين المجانين من فلسطين والأردن وليبيا وسوريا والسعوديه ومصر والمغرب وإريتريا وموريتانيا والشيشان وأوكلوا لهم ذبح الإسلام والمسلمين.

وقد ذهب الشيخ يوسف القرضاوى إلى مصر أثناء ما عرف باسم (ثوره الربيع العربى) وصلى بالناس جماعه فى ساحه التحرير بالقاهره يحرضهم على القتل والهمجيه، ولكنه بعد عودته إلى الخليج أصدر فتوى تكفر الثوار البحرينيين وتعدهم من الخارجين على ولى الأمر!

واليوم تجد السعوديين والقطريين يدافعون بقوه وشراسه عن الشعب السورى وحقه بالحصول على نظام ديمقراطى وإنتخابات حره نزيهه وهم أنفسهم لا يسمحون بمجرد التظاهر السلمى؛ ويعدون الديمقراطيه والانتخابات والمظاهرات بدعا مخالفه للإسلام ولا إجتهاد فيها!

وأنا هنا لا أجترئ على أحد ولا أتهم أحداً من عباد الله ظلماً حينما أورد الحقيقه التاريخيه التى عجزت مصادر المخالفين عن تكذيبها أو تضعيفها، ولا أتطاول على

صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله حينما أنقل ما شجر بين السياسيين منهم وبين أهل البيت

الكرام ؛. كيف وكل ما يشجر بيننا اليوم من نزاع وصراع ومواجهه أصله ومنبعه

من تلك المصائب التى أحدثها السياسيون؟

أما ما يسمونه ظلماً باسم (حسن الظن) فلا حسن فيه، لا والله، فمن المستحيل

أن أكذب عقلى وأبطل المنطق وأضعف المنهج العلمى وأخالف المنقول الصادق وكل

الحقائق لكى لا أُتهم بسوء الظن لمجرد أنى أقول الحقيقه، لا، فذلك يعنى الخداع بعينه

والدجل بأعلى صوره والتدليس والكذب والمراوغه وكل العادات السيئه فى الكون،

كيف أسكت عن حقائق واضحه وضوح الشمس لكى أحسن الظن بمن تسبب فى

تدمير الإسلام وتقسيمه وإضعافه وقتل جماله وسماحته وبساطته؟ كيف أسكت عمن

تسبب بمقتل آلاف الصحابه الكرام فى الجمل وصفين والنهروان وغيرها؟ كيف

أسكت وهل من المعقول أن أصدق بالصفه التى وضعها دكتور خالد بن محمد الغيث

عضو هيئه التدريس فى جامعه أم القرى قسم التاريخ الإسلامى لسلامه القلب بقوله

المرعب: «فإن سلامه القلب تجاه صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله، والتأدب معهم، وإحسان الظن

بهم هى من صميم اعتقاد أهل السنه والجماعه، وعن ذلك يقول ابن الصلاح : ثم إن

الأمه مجمعهٌ على تعديل جميع الصحابه، ومن لابس الفتن منهم فكذلك، بإجماع العلماء

الذين يُعتد بهم فى الإجماع؛ إحساناً للظن بهم، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله

سبحانه أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقله الشريعه، والله أعلم (۱)

ومع انه لا يوجد عاقل فى الكون كله ممكن أن يصدق فكره أننا نتطاول على

الصحابه الكرام؛ ذلك الجيل المثالى الرائع لمجرد ذكرنا لبعض حقائق التاريخ ولبعض ما

١- المقـدمه، مرويـات خلافه معـاويه فى تاريـخ الطـبرى، دراسـه نقـديه مقـارنه، دكتـور خالـد بن محمـد الغيث، دار الأنـدلس الخضراء، جده، ألسعوديه، ١۴٢٠ ٢٠٠٠ .

أحدثته سياسه بعضهم من نفور وتباعد، إلا أن السياسيين المعاصرين أحفاد السياسيين الأوائل وبعد أن أيقنوا بصحه معتقدنا صَعُبَ عليهم أن يكتشف العالم حقيقه ما يدور فأرادوا منعنا من بيان مثالب معاويه وباقى السياسيين بإعتبار أن ذلك هو المنفذ للتطاول على الصحابه، أو كما يقول الدكتور خالد بن محمد: «هذا ويشكِّل من لابس الفتنه من الصحابه مثل معاويه مدخلًا لأعداء هذا الدين للنيل من صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن ذلك يقول عبد الله بن المبارك (رحمه الله): معاويه عندنا محنه، فمن رأيناه ينظر إليه شزراً، إتهمناه على القوم)يعنى الصحابه(وقال الربيع بن نافع الحلبى (رحمه الله): معاويه ستر لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله، فإذا كشف الرجل الستر، إجترأ على ما وراءه (١)

إن هذا التخبط الأعمى هو الذى دفع المدعو فيصل نور إلى خبط الحابل بالنابل وتوجيه السب واللعن إلى جميع من وقفوا موقفاً تصحيحياً من معاويه، فقال فى موقعه:

«ما زال مسلسل الشيعه الإماميه عليهم من الله ما يستحقون فى النيل من الصحابه الكرام وأعراضهم مستمراً ومن ضمن هؤلاء الصحابه معاويه بن أبى سفيان الذى قاتل علياً وهذا القتال جرى بقدر الله تعالى ليبتلى المؤمنين به هل يمسكون ألسنتهم ويسلمون أم يخوضون فيه ويأثمون. لكن الشيعه هداهم الله أصروا على موقفهم من معاويه،انه ضال كافر فأوردنا عليهم دليلًا قاصماً لا يمكن رده وهو مبايعه الحسن لمعاويه بعد مقتل أبيه علىّ .... فنحن نقول: ها هو الحسن إمامكم المعصوم قد بايع معاويه ورضى بمبايعته... فكيف يبايعه ويأمر بمبايعته إذا كان يعتقد أنه ضال كافر؟ ثم إن فعل الإنسان أى إنسان لا يخلو أن يكون:إما صحيح محض، أو خطأ محض، أو صحيح يحتمل الخطأ، أو خطأ يحتمل الصحه. فمن أى هذه الأنواع كان

١- المصدر نفسه.

فعل الحسن (۱)

فانظروا إلى من خدعهم هراء التاريخ الكاذب كيف تعلقوا بماضٍ تافه جامد حجب الرؤيه عنهم وباعد بينهم وبين الحياه الطبيعيه. أنظروا إليهم كيف تعلقوا بمواريث الكذب والدجل والخديعه والغش والدماء، وكيف أثرَّ هذا التعلق على طرائق تفكيرهم وسلوكهم فجمدهم فى مساحات مغلقه لا علاقه لها من التاريخ المعاصر والحياه القائمه فباتوا فى سلوكهم وكلامهم وكأنهم أقوام غزتنا من عمق التاريخ ومجاهل الصحراء التى لم تصل الحضاره إليها ولم يطرق التمدن بابها، فأضافوا إلى هموم البشريه هموماً أخرى فى وقت يبدو فيه المشهد العالمى المعاصر مأساوياً بكل ما للكلمه من معنى حيث ثلث العالم فى حاله حرب، وثلاثون مليون شخص مصابون بمرض نقص المناعه المكتسبه (الايدز) فى أفريقيا وحدها، وكل بقره فى الإتحاد الأوربى تستهلك نحو ۲،۵ دولار فى اليوم وهذا أكثر مما يقتات به ۷۵ ٪ من سكان أفريقيا، وتصرف أمريكا أكثر من ۱۰ مليارات دولار سنوياً على الأفلام والمجلات الإباحيه، وفى مدينه آفون البرازيليه هناك ۷۰۰۰۰۰ امرأه تعمل فى مجالات الجنس والدعاره بينما يبلغ مجموع عناصر القوات المسلحه البرازيليه ۴۵۴۰۰۰ عنصر فقط، وتبلغ تجاره العالم بالمخدرات نحو ۴۰۰ مليار دولار، وتتعرض نحو ۱۲۰۰۰۰ فتاه للاتجار فى أوربا الغربيه كل عام(۲)

ونحن وإن كنا أقل من ذلك إحصاء إلا أننا لسنا معصومين من الوصول إلى هذه النتيجه سواء طوعاً نتيجه التأثر بما يحدث فى العالم الذى تحول اليوم على قريه صغيره يسمع من هو فى القطب الشمالى آهه من هو فى القطب الجنوبى ساعه وقوعها، أو قسرا

۱- موقع فيصل نور، http://www.fnoor.com/fn۰۳۶۴.htm

٢- ينظر: حقيقه ينبغى أن تغير العالم، جيسيكا ويليامز، ترجمه مركز التعريب والبرمجه، الدار العربيه للعلوم،بيروت، ٢٠٠٥ .

نتيجه الغزو الثقافى الممنهج والمدعوم بالإمكانيات العظيمه التى يمتلكها الغرب.

وعليه يجب أن نأخذ حذرنا وننمى حيطتنا ونعمل جاهدين للم شمل امتنا

بالتوافق على بعض نقاط الخلاف بيننا ولاسيما منها تلك التى أبان العلم المعاصر زيفها

وأبطل تأثيرها وفعلها، وما من متعه اكبر من أن نمجد ديننا الحق ورسولنا الأمين صلى الله عليه وآله

وأهل البيت الكرام ونمحو آثار الظلم الذى أصابهم وعدم التصديق بما روى

عنهم من مهازل ومخالفات لا يرتكبها أقل المسلمين علماً بحدود الشريعه وتعاليمها.

وما روى من فضائل وتبجيل عن أعدائهم ومبغضيهم، وما أحوجنا اليوم للاتفاق على

نزاهه وعلو شأن وكبير منزله الإمام الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام، وانحطاط درجه

من أراد به السوء قولاً أو فعلاً، فنظريه من أخطأ فقتل ألوف المسلمين نتيجه النزق

والطمع بالإمره والملك لا يمكن أن يتقبلها عاقل، وما هى إلا وليداً سفاحاً للسياسه

التى صادرت الدين ومحت آثاره.

فما الضير لو اتفقنا على حب على وأهل بيته (رحمه الله)مادام حبهم من الإيمان وقد

قال رسول الله صلى الله عليه و آله :« وَاللَّهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا .»

وأنا لا أقصد بقولى هذا فئه بعينها لأنى أجد الجميع مقصرين بحق الإمام الحسن بن

على عليهما السلام بدرجات متفاوته، ولله در الشهيد مطهرى الذى قال عن الإمام الحسين عليه السلام:

«استشهد الإمام الحسين ثلاث مرات:

الأولى: على يد اليزيديين بفقدانه لجسده.

والثانيه: على يد أعدائه الذين شوّهوا سمعته وأساءوا لمقامه.

أما الثالثه: فعندما إستشهدت أهدافه على يد بعض المؤلفين. وكان هذا هو

الاستشهاد الأعظم». ولم يسعنى الإطلاع على ما قاله بحق أخيه الإمام الحسن ،

ولكنى على يقين تام أنه لو كان قد قال بحق الحسن عليه السلام قولاً مشابهاً، ربما كان قد أضاف

إليه لوعه رابعه وحتى خامسه وسادسه، لعمق ما أرتكب بحق الحسن .عليه السلام

وآخر ما أريد قوله: ذلك هو الحسن عليه السلام، وهؤلاء هم أعداؤه، ولا ميزان فى الكون

كله ممكن أن تجمع كفتاه طوداً شامخا كالحسن عليه السلام مع قعر لا قرار له كمعاويه. وأن

الحسن عليه السلام بجهاده ووجوده أكمل ما بدأه أبوه فى مراحل بناء الفكر الشيعى فكان بحق

المؤسس الحقيقى للتشيع، وهو الذى سَلمَ بناءه العامر إلى أخيه الحسين عليه السلام ليكمل

مراحل البناء، فوصل إلينا وعمَر قلوبنا وضمائرنا، ولولا الحسن عليه السلام ودوره العظيم ما كان لنا أن نعرف التشيع ونعتنقه ونخلص له، فعليه سلام الله.

ص: ۷۶۷

مراجع ومصادر الجزء الثانی

(أ)

أعيان الشيعه، محسن الأمين العاملی، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، طبعه دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، سنه ۱۴۰۶ ه_ / ۱۹۸۶ م.

أهل البيت، الحسن بن علی،توفيق أبو علم، ط ۳، دار المعارف، القاهره، مصر.

أهل البيت وبيت المال، السيد محسن النوری الموسوی، منشورات حسين التميمی، دار المتقين، بيروت، ۲۰۰۹ .

الأنوار النعمانيه، ج ۴،ص ۱۵۲ كتاب الكترونی .

الإمام الحسن عليه السلام القائد والأسوه للشيخ حسين سليمان سليمان، كتاب ألكترونی، مكتبه الحسن عليه السلام العقائديه.

أبناء الزهراء أبناء الرسول، الشيخ رضا الأستادی، بر كزيده، قم، إيران، ۱۳۸۸ ه_.

أئمه أهل البيت ودورهم فی تحصين الرساله الإسلاميه، الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، العارف للمطبوعات، بيروت، ۱۴۲۹ ه_ ۲۰۰۸ م.

أضواء البيان فی إيضاح القرآن بالقرآن،محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكی الشنقيطی، دار الفكر: ۱۴۱۵ ه_ / ۱۹۹۵ م.

الإرشاد الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبری البغدادی المفيد (۳۳۶ _ ۴۱۳ه_)

الإسلام وأصول الحكم، علی عبد الرزاق، بيروت، ۱۹۷۲ .

الأغانی، أبو الفرج علی بن الحسين القرشی الأصبهانی أو الأصفهانی (۲۸۴ ه_ -)

٣٥٦ هـ/ ٨٩٧ م) تحقيق على مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعه والنشر، بيروت، لبنان.

الأخبار الطوال، أبو حنيفه احمد بن داود الدينورى، تصحيح فلاديمير جرجاس، طبعه ليدن سنه ١٨٨٨ ، كتاب الكترونى، مكتبه المصطفى.

الإمامه والسياسه، المعروف بتاريخ الخلفاء، أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينورى (٢١٣ _ ٢٧٦ هـ)تحقيق على شيرى، منشورات الشريف الرضى،(د.ت).

أسباب النزول، أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى، تحقيق عبد الله المنشاوى، دار صلاح الدين، القاهره، ٢٠٠١ .

الاختصاص، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى الملقب بالشيخ المفيد،مؤسسه التاريخ العربى، بيروت، ١٤٣٠ هـ_ ٢٠٠٩ م.

إتحاف الجماعه بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعه، الشيخ حمود بن عبد الله التويجرى، الرياض، ١٣٩٤ .

أعلام النصر المبين فى المفاضله بين أهلى صفين، أبى الخطاب عمر بن الحسن بن دحيه الكلبى.

الاستيعاب فى معرفه الأصحاب، الإمام الحافظ أبى عمر بن عبد البر، صححه وخرج أحاديثه عادل مرشد، دار الأعلام، ١٤٢٣ هـ_ ٢٠٠٢ م.

الأشباه و النظائر، الشيخ زين العابدين ابن إبراهيم، شرح:احمد بن محمد الحنفى الحموى ابن نجيم المصرى الحنفى، دار الكتب العلميه،بيروت،لبنان، ١٤٠٠ هـ_ ١٩٨٠ م.

الأشباه والنظائر فى قواعد وفروع فقه الشافعيه، جلال الدين عبد الرحمان السيوطى ت ٩١١ هـ،ط ٢، تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبه نزار الباز، مكتبه نزار مصطفى

الباز مكه المكرمه – الرياض، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

ص: ٧٧٠

الإصابه فى تمييز الصحابه، ابن حجر العسقلانى (٧٧٣_ ٨٥٢ هـ)، تحقيق خليل مأمون

شيحا، دار المعرفه، بيروت،)د.ت(.

إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالى، تقديم بدوى طبانه، تصوير مكتبه

كرياطه فوترا – سماراغ – إندونيسيا، كتاب الكترونى، المكتبه الوقفيه.

(ب)

البدايه والنهايه، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى

(٧٠١ ٧٧٤ هـ) تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى، دار عالم الكتب،بحار الأنوار، المجلسى.

البحر الزخار المعروف بمسند البزار،أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكى

البزار.

)ت(

تاريخ دمشق الكبير، أبو القاسم على بن الحسن بن هبه الله الشافعى المعروف بابن

عساكر (ت ٥٧١ هـ) تحقيق الشيخ عبد القادر بدران، دار المسيره، بيروت، ١٩٧٩ .

تهذيب تاريخ دمشق الكبير، أبو القاسم على بن الحسن بن هبه الله الشافعى المعروف

بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) تهذيب وترتيب الشيخ عبد القادر بدران،دار المسيره،بيروت،تاريخ الأمم والملوك، جعفر بن محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ ٣١٥ هـ) مراجعه نواف

الجراح، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣ .

تاريخ بغداد، أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى أبو بكر – ابن النجار تحقيق بشار

عواد معروف، دار الغرب الإسلامى، سنه الطبع: ١٤٢٢ هـ – م ٢٠٠١ .

ص :٧٧١

تمهيد الأوائل فى تلخيص الدلائل، القاضى أبو بكر محمد بن طيب الباقلانى، تحقيق

الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسه الكتاب الثقافيه، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

تأريخ اليعقوبى، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى البغدادى)تتاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١١ هـ) ط ٣، تحقيق محمد محى

الدين عبد الحميد، مكتبه الشرق الجديد، بغداد، دار العلوم الحديثه، بيروت، ١٩٨٧ .

تحف العقول، الحسن بن شعبه الحرانى، الأعلمى.

تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، الحافظ يوسف بن الزكى عبدالرحمن أبو الحجاج جمال

الدين المزى (٦٥٤ ٧٤٢ هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسه الرساله،

بيروت، ١٩٨٠ م- ١٤٠٠ هـ.

تفسير القرآن العظيم، تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى

الدمشقى، تحقيق سامى محمد السلامه، سنه النشر: ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م .

تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان، (تفسير السعدى)، الشيخ عبد الرحمن بن

ناصر السعدى، تقديم الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل والشيخ محمد الصالح

العثيمين، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسه الرساله للطباعه والنشر

والتوزيع، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

تراث الفكر السياسى قبل الأمير وبعده، الدكتور فاروق السعد، ط ٢٤ ، دار الآفاق

الجديده، بيروت، ٢٠٠٢ .

تحفه الأحوذى، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، دار الكتب العلميه.

تذكره خواص الأمه فى خصائص الأئمه، الحافظ أبو الفرج سبط ابن الجوزى، قدم له

السيد محمد صادق بحر العلوم، مكتبه نينوى، العراق،(د.ت).

تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدى،

الناشر: طبعه الكويت.

)ج(

الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبى، أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى

القرطبى،دار الفكر للطباعه والنشر.

جامع البيان عن تأويل آى القرآن، تفسير الطبرى، محمد بن جرير الطبرى، دار المعارف،

تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر،.

الجليس الصالح الكافى والأنيس الناصح الشافى، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى

الجريرى النهروانى (ت ۳۹۰ ه_)، تحقيق عبد الكريم سامى الجندى، دار الكتب العلميه،

بيروت – لبنان، ۱۴۲۶ ه_ – ۲۰۰۵ م.

(ح)

الحريه فى الإسلام،الدكتور على عبد الواحد، دار المعارف، مصر، ۱۹۶۸ ، سلسله اقرأ

۳۰۴.

الحياه السياسيه للإمام الحسن فى عهد الرسول صلى الله عليه وآله والخلفاء الثلاثه بعده، جعفر مرتضى

العاملى، ط ۴، المركز الإسلامى للدراسات، بيروت،لبنان، ۱۴۳۲ ه_/ ۲۰۱۱ م.

الحسن بن على رجل الحرب والسلام، السيد محمد على الحلو،مؤسسه السبطين العالميه،

۱۴۲۶_ه.

حليه الأولياء وطبقات الأصفياء،الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن

إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانى.

الحياه السياسيه للإمام الحسن،السيد جعفر مرتضى العاملى،المركز الإسلامى للدراسات،

بيروت، ۱۴۳۲ ه‍ــ ۲۰۱۱ م.

ص :۷۷۳

حياه الإمام الحسن، الشيخ باقر شريف القرشي.

حليم آل البيت الحسن بن علي، الشيخ موسى محمد علي، ط ٢،عالم الكتب، بيروت،حقيقه ينبغي أن تغير العالم، جيسيكا ويليامز، ترجمه مركز التعريب والبرمجه، الدار

العربيه للعلوم،بيروت، ٢٠٠٥ .

(خ)

الخلافه المغتصبه أزمه تاريخ أم أزمه مؤرخ؟(للأستاذ إدريس الحسيني، كتاب

الكتروني،مركز الأبحاث العقائديه.

الخلافه الإسلاميه، محمد سعيد العشماوي، ط ٢، دار سينا، القاهره، ١٩٩٢ .

الخلافه ونشأه الأحزاب الإسلاميه، الدكتور محمد عماره، ط ٣، المؤسسه العربيه

للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤ .

الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ)، مؤسسه الإمام المهدي،

بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، قم، إيران، ١٤٠٩ هـ، كتاب الكتروني .

(د)

دائره المعارف الإسلاميه، مجموعه مستشرقين، ج/ ١ ٤٠٢ ٤٠١ . تم إصدارها على

طبعتين، الأولى بين ١٩١٣ و ١٩٣٨ ، والثانيه ما بين ١٩٥٤ و ٢٠٠٥ ، ويتم إصدارها

من قبل شركه بريل الهولنديه. وقد ظهرت هذه الموسوعه بأكثر من لغه، أما بالنسبه

للعربيه فقد تم تعريب بعض أجزائها وتنقيحها وصدرت في مصر في الستينات وأعيد

طبعها بالشارقه عام ١٩٩٨ . ج ١، ص ٤٠١ ٤٠٢ .

الدوله الإسلاميه بين العلمانيه والسلطه الدينيه، الدكتور محمد عماره، ١٤٠٩ ١٩٨٨ ،

دار الشروق، القاهره.

الدوله الفاطميه، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهايه القرن الرابع

الهجرى،الدكتور عبد الله محمد جمال الدين،دار الثقافه والنشر والتوزيع، القاهره،

مصر، ۱۴۱۱ ه_ ۱۹۹۱ م.

الدوله الفاطميه، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهايه القرن الرابع

الهجرى،الدكتور عبد الله محمد جمال الدين،دار الثقافه والنشر والتوزيع، القاهره،

مصر، ۱۴۱۱ ه_ ۱۹۹۱ م.

دور الأئمه فى الحياه السياسيه، الشيخ محمد اليعقوبى، مؤسسه البديل، دار المتقين،

بيروت، ۱۴۳۰ ه_ ۲۰۰۹ م.

(ر)

الروضه البهيه فى شرح اللمعه الدمشقيه، الشهيد الثانى، دار الهادى.

الرائد معجم لغوى عصرى، جبران مسعود، دار العلم للملايين، سنه النشر: ۱۹۹۲ .

(ز)

الزواج الإسلامى، نظره مختصره على العلاقات الزوجيه فى الإسلام، السيد عبد

الحسين دستغيب، ترجمه لجنه الهدى، ط ۳، دار البلاغه، بيروت، ۱۴۳۱ ه_ ۲۰۱۰ م.

زوجات الأئمه المعصومين، الشيخ ماجد ناصر الزبيدى،دار المحجه البيضاء، بيروت،الزواج السياسى فى عصر المماليك ۶۴۸ ۹۲۳ ه_، الدكتور فاضل جابر ضاحى والدكتور

ثامر نعمان مصطاف،ط ۲، دار رند للطباعه والنشر، دمشق، ۲۰۱۰ .

زاد المعاد فى هدى خير العباد، الإمام شمس الدين أبى عبد الله ابن القيم الجوزيه،

مؤسسه الرساله، سنه النشر: ۱۴۱۸ ه_ / ۱۹۹۸ .

(س)

سير أعلام النبلاء، الذهبى، تحقيق محمد العرقسوسى، مؤسسه الرساله، بيروت، ١٤١٣ هجريه.

سيره أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، الدكتور على محمد الصلابى،ط ٨، دار المعرفه، بيروت، ١٤٣٠ ه_ ٢٠٠٩ م.

سنن الترمذى، محمد بن عيسى بن سوره الترمذى، دار الكتب العلميه، بيروت.

سنن النسائى بشرح جلال الدين السيوطى وحاشيه السندى، أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بجر النسائى، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧ ه_ ١٩٨٧ م.

سنن أبى داود، سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى، المكتبه العصريه.

سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزوينى، المكتبه العلميه، بيروت.

(ش)

شرائع الإسلام فى مسائل الحلال والحرام، المحقق الحلى، ط ٢، تعليق السيد صادق الشيرازى، منشورات استقلال، طهران، مطبعه أمير .

الشائعات المشهوره ضد الإمام الحسن، الشيخ الدكتور نجاح الطائى، دار الهدى لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣١ ه_ ٢٠١٠ م.

شرح نهج البلاغه، عز الدين أبى حامد عبد الحميد بن هبه الله المدائنى الشهير بابن أبى الحديد المعتزلى،دار المعرفه، دار الكاتب العربى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، (د.ت)

الشريعه، أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى (ت ٣٦٠ ه_)، تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجى، دار الوطن، الرياض،: ١٤١٨ ١٩٩٧ .

من بعدهم،أبو القاسم هبه الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى (ت ۴۱۸)،

ط ۴، تحقيق: د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدى، دار طيبه، الرياض، ۱۴۱۶ هـ -

۱۹۹۵ م.

(ص)

الصواعق المحرقه فى الرد على أهل البدع والزندقه، أحمد بن حجر الهيثمى المكى، مكتبه

القاهره، مصر.

صحيح البخارى، أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ۱۹۴٠ ۲۵۶ هـ دار إحياء

التراث العربى، بيروت، ۱۴۲۲ هـ ۲۰۰۱ م، جزء واحد.

* – وطبعه دار الفكر، بيروت بغداد، ۱۹۸۶ ، أربعه أجزاء.

صفه الصفوه، أبو الفرج ابن الجوزى، ط ۳، تحقيق محمود فاخورى، خرج أحاديثه محمد

رواس قلعجى، دار المعرفه، بيروت، ۱۴۰۵ هـ .

صلح الإمام الحسن وثوره الإمام الحسين من منظور السنن التاريخيه فى القرآن

الكريم،محسن الأراكى،مجمع أهل البيت، النجف الأشرف، ۱۴۳۳ هـ.

صلح الحسن، الشيخ راضى آل ياسين،شركه الأعلمى للمطبوعات، بيروت، ۱۴۳۱ هـ

۲۰۱۰ م.

(ط)

الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهرى (ت ۲۳۰ هـ)، تحقيق على محمد عمر،

مكتبه الخانجى، القاهره، مصر، سنه النشر: ۱۴۲۱ – ۲۰۰۱ .

طبقات ابن سعد، القسم المفقود، تحقيق الدكتور محمد بن صامل.

(ع)

علی بن محمد المدائنی (ت ۲۲۸) ودوره فی کتابه التاریخ، رساله من متطلبات درجه

ص :۷۷۷

الماجستير تقدم بها الطالب عماد عزام جوابره إلى قسم التاريخ بكليه الدراسات العليا فى جامعه النجاح الوطنيه فى نابلس، فلسطين عام ١٤٢١ هجريه ٢٠٠١ ميلاديه.

على ومعاويه، فى الروايه العربيه المبكره، أيلرلنغ ليدوك بيترسن،ترجمه عبد الجبار الناجى، مكتبه دار المجتبى، النجف، العراق.

عقائد الإماميه،الشيخ محمد رضا المظفر،ط ٢، مركز الأبحاث العقائديه، النجف الأشرف، ١٤٢٤ هجريه.

عقيده الشيعه، دوايت م. رونلدسن، مؤسسه المفيد، بيروت، ١٩٩٠ .

العقيده والشريعه فى الإسلام، للمستشرق أجناس جولد تسيهر، نقله إلى العربيه محمد يوسف موسى وآخرون، دار الرائد العربى، بيروت، ١٩٤٦ .

علمانيه الحكم، الشيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالى.

العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى، تحقيق مفيد محمد قميحه، دار الكتب العلميه، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣ م.

علل الشرائع، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م.

عاشوراء بين الصلح الحسنى والكيد السفيانى، السيد جعفر مرتضى العاملى، كتاب ألكترونى، مكتبه العقائد، مركز الأبحاث العقائديه.

عون المعبود،محمد شمس الحق العظيم آبادى، دار الفكر، سنه النشر: ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، أربعه عشر جزء.

العهد والبيعه وواقعنا المعاصر،الدكتور عدنان على رضا النجوى، دار الهدى للطباعه والنشر،الرياض، السعوديه، ١٤١٠ هـ_١٩٩٠ م،.

(غ)

الغارات، إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال المعروف بابن هلال الثقفى، تحقيق عبد الزهره الحسينى،دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٧ هـ_ ١٩٨٧ م.

غمز عيون البصائر وشرح كتاب الأشباه والنظائر، احمد بن محمد الحنفى الحموى،دار الباز، مكه المكرمه، ١٤٠٥ هـ_ / ١٩٨٥ م.

(ف)

فى رحاب الإمام الحسن المجتبى، قسم الثقافه والإعلام، الشؤون الفكريه والثقافيه فى العتبه الكاظميه المقدسه، ١٤٣٣ هـ_.

فتح البارى شرح صحيح البخارى، أحمد بن على بن حجر العسقلانى، دارالريان للتراث، سنه النشر: ١٤٠٧ هـ_ / ١٩٨٦ م.

الفتنه الكبرى، طه حسين، طبعه القاهره، ١٩٧٠ .

الفرقه بين الزوجين وما يتعلق بها من عده ونسب، على حسب الله،دار الفكر العربى، بيروت، ١٣٨٧ هـ_ ١٩٦٨ م.

فلسفه الدوله فى الفكر السياسى الشيعى، ولايه الفقيه أنموذجا، الدكتور الشيخ محمد شقير، دار الهادى، بيروت، ٢٠٠٢ .

الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، الدكتور محمد البهىّ،ط ٤، مكتبه وهبه، القاهره.طبع لأول مره عام ١٩٥٧ م.

فتح القدير الجامع بين فنى الروايه والدرايه من علم التفسير، الإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميره، دار الوفاء، ١٤١٥ هـ_ ١٩٩٤ م.

فقه الحدود والتعزيرات، السيد عبد الكريم الاردبيلى، مؤسسه النشر لجامعه المفيد، قم،

طهران، ۱۴۲۷ هجریه.

ص :۷۷۹

(ق)

قواعد أصول الفقه على مذهب الإماميه، إعداد لجنه تأليف القواعد الفقهيه والأصوليه التابعه لمجمع فقه أهل البيت،الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه، المجمع العالمى لأهل البيت، طهران، ١٤٢٣ هـ.

قاعده لا ضرر ولا ضرار، محمد عبد العزيز السويلم. الرياض: دار عالم الكتاب، الطبعه الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

قاعده لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام » سماحه السيد صادق الحسينى الشيرازى.

قوت القلوب فى معامله المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن على بن عطيه الحارثى، أبو طالب المكى (المتوفى: ٣٨٦ هـ) تحقيق الدكتور عاصم إبراهيم الكيالى، ط ٢، دار الكتب العلميه، بيروت لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(ك)

كفايه الأصول فى أسلوبها الثانى، الشيخ باقر الإيروانى،مؤسسه إحياء التراث الشيعى، رقم الإصدار ١٩ ، النجف الأشرف، ١٤٢٩ هجريه.

الكافى، محمد بن يعقوب الكلينى (ت ٣٢٨ ٣٢٩)، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٥ .

الكبر، معهد الإمام الخمينى للدراسات الإسلاميه، كربلاء المقدسه، العراق.

كشف الالتباس فى معرفه أحوال ابن عباس، الشيخ على الأحرارى، بدون بيانات نشر.

كشف الغمه فى معرفه الأئمه، أبو الحسن على بن عيسى بن أبى الفتح الأربلى، ط ٢، دار الأضواء للطباعه والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٥ .

الكامل فى التاريخ، عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ابن الأثير (٥٥٥ ٦٣٠ هـ) تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار

المعرفه، بیروت، ۱۴۲۸ ه_ ۲۰۰۷ م.

ص :۷۸۰

كتب وشخصيات، سيّد قطب،طبعه دار الشروق، القاهره،)د.ت(.

)ل(

لامنس – موسوعه المستشرقين، الدكتور عبد الرحمن بدوى.

اللمعه المضيئه فى تاريخ الإباضيه، بالحاج بن عدون قشار، ط ٢، مكتبه الضامرى،

السيب، سلطنه عمان، ١٤١١ ه_ ١٩٩٠ م.

لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور،) ٦٣٠ ه_/ ١٢٣٢ م — ٧١١)م(

المستدرك على الصحيحين، أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى، تحقيق

مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميه، بيروت، ٢٠٠٢ .

المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى أحمد الزيات حامد عبد القادر محمد النجار، تحقيق

مجمع اللغه العربيه، مكتبه الشروق الدوليه، ٢٠٠٤ .

المسند، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، دار إحياء التراث العربى،سنه النشر:مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل بن شاكر

السامرى الخرائطى المتوفى عام ٣٢٧ ه_، تحقيق ودراسه الدكتور عبد الله بن بجاش بن

ثابت الحميرى، طبعه مكتبه الرشد، ٢٠٠٦ م.

مقاتل الطالبيين، أبى الفرج الأصفهانى) ٢٨٤ ٣٥٦ ه_(تحقيق أحمد صقر، مؤسسه

العطار الثقافيه، قم، إيران، ١٤٢٨ ه_.

مكارم الأخلاق، رضى الدين أبى نصر الحسن بن الفضل الطبرسى.

المقاصد الحسنه فيما اشتهر على الألسنه، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن

محمد السخاوى)المتوفى: ٩٠٢ ه_(، المحقق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربى – بيروت، ١٤٠٥ ه_ – ١٩٨٥ م.

المسند)المعلل الكبير(، للحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى البزار)ت ٢٩٢(.

المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى) ٢٦٠ ٣٦٠ ه_(، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى.

المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى، تحقيق الدكتور محمود الطحان، مكتبه المعارف، الرياض، ١٤٠٥ ه_ / ١٩٨٥ م .

المعجم الصغير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعه والنشر، ١٤١٨ ه_ ١٩٩٧ م .

مجمع البيان فى تفسير القرآن، تفسير الطبرسى، الطبرسى، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميه.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، على بن أبى بكر الهيثمى، دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هجريه.

المصنف فى الأحاديث والآثار المعروف بمصنف ابن أبى شيبه،عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبى شيبه العبسى أبو بكر)ت ٢٣٥ ه_(، تحقيق محمد عوامه، دار القبله – مؤسسه علوم القرآن، الرياض، ١٤٢٧ ه_ – ٢٠٠٦ م.

مصنف عبد الرزاق،أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى، المكتب الإسلامى، سنه النشر: ١٤٠٣ ه_ / ١٩٨٣ م.

مناقب أل أبى طالب، محمد بن على بن شهر اشوب السروى المازندرانى، طبعه الراشد

بن علی المحلاتی الحایری سنه ۱۳۱۳ ه‍ـ.

ص: ۷۸۲

المستشرقون، بحث فی الاستشراق لدی جمیع الأمم، نجیب عقیقی، دار المعارف، مصر،)د.ت(.

مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهانی)ت ۴۲۵ هـ(تحقیق صفوان عدنان داوودی، ذوی القربی، قم، ۱۴۳۱ هـ.

المغنی، موفق الدین أبی محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسی الجماعیلی الدمشقی الصالحی الحنبلی) ۵۴۱ ۶۲۰ هـ(، ط ۳، تحقیق الدکتور عبد الله بن عبد المحسن الترکی، والدکتور عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الکتب للطباعه والنشر والتوزیع، الریاض، السعودیه، ۱۴۱۷ هـ ۱۹۹۷ م.

المیزان فی تفسیر القران، السید محمد حسین الطباطبائی، صححه واشرف علی طباعته الشیخ حسین الاعلمی، منشورات مؤسسه الاعلمی للمطبوعات، بیروت، ۱۹۹۷ .

المستطرف الجدید، حکایات من التراث،هادی العلوی، ط ۲، مرکز الأبحاث والدراسات الاشتراکیه فی العالم العربی، دمشق.

المذهب السیاسی فی الإسلام، صدر الدین القبانجی،ط ۲، دار الأضواء،بیروت، ۱۹۸۵ م ۱۴۰۵ هـ.

المنهج التربوی عند أهل البیت، السید سعید کاظم العذاری، دار الأمین للطباعه والنشر، بیروت.

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسین بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانی)المتوفی: ۵۰۲ هـ(، شرکه دار الأرقم بن أبی الأرقم، بیروت، ۱۴۲۰ هـ.

مرقاه المفاتیح شرح مشکاه المصابیح،علی بن سلطان محمد القاری، دار الفکر،سنه

النشر: ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.

ص :٧٨٣

مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن، جلال الدين السيوطى) ٨٤٩ ٩١١ هـ، علق عليه

محمد إبراهيم سليم، مكتبه القرآن للطلع والنشر والتوزيع، القاهره، ١٩٨٧ .

منهاج السنه النبويه فى نقض كلام الشيعه القدريه،أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد

الحليم ابن تيميه،مكتبه ابن تيميه، سنه النشر: ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى،

دار صادر، بيروت، ١٣٩٧ – ١٩٩٣ .

المدخل الفقهى العام، مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم للطباعه والنشر والتوزيع

السلسله: الفقه الإسلامى فى ثوبه الجديد، ٢٠٠٤ .

المقدمه، مرويات خلافه معاويه فى تاريخ الطبرى، دراسه نقديه مقارنه، دكتور خالد بن

محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء، جده، ألسعوديه، ١٤٢٠ ٢٠٠٠ .

معاويه بن أبى سفيان شخصيته وعصره، الدوله السفيانيه، الدكتور على محمد الصلابى،

ط ٦، دار المعرفه، بيروت، ١٤٢٣ هـ ٢٠١١ م.

المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن ابن على بن محمد ابن الجوزى)ت

٥٩٧ هـ(، دار صادر – بيروت.

)ن(

نهايه الأرب فى فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشى

التيمى البكرى، شهاب الدين النويرى)المتوفى: ٧٣٣ هـ(، دار الكتب والوثائق القوميه،

القاهره، ١٤٢٣ هـ.

النهايه فى الفتن والملاحم لابن كثير، كتاب الكترونى.

نظام الإسلام السياسى، باقر شريف القرشى،ط ٢، دار التعارف، بيروت، لبنان،

نور الأبصار فی مناقب آل بیت النبی المختار صلی الله علیه وآله، الشیخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجی

الشسافعی، الدار العالمیه، بیروت.

)و(

الوجیز فی إیضاح قواعد الفقه الکلیه، الدکتور محمد صدقی بن أحمد البورنو، ط ۵،

مؤسسه الرساله،بیروت، ۱۴۱۹ ه_ ۱۹۹۸ م.

)ی(

ینابیع الموده لذوی القربی، سلیمان بن إبراهیم الحسینی البلخی القندوزی) ۱۲۲۰

الدرا ساتسات

جریده العرب القطریه، الأحد ۱۲ / ۶ / ۱۴۳۲ ه_ ۱۵ / ۵ / ۲۰۱۱ م، الدوحه

عبدالله العذبه إیاد الدلیمی.

مقال بعنوان)هل کان تاریخنا ماضیا سعیدا؟(الکاتب المصری سید القمنی، نشرته مجله

روز الیوسف الصادره یوم الخمیس ۹ حزیران ۲۰۱۰ .

موضوع عنوان:)الأجوبه الأزهریه علی الشبه الشیعیه(موقع)عقیده أهل السنه

والجماعه عبر العصور من السلف والخلف الصالح(.

مقال بعنوان)لماذا أولاد الإمام الحسین معصومون وأولاد الإمام الحسن غیر

معصومین؟(نشره یوم السبت، ۲۷ تشرین الأول، ۲۰۱۲ ، موقع کتابات، فواز الفواز .

موضوع بعنوان: قاعده درء المفاسد مقدم علی جلب المصالح، ملتقی أهل الحدیث.

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=۲۱۲۵۰۴

دراسه لمستبصر إماراتی بعنوان «نقض الحدیث الموضوع ابنی هذا سید » نشرها فی موقع

شبکه الکافی العقائدیه، الرابط.

http://alkafi.net/vb/showthread.php?p=١٦٨٧

مقال)هل كان تاريخنا ماضيا سعيدا؟(سيد القمنى التى نشرتها مجله روز اليوسف

الصادره يوم الخميس ٩ حزيران ٢٠١٠ .

المواقع ا الكترونيه ل

موقع المكتبه الشامله، الرابط:.

http://shamela.ws/index.php/author/١٨٩٣

موسوعه الحسن الرابط:.

http://www.mezan.net/mawsouat/hassan/solh.html

الجمعيه الدوليه للمترجمين واللغويين العرب، الرابط.

-http://www.wata.cc/forums/showthread.php?٦٨٢٣٧

شبكه الربانيون العلميه، الرابط:.

http://www.alrbanyon.com/vb/showthread.php?t=٨٤٧٤

موقع أهل السنه، الرابط:.

/http://ahlalsonnah.wordpress.com

موقع الشيرازى.

http://alshirazi.net/monasabat/monasabat/١١٣.htm

موقع شبكه الدفاع عن السنه،.

http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.٨٠١٢١=php?t

مجله الفرات:.

/http://www.alkadhum.org/alfurat/portal/content/view/٧٢/٤٩

مركز آل البيت للمعلومات، محمد أمين نجف.

موقع إسلام ويب،.

http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullCo

ntentaudioid=۱۷۹۹۵۶

موقع حقيقه الأخوان المسلمين .

http://www.anti-ikhwan.com/?p=۷۵

موقع فيصل نور،.

http://www.fnoor.com/fn۰۳۶۴.htm

المحتويات

مقدمه الناشر۳

المقدمه ۷

الفصل الأول السياسه الدنيويه ۱۹

السياسه الدنيويه ۲۱

تقديم ۲۱

الساسه العرب ۲۳

الصراع الدينى السياسى ۲۸

العصبيه ۳۱

الفصل الثانى الحياه السياسيه قبل وبعد عصر البعثه ۴۹

الحياه السياسيه قبل وبعد عصر البعثه ۵۱

سياسه العرب قبل عصر البعثه ۵۱

السياسه فی عصر البعثه ۵۶

التخطیط السیاسی لقتل النبی ۶۰ صلی الله علیه وآله

نشاط السیاسیین فی عصر البعثه ۶۵

المرحله الأولی: ۶۵

ص :۷۸۷

المرحله الثانیه: ۶۸

المرحله الثالثه: ۶۹

المرحله الرابعه: ۷۰

المرحله الخامسه: ۷۰

السیاسه والدوله ۷۱

التنقل عبر الخطوط ۷۵

التکتم علی دور العرب السیاسی ۷۸

الأنساق السیاسیه ۷۹

الذین کتبوا التاریخ أخفوا حقائقه ۸۵

قلب المعادله ۹۱

السیاسه بعد عصر البعثه ۹۵

ترشیح وتنصیب ودعم وقتل الخلفاء ۹۵

قتل الخلیفه عثمان ۱۰۰

اتهام علی بالتآمر والتواطؤ مع المتآمرین! ۱۰۴

الفصل الثالث النزاع السیا سی مع الخط العلوی ۱۱۳

النزاع السیاسی مع الخط العلوی ۱۱۵

المرحله الأولی: المواجهه الناعمه ۱۱۷

• أولا: إتمام مشروعهم الذی بدأ فی زمن البعثه وکانت غایته

زرع الفرقه بین النبی صلی الله علیه وآله وبین علی ۱۱۷ .علیه السلام

• ثانیا: استباق الأحداث وانتهاز الفرص ختلا. ۱۲۰

• ثالثا: إنكار حقه فى الخلافـ_و أهليته للخلافه

والعمل على تنحيته عنها مرتين. ۱۲۱

على وسنه الشيخين ۱۲۲

وهل قتل حجر بن عدى من السنه أم من الجماعه؟ ۱۲۶

• رابعا: التخلف عن بيعته ۱۳۴

• سادسا: تخريب اقتصاد دولته. ۱۴۰

محاولات الإصلاح الاقتصادى العلويه ۱۴۳

المرحله الثانيه: المواجهه الخشنه ۱۴۵

قتال الناكثين والقاسطين والمارقين ۱۴۵

الحرب هى الحل ۱۵۱

الجمل، الحرب الغادره الأولى ۱۵۵

صفين، معركه الخداع والمكر السياسى ۱۶۱

جمر الصحابه بالفتوح للتخلص منهم ۱۶۲

فصول صفين ۱۶۶

النهروان، معركه المغفلين المخدوعين ۱۶۹

المرحله الثالثه: تكميم الأفواه وتغيير الموروث ۱۷۷

سب الإمام على ۱۷۷

فصل الرابع أنموذجات سيا سيه فى تاريخ العرب ۱۸۱

أنموذجات سياسيه فى تاريخ العرب ۱۸۳

المغيره بن شعبه ۱۸۳

ص :٧٨٩

قتل الخليفه عمر ۱۸۴

مروان بن الحكم ۱۸۹

الأشعث بن قيس ۲۰۱

أبو سفيان ومشايخ قريش ۲۰۲

المؤرخون والسياسه ۲۱۳

الفصل الخامس النزاع السيا سى مع الخط الحسنى ۲۲۱

النزاع السياسى مع الخط الحسنى ۲۲۳

سياسه التشكيك ۲۲۳

تشكيكهم بتاريخ مولده ۲۲۵

تشكيكهم فى أصل تسميته ۲۲۸

تشكيكهم أن النبى صلى الله عليه وآله عق عنه ۲۳۲

تشكيكهم فى صحبته ۲۴۲

إسهامه فى الفتوح ۲۴۳

الخلط بين مهام إمامته وخلافته ۲۴۵

التلاعب بتأريخ وفاته ۲۵۳

تشكيكهم بطريقه موته ۲۶۳

اعتراضهم على دفنه مع جده ۲۸۱

هدم القبر الشريف ۲۹۱

الإمام الحسن فى ميزان النبوه ۲۹۳

فرح السياسيين بموته ۳۰۳

عدم احترام منزلته ۳۰۷

لم یشفع له شبهه بالنبی صلی الله علیه وآله۳۰۹

حجبهم الراشدیه عنه ۳۱۲

وتمکنت السیاسه من خلط ألأوراق بشأن خُلق الإمام ۳۱۹

الفصل الساد س السیا سه الدینیه ۳۲۱

السیاسه الدینیه ۳۲۳

المستقبلیه ۳۲۹

ایذاء الحکام الجائرین لآل البیت ۳۵۵ .

الخاتمه ۳۶۵

المراجع ۳۷۱

الجزء الثانی

الإمام المفتری علیه

الفصل الأول قصص زوجاته التسعمائه! ۳۹۳

قصص زوجاته التسعمائه! ۳۹۵

المدائنی ۴۰۲

الحسن علیه السلام المبذر المتلاف ۴۰۵

انزعاج الإمام علی ۴۱۹ علیه السلام

الزواج السیاسی ۴۲۷

الأصل التاریخی لروایات الزواج الخرافی ۴۳۹

مع الكثره يسوء الاختيار ۴۴۷

حب نسائه له ۴۵۱

معرفه دقائق الأمور ۴۵۳

أولاد الإمام الحسن ۴۶۵ عليه السلام

الفصل الثانی ِصدقْ الأئمه وكَذِبِ السيا سيين ۴۷۱

صِدقْ الأئمه وكَذِبِ السياسيين ۴۷۳

نظريه الحق الإلهی ۴۷۹

التنصيب الإلهی ۴۹۹

الكِبرْ ۵۰۵

الفصل الثالث الصلح فی الجزئيه والكليه ۵۱۷

بعض ملامح أخلاق الإمام الحسن عليه السلام السياسيه ۵۱۹

الشروط بين الفقه والفكر السياسی الإسلامی ۵۳۳

ما اشتبه عليهم ۵۳۷

الإذلال فی ميزان الواقع ۵۴۹

ما بال المعاصرين ۵۵۵

الجانب الفقهی للصلح ۵۶۱

الآيه من حيث سبب النزول: ۵۶۲

الآيه من حيث التفسير: ۵۶۳

الآيه من حيث التشريع: ۵۶۵

مشروعيه الصلح والحرب فی الإسلام ۵۶۹

الفصل الرابع الأغيلمه والشجره الخبيثه ۵۷۳

حديث الأغيلمه ۵۷۵

الشجره الملعونه فی القرآن ۵۸۷

قتال الحسن علیه السلام للبغاه مكمل لقتال علی علیه السلام لهم ۵۹۵

جيش الإمام الحسن ۶۰۵ علیه السلام

من البادئ بالمسير إلى الحرب؟ ۶۱۹

إلتقاء الجيشين ۶۲۵

هل التقى الجيشان فعلاً؟ ۶۳۵

مَنْ بادر إلى الصُلح أولا؟ ۶۳۹

قصه البخاری الملفقه ۶۴۵

مؤامره الخطبه ۶۵۷

الف ل الخامس المدارس الفقهيه و موضوع الصلح ۶۶۱

المدارس الفقهيه وموضوع الصُلح ۶۶۳

ترابط منهج الإمامه المعصومه وفهم الحسن علیه السلام للصُلح ۶۹۱

لماذا صالَح الحسن ۷۰۵ ؟علیه السلام

الفصل السادس الُصلح والقواعد الفقهيه ۷۱۳

الصُلح والقواعد الفقهيه ۷۱۵

درء الحدود بالشبهات ۷۱۵

الإمام والوحده الإسلاميه ۷۲۷

وثيقه الصُلح ۷۲۹

معاويه والصُلح ۷۳۷

الحسن علیه السلام بعد الصُلح ۷۴۵

مراجع ومصادر الجزء الثانی ۷۶۷

ص :۷۹۴

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـۀ الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدۀ فی تحقیق أهدافنا وعرض المعلومات علینا.

عنوان المکتب المرکزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهید محمد حسن التوکلی، الرقم ۱۲۹، الطبقۀ الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البرید الالکترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المکتب المرکزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المکتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البیع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمین ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.


مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹